مَوسُوعة النَابُلسي للعُلوم الإسلاَمِيّة



المرأة المسلمة

www.nabulsi.com info@nabulsi.com

الباب الأول : صفات المرأة المسلمة

١٠ – الصفات المحمودة من النساء

٢٠ – صفات المرأة الصالحة

التفسير المختصر – سورة مريم (١٩) – الدرس (٤-٨) : تفسير الآيات ١٨ – ٢٦ ، صفات المرأة وفوائد التمر .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٣-٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

صفات المرأة المؤمنة :

في قصة السيدة مريم هذه الصديقة ، الذي ضرب الله لنا بها مثلاً في الطهر والعفاف أيها الأخوة ؛ في القرآن الكريم إشارات كثيرة إلى صفات المؤمنات ، فهذه المرأة الطاهرة العفيفة التي فاجئها ملك ، فظنته رجلاً قالت :

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آَيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ﴾

[سورة مريم الآيات : ١٨-٢٢]

١ – الخوف والحياء :



فالصفة هنا الخوف ، الخوف من الصفات المحمودة من النساء ، لا أقول البخل ، لكن عدم إتلاف المال من الصفات المحمودة في النساء ، والحياء من الصفات المحمودة في النساء ، لذلك من علامات آخر الزمان أن الحياء يرفع من وجوه النساء .

﴿ قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾

[سورة القصص الآية : ٢٦]

أعجبها ، في سيدنا موسى ، أعجبها قوته ، وأمانته ، وأعجبه فيها حيائها .

﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾

[سورة القصص الآية : ٢٥]

معنى الاستعاذة :

أما هذه الآية يسأل عنها كثيرون ، قالت :

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ ﴾

أخوانا الكرام ؛ الاستعاذة ورد بها آيات كثيرة ، الله عز يقول :

﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾

[سورة الفلق الآية : ١]

وقال :

﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾

[سورة الناس الآية : ١]

﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾

[سورة الأعراف الآية : ٢٠٠]

نحن مأمورون أن نستعيذ من الشيطان الرجيم ، يقول أحدهم أنا أستعيذ بالله من الشيطان ، ولا أقطف الثمار ، فما تفسير ذلك ؟

العلماء اتفقوا ، وأجمعوا على أن الاستعاذة التي أمرنا الله بها لا تقبل إلا بحضور القلب ، أما أن تستعيذ باللسان هذا كلام لا يقدم ولا يؤخر ، لابد من أن تستعيذ بقلبك ، لابد من أن تتوجه بقلبك إلى الله ، لابد من أن تستحضر عظمة الله عز وجل ، إذا استعذت بالله كما أراد الله فأنت أقوى من الشيطان بمليار مرة ، ولا تنسوا أن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ﴾

ـــ الآن دققوا ـــ

﴿ وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾

[سورة إبراهيم الآية : ٢٢]


ليس الشيخ من يفك السحر بل بالاستعاذة بالله مع حضور القلب

الشيطان ليس له على الإنسان سلطان ، لا يملك إلا أن يوسوس أنت إما أن تستجيب ، وإما أن لا تستجيب ، وإذا وسوس بإمكانك أن تستعيذ بالله عز وجل ، مع حضور القلب يحترق الشيطان ، وانتهى الأمر .

لا بدنا شيخ يفك السحر ، ولا بدنا مشعوذين ، ولا بدنا خروف يقدم إلى فلان ، ما بدنا شيء إطلاقاً ، لا نملك إلا أن نستعيذ بالله كما أمرنا الله ، وما سوى ذلك ، بدع في الدين ما أنزل الله بها من سلطان ، ما سوى الاستعاذة بالله عز وجل مع حضور القلب .

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾

إذا وصلت هناك إشكال بالآية ، أما :

﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾

تعرف معنى استعاذتي ، وإن كنت تقياً لا تضرني ، خافت ، خوفها دليل عفتها ، الآن المرأة تخوف ، الأصل المرأة تخاف ، أما حينما تتواقح ، وتبتعد عن الله عز وجل ويركبها الشيطان ، تصبح المرأة هي المخيفة ، قال يا بابا لا تسرع ماما في انتظارك ، يعني في قدامك مشكلة .

﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾

٢- العفة والشرف :

ثم تأتي الآيات فيقول الله عز وجل .

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ﴾

[سورة مريم الآيات : ٢٣-٢٥]

أعظم شيء تملكه المرأة ، شرفها ، وعفتها ، أثمن شيء تملكه ، لذلك ورد في الأثر أن قذف محصنة ، يهدم عمل مائة سنة ، مالك حق تتكلم لا إشارة ، ولا عبارة ، ولا تصريح ، ولا تلميح، ولا تهز قميصك أن فلانة الله أعلم ، لا نعرف ، قذف محصنة يهدم عمل مائة سنة ، لذلك هذه المرأة الطاهرة ، الصديقة ، حينما امتلئ بطنها بالحمل ، ولم يقاربها إنسان ، ماذا تقول لقومها ؟ لذلك الإنسان لما يتكلم بالأعراض يعد للمليون ، لأن الله كبير ، ماله متأكد ، كلمة ، إشارة ،

سمعة ، اتهام لذلك الله عز وجل ، جعل أطهر سيدة ، السيدة عائشة يتكلموا الناس عنها بالفاحشة، جبراً لخاطر أية امرأة بريئة ، لمليون سنة قادمة ، أية امرأة ، طاهرة ، بريئة ، عفيفة ، كاد لها خصومها ، واتهموها بالفاحشة فلها بالسيدة عائشة أسوة حسنة ، لماذا سمح الله لهذا الحدث أن يقع؟ لتكون السيدة عائشة ، قدوة ، لكل امرأة ، طاهرة ، عفيفة ، تكلم الناس في شرفها .

﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً * وَهُزِّي إِلَيْكِ ﴾

[سورة مريم الآيات : ٢٣-٢٥]

ضرورة الأخذ بالأسباب :



بربكم لو وقفتم أمام نخلة عملاقة هل بإمكانكم أن تهزوها ؟ طيب ما معنى هذه الآية ؟ يعني خذي بالأسباب .

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾

١- السعي :

معنى ذلك أن تأخذ بالأسباب فقط ، وعلى الله النجاح ، عليك أن تأخذ بالأسباب ، وعندئذٍ توكل على رب الأرباب ، لذلك لو توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، والطيور أين تقعد بأعشاشها ؟ تغدو ، يعني أعلى نوع من التوكل ، الطير ، ومع ذلك تغدو خماصاً ، وتروح بطاناً ، في غدو ، وفي رواح ، الطير تغدو ، والسيدة مريم ، قال لها هزي ، وأنا والإنسان المقصر بقلك ما في رزقه ، تحرك ، اطلع من بيتك بكير ، افتح محلك ، لذلك إن الله يلوم على

العجز ، ولكن عليكم بالكيس ، فإذا غلبك أمر ، فقل حسبي الله ونعم الوكيل ، لا تقول حسبي الله ونعم الوكيل ، إلا بعد أن تستنفذ كل الجهد ، اسعى ، إن الله يلوم على العجز ، الاستسلام ، الكسل، عدم الحركة ، عدم السعي ، هذا ليس من صفات المؤمن ، إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا ، واحدة .

٢- احتساب أمرك لله تعالى :

أنت حينما تسعى ، لو أن الله سبحانه وتعالى لحكمة بالغة لا تعرفها ، ما مكنك مما تسعى إليه ، الآن تقول : حسبي الله ونعم الوكيل ، لا تقال هذه الكلمة ، كما أرادها النبي إلا بعد أن تستنفذ السعي وهذه مشكلة المسلمين اليوم ، أعدائهم أخذوا كل الأسباب وتوكلوا عليها فأشركوا ، وهم تركوها فعصوا ، زاعمين أنهم متوكلون ، وهذا ليس هو التوكل ، هذا تواكل .

سيدنا عمر رضي الله عنه سأل أناس فقراء في أثناء موسم الحج .

قال : من أنتم ؟

فقالوا : نحن المتوكلون .



قال : كذبتم ؛ المتوكل من ألقى حبة في الأرض ، ثم توكل على الله . سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام أمسك بيد سيدنا المسعود فكانت خشنة ، من كثرة العمل ، فأمسك بيده ، ورفعها بين أصحابه ، وقال إن هذه اليد يحبها الله ورسوله .

وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول إن أرى الرجل ليس له عمل ، فيسقط من عيني ، ومن بات كالاً في طلب الحلال بات مغفور له ، من بات كالاً ، وسبحان الله لحكمة أرادها الله جعل الحلال صعباً ، والحرام سهلاً ، أيام واحد يغض بصره عن شغلة يأخذ مليون ليرة ، عن غض بصر ، وأيام حتى يجيبهم بدو سنتين ليل نهار هو وشركاته ، لحكمة أرادها الله جعل الحلال صعباً ، لو أنه جعل الحلال سهلاً لأقبل الناس عليه ، لا حباً لله ، ولا طلباً لمرضاة لأنه سهل ،

لكن الحلال صعب ، أما الحرام سهل ، إذا في فساد تجمع ملايين في جهد قليل ، بلا جهد ، فلذلك من بات كالاً في طلب الحلال بات مغفور له ، والمال يذهب من حيث أتى ، المال الحلال ينفع المؤمنين ، لكن المال الحرام لا يتلف ليتلف معه صاحبه .

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ﴾

فوائد التمر:



التمر عقد مؤتمر حوله .
أخوانا الكرام ؛ التمر من الفم إلى الدم، أقصر زمن على الإطلاق ، عشرين دقيقة ، إذا الإنسان قبل أن يتناول طعام الإفطار برمضان ، وإذا كان صائم صيام نفل وأكل ثلاث تمرات ، وصلى المغرب ، والسنة ، هذا التمر صار في الدم ، شعر بالشبع، الآن يأكل أكلاً معتدل ، هذه سنة النبي ، أسرع مادة سكرية تصل إلى الدم هو التمر .
الشيء الثاني التمر فيه مادة مهدئة ، يلي عنده توتر عصبي ، عليه بالتمر ، التمر مادة قابضة ، يلي عنده تميع بالدم عليه بالتمر ، والتمر مادة ملينة ، المرأة التي سوف تلد ماذا تحتاج ؟ تحتاج إلى مادة ملينة ، لأن الكتم بأمعائها يعيق الولادة ، وتحتاج إلى مادة قابضة ، لأن سينفتح آلاف الشرايين ، بدها مادة تجمد الدم ، وتقبض الأوعية ، والمرأة بحاجة إلى طاقة ، لأن الطلق جهد عنيف جداً ، فهذا التمر فيه طاقة ، ومادة ملينة ، ومادة قابضة ، ومادة تعين على تقلصات الرحم، أربع صفات فيه ، والتمر لا يتلوث ، تركيز السكر فيه تمتص ماء أية جرثومة وفيه ٤٦ مادة غذائية ، ويسميه بعض العلماء صيدلية في تمرة .

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً ﴾
[سورة مريم الآيات : ٢٥-٢٦]

نصيحة :



أخوانا الكرام ؛ نصيحة أخ محب ، هذه الأغذية المستوردة ، أيام فيها مواد تعين على الإدمان ، تلاقي الطفل معلق بهذه الأكلة ، ليس طبيعي تعلقه ، غير معقول ، يسرق ويشتريها ، يضعون فيها مادة تعين على الإدمان ، والمواد الدسمة ، مواد مأخوذة من شحم الخنزير في أغلب الأحيان ، نحن نأكل، التمر ، اللبن ، الليمون ، هذه الأغذية الطبيعية التي خلقها الله لنا ، هذه تنمي أجسامنا ، وتحفظ أعضائنا ، أما كل شيء مستورد، قد يكون الذبح غير شرعي ، قد يكون صعق ، ويكتبون على أي علبة سردين ذبح على الطريقة الإسلامية ، سردين معناها كذب ، علب السردين فيها سمك ذبح على الطريقة الإسلامية، معناها شو بدك بس اشتروا من عنا ، أكثر البضاعة المستوردة ممنوع استعمالها ببلد المنشأ ، هم يحرمونها على أنفسهم ، لكن يبيحون أن يصدروها للشعوب المتفلتة .

الإنسان قد ما يقدر يقرب من الغذاء الطبيعي ، التمر مادة أساسية اللبن مادة أساسية ، الليمون مادة أساسية ، كثير من الشربات ليس فيها من المواد الغذائية شيء إطلاقاً ، كلها مواد كيماوية ، والناس يتهافتون عليها ، كلها مواد كيماوية ، وهذه المواد تعمل تراكمات ، يعني أحد أسباب انتشار مرض السرطان لكثرة تناول المواد الكيماوية ، تلاقي أنواع المشروبات البادرة ، كلها مواد كيماوية ، ليس فيها شيء من الطبيعي ، فهذه الآية إشارة إلى أن التمر مفيد ، والعسل مفيد ، اللبن مفيد والإنسان يقرب من المواد الطبيعية ، بدل هذه الأشياء التي لها بهرج لكن في حقيقتها لها ضارة .

والحمد لله رب العالمين

التفسير المختصر – سورة التحريم (٦٦) – الدرس (٢-٤) : تفسير الآية ٥ ، صفات المرأة الصالحة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٢-٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية الخامسة من سورة التحريم وهي قوله تعالى:

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً (٥)﴾

أولاً:

هذه الآيات تشير إليها آية كريمة وهي قوله تعالى:

﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾

(سورة محمد: ٣٨)

﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ﴾

(سورة الحجرات: ١٧)

لمجرد أن تتأفف، أو أن تستعلي، يستبدل الله إنسان آخر بك غيرك، ثم لا يكون هذا مثلك، هي قاعدة.

فالإنسان يجب أن يشعر إن الله سبحان وتعالى متفضل عليه بهذا الدين، متفضل عليه بهذه الطاعة، متفضل عليه بهذا الهدى، أما إذا منى على الله أنه مسلم، أو أنه مؤمن، عندئذ يستبدل الله إنسان غيره ثم لا يكون مثله.

نساء النبي عليه الصلاة والسلام ورضوان الله عليهم أجمعين.

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ﴾

الآن، صفات المرأة الصالحة، في آية تقول:

﴿ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾

(سورة الأحزاب: ٥٩)

يعني أدنى شيء يشير في المرأة إلى أنها مسلمة حجابها، أدنى شيء، كما لو رأيت طالباً يرتدي بدلة الفتوة، تقول هذا طالب، قد يكون مطرود من كل المدارس، قد يكون نال الأصفار كلها في

كل المواد، لكن يرتدي هذه البدلة، إذاً هو طالب، فالمرأة التي تتحجب لا يكفي حجابها، ليعبر عن تدينها، قال:

﴿مُسْلِمَاتٍ﴾

والمسلمة هي التي خضعت لأمر الله، الله عز وجل له منهج أمرٌ ونهيٌ فالمسلم الذي انصاع لأمر الله، انصاعت جوارحه لأوامر الله، أما المؤمن هو الذي أقبل على الله، صدق كتابه وأقبل عليه الإيمان تصديق وإقبال، والكفر إعراض ومعصية، تكذيب وإعراض فالإسلام طابعه عملي، والإيمان طابعه نفسي، الإسلام طاعة والإيمان إقبال، اتصال بالله.

﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾

يعني في أمر الله ونهيه، في الحلال والحرام، هذه المرأة منصاعة لأمر الله، إذاً هي مسلمة، طبعاً نشأ الآن مفهوم جديد للإسلام، أن إنسان مكتوب بالهوية مسلم، يعني ولدان في بيئة مسلمة ولدان ببلاد مسلمين، وليس فيه من الإسلام شيء، هذا تقيم جديد، إذا ما في شيء من الإسلام إطلاقاً ليس مسلماً، أما بالمفهوم المعاصر كل من ولد من أبويين مسلمين فهو مسلم، وقد يكون ملحداً، أما الإسلام في القرآن، يعني الانصياع لأمر الله عز وجل.

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾

الإسلام انصياع ظاهري، انصياع الجوارح والأعضاء لأمر الله ونيهه فغض البصر من الإسلام، النطق بالحق من الإسلام الصدق من الإسلام ، الأمانة من الإسلام، حفظ الفرج من الإسلام تحرير الدخل من المال الحرام من الإسلام، النظر في ملكوت السماوات و الأرض من الإسلام، قل انظروا، في أمر لأنه، فأي أمراً في القرآن يقتضي الوجوب، فالذي انصاع لأمر الله هو عند الله مسلم، أما الذي أقبل عليه، وأتصل به، وسعد بقربه، هذا مؤمن فالإيمان طابعه نفسي، والإسلام طابعه مادي، الإسلام انصياع الجوارح والأعضاء، والإيمان إقبال القلب على الله.

﴿ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾

﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ﴾

القنوت هو الطاعة المستمرة، يعني في أشخاص لهم فورات يعني قد يسير في طريق الإيمان أسبوع أسبوعين شهر ثم يعود إلى ما كان عليه، ليس هذا هو القنوت، القنوت الخضوع المستمر لله، هي قضية مصير، هو عاهد الله على ألا يعصيه إطلاقاً، هي قضية مصير، والإنسان أحياناً

يذهب إلى بيت الله الحرام ويقبل الحجر الأسود، ويقول له عهداً يا ربي على طاعتك، اللهم إيماناً بكتابك وتصديقاً لنبيك، وعهداً على طاعتك، والله عز وجل قال:

﴿ وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾

(سورة الأعراف: ١٠٢)

فالإنسان إذا عاهد الله عز وجل ينبغي أن يكون عند عهده، أخ كريم مقيم ببلد غربي يعمل طبيب، متفوق جداً في جراحة العظام أمض ستة وعشرين سنة في هذا البلد الغربي، وهو من أعلى مستوى في الجراحة، وله ثروة طائلة وله مكانة حميدة، وله وله، قال لي أجريت عملية تركيب مفصل، شعرت بتعب قليل، أجرى عملية ثانية لامرأة تبديل مفصل شعر بتعب أشد، أجرى الثالثة شعر بتعب شديد ذهب إلى البيت شعر أن مركبته تميل نحو اليمين، ظن أن في مركبته خللاً، وصل إلى البيت، سألته زوجته ما لك، قال مالي، ليس بي شيء قالت أنظر إلى وجهك، نظر إلى وجهه فإذا هو متورم، فعلم أنها خثره بالدماغ، جلط بالدماغ، أستدع أحد أقاربه طبيب قلب فعرف أنها خثره بالدماغ، قال لي أخذوني إلى المستشفى، في المستشفى ساءت حالتي، شلت يدي ورجلي، وذهب صوتي، قال لي والله أصابني من الألم ما لا يوصف، شعرت بالإحباط وأنا في قمة نجاحي، وأنا في قمة عطائي، وأنا بهذه الحالة الراقية، مكانة، وعلم وثروة، وكل شيء، قال لي أصابني ألم لا يوصف، ضيق، هكذا حالتي أصبحت، طريح الفراش، على كرسي، قال لي في الليل هكذا قال لي، نظرت إلى النافذة فإذا في السماء القمر، قال أقسم بالله وهو صادق، وكأنني أرى الله، ألم يقل النبي الكريم، اعبدوا الله كأنك تراه، قال كأنني أرى الله، ناجيته، قلت يا رب، إن أردت أن ابقى هكذا، فأمتني، وإن أردت أن أعيش فداوني، عالجني، وبكى، الذي أذكره من قصته، أن ما من خلية في جسمه، إلا ناجت ربها، قال لي بعد ساعة أو ساعتين منتصف الليل، قمت من فراشي، كأنني شفيت أمسك الدرابزين بالمستشفى فاندفعت ممرضة وقالت له مجنون يا دكتور أنت، أنت مشلول، قال لها ما بي شيء، أقسم بالله من هذا التاريخ إلى الآن هو في أتم الصحة، أما عاهد الله، قال له والله يا رب لن أعصيك حتى الموت، وسأكون في خدمة عبادك، عاهد الله، إذا واحد منا عاهد الله عهد موثق، الله عز وجل لن يضيعه، يعني مرض خطير، قد يجعل الإنسان مشلول قعيد الفراش، على كرسي طوال حياته، ينتهى دوره المهني، يصبح عاجز، عبئ على الناس، في ساعة إخلاص، صدق، وتوجه وعهد، قال لي والله شفيت تماماً وإلى الآن، أما الآن يسعى جهده إلى خدمة الخلق إكراماً لله عز وجل على هذا العهد، لو كل

واحد منا عاهد الله عز وجل ألا يعصيه، ألا يأكل مالاً حرام، ألا يسئ لخلقه يعني هذا الشيء يبعث بالنفس التفاؤل.

﴿ قَانِتَاتٍ﴾

يعني طاعة دائمة، مو طاعة نوبية، تحت الفرش يا كريم نفق.. ما عاد له علاقة مع الله عز وجل، هي مشهوره عند العوام يذكر الله والفرش فوق رأسه والبضاعة كاسدة، فإذا نفقت، ينسى الله عز وجل، كل إنسان عند الشدة يسأل الله لكن بطولتك أن تسأله وأنت صحيح، وأنت معافى، وأنت غني، وأنت قوي وأنت في أوجه نجاحك، وأنت في أوجه عطائك.

﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ﴾

التوبة النصوح، التوبة التي لا تجرح بمعصية، يعني عقد العزم للمستقبل واصلح الماضي، وأقلع من توه، الحاضر إقلاع عن الذنب، والمستقبل عزيمة والماضي ندم وتوبة وإصلاح.

﴿ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ﴾

خاضعات لأمر الله، مع المحبة، لا يسمى عابداً من أطاع الله ولم يحبه، كم أنه تحب ولا تطعه هذا مستحيل.

تعصي الله وأنت تظهر حبه ذاك في المقال شـــــــــــــــــــــنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾

سياحة يعني ؟ قال العلماء:

مهاجرات، يعني تركن بلدهن إلى الله ورسوله

إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمري ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه.

﴿ سَائِحَاتٍ﴾

يعني مهاجرات كما قال بعض العلماء.

﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً (٥)﴾

فهذا ، هي صفات المرأة المؤمنة.

﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً (٥)﴾

والإنسان لا يسعد بزوجته إلا إذا كانت هكذا، والأزواج مقصرون كثيراً في توجيه زوجاتهم إلى الله، بل إنك لن تسعد بزوجتك إلا إذا عرفت الله، لأنها إذا عرفت الله عز وجل عرفت حقك عليها، إن عرفت الله ربت أولادها، إن عرفت الله عز وجل قامت بحقك الذي عليها، ثم يقول الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾

هذه إلى الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

الباب الثاني : الأسرة

٠١ – هموم الأسرة

٠٢ – العلاقات الأسرية

٠٣ – منهاج الأسرة الناجحة

٠٤ – أخلاق الزوجة المؤمنة

ندوات اذاعية – اذاعة القدس – فاسألوا أهل الذكر – الحلقة ١٩ : هموم الأسرة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-٠٢-١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الدكتور بالطبع لقاءنا معكم يتجدد وتجربتكم في التربية طبعاً من المعلوم أن الأستاذ الدكتور راتب هو دكتور في التربية، وزيادة على المنصب الأكاديمي هو أيضاً صاحب خبرة وتجربة طويلة في بناء الجيل ونحن الآن في أيام مواجهة دكتور، من الواضح أن عدونا يستفيد من كل نقاط الضعف ولعل أكبر نفقط ضعف هي الفلتان التربوي التي تمارسه أحياناً فضائيات عربية، وأحيان تمارسه حركات اجتماعية أحيان تمارسه أسواق ثائبة، هذا الفلتان التربوي مشكلة حتى في موقعنا كمواجهة عندما نكون في هذه الأيام الدقيقة والصعبة في حياتنا، دكتور راتب من أين نبدأ وكيف يمكن بناء الأسرة المسلمة تربية مثالية قبل أن نتحدث أحب أن أنقول أننا سنفتح هذه الحلقة على الهواء مباشرة وبإمكان الأخوة المستمعين الاتصال بنا على الرقم: ٤٤٦٥٥٦٤ بإمكانكم الاتصال والمداخلة ضمن محور هذه الحلقة التي نتحدث فيها عن التربية.

الأستاذ راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

جزاكم الله خيراً أيها الدكتور الكريم على هذه الندوات لعل الله سبحانه وتعالى ينفع بها المسلمون.

لا بد من مقدمة: الله عز وجل جعل آيات دالة على عظمته آياته أنواع ثلاث: آيات كونية ــ آيات تكوينية ــ آيات قرآنية ــ فمن آياته الكونية يعني خلقه:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(سورة الروم الآية: ٢٢)

هذه من للتبعيض، والسماوات والأرض مصطلح قرآني يعني الكون، والكون الحديث عنه يطول، يعني بعض المجرات المكتشفة حديثاً تبعد عنا عشرين مليار سنة ضوئية، مع أن الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كم، بعض النجوم في بعض الأبراج يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، الشمس تتسع لمليون وثلاث مئة ألف أرض وبينهما ١٥٦ مليون كم.

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾

(سورة فصلت الآية: ٣٧)

الآن ندقق:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾

(سورة الروم)

هذه لآية دقيقة جداً ولها تفصيل رائع، فمن آياته الدالة على عظمته كما أن الكون من آياته، كما أن الشمس والقمر من آياته، كما أن الليل والنهار من آياته، ومن آياته أيضاً.

﴿ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

المرأة إنسان لها مشاعر، لها فكر، لها تطلعات، تشعر بما يشعر الرجل، تتألم لما يتألم، تحب ما يحب، إنسان لكل ما في هذه الكلمة من معنى، لذلك الإسلام جاء ليبين أن المرأة مساوية للرجل تماماً في بالتكليف، مكلفة بأركان الإيمان وأركان الإسلام كما هو مكلف، مشرفة كما هو مشرف، مسئولة كما هو مسئول، المساواة التامة في التكليف والتشريف والمسؤولية، ومن هذا المنطلق يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾

(سورة الأحزاب الآية: ٣٥)

مع أن أسلوب القرآن الكريم في آيات كثيرة يشير إلى أن الله عز وجل حينما يخاطب المؤمنين ذكوراً يعني بهم إناث، فأية آية تتجه إلى المؤمنين هي موجهة حكماً إلى الإناث، ولكن في بعض هذه الآيات أراد الله أن يبين أن المرأة مساوية تماماً مع الرجل في التكليف وفي التشريف وفي المسؤولية، ولكن لأن الله عز وجل يقول في آية أخرى:

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

(سورة آل عمران الآية: ٣٦)

أي أن خصائص المرأة العقلية والنفسية والاجتماعية والجسمية هي أكمل شيء للمهمة التي أنيطت بها، وأن خصائص الرجل العقلية والجسمية والنفسية والاجتماعية هي أكمل شيء للمهمة التي أنيطت به إنهما متكاملان، وحينما ننطلق من أن المرأة كالرجل تماماً في الخصائص اختلطت الأوراق وعم الفساد في الأرض، المساواة شيء وأن تكون الخصائص متساوية شيء آخر، المساواة في التكليف وفي التشريف وفي المسؤولية، ولكن خصائص متباينة، إن كل خصيصة أكرم الله المرأة بها هي تناسب مهمتها في الحياة، هذه مقدمة.

النقطة الثانية في الآية:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾

السكنة علتها أن كل طرف يكمل نقصه في الطرف الآخر، فيحس الرجل بنقص عاطفي يكمله بزوجته فهي متأججة عاطفياً، تحس المرأة بنقص قيادي تكمله في زوجها فهو متألق قيادياً، هكذا الأصل، هذا لا يمنع أن تكون امرأة أقوى شخصية من الرجل، هذه حالات ليس هي الأصل الحديث هنا عن طبيعة المرأة بشكل عام وعن طبيعة الرجل بشكل عام أما هناك تفصيلات هذه لها ندوة أخرى إن شاء الله.

﴿ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾

أما الذي يلفت النظر أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

هذه المودة من خلق الله عز وجل.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

فأي زوجين ليس بينهما مودة ورحمة إنها حالة مرضية تقتضي المعالجة الأصل أن الله سبحانه وتعالى خلق المودة والرحمة بين الزوجين.

للعلماء وقفة متأنية حول الفرق بين المودة والرحمة ذلك لأن اختلاف المبنى يعني اختلاف المعنى.

الأستاذ محمد:

الفارق بين المودة والرحمة، إذاً الآية واضحة وهي:

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

في الواقع اجتماع المودة والرحمة يكون منه الحب لكن يعني فعلاً ما هو سبب تفريق الكلمتين ؟

الأستاذ راتب:

الفرق الدقيق أن الود هو سلوك يعبر به عن الحب، فالابتسامة ود أساسها الحب، تقديم الهدية ود أساسه الحب، الملاطفة ود أساسها الحب، الحب شعور داخلي يعبر عنه بالود، بكلمة طيبة بابتسامة بمؤانسة إلخ...

لكن الرحمة شيء آخر، ما دامت الزوجة في طموح زوجها وما دامت مصلحته الزوج محققة عند زوجته، وما دام الزوج في طموح الزوجة، وما دامت مصلحتها محققة عند زوجها فهناك حب، وهناك مصلحة محققة، وهناك ود، والزواج حقق أهدافه لأنها انتسبت إلى زوج قوي غني لطيف إلخ... يحبها ويكرمها ويرحمها، وهو كذلك وجد امرأة تؤنسه تناسبه، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، إن غاب عنها حفظته في ماله وفي نفسها.

لكن أحياناً لله عز وجل في خلقه شؤون، الله عز وجل يؤدب ويمتحن ويبتلي، فقد يبتلى الزوج بالفقر الشديد، كم من امرأة تعمل عملاً شاقاً من أجل أن تطعم زوجها، إنها هنا تنطلق من رحمتها لزوجها ـــ هذا مقام الرحمة ـــ وكم من زوج أصاب امرأته مرض عضال فلم تعد زوجة بمستوى طموحه لكنه يرحمها، كأن هذه المؤسسة باركها الله عز وجل أسست لتبقى، عوامل بقاءها الحب والمودة، وعوامل بقاءها أيضاً الرحمة.

الأستاذ محمد:

يعني إذاً تفصيل المولى سبحانه وتعالى هنا دقيق جداً عندما قال:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

فهذا هو الحال الذي نطمح إليه أن يكون بين الزوجين بالمودة، لكن إن لم تحصل المودة لسبب أو لآخر لقدر قدره الله عز وجل فلا يجب أن تتهدم البيوت كما قال عمر بن الخطاب: **أو كل البيوت تبنى على الحب،** لا بد من الرحمة إذا كانت الحب غير موجود فالرحمة جعلها الله عز وجل بين الزوجين.

سؤال:

أن أمها شرعت استخارة فرأت هذه الرؤية فهل الاستخارة متعلقة بالأحلام ؟

الأستاذ راتب:

والله هي السنة الشريفة أن الاستخارة جوابها ليس حلماً، ولا فتح مصحف، ولا آية تقرأها صدفة، ولا انقباضاً، ولا انشراحاً، جواب الاستخارة تيسير هذا الأمر، هذا هو الجواب، وأي شيء آخر خلاف للسنة.

الأستاذ محمد:

يعني هذا البيان العيني الذي الدكتور راتب ينبغي أن يعلمه كل مسلم، نحن نعاني في وعينا الإسلامي دائماً من حالة الاستسلام للأوهام الاستخارة حالة من الدعاء، نطلب من الله عز وجل التيسير، فإذا تيسر الأمر فهذه استخارته ونتيجته، وإن لم يتيسر.

الأستاذ راتب:

وأصل النص: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك فإن تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر، إن كان في هذا الأمر خير لي في ديني ودنيايا وعاقبة أمري فيسره لي " إذاً الجواب هو التيسير فقط، مادام الطريق سالك فالاستخارة معنى ذلك ميسرة.

في بدعة أخرى أنا أريد أن أنبه إليها هناك من يقول لفلانة استخيري لي، ليس بين العبد وربه حجاب إطلاقاً الاستخارة تؤدى مباشرة من صاحبها، أما أن نوكل إنسان أن يستخير لي هذا ليس له أصل في السنة إطلاقاً.

الأستاذ محمد:

إذاً الاستخارة هي دعاء كالصلاة أنت الذي ينبغي أن تصلي وليس من المطلوب أن تكلف آخر بالصلاة.

سؤال:

عندي أخت متزوجة وزوجها يخونها، ويفعل أمور لا تحكى والآن يريد الرجوع لها، ماذا نفعل إذا أردنا أن نصلي صلاة الاستخارة وقال انتهى أنا تبت وأصبحت أحسن من كل العالم ؟

الأستاذ راتب:

هو الحقيقة ليس هناك استخارة فيما هو فرض، ولا فيما هو سنة، ولا فيما هو مستحب، أما في أشياء مباحة وقع الإنسان في حيرة في موضوع زواج، في موضوع سفر، في موضوع وظيفة، أما ما في استخارة بالصلاة، ما في استخارة أن تعود الزوجة لزوجها هذا شيء يقرره الشرع ويدعو إليه، فالأشياء الدقيقة التي أمر بها الشرع وحض عليها ودعا إليها وباركها هذه لا تحتاج إلى استخارة، أنا لا أستخير ربي في بر والدتي، لا أستخير ربي في أن أقوم بعملي بشكل متقن، هذه أشياء واجبات ومستحبات ينبغي أن تؤدى من دون استخارة ما دام في زواج سابقاً والزوج

أخطأ وثم عاد وتاب فالأصل أن نعود إليه وأن نفتح معه صفحة جديدة هذا هو الأصل، وهذا الموضوع لا يحتاج إلى استخارة.

الأستاذ محمد:

دكتور دعنا نعود إلى المحور الذي كنا نتحدث فيه بأن البيوت تتأسس على الود هذا هو الطموح ولكن عندما لا تستمر الحياة بالود فإنها يمكن أن تستمر بالرحمة.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

الأستاذ راتب:

يعني أذكر لكم إحصاء ذكره لي أحد قضاة دمشق الشرعيين قال مئة زواج في بلاد الغرب يؤول ٦٢ % منها إلى الطلاق في أقل من سنتين، في بلاد أخرى يؤول الزواج إلى الطلاق في ٣٥ % يعني سألته عن بلدنا الطيب قال ١٥ بالألف وأنا أعزو هذه النسبة المتدنية في الطلاق إلى أن الزوجين يحرصان على أن يكون هذا الزواج مستمراً، بالمناسبة في بالزواج الإسلامي شيء رائع جداً هو أن الله بين الزوجين، يعني كل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر، وكل طرف يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر، وزاوج بني على طاعة الله الله في علياءه يوفق بين الزوجين، أما إذا بني الزواج على معصية الله يتولى الشيطان التفريق بينهما وكأن قول النبي عليه الصلاة والسلام وهذا القول ينطبق على الزوجين أشد الانطباق:

((ما توادا اثنين في الله ففرق بينهما إلا بذنب أصاب أحدهما))

فلو تصورنا أن زوجاً مطيعاً لله وزوجة كذلك يخلق الله بينهما الود والرحمة فإذا العلاقة بينهما في أعلى مستوى، لأن كل منهما يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر، الحقيقة العلاقة بين الطرفين بعيداً عن الدين علاقة قوي بضعيف فالأقوى يستغل الأضعف، لكن في جو الدين علاقة حق ومودة ورحمة.

أذكر أنني قرأت كتاباً لعالم في الرياضيات كبير هداه الله إلى الإسلام **(جفري لنك)** و هذا كان ملحداً في الأصل فلما هداه الله للإسلام ألف كتاباً عن سبب إسلامه لفت نظري في كتابه أنه حينما تزوج قبل أن يسلم اتفق مع زوجته أنهما يبقيان معاً ما دام لم يتح لأحدهما أو لكل منها فرصة أفضل، والله شيء جميل ! ــ إذاً الزواج مشروط بأن ما شي الحال حتى تأتي فرصة أفضل ــ لمجرد أن تأتي فرصة أفضل للزوج يدع زوجته.

الأستاذ محمد:

اسمح لنا دكتور أن نتوقف مع عناوين للأخبار ونعود الحديث عن (**جفري لنك**) وكتابه حتى الملائكة تسأل بعد موجز الأنباء من الأرض المقدسة.

الأستاذ محمد:

أهلاً بكم أيها الأحبة مرة أخرى معنا مرة أخرى فضيلة الدكتور الشيخ محمد راتب النابلسي العالم والداعية المعروف، طبعاً فضيلة الدكتور كانت نشرة الأخبار واستمعنا إليها مبعث أمل عندما نرى أن أبطالنا وأطفالنا وأبناءنا وإخواننا في الأرض المقدسة نالوا حظهم من التربية وهاهم الآن يقدمون الدليل تلو الدليل أن الدنيا لا تعدل شيئاً عند الله وأن الآخرة هي دار القرار ويتقدمون إلى الموت من أجل أن تبقى فلسطين حرة وأبية.

دكتور راتب كنت تتحدث عن التربية في الحياة الأسرية وأشرت تماماً أن الحياة يجب أن تبدأ بالمحبة، وإذا توقفت المحبة لسبب فيمكن أن بالرحمة.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

طيب قانون الخلع الذي أجازت به الشريعة للمرأة الخلاص كيف يمكن أن نقارن به في مسألة الود والرحمة ؟

الأستاذ راتب:

يعني حينما تكره امرأة على زوج لا تريده كما جاءت امرأة إلى النبي عليه الصلاة والسلام قالت له: إني أكره الكفر بعد الإيمان، فقال: لو تراجعيه، قالت: أفتأمرني ؟! قال: لا، دقق لم يجعل النبي مكانته الدينة في شأن شخصي، قال لا، إنما أنا شفيع، قالت: أكره الكفر بعد الإيمان، يعني لا تحبه، وللمرأة شخصيتها، ولها كرامتها، ولها رغبتها لذلك لا ينعقد عقد الزواج أصلاً إن لم توافق المرأة على زوجها، لا ينعقد أصلاً، فإذا أصرت على تركه، قال ردي له الحديقة وطلقها تطليقة هذا هو شأن الخلع، يعني كما أن الزوج يستطيع أن ينهي هذه العلاقة بالطلاق، المرأة أيضاً تستطيع أن تنهي هذه العلاقة بطلب الخلع مع موافقة الزوج وموافقة القاضي.

مداخلة:

سيدي الكريم طالما نحن بين يدي مجال التربية فإن لا أتكلم فأصيب فلي أجران، وإن أتكلم

فأخطئ فلي الأخر في مشاركتي على بديهتي وسليقتي، ولكن أين من الأجرين فلفضيلة الدكتور راتب هذا لمجال التربية نصيب منهما في صحائفه إن شاء الله لأني تلمذك، سيدي الكريم أنا أتكلم الآن عن مجال التربية إن شاء الله، نحن أمة يرفض عليها الآن من الخارج سواء من الكيان الصهيوني في أرضنا المحتلة أو سواء من أخوتنا في العرق يفرض علينا التجهيل أمريكا تطالب ٣٥٠٠ عالم، وفي فلسطين المحتلة يغلقون المدارس، يخرجون منها وهم طلاباً صغار كي لا يستطيعون الدخول في السن المبكرة إلى المدارس فيدخلون في سن متأخرة من الممكن أن لا يستوعبوا الدراسة هذا أمر تفرضه علينا قوى الكفر والطغيان، نحن هنا في بلاد تنعم بالأمان قليلاً إن شاء الله يجب علينا أن ننتبه إلى تربية أجيالنا فمن منا يربي أبناءه تربية جهادية الآن نحن نلتفت إلى مصالحهم الدنيوية نريد لأبنائنا أفضل المناصب وأكثر المادة، وأكثر الدنيا، وتركنا الآخرة، نحن لا نعتني بأبنائنا بتربية جهادية نفسية وأخروية تنفعهم في أخرتهم، تتراجع الأمة من أجيالها القادمة، من أجيال المستقبل، لماذا نسينا هذه التربية في بيتنا ؟ ولكم جزيل الشكر إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأستاذ محمد:

شكراً أستاذ محمد نبيل شكراً عند تفسير مشكلة حقيقة حول المقصد التربوي في بناء الجيل.

الأستاذ راتب:

جزاك الله خيراً أستاذ نبيل، الحقيقة أن الطرف الآخر هدفه الأول الإفقار والإضلال والإفساد والإذلال، وأنا أرى أن العبادة الأولى في مواجهة هذا الطرف الطاغية كسب المال الحلال لحل مشكلات المسلمين رداً على الإفقار، وترسيخ معالم الدين رداً على الإضلال وتأسيس مناشط إسلامية تستقطب الصغار رداً على الإفساد، وأن نواجهه ونتحداه رداً على الإذلال.

﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾

(سورة محمد الآية: ٣٥)

والمعلوم أيها الأخ الكريم أن أولادنا وهذه حقيقة صارخة قاطعة هم الورقة الرابحة الوحيدة التي بقيت في أيدينا، إن أولادنا يعنون المستقبل، إن أردنا لهذه الأمة مستقبلاً فلنربي أولادنا، لكن الذي يحصل أن طرفاً ملحداً فرضاً وطرفاً إباحياً يتوليان تربية أولادنا إذا تركناهما للشاشة والفضائيات:

العقيدة ؛ إلحاد.

السلوك ؛ إباحي.

فحينما نترك أولادنا لأعدائنا يربونهم كما يشاءون والحقيقة الطرف الآخر لا يراهن علينا يراهن على أولادنا، والنقطة الدقيقة الدقيقة جداً أن كل أب وأم يسعى جهده للحفاظ على صحة أولاده وعلى تحصيل أولاده العلمي الدنيوي، وعلى رفاههم، أنا أرى محبة الأبناء مركب في أصل طبع الإنسان، كما أنه لا يعقل أن يصدر قانون بإلزام المواطنين لتناول الطعام لأنه مركب في أصل طبعهم، لذلك شيء طبيعي جداً أن كل أم مؤمنة غير مؤمنة، ملتزمة غير ملتزمة، منضبطة غير منضبطة تحب ابنها، لكن متى نكون مأجورين على تربية أولادنا ؟ إذا ربيناهم تربية إيمانية، وربيناهم تربية أخلاقية، وربيناهم تربية علمية، وربيناهم تربية جمالية إسلامية، الحقيقة هذا الذي تفضلت به هو مشكلة المسلمين الأولى، أقول هذه الكلمة قلتها في بلد بعيد بمؤتمر: لو بلغت أعلى منصب في الأرض، ولو جمعت أكبر ثروة في الأرض، ولو بلغت أعلى مكانة علمية في الأرض ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس كيف قال الله عز وجل:

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾

من ؟

﴿مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧)﴾

(سورة طه)

يعني بحسب السياق اللغوي تشقيا، لكن القرآن في إعجاز إعجازه في إيجازه، شقاء الرجل شقاء حكمي لزوجته، ويقاس على ذلك شقاء الأولاد شقاء حكمي للأب والأم معاً، فحينما ترى ابنك صالحاً ملتزماً مقبلاً على الله، منضبطاً بالشرع، يدخل إلى قلبك من السعادة ما لا يوصف، وقد عجل الله للوالدين مكافأة تربية أولادهما في الدنيا قبل الآخرة، ورد هذا في بعض أدعية القرآن:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً (٧٤)﴾

(سورة الفرقان)

السعادة التي تغمر قلب الأب حينما يرى ابنه صالحاً لا توصف لذلك الآن الآباء حينما يرون أولادهم متفلتين ضائعين شاردين عن منهج الله يشعرون بانقباض ما يعده انقباض إذا كان فيهم بقية إحساس.

الأستاذ محمد:

لو سمحتم فضيلة الدكتور أيضاً لدينا اتصال:

سؤال:

هناك أبيات من الشعر آمل أن تفي بالغرض وتكن مناسبة وهدية في هذا المقام وهذه البيات معروفة في الأدب، ولكن من باب يعني النصح أغلى ما يباع ويوهب، فإذا سمحتم لي، يقول الشاعر العربي:

إنــما المــرأة مــرآة بـــــها كل ما تبصره منك ولك

فهي شيطان إذا أفسدتها وإذا أصلحتها فهي ملك

***

والهدية الأخرى:

ليـــس اليتم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلافه ذليلاً

إن اليتيم الذي تلقى له أماً تخـــــــــلت أو أبـــاً مشـــــغولاً

وإذا النساء نشأن في أمية رضع الرجال جهالة وخمولاً

***

أرجو الله أن تكون هذه الأبيات بمثابة هدية لكل من يستمع لهذا البرنامج.

سؤال:

أسأل الدكتور محمد راتب النابلسي بارك الله فيكم، هذا السؤال يفيد الأطباء ويفيد الناس، ولطالما شغل فكري، هل الأخلاق تتوارث ؟ ولكم جزيل الامتنان.

الأستاذ محمد:

الأخ الدكتور زكريا الغزالي من الطامحين يجمع بين الطب وبين أيضاً المعرفة الأدبية باللغة العربية، وأشار إلى هذه البيات في التربية والإعداد تعليقك دكتور راتب.

الأستاذ راتب:

الحقيقة أولاً على سؤال الدكتور هل الأخلاق تورث ؟ الله عز وجل حينما أثنى عن النبي صلى الله عليه وسلم هو الحقيقة سيد الخلق وحبيب الحق، هو القائد، هو الزعيم، هو السياسي البارع، هو الزوج كل صفات الكمال مجتمعة في هذا الإنسان الذي اصطفاه الله، لكن حينما أثني عليه أثنى عليه بخلقه فقط قال:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾

(سورة القلم)

لأن الخلق بشكل موجز يعني الضبط، والضبط شيء كسبي فلإنسان حينما يكون أخلاقياً من لوازم أخلاقية أن يربي ابنه على القيم الأخلاقية، فالأخلاق لا تورث بالمعنى المادي ولكن الأب الأخلاقي من شأنه أن يربي ابنه على قيم الأخلاق، إذاً يمكن أن تكون الأخلاق مستمرة في الأبناء كما كانت في الآباء، لا على سبيل الوراثة بل على سبيل التلقين والتعليم والإرشاد والتوجيه.

مداخلة:

لا يسعنا إلا أن نشكر الله وندعو الله لكم بالقوة والصحة ونور القلب حتى تنير لنا طرق الخير وطرق الفلاح والنجاح، وإن كانت لي من مداخلة، أرجو الله أن تكون خالصة لوجه الله، هذه الندوات يجب أن تتكرر، ويجب أن يسمح لها في الأسبوع مرة أو مرتين أو ثلاث لأن الأمة مفتقرة، والأمة بحاجة ماسة إلى أن تسمع العلماء وتنفذ ما يريدون لأنهم يقولون قال الله سبحانه وقال رسوله صلى الله عليه وسلم، فعندما نسمع العلماء نستبشر بالخير، ونأمل من الله أن نسير على ما يوجهون الأمة له وبه حتى نستطيع أن نكون قاهرين لما يحيط بنا من أعداء لأن هناك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة))

فنحن نرجو أن تتكرر هذه الندوات ولو رفع الأمر للمسئولين لرحبوا بهذه الفكرة ومن انطلاقاً من كتاب الله.

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

فعلينا أن نستمع لأصحاب الفضيلة أمثالكم أمثال الدكتور محمد راتب، وأمثال الدكتور محمد حبش وجزاكم الله عنا خير جزاء، أكرر أرجو الله أن تتكرر هذه الندوات من أجل تثقيف الأمة وأنتم تعلمون أن الأمة بحاجة إلى تثقيف، فلا تأخذوني إن أطلت ولكني أرجو الله أن تكون هذه المداخلة خالصة لوجه الله جزاكم الله عني خير الجزاء.

الأستاذ محمد:

شكراً يا أستاذ محمود الحلقي، شكراً جزيلاً لك، وشكراً للأخوة في جنوبي سورية جزاهم الله خيراً لمداخلاتهم، نتوقف الآن عن تلقي الاتصالات ونعود إلى فضيلة الدكتور الشيخ محمد راتب النابلسي ليضيء لنا هذه المعاني.

الأستاذ راتب:

آية أخرى دكتور محمد جزاك الله خيراً قال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(سورة النساء الآية: ١٩)

من أروع من قرأت في تفسير هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى حينما قال:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها ولكن أن تحتمل الأذى منها، يعني الصبر والحلم بين الزوجين مطلوب، صوناً لهذه الأسرة من الضياع، وتحقيقاً لمقاصد الشريعة من الزواج.

شيء آخر الله عز وجل حينما قال:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

(سورة النساء الآية: ٣٤)

بعض الجهلاء يفهم هذه الآية فهماً ما أراده الله أبداً، يفهم القوامة تسلطاً، يفهما تسلطاً وعنجهوية، وكبراً وقمعاً، الحقيقة أن القوام صيغة مبالغة لقائم، والقائم يعني رجل يسعى جهده لتأمين حاجات الأسرة والعناية بأفرادها وتربيتهم، هو مسئول عنهم، يعني هو أثقل أعضاء الأسرة حملاً، ليس أفضل من أحد ولكنه أثقلهم حملاً، هذا معنى قوامون ــ إذاً القوامة كما يعبر دائماً منزلة تكليف وليست تشريف ــ فلئن الرجل حباه الله في الأصل يعني بقوة في اتخاذ القرار وبرؤية بعيدة وبإدراك للمعطيات الأمور الدقيقة في المجتمع سلمه القيادة، ينبغي أن يكون أهلاً لها، وحينما قال الله عز وجل:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

(سورة البقرة الآية: ٢٢٨)

بعضهم يفهم هذه الدرجة بالتعبير العسكري بين لواء ومجند، لا بين عميد ولواء فقط، درجة واحدة، هي درجة القيادة، وما من مؤسسة في الأرض إلا وتحتاج إلى قائد واحد صاحب قرار إنه الزوج، في الأمور الخطير المصيرية القرار قرار الزوج، أما إذا دخل الزوج إلى بيته فهو واحد من أسرته، كان عليه الصلاة والسلام يقول:

((أكرموا النساء فو الله ما أكرمهن إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم ــ ولهذا الحديث زيادة ــ يغلبن كل كريم ويغلبهن لئيم وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً))

وحينما توجه النبي عليه الصلاة والسلام إلى المرأة قال:

((اعلمي أيتها المرأة وأعلمي من دونك النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله.))

وذكرتم مرةً جزاكم الله خيراً أن من أفضل النعم على الرجل أن يرزقه الله حب زوجته، الأعمال الفنية كلها تشير إلى أن الحب لا في المنهج القويم في المنهج المنحرف، بينما المؤمن يحب زوجته وهذه من نعم الله الكبرى عليه.

الأستاذ محمد:

من المؤسف يعني أن الإعلام يتورط دائماً في رسم صورة تمجد الحب في فراش الحرام ولا تشير إليه ولا تذكره على فراش الحلال هذا موقف يتورط فيه الإعلام وهو في الواقع منهج معادٍ للفطرة السليمة وهدام للأسرة، إن الحب ينبغي أن ينشأ في فراش الحلال وللأسف دائماً نشاهد مسلسلات نشاهد مناظر، دائماً عندما يكون العلاقة بين الزوجين في إطار الحياة الزوجية تجد الغضب والشقاق والنفاق، فإذا ما تسلل الزوج وذهب إلى الغرف الحمراء وإلى الموائد خافتة الأضواء تجد هناك تدفق الحنان والدفء والحب، تجده صار شاعراً وقبل قليل كان طيخاً أو طباخاً، لهذا المعنى أنا أقول إنا ما نريد أن نتحدث عنه جزاكم الله خيراً هو إعادة إحياء حالة الود التي ينبغي أن تنشأ في الأسرة المسلمة وهذا موقف ومنطق تربوي تتأسس من خلاله الأسرة.

الأستاذ راتب:

أنا مضطر أن أذكر قول قرأته في مجلة أسبوعية ممثلة شهيرة في فرنسا سألوها ما شعورك وأنت على خشبة المسرح، تعرضين مفاتنك على الجمهور ؟ قالت شعور الخذي والعار، وهذا شعور كل أنثى تعرض مفاتنها على الجمهور، إن الحب يجب أن يبقى بين الزوجين وفي غرف مغلقة هذه الفطرة، هذه فطرتها تحدثت عنها، الحب كما أراده الله بين الزوجين، وفي غرف مغلقة من دون إشاعة للفحشاء.

الأستاذ محمد:

هنا دكتور راتب دعنا نتوقف قليلاً للإشارة إلى دور التربية في بناء جيل المقاومة، يعني الآن استمعنا قبل قليل إلى نشرة الأخبار أن شباباً من أبناء فلسطين يقدمون اليوم أربع دبابات الآن اليوم، وأمس تم تدميرها للعدو الصهيوني تم ذلك عن طريق فتيان، وهؤلاء الفتيان بالفعل أصبحوا يدركون تماماً وفق تربية إسلامية منهجية أن هذه الدنيا ليست نهاية العالم، وأن الآخرة هي دار القرار، وأنهم من أجل ذلك ماضون يقدمون أرواحهم وحياتهم في سبيل بناء هذه الأمة، إن العدو عندما دخل هذه الأرض كنا في الواقع فقراء بأدائنا التربوي، الآن بعد سنوات طويلة من المقاومة أنا أعتقد أن الأداء التربوي يتألق في فلسطين، وأن مزيد من الدور الجهادي يتحقق من خلال الفتيان، كيف يمكن أن تكون التربية من الناحية المنهجية سلوك الأسرة في بناء جيل الجهاد، نحن يعني هناك من يروج الآن ما يسمى ثقافة السلام وهي في الواقع ثقافة الاستسلام وثقافة السقوط الأخلاقي، يعني الرقص المائع، الانحلال، الانحطاط الأخلاقي ذهب الواقع هي فعلاً يعبر عنها في الغرب أنها ثقافة السلام لأن الجيل الذي ينخرط في هذه النشاطات جيل غير راغب أصلاً في تدكر الذهن أو تدكر البال، وسيرض بأي حال يعرض عليه، وسيكون في ذلك التفريط والضياع، لكن أنا أريد أن أسأل فعلاً ما هي مسؤولية الأسرة ؟ مسؤولية الأستاذ والمعلم والمربي في إيجاد جيل جيل جهاد وجيل عمل ؟

الأستاذ راتب:

الحقيقة أن التربية أخطر شيء في حياة الأمة إنها بالتربية تنقل قيمها ومبادئها إلى أجيالها اللاحقة وهذه مسؤولية المعلم في الصف ومسؤولية الأم في البيت، ومسؤولية الشيخ في المسجد، ثلاث مساحات للتربية، المدرسة والبيت والمسجد، فحينما ننقل لأجيالنا قيم آبائنا، وقيم إسلامنا، ومنهجه التفصيلي، وحينما نكون قدوة لهم، الحقيقة أن الفكر من دون قدوة تجسده لا قيمة، ونحن إذا أردنا أن نشير بإصبع الاتهام إلى خلل في مناهجنا التربوية أننا فقدنا القدوة، والذي يفعله المثل الأعلى لا تفعله آلاف الكتب والمجلدات، كل إنسان بإمكانه أن يتكلم في المثل العليا ولكن الذين يطبقونه في حياتهم هم قلائل وهم لهم تأثير سحري في المجتمع، ذلك بأنهم قالوا بأن القرآن كون ناطق، وأن الكون قرآن صامت، لكن النبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي، فنحن لمجرد أن يكون المعلم قدوة والأب قدوة والشيخ في جامعه قدوة معنى ذلك أننا حققنا الوسيلة الفعالة الكبيرة في تربية الأولاد، لأن الإنسان حينما لا يطبق ما يقول يسقط من عين المتعلم، وهذه حقيقة دقيقة جداً، يعني أنت قد تذهب إلى طبيب متفوق في اختصاصه لا يعني سلوكه يعنيك علمه فقط، قد

تذهب إلى مهندس بارع يعنيك اختصاصه، قد تذهب إلى آلاف العلماء الذين ينفعونك في دنياك لا تعلق أهمية على أخلاقهم ولا على انضباطهم إلا أنك إذا توجهت إلى معلم أو إلى شيخ أو إلى مربٍ أو إلى أبٍ لا يمكن أن تفصل فكره عن سلوكه، وحينما يخالف الإنسان مبادئه يسقط من عين المتعلم، ومرةً التقيت بعالم جليل في مصر توفاه الله عز وجل سألته بماذا تنصح الدعاة إلى الله فكنت أتوقع إجابة طويلة جداً فإذا بها كلمات قال ليحرص الداعية ألا يراه المدعوون على خلاف ما يدعوهم فقط وينتهي كل شيء، فأنا أدعو إلى القدوة عن طريق الأب وعن طريق المعلم، وعن طرق الشيخ، والقدوة وحدها، بل إنني أدعو الآن إلى شيء اسمه الدعوة الصامتة، بإمكانك أن تكون أكبر داعية وأنت صامت لأن الصدق وحده قدوة، الصدق وحده دعوة، الأمانة دعوة، الإخلاص دعوة، الزهد دعوة، فهذه القيم التي جاء بها النبي هي وحدها دعوة إلى الله عز وجل إذا تمثلناها، لذلك قالوا، لما سيدنا جعفر سأله النجاشي عن رسول الله قال:

كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الرحم، ونسيء الجوار، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته وصدقه وعفافه ونسبه فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والحفاظ على الأرحام.

إذاً: الإسلام مجموعة قيم أخلاقية، فإذا أهملناها بقي الإسلام ثقافة، وعادات وتقاليد وفلكلور ليس غير.

الأستاذ محمد:

إذاً كما أشرتم إن أفضل وأقوى وسائل التربية إنما هي التربية بالقدوة لا يمكننا أبداً أن ننقل إلى جيلنا التربية بمجرد الخطابات والمواعظ البليغة المطلوب في المقام الأول هو القدوة، وأن نكون نحن قدوة صالحة لا يملك ولن يستطيع الأب المدخن أن يكف ولده عن التدخين مهما ألقى عليه من المواعظ والنصائح، عندما يكف هو ويقلع هو عن هذه العادة سيصبح كلامه مسموعاً.

الأستاذ راتب:

وحينما تكذب الأم على زوجها أمام بناتها لن تستطيع أن تلقنهم فضيلة الصدق.

الأستاذ محمد: إذاً:

أيها الرجلُ المعلمُ غيرَهُ هلا لنفسِكَ كان ذا التعليمُ؟
تصفُ الدواء لذي السقامِ وذي الضنى كيما يصحّ به وأنتَ سقيمُ
لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثلهُ عارٌ عليكَ إذا فعلْتَ عظيمُ
وابدأ بنفسِكَ فانَهها عن غَيّها فإذا انتهتْ منه فأنتَ حكيمُ
ونراكَ تصلحُ بالرشادِ عقولَنا أبداً وأنتَ من الرشادِ عديمُ

***

اسمح لي دكتور راتب أن أتلقى هذا الاتصال:

سؤال:

السلام عليكم فضيلة الشيخ راتب، أدامكم علينا لصلاح هذه الأمة إن الكرامة التي يقلدها الإسلام للمرأة جزء لا يتجزأ من الكرامة التي قررها وأعلن عنها لبني الإنسان أجمع، وذلك عندما قال الله عز وجل:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠) ﴾

إذ أن الرجل والمرأة كلاهما من ولد آدم، ثم إن الإسلام أكد هذه الكرامة القائمة على أساس من الإنسانية المجردة و الكاملة بكل من الرجل والمرأة على السواء عندما حصنها بحصن التقوى والعمل الصالح وجعل منهما من دون غيرهما ميزان تفاوت الإنسان في العلو والمكانة عند الله فقد ثبت بدلالة واضحة أن الإنسان مكرم بشطريه الذكر والأنثى دون أن يكون للذكورة أو الأنوثة أي مدخل في زيادة هذا التكريم، وثبت أن الناس قد يتفاوتون بعد ذلك في هذه الكرامة التي خصهم الله بها ولكن الباعث على هذا التفاوت شيء واحد هو تفاوتهم في تعظيم حرمات الله، ومن ثم تفاوتهم في الأعمال الصالحة المفيدة للإنسانية، وقد كان من مقتديات هذا النهج الإلهي أن يكون كل من الرجل والمرأة شريكاً للآخر في كليات الحقوق الإنسانية دون تمايز أو اختلاف في شيء من تلك الكليات، وأبرزها حق الحياة وحق الحرية وحق الأهلية وما يتبعه من الحقوق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، كما شرع ذلك أن يكونا شريكين في الواجبات التي تقتضيها عمارة الحياة الإنسانية طبقاً لهذا النهج الذي رسمته شرعة الإسلام من البدء بإصلاح الفرد ثم الأسرة ثم المجتمع، أي بحيث يتقاسمان بينهما جهوداً متكافئة بالخطورة والأهمية في سبيل إقامة تلك الحياة ورعايتها.

سؤالي:

الله سبحانه وتعالى في سورة:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

هذه تأتي بلهجة التأنيث ؟ وأرجو أن يكون سؤالي واضح، شكراً لكم.

الأستاذ راتب:

المرأة مستخلفة في بيت زوجها وفي أولادها دائماً القرآن حينما يخاطب الذكر يخاطب الأنثى حكماً، وهذا اسمه في اللغة التغليب، إذا خاطب الله المؤمنين يخاطب المؤمنات، فإذا قال:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

أي المرأة مستخلفة من قبل الله في بيت زوجها وأولادها وكرامة المرأة ككرامة الرجل تماماً.

الأستاذ محمد:

إذاً نعود إلى المحور الذي كنا نتحدث عنه وهو أن التربية في الواقع هي مسألة قدوة في المقام الأول وأيضاً استخلاف الله عز وجل للإنسان هو أيضاً وجه من وجه هذا الاستخلاف، نحن في الواقع دكتور قلنا أن الاتصالات انتهت ولكن يبدو أنها لم تتوقف وأرجو أن يكون هذا آخر اتصال.

سؤال:

السلام عليكم لي قريب متزوج منذ ١٥ سنة وزوجته تغار عليه جداً، فتحولت الغيرة لشكوك وعنده ستة أطفال، جرى نقاش بينه وبينها لم يجدِ نفع، ثم هجرها سنتين بالفراش فقط، من ثلاثة أشهر حلف يمين ليس بطلاق، في أناس تتدخلوا يريدون حسم الوضع بين الزوج والزوجة قال له تحرم علي مثل ما حرمت أمي علي، الآن نريد الصلح للخير ثم تدخلنا من أجل النصح بين الزوج والزوجة اليمين هنا لا نعرف هو ظهار أو طلاق لا أعرف ؟ إذا كان ظهار ويوجب الصيام شهرين الرجل لا يصوم إذا كان هناك فتوى ــ هو لا يستطيع الصوم أم لا يريد الصوم ؟ يعني جسمه مريض أم لا ؟ ــ لا هو يشكي من شيء.

الأستاذ محمد:

سؤال يعني هو خارج عن الموضوع ولكن.

الأستاذ راتب:

هذا يمين ظهار أنت علي كظهر أمي، طبعاً لا بد من صيام ستين يوم متتابعة أما إذا لم يتمكن من الصوم في حكم آخر أطعام ستين مسكين ــ يعني هو في الأصل كما أجاب الدكتور راتب الحكم أن هو عليه إعتاق رقبة، في زمننا لا يوجد رقاب، لكن يتحول الحكم إلى صيام شهرين متتابعين وإذا كان الرجل مريضاً أو به أذى بالإمكان أن يتحول إلى إطعام ستين مسكين وهذا يقبله منه الله عز وجل أداء لهذه الكفارة.

نعود لنختتم حلقة اليوم فضيلة الدكتور راتب نعم كنت قد حدثتنا عن التربية بالقدوة وأنها أعظم أشكال التربية وفي الواقع هذا المعنى نشاهده الآن بأهلنا وإخواننا في فلسطين في الواقع أن قادة الجهاد في فلسطين قدموا أنفسهم شهداء وأيضاً قدموا من أبناءهم شهداء من يستطيع أن ينسى الشهيد الكبير فادي نصر الله ابن السيد حسن نصر الله، أو الشهيد الكبير جهاد أحمد جبريل الذي قدم أيضاً روحه شهيداً من أجل فلسطين، إن سلسلة الشهداء الذين يتقدمون إلى منازل السعادة منازل الشرف والبطولة هي التي تلهم الآخرين أن يقتدوا بهم بجهادهم.

إذاً التربية في المقام الأول كما سماها الدكتور راتب التربية الصامتة أو الدعوة الصامتة، أنت التزم بما تدعو الناس إليه، ومشهدك كملتزم هو الذي سيجعل الناس من بعدك أيضاً يلتزمون بما التزمت به إنها إذاً التربية بالقدوة الحسنة في المقام الأول قد تكون رأس الأساليب التربوية.

الأستاذ راتب:

في تعليق لطيف أحد كبار القادة في البنتاغون قال مرة قبل أشهر تقريباً ماذا نفعل بالصواريخ والطائرات لم نعد نحارب دولاً نحن الآن نواجه أشخاصاً، لذلك قال بعضهم بدأت الحرب بالإنسان ثم انتقلت إلى الآلة بين آلتين، كانت بين إنسانين، ثم بين آلتين، ثم بين عقلين وانتهت بالإنسان، والقوة التي يمكن أن تزلزل عروش الطغاة هو الإنسان وحده، وهذا نجده في الأرض المحتلة.

الأستاذ محمد:

إذاً هي دعوة إن شاء الله لكل أب ولكل أم ولكل أسرة أن نتنبه وأن نتقي الله في تربية أبناءنا، الآن أيها الأخوة أصبح واضحاً في الماضي كان الناس يحجزون أبناءهم من السينما من البار من الكازينو الآن أقول بمرارة أصبح في كل بيت بار، وفي كل بيت كازينو، وفي كل بيت سينما، إلا

من رحم ربك، وإذا كان هذا بلاء عاماً فإن المطلوب هنا زيادة في الحرص وزيادة في البذل وزيادة في التضحية وزيادة في الالتزام من الآباء حتى تنضبط هذه الآلات والوسائل ويستقيم الناس على طاعة الله عز وجل فيها في الإعداد والبناء التربوي.

لا أدري إذا كان الدكتور راتب يريد أن يضيف شيئاً في الدقائق الأخيرة من هذا البرنامج.
الأستاذ راتب:

أنا أعتقد أنه إذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع لأنها اللبنة الأولى في بناء المجتمع، ولأن الأسرة حينما تنجب أولاداً وتربيهم تربية إيمانية، لي أشرطة كثيرة جداً في تربية الأولاد في الإسلام ستين شريط تقريباً تحدثت عن التربية الإيمانية والأخلاقية والجسمية والعلمية والاجتماعية والنفسية والجنسية والرياضية هذا منهج كله من الكتاب والسنة، قد لا نصدق أن في هذا الإسلام العظيم منهج تفصيلي لتربية الأولاد في الإسلام لكن هذا يحتاج إلى دراسة وإلى بحث أو إلى إطلاع في الحد الأدنى، فلو أن الأم ربت أولادها كما ينبغي أن يربوا لكنا في حال غير هذا الحال وقوام الأمة أبناءها وهم أملها وهم مستقبلها.

الأستاذ محمد:

في نهاية هذا اللقاء نتوجه بالشكر الجزيل لفضيلة العلامة المربي الدكتور محمد راتب النابلسي وهو الداعية المشهور الذي عرفته منابر بلاد الشام ولبنان والأردن داعياً وعالماً جليلاً.

والحمد لله رب العالمين

ندوات مصورة – سوريا – ندوات مختلفة : العلاقات الأسرية ندوة حمص

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-٠١-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الدكتور راتب :
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، هذه الدعوة إن دلت على شيء فعلى حسن الظن بي وأسأل الله أن أكون عند حسن ظنكم .

مشكلات الإنسان تأتي من الإعراض عن منهج الله تعالى :



بادئ ذي بدء على وجه الأرض ستة آلاف مليون إنسان ، ما منهم واحد إلا ويتمنى السلامة والسعادة ، ولكن من أين يأتي الشقاء ؟ من الجهل ، لأن الجهل أعدى أعداء الإنسان ، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، يظل المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظنّ أنه علم فقد جهل ، في الإنسان حاجات سفلى تتجه نحو الأرض و حاجات عليا تتجه نحو السماء ، الإنسان حينما يلبي حاجاته العليا في طلب الحقيقة ، ويبحث عن سر وجوده وعن غاية وجوده لماذا أبدأ بالكليات ؟ لأنه حينما يأتي مريض إلى الطبيب يشكو من ارتفاع حرارته ، لا يعدّ الطبيب طبيباً إذا أعطاه مخفضات للحرارة ، ونحن في حياتنا مئات المشكلات مئات الأزمات هذه ترجع بالعمق إلى علة واحدة ، كل ما يعانيه المجتمع من مشكلات أنا أراها من رؤية إسلامية أن هذه المشكلات هي أعراض لمرض واحد هو الإعراض عن الله :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

(سورة طه)

أركان النجاح في الحياة أربعة :

أيها الأخوة ، آية واحدة تنطبق على الزوجين ، وعلى الصديقين ، وعلى الزميلين ، وعلى الأسرتين ، وعلى العائلتين ، وعلى العشيرتين ، وعلى القبيلتين ، وعلى الشعبين ، وعلى الأمتين، وعلى الحضارتين ، قانون إلهي :

﴿ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ﴾

(سورة المائدة : ١٤)



فالمودة بنيت على طاعة الله وقد قال صلى الله عليه و سلم :

((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر ، وإسناده حسن]

هذه النقاط الأربع ، النجاح مع الأهل والأولاد ربع النجاح ، كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم بالتعريف قال المرأة إذا صامت شهرها ، وصلت خمسها ، وأطاعت زوجها ، وحفظت نفسها فقد دخلت جنة ربها .

أركان النجاة وأركان النجاح في الحياة أن تنجح مع الله ، أن تعرفه ، أن تعرف منهجه ، أن تطيعه ، أن تتقرب إليه ، أن تعبده بشكل واسع ، وأن تنجح في علاقتك مع زوجتك وأولادك ، وأن تنجح في صون صحتك من الخلل ، ثم أن تنجح في عملك .

فنحن حينما نجعل هذه النقاط الأربع هدفاً لنا نتفوق ، أما إذا نجحنا في كسب المال ولم ننجح في البيت لا يعد هذا نجاحاً ، إذا نجحنا في البيت ولم ننجح في علاقتنا بربنا لا يعدّ هذا نجاحاً ، إذاً النجاح مع الزوجة والأولاد ربع النجاح الشمولي .

من آيات الله الدالة على عظمته :

١ ـ خلق السماوات و الأرض :

أيها الأخوة ، هذا الخالق العظيم أعطانا تعليمات في القرآن الكريم قال :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (٢٢)﴾

(سورة الروم)

آلاف مليارات المجرات ، الكواكب ، النجوم ، الشمس ، القمر ، الجبال ، البحار ، الأسماك ، الأطيار :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (٢٢)﴾

(سورة الروم)

٢ ـ خلق الليل و النهار و الشمس و القمر :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٣٧)﴾

(سورة فصلت)

٣ ـ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا :

الآن دققوا :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (٢١)﴾

(سورة الروم)

أولاً : خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ .

المساواة بين المرأة و الرجل في التكليف و التشريف و المسؤولية :

المرأة مساوية للرجل تماماً في التكليف ، وفي التشريف ، وفي المسؤولية ، مكلفة بأركان الإيمان ، ومكلفة بأركان الإسلام ، ومكلفة بالعبادات ، ومشرّفة



المرأة مساوية للرجل في التكليف والتشريف والمسؤولية

عند الله كالرجل تماماً ، ومسؤولة عن كل أعمالها ، وحينما يرى الزوج أن هذه المرأة التي هي زوجته مشرّفة مثله تماماً ومكرّمة مثله تماماً ومسؤولة مثله تماماً وينبغي أن تعامل بهذا المستوى تنجح العلاقة الزوجية ، لذلك قال تعالى :

﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ (٦)﴾

(سورة الطلاق)

يعني تأمرها وتأمرك ، تنصحها وتنصحك ، تأخذ بيدها وتأخذ بيدك ، وأنا أعرف والله مئات الرجال الذين اهتدوا إلى الله بسبب زوجاتهم ، أنت حينما تنطلق من تقييم القرآن الكريم للمرأة ، النبي صلى الله عليه وسلم حينما فتح مكة بيوتات مكة العريقة دعته ليبيت عندهم فقال لهم : انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة ، ليعلم العالم كله أن هذه المرأة التي في القبر هي شريكته في النصر .

ننطلق من أن المرأة مساوية للرجل تماماً في التكليف والتشريف والمسؤولية ، وأية نظرة إلى المرأة دون هذه النظرة هي نظرة جاهلية إما أتتنا من بعدنا عن الله أو من عادات وتقاليد بالية لم نتحرر منها .

التكامل بين مهمة المرأة و مهمة الرجل :

شيء آخر قال تعالى :

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى (٣٦)﴾

(سورة آل عمران)



هنا الفرق ، خصائص المرأة الفكرية والجسمية والنفسية والاجتماعية كمال مطلق للمهمة التي أنيطت بها ، وخصائص الرجل الفكرية والنفسية والاجتماعية والجسمية كمال مطلق للمهمة التي أنيطت به ، لذلك جاءت امرأة إلى النبي عليه الصلاة والسلام قالت يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهل ومال ، فلما كبرت سني ، ونثر بطني ، وتفرق أهلي ، وتبدد مالي ، قال أنت

عليّ كظهر أمي ، ولي منه أولاد ، الآن دققوا ، إن تركتهم إليه ضاعوا ، أنا أربيهم ، وإن ضممتهم إلي جاعوا ، هو ينفق عليهم .

في تكامل بين مهمة المرأة ومهمة الرجل ، وما لم نعترف أنها مساوية ومكلفة ومشرّفة لكن طبيعتها تختلف عن طبيعة الرجل انطلاقاً من قوله تعالى :

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى (٣٦)﴾

(سورة آل عمران)

الزوجان ليسا متشابهين هما متكاملان :

أخواننا الكرام أخواتنا الكريمات ، درسنا في الجامعة عن الفروق بين الذكور والإناث مؤلفه عالم كبير بياجيه فرنسي كتاب يعد إنجيلاً عندهم بهذا الموضوع ، كتاب شهير جداً هو ثمانمئة صفحة، أشهد الله أنني لو اخترت عنواناً لهذا الكتاب لا أجد عنواناً أصدق على مضمونه من قوله تعالى:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى (٣٦)﴾

(سورة آل عمران)

اختلاف الخصائص لا يعني أنها ناقصة أبداً ، يعني أن اختصاصها في مجال واختصاص الرجل في مجال آخر ، وأنا حينما أؤمن بأنها مساوية وأنها مكلفة وأنها مشرفة وأؤمن أيضاً بأن خصائصها تختلف عن خصائص الرجل عندئذ يتكامل الزوجان ، الزوجان ليسا متشابهين هما متكاملان ، مفهوم التكامل أرقى بكثير من مفهوم التشابه ، فلذلك في نظرة بالتعبير المعاصر إيديولوجية ، أنا حينما أرى أن هذه الزوجة شريكتي في الحياة قال تعالى :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (٢٢٨)﴾

(سورة البقرة)

ليس مجند ولواء ، عميد ولواء درجة واحدة ، درجة القيادة ، لأنه ما من مرتبة ، ما من طائرة ، ما من مؤسسة ، إلا ولها صاحب قرار واحد له معاونون له مستشارون ، الاستشارة السيدة أم سلمة ، استشارها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية ونفذ مشورتها ونجح في ذلك ، هذا منهج أيها الأخوة ، لذلك القضية تبدأ من تصور صحيح يتبعه سعادة زوجية ، تصور خاطئ يتبعه شقاء زوجي .

أية شهوة أودعها الله في الإنسان ليرقى بها إلى رب السماوات و الأرض :



ما من شهوة إلا ولها قناة نظيفة طاهرة

بالمناسبة الله عز وجل حينما جعل من الزوجين الذكر والأنثى النقطة الدقيقة أن هذه الشهوة أودعها الله ، وما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناةً نظيفة تسري خلالها ، في الإسلام لا يوجد حرمان ، أية شهوة أودعها الله في الإنسان كتعلق الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل ؟ هذه الشهوة لهما قناة نظيفة طاهرة تسري خلالها ، إذاً ليس في الإسلام حرمان لذلك لولا هذه الشهوات التي أودعها الله فينا لما ارتقينا إلى رب الأرض والسماوات .

الإنسان عقل يدرك وقلب يحب ، الحب الشريف الذي يسمو بالإنسان أن يحب الإنسان ربه ويحب أهل الحق وأن يحب فروع هذه المحبة ، ومحبة زوجته فرع من فروع هذه المحبة .

السيدة عائشة سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف حبك لي ؟ قال لها كعقدة الحبل فأصبح هذا رمزاً بينهما ، كانت تسأله من حين لأخر كيف العقدة ؟ فيقول على حالها ، كان يطمئن زوجته ، كان زوجاً من أرقى طراز .

السيدة عائشة مرة حدثت النبي صلى الله عليه وسلم فترة طويلة عن أبي زرع وأم زرع ، وحدثته عن شجاعته وكرمه ، وأنه كان زوجاً نموذجياً ، لكنها تأسفت أشد الأسف حينما أعلمته في النهاية أنه طلقها ، فكان عليه الصلاة والسلام رفيقاً بها ، فقال لها : أنا لك كأبي زرع لأم زرع ، غير أني لا أطلقك .

الشقاء الزوجي من أكبر مصائب الحياة :

إذاً أنت حينما تتبع منهج الله عز وجل في معاملة الزوجة دققوا أيها الأخوة ، من أدق ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم :

((الحمد لله الذي رزقني حب عائشة))

[ورد في الأثر]



مهمة الشيطان الأولى التفريق بين الزوجين

كتاب المرأة المسلمة- لفضيلة الدكتور محمد ر

من نعم الله الكبرى أن تحب زوجتك لأنها حليلتك ، وصدقوا ولا أبالغ تكاد تكون مهمة الشيطان الأولى التفريق بين الزوجين ، لذلك كلما اقتربت من الله سعدت بزوجتك وكلما ابتعدت عن الله شقيت بك وشقيت بها ، الشقاء الزوجي من إحدى أكبر مصائب الحياة ، هذه التي معك في البيت يجب أن تعيش معها ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاءً ، في إقامتك ، في سفرك ، في حلك ، في ترحالك لا تحبها ، لا تحبها من فعل الشيطان ، لذلك كان بعض العلماء الكبار يقول : أنا أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي ، ويقاس على ذلك ينبغي أن تعرف الزوجة مقامها عند الله من أخلاق زوجها ، فحينما يعصي أحد الزوجين الله عز وجل تدب الفرقة بينهما وما من حديث نبوي جامع مانع يؤكد نوع العلاقة بين الزوجين من قول النبي صلى الله عليه وسلم :

((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر ، وإسناده حسن]

٤ ـ المساواة بين الرجل و المرأة :

أيها الأخوة ، ومن آياته الدالة على عظمته :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ (٢١)﴾

(سورة الروم)

المساواة بين الرجال والنساء ، مساواة في التشريف والتكليف والمسؤولية ، في خصائص لكل منهما ، يؤكد هذا المعنى قوله تعالى :

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى (٣٦)﴾

(سورة آل عمران)

الزواج سكنى للرجل والمرأة :

الآن :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا (٢١)﴾

(سورة الروم)

ما علة السكنى ؟ أن الرجل يكمل نقصه العاطفي بزوجته فيسكن إليها ، وأن الزوجة تكمل نقصها القيادي بزوجها فتسكن إليه ، لكن عظمة هذه الآية أن الله عز وجل حينما قال :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (٢١)﴾

(سورة الروم)

فالمودة والرحمة بين الزوجين من خلق الله عز وجل ، وأي زواج ليس فيه المودة والرحمة هناك خلل خطير في العلاقة الزوجية وأي زواج ليس فيه المودة والرحمة فيه خلل خطير .

أقدس عقد بين إنسانين عقد الزواج الذي تحكمه المودة والرحمة :



ما العلاقة بين المودة والرحمة ؟ هذا الزواج وجد ليبقى ، وجد ليستمر ، تحكمه المودة والرحمة ، فحينما يكون الزوج ملأ عين زوجته وحقق طموحها تحبه من أعماق أعماقها ، والحب يعبر عنه بالمودة ، وحينما تكون الزوجة ضمن طموح زوجها يحبها ويعبر عن محبته بالمودة (المودة سلوك يعبر به عن الحب)

و الرحمة ، حينما تتعطل المصالح بينهما هذا الزواج مقدس بل إن أقدس عقد على الإطلاق عقد الزواج :

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١)﴾

(سورة النساء)

أقدس عقد بين إنسانين عقد الزواج فلذلك :

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً (٢١)﴾

(سورة الروم)

فإن لم تكن المودة لسبب قاهر ، لمرض طارئ ، لفقر شديد ، الحياة فيها متاعب فيها مصاعب ، فيها مفاجآت ، فيها اجتياح ، فيها حروب أهلية ، أحياناً يتعطل الزوج ، يمرض ، يصاب بعاهة ، يفتقر ، عظمة هذا الزواج الإسلامي أن الله بين الزوجين ، كل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر ، وكل طرف يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر فإن لم يحكم العلاقة بين الزوجين المودة يحكمها الرحمة .

الخضوع لمنهج الله عز وجل يخفف من الطلاق بين الزوجين :

أنا سألت أحد أخوتنا الكرام القاضي الشرعي الأول في دمشق سألته : كم نسبة الطلاق في سوريا؟ أنا أعلم نسبة الطلاق في أمريكا ٦٧% ، في أوربا ٣٨% ، قال لي وقتها في سوريا خمسة عشر بالألف ، بسبب الخضوع لمنهج الله بسبب المودة والرحمة ، بسبب أن كل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر ، فاجئني بعد حين قال أصبحت النسبة خمسة عشر بالمئة ، والله أيها الأخوة ، سأتلو عليكم النسبة الأخيرة ويكاد القلب يتمزق نسبة الطلاق في سوريا ٥٠% خمسون بالمئة من قصر العدل في دمشق ، لأنه كلما تفلت الزوج أو تفلتت الزوجة نشأ الخصام بينهما لا تنسوا هذا الحديث الشريف :

((وَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادّ اثْنَانِ فَفُرّقَ بَيْنَهُمَا إلّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر ، وإسناده حسن]

بيت المسلم جنة لأن معه تعليمات الخبير سبحانه :



أيها الأخوة الكرام ، تجربة رائعة في ماليزيا ، كنت في ماليزيا انتهى إلى علم المسؤولين ارتفاع نسب الطلاق فأنشؤوا مدرسة يخضع لها الزوجان لستة أشهر تدريساً وتدريباً ، ولا يقبل عقد زواج إلا إذا أبرز كل من الزوجين وثيقة نجاح من هذه المدرسة ، حقوق الزوجة ، حقوق الزوج ، أصول المعاشرة الزوجية ، أصول التعامل الزوجي ، ما الذي يزعج الزوجة ؟ ما الذي يؤلم الزوج ؟ الحقيقة حينما يكون البيت جنة ، أنا أقول هذا الكلام يجب أن يكون بيت المسلم جنة ، معه منهج ، معه تعليمات الصانع ، معه تعليمات الخبير ، كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته لفّ ثوبه لئلا يزعج بصوت حفيف ثوبه امرأته :

((كان رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً))

[ابن عساكر عن عائشة بسند ضعيف]

((أكرموا النساء ، فو الله ما أكرمهن إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم ، يغلبن كل كريم ، ويغلبهن لئيم ، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً))

[ورد في الأثر]

((اعلمي أيتها المرأة ، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[ورد في الأثر]

حسن رعاية الزوجة زوجها وأولادها يعدّ نوعاً من الجهاد :


رعاية الزوجة لزوجها وأولادها نوع من الجهاد

هل يغيب عنكم أن الجهاد ذروة سنام الإسلام ، وحسن رعاية الزوجة زوجها وأولادها يعدّ نوعاً من الجهاد :

((اعلمي أيتها المرأة ، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[ورد في الأثر]

هذه المرأة التي عرفت ربها ، هل تصدقون أن هناك طرقاً إلى الجنة من البيت فقط ، المرأة حينما ترعى زوجها ، هذه المرأة الصحابية الجليلة التي جاء زوجها من الجهاد وكان ابنها في مرض شديد سألها عن ابنها ما أحبت أن تزعجه قالت له : هو في أهدأ حال فلما نام واستراح وتناول الطعام أخبرته في الصباح فذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبره بما حدث فقال له بارك الله لك في زوجتك .

من تحمل زوجها على أن يكسب المال الحرام إرضاءً لطموحها تنتهي به إلى العذاب :


بعض الزوجات تحمل أزواجها على الكسب الحرام

أحياناً تكون الزوجة ضاغطة على زوجها ضغطاً شديداً جداً إلى أن يخرج من جلده ، لذلك قال تعالى :

﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ(١٤)﴾

(سورة التغابن)

حينما تحمل الزوجة زوجها على أن يكسب المال الحرام إرضاءً لطموحها في البيت والأثاث وفي الحفلات ، هذه

الزوجة تنتهي بزوجها إلى العذاب ، فلذلك أعظم النساء بركة أقلهن مؤونة ، المرأة المؤمنة مثلها الأعلى الصحابية الجليلة التي كانت تودع زوجها وتقول اتقِ الله بنا نصبر على الجوع ، ولا نصبر على الحرام ، الآن تضغط عليه تضغط عليه إلى أن يخرج من جلده ، ويأكل المال الحرام إرضاءً لها ، هذه مشكلة .

كلما كانت المرأة عوناً لزوجها كانت عند الله كبيرة :

لذلك المرأة التي تقبل باليسير امرأة عند الله كبيرة ومقدسة ، والحياة صعبة جداً الآن كسب المال صعب جداً ، كلما كانت المرأة عوناً لزوجها كانت عند الله كبيرة ، الآية :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (٢١)﴾

(سورة الروم)

المودة والرحمة من خلق الله عز وجل .

أخلاق الإنسان في بيته هي الخيرية المطلقة :

الآن هذه الزوجة ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم للأزواج ؟

((فو الله ما أكرمهن إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم ، يغلبن كل كريم ، ويغلبهن لئيم))

وزيادة في الحديث :

((.... وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً ...))

[ورد في الأثر]

فقط للتقريب : عندما الإنسان يطلب شهادة قيادة سيارة يفحص ، كيف يفحص ؟ يفحص في طريق على شكل s ضيق جداً ومتعرج ، وفي علامات بلاستيكية ، وعليه أن يرجع في السيارة على هذا الطريق دون أن يمس العلامات ، هذا أصعب شيء في القيادة إن أتقن هذه العملية ، الآن أخلاق الرجل خارج البيت أسميه بالتعبير المعاصر بزنس ، مصلحة ، أناقته ، ابتسامته ، رقته ، انحناؤه ، اعتذاره ، مصلحته يحب أن يكون زبوناً إن كان تاجراً ، وإن كان معلماً ، وإن كان بأي مكان ، لكن أخلاق الإنسان الحقيقية أين تظهر ؟ في البيت ، لذلك حتى النبي صلى الله عليه وسلم ، أخلاق الإنسان في بيته هي الخيرية المطلقة فقال :

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[ابن ماجه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ]

لذلك أنا في عندي ظاهرة شهد الله ، تجد شخصاً محترماً جداً لطيف جداً راقٍ تأتي شكوى من البيت أنه لا يحتمل لقسوته وفظاظته ، ورفع صوته وضربه لأهله وعنفه مع أولاده ، إذاً لا قيمة للأخلاق الخارجية أخلاق مصلحة ، لا قيمة لها إطلاقاً ، بطولة الزوج أن يكون أخلاقياً في بيته ، هذه حقيقة مهمة جداً .

الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ :



الآن يقابل ذلك ، أحياناً تعتني بكل إنسان وتهمل زوجها ، أكثر مشكلات الحياة الزوجية بعد سن معين أنها انصرفت إلى أولادها وإلى بناتها وإلى أصهارها وتغيب عن البيت وقد ملّت من زوجها ، أنا أقول لكم واسمعوا مني هذه الكلمة وأعني ما أقول : هناك مقولة شيطانية شائعة عند الناس أنه بعد حين كل طرف يملّ صاحبه ، هذا كلام غير صحيح أقسم لكم بالله حياة المؤمن في علاقته مع زوجته في صعود ، الحب يصنع بيديك :

((وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

و أن تضع اللقمة في فم زوجتك هي لك صدقة ، والاعتذار صدقة ، الزوج يعتذر ، الزوجة تعتذر ، في إحسان ، في هدية ، في مودة ، في رحمة ، مريضة تأتي لها بالطعام الجاهز ، أهلها عندها نكرمهم ، عندما الإنسان يفكر كيف يعامل زوجته بالإحسان ، فكري أيتها المرأة كيف تعاملي زوجك بالإحسان ، أنا أسمع أحياناً قصصاً أثناء الخطبة أطول مكالمة سمعت عنها ثلاث عشرة ساعة مستمرة ، بعد سنتين تجر الكلام منه جرّاً لا يتكلم ، كيف كان يحكي ثلاث عشرة ساعة ماذا صار له الآن ؟ لذلك ما لم يجلس المرء مع زوجته جلسة متأنية نصف ساعة ، اسمع لها ، أنت تركتها اثنتي عشرة ساعة ، تعيش لوحدها في البيت تنتظر من تحدثه ، تنتظر من يحدثها ، يأتي على الجريدة ، أخبار ، نوم ، هذا زوج سيئ ، ما لم تخصص لزوجتك وقتاً من وقتك لن تسعد بها ، وعندئذ تنصرف إلى غيرك دون أن تشعر ، إلى أخوتها ، إلى من يحترمها ، إلى من يقدرها .

الأولاد في البيت يحققان الرحمة بين الزوجين :



لذلك الزواج فن ، أقول لكم كم إنسان نجح بعمله التجاري ما نجح بزواجه ؟ نجح بصحته ما نجح بزواجه ، حتى نجح بجامعه ، تجده يلتزم بجامع وله خدمات للمسجد في بيته سيئ جداً ، أنا أؤكد ما لم يكن النجاح شمولياً لا يسمى نجاحاً ، فلذلك الإنسان يفكر يجب أن نعيش عمراً واحداً مع هذه الزوجة ، الأولاد من أدق ما قرأت في التفاسير :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً(٢١)﴾

(سورة الروم)

الابن والبنت في البيت يحققان الرحمة بين الزوجين ، ممكن أن تدخل إلى بيت ولا أبالغ والله قد يكون بيتاً متواضعاً قد يكون بيتاً ستين متراً ، قد يكون بيتاً فيه الطعام خشن ، الثياب غير جيدة ، لكن في حب بين الزوجين ، هذا البيت جنة ، في عندنا في الشام بيت مئة وعشرون مليون وأربعمئة متر وإطلالة على أجمل منظر وكل الأجهزة فيه وجحيم .

من بنى زواجه على طاعة الله تولى الله توفيق هذا الزواج :

الإنسان يسعد بالحب ويشقى بالبغض ، وحينما يعي الزوجان ربهما ، عندنا فندق في الشام من أكبر الفنادق حقق أرباحاً كبيرة جداً من خلال عقود الزواج ، أراد أن يشجع الناس على إقامة العقود فيه فجمع من أقام عقداً في هذا الفندق من ستة أشهر فكانوا ستة عشر عقداً دعاهم لحفل تكريمي ثم فوجئ أن ثلاثة عشر عقداً من هذه العقود آلت إلى الطلاق قبل ستة أشهر .

الآن اسمعوا ، إذا بني الزواج على طاعة الله ولو افتقر إلي معظم مقومات نجاحه يتولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين ، أما إذا بني على معصية الله ولو توافرت له كل أسباب النجاح يتولى الشيطان التفريق بينهما ، هذه قوانين .

لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ : آية من معانيها :

١ ــ على الزوج ألا يخرج امرأته من بيتها لأنها به تحقق شخصيتها وتؤكد ذاتها :

أنا والله أيها الأخوة والأخوات ما حضرت عقد قران إلا سمعت المتكلمين يقول أو عاقد العقد على كتاب الله وسنة رسوله ، أنا أسأل الزوج أحياناً هل عندك معلومات دقيقة عما في كتاب الله من توجيهات للزوجين ؟ مثلاً :

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ (١)﴾

(سورة الطلاق)

هذه الآية دقيقة جداً ، قال الله عز وجل مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، البيت لك في السجلات الرسمية ملك وقد يكون غالٍ جداً بالقرآن جاء منسوباً إليها ما المغزى ؟ كلام خالق الأكوان ، أنت لك شخصيتك محققة في عملك ، في علاقاتك الخارجية ، هذا البيت مملكة الزوجة ، دعها تتصرف ، في أزواج يتدخلون في أدق التفاصيل يمنعوا زوجاتهم من تحقيق ذواتهن في البيت ، الله عز وجل قال :

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ (١)﴾

(سورة الطلاق)

هذا البيت عند الدولة بيتك لكن هو عند الله عز وجل بيتها به تحقق شخصيتها ، به تؤكد ذاتها .

٢ ــ أصغر مشكلة بين الزوجين إذا انتهت بذهاب الزوجة إلى بيت زوجها تتفاقم :

شيء ثان : اسمعوا هذه الحقيقة أيها الأخوة والأخوات ، أصغر مشكلة بين الزوجين إذا انتهت بذهاب الزوجة إلى بيت زوجها تتفاقم ، تتفاقم ، وقد تنتهي بالطلاق ، لماذا ؟ يوجد ببيت أهلها تغذية سلبية ، في عمتها وخالتها وأخواتها ، وما تحتاجين إليه ، استغنِ عنه ، في أحسن مثلاً ، تتلقى توجيهات سلبية باستمرار ، تحب تغيظه ، وهو ما خبرتني ، ما سألت عني ، يزداد حمق عليها ، قد تنتهي أصغر مشكلة بين الزوجين مع خروج الزوجة من بيت زوجها إلى الطلاق ، وأكبر مشكلة بين الزوجين إذا بقيت في بيت زوجها هذه بعد أيام تنتهي المشكلة ، لأن كل واحد بحاجة إلى الطرف الآخر ، أول يوم غضبان ، ثاني يوم والله أنا زدتها ليس لهذه الدرجة .

أنا مرة جاءني شخص يريد أن يطلق زوجته أنا أردت استفزازه قلت له تخونك ؟ قال أعوذ بالله يا أستاذ ما هذا الكلام ؟ امرأة شريفة طاهرة ، قلت له قذرة ؟ قال أعوذ بالله نظيفة جداً ، قلت له طبخها ؟ قال طبخها جيد ، استحى بحاله ، وجد طبخها جيد ونظيفة وما تخونه ، أحياناً الإنسان يعمى عن ميزات زوجته ، كن منصفاً .

الرفق بالنساء :



لما سيدنا عمر علا صوته في البيت وجاء شخص يشكو زوجته وما كمل هرب ، تعال لما أتيت ؟ قال جئتك أشكو مما أنت منه تشكو ، فحدثه عن ميزات الزوجات ، تخدمنا تربي أولادنا . لذلك من صفات المؤمن أنه صبور ، العنف الشديد اجعله للعدو ، في إنسان بطولته في بيته ، بطولته على زوجته:

((كان رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً))

[ابن عساكر عن عائشة بسند ضعيف]

كان إذا دخل بيته واحداً من أهل بيته ، كان يكنس داره ، ويرفو ثوبه ، ويحلب شاته ، وكان في مهنة أهله ، أيها الأخوة الكرام ، المبدأ الأول أن يعرف الزوج حقوق زوجته ، في شيء ثانٍ : في شيء اسمه المعاملة بالمثل أنت لا تتحمل تحكي كلمة على أمك معك حق الأم مقدسة لماذا تسخر من أمها ؟ أنت لست منصفاً مثل أمريكا تكيل بمكيالين ، عندك مكيالين لا تسمح لها أن تحكي كلمة تقمعها تقيم عليها الدنيا ولا تقعدها ، وأنت دائماً تسخر من أهلها ، ينبغي أن تحترم أهلها كما تنتظر منها أن تحترم أهلك ، ينبغي أن تكرمهم كما تنتظر أن تكرم أهلك هكذا ، إذا ما في معاملة بالمثل في جاهلية ، كل بيت فيه تميز ضد المرأة هذا البيت لا ينجح .

بديهيات القرآن الكريم :

أنا أقدم لكم بديهيات القرآن الكريم :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ (١٩)﴾

(سورة النساء)

﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة الآية : ٢١٦)

ما كل زواج يبنى على الحب ، أنا لي تعليق بسيط أخاطب به الشباب ، أكثر الشباب حينما يتزوجون لا يحلو له إلا الحديث عن عيوب زوجته ، لو كنت أطول ، هي مسكينة رأسمالها شكلها أمامك ، لما أنت تحطمها بأثمن ما تملك انتهت ، وصدق يزوي جمالها لأنها هي يصفر لونها ، دائماً مضطربة ، دائماً خائفة منك .

نقطة ثانية أنا أتألم من الشباب ألماً كبيراً لا يحلى له يمزح إلا بالطلاق والزوجة الثانية ، حكوا لنا قصة في الشام أن شخصاً عنده زوجة من أعلى مستوى من الجمال والكمال والحلم والحسب والنسب والثقافة لكنه تاقت نفسه من الزواج ولكن ما معه حجة أي شيء يقوله مرفوض ، فرسم خطة أن يظهر بوضع متألم ، خير إن شاء الله ، يوم يومين ثلاثة عشرة أيام ما تكلم كلمة ، قلقت عليه قالت له قل لي ؟ بعدما ألحت إلحاحاً شديداً جداً قال والله بصراحة السلطان في عنده عوانس كثير ، فقال إذا واحد ما يأخذ واحدة ثانية يعدمه ، فقالت له مت شهيداً .

أنا سؤالي أصعب شيء لا تمزح إلا بالزوجة الثانية والطلاق ، هذا شيء أنا أعدّه حمقاً طمأنها ماذا قال لها ؟ فقال لها : أنا لك كأبي زرع لأم زرع ، غير أني لا أطلقك .

الود بين الزوجين يأتي من طاعة الله عز وجل :

يجب أن تطمئن ، هذا عقد مقدس المرأة تطلق بحالات نادرة جداً ، أما على الطالعة والنازلة الطلاق والزوجة الثانية ، أنت خربت بيتك بيدك ، هدمت سعادتك بيدك ، فكل سبب له ، كل فعل له رد فعل ، هذه كلها أشياء هي من بديهيات الكمال ، لكن نحن من بعدنا عن الله عز وجل ومع إطلاق البصر ،


يمين الطلاق دون مبرر يهدم السعادة

أنا سوف أقول لكم كلمة من منظور ديني فقط عندما يقول الله :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ (٣٠)﴾

(سورة النور)

أنت حينما تغض بصرك عن محارم الله يعني أول مكافأة وثمرة ونتيجة حتمية أن الله عز وجل يريكها أجمل زوجة ويريها منك كل خير ، الود يأتي من الطاعة ، أنا في عندي كلمة لا أغيرها :

((وَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادّ اثْنَانِ فَفُرّقَ بَيْنَهُمَا إلّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر ، وإسناده حسن]

إن غضت هي بصرها عن محارم الله وغضضت أنت بصرك عن محارم الله ؛ الله يخلق الود خلقاً :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (٢١)﴾

(سورة الروم)

طاعة الله عز وجل والإقبال عليه أساس العلاقة الزوجية :



لذلك أي بيت تسوده طاعة الله عز وجل ، يسوده الإقبال على الله ، أما متابعة المسلسلات لا تنتهي ، في وضع الآن مشكلة كبيرة جداً ، المسلسل يطرح قيماً غير إسلامية غير منضبطة ، في تفلت فكراً وسلوكاً ، بيوت فخمة ، نساء متبرجات ، وعلاقات رياضية ، وجاء صديق الزوج إلى عندها ، أنت لما تمنعها أن تستقبل أحداً في غيابك لا تتحمل ، هكذا شاهدنا في الفيلم مثلاً ، سألوا ممثلة كيف يقبلك فلان في الفيلم وأنت ملتزمة ؟ قالت هو في الفيلم زوجي ، صار في فقه خاص للفنانات ، هو زوجي في الفيلم .

لما أنت تريد أن تعمل تغذية ، الذي عنده وعاء للماء له فتحة علوية وله صنبور ، الذي تضعه من فوق تأخذه من تحت ، الثقافة التي تتغذى منها زوجتك ثقافة أفلام تجد تصرفاً غير مقبول ، وإذا أنت تتابعهم أيضاً ثقافتك ثقافة أفلام ، في ثقافة الواحد الديان ، في قرآن ، في صحابيات ، في سنة ، نحن عندنا في الإسلام منهج كامل في الزواج ، أنت تغض بصرك وتجلس مع أهلك وتجلس معهم وتكون لطيفاً ومحسناً ومتسامحاً وصبوراً ، هي تقابلك بالحب والود .

ما في بالضبط بالزواج أنت هنا وهي هناك ، أنا لا أصدق إنساناً يأتي إلى هنا أو هذا الذي هناك إلى هنا ، نلتقي في الوسط ، أتخلى عن شيء من رغباتي ، وتتخلى عن شيء من رغباتها نلتقي، فكلما حرصنا أن يكون الود بين الزوجين .

بطولة الإنسان لا أن ينجح في حقل واحد أن ينجح في الحقول كلها :


النجاح متكامل وليس جزئي

والله ولا أبالغ دخلت مرة إلى بيت يمكن لا أعتقد في الشام كلها في بيت بهذا المستوى ، نحن عندنا عشر جادات في الجبل ، كلما طلعت باتجاه الأعلى صار الوضع صعباً جداً ، أول جادة من فوق ، بلاط ما في ، أنا شعرت أن البيت جنة ، شعرت بجنة من الاستقامة والود الذي بينهما ، فأنت ممكن أن تعمل بيتك جنة والله لما أنت تسعد في بيتك تجد عندك عشرة أضعاف قوة مقاومة خارج البيت ، كل ذهنك صافٍ لعملك .

رَجُل مِنْ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ فَقَالَ :

((أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، حِلْسٌ ــ أي بساط ــ نَلْبَسُ بَعْضَهُ ، وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنْ الْمَاءِ ــ فقط بساط و إناء ــ قَالَ : ائْتِنِي بِهِمَا ، قَالَ : فَأَتَاهُ بِهِمَا ، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ، وَقَالَ : مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ ؟ قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ ، قَالَ : مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ ، وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ ، وَقَالَ : اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ))

[أبو داود ، ابن ماجه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]


أن تنزه أهلك عبادة

لما أنت أول شيء أمنت زوجتك وأولادك ، تعتني بصحتهم بطعامهم بشرابهم هذه عبادة ، أريد أن أقول لكم كلمة دقيقة ، المنافق عباداته الخالصة سيئات ، والمؤمن عاداته عبادات ، يعني إذا أخذ أهله سيران عبادة ، إذا

اشترى لزوجته ثياباً عبادة ، إذا وضع لقمة في فم زوجته يراها يوم القيامة كجبل أحد ، عبادة ، لما أنت تؤمن بالله تماماً مثل بيت فيه كل الأجهزة الكهربائية لكن ما في كهرباء كلها بلا جدوى ، أما حين تسري الكهرباء ، الزواج له طعم ، الأبناء لهم طعم ، العمل له طعم ، أنت لما تؤمن إيماناً صحيحاً وتتصل بالله عد إلى أول كلمة في المحاضرة ، أنت في أربعة أشياء في حياتك علاقتك مع الله إن صحت تصح علاقتك مع الناس ، من أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، البطولة لا أن تنجح في حقل واحد أن تنجح في الحقول كلها .

على المسلم أن يبتعد عن كل شيء يفسد بيته المتماسك :


الإعلام يهز القيم أحيانا فاضبطه

لذلك نحن بحاجة إلى بيوت متماسكة ، وفي أشياء كثيرة تفسد البيوت ، سأقترب قليلاً من المنطقة الخطرة ، كل إنسان في عنده خطوط دفاع يصعب اختراقها إلا أنه بالعمل التمثيلي حينما تأتي بإنسان يعد البطل الأول في الفيلم، أنيق ، وشكل ، وعنده زوجة جميلة جداً ، وبيت فخم ، وفيٌّ بارٌّ في البيت ، يصوروا لك المسلم إنسان ضعيف ، بيته لا يحتمل زوجته ثرثارة ، جالسة عند الجيران والأولاد في الطريق ، الابن إذا شاهد الفيلم والبنت ، خرب الدين دون أن يشعر ، هذا الفيلم يعمل تسللاً خلف خطوط دفاعك ، يعني الآن العالم الغربي اعتمد الصورة ليس الفكرة ، يكفي أن يريك أسرة ملتزمة وضعها سيئ جداً في قهر، في جمود ، في فقر ، في بيت لا يحتمل ، وبيت فخم جداً لكن ما فيه انضباط ، ما حكينا شيء ما هاجمنا الإسلام أبداً .

لذلك أيها الأخوة ، الإعلام أحياناً يهز قيمنا ، هذا الجهاز يجب أن تضبطه ، إذا ما ضبطته في مشكلة كبيرة جداً تدفع الثمن ، زارنا عالم من الكويت داعية كبير هو مختص بصنع القادة قال لنا : كل عادات الإنسان ومبادئه وقيمه وتصوراته تزرع فيه في السبع سنوات الأولى ، أحياناً الزوج ناسي الموضوع وغائب عن البيت ، أحياناً يقول لك شخص أنا أطلع قبل أن يستيقظوا وأعود بعدما يناموا ، أنت ارتكبت خطأ كبير ، إذا أنت ما كنت فوق بيتك وفوق أولادك وقدت البيت تعاني من مشقة كبيرة ، أمور متداخلة في بعضها ، نحتاج إلى تنظيم للوقت ، نحتاج إلى جلسة

نجلس فيها مع أولادنا ، مع زوجاتنا ، جلسة تكون كل يوم يجب من وجبة طعام مشتركة ، من أستاذكم ؟ ما سمعت حكياً ، اسمع منه .

النجاح الأسري أساسه العودة إلى كتاب الله و سنة رسوله :



من كان أبوه مهملاً له وأمه منشغلة عنه ، إن شاء الله هذه الأمور الإنسان إذا عاد إلى الله قرأ القرآن الكريم ، قرأ السنة ، قرأ ما في هذا التراث العظيم من توجيهات وطبقها ، أنا أضرب مثال دائماً ما في إنسان فاته قطار النجاح الأسري ، قال تعالى :

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ (٩٠)﴾

(سورة الأنبياء)

أنا أذكر قصة دقيقة جداً يوجد رجل بالصعيد بمصر أرسل ابنه إلى الأزهر ليتعلم علوم الشريعة ، عاد بعد خمس سنوات خطيب المسجد ، خطب أول خطبة وكان الأب جالس ، بكى الأب بكاء شديد ، أنتم تظنوا أنه بكى فرحاً بابنه ، بكى ندماً على حاله ، هذا الندم الشديد حمله أن يركب جحشته ويتوجه من صعيد مصر إلى القاهرة بقي شهراً ونصف ثم قال أين الأزعر ؟ لا يعرف اسمه الأزهر ، ما أزعر ما عندنا أزعر عندنا أزهر ، دلوه عليه تعلم القراءة والكتابة في الخامسة والخمسين ثم تعلم القرآن ثم تابع العلم وعاش حتى السادسة والتسعين وما مات إلا شيخ الأزهر .

مشاكل الإنسان أساسها قلة الحكمة :

لا تقول أنا فاتني وقت التفاهم مع زوجتي ، ادخل إلى البيت السلام عليكم ، إذا شخص دخل إلى البيت وما سلم قال الشيطان لإخوانه أدركتم المبيت ، نائم الشيطان في البيت ، خبط أبواب ومسبات وقتل وضرب وطردها بنصف الليل بقميص النوم إلى بيت أهلها ، لأنه ما سلم قال الشيطان لأخوانه أدركتم المبيت ، جلس إلى الطعام ولم يسمِ قال الشيطان أدركتم العشاء ، لا يكفي الطعام ، الآن دخل ولم يسلم ، أكل ولم يسمِ قال الشيطان لأخوانه أدركتم المبيت والعشاء .
تجد البيت فيه شيطان لأقل كلمة سبّ ، لأقل كلمة أغلق الباب كسره ، والله جاءني إيميل تأثرت به كثيراً من أخ كريم نحن كل مشاكلنا لا من ما يصيبنا بل من ردود أفعالنا ، أتى بمثل شخص

جالس صباحاً الساعة الثامنة إلا ربع هو مدير مؤسسة جاء ابنه أمسك فنجان القهوة وسكبه على أبيه ، طلع خلقه سبّ زوجته وخبط أبواب وذهب إلى الشركة ونسي الحقيبة وكل الوثائق فيها وعنده اجتماع مهم ، ازداد غضب ، كل مشاكله جاءت ليس من سكب الفنجان من رد فعله غير المعقول ، بابا كنت انتبه الله يرضى عليك ، نحن كل مشاكلنا ليس من الفعل الذي يصيبنا من رد الفعل ، نحن أكثر مشاكلنا تأتي من عدم الحكمة ، قال تعالى :

﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً ﴾

(سورة البقرة الآية : ٢٦٩)

لعلي أثقلت عليكم وأطلت عليكم ، وأسأل الله أن يكون كل منّا سعيداً في بيته ، اقرؤوا القرآن الكريم والسنة وانظروا توجيهات خالقكم ، أنت آلة معقدة جداً ومعك صانع حكيم له تعليمات التشغيل والصيانة .

* * *

تأثير وسائل الإعلام على الفرد :



نحب أن نعلق على تأثير وسائل الإعلام على الفرد ، في دراسة أجريت حول مشاهدة طلاب الشهادة الثانوية للتلفاز تبين من خلالها أن متوسط مشاهدة طالب المرحلة الثانوية في سوريا للتلفاز تتراوح ما بين أربع إلى ست ساعات يومياً قبل انتشار الانترنيت ، فما بالك بعد انتشار الانترنيت ؟ هذا إن دلّ على شيء إنما يدل على ضعف ، وأخص بالذكر الأمهات لأبنائهم أثناء متابعة التلفاز وما يتضمنه من برامج .

الجمعيات الخيرية لها أهداف نبيلة جداً علينا مساندتها :

شكري للأستاذ محمد راتب النابلسي الذي شرفنا بحضوره وحديثه المبدع من خلال إلقاء الضوء على نظرة الدين الحنيف للأسرة والحلول التي شرعها الإسلام للمحافظة على علاقات أسرية سليمة ، والتي يقوم في جوهرها على تقوى الله عز وجل .

لي طلب أن الجمهور بأن يتابع كامل الدورة لتكتمل الفائدة من قبل الدكتور .

أنا أتمنى على أخوتي الكرام الحضور و دعم الجمعية بكل ما تملكون كي تستمر في عملها ، قال تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (٢)﴾

(سورة المائدة : ٢)



كنا في لقاء مع وزير للشؤون الاجتماعية والعمل ، فتكلمت كلاماً أنا لفت نظري قالت : قبل سنتين تقريباً كان في ثلاثمئة وأربعين جمعية ، الآن ثلاثة آلاف جمعية ، معنى جمعية عمل خيري ، عمل تثقيفي ، عمل جماعي ، صار كل مواطن يستطيع أن يقدم شيئاً لأمته ، فلذلك قال تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (٢)﴾

(سورة المائدة : ٢)

وكلما كثرت هذه الجمعيات الخيرية ، كل جمعية لها أهداف نبيلة جداً ، أنا العبد الفقير رئيس جمعية الطفل في القطر ، وعضو مؤسس في جمعية مكافحة التدخين ، ألقيت محاضرة في مكتبة الأسد في افتتاح الجمعية وحضرها وزراء ، المحاضرة موفقة جداً ، أخذ الشريط شخص يبيع الدخان لما سمع الشريط قرر يتوب عن بيع الدخان ، له شريك ما قبل اختلفوا فاتفقوا أن ينظروا كم يربح المحل من الدخان طلع في الشهر خمسة وعشرين ألفاً اتفقوا أنا أعطيك نصف الربح ونوقف الدخان ، فوافق ، لكن قال له إذا الغلة ما نقصت لا أدفع لك شيئاً ، فعلاً الغلة ما نقصت زادت ، الآن جاء الموزع على المحل قال ماذا تريدون دخان اليوم ؟ قال له تأخذ الذي عندنا نحن تبنا إلى الله ، تفاجأ هذا قال ما السبب ؟ قال له اسمع الشريط ، سمعه دافع خمسة ملايين تأمين لشركات الدخان ، استردها ووزع أغذية .

على المسلمين أن يتعاونوا لتحقيق أهداف الأمة التي أرادها الله عز وجل :

الكلمة الطيبة صدقة ، إذا أنت لك علاقة بجمعية خيرية ، بجمعية ثقافية ساهمت وعاونت ، الآن نحن الأمة كبا بها الجواد يجب أن ننهض فما لم نتعاون جميعاً لتحقيق أهداف الأمة التي أرادها الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ (١١٠)﴾

(سورة آل عمران)

أسئلة المشاهدين حول :

١ ـ تشجيع الرجل على أخذ دوره القيادي :

س : ما قولكم أن نشجع الرجل على أخذ دوره القيادي ؟

ج : الرجل دوره الأساسي قيادي والمرأة معاونة له ، في طيار وطيار مساعد ، أما القرار بالنهاية للطيار والمساعد يقدم خدمات كبيرة جداً ، لكن ما في قيادة مشتركة وإلا تقع الطائرة ، لا بد من قيادة واحدة ، الرجل الله عز وجل قال :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (٢٢٨)﴾

(سورة البقرة)

أي درجة القيادي ، أنا مع أخذ الرجل دوره القيادي في المؤسسة الزوجية .

٢ ـ الكتب الضرورية الواجب الاطلاع عليها :

س : هل يوجد كتب ...

ج : والله في كتب كثيرة ، أنا العبد الفقير لي ستون شريطاً عن تربية الأولاد في الإسلام وهي من أشهر دروسي ، أنا سوف أرسلها هدية إلى هنا وأطبعها وأوزعها مجاناً لا أريد شيئاً ، فهذا الشريط مهم جداً ، التربة الإيمانية ، التربية الأخلاقية ، التربية العقلية ، التربية الجسمية ، التربية النفسية ، التربية الاجتماعية ، التربية الجنسية ، الآن وسائل التربية التلقين ، الموعظة ، القدوة .

٣ ــ شعور الزوج بأن المرأة شريكته :

س : لما قلت لنا عن إنسان تكلم مع خطيبته ثلاث عشرة ساعة ، قال لأن النساء لا يتكيفوا (يعطوا وجه)وإني أرى أن في هذه القضية مهمة ؟

ج : أنا أقول ممكن أن تبقى حرارة الحب مستمرة ومتنامية بتطبيق منهج الله في البيت ، وبذكاء الزوج وحنكته وحكمته ، وأن يشعر أن هذه المرأة شريكته ، يسعد بها وتسعد به .

٤ ــ حاجة الزواج إلى مكافأة :

س : هل الزواج يحتاج إلى مكافأة ؟

ج : إذا كان في تفاوت كبير الزوج غير متعلم كلياً والزوجة معها أعلى الشهادات أنا أعتقد أن هذا الزواج لا ينجح ، لأن العلماء قالوا في موضوع التكافؤ ، الكفاءة الزوجية إذا ما في تكافؤ بين الزوجين ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً الزواج لا ينجح إلا بحالة نادرة ، أن يكون الزوج طالب علم ورع ، هذا كفء لأية فتاة ، هذه حالة نادرة ، أما أي زواج عادي يحتاج إلى مكافأة بين الزوجين ، أنا أعرف كثير في الشام زوجات بأعلى درجة من الثقافة وزوجها لا يقرأ ولا يكتب هي تعاني منه معاناة لا تحتمل .

٥ ــ حكم عناية المرأة بهندامها :

س : الزوجة التي لا تعتني بهندامها ما حكمها ؟

ج : هذا السؤال أنا أعلق عليه أهمية كبرى ، بشكل عام المرأة العربية تعتني بثيابها وبشكلها وشعرها وأناقتها عند خروجها إلى الزيارات والحفلات ، في البيت تلبس أسوأ الثياب ، أنا أعرف السلف الصالح محرم على المرأة ترتدي الثوب أول مرة لغير زوجها ، بالمناسبة مهما بالغت المرأة في زينتها لزوجها هي أقرب إلى الله لأنها تحصنه ، والزوجة التي لا تعتني بهندامها وشكلها وأناقتها وزينتها أمام زوجها والله عاصية لله لأنها تدعوه إلى أن ينظر لغيرها ، والآن يوجد ظاهرة أقولها لكم بصراحة وأنا محرج منها الآن يظهر عند الأزواج مراهقة متأخرة بالخمسين في مراهقة سببها الزوجة ، الزوجة مع أصهارها ومع بناتها ومشغولة وطبخ ونفخ ،

روب نوم لا تغيره طوال النهار ، زوجها يرى في الطريق أشكال ألوان عندي مئات الحالات مراهقة متأخرة بوقت غير مناسب إطلاقاً .

٦ ـ غياب الأب و الأم عن البيت بحكم عملهما لفترة طويلة :



س : الأب والأم طبيبان غيابهما بحكم العمل لفترات طويلة جداً .

ج : الأطفال يعانون من مشكلات كثيرة، والله اسمع هذه الكلمة من القلب للقلب ، إذا بلغت أعلى منصب في العالم ، وجمعت أكبر ثروة في الأرض، وتحمل أعلى شهادة في العالم، مرة قلتها في أمريكا ، لو بلغت منصباً كالرئيس كلينتون ، وثروة كثروة أوناسيس ، وعلماً كعلم أينشتاين ، ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس . واسألوا أباً عنده ابن منحرف يكاد يموت من الألم لأنه لم يبقَ في أيدينا من ورقة رابحة إلا أبناءنا ، والعناية بالأبناء سعادة كبيرة ، والله يكافئ مكافأة سريعة ، قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا(٧٤)﴾

(سورة الفرقان)

أنت حينما ترى ابنك كما تتمنى .

شقاء الأولاد شقاء حكمي للوالدين :

بالمناسبة الله عز وجل يقول :

﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧)﴾

(سورة طه)

الآية جاءت بالفعل (تشقى)بالضمير المفرد ، أما بحسب السياق اللغوي : ولا يخرجنكما من الجنة فتشقيا ، لأن شقاء الرجل شقاء حكمي لزوجته ، البلاغة في الإيجاز ، أنا أقيس على هذه القاعدة شقاء الأولاد شقاء حكمي للوالدين ، والله ذهبت إلى أمريكا ألقيت محاضرة في لوس

أنجلوس ولما أريد أن أطلع إلى غرفتي واقفة إنسانة محجبة قالت لي أنا أخته لفلان ، فلان صديقي الحميم ، قلت لها أهلاً وسهلاً ، فبكيت ، قلت لها خير إن شاء الله قالت لي ابنتي راقصة، وابني ملحد ، والله لو معك مئة مليار .

مرة قلت لإنسان كلمة من قلبي قلت له هذا ابنك الصالح المؤمن المستقيم المتفوق يساوي مئة مليار ، ما أحد يعرف قيمة ابنه الصالح ، الذي عنده ابن صالح يقبل الأرض شكراً لله ، إذا شخص أهمل أولاده يدفع الثمن باهظاً .

٧ ـ ضبط جهاز التلفاز :

س : كيفية ضبط جهاز التلفاز ؟

ج : أنا لي صديق مقيم في بروكسل ، في برامج لكل القنوات ، يختار البرامج الثقافية الراقية جداً، يسجلها آلياً المشاهدة يوم الأحد عنده ، إذا أنت تعمل برنامجاً سجل وشاهد مع أولادك نهار الجمعة هذه البرامج ، في وقت للدراسة ، أيها الأخوة أنهى البيت ، أنهى الأبوة ، أنهى الزوجة ، ما بقي شيء ، جالس تَلَقّي تلقي ، وشيء ممل يعني ، واحد عنده مليون هم وفوق الهموم هموم المسلسل ، يبكي من أجله .

٨ ـ تحقيق السعادة الزوجية في الدين و الدنيا من دون زواج :

س : كيف أحقق السعادة في ديني ودنياي لوحدي من دون زواج ؟

ج : الله يبعث لك زوجة صالحة ، تسرك إن نظرت إليها ، وتحفظك إذا غبت عنها ، وتطيعك إن أمرتها ، سأقول لكم كلمة دقيقة من أعماقي الزواج نعمة ، التي عندها زوج لا تكفر العشير ، والذي عنده زوجة لا يقلل قيمة الزوجة ، الزواج حاجة أساسية ، أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس لن ترح رائحة الجنة ، إني أكره المرأة تخرج من بيتها تشتكي على زوجها ، ما أكرمهن إلا كريم ، لذلك قضية الذي عنده زوجة لا على أي سبب تطلق ، يقول ابن عباس يرتكب أحدكم أحموقته ويقول يا بن عباس يا بن عباس ، أنت لما ما تطلق أمرك بيدك ، لما تطلق متسرعاً صرت تحت رحمة المشايخ ، تتسكع على أبوابهم ، الذي يرجعها لك تشك في علمه ، والذي طلقت لا تحبه ، أنت كنت في غنى عن هذا الموضوع كله ، هذا الشيء خطير جداً

لا يستخدم إلا في حالات نادرة جداً ، أما نحن في عندنا مشكلة الطلاق لأتفه الأسباب ، أنت تغامر بسعادتك في بيتك .

٩ ــ الزوج البعيد عن الله :

س : إذا كان الزوج بعيد عن الله ما الحل ؟

ج : لماذا جاء الله عز وجل بصديقة (السيدة آسيا)وجعلها زوجة أكبر طاغية في الأرض ؟

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(١١)﴾

(سورة التحريم)

أخواتنا وأخواننا الكرام ليس مقبول من زوجة أن تقول هكذا يريد إن شاء الله برقبته ، المرأة مستقلة في دينها عن زوجها ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، أما هكذا يريد ويريدني أن أجلس مع أهله ، وأذهب معه إلى البحر ، لا تظني أنك معفاة من المسؤولية ، لذلك لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

١٠ ــ التغلب على عدم جمال المرأة عند اختيار الزوجة :

س : كيف نتغلب على عدم جمال المرأة عند اختيار الزوجة ؟

ج : بصراحة إذا كان الهدف بالآخرة بالضبط وأنت حامل رسالة كبيرة ولك أهداف نبيلة تسعد بأي زوجة ، أما إذا كان الهدف هو المتعة فقط ما في إنسانة تسعدك إطلاقاً ، إذا كان الهدف هو المتعة فقط ما في إنسانة ممكن أن تكون ضمن طموحك تمل منها ، أما إذا كان عندك هدف كبير يأتي الزواج مسعد بشكل أو بآخر ، إذا جعلت اللذة مبدأً أصبحت مبدأ ألم ، إذا أنت الهدف فقط المتعة الطريق مسدود ، الأجانب أحسن منا ؟ يعيشون كل يوم مع واحدة ما في مشكلة ، أما نحن مؤمنون في جنة بالآخرة لذلك الإنسان يسعد بزوجة إذا قنع بها ، في علاقات إنسانية عالية جداً هي علاقات إنسانية تفوق حدّ الخيال ، لما أنا أضحي بها من أجل متعة عابرة في ندم شديد .

١١ ـ العلاقة بين المرأة و الرجل :

س : قلتم أن العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة لواء بعميد ، ولكن لوحظ في الآونة الأخيرة العلاقة بين لواء وجندي .

ج : أنا ذكرت هذا الشيء نعم .

١٢ ـ نصيحة للرجال :

س : هل يمكن إعطاء نصيحة للرجال حتى يكونوا أكثر رجولية ، أعني بالرجولية كل ما تتضمنه الكلمة من صفات إيجابية نفتقر لها وخاصة في جيل الشباب ؟

ج : أنا أقول إذا الإنسان ما عرف الله ، وما عرف هدفه الكبير ، وما وضع أمامه هدفاً نبيلاً يعيش لشهواته .

والحمد لله رب العالمين

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٤-٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

النجاح لا يسمى نجاحاً إلا إذا كان شاملاً :

أيها الأخوة الكرام ، بادئ ذي بدء أنا لا اصدق ولا أقبل أن يكون نجاح في حياة الإنسان جزئي ، فقد ينجح الإنسان في كسب مال كبير ولا ينجح في أسرته ، لذلك أعتقد جازماً أن النجاح لا يسمى نجاحاً إلا إذا كان شاملاً .

المحطات الكبرى في النجاح :

١ ـ علاقة الإنسان بربه :

ما المحطات الكبرى في النجاح ؟ في حياة الإنسان آلاف المحطات لكن هناك أربع محطات كبرى أي خلل في إحداها ينعكس على المحطات الثلاث ، في تصوري المحطة الأولى علاقتك بالله :

((ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء))

[من مختصر تفسير ابن كثير]

المحطة الأولى أن تعرفه ، وأصل الدين معرفته ، ونحن إذا عرفنا الآمر ثم عرفنا الأمر تفانينا في طاعة الآمر ، أما إذا عرفنا الأمر ولم نعرف الآمر تفننا في التفلت من الأمر وهذا واقع العالم الإسلامي الأمر بالمعروف لكن هناك ضعفاً في معرفة الآمر ، لذلك هناك بحث عن فتاوى شاذة ، عن فتاوى ضعيفة ، عن بلوى عامة ، القصد أن يتفلت الإنسان من تطبيق منهج الله .

من لم يستقم على أمر الله لا يقطف من ثمار الدين شيئاً :

أريد أن أقول كلمة أخوتنا التجار نشاطات التجارة كثيرة جداً ، لا تعد ولا تحصى من شراء مكتب، إلى شراء مستودعات ، تعيين موظفين ، سفر إلى الصين ، أخذ وكالات ، ترويج

البضاعة ، دفع ثمنها ، توزيع الأرباح ، نشاطات لكن كل هذه النشاطات يمكن أن أضغط نشاطات التجارة كلها بكلمة واحدة ؟ إنها الربح فإن لم تربح فلست تاجراً ، أنا أقيس على هذه المقولة أن في الدين نشاطات لا تعد ولا تحصى تأليف كتب ، إلقاء محاضرات ، حضور مؤتمرات إلى آخره ، إحياء بعض الليالي المباركة ، تأليف كتاب ، وأنا أرى أيضاً أن كل هذه النشاطات يمكن أن تضغط بكلمة واحدة إن لم تستقم على أمر الله لم تقطف من ثمار الدين شيئاً ، إن لم تستقم على أمر الله يغدو التدين عادات ، وتقاليد ، وخلفية إسلامية ، وأرضية إسلامية ، واهتمامات إسلامية ، وأقواس إسلامية ، الإسلام شيء آخر ، واقع المسلمين هان أمر الله عليهم فهانوا على الله ، سيدنا خالد طلب خمسين ألف جندي مدداً ليواجه عدوا من ثلاثمئة ألف ، معه ثلاثون ألفا ، طلب من سيدنا الصديق خمسين ألفا مدداً ، أرسل له رجلا واحدا ، اسمه القعقاع بن عمرو ، قال له : أين المدد يا قعقاع ؟ قال له : أنا المدد ، قال له : أنت ؟ قال له : أنا ، معه كتاب ، قرأ الكتاب ، يقول سيدنا أبو بكر : فو الذي بعث محمد بالحق ، إن جيشاً فيه القعقاع لا يهزم .

الواحد بمئة ألف والآن المليون بأف ، المليون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه هان أمر الله عليهم فهانوا على الله .

من عرف الله و منهجه و استقام على أمره سعد في الدنيا و الآخرة :



لذلك أيها الأخوة النجاح الشمولي يمر بأربع محطات ، المحطة الأولى أن تعرف الله من خلال الكون :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

(سورة آل عمران)

أن تعرف منهجه ، أنت بالكون تعرفه وبالشرع تعبده ، ثالثاً أن تحمل نفسك على طاعته ، رابعاً أن تتقرب إليه بالأعمال الصالحة ، فإذا نجحت مع الله : عبدي ، كن لي كما أريد أكن لك كما تريد ، عبدي ، كن لي كما أريد ، ولا تعلمني بما يصلحك ، أنت تريد ، وأنا أريد ، فإذا سلمت

لي فيما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريد.

فالمحطة الأولى أن نعرف الله وأن نعرف منهجه وأن نستقيم على أمره وأن نتقرب إليه حتى نسلم ونسعد في الدنيا والآخرة ، هذه محطة .

٢ ــ علاقة الإنسان بأهله و أولاده :

المحطة الثانية علاقتك بأهلك وأولادك ، لأن هذا المجتمع الكبير أساسه أسر ، فإذا تماسكت الأسرة تماسك المجتمع ، إذا تفوقت الأسرة تفوق المجتمع ، إذا قويت الأسرة قوي المجتمع ، وكل شرائع السماء تدعم الأسرة وكل النظم الأرضية تدعو إلى تقويضها كما ترون ، لذلك المحطة الثانية موضوع هذه المحاضرة .


تماسك الاسرة مهم لتماسك المجتمع

٣ ــ علاقة الإنسان بعمله :

المحطة الثالثة علاقتك بعملك ، حرفتك ، مهنتك ، مورد رزقك ، المال قوام الحياة حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي .

٤ ــ علاقة الإنسان بصحته :

فإذا نجحت في عملك ، ونجحت في معرفة ربك ، ونجحت مع أهلك وأولادك ينبغي أن تنجح مع صحتك ، الصحة المحطة الرابعة ، لأن جسمك وعاء عملك ، ممكن أن تعيش العمر الذي أراده الله لك لكن بين أن تعيشه هكذا أو هكذا بالعناية بالصحة تعيشه واقفاً ، نشيطاً ، متحركاً ، وبإهمال

الصحة تعيشه هكذا ، لذلك أربعة إن لم تتوافر بكل معاني هذه الكلمة لا يسمى النجاح نجاحاً ، لكن هذه المحاضرة مخصصة للمحطة الثانية علاقة الأهل والأولاد .



عنايتك بصحتك جزء من نجاحك

أكبر مهمة يقوم بها الشيطان التفريق بين الزوجين :



مودتك يجب ان تكون لزوجتك

بادئ ذي بدء هل تصدقون أن يقول النبي عليه الصلاة والسلام يقول : الحمد لله ، على ماذا ؟ قال :

((الحمد لله الذي رزقني حبّ عائشة))

[ورد في الأثر]

فجعل النبي الكريم حبّ زوجته أكبر النعم التي أنعم الله عليه ، والحب بيدك، هناك كلام يقوله الشياطين : بعد فترة تمل الزوجة ، أكثر الأعمال الفنية تزهد بالزوجة ، يعني دفء المرأة يكون بالحرام ، هذا من كيد الشيطان ، أنا أعتقد اعتقاداً جازماً أن الشيطان أكبر مهمة يقوم بها التفريق بين الزوجين ، أن يكره الزوج بزوجته ، أن يكره الزوجة بزوجها ، تجد الزوج أحياناً مع نساء أخريات في أعلى درجة من اللطف والنعومة والمرح لكن مع زوجته قاسٍ جداً هذا من عمل الشيطان ، مودتك لزوجتك ، ابتسامتك لزوجتك ، اعتذارك لزوجتك ، تقديرك لزوجتك ، الثناء على زوجتك .

((الحمد لله الذي رزقني حب عائشة))

[ورد في الأثر]

طاعة الله عز وجل أساس الزواج المتين و السعيد :

أيها الأخوة ، لكن المحطة الثانية العلاقة مع الأهل أساسها هذا الحديث :

((وَالّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إلّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر ، وإسناده حسن]

إن أردت زواجاً متيناً متماسكاً مستمراً متنامياً أطع ربك ، ويا أيتها الزوجة أطيعي ربك .

((وَالّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إلّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر ، وإسناده حسن]

أيها الأخوة ، أنا لا أصدق أن يكون الفرق بين المؤمن وغير المؤمن موضوع الصلاة ، الصلاة عبادة وفرض يجب أن تؤديها ، المؤمن يصوم ويصلي ويحج ويزكي ، أنا أرى أن الفرق هناك فرق صارخ في المنطلقات ، في التصورات ، في السلوك ، في المبادئ ، في المواقف .

الزواج الإسلامي ما خصائصه ؟ أول خصيصة فيه أن منهج الله مطبق فيه ، بلغني أن في ماليزيا وجدوا حالات طلاق مرتفعة فالمسؤولون هناك أنشؤوا مدرستين الأولى لتعلم طالب الزواج حقوق الزوجة وآداب الزواج ، ويعلموا أيضاً الشابة التي تخطب حقوق الزوج وآداب الزواج ، والدراسة تستمر ستة أشهر فإذا نجح الشاب في هذه الدورة ونجحت الشابة يسمح لهما بعقد الزواج ، عقد الزواج لا يتم إلا بعد الخضوع لدورة ستة أشهر من قبل الزوج والزوجة ، فانخفضت نسب الطلاق إلى أدنى مستوى .

أما مرة في درس من الدروس يحضر درسي القاضي الأول في دمشق ، فسألته علانية كم نسب الطلاق في سوريا ؟ قال كانت خمسة عشر بالألف من كل ألف زواج خمسة عشر زواج ينتهي بالطلاق ، أما الآن خمسة عشر بالمئة ، أما اليوم خمسون بالمئة ، كل مئة عقد في دمشق ينتهي منها خمسون عقداً إلى الطلاق لأنه كلما اتسعت الصحون على السطوح ضاقت صحون المائدة ، وكلما رخص لحم النساء غلى لحم الضأن ، وكلما قلّ ماء الحياء قلّ ماء السماء .

خمسون بالمئة نسب الطلاق ، والأغرب من ذلك هذه نسبة خطيرة جداً أن نسبة العنوسة في سوريا خمسون بالمئة ، خمسون بالمئة من النساء هذا البلد الطيب بلا زواج ، هذه مشكلة كبيرة جداً .

كل زواج لا يُطبق فيه منهج الله عز وجل ينتهي إلى الفصام :

لذلك ما لم يطبق منهج الله لأن الله عز وجل يقول :

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

(سورة فاطر)

ما لم يطبق منهج الله في العلاقة بين الزوجين هذا الزواج ينتهي إلى الفصام .

عندنا في الشام فندق من أرقى الفنادق فئة الخمس نجوم حقق أرابحاً فلكية من عقود الزواج ، فأراد أن يُكرم المتعاقدين في هذا الفندق فدعاهم إلى حفل تكريمي ، سأل الإدارة المالية عن عدد العقود التي جرت في الأشهر الستة الأخيرة فكانوا ستة عشر عقداً ، دعي هؤلاء إلى حفل تكريمي ، فالمفاجأة أن ثلاثة عشر عقداً من هذه العقود انتهت إلى الطلاق قبل مضي ستة أشهر .

من بنى زواجه على معصية الله تولى الشيطان التفريق بينهما :

الحقيقة الأولى إذا بني الزواج على معصية الله يتولى الشيطان التفريق بين الزوجين ، ولو توافرت لهذا الزواج كل أسباب النجاح ، وإذا بني الزواج على طاعة الله ولو افتقر إلى معظم مقومات نجاحه يتولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين .

مرة ثانية :

((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر ، وإسناده حسن]

أيها الأخوة ، أنا والله ما حضرت عقد قران إلا سمعت الذي عقد العقد يقول على كتاب الله وسنة رسوله ، السؤال يا ترى هذا الزوج هل قرأ ما في كتاب الله من أحكام الزواج ؟ وهذه الزوجة هل قرأت ما في كتاب الله من حقوق الزوج ؟ لذلك أزمة علم أوضح مثل أزمة أهل النار في النار ما هي ؟ علم الدليل :

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)﴾

(سورة الملك)

لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً ، ويظلّ المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل .

أيها الأخوة ، طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً ، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً .

معرفة ما في كتاب الله عز وجل أساس في كل علاقة زوجية :

يجب أن نعرف ما في كتاب الله ، والله الذي لا إله إلا هو لو لم يكن في كتاب الله إلا آية واحدة لكفت :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (٢٢٨)﴾

(سورة البقرة)

إن تكلمت كلمة واحدة عن أمك أقمت عليها الدنيا فلماذا تسخر من أمها أنت ؟ هذه آية واسعة جداً:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (٢٢٨)﴾

(سورة البقرة)

هذه درجة القيادة كقائد الطائرة ومعاونه ، المعاون طيار ويحمل أعلى شهادة وبإمكانه أن يطير بالطائرة لكن في الأزمات القرار للطيار الأول :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (٢٢٨)﴾

(سورة البقرة)

لو فهم الأزواج والزوجات أبعاد هذه الآية ما كان خلاف زوجي ، كما أن لك كرامة هي لها كرامة ، كما أنك تحب أهلك هي تحب أهلها ، كما أنك تعتز بأهلك تعتز بأهلها ، كما أنك تحب أن تراها في أعلى درجة من الأناقة أيضاً هي تحب أن تراك في أعلى درجة من الأناقة :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (٢٢٨)﴾

(سورة البقرة)

أخطر شيء في الزواج الإسلامي أن الله بين الزوجين :

شيء آخر :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة النساء الآية : ١٩)

قال بعض المفسرين : " ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها ، بل أن تحتمل الأذى منها " .

هذا هو الصبر لذلك أخطر شيء في الزواج الإسلامي أن الله بين الزوجين ، كل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر ، وكل طرف يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر ، هذا الزواج وجد ليبقى ، الدليل قال تعالى :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (٢٢)﴾

(سورة الروم)

السماوات والأرض مصطلح قرآني نعني به الكون ، والكون ما سوى الله :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٣٧)﴾

(سورة فصلت)

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا (٢١)﴾

(سورة الروم)

من أنفسكم تفكر كما تفكر ، تحب كما تحب ، تكره كما تكره ، تعتز كما تعتز ، تتألم كما تتألم ، تهان كما تهان أنت ، من أنفسكم ، في اللحظة التي تتصور أنك من طبقة أخرى فأنت عنصري .

الإنسان إنساني رباني أو عنصري :

أنا مرة عملت درساً في التلفزيون قلت : الزوج الذي يرى له ما ليس للزوجته فهو عنصري ، والزوجة التي ترى لها ما ليس لزوجها فهي عنصرية ، والأب الذي لا يرضى أن تعامل ابنته كما يعامل زوجة ابنه فهو عنصري ، كما أن هذه الفتاة الشابة زوجة ابنك أنثى لها أهل ، أنت لا ترضى أن تعامل ابنتك كما تعاملها أنت عنصري ، أنا أرى بالنهاية الإنسان إما أنه إنساني رباني أو عنصري ، لمجرد أن تتوهم أن لك ميزة ليست لها أو أن لك ميزة ليست لها أنت عنصري .

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (٢٢٨)﴾

(سورة البقرة)

عدم إخراج المرأة من بيت زوجها أمر سنّه الله تعالى :



عدم اخراج المرأة من بيتها

أيها الأخوة :

﴿ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ(١)﴾

(سورة الطلاق)

أمر إلهي ، دققوا في هذه المقولة أنت حينما تخرجها من بيتها أصغر مشكلة

بينك وبينها تغدو أكبر مشكلة ، هناك تغذية خارجية ، لها عمة ، لها خالة ، لها أخت ، الكل لا تليقي به ، لا يستحقك ، يعطوها تغذية سلبية ، فحينما تغادر المرأة بيت زوجها لمشكلة ما بينها وبين زوجها أقل مشكلة قد تنتهي بالطلاق ، وحينما تبقى في بيت زوجها ولا تغادر أكبر مشكلة تنتهي إلى الوفاق ، فالآية الكريمة :

﴿ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ (١)﴾

(سورة الطلاق)

هذه من معالم المنهج الإسلامي القرآن الكريم .

قوامة الرجل على المرأة تكون بالعلم و الإنفاق :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ (٣٤)﴾

(سورة النساء)

متى تستطيع أن تكون أيها الرجل قائداً حقيقياً ؟ إذا كنت عالماً :

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (٣٤)﴾

(سورة النساء)

علماً وإنفاقاً :

﴿ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ (٣٤)﴾

(سورة النساء)

أنت حينما تتفوق تكون أقرب إلى الله ، أقرب إلى العلم ، أقرب إلى الحلم ، تقود المركبة ، أما إذا كنت على غير ما ينبغي أن تكون وهي أقوى منك ، أقوى منك بأخلاقها أو بعلمها القوام لا تملكه أنت هي لك بالنصوص لكن عملياً ليست لك .

كل إنسان عليه أن يعبد الله فيما أقامه :

أيها الأخوة ، هناك نقطة دقيقة النبي عليه الصلاة والسلام فيما ورد في الأثر :

((أكرموا النساء ، فو الله ما أكرمهن إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم ، يغلبن كل كريم ، ويغلبهن لئيم ، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً))

[ورد في الأثر]

اعلمي أيتها المرأة و أعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله .

الجهاد ذروة سنام الإسلام ، أعلى عبادة في الإسلام الجهاد ، أن تحسن المرأة رعاية زوجها وأولادها فهي في أعلى درجات العبادة لله عز وجل .


عدم الخلط بين مهام الزوجين

أقول دائماً ، هناك عبادة الهوية ، أنت من ؟ أنت غني عبادتك الأولى إنفاق المال ، أنت قوي العبادة الأولى إنصاف الفقير الضعيف ، فالعالم عبادته الأولى تعليم العلم ، أنت امرأة العبادة الأولى رعاية الزوج والأولاد . كنت أضرب مثلاً لعلي ذكرته من قبل، امرأة تحب الله كثيراً استيقظت الساعة الرابعة صباحاً أو الثالثة لقيام الليل ، صلت قيام الليل ، وبكت في الصلاة ، وخشع قلبها ، وذابت محبة لربها ، الساعة السادسة تعبت وعندها خمسة أولاد ، فطلبت من أولادها أن يتدبروا شأنهم ، الأكل غير موجود ، الغرفة باردة ، بعض أولادها لم يكتب وظيفته ، بعض أولادها هندامه غير حسن ، بعض أولادها يحتاج ثيابه إلى إصلاح ، انطلقوا إلى المدرسة ، هذا ما كتب وظيفته ، والثاني على هندامه ملاحظة ، والثالث كتابه فيه آثار زيت من الشطيرة التي ما وضع لها كيس نايلون ، الكل أُهِينوا ، لكن هي صلت قيام الليل وبكت وسحت بكاء ، أنا أقول : هذه المرأة لو استيقظت قبل طلوع الشمس بنصف ساعة ، ودفأت الغرفة ، ووضعت الطعام ، وهيأت الشطائر لأولادها ، وراقبت وظائفهم، راقبت هندامهم ، راقبت ثيابهم ، راقبت محفظتهم ، ودعتهم إلى أن يستقلوا السيارة ، أنا أرى أن هذه المرأة أقرب إلى الله مليون مرة من الأولى ، لماذا ؟ لأن الأولى كانت عابدة لله فيما أقامها ، أقامها زوجة ، أقامها أم ، هذه عبادة الهوية ، مادامت هذه المرأة أماً لأولاد أو زوجة لزوج ، العبادة الأولى بحقها أن تعبد الله فيما أقامها .

طاعة الله عز وجل تُحول البيت إلى قطعة من الجنة :

أيها الأخوة ، الحديث عن الشقاق الزوجي طويل لكن يجمع بهذا الحديث :

((وَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادّ اثْنَانِ فَفُرّقَ بَيْنَهُمَا إِلّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر ، وإسناده حسن]

والآية الأولى :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (٢٢٨)﴾

(سورة البقرة)

والآية الثانية :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة النساء الآية : ١٩)

والآية الثالثة :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ (٣٤)﴾

(سورة النساء)

والآية الرابعة :

﴿ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ (١)﴾

(سورة الطلاق)

أيها الأخوة ، بصراحة إذا في بالبيت دفء ومحبة وهدوء وتفاهم صار البيت جنة ، وقد يكون مساحته خمسة وأربعين متراً ، قد يكون شمالي ، وقد يكون الطعام خشن جداً ، وقد يكون الدخل محدود جداً لكن الحب يعوض عن كل شيء ، وقد يكون البيت ثمنه ثمانين مليوناً قطعة من جهنم ، والله دخلت لبيت في الشام يمكن بالجادة العاشرة بقاسيون أرخص بيت ، والأرض ليست مبلطة شعرت هذا البيت قطعة من الجنة من طاعة الله عز وجل .

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا فإنا منحنا بالرضا من أحبنا

* * *

زوجان متفاهمان طائعان لله بيتهم جنة والله ، إن الله يعطي الصحة ، والذكاء ، والمال ، والجمال ، للكثيرين من خلقه ، لكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين .

أسباب الشقاق الزوجي :

١ ـ الجهل بالواجبات والحقوق الشرعية :

الأخوة الكرام الذين تفضلوا بدعوتي وضعوا لي بعض المحاور ، أنا أتابعها واحداً واحداً .

أولاً : الجهل بالواجبات والحقوق الشرعية .

أزمة علم ، الحقيقة لا تعرف حق زوجها ولا يعرف حق زوجته ، ولا يحسن إدارة زوجته بينما لا تحسن هي إدارة زوجها لذلك دققوا في هذه الآية :

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ (٤٥)﴾

(سورة العنكبوت)

أي أكبر ما في الصلاة ذكر الله .

هناك معنى آخر ، ذكر الله لك وأنت تصلي أكبر من ذكرك له ، أنت إذا ذكرته أديت واجب العبودية له ، أما إذا ذكرك منحك الحكمة ، أنت بالحكمة تسعد بزوجة من الدرجة العاشرة ومن دون حكمة تشقى بزوجة من الدرجة الأولى ، ويا أيتها الزوجة أنت بالحكمة تسعدين بزوج من الدرجة العاشرة وتشقين بزوج من الدرجة الأولى :

﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً ﴾

(سورة البقرة الآية : ٢٩٦)

إحكام الاتصال بالله عز وجل يمنح الإنسان الحكمة و الأمن :

أكبر عطاء إلهي أن يمنحك الحكمة ، بالحكمة تكسب الأصدقاء بل بالحكمة تجعل الأعداء أصدقاء ، ومن دون حكمة تجعل الأصدقاء أعداء ، بالحكمة تدبر أمرك بدخل محدود ومن غير الحكمة تبدد أموالاً طائلة ، لذلك أكبر عطاء من الصلاة ، الله أمرنا أن نصلي ، معقول إله عظيم ، بالكون مليار مليار مجرة يقول لك صلِّ ، اركع ، واسجد فقط عملية شكلية جوفاء ، حركات وسكنات تفتتح بالتكبير تختتم بالتسليم ، أما الصلاة شيء آخر ، الصلاة اتصال ، إن أحكمت الاتصال بالله عز وجل منحك الحكمة ، أحد ثمار الصلاة ، منحك الأمن منحك الرضا ، ترضى بزوجتك هذه هدية من الله .

لذلك أيها الأخوة هذا المنهج الإسلامي منهج متداخل إن لم تطبق المنهج كاملاً لن تقطف ثماره .

٢ ـ تدخل الأهل و الجيران و الأصدقاء :

الآن تدخل الأهل والجيران والأصدقاء ، أنا أرى أن الزوجة العاقلة والزوج العاقل لا يسمحان لقضايا الأسرة أن تنتقل إلى أي مكان ، هناك ملمح قرآني في :

﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾

(سورة النساء الآية : ٣٤)

لو أنه هجرها في غرفة أخرى يعلم الأولاد ، اليوم بابا نام في غرفة الجلوس ، كأن الله أراد أنك إذا هجرتها أن يبقى هذا بينكما ، ينبغي ألا يعلم الأولاد كلما ضاقت مساحة المشكلة الزوجية بين الزوجين كلما صار الحل سهل جداً ، إذا تدخل الأهل ، الأولاد ، الجيران ، الأقرباء ، العمة ، الخالة ، تفاقمت الأمور فلذلك حينما قال الله عز وجل :

﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾

(سورة النساء الآية : ٣٤)

القصد من ذلك ألا يعلم أحد في البيت ، فإن كان الله عز وجل يريد من المؤمنين ألا يخرج السر بينهما إلى أولادهما فلئن يبقى في البيت من باب أولى ألا ينتقل إلى بيت الأهل.

الأحمق من فَرّق بين المرأة و زوجها :

لذلك أكبر حماقة أراها أن هذه الزوجة تحدث أهلها عن كل شيء ، تأتيها التوجيهات ، قال له كيف عمك ، قال توفى ؟ قال لا والله حي يرزق ، قال له زوجة عمك ؟ قال حية تسعى .

أنا أرى النبي عليه الصلاة والسلام حينما سئل

((مَن أعظم الرجال حقاً على المرأة ؟ قال : زوجها ، فلما سئل : مَن أعظم النساء حقاً على الرجل ؟ قال : أمه))

[الجامع الصغير عن عائشة بسن فيه ضعف]

توجيه نبوي يعني أقدس امرأة في حياتك أمك ، أقدس رجل بحياتك زوجك ، لذلك الزوج له حقوق ، فحينما تسمح بتدخل الأهل والجيران والأصدقاء تأتي تغذية سلبية يكون الأمر تمام ، مثلاً تكون الزوجة تحب زوجها والبيت متواضع ودخله محدود لكن أخلاقه عالية صاحب دين يسعدها وتسعده ، يأتي أخوها في العيد ماذا قدم لك على العيد ؟ والله ما قدم لي شيئاً ، معقول ؟!

((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ))

[البخاري عن أبي هريرة]

هناك علاقة طيبة ، راضية عن زوجها ، هو راض عنها ، في حب وود بينهما لماذا تريد أن تفسد بينهما ؟ النبي عليه الصلاة والسلام قال : ليس منا من فرق .

أحياناً تفرق بكلمة ، أحياناً بمناسبات معينة ماذا قدم لك ؟ ماذا أعطاك ؟ تنحرج الزوجة المسكينة، أنا أقول المؤمن الصادق إذا زار أخته يثني على زوجها كثيراً ، ما شاء الله حوله ، أخلاقه عالية،

هذا الزوج الحقيقي ، عينك عليه ، اعتزي فيه ، يأتي الزوج يرى زوجته بلهفة غير طبيعية ، باستقبال حار يكون من أخيها ، لأن أخاها رفع قيمة زوجها بنظرها ، لي عبارة لا أحب أن أقولها دائماً لكن هي قاسية قليلاً ، الإنسان إذا كان مقطوعاً عن الله يُلهم الحيونة ، إذا موصول يُلهم الحكمة .

٣ ــ الاختلاف المستمر بين الزوجة و أهل الزوج :

الاختلاف المستمر بين الزوجة وأهل الزوج ، أنا أقول دائماً هناك أب أنجبك ، أنت ابن من ؟ وهناك أب زوجك هذا عمك والدك تعب فيها ثماني عشرة سنة ، اعتنى بصحتها ، اعتنى بتدريسها ، اعتنى بعلمها ، أخذت شهادة عليا ، اعتنى بكل قوامها ، قدمها لك هدية ، هذا أب لك، أنا لا أرى أشد إنكاراً للفضل لمن يسيء إلى عمه ، هذا والدك ، لك أب أنجبك ، ولك أب زوجك، ولك أب دلّك على الله ، فالزوج من كماله أن يحترم والد زوجته كما أنه أبوه ، والزوجة من كمال إيمانها أن تحترم والد زوجها كما لو أنه أبوها لأن لها أب أنجبها ولها أب هذا ابنه (زوجه إياها)، ولها أب دلها على الله .

الأمومة أقوى دافع في الجنس البشري :


الأمومة أقوى دافع في الجنس البشري

أيها الأخوة الكرام ، الأطفال بالحقيقة يملؤون البيت فرحة ، أحياناً إنسان عنده زوجة ، عندها منه ثمانية أولاد ، أراد أن يتزوج زوجة ثانية ، مصلحته ألا تنجب ، عدم الإنجاب هذا حرمان حق ، من حقها أن يكون لها ولد ، نحن درسنا في علم النفس أقوى دافع في الجنس البشري الأمومة ، هذه زوجة من حقها أن يكون لها ولد يقول لها ماما ، مرة أخت أخبرتني أبكتني قالت : إذا عندك شاب يتزوجني فقد شهر أنجب منه ولداً يقول لي يا ماما ، لا تريد أن تكمل معه فقط يقول لها ماما ، والله عندنا مشكلة كبيرة إذا الإنسان ما ساهم بتزويج شاب بشابة يكون أخطأ خطأ كبيراً ، والله الذي لا إله إلا هو لا يوجد شيء يجبر

الخاطر كالزواج ، هناك كلام رواه الشيطان امشي بجنازة ولا تمشي بزواج ، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام : أفضل شفاعة أن تشفع بين اثنين في نكاح .
بالأثر ورد نص :

((من مشى بتزويج رجل بامرأة كان له بكل خطوة خطاها ، وبكل كلمة قالها عبادة سنة ، قام ليلها ، وصام نهارها))

[ورد في الأثر]

فكر أن تدل شاباً مؤمناً على شابة مؤمنة من أقربائك ، أنت تزوجت ما عندك مشكلة ، أين هم المسلمين ؟ لما لا تحمل هم المسلمين ؟ أنا أتمنى أن يعاهد الإنسان نفسه أن يدل شاب على شابة أو شابة على شاب ، يسعى بتزويج شاب بشابة ، لأنه بصراحة يوجد حديث خطير جداً مضطر أن أقوله ، نحن نتوهم أنه إذا رفعنا المهر وضعنا عقبات ، والبيت نريده ضمن المدينة ، وله مدخل فخم ، هناك مقاييس معينة ، المجتمع المخملي أنا أسميه مجتمع الجنفيص ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا ...))

تلغى العلاقة بين الأنثى والذكر ؟ لا ، تقع بالحرام ، فكلما ضيقنا سبل الزواج اتسعت دور الدعارة ، قضية واضحة إما نكاح أو سفاح ، إما بالحلال أو بالحرام ، هذا كلام النبي عليه الصلاة والسلام : إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ، ما فعلنا وضعنا عقبات :

((....إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ قَالَ إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ))

[سنن الترمذي عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ]

والله هناك مدن لا أجرؤ أن أقول عدد بيوت الدعارة فيها سبعين ألفاً ، في بعض المدن سبعين ألف بيت ، عندنا قرية بدمشق اجتمع وجهاؤها وقرروا أن المهر خاتم سحب وساعة فقط وغرفة في بيت أهله ، يجب أن نسهل سبل الزواج وإلا كان السفاح ، الزواج العرفي ، صار في ألف طريق لإرواء هذا الطريق بالحرام .

أيها الأخوة ، إنجاب الأولاد من حق الزوجة ، في الفقه هناك باب العزل لا يجوز العزل عدم الإنجاب إلا بموافقة الزوجة ، لأنه من حقها .

٤ ــ سفر الزوج الطويل للعمل :


سفر الزوج الطويل للعمل

أيها الأخوة ، هناك بند سفر الزوج الطويل للعمل ، معي دراسة أن أحد أسباب الخيانة الزوجية السفر الطويل ، الإنسان له حاجة لزوجته ولها حاجة لزوجها ، فإذا في فراق طويل طبعاً أعلى نسبة من النساء محافظة لكن صار في حرمان ، في بعض البلاد لا يقبلون من يعمل عندهم من المسلمين إلا من دون زوجة وفي بلاد أخرى بلاد الكفر عندهم قانون لم الشمل ، معقول هؤلاء الذين ما عرفوا الله يجمعون شمل الأسرة ، والذين عرفوا الله يمنعون أن يكون الزوج مع زوجته ، هذه مشكلة كبيرة جداً ، لذلك ليس منا من فرق .

٥ ــ تربية الأبناء واختلاف الأسلوب :

تربية الأبناء واختلاف الأسلوب ، نحن إذا اعتمدنا منهج الله في التربية هو الحكم بيننا ، أحياناً يختلف الزوجان في أسلوب التربية ، لو اعتمدنا منهج الله في التربية :

((علموا ، ولا تعنفوا ، فإن المعلم خير من المعنف))

[الجامع الصغير بسند ضعيف عن أبي هريرة]

لاعب ولدك سبعاً ، أدبه سبعاً ، راقبه سبعاً ، ثم اترك له الحبل على الغارب ، أنا لي سلسلة دروس في تربية الأولاد في الإسلام حوالي ستين شريطاً ، من فضل الله أذيعت في الإذاعات عشرات المرات

(أنا أقدمهم هدية وحقوق الطبع غير محفوظة)

إذا كل بيت سمع هذه الدروس ، توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام المعصوم ، كيف نربي أولادنا في التربية الخلقية ، التربية الإيمانية ، التربية العلمية ، التربية النفسية ، التربية الاجتماعية ، التربية الجسمية ، التربية الجنسية ، هذه موضوعات الأشرطة ، التربية بالموعظة ، بالملاحظة ، بالحافز ، بالتأديب ، بالتلقين ، بالقدوة ، هناك وسائل التربية وموضوعات التربية ،

الحل أن يكون الله هو الحكم بيننا ، عوض أن نختلف وكل واحد معه وجهة نظر غير صحيحة نتصادم ، نحن نرجع إلى مرجع في تربية الأولاد في الإسلام .

أنا الآن أعمل بجامع سعد بن معاذ في الشام درس عن تربية الأولاد في الإسلام طبعاً مصور للفضائيات ، كان لي دروس صوتية فقط .

٦ ـ تكاسل الرجل عن العمل أو البخل وعدم الإنفاق :

هناك بند تكاسل الرجل عن العمل أو البخل وعدم الإنفاق ، أنا يؤلمني كثيراً ما يسمى بفقر الكسل، فقر القدر صاحبه معذور ، فقر الإنفاق صاحبه محمود ، يا أبا بكر ماذا أبقيت لنفسك ؟ قال : أبقيت الله ورسوله . فقر الكسل ، فالذي لا يحب العمل يضعف مركزه في البيت ، بصراحة أنا أرى حينما تكسب مالاً حلالاً وتنفقه على أهلك وأولادك يقوى مركزك في البيت ، تشد ابنك لك ، كل شيء ما معي ما معي ، الابن انسلخ من أبيه وأمه والتحق بصديقه الغني من أجل أن تضمن أن هذه الأسرة متماسكة ومرتبطة معك أيها الأب يجب أن تعمل بإخلاص وجد ، الله هو الرزاق ، والله في آية أرى زوال الكون أهون على الله من أن لا تحقق :



﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق)

هذه الآية فوق الزمان والمكان والظروف والضغوط والحصار الاقتصادي :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢)وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (٣)﴾

(سورة الطلاق)

أنا أخاطب الشباب الآن ، الشاب يحتاج إلى بيت وإلى عمل وإلى زوجة ، الله موجود ، والله مرة زارني شاب في البيت قدمت له قطعة كاتو مع كأس شاي ، أول لقمة أكلها من الكاتو قال سبحان من قسم لنا هذا ولا ينسى من فضله أحد ، سبحان الله هذا الحديث أعرفه ، الدعاء أعرفه ، لكن

تأثرت تأثراً بالغاً ، أنت أيها الشاب وأنت أيتها الشابة لا ينسى الله من فضله أحد لكن اصبر ، اصبر من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه .

ميزان أخلاق الإنسان في البيت :

أحياناً تقع المحبة بين الزوجين ترفع الكلفة ، هذا خطأ كبير ، أنا أعتقد المؤمن الصادق تعيش معه ثلاثين سنة لا تسمع كلمة منه غلط ، لا كلمة بذيئة ولا سباب ، في انضباط الإيمان هذبه ، أما هذا الذي يصيح في البيت ، بالمناسبة أيها الأخوة ، أقول الإنسان لما يؤدي امتحان قيادة مركبة ، كيف يكون الفحص ؟ يعطونه طريقاً ضيقاً على شكل s وهناك علامات بلاستيكية ، أصعب شيء بالقيادة ترجع إلى الوراء على طريق منحنٍ وضيق إن نجحت في هذا كل شيء صار سهلاً ، النبي صلى الله عليه وسلم اعتبر المقياس داخل البيت ، أما خارج البيت بالتعبير المعاصر (بزنزس)تتجمل ، تتعطر ، تلبس ، تعتذر ، مصلحتك ، إن كنت موظفاً ، تاجراً تهمك سمعتك ، أما في البيت ما في رقابة ، أين ميزان الأخلاق ؟ في البيت ، الخيرية في البيت الدليل على ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم :

((خَيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[ابن ماجه عن ابن عباس]

السيدة عائشة سألت سيد الخلق وحبيب الحق ، سألته كيف حبك لي ؟ قال لها كعقدة الحبل ، كانت تسأله من حين لآخر كيف العقدة ؟ فيقول على حالها ، لا تزال عقدةً محكمة ، وكان يصغي إليها.

التوحد و التعدد :

مرة السيدة عائشة حدثت النبي صلى الله عليه وسلم فترة طويلة عن أبي زرع وأم زرع ، وحدثته عن شجاعته وكرمه ، وأنه كان زوجاً نموذجياً ، لكنها تأسفت أشد الأسف حينما أعلمته في النهاية أنه طلقها ، فكان عليه الصلاة والسلام رفيقاً بها ، فقال لها : أنا لك كأبي زرع لأم زرع ، غير أني لا أطلقك .

أنا أتمنى من الزوج أن يبتعد بالمزاح عن موضوع الزوجة الثانية والطلاق ، لا يوجد شيء يهز كيان المرأة ككلمة الزوجة الثانية والطلاق .

شخص عنده زوجة من أعلى مستوى جمالاً وكمالاً وثقافة وعلماً وفهماً ونسباً وحسباً ، سبحان الله تاقت نفسه لزوجة ثانية ماذا يقول لها ما معه حجة ، إذا قال لها مثلاً أريد إنسانة بشكل آخر هي جميلة جداً ، من عائلة هي من أرقى الأسر ، مثقفة ، مثقفة ، ما معه حجة ، فرسم خطة دخل إلى البيت حزين ، قالت له خير ، قال اتركيني لا يوجد شيء ، تركها شهراً على هذا الحال ، بعد

ذلك قالت له قل لي ، قال السلطان أعطى توجيهاً يجب أن نتزوج زوجة ثانية وإلا في إعدام ، قالت له مت شهيداً .

مرة كنا في دعوة الداعي عنده فيلا طابقين ، فجاعل النساء في الطابق العلوي وهناك نقل صوت إلى عندهم ، وأنا في الطابق الأرضي مع الأخوان الكرام ، مدعوين لعشاء ، شخص سألني على التعدد ، أنا أريد أن أتكلم فأشار صاحب الفيلا ، ما فهمت ماذا فوق ؟ حكيت ثم علمت القصة إذاً هذا هو العشاء الأخير .

طبعاً الذي عنده زوجة واحدة يتوهم أن الأصل هو التوحد والذي عنده زوجتين يتوهم أن الأصل هو التعدد ، الأصح الأصل هو أنت ، فإذا كان من الممكن أن تقع في معصية فالتعدد هو الأصل، إذا ممكن أن تكتفي بهذه أماً أولادك الأصل هو التوحد ، الأصل ليس التعدد وليس التوحد ، الأصل أنت ، ما دمت مقيماً لمنهج الله وراض عن هذه الزوجة ما في مانع .

الحقيقة هذه بعض المحاور التي رفعت إلي ، وأنا أنتظر أسئلتكم والحمد لله رب العالمين .

الأسئلة :

١ ــ فوائد سكن الزوج مع أهله :

س : هل من فوائد لسكن الزوج مع أهله مع القيام بالضوابط الشرعية ، الدكتور توفيق البوطي جزاه الله خيراً ذكر أن هناك بعض الفوائد ولكن قال البعض أنت تعيش في عائلة قوامها الحفاظ على الآداب ، أما المجتمع مختلف هل هذا مبرر ؟

ج : عند الأطباء ليس هناك مرض هناك مريض ، أنا أرى كل أهل لهم خاصة ، هناك أهل على مستوى عال من الرقي ، هناك انضباط ، عطف ، محبة ، عند الأهل أفضل ، وإذا في أهل صعبين جداً وابنتهم تستيقظ الساعة الثانية عشرة ظهراً متعبة مسكينة ، الكنة هذه القردة إلى الآن ما استيقظت ، إذا هكذا الأهل لا لوحده أفضل ، بحسب الأهل .

ملاحظة :

الدكتور راتب : للتوضيح أنا في حياتي ما ألقيت محاضرة الحضور دفعوا رسوماً ، أنا الآن علمت بهذا .

سيدي هذه الرسوم نحن وضعناها تغطية للنفقات فقط ، وأمام الحضور هذه تغطية للنفقات فقط ، وإن شاء الله يجزيهم الخير الرعاة ساهموا أنه سيكون ألف وثمانمئة سيدي .

الدكتور راتب : أنا أخذت شيئاً منكم ؟

لا الله يجزيكم الخير . عندنا ألف وثمانمئة سيدي المحاضرات الأربعة سوف توزع مجاناً على الناس .

الدكتور راتب : البيان يطرد الشيطان ، أنا بينت .

٢ ـ خروج المرأة من المنزل في هذا العصر :

س : هل من الممكن تطبيق آية عدم خروج النساء من المنزل في هذا العصر كأنه في فهم خاطئ للآية ؟

ج : التشدد غير المعقول يساوي تفلت غير معقول ، المرأة تخرج لكن إذا خرجت ينبغي ألا تتبرج تبرج الجاهلية الأولى ، ولا تبرجن إذا خرجتن ، في البيت التبرج فرض عليهن ، واجب كبير جداً .

٣ ـ عمل المرأة خارج المنزل :



المرأة خارج المنزل ؟

س : ما رأيك بعمل ج : وفق الضوابط الشرعية ، ما في مانع ، المرأة محببة أحياناً تصبح متعة بين الرجال ، يسمعوها كلاماً مزعجاً ، يطرحون طرفاً محرجة ، يتجاوز الحدود كثيراً معها ، شاب يريد أن يتسلى ، إذا كان في اختلاط أو تفلت أو عدم انضباط لا يجوز ، إذا كان ضمن ضابط شرعي لا يوجد مانع .

٤ ـ النقاب و الحجاب :

س : رجل يطلب من زوجته غطاءً للوجه وهي ما زالت في المرحلة الجامعية ، عندها صعوبة من خلال الجامعة ماذا تفعل ؟

ج أنا أقول في الإسلام هناك حدّ أعلى و هناك حدّ أدنى ، الأكمل النقاب والحجاب مقبول وأنا أتمنى المنقبة لا تنتقد على المحجبة والمحجبة لا تنتقد المنقبة ، مثلاً مسيلمة الكذاب قبض على صحابيين قال للأول أتشهد أني رسول الله ؟ قال ما سمعت شيئاً قطع رأسه ، سأل الثاني تشهد

أني رسول الله ؟ قال أشهد أنك رسول الله ، ماذا قال النبي لأصحابه ؟ قال أما الأول فقد أعزّ دين الله فأعزه الله ، قال : وأما الثاني فقد قبل رخصة الله .

عظمة الدين ما حملك فوق طاقتك ، هناك حدّ أدنى و هناك حدّ أقصى ، الأكمل النقاب ، الأقل الحجاب ، أتمنى إذا واحدة كانت متفلتة ثم تحجبت نبارك لها بهذا الحجاب ونشجعها عليه ولا ننتقدها إلى أن تزداد قناعتها ، والمنقبة أيضاً لا ننتقدها أخذت الأحوط .

٥ ــ الشروط التي توضع أحياناً من أهل الشاب الذي يريد الزواج على المخطوبة:

س : ما رأيك بالشروط التي توضع أحياناً من أهل الشاب الذي يريد الزواج على المخطوبة ؟
ج : الشروط إذا كانت ضمن الشرع ما في مانع ، يأخذ معه مزورة .

٦ ــ لمحة عن الفضائيات و الأفلام

س : الفضائيات ، الأفلام ، القنوات الإسلامية ، لمحة سريعة ، نصيحة .
ج : أنا والله أرى أن الشاشة أخطر شيء يهدد المسلمين ، الله قال عن الخمر :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ (٢١٩)﴾

(سورة البقرة)

الخمر المجمع على أنها محرمة قال إن فيها منافع للناس ، الفضائيات فيها منافع لكن مثلاً حلة كلها صبر فيها لعقة عسل ، حتى هذه اللعقة تدخل إلى جوفك يجب أن تشرب الحلة كلها ، إذا كنت تستطيع أن تنضبط انضباطاً تاماً ، لا تدع أي محطة فيها تفلت لا يوجد مانع ، أما إذا ذهبت تسهر مع زوجتك في بيت عمك والأولاد شاهدوا هذه المحطات ، تنشأ مشكلات في البلاد العقل لا يصدقها ، لا يوجد بارود آدمي كل البارود ينفجر ، هذه الشهوة الجنسية مخيفة ، حينما تثار تعطل التفكير ، أنت عندما تسمح بالإثارة إلى أعلى درجة توقع أي نتيجة ، فإذا في إيمان ما في خالة(امرأة الأب)، إذا في إيمان ما في ضرة ، عندي أستاذ رياضيات في الشام تزوج زوجة ولم تنجب فاجأته أنها خطبت له امرأة وطلبت إجازة أسبوعين قدم لها ألماس وذهب كما قدم للزوجة الجديدة ، قال والله اثني عشر سنة ما في عندنا ولا مشكلة .

عندي أخ في الشام عنده بقالية و لم يكن ملتزماً له جارة معها ليسانس وغير مسلمة ، وهو جميل الصورة استلطفته تأتي وتشتري حاجاتها من عنده ، مع فنجان قهوة ، مع كأس شاي ، صار في علاقة النتيجة طمح أن يتزوجها أهله رفضوا رفضاً قاطعاً وهددوه بالمقاطعة فتركها ، قبل أن يتركها قالت والله إن تزوجتني سأسلم وسأحفظ كتاب الله ، وهي غير مسلمة ، ما رد عليها تركها،

تزوج بأخرى صاحبة دين ، بعد سنتين ، قال لزوجته هذه القصة ، فقالت والله إن لم تأتِ بها زوجة ثانية لا أبقى عندك ، ما هذا ؟ هذه المؤمنة ، قالت لك أنا أسلم وأحفظ كتاب الله ، غداً تتزوجها وجاءت بها إلى البيت ، إذا قلت مؤمن صار إنساناً آخر ، صارت إنسانة أخرى ، ليس مؤمن عندنا ضرة وخالة زوجة الأب ، وعندنا كراهية ، كل هذا يقال إذا ما في إيمان .

٧ ـــ توبة الإنسان المنحرف :

س : تتكرر المشكلة دائماً ، شاب في البداية ارتكب عدداً من المعاصي ثم تاب إلى الله وتقدم إلى خطبة عدة فتيات يعاني دائماً من الرفض ماذا نوجه إلى أهل الفتيات لقبول هذا الشاب ؟
ج : نحن عندنا ثقافة فيها خطأ كبير نحن التائب لا نقبله ، في العالم الغربي الكافر التائب يعطى فرصة ، إنسانة ارتكبت خطأ وأقيم عليها الحد في عهد سيدنا عمر ، جاء من يخطبها فجاء أخوها لسيدنا عمر قال ألأخبره بما كان منها ؟ قال والله لو أعلمته لقتلتك .
إذا تاب الإنسان انتهى كل شيء ، هو ماله حق أن يتكلم عن أخطائه ، عندنا موضة لا يوجد أبشع منها أنا كنت أعرف اثنين ثلاثة الآن تبت ، لماذا تقول هذا ما دام تبت انتهى ، الإنسانة عندما تتكلم عن ماضيها أمام زوجها يكرهها زوجها طبعاً ، وإذا حكى عن أخطائه تكرهه طبعاً ، إذا الله عز وجل سترك وما فضحك ، تفضح نفسك ؟ نحن ما عندنا اعتراف لإنسان آخر عندنا ستر ، من أين يأتي هذا ؟ من كلام غير منضبط .

٨ ـــ حب من دون زواج لا منكر فيه كلام خاطئ :

س : هل يوجد حب بدون زواج لا منكر فيه ؟
ج : أبداً ، لأن الله عز وجل ، هناك نقطة دقيقة لما الإنسان ينظر بأصل تركيبه النفسي المرأة محببة له فإذا أطلق بصره يتغير كيمياء دمه ، أنا والله لا أصدق واعتبروني دقة قديمة ، لا أصدق علاقة بريئة بين شاب وشابة لا أصدقها ، أما العلاقة الرائعة أن تكون زوجته يخطبها ويتزوجها هكذا ترتيب الله عز وجل ، أما صداقة ، علاقة انترنيت ، تشات ، محبة ، تعاون ، بالنهاية تنتهي هذه العلاقة إلى شيء لا يحمد عقباه ، هذه معلوماتي وإذا أردتم اسألوا وشاهدوا في الانترنيت من قصص يندى لها الجبين أساسها علاقة بريئة فيما يبدو ، هناك كلمة ما أحد انتبه لها ما في بارود آدمي ، من أجل أن يكون في وفاق زوجي جعل المرأة محببة للرجل ، والشاب محببة للزوجة ، ما دام في انضباط هذا الحب للزوجة ، المودة للزوجة ، أما لغير الزوجة في مشكلة كبيرة جداً .

٩ ـ الإعراض عن المطلقة :

س : ماذا نقول للإعراض عن المطلقة هل هو صحيح ؟
ج : لا ليس صحيحاً ، النبي صلى الله عليه وسلم تزوج المطلقة والمطلقة إنسانة قد تكون راقية جداً ، هناك قصة أرويها دائماً هي رمزية شخص يجلس مع زوجته يأكل دجاج ، طرق الباب ذهبت لترى من الطارق رجعت فقالت له سائل أعطيه من هذا الدجاج ؟ فقال لها اطرديه ونهرها، بعد حين العلاقة ساءت بينهما طلقها ، تزوجها إنسان آخر جالسة معه تأكل الدجاج ، طرق الباب ذهبت لتفتح الباب اضطربت قال لها من الطارق ؟ قالت له سائل ، قال لها من ؟ قالت له زوجي الأول ، قال وهل تدرين من أنا ؟ أنا السائل الأول . الله كبير ، العلاقة تسوء أحياناً من خطأ من الزوجين .

١٠ ـ التمييز و عدم الإنصاف :

س : التمييز وعدم الإنصاف والتبرع بالممتلكات للجمعيات الخيرية دون إعطاء الأولاد كفايتهم .
ج : لا تقبل وصية أساساً فوق الثلث ، وفي الهبة في حساب ، أنا أقول لشخص سألني معك لله جواب ؟ الذي عنده أربع بنات ثلاثة متزوجات من أغنياء عنده واحدة معها عاهة ما فيها تتزوج فاشترى لها بيتاً استثناءً ، معه لله جواب ، أما عنده زوجتين الجديدة يحبها كثيراً فكتب بيتاً لابنها والقديمة عندها خمسة أولاد تركهم بلا بيت ، الله سيعاقبه بشدة ، الهبة مربوطة أن يكون معك جواب لله عز وجل ، إذا معك جواب لا يوجد مانع .

١١ ـ الاختيار الخاطئ في اختيار الشريك :

س : كان الاختيار خاطئاً في البداية ولم يكن الزوج والزوجة على طاعة الله ومازال كذلك ولكن الزوج عاد إلى طاعة الله كيف يمكن أن يصحح الخطأ وتصوب مسار السفينة ؟
ج : كما أن الله صبر عليها حتى تابت ينبغي أن تصبر عليه حتى يتوب ، وكما أن الله صبر عليه حتى تاب ينبغي أن يصبر على امرأته حتى تتوب ، هذا الأكمل ، لو كان آخذها ، وهو متفلت وهي متفلتة هي ما ارتكبت خطأ ، أنت الله هداك جيد ، انتظرها اصبر عليها .

١٢ ـ سفر الزوج الطويل :

س : سفر الزوج الطويل وكان في بلد غير مسلم هل تسافر الزوجة لتلحق بزوجها أم تبقى مع أطفالها حرصاً على دينهم ؟

ج : مع أولادها أولى ، إلا إذا ميسرة الإقامة مع الزوج ، إذا الأسرة اجتمعت أفضل لكن المشكلة الكبيرة في العالم الغربي ، الحياة هناك أقوى من أي دعوة إسلامية ، المعاصي ترتكب أبسط من شربة ماء فإذا كان الذهاب إلى هناك مع الأولاد بسن وعي في مشكلة كبيرة جداً .
مرة ألقيت محاضرة في لوس أنجلوس بعد المحاضرة امرأة اقتربت مني قالت أنا أخت فلان ، فلان صديقي الحميم في الشام وبكيت ، خير إن شاء الله قالت ابنتي راقصة وابني ملحد .
يجوز أن ترى بلاداً جميلة جداً إذا في جنة في الأرض هي هناك على الشبكية فقط إلى الدماغ تصبح جهنم ، تخسر أولادك ، معي قصص لا تعد ولا تحصى أخطر شيء تملكه ابنك تخسره هناك ، هذه المشكلة ، إذا كان السفر إلى هناك ممكن أن يغير من بنية الشاب في خطر كبير .

١٣ ـ كشف الوجه :

س : هل كشف الوجه حرام لامرأة عمرها خمسين عاماً ؟
ج : نحن الموضوع اتفقنا عليه هذا موضوع خلافي والأكمل ستر الوجه .

١٤ ـ الغيرة الزائدة :

س : الغيرة الزائدة على الرجل من قبل زوجته كيف تحل ؟
ج : هذه غيرة مرضية تحتاج إلى معالجة نفسية ، زوجها طاهر ابن جوامع مستقيم ، لا ترف عينه على امرأة أين كنت ؟ مع من تتكلم ؟ هذا غير معقول ، يجب أن تثق فيه.

١٥ ـ نصيحة للمرأة و الرجل :

س : ماذا ننصح المرأة وماذا ننصح الرجل ؟
ج : الثقة لا تجزأ ، واثقة منه إذا لم تثقي به اتركيه ، إما أن تريحيه أو تتركيه أما هذا الكلام كل يوم هذا غير معقول .

١٦ ـ ضرب الرجل للمرأة :

س : ما رأيك بضرب الرجل للمرأة ؟
ج : عندنا مشكلة أعداء الدين عندهم كوانتين فقط ، الضرب وموضوع الطلاق ، أنا سآتي بمثل لكن اقبلوه مني ، إذا عندك ابن يتيم بالمحل فسرق ، سرق ، سهل جداً تطرده وتبلغ والدته ، وانحرف صار حرامي كبير دخل السجن ، إذا أنت أدبته وأبقيته عندك ، أليس أكمل ؟

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ (٣٤)﴾

(سورة النساء)

بداية خيانة ، فإذا أنت طلقتها ، أنا أروي قصة حكيتها بالرسالة بدرس الستير ، ذهبت إلى الكويت قالوا احكي لنا هذه القصة ، عندنا في الشام جامع الورد في سوق ساروجة هذا كان جامع المفتي العام أبو اليسر عابدين رحمه الله ، له خطيب رأى النبي عليه الصلاة والسلام في المنام ، قال النبي له : قل لجارك فلان إنه رفيقي في الجنة ، جاره فلان بقّال (سمّان)وهو خطيب ، فكسر خاطر الخطيب ، أنا خطيب أضرب وأطرح والبشارة لهذا السمان ما فهم القصة ، طرق باب جاره ، قال له : لك عندي بشارة من رسول الله ، لن أقولها لك إلا إذا أخبرتني ماذا فعلت مع ربك ؟ لكن الرجل امتنع ، وبعد إلحاح شديد قال له : تزوجت امرأة ، ومضى على زواجي منها خمسة أشهر ، وهي كانت في الشهر التاسع ، فالحمل ليس منه ، قال له : بإمكاني أن أسحقها ، بإمكاني أن أفضحها ، بإمكاني أن أطلقها ، وأهلها معي والدولة معي والناس معي ، والقانون معي ، والشرع معي ، لكنني أردت أن أجعلها تتوب على يدي ، جاء لها بقابلة فولدت ، وبعد أن أذن الفجر حمل الوليد تحت عباءته ، وانتظر حتى بدأ الإمام بصلاة الفجر ، فدخل ووضع الوليد وراء الباب ، وصلى ، فلما انتهت الصلاة بكى الوليد ، فتحلق المصلون حوله ، وهو تأخر حتى تجمع الجميع حول الوليد ، ثم اقترب منهم ، قال : ما القصة ؟ قالوا : تعال انظر ، إنه طفل ، قال : أنا أكفله ، أعطوني إياه ، أخذه عند أهل الحي على أنه لقيط ، ودفعه إلى أمه ، كثير سهل أن تقيم العدل هذا إحسان ، وهناك إن الله يأمر بالعدل والإحسان .

أنا بالدعوة إلى الله بالخمسة والثلاثين سنة إما قال لي شخص أنا أشك بزوجتي ، أقول له انظر إذا كنت تستطيع أن تجعلها تتوب لك أجر كبير كثير ، البطولة أن تتوب وراقبها إذا استقامت اتركها عندك لك أجر إذا ما استقامت نقضت توبتها عندئذ طلقها ، أنا هكذا أنصح.

١٧ ــ طاعة الزوجة لزوجها :

س : هل لطاعة الزوجة لزوجها حدود أم أنها طاعة مطلقة في كل الأمور ؟

ج : لا ، مرة النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ :

((بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ ــ وفي رواية أنه كان ذا دعابة ــ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، فَغَضِبَ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ أَمَرَكُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا ، فَجَمَعُوا ، فَقَالَ : أَوْقِدُوا نَارًا ، فَأَوْقَدُوهَا ، فَقَالَ : ادْخُلُوهَا ، فَهَمُّوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا ، وَيَقُولُونَ : فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ النَّارِ ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتْ النَّارُ ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ))

[متفق عليه عن علي]

طاعة مطلقة لا يوجد الدليل آية :

﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ (١٢)﴾

(سورة الممتحنة)

معصية النبي مقيدة بالمعروف ، أما شخص لا يحب اليقطين ما أكل يقطين ، يكون عصى النبي ؟ اليقطين ليس أمراً تشريعياً ، حتى الرماة في أحد الذين عصوه صلى عليهم ماذا كان تحليل العلماء ؟ هم عصوا أمراً تنظيمياً ولم يعصوا أمراً تشريعياً ، طاعة مطلقة لا يوجد .

١٨ ــ مؤخر المرأة :

س : هل مؤخر المرأة من الضرورة أن يكون عالياً للحفاظ على مستقبلها عند الطلاق ؟
ج : والله إذا امرأة وضعت متأخراً عالاًي يمكن أن يخرجها بقميص النوم ، تقول له لله وللرسول، الضمانة ليس المهر الضمانة الشاب نفسه .

١٩ ــ إخراج الأولاد من الأوامر المتناقضة بين الزوجين :

س : ألا يجب إخراج الأولاد من الأوامر المتناقضة بين الزوجين ؟
ج طبعاً ، أنا لا أرى من نتيجة سلبية خطيرة على الخصام بين الزوجين إلا بالأولاد ، ترى تنشأ عندهم عقداً يكرهون الزواج ، أحياناً تكره الفتاة تتزوج من أبيها وأمها .

٢٠ ــ التوفيق بين تربية الأولاد و بين انتسابهم إلى النوادي الرياضية :

س : كيف نوفق بين تربية الأولاد وتركهم ينتسبون إلى النوادي الرياضية على علتها ؟
ج : أنا كنت مرة في القاهرة لفت نظري عادة لا يمكن أن يسمح أي أب في القاهرة بخروج ابنه في العيد إلى الألعاب إلا معه ، تبعث ابنك إلى العيد ، هناك شباب منحرفون ، هناك خطأ كبير ، يوجد بنت صبية ، في القاهرة عادة متأصلة عندهم يكون وزيراً يأخذ أولاده إلى العيد يلعبوا في المراجيح معه ، فأنا لا أعتقد يمكن أن يكون في موافقة أن ترسله إلى النادي ، ماذا في النادي ؟ تعرف من في النادي ؟ إذا كان النادي منضبطاً لا يوجد مانع ، رياضة ، الرياضة ممتازة جداً والمؤمن رياضي والدليل :

تسابقت أنا ورسول الله فسبقته ، قال بعض العلماء مكنها أن تسبقه جبراً بخاطرها ، قالت فلما ركبني اللحم سبقني . لما سمنت سبقها ، معنى هذا أنه حافظ على لياقته ، النبي كان رياضي ، النبي كان يتمتع بأعلى درجة من اللياقة ، أما إذا مع الرياضة ، تفاحة وبوسط ماء نجس تأكلها ؟ تفاحة لكن أين جالسة ؟ إذا في انحراف ، في شذوذ ، في مد يد ، في كشف عورات ، مشكلة ، نحن لماذا نقصر مع بعضنا ؟ تفضلوا اعملوا نادياً منضبطاً ، لماذا ننتقد فقط لا نفعل شيئاً ؟ لماذا تركنا الطرف الآخر يفعل كل شيء ؟ افعلوا نادياً منضبطاً وابعثوا الأولاد له ، هناك مشرفون ، وانضباط ، وستر عورات .

٢١ ـ سفر المرأة للعمل من دون محرم :

س : سفر المرأة للعمل من دون محرم ؟

ج : ما في فتوى إلا عند الضرورة إذا مات زوجها في الحج ، أنا ما عندي فتوى إلى الآن .

٢٢ ـ التغلب على سوء المزاج من الأب والأم :

س : كيف يمكن التغلب على سوء المزاج من الأب والأم ؟

ج : يحتاجون إلى صبر أيوب .

٢٣ ـ العراقيل التي توضع في سبيل الشاب الذي يطلب الزواج :

س : العراقيل التي توضع في سبيل الشاب الذي يطلب الزواج .

ج : العراقيل يعني البعد عن منهج الله عز وجل :

((أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مَئُونَةً))

[أحمد عَنْ عَائِشَةَ]

٢٤ ـ قبول أم رفض تقدم شاب غير متدين لخطبة فتاة :

س : إذا تقدم شاب غير متدين إلى فتاة هل تقبل به لهدايته أم ترفضه لعدم دينه ؟

ج : هدايته مغامرة بالمئة خمسين تنجح إذا تريد مغامرة تتفضل وتقبل يمكن لا تقدر عليه ، أو يقول هي متفلتة أنا أهديها ، لا تستطيع متى قبلها هكذا في مشكلة ، إذا عندك إمكانية عالية جداً بإقناعها موضوع ثان ، لكن تبقى مغامرة .

والحمد لله رب العالمين

خطبه الجمعة – الخطبة ٠٠١٥ : أخلاق الزوجة المؤمنة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٧٤-١٢-٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

صفات وأخلاق المرأة المسلمة :

أيها الإخوة المؤمنون :

قال الله تعالى في حديث قدسي :

((إذا أردتُ أن أجمع للمرء المسلم خير الدنيا والآخرة جعلت له قلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً وجسداً على البلاء صابراً ، وزوجةً مؤمنة تسره إن نظر إلأيها ، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله))

أخوتي المؤمنين ؛ الزوجة المؤمنة ليست ككل الزوجات ، وأخلاقها ليست كأخلاقهن ، إنها كالجوهرة المكنونة ، ودود ولود تطيع زوجها ، وترعى بيتها ، ترضى باليسير ، ولا تكلف العسير ، شكورة صبورة .



قال عليه الصلاة والسلام :

((إن خير نسائكم الولود الودود السِّتِّيرة العزيزة في ا÷لها ، الذليلة مع بعلها ،المتبرجة مع زوجها ، الحصان عن غيره ، التي تسمع قوله وتطيع أمره ، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها ، ولم تبذّل له تبذل الرجل))

إن هؤلاء الزوجات المؤمنات ، وهذه أخلاقهن لهن عند الله أجرٌ كبير وثواب جزيل ، ومكانة علية ، قال عليه الصلاة والسلام :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((أما ترضى إحداكن أنها إذا كانت حاملاً من زوجها وهو عنها راض أن لها مثل أجر الصائم القائم في سبيل الله ، وإذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والأرض ما أخفي لها من قرة أعين ، فإذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة ولم يمصِّ من ثديها مصّة إلا كانت لها بكل جرعة

وبكل مصة حسنة ، وإن أسهرها ليلة كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعتقهم في سبيل الله ... سلامة أتدرين من أعني بهذا الممتنعات الصالحات المطيعات لأزواجهن ، اللواتي لا يكفرن العشير))

[رواه الطبراني في الأوسط عن الحسن بن سفيان]

وقال صلوات الله عليه أيضاً :

((إن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

أيها الإخوة المؤمنون ؛ روت كتب الأدب والسيرة أن الشعبي لقي شريحاً القاضي فقال له : كيف حالك في بيتك يا شريح ؟

قال : منذ عشرين سنةً وأنا زوج لم أجد ما ينغص حياتي أو يُعكر صفائي .

قال له الشعبي : وكيف ذاك ؟

قال شريح : خطبت امرأة من أسرة صالحة ، وفي أول ليلة دخلت فيها عليها وجدت كمالاً وصلاحاً ، فصليت ركعتين من صلاتي شكراً لله تعالى على ما أولاني من نعمة الزوجة الصالحة الأمينة ، ولما سلمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي ، وتسلم بسلامي ، وتشكر شكري ولما خلا البيت من الأصحاب والأحباب ، أخذت بيدها ، فقالت على رسلك (أي تمهل) يا أبا أمية ، كما أنت ثم قامت وخطبت تقول :

الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على نبيّه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه واستغفره من كل ذنب ، أما بعد ، فإنني امرأة غريبة لا أدري ما تحب وما تكره ، فبيّن لي ما تحب حتى آتيه ، وما تكره حتى أجتنبه ، لقد كان لك يا أبا أمية من نساء قومك من هي كف لزواجك وكان لي من رجال قومي من هو كف لزواجي ، ولكن الله تعالى قضى أمراً كان مفعولاً ، فكنتُ لك زوجة ، على كتاب الله ، وسنة رسوله فقد ملكت بشرع الله فاتق الله فيِّ ، وامتثل في زواجنا أمر الله تعالى : "فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان " .. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولك ، ثم قعدت .

قال شريح : فألجأتني إلى الخطبة في ذلك الموقف ، فقمت وقلت : الحمد لله أحمده ، وأستعينه ، وأصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم وأستغفره من كل ذنب ، أما بعد ؛ فقد قلت كلاماً إن تثبتي عليه وتصدقي فيه يكن لك ذخراً وأجراً وفضلاً ، وإن تدعيه ، كان حجةً عليك

أحب كذا وكذا ، وأكره كذا وكذا ، وما وجدت من حسنة فانشريها ، أو من سيئة فاستريها ، فقالت لي : كيف فحبتك لزيارة أهلي وأهلك ؟

فقلت : نزورهم غباً (أي وقتاً بعد وقت) مع انقطاع بين الحين والحين ، فإني لا أحب أن يملونا، وفي الحديث الشريف ؛ زر غباً تزدد حباً " .

ورحم الله القائل :

غب وزر غباً تزدد حباً فمن أكثر الترداد أضناه الملل

فقالت : سمعاً وطاعة ، مَن مِنَ الجيران تحب حتى أسمح لنسائهم بالدخول إلى بيتك ، ومن تكره حتى أمنع نساءهم من الدخول ؟

فقلت لها : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان غير ذلك .

ومضى عام كامل عدت في يوم من الأيام من مجلس القضاء فرأيت في دارنا أم زوجتي فرحبت بها ، وسلمت عليها .

فقالت لي : كيف رأيت زوجتك يا أبا أميّة ؟

فقلت : هي خير زوجة ولله الحمد .

وكانت قد علمت منها أنها في أهنأ عيش ، وأنعمه ، من فعال ومقال .

فقالت لي : يا أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها حين تدلل فوق الحدود ، وما أوتي الرجال قط شراً من المرأة المدللة ، فأدب ما شئت أن تؤدب ، وهذِّب ما شئت أن تهذب ، ثم التفتت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة ، ومضى علينا عشرون عاماً ، لم أجد ما يؤلمني منها إلا مرة واحدة كنت أنا الظالم فيها " .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ هكذا تكون المرأة المسلمة .

قال عليه الصلاة والسلام :

عن تميم الداري رضي الله عنه :

((المرأة المسلمة تبر قسم زوجها ، وتطيع أمره ، ولا تخرج إلا بإذنه ولا تدخل عليه من يكره))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط]

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه))

[أخرجه الحاكم في مستدركه]

فيا أخي المؤمن ؛ شاباً كنتَ أو زوجاً أو أباً ، إن كنت شاباً فابحث عن المؤمنة ، ولا يغرك جمال الفاسقة ، ففيها شؤم لك في حياتك ، وفي آخرتك ، فإياكم وخضراء الدمن .

قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء "

قال تعالى :

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة البقرة]

وإذا أساءت إليك من يعجبك جمالها فوقتئذ لا ترى جمالها ، بل ترى لؤمها ، وخبثها ، وبغضها ، واستعلاءها ، واعلم أن الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ، وخير شيء للمؤمن بعد التقوى ، زوجة صالحة .

قال عليه الصلاة والسلام :



عن أبو هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال :

((تُنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها . فاظْفَر بذات الدين تَرِبَتْ يداك))

[رواه مسلم]

وأخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

((من تزوج المراة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ، ومن تزوجها لحسبها ، لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج أمراة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ، وأن يحفظ فرجه ، وأن يصل رحمه ، بارك الله له فيها وبارك لها فيه))

ويا أخي المؤمن ؛ إن كنت زوجاً ، وأردت إصلاح زوجتك فابدأ بنفسك ، فاحملها على الاستقامة، والطهر ، والعفاف ، ثم عامل زوجتك بالإحسان ، وتجاوز عن سيئاتها ، وعن الإساءة إليها ، وبعد ذلك ليكن لك معها جلسات من حين لآخر تعلمها ، أنت حقيقة الإيمان ، وجوهر الإسلام ، وبعضاً من سور القرآن ، وشيئا عن نبينا وصحابته الكرام ، وأمرها بالصلاة ، واصطبر عليها ، وانظر بعد ذلك كيف تسعدك بعد أن أسعدتها ، وكيف تحفظك بعد أن حفظت نفسك ، ولا تنس يا أخي المؤمن ، أن الحلم سيد الأخلاق ، فلا تهدم في يوم ما بنيته في شهر ، ووقر زوجتك ، وإياك أن تستخف بها ، فتستخف بك .

وقد ورد في الحديث الشريف :

((هيبة الرجل لزوجته تزيد من عفتها))



ويا أخي المؤمن ؛ إن كنت أباً فربِّ بناتك على هذه الأخلاق ، ليكن لك ستراً من النار ، قال عليه الصلاة والسلام :

((من جاءه بنتان فأحسن تربيتهما حتى يزوجهما أو يموت عنها كانتا ستراً له من النار))

أيها الإخوة ؛ هذه أخلاق الزوجة المؤمنة ، وأرجو الله أن يتيح لي في خطبة قادمة أن أتحدث عن صفات الزوج المؤمن الذي يستحق هذه الزوجة المؤمنة .

والحمد لله رب العالمين

الباب الثالث : الحقوق

١. علاقة الرجل بزوجته وعدم الاختلاط

٢. قوامة الرجل وحقوقه على زوجته

٣. حقوق الزوج

٤. حق الإنفاق عليها وحقها بعدم الإساءة لها وحسن المعاشرة

٥. حقها في هدايتها ورعاية دينها وأخلاقها

٦. حقوق الزوجة

التربية الإسلامية - الحقوق - حقوق الزوج على الزوجة -الدرس (١ - ٢) : علاقة الرجل بزوجته وعدم الاختلاط.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٩-٠٨-١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

أحاديث نبوية في حقوق الزوج على زوجته

الحديث الأول:

ورد في هذا الباب حديثٌ شريفٌ، فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا عَنْ النّبِيِّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

[متفق عليه]

فتنتان لا قبل للإنسان بهما: المال والنساء

الإنسان أحياناً مِن أين يؤخَذ ؟ إذا كان مُستقيماً على أمر الله، أين تزِلُّ قدمه ؟ من أين يؤخَذ ؟ كيف ينتكس ؟ كيف يُحجب عن الله ؟ كيف يتقهقر ؟ كيف يتراجع ؟ كيف يفقد اتجاهه إلى الله في صلاته ؟ كيف يفقد إقباله على الله ؟ كيف يشعر أنّ عبادته تافهة لا معنى لها ؟ حينما تدخل في حياته امرأةٌ بطريقٍ غير مشروع.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النّبِيِّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ:

((الْعَيْنُ تَزْنِي، وَالْقَلْبُ يَزْنِي، فَزِنَا الْعَيْنِ النّظَرُ، وَزِنَا الْقَلْبِ التّمَنّي، وَالْفَرْجُ يُصَدّقُ مَا هُنَالِكَ أَوْ يُكَذّبُهُ))

[أحمد]

الإنسان قد يزني بعينه، وقد يزني بلسانه، وقد يزني بأذنه، وقد يزني بيده، فهذه المُخالفات هي حجابٌ بين العبد وربّه، بل لو سألنا إنسانا سؤالاً آخر: ما هي المزالق الخطيرة في طريق الإيمان ؟ أغلب الظنّ أنّ عامّة المسلمين لا يشربون الخمر، ولا يسرقون، ولا يقتلون، هذه الكبائر التي

ذكرها الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم وذكرها نبيّه العظيم في سنّته، هذه الكبائر يبتعد عنها مُعظم المسلمين، ولكن هذا المسلم مِن أين يؤتى ؟ كيف ينتكس ؟ كيف تُصبح صلاته جوفاء ؟ كيف يُصبح صيامه لا معنى له ؟ يؤتى من بابين كبيرين، من باب النّساء، ومن باب كسب المال، لو تتبّعت المعاصي وتكرارها، واتّساع رُقعتها في ساحة النّفس الإنسانيّة، لوجدتَ أن أكبر مساحةٍ يشغلها حبُّ المال، وحبُّ النِّساء، لذلك أكبر مزالق الإنسان من جهة المال ومن جهة النّساء، بل إنّ النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الشريف يجعل المرأة أكبر خطرٍ على الإنسان، بمعنى أن تعصي الله بها، أيّة شهوةٍ أودعها الله في الإنسان، جعل لها طريقاً مشروعاً، جعل لها قناةً نظيفةً، ربُّنا سبحانه وتعالى يقول:



﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * ﴾

(سورة المؤمنون)

أي مُعتدون، وإنه لعُدوانٌ أن تنظر إلى امرأةٍ لا تحِلُّ لك، وعُدوانٌ أن تُدير معها حديثاً، عُدوانٌ أن تتلطّف في مُحادثتها، هذا الذي يقطعُ عن الله عزّ و جلّ، فحين تقعُ عينك على امرأةٍ لا يحِلُّ لك أن تنظر إليها، وتستمرئ هذه النظرة، هنا بدأ الحِجاب، هذه هي تعليمات الصانع، ما من جهةٍ مؤهلةٍ أن تُقدّم لك التعليمات الصحيحة إلا الصّانع، لقول الله عزّ و جلّ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾

(سورة البقرة)

أي أن التعليمات النّافعة لهذه الآلة من الصّانع،

﴿ الحَقُ مِنْ رَبِّكَ ﴾

(سورة البقرة: من الآية ١٤٧)

والنبي عليه الصّلاة والسّلام أرسله خالقنا العظيم ليُبيّن لنا تعليمات التّشغيل لهذه الآلة، يقول عليه الصّلاة والسّلام:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

لا بد من هامش الأمان بين العبد والمعصية

في بعض الأيام نظرةٌ، إذا لم يغُضّ الإنسانُ بصره كانت النّظرة سبيلاً إلى أكبر معصية، لذلك ربُّنا عزّ و جلّ في بعض الآيات يقول:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا ﴾

(سورة البقرة: من الآية ١٨٧)

وفي آياتٍ أُخرى يقول:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا ﴾

(سورة البقرة: من الآية ٢٢٩)

لماذا مرّةً:

﴿ فَلاَ تَقْرَبُوهَا ﴾

ومرةً:

﴿ فَلاَ تَعْتَدُوهَا ﴾

هناك نوعٌ من المعاصي فيها جذبٌ، فكُلّ معصيةٍ تجذبك إليها بدافعٍ من شهوةٍ أودعها الله في الإنسان، هذه المعصية يجب أن تدع بينك وبينها هامش أمان، لا بُدّ من أن تدع بينك و بينها هامش أمان حتّى تنجو منها، لذلك جاءت الآية:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا ﴾

تيّار فيه ستة آلف فولط، هذا التيّار حوله ساحة مغناطيسيّة عرضها ستّة أمتار، فأيُّ إنسان دخل إلى هذه الساحة جذبه هذا التيّار، وأحرقه، فإذا علمت أن هذا التيّار خطر، وأن حوله ساحة مغناطيسيّة لا تدخل إلى هذه الساحة، لأنّك إذا دخلتها جذبتك هذه الساحة إلى التيّار فاحترقت معصية النّساء من هذا النّوع، تحتاج إلى هامش أمان، طريقٌ موبوء لا تمشِ فيه، صديقٌ مُغرمٌ

بالزنى لا تُصاحبه، ولا تجلس معه، ولا تستمع إليه، قصّةٌ ماجِنة لا تقرأها، لقاءٌ مُختلط لا تأته، هذا هو هامش الأمان، لأنّ الله عزّ و جلّ يقول:


ولا تقربوا الزنى

﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى ﴾

ولا تقربوا، أيْ يجب أن تدع بينك وبين الزنى هامش أمان، نظرةٌ، فابتسامةٌ، فموعدٌ، فلقاءُ.

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

ضع في ذهنك أن المرأة في الحرام لغمٌ مُتفجِّر، ربّما أطاح بدينك، ربّما أطاح بصلاتك، ربّما أطاح بوجهتك إلى الله عزّ و جلّ، ربّما أطاح بقُربك من الله عزّ و جلّ، أنت ذُقت طعم القُرب – المشكلة هنا – إذا ذاق المؤمن طعم القُرب حافظ على هذه الصلِة مهما بلغ الثّمن، أمّا إذا لم يذُق طعم القُرب، يرى أنّ أوامر الدّين عبئاً عليه، يرى أنّ الدين ثقيل، يرى أنّ الدين حِرمان، لكنّه إذا ذاق طعم القُرب من الله عزّ و جلّ فمن أجل الحِفاظ على هذا القُرب يضحي بكلّ غالٍ ورخيص، ونفسٍ ونفيس.

أحياناً يُوضع الإنسان في موقِفٍ حرجٍ، هذا الموقف يقتضي أن يُصافح، النبي عليه الصلاة و السلام يقول:

((إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ))

[أحمد عن أميمة بنت رقيقة]

أيُّهما أغلى عليك اتّصالك بالله أم أن تنجو من انتقاد بعض المُنتقدين،

﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾

القضيّة قضيّة موازنة، كلمة " الله أكبر" تعني: أنّك إذا رأيت أنّ الله أكبر من كلّ شيء، من كلّ هدف، من كلّ غاية، عندئذٍ تنضبط على أمر الله، حديثٌ يدعو إلى الوقوف والتّأنّي.

علاقة اتباع الشهوات بإضاعة الصلاة

ربّنا عزّ و جلّ ماذا قال عن المسلمين في آخر الزمان ؟ قال:

﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾

(سورة مريم: الآية ٥٩)

لماذا أضاعوا الصّلاة ؟ لأنّهم اتّبعوا الشّهوات، لماذا اتّبعوا الشّهوات ؟ لأنّهم أضاعوا الصّلاة، هناك علاقةٌ ترابطيّة، تارةً تكون إضاعة الصّلاة سبباً لاتّباع الشّهوات، وتارةً يكون اتّباع الشّهوات سبباً لإضاعة الصّلاة، وربُّنا سبحانه و تعالى يقول:

﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾

حينما يتّبعون الشهوات يُضيّعون الصّلاة، و حينما يُضيّعون الصّلاة يتّبعون الشهوات، هذا كلام الخالق، هذه قوانين حتميّة الحدوث،

﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾

اتّباعٌ للشهوات، إضاعة للصّلاة، تحمّل البغي والعُدوان، والغيّ والضّلال.

أحياناً ندخل إلى محطّة وقود، يوجد مكان لوضع إعلان، يُمكن كتابة كلمات عديدة في هذا الإعلان، لو فرضنا كُتِب في هذا الإعلان: يُرجى أن تقف في الدّور، مُمكن، لو كُتِب في هذا الإعلان: يُرجى المُحافظة على نظافة المحطّة، كذلك إعلان مقبول، لكن هذا الإعلان ليس خطيراً، أمّا إذا كُتِب على هذا الإعلان: ممنوع التدخين، التدخين شيء مصيري قد يُحرِق المحطّة كلّها، فهذا إعلان من نوع خاص، قد نكتب مكان هذا الإعلان ألف إعلان، كلّها لا تُقدّم و لا تؤخر، لكن إذا كتبنا في هذا الإعلان: ممنوع التدخين، فإنّ هذا الإعلان متعلّق بمصير هذه المحطّة، و ربّنا عزّ و جلّ في القرآن حينما يقول لك:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

(سورة النور: من الآية ٣٠)

لا خيار للمؤمنين أمام أمر الله ونهيه

هذا أمر يُقدّم و يؤخّر، أمر مصيري، أمر يتعلّق بإقبالك على الله، إمّا أن تُقبِل إذا طبّقتَه، وإمّا أن تنقطع إذا خالفته، فكلّ أمرٍ في القرآن، وكلّ نهيٍ في القرآن هما أمرٌ ونهيٌ مصيريّان، يُحدّدان مصير علاقتك بالله عزّ وجلّ، لأن الآية الكريمة تقول:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٣٦)

أنت لك الخيار في المُباحات، بين هذا البيت وهذا البيت، بين هذه الفتاة وهذه الفتاة، تخطب هذه أو تلك، بين أن تعمل بهذه الوزارة أو بهذه الوزارة، بين أن تكون موّظفاً أو تاجراً، بين أن تُمضي أسبوعاً في هذا المصيف أو في هذا المصيف، هذا الخيار، لكنّك إذا عرفت الله عزّ وجلّ فليس لك خيارٌ فيما أعطى الله فيه حُكماً،

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

الآن بعض أنواع اللباقة والذوق الاجتماعي أن تُرحِب بامرأةٍ، أن تستقبلها في البيت، ولو أنّ الزوجة غائبة، لباقةً، تقول: هذه أخت زوجتي، هذه بنت عمّي، هذه بنت خالتي، معقول أن أرُدّها، مثلاً، هذه اللباقة، والذوق الرفيع في مُعاملة النّساء، هذا قد ينتهي بالإنسان إلى القطيعة عن الله عزّ و جلّ، هذه مُجاملة يُروّج لها إبليس، لكنّ المؤمن وقّافٌ عند حدود الله، الحلال ما أحللت، والحرام ما حرّمت، فإذا أحبّ المؤمن أن يُحافظ على هذه الصِلة بينه وبين الله، فليحفظ حدود الله، وإذا هان الله على النّاس هان النّاس على الله، يقول لك: الماء قليل، والأسعار مُرتفعة، وهناك ضائقة أحياناً، هذا كلام يُترجمه القول الشهير: هان الله عليهم فهانوا على الله، وهؤلاء لا يُبالون أحياناً أن هذا الأمر يجوز، أو لا يجوز، أو حرام، حلال، مسموح، أو غير مسموح، فيه معصية أو ليس فيه معصية، قال له: يا رسول الله عظني و أوجز، فقال عليه الصلاة والسلام:

((قُل آمنت بالله، ثمّ استقم))

[ورد في الأثر]

قال بدوي للنبي عليه الصلاة والسلام: عظني وأوجز، وفي حديثٍ آخر عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: قُلْ:

((آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ))

[مسلم]

قال أريد أخفّ من ذلك – هذه ثقيلة – فقال النبي عليه الصلاة والسلام:

((إذًا: فاستعِدّ للبلاء))

إذا تعاملت مع الله بقواعد واضحة ترتاح وتُريح، ربّنا عزّ و جلّ إمّا أن تأتيه طائعاً أو أن يسوقك إليه بالسلاسل، سلاسل المصائب، فإمّا أن تأتيه طوعاً، مُبادرةً، رغبةً، طمعاً، شوقاً، و إمّا أن يُؤتى بك إليه على أثر مُشكلة، على أثر مرض، على أثر ضائقة، على أثر ضغط، فالبطل هو الذي يأتيه طائعاً:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾

(سورة فصلت: الآية ١١)

لأن الله خلقنا ليُسعدنا، هذا كلامٌ قطعيّ، فإمّا أن تقبل أن تسعد باختيارك، وإمّا أن تُساق إلى هذه السعادة بشكلٍ أو بآخر، لذلك الآية الكريمة:

﴿ لّلّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ ﴾

(سورة البقرة: من الآية ٢٨٤)

إذا وجد مرض نفسي، إن أبديته أو أخفيته تُحاسب عليه، كيف المُحاسبة ؟

﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾

(سورة البقرة: من الآية ٢٨٤)

إن أقبلت عليه طواعيّةً يغفر لك، وإن أدبرت عنه، تُؤتى إليه من خلال مُضايقةٍ فعندئذٍ يُغفر لك أيضاً لكن على أثر عذابٍ لا على أثر إقبالٍ، المغفرة: إمّا أن تكون على أثر إقبال أو على أثر عذاب.

﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(سورة البقرة: من الآية ٢٨٤)

يقول لك الطبيب: إمّا أن تستعمل الدّواء أو أن نجري لك عملية، الآن الدواء مُجدٍ، لكن بعد فترة لا بُدّ من عملٍ جراحي، أنت مُخيّر، فالإنسان يجب أن يقبل بالدواء قبل أن يُعالج بالجراحة، فإذا انطلقت من حبّك لذاتك، إذا انطلقت من حرصك على سلامتك، إذا انطلقت من رغبتك في كمال وجودك، في بقاء وجودك، فأطع الله عزّ و جلّ، لأنه:

﴿ وَمَن يُطِعْ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٧١)

الفائز بين مقاييس القرآن ومقاييس البشر

انظر إلى نظر الناس الآن، يقولون لك: هذا فلان هنيئاً له، عنده أرض ارتفع سعرها ثمانين ضِعفاً، قيمُ النّاس المال، فمن حاز المال بحجمٍ كبير وجهدٍ يسير، النّاس يرمقونه بأبصارهم، وإذا اشترى الإنسان بيتاً فخماً مريحاً في موقعٍ ممتاز، زيّنه تزيينات رائعة، أيضاً الناس يهنئونه، ويُثنون على شطارته وعلى ذوقه.

وإذا تقلّد الإنسان منصباً رفيعاً، أيضاً يهنئونه، وإذا أنجب أولاداً مُتفوّقين في مقياس الدّنيا يُهنّأ، هذه مقاييس البشر.

لكنّ البطل هو الذي يبحث عن مقياس الله عزّ و جلّ، مقياس الله عزّ و جلّ شرحه الله في القرآن الكريم، قال:

الفائز بمقياس القرآن

﴿ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٧١)

هل أنت مؤمن بهذا المقياس.

أضرب مثلاً للتقريب: لو أن صديقاً لك كان على مقعد الدراسة معك، وعمل بعملٍ حرّ فأصبح يملك ألوف الألوف، بل ألوف الملايين، وهو مُتفلّت من أمر الله، وأنت مستقيم على أمر الله، ولا تملك إلا قوت يومك، هل تشعر بأنّك محروم ؟ أو بأنّ هذا الصديق تفوّق عليك، وفاز عليك ؟ إن شعرت هذا فأنت لا تعيش هذه الآية، قد تفهمها، ولكن لا تعيشها، قد تفهم معناها، ولكن لا تعقلها، لا تعقل الآية إلا إذا عشتها، المؤمن الحقّ: يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُلقى في النّار، المؤمن الحقّ يقول: ليس في الأرض من هو أسعد منّي إلا أن يكون أتقى منّي، و لو كان طعامه خشناً، ولباسه خشناً، هذا الإيمان، الإيمان أن تسعد بمعرفة الله، أن ترى أن الهدى هو كلّ شيء، وأنّ الدنيا كلّها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وأنّ الله عزّ و جلّ إذا تجلّى على قلب الإنسان نسي الدّنيا وما فيها، ولا تنس خُطبة النبي عليه الصّلاة والسّلام:

((إنّ هذه الدّنيا دار التواء لا دار استواء))

[ورد في الأثر]

الدنيا لا تستقم لأحد

سبحان الله ! لا تستقيم الدنيا لإنسان، يأتيه المال ويفقد الطّمأنينة، تأتيه الطّمأنينة ويفقد المال، يأتيه المال والطّمأنينة ويفقد الزوجة الصّالحة، تأتيه الزّوجة الصّالحة ويفقد الأولاد الأبرار، يأتيه أولاد أبرار وليس له دخل يكفيهم، يأتيه دخل يكفيهم وأولاده أشرار، كلّ شيءٍ على ما يُرام لكن صحّته

معلولة، إنّ هذه الدّنيا دار التواء –هكذا النبي قال – لا دار استواء، لا تستوي، مُحال أن تستقيم لك الأمور كلّها، رُكّبت على النّقص، رحمةً بنا لأنّه لو تمّت لكرهت لقاء الله عزّ و جلّ، لركنت إليها، لو جاءت الأمور كما تشتهي فهذه أكبر مصيبة، يقول الله عزّ و جلّ: عبدي، خلقت لك ما في السّماوات والأرض، ولم أعيَ بخلقهنّ، أفيُعييني رغيفٌ أسوقه إليك كلّ حين، و عزّتي و جلالي، إن لم ترض بما قسمته لك، فلأُسلّطنّ عليك الدّنيا، الدّنيا تأتيك من كلّ جهة، فلأُسلّطنّ عليك الدّنيا تركض فيها ركض الوحش في البرّية،ثمّ لا ينالك منها إلا ما قسمته لك، و كُنت عندي مذموماً،أنت تريد،و أنا أريد، فإذا سلّمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، و أن لم تسلّم لي فيما أريد، أتعبتك فيما تريد،ثمّ لا يكون إلا ما أريد

إذا كان الإنسان مُنحرفًا، غارقا في المعاصي، وتأتيه الدنيا من كلّ جهة، هذه ليست نِعمة، ولكنّها نَعمة:

﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾

(سورة الدخان: الآية ٢٧)

هذه ليست نِعمة، و لكنّها نقمة، يقول ابن عطاء الله السّكندري: " ربّما أعطاك فمنعك، وربّما منعك فأعطاك "، أحياناً يمنعك، فإذا منعك عن الدّنيا تتّجه إليه فتسعد بقربه، فيكون الخلاص بالحرمان من الدّنيا، وقد تأتي الدّنيا كما تريد فتكون حجاباً بينك وبين ربّ العزّة:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

[متفق عليه]

هذا أوّل باب خطر، في بعض المرّات فلان لا يأتي إلى الدّرس، فما هو السّبب ؟ زار أقرباءه فالتقى بإحدى قريباته اللاتي لا ينبغي أن يراهُنّ، من حديثٍ إلى حديث تعلّق بها، قام ليُصلّي فرأى في نفسه تكاسلاً، شعر بالمُخالفة والمعصية، استمرأ هذه العلاقة وذلك التّكاسل حتى انقطع عن الله عزّ وجلّ، حالات كثيرة جدّاً سبب انقطاع الإنسان عن الله، و ن مجالس العلم أحياناً، أنّه وقع في مُخالفة متعلّقة بالنّساء، ولو على مستوى النّظر، أو مستوى الكلام، أو مستوى الحديث، حتى على هذا المستوى هذه معصية تقطع عن الله عزّ وجلّ.

الحديث الثاني:

بشارةٌ قالها النبي عليه الصّلاة و السّلام للنّساء كافّةً، أو للنّساء المؤمنات، عن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ))

[الترمذي عن أم سلمة]

لأن رضاء الزّوج ربع دين المرأة، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ))

[أحمد]

طاعة الزوج في المعروف سبب دخول الجنة

فطاعة الزّوج وإرضاؤه فيما لا يُغضب الله عزّ وجلّ، هذا يكفي كي تدخل المرأة الجنّة، وقلّما تجد رجلاً راضياً عن زوجته كلّ الرضى، و لو تعلم المرأة حقّ الزوج ما قعدت ما لم يحضر طعامه أو غذاؤه، لكن طبعاً الزوج المؤمن، لأن الزوج المؤمن يعرف حقّ المرأة أيضاً.

هذا الحديث رواه الترمذي، وقال حديثٌ حسن.

الحديث الأوّل مُتّفقٌ عليه، وهو أعلى درجة من الصّحة، ما اتّفق عليه الشّيخان الإمام البخاري والإمام مسلم، وهذا الحديث كأنّه ضوء أحمر خطر، اجعل هذا الحديث بالقلم الأحمر:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

[متفق عليه]

وجوب اتخاذ الأسباب لاتقاء فتنة النساء

فالإنسان يستعين بغضّ البصر، يستعين بترك الأماكن الموبوءة، يستعين بترك رفقاء السّوء، بترك الحفلات المُختلطة، بترك مكان فيه امرأة لا تخشى الله عزّ وجلّ، بقطع العلاقة مع كلّ قريبة لها تطاول من حيث الاختلاط مع الرّجال، هذا كلّه من أجل الحفاظ على الدّين

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – الحقوق – حقوق الزوج على الزوجة –الدرس (٢ – ٢) : قوامة الرجل وحقوقه على زوجته.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٩-٠٨-٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

آية قرآنية أصل في حقوق الزوجين

ننتقل أيها الإخوة في رياض الصالحين إلى بابٍ جديد، هو الباب الخامس والثلاثون، وعنوان الباب: حق الزوج على المرأة، وكما هي عادة الإمام النووي مؤلِّفُ الكتاب ــ رحمه الله تعالى ــ حيث يبدأ الباب بآيةٍ قرآنية متعلقةٍ بأحاديث هذا الباب، قال الله تعالى:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ ﴾

(سورة النساء: الآية٣٤)

١ – لا خيار للمؤمن أمام أمر الله ونهيه

الحقيقة أن الإنسان أمام كتاب الله جلّ وعلا، وأمام سنة رسول الله له موقف، هذا الموقف موقف التعبد، هذا أمر إلهي، أنت مخير في أمور الدنيا ؛ كمؤمن مخير أن تسكن في هذا البيت، أو في هذا البيت، أن تتزوج هذه المرأة أو تلك المرأة، أن تعمل عملاً حراً أو عملاً وظيفياً، لكنك كمؤمن صادق إذا كان هناك أمرٌ في القرآن فإنه:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٣٥)

إذا وُجد توجيه قرآني، حكم رباني، أو أمرٌ، أو نهي، في كتاب الله واضح الدلالة، قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، فأنت كمؤمن ليس لك خيار، فربنا سبحانه وتعالى هو الصانع، وهو الذي صمم نظام الزواج، هذا الزواج أو هذه الأُسرة لها نظام، من لوازم نظامها أنه لابد لها من قائد، والسؤال الآن: لماذا يعصي الناس ربهم ؟ والله هذا سؤال مهمٌّ، معظم الناس غارقون في المعصية، هناك توجيهات قرآنية، هناك توجيهات نبوية لا أحد يُقيم لها وزناً، أي ينساق وراء نزواته وشهواته، وساعةً يقوده الهوى، وساعةً تقوده المصلحة، وساعةً يقوده التقليد الأعمى، أما

أن يتحرك الإنسان وفق أمر الله تماماً، أو ينتهي عما نهى الله عنه تماماً فهذا يحتاج إلى شيءٍ آخر.

الحقيقة أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما دعا إلى الله في مكة بقي ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى معرفة الله، بعدئذٍ نزل التشريع، فكأن الطريقة المُثلى أن تعرف الآمر أولاً، ثم الأمر ثانياً، فإذا كان أمر الله بين يديك في الكتاب والسنة، ولم تعرف الآمر معرفةً كافية يسهُل عليك أن تخالف أمر الله عزّ وجل، يسهل عليك أن تعصيه، يسهُل عليك ألا تنتهي عما عنه نهاك، لأنه مجموعة أوامر في الكتاب والسنة، لكنك إذا عرفت من هو الله عزّ جل ماذا يعني أن تعصيه ؟ إذا عرفت ما عند الله من إكرام، ما عند الله من عقاب، إذا عرفت الله حق المعرفة، أي أن يُقَطع الجسم إِرباً إرباً أهون من أن تخالف أمر الله عزّ وجل.

٢- لا بد للزواج أن يكون مبنيا على شرع الله

لذلك الزواج في الإسلام هو شيء رائع جداً، لكن إذا كان الزواج في جو من عدم التطبيق من أمر الله عزّ وجل يغدو جحيماً، لأن الزوجة تبتغي حظ نفسها، والزوج يبتغي حظ نفسه، وكلاهما وقد تتصادم هذه الحظوظ، ومن تصادمها تأتي المشكلات يأتي الشقاق، والنفاق يأتي الخصومات، لذلك شيءٌ مهمٌ جداً أن تعرف من هو الآمر، كما قال سيدنا بلال: **<< لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت >>**.

٣- في الحياة ثوابت

في بالي مقدمة قبل أن أمضي في شرح هذه الأحاديث المتعلقة بحق الزوج على المرأة، هناك أشياء ثوابت في الحياة، فهذا الكون أليس كوناً عظيماً ؟ أي لو نظرت إلى المجرات لهالك هذا النظر لرأيت الأرض وما حولها من كواكب سيارة لا تعدو نقطةً في فراغ، فهذه المجرات التي تزيد على مَليون مليون مجرة، وفي كل مجرة ما يزيد على مليون مَليون نجم، والمسافات بين النجوم لا يعلمها إلا الله، وهي مسافاتٌ خيالية، هذا الكون بمجراته، بكازاراته، بمذنباته، هذا الكون بما فيه من آياتٌ دالةٍ على عظمة الله لمن سخره الله عزّ وجل ؟

أليس هناك آياتٌ في كتاب الله محكماتٌ تؤكد أن الله عزّ وجل سخر هذا الكون للإنسان ؟ بلا شك إطلاقاً وبكل تأكيد الكون مسخر للإنسان، والدليل:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾

(سورة الجاثية: من الآية ١٣)

٤ – ماذا عليك أن تقدمه مقابل تسخير الله الكون لك ؟

فإذا كان هذا الكون كله مسخرا لي كإنسان، ماذا يُطالِبُني الله عزّ وجل ؟ يجب أن يكون هناك مطالبة بقدر هذا التسخير، فإذا أعطينا إنساناً أعلى راتب في الدولة، معنى هذا أنه هناك مسؤوليات كبيرة أمامه، إذا أعطيناه ميزات كبيرة جداً، معنى هذا أن مقابل هذه الميزات مسؤوليات، هذه النقطة الدقيقة، أي أن هذا الكون كله بما فيه، فكم من أنواع الأشجار ؟ وكم من أنواع الأزهار ؟ وكم من أنواع الأطيار ؟ وكم من أنواع الأسماك ؟

هذا الجسد بما فيه من أجهزة، من عضلات، من قلب، من رئتين، بما حولك من بيئة، ومن ظروف، من سماء، من هواء، من ماء، من بحار، من نجوم، من أطيار، هذا الكون كله مسخرٌ للإنسان، ماذا يقتضي هذا التسخير ؟ أن تعبد الله عزّ وجل، إذاً: أنت مقابل هذا الكون العظيم مكلفٌ أن تعرفه معرفةً عظيمة، وهذه المعرفة العظيمة من لوازمها أن تطيعه طاعةً تامة، ومن نتائج هذه الطاعة التامة أن تسعد في الدنيا والآخرة، أي أن الهدف الأكبر من خلق السماوات والأرض، ومن خلق الإنسان هو أن يُسعدك في الدنيا والآخرة، هذا هو الهدف الأكبر، ولكن هذه السعادة لا متناهية، وهي تحتاج إلى عملٍ طيبٍ جداً منه وطاعةٌ وبذلٌ، هذا العمل الطيب يحتاج إلى معرفة طيبة، وهذه المعرفة الطيبة تحتاج إلى كون عظيم، هذا الكون العظيم هدفه أن تعرف الله من خلاله، هذه سلسلة ؛ كونٌ معجز، إذا تأملت فيه عرفت أن هناك إلهاً عظيماً لا حدود لعظمته، وأنه سخر لك هذا الكون لتعرفه ولتحبه، فإذا عرفته حق المعرفة أطعته حق الطاعة، إذا أطعته حق الطاعة سعدت بهذه الطاعة في الدنيا والآخرة.

لذلك عندما يمر معك أمرٌ، الآن أنت كزوج أو كزوجة إذا مر أمرٌ قرآني فالقضية خطيرةٌ جداً، هذا الأمر تنفيذٌ جزئيٌ لما يتوجب عليك تجاه خالق الكون الذي سخر لك الكون كله، هذه هي العقدة، فأنت تجد إنساناً لا يبالي بأمر الله عزّ وجل، الله هين عليه، وأمره هين، ومعصيته هينة، ومخالفة أمره هينة، وأن يخرق حدوده، فهذا شيءٌ سهلٌ بسيط، يقول لك: لا تدقق، ولا تعقدها، والله غفور رحيم، ونحن عبيد إحسان، ولسنا عبيد امتحان، والله عزّ وجل لا يضع عقله بعقلنا ويحاسبنا، فهذا كله كلام الجهلة، لكن ربنا عزّ وجل حينما خلق هذا الكون من أجلنا، فهو ينتظر

منا أن نعرفه معرفةً صحيحة، وينتظر منا أن نشكره، فإذا عرفناه، وشكرناه فمن لوازم المعرفة والشكر الطاعة التامة، الطاعة التامة تنتهي بالسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، من هنا جاء توجيه الله عزّ وجل:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

(سورة النساء: من الآية ٣٤)

٥- قوامة الرجل على المرأة

أي أن هذه الأُسرة كسفينة ومركبة لها قائد واحد، لابد من أحد الطرفين أن يكون هو القائد، فربنا عزّ وجل قال:

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

(سورة النساء: من الآية ٣٤)

لقد جعل الله عزّ وجل الرجل متكاملاً مع المرأة، فالرجل والمرأة متساويان في التكليف وفي التشريف، في التكليف ؛ أي كلاهما كُلِّف بمعرفة الله عزّ وجل، وفي طاعته، وفي التقرب منه، والرجل كالمرأة في التشريف، أما التكليف في بقية التكاليف فهما مختلفان كالجهاد والجمعات وغيرها.

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٣٥)

إلى آخر هذه الآيات، أي من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أُنثى فاستجاب لهم ربهم:

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ﴾

(سورة آل عمران: من الآية ١٩٥)

٦- الرجل والمراة: أوجه التشابه والاختلاف

المرأة والرجل متساويان في التكليف وفي التشريف، لكن هناك بونٌ شاسعٌ بين بُنية المرأة وبُنية الرجل، المرأة لها بنيةٌ نفسية، ولها بنيةٌ جسدية، ولها بنيةٌ عقلية، تتناسب مع أعظم وظيفةٍ خلقها الله من أجلها وهي رعاية الأطفال، والرجل له بنيةٌ عقليةٌ خاصة، وله بنيةٌ نفسيةٌ خاصة، وله بنيةٌ جسميةٌ خاصة، تتناسب مع دوره في الأسرة لكسب الرزق، ولإدارة دفة هذه السفينة، ولاتخاذ

القرار لبُعد الرؤية، إذاً: هناك تكامل، فربنا عزّ وجل اختار الرجل على علمٍ وعلى تصميمٍ دقيق ليكون هو قائد هذه الأسرة، إذاً:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

الرجل عقله يغلب عاطفته، الرجل بُعد نظره أشد من بُعد المرأة في النظر، المرأة تنظر إلى ما يحيط بها، تنظر إلى المظاهر بشكلٍ يلفت النظر، لكن الرجل ينظر إلى حقيقة الحياة، فلا تعنيه المظاهر بقدر ما تعنيه جوهر الحياة، وليس هذا انتقاصاً من المرأة، فالمرأة لها دور، والرجل له دور، ولكل منهما مكانة عند الله، والنبي عليه الصلاة والسلام حينما قال للمرأة:

((اعلمي أيتها المرأة، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[ورد في الأثر]

فوالله هناك امرأة صائمة قائمة مطيعة لزوجها تعدل ألف رجل، ألف بل عشرة آلاف، أو مئة ألف، فالقضية عند الله بالاستقامة والعمل:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

أي أن الرجل له القِوامة، وله الإدارة، وله الإشراف، وله القرار، وله القِيادة، إلا لو كان هو قد تخلى عن القيادة لزوجته مثلاً، تدخل هي على المحل قبله، وتتكلم، وهو يبقى ساكتا، هو لدفع الثمن، هناك حالات هو يتخلى عن دوره، وهذا بحث ثانٍ، أما ربنا عزّ وجل فقد صمم الأُسرة بنظام فقال:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

يروي عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه في إدارته لشؤون الرعية اتخذ قراراً من أحد الأشخاص، يبدو أن زوجته رضي الله عنها سألته في ساعة سرور أن هذا الرجل ما شأنه ؟ سؤال فقط، ولماذا فعلت معه هكذا ؟ وهي لم تتدخل في شؤونه، ولم تطلب منه توقيف هذا القرار، ولم تطلب منه اتخاذ قرار آخر، ولم تطلب العفو عنه أبداً، بل إنما سألته: ما شأن هذا الرجل ؟ فما كان منه رضي الله عنه إلا أن قال لها: << يا أمة السوء، وما شأنك أنت بهذا ؟ >>، وما علاقتك أنت بهذا الأمر، خليفة المسلمين يسمح لامرأة أن تتدخل بشؤونه ؟ امرأة على العين والرأس، ولها مكانةٌ عظيمةٌ جداً عند الله، لكن في دائرة اختصاصها، لذلك: " رحم الله عبداً عرف حده، فوقف عنده، ولم يتعد طوره ".

إذاً:

﴿ فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

هنا بمعنى أن الله آتى الرجل قوةً في العضلات، قوةً في الجسم، وآتاه قوةً في العقل، وآتاه قوةً في العقل على حساب العاطفة، لأن بعض المواقف يقتضي القسوة أحياناً، بعض المواقف تقتضي الجُرأة، المرأة بحكم عاطفتها الغالبة قد لا تستطيع أن تقف موقفاً متيناً من قضية مُعينة.

٧- التعليل القرآني لقوامة الرجل على المرأة

الآن:

﴿ وبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

ربنا عزّ وجل ذكر تعليلين.

أول تعليل:

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

والتعليل الثاني: بما أنفقوا من أموالهم.

٩- من صفات المرأة الصالحة

الآن:

﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ ﴾

(سورة النساء: الآية ٣٤)

أي طائعات، هذه المرأة الطائعة حافظةٌ للغيب، أي تحفظ نفسها في غيبة زوجها، تحفظ نفسها وماله، أي أن أعلى صفة في المرأة أنها إذا غِبت عنها حفظتك في نفسها وفي مالك، في نفسها أي لا تسمح لأحدٍ أن ينظر إليها، ولا أن يكلمها كلمةً:

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٣٢)

هناك نساء في غيبة أزواجهن يفتحن الباب لإنسان طرق الباب، ويحدثن هكذا بطلاقة، ولا يتحفظن باللباس أمامه، يفتحن الباب على مصراعيه باستهتار، فهذه لم تحفظ نفسها، وهذه كأنها تدعوا الناس إليها، وهذه كأنها على وشك أن تخون زوجها، لكن المرأة المؤمنة:

﴿ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ ﴾

لذلك في المغرب عادات طيبة جداً، إذا طُرِق الباب فتعيد الطرق على الباب من الداخل، أي نحن هنا فتكلم ما تريد، أما أهلاً وسهلاً، تفضل الآن سيأتي، ارتح، وادخل لنقدّم لك فنجان قهوة، هذه ليست مسلمة، فالمرأة المسلمة تحفظ نفسها في غيبة زوجها، لذلك عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((إِنَّ عِنْدِي امْرَأَةً هِيَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَهِيَ لَا تَمْنَعُ يَدَ لَامِسٍ، قَالَ: طَلِّقْهَا...))

[النسائي]

هذه المرأة التي لا تحفظ نفسها في غيبة زوجها لا تُؤتَمن، وهناك مفهوم عند النساء خاطئ، أنها شريفة، ولا أحد أن يستطيع أن يكلمها، ولا أحد يستطيع أن يتطاول معها، لكنها تظهر هكذا على الشُرفات من غير احتياط، ومن غير تستر، هذه التي تُبرز مفاتنها للناس ليست شريفة بالتأكيد، هذه التي تعرض مفاتنها على الناس باستهتار هذه ليست مسلمة، وإن صلت، وصامت، وزعمت أنها مسلمة، فالمرأة المسلمة:

﴿ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ ﴾

أي تحفظ نفسها في حضرة زوجها، وفي غيبة زوجها، وتحفظ ماله، أي أن البخل في هذا الموطن من صفات المرأة الفاضلة، لأن هذا المال مال زوجها هو الذي ينفق:

﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

هذه المودة بين الزوجين، لذلك الوصية المرأة الثابتة لابنتها: " يا بنيتي، خذي عني عشر خِصال تكن لك ذخراً وأجراً، الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتفقد لموضع عينه، والتعهد لموضع أنفه ؛ فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه ؛ فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مبغضة، وإياك والفرح إن كان تَرِحاً، والترح إن كان فرحاً، فإن الأُولى من التقصير، والثانية من التكدير، ولا تعصي له أمراً، ولا تُفشي له سراً، إنك إن عصيت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره..." إلى آخر الوصية.

المرأة:

﴿ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

(سورة النساء: من الآية ٣٤)

هذا معنى الآية الكريمة:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

فإذا هو كان أقل منها ورعاً، وأقل منها علماً، وأقل منها بُعد نظر، ولم ينفق من ماله عليها شيئا، والله هي القوّامة عليه، فإذا كان هو أعلى منها في الورع والعلم والصلاح والتُقى وأنفق من ماله عليها ملك القِوامة، فإن لم يفعل كانت هي التي تنفذ أمرها، وهو لا يحير جواباً.

آحاديث نبوية في حقوق الزوجين

أول حق للزوج على المرأة كما قال عليه الصلاة والسلام:

الحديث الأول:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ))

[متفق عليه]

هذا الحديث متفقٌ عليه أي رواة البخاري ومسلم، والحديث واضح، وفي روايةٍ للبخاري ومسلم أنه:

((إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ))

أي أن الزواج أساسه هذا اللقاء بين الزوجين، فإذا ابتعدت عن زوجها، وهجرت فراشه لعنتها الملائكة حتى تصبح طوال الليل .

يتفرع من هذا الحق أنه لا يحل لامرأةٍ أن تصوم وزوجها شاهد، طبعاً صيام النفل، أما صيام الفرض فلا تستأذنه، صيام الفرض لا يحتاج إلى إذنٍ قط لأنه:

((لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزّوجَلّ))

[أحمد عن ابن مسعود]

مهما يكن هذا المخلوق، كأب يقول لابنه: برضاي عليك طلقها، ما هذا ؟ تطليقها ظلم، فهي زوجةٌ فاضلة، أي رضا هذا ؟

((لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزّوجَلّ))

حيث ما كان الأمر مخالفاً لأمر الله عندئذٍ الرضا والغضب يستويان.

الحديث الثاني:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللّهم عَنْهم أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صلَّى اللّهم عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ:

((لا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إلا بِإِذْنِهِ، وَلا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إلا بِإِذْنِهِ، وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ نَفَقَةٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ يُؤَدَّى إِلَيْهِ شَطْرُهُ))

[متفق عليه]

ما معنى شاهد ؟ أي مقيم في البيت، أما لو أنه مسافر فلها الحق أن تصوم صيام النفل من دون إذنه، أما إذا كان شاهداً أي مقيماً فإنه سوف يجيء الظهر إلى البيت.

((وَلا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إلا بِإِذْنِهِ))

أي أن تأذن لرجلٍ أو امرأة بدخول البيت من دون إذنه فهذا لا يجوز، دخول الأشخاص إلى البيت يحتاج إلى إذن الزوج، لو فرضنا الزوج أعطى تعليمات: لا أسمح لكِ أن يدخل بيتي ابن عمك، هذا طبعاً لا يجوز بغيابه، فتدخله وتقول: والله جاء من سفر فاستحييت منه، فهذا كلام فارغ هذا، هذا البيت له قيادة، والقيادة بيد الزوج فإذا منعها من مخالفة أمر الله عزّ وجل يجب أن تمتنع، وإذا منعها من ألا تخالف أمر الله عزَّ وجل يجب أن تمتنع.

الحديث الثالث:

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ))

[سنن الترمذي، وقال حديثٌ حسن]

أي أن زوجها المؤمن راضٍ عنها، أي أنها تقوم بحقه قياماً تاماً ؛ ترعى أولادها، وترعى حقوقه، وترعى حاجاته، إذاً وفرت لهذا الزوج الطمأنينة، وفرت له راحة البال، وفرت له الراحة النفسية، جعلته ينطلق في عمله، جعلته ينتج، جعلته عضواً نافعاً في المجتمع، أما هذا الإنسان القلق في بيته فطوال الليل مشاحنات وبغضاء، هذا إذا انطلق إلى عمله لا ينتج، لأنه شارد البال، فهذه المرأة التي توفِّر لزوجها الراحةً النفسية وطمأنينة فهذه امرأة شريكته في الأجر، يقولون: " ما من عظيم إلا وراءه امرأة "، لكن امرأة صالحة، وهذا الكلام له معنى مقبول، أن الإنسان عندما انطلق في العمل الصالح، وعندما انطلق في خدمة المجتمع معنى ذلك أن باله مرتاح، قال الله عزّ وجل:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾

(سورة محمد)

من وفر له هذه الراحة ؟ أنا عندما أقرأ كتاباً أعجب، لأنّ أكثر الكتب يهدي المؤلفون الكتاب إلى زوجاتهم، والله معهم حق، فقد يكتب: إلى التي وفرت لي هذا الجو، وهو جو التأليف، إلى التي وفرت لي هذا العمل العلمي الهادئ، وإذا كان طول النهار في مشاكسات بينه وبينها فلا يوجد تأليف، يتوقف التأليف، يجب أن يكون هناك هدوء، وراحة بال، ومسالمة، وموادعة، وشعور متبادل بمعرفة قدر الآخر، فهذا الذي يقوله عليه الصلاة والسلام:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ))

المشكلة هي إذا أرادت المرأة أن ترضي ربها بخدمة زوجها، وإذا أراد الرجل أن يرضي ربه بخدمة زوجته، هذا هو الوضع الأمثل، أي أنه حينما تُعامل إنساناً لذاته قد لا يستحق، هناك أزواج لا يستحقون معاملة طيبة، وهناك زوجات لا تستحق إحداهن المعاملة الطيبة، فإذا أراد الزوج أن يعاملها على عملها، أو أرادت هي أن تعامله على عمله وقع الخصام والشقاق، لكن إذا أراد الزوج أن يتقرّب إلى الله بالإحسان إليها، وإذا أرادت هي أن تتقرب إلى الله بالإحسان إليه، نشأت السعادة الزوجية، لذلك أي زواجٍ يبنى على طاعة الله يتولى الله التوفيق بين الزوجين.

بالمناسبة، وهذه كلمة عابرة قد لا تكون لها علاقةٌ متينةٌ بالدرس، لكن أحب أن أقولها، غض البصر من قِبل الزوج ومن قِبل الزوجة له دورٌ كبير في التفاهم الزوجي، لأن عندما يرى الله عزّ وجل هذا المؤمن يغض بصره عن الحسناوات في الطريق خوفاً من الله عزّ وجل، فأول مكافأة له أنه يوفِّق بينه وبين زوجته، تجد أن هذا الزوج يحب زوجته، وهي كذلك، فغض البصر من قِبل الزوج ومن قِبل الزوجة له دور في توفير السعادة الزوجية، وهذا الشيء مهم جداً، لأن ربنا عزّ وجل يقول:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾

(سورة النور)

أي إذا ظننت أيها الرجل أنك إذا نظرت إلى المرأة الأجنبية، وتمليت من محاسنها هو أزكى لك، فأنت مُخطئ، خالقك مربيك، ومسيّرك يقول لك:

﴿ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾

أي أكثر راحةً لك، والمكافأة سريعة في نفس اليوم، أحياناً تكون المكافأة بعد شهر، المكافأة في نفس اليوم، حيث أن كلما بالغت في غض البصر وجدت في البيت السعادة الزوجية، والحقيقة أن

السعادة الزوجية شيء مهم جداً، فإذا كان الإنسان مرتاحاً في بيته فإنه يمكن أن ينطلق في عمله ويُبدع، أما إذا كان في بيته معذبا، وفي بيته نكد ومشاحنة انعكس ذلك سلبًا على حياته العملية، فمن الحكمة البالغة أن الإنسان يحسن معاملة زوجته، قال ربنا عزّ وجل:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(سورة النساء: من الآية ١٩)

الحديث الرابع:

أمر إلهي، الله عزّ وجل يأمرك أن تعاشرها بالمعروف، واستوصانا بالنساء خيراً، استوصانا بالضعيفين المرأة واليتيم، استوصانا بالنساء، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى اللّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((خَيْرُكُمْ خَيرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي))

[سنن الترمذي]

((ما أكرمهن إلا كريم، ما أهانهن إلا لئيم، يغلبن كلّ كريم، يغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً، لا أن أكون لئيماً غالباً))

[ورد في الأثر]

فلذلك المؤمن ينبغي أن يفعل ذلك.

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ))

واللهِ من بعض السنوات كنت حاضراً في تعزية في حي الميدان، وبحسب معلوماتي أن الزوجة توفيت عن ثمانين عاماً، والزوج عمره خمس وتسعون سنة، فوجدته يبكي بكاء مراً، في هذا السن يبكي، وعندما انتهت التعزية بدأ الحاضرون يواسونه فقال: "ولم لا أبكي ؟ والله عشت معها خمسة وأربعين عاماً ما نمت ليلةً واحدة وأنا غاضبٌ عليها ".

يقول لك رجل آخر: " والله لا يوجد يوم انبسطت معها "، حتى اتفق أحدهم مع زوجته فقال لها: يوم للخصام ويوم للراحة، في يوم الراحة قالت له: غداً الخصومة، فحضر نفسك.

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ))

الحديث الخامس:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ))

[مسند أحمد]

أي أن طاعة الزوج ربع دينها.

الحديث السادس:

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إلا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا))

[سنن الترمذي]

لا يجوز إغاظة الزوجة

((لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا))

سبحان الله ! أنا أعجب أشد العجب كيف أن زوجاً أحياناً يتمنى أن يغيظ زوجته ؟ ينطلق بشكل واضح ومركز كي يغيظها، وكيف أن امرأةً تفكر في أن تغيظ زوجها ؟ هذا الوضع مَرَضي، لأنه خلاف الآية الكريمة:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(سورة الروم: من الآية ٢١)

انظر إلى تصميم ربنا عزّ وجل، التصميم أن تسكن إليها، وأن تكون بينك وبينها المودة والرحمة، هذا تصميم ربنا، ما الذي يحدث ؟ تريد أن تغيظه ؛ يوم الجمعة الغسيل بأصعب وضع، مع توجيهات أن ضايقيه، هذا منتهى الحمق، ومنتهى الغباء، ومنتهى البعد عن الله عزّ وجل، لا يصح لامرأة أن تغيظ زوجها، ولا يصح لزوجٍ أن يغيظ زوجته، يقع خصام، ويقع سوء تفاهم، هذا شيء طبيعي، لكن لا ينطلق الإنسان من خلاف عفوي إلى خلاف مقصود، لا ينطلق من خلاف عفوي إلى خلاف مُركز.

النصيحة الأولى:

والنصيحة التي أُقدِّمها لكل أخ، طبعاً لا يوجد زوجين من غير مشكلة إطلاقاً، هذا كلام غير واقعي، فهذه النفس غير هذه النفس، لها طلب، وهذا الطلب هو لم يوافق عليه، فصارت المشاحنة، أي أن هذا الشيء لابد منه.

فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ:

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ، فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ))

ومرة كسرت صحناً، جاءها طعامٌ من عند ضرتِها فكسرت الصحن، والنبي عليه الصلاة والسلام عاتبها.

وسيدنا عمر جاءه شخص يشكو امرأته فسمع صياحاً فرجع، فسمع صوت طرق الباب، ذهب فرأى شخصاً راجعاً، فناداه، وقال له: **<<تعال، لماذا جئتني ؟ فقال له: جئتك أشكو مما أنت منه تشكو >>.**

هذا شيء طبيعي، ولكن الإنسان لا ينطلق من إغاظة الزوجة، فهذا لا يجوز، وهي بالمقابل لا تنطلق من إغاظة زوجها فتكون قد خالفت الآية الكريمة، خالفت نص القرآن الكريم.

النصيحة الثانية:

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾

تكون عندك فتنشأ مشكلة، أول كلمة يطردها إلى بيت أهلها، وفي بيت أهلها تغذية، هناك خالتها وعمتها، وابنة خالتها وأختها الصغيرة، وأختها الكبيرة، فيقولون لها: ماذا تريدين منه، وأنت تستحقين أحسن منه ؟ كان الأمر بسيطاً جداً، ويحل في يوم أو يومين، الآن وصل الأمر إلى

الطلاق، وعندما لا يخبرونه بعد جمعة أو جمعتين يمتلئ من الغيظ، وهي أيضاً تمتلئ من الغيظ لأنه لم يخبرها، وهذه حلقة مُفرغة ومضحكة، هي تنتظر أن يتصل بها، وهو ينتظر أن تتصل به، وكل واحد منهما ركبه الشيطان، وأخذ منه كل مأخذ، وابتعد عن الآخر، أليس الأحسن أن تبقيها عندك في البيت وثاني يوم تتصالحون ؟ وأنا أعني ما أقول بالضبط، أن أكبر مشكلة بين الزوجين تنتهي بعد أيام نهاية طبيعية إذا بقيت الزوجةُ في بيت زوجها، وأصغر مشكلة بين زوجين قد تنتهي بالطلاق إذا خرجت من بيت زوجها، فالأب العاقل لا يستقبل ابنته وهي غضبى، بنفس الليلة يحل الموضوع، يرجعها إلى بيت زوجها ويصالحهم، ولا يطمعها، يقول لها: صدر البيت لكِ، كلي واركلي السفرة برجلك، هذا الكلام كله سخيف، أنا سمعت أن السلف الصالح إذا كانت ابنته غاضبة من زوجها، فيتفق مع الأم ؛ اليوم تعزلي البيت، وغداً تعملي مجدرة، وثاني يوم نعمل لك مشكلة، حتى تجد هذه الابنة أن بيت زوجها أفضل من بيت أهلها، فهناك آباء عقلاء جداً، إذا رأوا أن البنت حردت، ويوجد خِصام فيريها معاملة قاسية، ويريها اشمئزازاً، ويريها الخشونة في المعيشة، وأعمال مُرهقة، وخصام مُفتعل، وتمثلية بالخِصام، كي تكره الابنة أن تأتي إلى بيت أهلها، وهذه هي الحكمة.

وهناك آباء يطمِّعون بناتهم، يقولون لها: ماذا تريدين منه اتركيه، غيظيه، هكذا حتى يقع الطلاق، وبعدها تقع المشكلة، فهذا كله من معاناة المجتمع المسلم، وهناك جهل كبير جداً.

أحياناً تجد أماً لا ترضى إلا وأن تبقى مسيطرة على ابنتها بعد الزواج، تجعل حياة ابنتها جحيماً بيدها، هذه أُم ؟ لذلك: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ يَدْخُلُهَا الْفُقَرَاءُ، إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، إِلَّا أَهْلَ النَّارِ فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَوَقَفْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ))

[أحمد]

يجب أن يأخذ الرجل احتياطاً، الحقُ هو أن تقف على الحق تماماً، إذاً:

((لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إلا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا))

ألم يقل أحد الصحابة عندما طلبت منه زوجته ما فوق طاقته، قال لها: << اعلمي يا أمة الله، أن في الجنة من الحور العين ما لو أطلت إحداهن على الدنيا لغلب ضوء وجهها ضوء الشمس والقمر، فلأن أُضحي بكِ من أجلهن أهون من أن أُضحي بهن من أجلكِ >>.

هذه المرأة يجب أن تعرف حجمها وحدها.

وعن أُسامة بن زيد رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ))

[صحيح مسلم]

أي أن المرأة أكبر مأخذ للشيطان، وإن إبليس طلاعٌ رصاد.
وما هو من فخوخه ــ عنده شباك كثيرة، فخوخ جمع فخ ــ وما هو من فخوخه بأوثق لصيده في الرجال من النساء ".
إن أضخم فخ عنده للرجال النساء، فليتقِ الله الإنسان، وليبتعد عن مواطن الشُبُهات.

والحمد لله رب العالمين

الفقه الإسلامي – موضوعات متفرقة – الدرس ٠٢ : حقوق الزوج.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٤-٠٥-٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الزوج على زوجته :

١ ــ أن يكون أمره نافذاً :

أيها الأخوة المؤمنون: حقوق الزوج على زوجته ، تحدثنا في الدرس الماضي كيف أن الله سبحانه وتعالى قال:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

[سورة النساء٣٤:]

وكيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لموفدة النساء إليه :

((انصرفي أيتها المرأة ، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته ، يعدل ذلك كله– أي يعدل الجهاد في سبيل الله –))

[أخرجه ابن عساكر وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

وكيف أن المرأة إذا صلت خمسها ، وأطاعت زوجها ، وحفظت فرجها ، دخلت جنة ربها . وكيف أن المرأة إذا ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة .

عقبت على هذه الأحاديث التي في صالح الزوج أن المرء يجب أن يكون أهلاً لهذه المعاملة ، عليه أن يكون كريماً ، عليه أن يكون حليماً ، عليه أن يكون ورعاً ، إذا حقق هذه الصفات استحق أن تكون هذه الأحاديث مما تعنيه . والحديث الأخير الذي أنهيت به موضوع الفقه في الدرس الماضي قوله عليه الصلاة والسلام :

((حق الزوج على زوجته ألا تمنعه نفسها ولو كان على ظهر قتب – بعير– وألا تصوم يوماً واحداً إلا بإذنه إلا لفريضة ، فإن فعلت أثمت ولمن يُتقبل منها ، وألا تعطي من بيتها شيئاً إلا بإذنه ، فإن فعلت كان له الأجر وكان عليها الوزر ، وألا تخرج من بيته إلا بإذنه فإن فعلت لعنها الله وملائكته حتى تتوب أو ترجع ، وإن كان ظالماً))

[أبو داود عن عبد الله بن عمر]


لابد لكل سفينة من ربان والزوج ربان الأسرة

لحسن سير الحياة في الأسرة لابد من طرف أمره نافذ ، وهو الزوج كونه ظالم أو غير ظالم بحث آخر ، لكن لابد من إنسان يأمر فيطاع ، لابد لهذه السفينة من ربان ، لابد لهذه الطائرة من طيار وقائد إذا أمر يُنفذ الأمر ، بصرف النظر عن قناعة معاونه بأحقية هذا الأمر ، أو عدم قناعته ، لذلك وإن كان ظالماً .

حينما جاء النبي الكريم أخو إحدى الصحابيات يستأذنه في أن تخرج أخته لعيادة أبيها ، قال له: " قل لأختك طاعتها لزوجها خير من عيادة أبيها" وكره النبي عليه الصلاة والسلام أن يعتدي على حق الزوج .

هذا ملخص الأحاديث التي سيقت في الأسبوع الماضي ، وقد رجوت الأخوة الأكارم أنهم إذا ذكروا هذه الأحاديث في ثورة الغضب فإن الزوجة تكفر بها ، وقد تسمعك كلاماً لا ترضاه ، لا ينبغي أن تستغل هذا الحديث استغلالاً شخصياً ، قبل أن تقول هكذا يقول عليه الصلاة والسلام راقب نفسك ، هل أنت في مستوى هذه الأحاديث ؟

لذلك خرج النبي عليه الصلاة والسلام مرةً إلى أصحابه قائلاً: "غضبت أمكم غضبت أمكم " السيدة عائشة ، يُستنبط من هذا الحديث أن المرأة إذا غضبت على الزوج أن يسكت ، وإذا غضب الزوج على المرأة أن تسكت .

أي إذا مسكنا زجاجتين وصدمناهما ببعضهما تتكسران ، أما قطعة من الإسفنج وقطعة من الزجاج فلا يحصل شيء ، الأولى تمتص الثانية ، فإذا كانت الزوجة غضبانة فأنت مثّل دوراً سلبياً ، فإذا كنت أنت الغاضب عليها أن تمسك . النبي الكريم هكذا علمنا ، خرج على أصحابه وقال: "غضبت أمكم غضبت أمكم "

المرأة أحياناً يكون عليها ضغوط كثيرة ، الزوج يخرج من البيت يرجع الظهر أحياناً تتعسر في أمور الغسيل ، أحياناً يكون حاجات ناقصة في البيت ، فالرجل حين يرجع إلى البيت ويلقى زوجته غاضبة عليه أن يتلقى هذا بصدر واسع .

٢ ـ عدم إدخال من يكره زوجها إلى البيت :

الحق الثاني الذي على المرأة : عدم إدخال من يكره زوجها إلى البيت ، إذا قال زوجها: فلانة لا أريد أن تدخل بيتي فمعنى ذلك أن فلانة لا ينبغي أن تدخل بيته ، رضيت أم غضبت ، أعجبها ذلك أم لم يعجبها ، فمصلحة الزوجة مع زوجها لا مع جاراتها ، وكم من مشكلة وقعت بسبب أن هذه الزوجة الحمقاء آثرت علاقتها الطيبة بجيرانها ، وضحت برضا زوجها ، لذلك إذا أمر الزوج أن هذه فلانة لا أحب أن تدخل بيتي ، فللزوج وجهة نظر تحترم، قد تدخل امرأة إلى البيت من أهل اليسار ، ليس عكس اليمين ، أي الغنى ، فكلما وقع بصرها على شيء في البيت ازدرته، فانطمست الزوجة ، فإذا عاد الزوج أقامت عليه النكير؛ أنت لا تعرف قدري ، أنت لا تقدم لي على الأعياد شيئاً يُذكر ، أنت لا تكرمني بسبب هذه الزائرة الظالمة التي لا تعرف الله عز وجل .
لذلك قال عليه الصلاة والسلام: " ليس منا من فرق " .
أي إنسان يفرق بين زوجين ، بين أخوين ، بين أم وابنها ، بين شريكين ليس من أمة سيدنا محمد، وقد يكون التفريق ببعض الملاحظات .
امرأة زارت امرأة أخرى ؛ كم كان مهرك ؟ تقول : عشرة آلاف ، عشرة ، لماذا من بهذا الوقت قبل بعشرة ؟ شيطان داخل فيها ، إن تكلمت على المهر تؤذي ، وإن تكلمت على نوع الصيغة تؤذي ، وإن تكلمت على البيت تقول : ما هذا البيت ؟ أيسكن هذا البيت؟ والله خم دجاج أفضل منه . يأتي الزوج يرى زوجتها مقلوبة ، لم تكن هكذا ، هو مسرور وراض و هي راضية ، فإذا أمر الزوج أن هذه المرأة التي تزورنا كل حين فتفسد العلاقة فيما بيننا ينبغي ألا تأتينا ، فعلى الزوجة أن تنصاع لهذا الأمر .
طبعاً كل إنسان له مشكلة ، والناس كما يقال بلاء للناس ، أحياناً الإنسان يكون مرتاحاً ، كلمة سيئة ، ساعة غفلة من الزوجة ، وساعة يقظة شيطانية من الزائرة ، ترى أن عرى الزوجية قد فصمت وصار الخصام والمشاحنة ، وما من مشكلة إذا أردت أن أعمم إلا وراءها إنسان سبب الإيقاع بين هذين الشخصين .



لذلك يتمنى الشيطان أن يفرق تلك العلاقات ، أي ما من علاقة يرضى عنها الله سبحانه وتعالى كأن تكون العلاقة بين الزوجين طيبة ، وما من علاقة يكرهها الله عز وجل كأن يكون الخصام والشقاق . تدخل إلى بيت متواضع جداً بالجادة العاشرة إن كان هناك عشر جادات ، الأرض عدسة ، الفرش إسفنج فقط ، الجلائل خام أبيض، و لكن هناك سعادة، و مودة ، و رحمة ، هذا البيت جنة . وتدخل إلى بيت فرشه مكلف مليون ليرة ، ثمنه مليونان، وجميع الأجهزة الكهربائية موجودة من دون استثناء ، وهذا البيت قطعة من جهنم .

سر الزواج الوفاق بين الزوجين ، وأبشع ما في الزواج أن يكون الخصام والنكد. تلقى البنت تنشأ على النكد ، البنت تشرب من أمها ، إذا زُوجت هذه الفتاة تكون علاقتها بزوجها سيئة ، لأنها رأت علاقة أمها بأبيها ، وإذا كانت العلاقة طيبة بين الأم والأب ، أغلب الظن بأن زواج البنات ناجح ؛ لأنك ترى المودة والرحمة والتسامح واللطف والاعتذار تتعلم من أمها ، فالإنسان إذا خطب الأهل لا يكون مخطئاً ، إذا أصرّ على معرفة طبيعة العلاقة في هذا البيت بين الزوجين ؛ هل هناك تسامح ؟ هل هناك مودة ؟ هل هناك احترام ؟ هل هناك شقاق ؟ خصام ؟ نكد ؟ إغاظة؟ إذا تزوج إنسان ابنة بيت فيه خصام أغلب الظن أنه لن يرتاح، إذاً هذا أمر قطعي ، أنا أريد أن أوضح ذلك ، إذا قال الزوج : لا أريد أن تدخل فلانة إلى بيتي . . لكن أنا سأهمس في أذن الأزواج : إياك أن تستخدم هذا الحق في منع الزوجة أن ترى أهلها . لا أسمح لأمك أن تدخل بيتي . لا ، هذا فيه ظلم ، هذه أمها ، إن قلت ذلك ووقع منك يمين معظم ، فكأن الطلاق صار بيد الزوجة ، كانت تخاف منك ، فصرت تخاف منها ، فإذا سمحت لأمها بدخول البيت وقعت طلقة .

لا ينبغي أن تستخدم هذا الحق استخداماً تعسفياً ، بالقوانين مادة تقول : التعسف في استعمال السلطة ، مثلاً موظف في دائرة وموظف آخر في دائرة ، الأول أعلى من الثاني ، لم يرض الثاني أن يتواطأ مع الأول لكسب حرام ، فأمر بنقله إلى محافظة نائية ، نقول : إن هذا النقل تعسفي ، لم يُقصد منه المصلحة العامة ، لكن القصد الكيد والإبعاد . كذلك الزوج أعطاه الله صلاحيات ، كل إنسان أعطاه الله صلاحيات لا ينبغي أن يستخدمها بشكل تعسفي . أي إذا رسول الله قال للمرأة : " إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وأطاعت زوجها ، دخلت جنة ربها "، لا ينبغي لهذا الزوج أن يستخدم هذه السلطة بشكل تعسفي . الإنسان العاقل دائماً يجعل مجالاً كبيراً جداً للمودة .

أحبب حبيبك يوماً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك يوماً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما . أي لا ينبغي أن يعادي الرجل أهل زوجته ، صار هناك مشكلة يعاتب عاتباً لطيفاً فقط . أما يقيم النكير ، ويسب ، ويبهدل ، ويخبط الأبواب ويطردهم. أنت ما أبغضتهم هوناً ما ، أبغضتهم بالمبالغة ، فكأنك قطعت حبال المودة .

الاعتدال علامة عقل الإنسان الراجح :



الإنسان علامة عقله الراجح اعتداله ، علامة عقله الراجح أنه معتدل في انفعالاته، معتدل في تصرفاته ، معتدل في كلامه . أي إذا دخل إلى البيت فوجد شيئاً لا يعجبه قال : والله إذا هذا الشيء وقع مرة ثانية سأحزن ، . . . شيء جميل ، أريد أن أحزن الكلام معقول أما أريد أن أطلق فوقعت مرة ثانية بمشكلة ، أحرجت أنت ، إن ما طلقت لم يعد لكلامك قيمة وإن طلقت خربت بيتك ، لا تقل أريد أن أطلق . إن وقعت مرة ثانية سأحزن ، أما أريد أن أعمل شيئاً لن تسري منه ، ما هذا الشيء ؟ هذا الشيء المخفي يخيف كثيراً . إنسان دخل إلى مطعم فقال: هل تعشيني أم أعمل مثلما صنع أبي البارحة فخاف منه ، أن يكون أبوه مجرماً ، أو قاتل قتيل ، قال له: لا تعال أعشيك ، فصنع له عشاءً فخماً ، بعد أن انتهى قال له: ماذا صنع أبوك ؟ قال له: نام بلا عشاء . فإذا إنسان قال : إن أعيد هذا الشيء سترون شيئاً كبيراً ، ما هذا الشيء ؟ الله يعلم ، هذا شيء واسع ، مفتوح ، إذاً هناك أزواج ما عندهم حكمة ، الإنسان لا يحدد ، ولا يذكر عقوبات محددة ، يذكر عقوبات معممة ، لذلك قال الله تعالى:

﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾

[سورة النجم: ١٦]

هذا اسمه في البلاغة إيجاز غني ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، لقد أصابني ما أصابني ، آلمني ما آلمني ، إيجاز ولكنه غني يحتمل معاني كثيرة . أحياناً

كتاب المرأة المسلمة- لفضيلة الدكتور محمد ر



الإنسان يتخاصم مع سمان بجانبه ، يحلف يميناً ألا يشتري من عنده ، ثم يأتيه ضيف بعد أسبوعين ويريد كبريت ، والسمان فاتح ، والمحل بعيد جداً ، تقع بحرج ، إذا خاصمت السمان جارك قل له : والله أحزنتني ، إذا قلت له : أحزنتني فقط واضطررت أن تذهب إليه مرة ثانية ، لا يصير شيئاً ، لا احتقرك ، ولا تحداك ، أما إذا قلت له : والله لن أشتري منك بعد الآن ، وكنت مضطراً فتوقفت عنه تقع بحرج كبير .

الإنسان كلما ازداد عقله لا يحلف أيماناً ، ولا يحدد عقوبات ، ولا يقيد نفسه ، أنت حر ابق حراً . أنا ألاحظ أن معظم الكلمات تأتي من كلمة مرتجلة غير مدروسة ، لذلك يتمنى سيدنا عمر أن تكون له رقبة مثل رقبة الجمل ، الكلمة قبل أن ينطق بها تمشي مسافة طويلة ، يدرسها وهي تمشي ، تُحكى ، أو لا تحكى ، تجوز أم ما تجوز ، هناك كلمة تهد علاقة ، تفصم علاقة كبيرة ، تفصم شركة ، كلمة واحدة ، هناك كلمة تطلق .

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

[سورة البقرة: ٢٦٩]

كل إنسان مأمور بالإحسان :

ولا تنسوا أن الله عز وجل يأمرنا جميعاً قال :

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾

[سورة البقرة: ٨٣]

أنت مأمور . أكثر الناس يظنون أن الأوامر هي الصلاة والصوم والحج والزكاة مع أنك لو دققت في كتاب الله لوجدت أن أي أمر في كتاب الله يقتضي الوجوب .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾

[سورة النحل الآية : ٩٠]

أنت لست مخيراً ، أنت مأمور بالإحسان ؛ أخي ليس له حق عندي ، نعم ليس له حق عندك ، هذا عدل ، والإحسان ؟ له حق عندك بالإحسان . رجل طلق زوجته لأسباب قاهرة ، عاهد نفسه أن يقدم لها معاشاً شهرياً ما امتد به العمر ، لم يقصر ولا شهر ، يطرق الباب هذا المبلغ يكفيها ، الطلاق كان لأسباب مشروعة وقاهرة ، هذا إحسان ، أنت مأمور به. لذلك في بعض الآيات القرآنية تقول : حقاً على المحسنين ، حقاً على المتقين .

الآن إذا إنسان من أهل الكرم ، من أهل الجود ، وشخص أكرمك كنت في مدينة وضيفك ، وأكرمك ، ونمت عنده ليلتين ، رجع هذا الشخص المضيف فزارك في بلدك ، له عليك بالقضاء حق أن ينام عندك ، له عليك في القضاء حق أن تعشيه ، لكنك أنت كإنسان كريم تجد أنك مدين له ، ولا بد من أن تقابله على ضيافته بضيافة أكبر ، هذا حق على المحسن ، حق على المتقي ، حق على المؤمن ، فالإنسان لا يقول : ليس له عندي حق ، أنت كمؤمن عندك حق كبير ، له عندك حق الإحسان ، ولو لم يكن له عندك حق ثابت ، هذه الآية تحل مليون مشكلة ، وما من إنسان يصلي الجمعة في المسجد إلا ويقرؤها الخطيب قبل أن ينزل :

﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾

[سورة النحل الآية : ٩٠]

والقصة المشهورة قلتها لكم سابقاً ، الذي وجد زوجته حاملاً ليس منه ، فسترها وأكرمها ، وجعلها زوجة طيبة ، إمام المسجد المجاور رأى في المنام رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول له : قل لجارك فلان إنه رفيقي في الجنة .

يستطيع أن يطلقها ، من حقه ، لأنها أتت فاحشة ، يستطيع أن يفضحها ، لكنه قبلها ، وجبر خاطرها ، فقال له : إنه رفيقي في الجنة . لا تعاملوا الناس على العدل عاملوهم على الإحسان ، أنت أدِّ ما عليك ، والناس يفعلون ما يشاؤون ، إن قدموا لك حقك لابأس ، وإن لم يقدموا فالله يعرف من المحسن . لذلك في حديث كلما أذكره يقشعر بدني ، قال عليه الصلاة والسلام :

((اصنع المعروف إلى من هو أهله ، وإلى غير أهله ، فإن أصبت أهله أصبت أهله، وإن لم تصب أهله كنت أنت أهله))

[ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه إلى الخطيب]

أنت تتمتع به ، العمل الطيب فيه سعادة كبرى ، لا يعلمها إلا من ذاقها .

٣ ـ خدمة المرأة زوجها :

والحق الثالث الذي للزوج على الزوجة خدمة المرأة زوجها ، أساس العلاقة بين الزوج وزوجته هي المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات ،


خدمة المرأة زوجها حق للزوج

وأصل ذلك في قوله تعالى: ، انظر إلى الآية ما أدقها :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة البقرة : ٢٢٨]

أي أنت تريد من زوجتك أن تتزين لك ، هذا حقك ، ولها حق مشابه .

((اغسلوا ثيابكم، وخذوا من شعوركم واستاكوا، وتنظفوا فإن بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم))

[ابن عساكر عن عبد الله بن ميمون القداح]

إن كان لك عليها هذا الحق ، فلها عليك مثل هذا الحق ، ربنا عز وجل يقول :

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة البقرة :٢٢٨]

بالمعروف أي المألوف ، بيت معقول خدمته ، أما أحياناً تأتي الكنة إلى بيت ثماني غرف وصالون ، الكل يرتاحون ، وعليها المسح والجلي والطبخ والعزائم ، هذا شيء فوق طاقتها ، أما بيت مؤلف من غرفتين وصالون ، بيت معقول خدمته وطبخه ، أما تطبخ لعشرة أشخاص فهناك أشخاص ليس عندهم إنصاف ، هذه كنة .

الدرجة هي القيادة فقط ، أنا أشبهها بالرتب العسكرية ، مثل عميد ولواء ، درجة واحدة بينهما ، لكن ليس مجنداً ولواء . درجة واحدة ، هذا له رتبة ، وهذا له رتبة ، هذا له معاش ضخم ، وهذا له معاش ضخم ، هذا له مكتب فخم ، وهذا له مكتب فخم ، لكن هذا آمر هذا ، هذا قائد اللواء ، هذا معاون قائد اللواء . فإذا صحّ أن يطرح هذا المثل في البيت المرأة لها حقوق مشابهة لحقوق الزوج ، وعليها واجبات مشابهة لواجبات الزواج ، وله عليها درجة واحدة ، فالآية تعطي المرأة من الحقوق مثل ما للرجل عليها ، فكلما طولبت المرأة بحق طولب الرجل بمثله . فكأن النبي الكريم استنباطاً من قوله تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٣]



من مهام الزوج تأمين احتياجات الأسرة

هذه أصل من أصول النظام الاجتماعي، المرأة متفرغة لخدمة زوجها وأولادها والزوج متفرغ لتأمين نفقات هذه الأسرة وحسن قيادتها . لذلك

كتاب المرأة المسلمة- لفضيلة الدكتور محمد ر

في المجتمعات المستهترة المنحل خلقياً ، أرقى مرتبة تنالها امرأة أن يُكتب على هويتها سيدة منزل ، أي متفرغة لتربية الأولاد ، الطيار إذا جلس في غرفته يكون محصوراً ، هذا مكانه الطبيعي مكان القيادة ، فلما المرأة تخرج من بيتها من أجل أن تقوم بأعمال مشابهة للرجل ضاع البيت وضاع الأولاد ، ولما الرجل يكون باله مشوشاً ، مضطرباً ؛ هل حضر ابنه أم لم يحضر ؟ فتح الباب ، دخل مع رفيقه إلى البيت ، صنعوا شيئاً ، مشوش . لا ينتج ، حتى الرجل ينتج إنتاجاً مضاعفاً ، وحتى المرأة تكون مصونة ، الأصل الذي جاء به القرآن الكريم :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٣]

ولا يخطر في بال أحدكم أن هذه الآية موجهة لنساء النبي فقط إن كن مأمورات بأن يقررن في بيوتهن ، فنساء المؤمنين من باب أولى أن يقررن في بيوتهن .

بعض الأحاديث الشريفة في توزيع العمل في البيت :

وهناك بعض الأحاديث الشريفة في توزيع العمل في البيت ، وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين علي كرم الله وجهه وبين فاطمة رضي الله عنها ، فجعل على فاطمة خدمة البيت ، وجعل على علي العمل والكسب ، لا يوجد أحد ابنته أشرف من السيدة فاطمة ، أي صهره وابنته حكم على فاطمة بخدمة البيت ، وحكم على علي بالكسب والعمل ، هذا توزيع النبي الكريم . وقد روى البخاري ومسلم أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي صلى الله عليه سلم تشكوا إليه ما تلقى في يديها من الألم وتسأله خادمة ، فقال: " ألا أدلكم على ما هو خير لكما مما سألتما ؟ إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا الله ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم "

كأن النبي ما أحب أن يكون الإنسان عنده خادم في البيت ليس ما أحب للمؤمنين ، بل ما أحبها لابنته ، لو أعطى إشارة يأتيها مئة خادم ، مئة إنسان يخدمونها ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحب ذلك ، الإنسان يخدم نفسه ، ويكون أكثر تواضعاً ، وأكثر إرضاءً لله عز وجل ، وإن الله يكره العبد أن يُرى متميزاً على أقرانه ، منظر غير مقبول ، إنسان مرتاح والثاني يعمل ، أما الزوج فليس مرتاحاً و هو تعب جداً ، وهناك كل هم يهد جبلاً ، قد يكون عمل البيت أشق ، مسح ، جلي ، غسيل ، يجوز الرجل ذهب إلى المكتب ثلاث ساعات يوجد عنده هموم ، كل هم يجعله يفكر ، خمس ساعات في المكتب ، عليه دفع ولا يوجد بيع ، وسندات مستحقة ماذا يعمل ؟ تقول له : أنت لا تعمل شيئاً في المكتب ، جالس مرتاح ، لا ليس مرتاحاً . أحياناً الأعمال المادية أخف من الأعمال التي تصيب الهم في الإنسان .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت: " كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله – أسماء بنت أبي بكر زوجة الزبير بن العوام حواري رسول الله ، وعبد الله بن الزبير ابنها ، هذا الطفل الصغير الذي مر به سيدنا عمر في الطريق ورأى غلمان كثيرين فلما رأوه تفرقوا لهيبته إلا عبد الله بن الزبير بقي واقفاً في مكانه ، فلما حاذاه عمر قال له: يا غلام لمَ لم تهرب مع من هرب ؟ قال : أيها الأمير لست ظالماً فأخشى ظلمك ، ولست مذنباً فأخشى عقابك ، والطريق يسعني ويسعك– هذا عبد الله بن الزبير . وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت: " كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله وكان له فرس فكنت أسوسه وكنت أحش له ، وأقوم عليه ، وكانت تعلفه ، وتسقي الماء ، وتخرج الدلو ، وتعجن ، وتنقل النوى على رأسها من أرض له على ثلثي فرسخ "

تقوم بخدمة شاقة لها أجر كبير . ففي هذين الحديثين ما يفيد بأن على المرأة أن تقوم بخدمة بيتها كما أن على الرجل أن يقوم بالإنفاق عليها . وقد شكت السيدة فاطمة رضي الله عنها ، هذه التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم قال : " فاطمة بضعة مني ، من أكرمها فقد أكرمني ، ومن أغضبها فقد أغضبني "

وكل أب إذا عنده ابنة يشعر هذا الشعور نفسه ، أي لا يوجد أغلى من البنت، لذلك الزوج إذا كان مخلصاً ، إذا كان مستقيماً ، إذا أكرم الزوجة ، فله مكانة عند الأب قد تزيد عن أولاده . الصهر غال .

شكت السيدة فاطمة رضي الله عنها ما كانت تلقاه من خدمة ، فلم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم لا خدمة عليها ، وإنما هي عليك . شكت له فما تكلم ولا كلمة ، عليها الخدمة . قال ابن القيم: " وهذا أمر لا ريب فيه "، لا يصح التفريق بين شريفة ودنيئة وفقيرة وغنية ، فهذه أشرف نساء العالمين كانت تخدم زوجها .

أنا والله ابنتي لا تخدم أحداً ، احضر لها خادمة ، من ابنتك ؟ أشرف من السيدة فاطمة ؟ لا . من أنت ؟ أعظم من رسول الله ؟ لا . هو رسول الله ، أبوها وهي ابنته ، وكانت تخدم زوجها . يقول له : احضر لها جلاية ، كيف كان أجدادنا يعيشون ؟ جاءت الرسول صلى الله عليه وسلم تشكو الخدمة فلم يشكها ، أي لم يسمع منها ، دعواها مشطوبة ، غير مقبولة .

٤ ـ تجاوز الصدق بين الزوجين :

آخر موضوع : تجاوز الصدق بين الزوجين ، العنوان قد يثير التباساً أي يكذبون على بعضهما ؟ لا . ولكن اسمعوا أي صدق يجب أن نتجاوزه بين الزوجين .

روي عن ابن أبي عذرة الدؤلي أيام خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن ، فثارت له في النساء في ذلك أحدوثة يكرهها ، فلما علم بذلك أخذ بيد

عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لامرأته : أنشدك بالله هل تبغضينني – تكرهيني – قالت : لا تنشدني بالله – لا تحرجني – قال : فإنما أنشدك بالله ، قالت: نعم . فقال لابن الأرقم: أتسمع ؟ انطلق بنا إلى عمر بن الخطاب . فقال لعمر : إنكم تتحدثون أني أظلم النساء وأخلعهن فاسأل ابن الأرقم ، فسأله فأخبره فأرسل إلى هذه المرأة وقال : أنت قلت إنك تبغضين زوجك ؟ قالت: إني أول من تاب ، إنه ناشدني – أي حلفني بالله– فتحرجت أن أكذب ، أأكذب يا أمير المؤمنين ؟ – أقول أحبه وأنا لا أحبه – قال: نعم تكذبين .

ليس هذا هو الصدق ، أحياناً يكون الزوج كريماً ، ميسور الحال ، أخلاقه عالية، مؤمن ، فيه علة بخَلقه يسأل زوجته أتحبينني ؟ لا أحبك ، هذا ليس صدقاً ، هذه وقاحة . . قالت : أأكذب ، قال: نعم تكذبين .

والعكس أحياناً يكون ، أي نصيبه ، ليست كاملة ، فيها مجموعة علل ، كيف تراني ؟ يقول لها : والله الحمد لله ، أنا مسرور منك كثيراً . أنت تكذب بهذا الكلام ، هذا الكذب يحبه الله ، هذا الكذب يرضاه الله عز وجل ، هذا الكذب أنت مأمور به ، هناك أزواج سبحان الله ما عندهم حكمة ، لو كنت مثل فلانة . أذهب لها كل معنوياتها ، رأته لا يحبها ، فلما دخل إلى البيت ليست لابسة ، يائسة ، لا يوجد أمل ، أزالت اسمك من القائمة ، أما المؤمن فلا يتكلم هذا الكلام ، الحمد لله أكرمني الله بك ، لا يوجد أحسن منك ، أنت أنسب واحدة لي ، هذا الموضوع دقيق جداً .

((قالت: أأكذب يا أمير المؤمنين ؟ قال: نعم تكذبين ، فإن كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك ، فإن أقل البيوت الذي يُبنى على الحب))

كلمة بيت ، ليس هناك بيت واحد مبني على حب صاعق ، أي حب مجنون ليلى، البيت مبني على التعامل بالإسلام ، على الإيمان ، على الرضا بقضاء الله ، على الرضا بما قسمه الله لك من زوجة وهي كذلك ، الكلام دقيق : " فإن أقل البيت الذي يُبنى على الحب ، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب "

هناك بنت أصل ، وهناك ابن أصل ، لا يكسر خاطرها ، وبنت الأصل لا تذم زوجها ، هذا نصيبها . زوجك صحته زيادة ، قولي له أن يخفف وزنه . ما هذا الكلام ؟ أتكرهها فيه ؟ هناك أشخاص كثيرون كلامهم ثقيل ، فإن أقل البيت الذي يُبنى على الحب ، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب .

كل إنسان يعمل بأصله ، الأصيل لا يحرج امرأته ، لا يحمر وجهها ، لا يخجلها، لا ييئسها منه ، وبنت الأصل لا تذم زوجها ، هذا الحديث دقيق جداً ، وله آثار كبيرة، مسموح للزوج أن يكذب

على زوجته تقرباً لها ، تطييباً لقلبها ، ومسموح للزوجة أن تكذب على زوجها تطييباً لقلبه وإكراماً له .

وفي درس قادم إن شاء الله تعالى نتحدث عن إمساك الزوجة بمنزل الزوجية، وعن الانتقال بالزوجة أي السفر بها ، ومنع الزوجة من العمل ، وخروج المرأة لطلب العلم، وتأديب الزوجة عند النشوز ، وتزين المرأة لزوجها ، هذه كلها موضوعات الدروس القادمة إن شاء الله تعالى .

***

أحاديث تبدأ بإنما :

الحديث الأول الاستئذان من أجل النظر :

والآن إلى بعض الأحاديث الشريفة : لأن أحاديث كثيرة تبدأ بكلمة إنما . أي إذا قلت : إنما شوقي شاعر . إذا قلت : شوقي شاعر ماذا تعني باللغة ؟ المعنى الدقيق لها أنه شاعر ، هل يمنع أن يكون كاتباً ؟ لا ، هل يمنع أن يكون حقوقياً ؟ لا كان هو حقوقياً ، هل يمنع أن يكون مثلاً تاجراً؟ لا . إذا قلت : شوقي شاعر معناها شاعر ، ولا يمنع أن يكون أديباً ، أو كاتباً ، أو قصصياً ، أو محامياً . إذا قلت : إنما شوقي شاعر . اختلف الوضع شاعر فقط ، أي حصرنا شوقي بالشعر ، إذا قلنا : الشاعر شوقي . عكسناها ، أيضاً شوقي شاعر . أما إذا قلنا : إنما الشاعر شوقي ، أي لا شاعر غيره . فكلما وجدنا كلمة إنما تعني أداة حصر وقصر فمثلاً :

﴿ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[سورة فاطر: ٢٨]

معناها العلماء وحدهم يخشون الله ، إذا قلنا : العلماء يخشون الله ، لا تمنع أن يخشى الله بعض الجهال ، قلنا : العلماء يخشون الله لا يمنع أن يخشى الله غير العلماء ، أما إذا قلنا : إنما يخشى الله من عباده العلماء أي العلماء وحدهم ولا أحد سواهم يخشى الله .

هذا هو القصر .

((سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ فَقَالَ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ))

[متفق عليه عن سهل بن سعد]



إذاً ما حكمة يا الله ؟ ما حكمة طرق الباب ؟ لو إنسان باب صديقه مفتوح أله حق أن يدخل فوراً ؟ لا يجوز ، إذاً ما العلة ؟ النظر ، لما ينظر الإنسان إلى زوجة صديقه فقد أتى إثماً كبيراً ، الإنسان في بيته حر ، يتحلل من الثياب أحياناً ، يتبذل في بيته ، المرأة تطبخ ، تجلي ، تغسل ، تلبس لباساً خفيفاً ، ألبسة غير سابلة ، حرة في بيتها مادام بيتها غير مكشوف مستور . فلما يكون الاستئذان موجوداً معناها من أجل البصر .

هناك أشخاص كثيرون ، يدخلون إلى غرفة في المستشفى ، أخي نريد أن نزور صديقنا ، إذاً صديقك زوجته عنده ، يجب أن تطرق الباب ، أخي هنا مستشفى ؟ أيضاً يجب أن تستأذن ، أينما كنت يجب أن تستأذن . . السلام عليكم أأدخل ؟ السلام عليكم أأدخل ؟ فإن قيل لك ادخل تدخل وإلا انتظر ، وإلا انصرف . إنما جعل الاستئذان من أجل البصر ، حتى لا تقع عينك على امرأة لا تحل لك . لكن علماء الحديث وسعوا هذا الحديث ، قال: ليس من أجل المرأة فقط حتى من أجل الرجل .

الإنسان أحياناً يكون في بيته جالس بقميص شيال مثلاً ، ليس مؤاخذاً ، هو في بيته أو بمحل مثلاً، وبالمحل له غرفة داخلية يعزل المحل ، متخفف من ثيابه ، يجب أن تطرق الباب ، لو كان المستودع داخلياً ، انقر نقرتين على الباب ، أنا فلان ، لو كان رجلاً ، طبعاً المرأة أشد إثماً ، وأكثر حرجاً ، وأكثر إيلاماً للزوج أن يراها الأجنبي ولكن لا يمنع هذا أن يكون من أجل الزوج أيضاً .

((إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ))

[متفق عليه عن سهل بن سعد]

لذلك علمنا عليه الصلاة والسلام أن إذا طرقنا باباً أن نعطي ظهورنا للباب أولاً وأن نقف بإزاء المصراع الثابت ، في مصراع متحرك ومصراع ثابت ، أول شيء نعطي ظهرنا للباب وفي

حذاء المصراع الثابت ، هناك أشخاص يقفون مواجه الباب ، وعلى الباب المتحرك ، يُفتح الباب فيرى داخل البيت . هكذا أدبنا عليه الصلاة والسلام .

الحديث الثاني إنما الدّين النصح :

حديث آخر وأخير : يقول عليه الصلاة والسلام :

((إنما الدين النصح))

[أبو الشيخ الأصبهاني عن ابن عمر]

تنصح زبائنك ، أما إن كنت لا تنصحهم فلست ديناً ، ولو كنت تصلي مئة ركعة كل يوم ، وعامل ثلاثاً وعشرين عمرة ، خير إن شاء الله ، و حاجج ثماني مرات ، و تصوم اثنين وخميس ، وعاشوراء ، ونصف شعبان ، وسبع وعشرين من رجب ، وتصلي قيام الليل، والأوابين ، والضحى ، و لكنك لا تنصح زبائنك لست ديناً . .


لابد للبائع أن يكون ناصحا للزبون

((إنما الدين النصح))

يجب أن تنصح زبونك ، وكأن الحاجة لك هل تأخذها أنت ؟ أنا لا آخذها ، ولكنها رخيصة ، هذه فيها عيب .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي ﴾

[سورة النور: ٥٥]

لما فهموا الدين النصح فتحوا العالم ، ولما فهمناه صوماً وصلاة وحجاً وزكاة فقط تلك الله يعفو عنا ، يقول لك : أخي الله يسامحنا نحن عبيد إحسان ولسنا عبيد امتحان ، يقول لك: الله قال :

﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾

[سورة يوسف: ٥٣]

يتكلم لك بكلام من القرآن ، يفعل ما يشاء ، يغش ، ويكذب ، ويغير الحقائق ، أما عندما يؤذن الظهر ، يقول : أخي بالإذن أريد أن أصلي ، ما هذه الصلاة ؟ إن راحت أو ما راحت الصلاة مثل بعضها ،لما تغش الناس بمصالحهم ، وتكذب عليهم.

أحياناً عامل البلور يضع للبلور مسماراً في كل جهة فقط ، أحياناً يضرب الباب ضربة قوية فينكسر البلور ، ثمنه خمسون ليرة . حتى يوفر دقيقة واحدة دفعك خمسين ليرة ، ويصلي ، والله قال لي أخ عن دهانين شركاء ، أحدهما له لحية ، والصلاة بالجامع ، والله شيء جميل ، أنعم بها وأنعم به ، ولكن صاحب البيت قال لهم : أنا مشغول ، وهذا المفتاح دهنوا البيت ، أنا واثق بكم . الشريك الأول ليس له مظهر ديني ولكنه ورع ، قال له: هناك هاتف بهذا البيت إذا لزمني أن أخبر زوجتي هل عندك مانع ؟ قال: لا والله مسامح ، خبر على حسابك بقدر ما تريد . الثاني الذي له لحية خبر مخابرة إلى السعودية ، فيها ثلاثمئة وخمس وخمسون ليرة ، قال : أما هو فقال لنا خبروا ، أهو قال لك خبر مخابرة خارجية ؟ قال: خبر مخابرة داخلية سمح لك ، قال له : أريد أن أقول له ، قال : لا تقل له ما فيها شيء . فكوا الشركة من هذا العمل ، قال له: أنت لست إنساناً مستقيماً ، إذا أنت زيك ديني ، والفاتورة جاءت ثلاثمئة وخمس وخمسين ، ماذا يقول على دينك ؟ أهكذا المسلم ؟ غدار ؟ . دهنت البيت أخذت أجرة مضاعفة بهذه الطريقة .

فأنا قناعتي أن الدين بالاستقامة ليس بالمظهر ، مع أن المظهر أنعم به وأكرم ، أنا أحترم المظهر، ليس معناها أنا أطعن بالمظهر لكن مظهراً من دون مخبر ليس له قيمة . كان هناك طفل بسوق الحميدية أصلحه الله وهداه ، يكنس المحل ، يجمع الغبار ، يحضر علبة جرابات ثقيلة ، يضعهم فيها ويلفهم بورق هدايا ، و شريطة حمراء ثم يضعها على الرصيف. يأتي رجل يراها يظنها واقعة من شخص يأخذها وينظر حوله هل أحد يراه ؟ . ثم يتبعه ، وعندما يبعد مئتي متر ويفك الشريطة الحمراء و يفتح العلبة يراها وسخاً .

هناك شخص تراه ، مظهره فخم جداً ، افتحه تراه أعوذ بالله ، غشاش ، آكل مال حرام ، لا يؤتمن ، كذاب . الدين مخبراً وليس مظهراً .

((إنما الدين النصح))

هناك أحاديث بروايات أخرى :

((إِنّمَا الدّينُ النّصِيحَةُ قَالُوا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ لِلّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامّتِهِمْ))

[مسلم والنسائي وأبو داود وأحمد عن تميم الداري]

***

على الإنسان أن يكون مستقيماً ورعاً و صادقاً :

والآن إلى قصة صحابي جليل رضوان الله عليه : غريب لو قرأت النصوص القديمة ، قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي: " كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، ونقطع الرحم ، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف صدقه ، ونسبه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا إلى الله لنعبده ، ونوحده، وندع ما يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار " لم يتكلم عن الصلاة ، هذه الصلاة وسيلة ليست غاية ، الغاية أن تكون إنساناً شريفاً ، مؤتمناً ، صادقاً ، ورعاً لذلك :

((ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط))

[الجامع الصغير عن أنس]

((من لم يكن له ورعٌ يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله تعالى بسائر عمله))

[مسند الشهاب عن أنس بن مالك]

لذلك قال تعالى :

﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾

[سورة الكهف من الآية ١٠٥]

هؤلاء الذين يعصون الله في السر ، ويعبدونه في العلانية لا شأن لهم عند الله .

أبو طلحة الأنصاري :

ضيفنا اليوم الصحابي الجليل أبو طلحة الأنصاري ، وله قصة مثيرة عرف زيد ابن سهل النجاري المكنّى بأبي طلحة أن الرميصاء بنت ملحان النجارية المكناة بأم سليم قد غدت أيماً ، أي مات زوجها فاستطار فرحاً بهذا الخبر ، ولا غرو ، فقد كانت أم سليم سيدة حصاناً رزاناً ، راجحة العقل ، مكتملة الصفاة . يظهر أنها إنسانة ممتازة ، درجة أولى كمالاً وصلاحاً ، كمال في العقل ، وصلاح في الشكل .

فعزم على أن يبادر إلى خطبتها قبل أن يسبقه إليها أحد من الذين يسعون إلى أمثالها من النساء ، وكان أبو طلحة على ثقة من أن أم سليم لن تؤثر عليه أحداً من طالبها – كان واثقاً من نفسه ، يظهر أنه من وجهاء المدينة ، ومن أغنيائها – فهو رجل مكتمل الرجولة، مرموق المنزلة ، طائل الثروة ، وهو إلى ذلك فارس وأحد رماة يثرب المعدودين .

مضى أبو طلحة إلى بيت أم سليم ، وفيما هو في بعض طريقه تذكر أن أم سليم قد سمعت من كلام هذا الداعي المكي مصعب بن عمير فآمنت بمحمد واتبعت دينه . هو في الطريق قال لنفسه: لكنها أسلمت أي هذا شيء كأنه عيب صار فيها .

سيدنا رسول الله قبل أن يهاجر بعث إلى المدينة مصعب بن عمير يدعو إلى الدين الجديد ، وآمن من آمن من الأنصار مع هذا الصحابي الجليل قبل أن يأتي النبي إلى المدينة . لكنه ما لبث أن قال في نفسه : وما في ذلك عناء ، ألم يكن زوجها الذي توفي عنها مستمسكاً بدين آبائه ، نائياً بجانبه عن محمد ودعوته ؟

بلغ أبو طلحة منزل أم سليم ، واستأذن عليها ، فأذنت له وكان ابنها أنس حاضراً فعرض نفسه عليها ، فقالت: إن مثلك يا أبا طلحة لا يُرد ، لكني لن أتزوجك وأنت كافر – انظروا دقة الكلام ، كلام مثل الرياضيات – لم تقل لن أتزوجك لأنك كافر . لا ، وأنت كافر معناها إذا آمنت أتزوجك، الواو الحالية ، لن أتزوجك على هذه الحال ، إعراب الجملة حالية والواو واو الحال . لن أتزوجك وأنت رجل كافر . فظن أبو طلحة أن أم سليم تتعلل عليه بذلك أي هذه حجة غير صحيحة ، وأنها قد آثرت عليه رجلاً آخر أكثر منه مالاً وأعز نفراً . فقال لها: والله ما هذا الذي يمنعك مني يا أم سليم . قالت: وما الذي يمنعني إذاً ؟

قال: الأصفر والأبيض – العوام يقولون : والله لا أخذنا منه لا أصفر ولا أبيض . أي لا فضة ولا ذهب – قالت: الذهب والفضة ؟ قال: نعم . قالت: بل إني أشهدك يا أبا طلحة ، وأشهد الله ورسوله ، أنك إن أسلمت رضيت بك زوجاً من غير ذهب ولا فضة ، وجعلت إسلامك لي مهراً، حتى أؤكد لك أن سبب رفضي أنك كافر ، لو أسلمت لرضيت بإسلامك مهراً لي .

فما إن سمع أبو طلحة كلام أم سليم حتى انصرف ذهنه إلى صنمه الذي اتخذه من نفيس الخشب ، وخصّ به نفسه كما كان يفعل السادة من قومه ، لكن أم سليم أرادت أن تطرق الحديد وهو ما زال حامياً – كما يقولون – فقالت له : ألست تعلم يا أبا طلحة أن إلهك الذي تعبده من دون الله قد

نبت من الأرض ؟ قال: بلى . قالت: أفلا تشعر بالخجل وأنت تعبد هذا الجذع من الشجرة ؟ جعلت بعضه إلهاً بينما جعل غيرك بعضه الآخر وقوداً يصطلي به ، شجرة قسم صنعته أنت إلهاً وقسم جعله غيرك حطباً، إنك إن أسلمت يا أبا طلحة رضيت بك زوجاً ، ولا أريد منك صداقاً غير الإسلام ، قال: ومن لي بالإسلام ؟ قالت: أنا لك به ، قال: وكيف ؟ قالت: تنطق بكلمة الحق، فتشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ثم تمضي إلى بيتك فتحطم صنمك ، ثم ترمي به .

فانطلقت أسارير أبي طلحة وقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله أي الله أعلم فرح بها زوجة فأسلم ، ثم تزوج من أم سليم ، فكان المسلمون يقولون ما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم . أكرم مهراً ، فقد جعلت صداقها الإسلام .

جهاد و جود أبي طلحة الأنصاري :

منذ ذلك اليوم انضوى أبو طلحة تحت لواء الإسلام ، ووضع طاقاته الفذة كلها في خدمته ، فكان أحد السبعين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة ، ومعه زوجه أم سليم ، وكان أحد النقباء الاثني عشر الذين أمّرهم النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة على مسلمي يثرب – جعله أميراً– ثم إنه شهد مع رسول الله مغازيه كلها ، أي بدر ، وأحد ، والخندق ، وأبلى فيها أشرف البلاء وأعزه ، لكن أعظم أيام أبي طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو يوم أحد . وهاكم خبر ذلك اليوم .

أحب أبو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً خالط شغاف قلبه ، وجرى مجرى الدم من عروقه ، فكان لا يشبع من النظر إليه ، ولا يرتوي من الاستماع إلى عذب حديثه ، وكان إذا بقي معه جثا بين يديه وقال له: نفسي لنفسك الفداء ، ووجهي لوجهك الوقاء، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون عن رسول الله فنفذ إليه المشركون من كل جانب ، حتى إن المرجفين أرجفوا بأن محمداً صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فازداد المسلمون وهناً على وهن وأعطوا ظهورهم لأعداء الله ، عند ذلك لم يثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير نفر قليل في طليعتهم أبو طلحة ، قالوا : انتصب أبو طلحة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم كالطود الراسخ بينما وقف النبي عليه الصلاة والسلام خلفه يتترس به ، أي جعل نفسه ترساً لرسول الله .

ثم وتر أبو طلحة قوسه التي لا تفل ، وركب عليها سهامه التي لا تخيب ، وجعل – هو أحد الرماة الكبار ، بالأساس كان رامياً من رماة معدودين – وجعل يذود بها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرمي جنود المشركين واحداً إثر واحد ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتطاول من خلف أبي طلحة ليرى مواقع سهامه ، فكان يرده خوفاً عليه ويقول له: بأبي أنت وأمي لا

تشرف عليهم فيصيبوك . رسول الله أحب أن يرى السهام ما مصيرها ، هل تصيب ؟ وكان عليه رضوان الله يقول : إن نحري دون نحرك ، وصدري دون صدرك ، جُعلت فداك يا رسول الله ، وكان الرجل من جند المسلمين يمر برسول الله ومعه الجعبة من السهام ، فيميل عليه النبي ويقول له : انثر سهامك بين يدي أبي طلحة ولا تمض بها .

ولا زال أبو طلحة ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كسر ثلاثة أقواس ، وقتل ما شاء أن يقتل من جنود المشركين ، ثم انجلت المعركة ، وسلم الله نبيه وصانه بصونه . أي هذا موقف لا يُقدر بثمن ، أن جعل من نفسه ترساً لرسول الله وقال: نفسي دون نفسك ، ونحري دون نحرك ، جعلت فداك . كما كان جواداً بنفسه في سبيل الله ، وفي ساعات البأس كان أكثر جهاداً بماله في مواقف البذل ، من ذلك أنه كان له بستان ، من نخيل وأعناب لم تعرف يثرب بستاناً أعظم منه شجراً ، ولا أطيب ثمراً ، ولا أعذب ماءً ، وفيما كان أبو طلحة يصلي تحت أفيائه الظليلة أثار انتباهه طائر غرد ، أخضر اللون ، أحمر المنقار ، مخضب الرجلين . طائر جميل جداً وهو يصلي نظر إليه . وقد جعل يتواثب على أفنان – الأفنان : الأغصان – الأشجار طرباً مغرداً متراقصاً ، فأعجبه منظره ، وسبح بفكره معه ، ثم ما لبث أن رجع إلى نفسه فإذا هو لا يذكر كم صلى . كم ركعة ، اثنتان أم ثلاث ، لا يدري ، فما إن فرغ من صلاته حتى غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا له نفسه التي صرفها البستان ، وشجره الوارف ، وطيره الغرد عن صلاته ثم قال : اشهد يا رسول الله أنني جعلت هذا البستان صدقة لله تعالى ، لأنه شغله عن الصلاة ، هل أحدنا إذا رأى شيئاً في البيت وأعجبه وما عرف كم ركعة صلى ، أيقدمه لله هدية جزاءً عن شروده في الصلاة ؟ بستان واسع فيه أشجار مثمرة ، فيه خيرات ، لأنه شغله عن صلاته قدمه هدية لله عز وجل ، لشدة حرصه على الصلاة .

يروون أن سيدنا رسول الله علمنا ، أهديت له بردة يمانية ، فصلى بها ركعتين ثم خلعها ، فقال : خذوها عني كادت تفتنني عن صلاتي ، أي بعضهم يقولون تعليماً لنا : الإنسان إذا التفت لغير الله في الصلاة كأنه ما صلى .

خروج أبي طلحة للغزو و موته في عِرض البحر :

المسلمون عزموا على غزوة في البحر في خلافة عثمان بن عفان ، أول غزوة في البحر . إذا ذهبت إلى قبرص ترى جوامع في مدن قبرص كلها ، هذه الجوامع بفضل سيدنا عثمان رضي الله عنه الذي فتحها بحراً .

فأخذ أبو طلحة يعد نفسه للخروج مع جيش المسلمين فقال له أبناؤه : يرحمك الله يا أبانا لقد صرت شيخاً كبيراً ، وقد غزوت مع رسول الله ، وأبي بكر ، وعمر ، لم تفتك غزوة واحدة ، بدر وأحد والخندق ومؤتة ، والغزوات كلها ، وحنين ، ومع سيدنا الصديق ، حرب المرتدين ،

وفتوح الشام ، والقادسية ، واليرموك ، ومع سيدنا عمر . يكفيك ، تقاعد . لا يوجد تقاعد في الجهاد ، يرحمك الله يا أبانا ، لقد صرت شيخاً كبيراً – بالمناسبة لا شيخوخة في الإسلام المسلم لا يشيخ أبداً ، عمره النفسي سبعة عشر ، ثمانية عشر دائماً ، أما عمره الزمني فيصير خمساً وثمانين ممكن ، يشيخ جسمه ولا تشيخ نفسه – فهلا ركنت إلى الراحة وتركتنا نغزو عنك ، نحن أولادك ، نيابة عنك .

فقال: إن الله عز وجل يقول – اسمعوا كيف فهموا كلام ربنا عز وجل :

﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[سورة التوبة: ٤١]

انظروا فهمه الدقيق لهذه الآية ، ما معنى خفافاً ، الشاب خفيف ، الطفل إن صعد الدرج يصعد خمس درجات معاً ، وإن نزل على الدرابزين ينزل زحفاً ، بدقيقة يصبح تحت ، خفيف ، أما انظر الإنسان في الثلاثين درجة درجة ، بالسبعين بالثمانين ، يضع رجله على الدرجة ويسحب الثانية إليها ، ثم يرتاح عشر دقائق ، فربنا عز وجل قال:

﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً ﴾

[سورة التوبة: ٤١]

فهو قد استنفرنا جميعاً شيوخاً وشباناً ، ولم يحدد لنا سناً ، ثم أبى إلا الخروج ، وبينا كان الشيخ المُعَمَّر أبو طلحة – المُعَمَّر يصح ، والمُعمِر يصح ، إذا قلنا : معمَر اسم مفعول عمره الله عز وجل ، إذا قلنا معمِر كان عمره طويلاً – وبينما كان الشيخ المعَمَر أبو طلحة على ظهر السفينة مع جند المسلمين في وسط البحر ، مرض مرضاً شديداً فارق على إثره الحياة ، فطفق المسلمون يبحثون له عن جزيرة ليدفنوه فيها ، فلم يعثروا على مبتغاهم إلا بعد سبعة أيام ، وأبو طلحة مسجى بينهم لم يتغير فيه شيء كأنه نائم . وفي عرض البحر بعيداً عن الأهل والوطن ، نائياً عن العشير والسكن دُفن أبو طلحة ، أغلب الظن بجزر من جزر اليونان ، حول قبرص . وما يضيره بعده عن الناس مادام قريباً من الله عز وجل .

أي إذا إنسان دفن بمدفنة العائلة لها بناء فخم ، ونوافذ عليها حديد ، وشاهدتان من أمام ومن وراء، ويا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، وكان آكل ربا ماذا استفاد ؟ وإذا دُفن بباب صغير أو بالدحداح ، أو وضع له قبر صنعوا له مقاماً . . وإذا رجل كان الله راضياً عنه ودُفن في البحر لا مانع ، وماذا يضيره بعده عن الناس مادام قريباً من الله عز وجل ؟ هذا صحابي جليل أحب أم سليم ، وكيف تزوجها ، وكان مهرها الإسلام ، وكيف أنفق البستان بكامله ، وكيف جاهد ، وكيف وقف موقفاً من رسول الله ، يشهد له التاريخ . رضي الله عنه

وأرضاه أعلى لقب يحوزه إنسان في الدنيا ، لا يوجد معه بورد ، يقول لك: فلان معه بورد ، بالحرب العالمية يقول لك : فلان ماريشال أي أعلى رتبة عسكرية ، أعلى رتبة يحوزها إنسان أن يُقال بعد اسمه رضي الله عنه .

إذا رضي الله عن إنسان فقد سعد في الدنيا والآخرة .

***

الصيام أثناء الامتحان :

جاءني سؤال من أخت كريمة ، تقول : أنا طالبة من طالبات جامعة دمشق فرع الطب أريد فتوى بالنسبة لصيام شهر رمضان المبارك والامتحان على الأبواب ، فهل يجوز لي أن أفطره ؟ لا أستطيع تقديم الامتحان ، ثم أصوم شهراً متتالياً بعد الفحص ، فما حكم ذلك فأنا في حيرة وقلق ؟ طبعاً هذا السؤال ربما يكثر وروده في هذه الأيام ، لأن فحوص الجامعة وفحوص الشهادتين الإعدادية ، والثانوية ، ولم تنج إلى الفحوص الانتقالية من رمضان .
ما سمعت في كتاب الله إجازة للإفطار إلا للمريض أو المسافر فإن كنتم مرضى أو على سفر ، أي المرض والسفر عذران مقبولان عند الله ، لكن اسمعوا ماذا قال الله عن السفر والمرض .

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾

[سورة البقرة :١٨٤]

أي الذي يطيق الصيام في السفر إذا أفطر فعليه فدية ، ليس قضاءً فقط ، قضاء وفدية ، أي إذا رجل ركب طائرة ذهب إلى فرنسا في رمضان ، والطائرة مكيفة ، وجالس على مقعد وثير ، يصير سريراً إذا أحب ، ومن فندق مكيف إلى فندق مكيف ، وأفطر ، لأن الله قال :

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾

[سورة البقرة :١٨٤]

وقال :

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾

من يطيق الصيام مع السفر أو يطيق الصيام مع المرض ؟ أي عنده دسك ، آلام في الظهر ، وآلام في الرجل ، لكن هذا لا علاقة له بالمعدة والطعام والشراب ، والأدوية كلها خارجية ، تسطيح على ظهره ، هذا يطيق الصيام مع المرض إذا أفطر فعليه إضافة إلى القضاء فدية . طعام مسكين ، قال :

﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

إفطار يوم لا يعدله صيام الدهر كله ، لذلك نحن بتوفيق الله عز وجل ننصح الأخت الكريمة ونقول لها كما قال الله عز وجل : وأن تصومي خير لك إن كنت تعلمين ، السبب الامتحان دقيق جداً إذا طالب آثر رضاء الله عز وجل وصام ، هناك مليون طريقة للتوفيق .

أحياناً الله عز وجل يلهم هذا الطالب فيقرأ بحثاً معيناً ، يقول لك : إني أقرأه ، جاء رفيقه ، قال له: البحث قرأته ؟ قال: ما قرأته ؟ فيقول له : اقرأه . في اليوم الثاني جاء في الامتحان سؤال قد يأخذ علامة تامة ، إلهام من الله عز وجل ، هذا شيء بيد الله وحده ، فإذا راقب الله عز وجل إنساناً طالباً أو طالبة يصوم في رمضان ، في شهر الصوم والامتحان في هذا الشهر الله سبحانه وتعالى لا أقول أغلب الظن ، لئلا تجربوا ، الله لا يجرب ولا يُشارط، لكن لا أعتقد طالباً يصوم برمضان ويؤدي امتحاناً ويخفق في امتحانه إلا إذا ترك الأخذ بالأسباب أي ما درس إطلاقاً ، أنا سوف أصوم وأنجح ، لا تنجح بالصوم ، أما إذا درس وعمل جهده وصام برمضان أغلب الظن أن الله سبحانه وتعالى سيوفقه .

بالمناسبة ممكن للطالب برمضان أن ينام العصر بقدر ما يقدر ، يجبر نفسه على الاستلقاء ساعتين أو ثلاث ، حتى يقدر بعد الإفطار إلى السحور أن يبقى يقظاً . إذا سهر من الإفطار إلى السحور وصلى الصبح ونام ساعتين ، استيقظ الساعة الثامنة ، ثم درس بنشاط من الثامنة إلى الساعة الثانية عشرة كاف ، اشرب كمية كافية ، كُلْ أكلاً يقيم أودك ، اعتمد الطعام والشراب ، واسهر طوال الليل ، و نم العصر ، وحاول بالسهرة أن تشرب قدر ما تستطيع ، لعل التفوق يكون في هذا الامتحان في رمضان ، الله عز وجل موجود .

قال النبي الكريم : " إذا استشير أحدكم فليشر ما هو صانع لنفسه "

بعيد عن موضوع فتوى رسمية وكيف الجواب ، ليس هذا عملي إطلاقاً ، لكن أنا لا أفطر ، لو كنت طالباً في رمضان لا أفطر ، وليكن ما يكون ، ولا يكون إلا الخير . ولا يكون إلا النجاح ، هذا الكلام ليس للأخت الكريمة ، لكل طالب في الثانوية أو الكفاءة أو الجامعة ، هذا الجواب للجميع .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية : الحقوق – حق الزوجة على الزوج – الدرس (١ – ٢) : حق الإنفاق عليها وحقها بعدم الإساءة لها وحسن المعاشرة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٩-١٠-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الاصل في العلاقات الزوجية المودة والرحمة


الفراق بين الزوجين تعني التشرد للأولاد

لكن الحياة الزوجية حياة مصيرية، بمعنى ؛ أنك إذا رزقت من هذه الزوجة بأولاد فإن الفراق يعني تشرد الأولاد، فلهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام حريصاً حرصاً لا حدود له على أن يكون الوفاق بين الزوجين تنفيذاً للمخطط الإلهي الذي يبدو من قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(سورة الروم: الآية ٢١)

إن الأصل في العلاقات الزوجية المودة والرحمة، هذا هو التخطيط الإلهي هذا هو الوضع الطبيعي، هذه هي الصحة النفسية بين الزوجين، فلو أن بين الزوجين مشاحنة أو بغضاء، أو جفاء، إن هذا حالة مرضية تقتضي المعالجة.

حرص النبي عليه الصلاة والسلام على سلامة الحياة الزوجية

إن النبي عليه الصلاة والسلام حرصاً منه، وقد أنبأنا الله عز وجل بأنه حريص علينا.

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

(سورة التوبة: ١٢٩)

من حرصه صلى الله عليه وسلم على أن يكون في كل بيت مسلم، أن يكون في كل بيت من بيوت المسلمين سعادة مظللة، من حرصه هذا عليه الصلاة والسلام وجهنا توجيهات كثيرة فيما يتعلق من حقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها.

الحقيقة أن الأزواج دائماً يتحدثون عن حقوق الزوج على زوجاتهم، هذا من قبيل أن الأحاديث في مصلحتهم، ولكن لكل حق واجب، فإذا كنت تعتز بما قاله النبي عليه الصلاة والسلام من حق على امرأتك، فيجب أيضاً أن تلقي أذناً صاغية، أن تصيغ السمع إلى الأحاديث الأخرى التي تتحدث عن حق الزوجة على زوجها، كما أنك تبدي اهتماماً بالغاً بالأحاديث التي تتعلق بحق الزوج على زوجته يجب أن تلقي بالاً، وأن تصيغ السمع، وأن تلقي أذناً مصغية لحقوق الزوجة على زوجها، والبحث قد لا يكفيه درس واحد، لكن نبدأ هذا الموضوع في هذا الدرس، وعلى الله التوفيق.

واجبات الزوج نحو زوجته: الاطعام والكسوة

الحديث الأول:

الاحسان في الكسوة والطعام


من حق المرأة الإنفاق عليها في المطعم

النبي عليه الصلاة والسلام بيّن في بعض الأحاديث الشريفة أن أول حقّ للزوجة على زوجها أن يحسن إليها في كسوتها، وطعامها هذا الحق الأول. عَنْ مُعَاوِيَةَ بن حَيْدَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ: مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ ؟ قَالَ:

((تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ...))

[أحمد]

لكن العلماء قنّنوا أن هذا الإحسان في الكسوة وفي الطعام يجب أن يكون في الحدود المعتدلة، تطبيقاً لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾

(سورة الإسراء: ٢٩)

الإنفاق له حد معتدل، إذا زاد عن هذا الحد انقلب إلى الضد، وكان الفساد في الأرض.

لا لإرضاء الزوجة بمعصية الله

في الحديث إشارة خطيرة جداً، هؤلاء الذين يتحملون معصية ربهم من أجل إرضاء زوجاتهم ما قرؤوا هذا الحديث، ما كلفك الشرع أن تطعمها طعاماً لا تستطيعه، أن تطعمها إذا طعمت، إذا طعمت فأطعمها، أما إذا لم تقدر أن تأكل ما تشتهي فلا عليك شيء، لذلك كانت الصحابيات الجليلات يخاطبن أزواجهن قبل أن يغادر أزواجهن البيت، تقول له: يا فلان، نصبر على الجوع، ولا نصب على الحرام.

إنّ أيّ إنسان يقول لك: أنا أفعل هذا من أجل زوجتي، من أجل أولادي، من أجل أن أرضيها، يجب أن أحصنها، يجب أن أرضيها لا، النبي عليه الصلاة والسلام يقول: أن تطعمها إذا طعمت، يعني لا ينبغي للزوج أن يأكل ما لذا وطاب، وأن يجعل طعام زوجته في مستوى أدنى، أن يطعمها إذا طعم، أن تطعمها إذا طعمت، وأن تكسوها إذا اكتسيت.

((وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ))

لأن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان في وجهه، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن ضرب الوجه، فقال عليه الصلاة والسلام:

((وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ))

وإذا ذكر الله فأمسكوا ولا تضرب الوجه، ولا تقبح بالكلام، هذا من حقها عليك:

((تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ))

يجب أن تبقى في البيت، لأنها إذا بقيت في البيت فالقضية سهلة الحل، أما إذا انطلقت إلى بيت أهلها، طردتها من البيت فالأمر يتفاقم، وقد ينتهي إلى الطلاق.

والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾

إذاً: الله عز وجل أمر الزوج أن ينفق على زوجته بقدر ما أعطاه الله، إذا وسع الله عليه ينبغي أن يوسع على عياله، لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم]

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾

(سورة الطلاق: من الآية ٧)

الحديث الثاني:

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

[أبو داود وأحمد]

يعني يكفيه هذا الإثم العظيم أن يضيع من يقوت، هؤلاء عيالهم مَن لهم ؟ ليس لهم إلا الزوج، فإذا ضيع هذا الزوج من يقوت فقد ضيع أهله، وقد ألجأهم إلى التطلع إلى غيره، وقد حملهم على بغضائه، وقد حملهم على كراهيته، لذلك العاقل إذا آتاه الله مالاً.

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾

من غير إسراف، ولا تبذير، ولا مخيلة.

الإمام مسلم في صحيحه روى حديثاً



عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ...))

[مسلم]

وفي رواية أحمد عن ي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، دِينَارٌ فِي الْمَسَاكِينِ، وَدِينَارٌ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ فِي أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الدِّينَارُ الَّذِي تُنْفِقُهُ عَلَى أَهْلِكَ))

[أحمد]

أي في عتق رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، باب ثالث ودينار أنفقته على أهلك، من منكم يظن أو يتوقع أي هذه الدنانير الأربعة هي أفضل عند الله ؟

قال عليه الصلاة والسلام:

((أَعْظَمُهَا أَجْرًا الدِّينَارُ الَّذِي تُنْفِقُهُ عَلَى أَهْلِكَ))

الدينار الذي أنفقته على أهلك، لماذا ؟ لأنك إذا أنفقت دينارا في سبيل الله، ربما أنفق غيرك هذا الدينار، إن لم تنفق أنت أنفق غيرك، وإذا أنفقت دينار في عتق رقبة ربما أعتقها غيرك، وإذا أنفقت دينار على مسكين ربما أنفقه عليه غيرك، ولكنك إذا امتنعت على إنفاق المال على أهلك فمن ينفق عليهم ؟ من لهم غيرك ؟

أعيد عليكم رواية الحديث: روى الإمام مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده، واللفظ له:

((دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، دِينَارٌ فِي الْمَسَاكِينِ، وَدِينَارٌ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ فِي أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الدِّينَارُ الَّذِي تُنْفِقُهُ عَلَى أَهْلِكَ))

فهنيئًا للذي يسعى، ويجد، ويكد، وينفق على أهله، هذا نفقة هي عند الله أفضل من الأنواع الثلاثة التي وصفها النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث.

الحديث الثالث:

وفي حديث آخر روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله))

[الجامع الصغير عن جابر]

يجب أن تعلم الزواج جملة وتفصيلاً إنما شرع الله عز وجل من أجل أن يكون لك فرصة لعمل صالح تتقرب به إلى الله عز وجل، كيف أن الله سبحانه وتعالى خلق في الأرض معايش، وأبواب لكسب الرزق، هل رفع الحرارة، الحر باب من أبواب كسب الرزق، معامل المكيفات، معامل المراوح، المرطبات، هذا كله، هذا باب كبير من أبواب كسب الرزق، والبرد أيضاً باب من أبواب كسب الرزق، وطول الشعر باب من أبواب كسب الرزق، والمرض باب من أبواب كسب الرزق، وجرثومة تصيب بعض النباتات باب من أبواب كسب الرزق، مهندسون، وأخصائيون، وأدوية، ومرشات، واستيراد بضاعة، وتحويل ثمن البضاعة و... كله بسبب هذه الجرثومة التي خلقها الله من أجل أن تكافحها.

ربنا عز وجل جعل في الأرض أبواب للرزق لا تعد ولا تحصى، وفي المقابل جعل أبواب للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى، إن من أعظم هذه الأبواب موضوع الزواج والأسرة، جهدك في عملك كسب الرزق.

((من بات كالاً في طلب الحلال بات مغفور له))

[الجامع الصغير عن المقدام بن معدي كرب]

من أجل أن تنفق على زوجتك وعلى أولادك، من أجل أن تجعلهم يطمئنون إليك، ويلتفتون إليك، هذا كله من العمل الصالح.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله))

[الجامع الصغير عن جابر]

الزوج الصالح الذي يكسب مالاً حلالاً ينفق على أهله، يلبي لهم حاجاتهم، التدفئة، الأثاث المعقول، اللباس المعقول، الطعام المعقول، أنا أقول: المعقول من دون إسراف، ولا تبذير، ولا مخيلة، الشيء المعقول.

الحديث الرابع:

لا زلنا في الحديث عن حقوق الزوجة، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَقَى امْرَأَتَهُ مِنْ الْمَاءِ أُجِرَ))

[أحمد]

هذا تشجيع للزوج أن يقيم مودة بينه وبين زوجته، من خلال أن يرعاها، وأن يحفظها، وما إلى ذلك.

وفي حديث آخر:

((وأن يضع الرجل اللقمة في فم زوجته هي له صدقة))

[ورد في الأثر]

والعلماء قالوا: إن الزوج يجب أن ينفق على زوجته الموسرة، هذا حق، وإنْ كانت موسرة غنية، أو فقيرة، هذا ليس من شأنك، وإذا طابت لك عن شيء فكُلْهُ هنيئاً مريئاً، والعلماء قالوا: يُسمح للزوجة أن تدفع زكاة مالها لزوجها الفقير، لكنّ الزوج لا يحِقُّ له أن يدفع زكاة ماله لزوجته، لكنّ الزوجة الموسِرة يُمكِن أن تدفع زكاة مالها لزوجها.

الحديث الخامس:

روى الإمام البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ))

[البخاري]

صدقة بكلِّ ما في هذه الكلمة من معنى.

ما هي أفضل الصدقات ؟

مثلاً: زوجته بحاجةٍ إلى معطفٍ في الشتاء، معطفها السابق لا يليق، يجعلها تشعر بأنها وضيعة، فاشتريت لها معطفاً يتناسب مع دخلك، ومع مستواها، إن هذا الذي تفعله يُعدُّ عند رسول الله صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نصِّ هذا الحديث صدقةً، وأعود و أُكرِّر: من دون إسرافٍ، ولا تبذيرٍ، ولا مخيلة، العلماء فرّقوا بين الإسراف والتبذير، فالإسراف في الحلال، والتبذير في الحرام، والمخيلة هي الكِبر، أن تُطلِع الناس على ما عندك من أجل أن تجعلهم يتصاغرون، هذا أحد أنواع الفساد. والإمام مسلمٌ في صحيحه أيضاً يروي حديثاً عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))

[مسلم]

إذا كان أخوك المؤمن بحاجة إلى شيء، هذا عمل طيّب جدّاً، لأنّ المؤمن له مكانته، له كرامته، له مروءته، له حياؤه، له خجله، فإذا لبّيت له حاجته، وحفِظت له ماء وجهه، وكففته عن السؤال، هذا عمل عظيم، فأفضل دينارٍ يُنفقه الرجل دينارٌ ينفقه على عياله، ودينارٌ يُنفقه على دابّته في سبيل الله، ودينارٌ يُنفقه على أصحابه في سبيل الله.

ألا تعلمون أن إنفاق المال على الزوجة أحد أسباب القِوامة عليها، لقول الله عز وجلّ:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

(سورة النساء: من الآية ٣٤)

الإنفاق من مقتضيات قوامة الرجل على المرأة

أحد أسباب القِوامة على زوجتك أنّك تنفق عليها، فلو أنك امتنعت من الإنفاق عليها، شعرتَ أنك لا تُنفِق عليها، وأنّك تضنّ بمالك عليها، وعندئذٍ تستعصي عليك، وتبتعد عن تنفيذ أمرك، وقد تعصي، و قد تستفزّك، لأن أحد أسباب القِوامة أن تُنفِق على زوجتك، لذلك الزوجة التي لها دخلٌ – لا أقول: مُطلقاً – في الأعمِّ الأغلب، التي تشعر باستقلاليّتها عن زوجها كثيراً ما تُسيء مُعاملته، تقول لك: أنا أُنفِق على نفسي.

بالمناسبة ؛ أنت إذا طلبت من الله الرزق، لا تريد أن يأتيك رزقكَ عن طريق زوجتك، أطلب من الله أن يكون الرزق عن طريقك وحدك، هذا من فضل الله عز و جلّ، إذا قسم الله لك رزقاً حلالاً يكفيك، ويكفي أهلك كان أكثر عوْناً لك على إدارة هذه الزوجة.

العلماء يقولون: يسقط هذا الواجب – الإنفاق على الزوجة واجب – إذا فوّتت الزوجة على زوجها الهدف من الحياة الزوجية، وحينما تفوِّت الزوجة على زوجها الهدف الكبير من الحياة الزوجية يسقط حقُّها في الإنفاق عليها.

مثلاً: إذا امتنعت عنه، هو لماذا تزوّج ؟ من أجل أن يُحصِن نفسه، فإذا امتنعت عنه سقط حقُّها في الإنفاق عليها، وإذا هجرت بيته، وذهبت إلى بيت أهلها يسقط حقُّها في الإنفاق عليها، وإذا خرجت من البيت من دون إذنِهِ يسقط حقُّها في الإنفاق عليها، لذلك المحاكم الشرعيّة تعُدُّ هذا

نشوزاً من الزوجة، لا تستحِقُّ النفقة إلا إذا دُعيَت إلى بيت زوجها، فإذا أبَتْ يسقط حقُّها في الإنفاق عليها.

الحديث السادس:

عَن أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غِنًى))

[البخاري]

أي ما جعلتَ الذين تنفق عليهم في غنى.

((وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ))

تقول المرأة لزوجها: إمّا أن تطعمني، وإمّا أن تطلّقني، ويقول العبد: أطعمني، واستعملني، ويقول الابن: أطعمني، إلى مَن تَدَعُني ؟.

هذا الذي يبخل على زوجته أو على عبده أو على أولاده، هذا عند الله آثمٌ إثماً كبيراً، تقول له الزوجة: أطعمني أو طلِّقني، ويقول العبد: أطعمني واستعملني، ويقول الابن: أطعمني، إلى مَن تدعني ؟

الحقيقة أنّ بعض الفقهاء استنبطوا من هذا الحديث أن المرأة يجوز لها أن تطلب الفراق من زوجها إذا لم يُنفِق عليها، لعِلّة عدم الإنفاق، وعلماء آخرون آثروا أن تصبر المرأة على زوجها، فلا يُعقل أن تأخذ خيره حين كان دخله كبيراً، وأن تطلب الفراق منه إذا كبا به جواده، أو ضعفت قواه، أو قلّ رزقه، ليس هذا من الوفاء، لذلك الأرجح أن تصبر المرأة على زوجها، لأن هذه بتلك.

وقد أجاز العلماء أن تستقرِض المرأة من أجل أن تأكل الأكل الأساسي الضروري على ذِمّة زوجها إذا امتنع من أن يُنفق عليها، فإذا يسَّر الله له وفّى هذا الدين، لقول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة: الآية ٢٨٠)

ويقول الله عزّ و جلّ:

﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾

(سورة الطلاق: الآية ٧)

الشيء الذي أحبُّ أن أقوله لكم: الإنفاق يجب أن يكون باعتدالٍ في المسكن والملبس والمطعم والمشرب.

بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام فاطمة الزهراء جاءت أباها، طلبت منه خادمةً تُعينها على عمل البيت، فعلِيٍّ أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ، فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: عَلَى مَكَانِكُمَا، فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ:

((أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي ؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ))

[البخاري ومسلم]

النبي الكريم ما أحبَّ خادمةً لابنته فاطمة، هذا من باب الاعتدال.

الحقيقة هذا كلُّه عن الإنفاق على الزوجة، هذا أوَّل حقٍّ من حقوق الزوجة على زوجها، أن يُحسِن إليها في مطعمها ومشربها وكسوتها، وأن يُطعِمها إذا طعِم.

واجبات الزوج نحو زوجته: حسن المعاملة والعشرة

لكنَّ الحقّ الثاني: والذي يبدو لي أخطر من الأوَّل، لأنَّه ما من بيتٍ إلا والطعام والشراب متوافرٌ فيه – في الأعمِّ الأغلب – ولكن المشكلة الآن في إساءة المعاملة، الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يقول في آيةٍ محكمةٍ واضحةٍ صريحةٍ لا تحتمل التأويل:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾

(سورة النساء: من الآية ١٩)

عن عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَّرَ، وَوَعَظَ، فَقَالَ:

((أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ ــ العوان: جمع عانية أي ضعيفة، المرأة في الأصل ضعيفة ــ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا...))

ما دامت هذه الزوجة لم تقترِف الفاحشة، وهي تحفظ نفسها، وتُطيع زوجها، وتُصلّي خمسها، و صوم شهرها، هذه زوجةٌ يجب أن ترعى حقوقها.

قال بعضهم: إنّ المرأة التي تحبس نفسها على راحة زوجها حتى تكون لديه كالأسير، خروجها بإذنه، كلُّ علاقاتها منضبطة بموافقته، إذًا: هي كالأسيرة، مُقابل أنها أسيرةٌ عنده ينبغي أن يغمرها بالعطف والمودّة، واللُّطف والإحسان، ما دامت عندك أسيرة فيجب أن تعاملها معاملةً تُنسيها أنها أسيرة.

معنى المعاشرة بالمعروف

هذا من معاني:

﴿ وَ عَاشِرُوهُنّ بِالمَعْرُوفِ ﴾

العلماء فسِّروا المعروف تفسيرات كثيرة:

المعنى الأول:

من هذه التفسيرات: العفو والمُسامحة، هناك زوجٌ لا يعفو، استُرضيَ ولم يرضَ، اعتذَرَتْ له، توسّلتْ إليه، رَجَتْهُ، هو حقود، إن كنتَ حقوداً، إن لم تُسامح، إن لم تعف، فأنت عاصٍ لله عزّ و جلّ في نصِ هذه الآية.

المعنى الثاني:

من معاني:

﴿وَ عَاشِرُوهُنّ بِالمَعْرُوفِ ﴾

نسيان الهفوات، وترك تتبّع العثرات، هذا من معاني:

﴿ وَ عَاشِرُوهُنّ بِالمَعْرُوفِ ﴾

المعنى الثالث:

من معاني:

العقوبة على قدرِ الذنب تماماً، تأديباً لا انتقاماً، أحياناً أزواج يستخدمون سلطتهم استخداماً تعسُّفيّاً لسببٍ تافه، لذنبٍ صغير، لهفوةٍ يحلف عليها بالطلاق و يطردها من البيت في منتصف الليل، لا، لا يجوز هذا، أساساً الحمقى لهم ردود فعلٍ عنيفة جدّاً، ردّ الفعل عنيف لا يتناسب مع الفعل، أمّا الموفّقون في حياتهم الموصولون بالله، يُلقي الله في قلبهم الحكمة، فلا يُعاقب إلا بقدر الذنب، والنبي إذا كان أعرض عن زوجاته، فإذا كنت زوجاً ناجحاً جداً يجب أن يكون إعراضك عن زوجتك أكبر عقابٍ تعاقبها به، الإعراض فقط، أمّا السُباب والشتائم فإنك ستتلقّى المثيل، ليس هذا من الحكمة، وليس من المعروف والإحسان، ولا من هذه الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة التي توصي الرجال بالنساء.

المعنى الرابع:

لكن أجمل تفسير لهذه الآية: ليست المُعاشرة بالمعروف كفُّ الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، لذلك تروي القصص أن رجلاً عنده زوجة سيئة جداً، فقيل له: طلِّقها يا أخي، قال: والله لا أُطلِّقها فأغُشّ بها المسلمين، قد أُطلِّقها، ويأتي إنسان يتزوّجها، إن فعلت هذا غششتُ بها المسلمين، فصبرُ الزوجة على زوجها أو صبر الزوج على زوجته بابٌ من أبواب الجنّة، هذه الدُّنيا دار ابتلاء لا دار استواء، منزلُ تَرَحٍ لا منزل فرح، من عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عُقبى، فجعل بلاء الدُّنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدُّنيا عِوَضاً، فيأخُذُ ليُعطي، ويبتلي ليجزي.

إذاً: ليست المعاشرة بالمعروف كفّ الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحِلم عند طيشها وغضبها، في بعض الأيام يختلُّ توازن الزوجة، فتتكلّم بكلامٍ منه ما يُسمَع، ومنه ما لا يُسمَع. النبي عليه الصلاة والسلام هو المثل الأعلى، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ:

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ، فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا،

فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ))

[البخاري]

هو قدوتُنا، لا تصدِّق أن إنساناً لا يوجد بينه وبين زوجته بعض المشكلات، هذه سُنّة الله في الخلق، ليمتحِن عفوك وحِلمك، وحكمتك وصبرك، واتّزانك وضبط نفسك، النبي عليه الصلاة والسلام كان قدوةً لنا، فكان يقف موقِف الحليم الرحيم من زوجاته، لا تُصدِّق أن النبي الكريم عنده زوجات لم يسمع منهن كلمة، بل كانت زوجاته يُراجِعنه الكلام، ويهجُرنَهُ إلى الليل أحياناً، وكان يحلُم عليهم، هكذا ورد في السيرة.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام ينزل إلى مستوى زوجاته، إلى مستوى عقولهنّ، و قد ذكرت لكم من قبل كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام تسابق مع زوجته عائشة فسبقته لأنها شابّة، بعد سنوات تسابق معها فسبقها فقال: هذه بتلك، تعادُل، هذه بتلك.

النبي عليه الصلاة و السلام إذا دخل بيته بسّاماً ضحّاكاً، فإذا كنت مرحاً، وكنت لطيفاً، وكنت ليّن العريكة مبتسماً، والله هذا شيء جميل، هذه أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام.

المعنى الخامس:

من حُسن المُعاشرة التي أمر الله بها أن تنظر إلى مزاياها إذا نظرت إلى مساوئها، لا يوجد إنسان كامل، وهناك أزواج يركِّزون على المساوئ فقط، بعض العيوب في شكلها، بعض العيوب في أخلاقها، في طباعها، لكنها حَصَان، عفيفة، شريفة، نظيفة، مِطواعة، يتجاهل ميّزاتها، ويُبرز أخطاءها، ليس هذا من حُسن المُعاشرة.

المعنى السادس:

من حُسن المُعاشرة إذا نظرتَ إلى عيوبها، أو إلى بعض عيوبها، انظر إلى مزاياها أيضاً، هذا هو العدل والإنصاف، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))

قال تعالى:

﴿ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾

[سورة النساء: من الآية ١٩]

قد لا يُعجبك شكلها، لكن قد تُنجب لك أولاد أذكياء، موفّقين، قد تكون الزوجة طيّعة، قد تكون صبورة، قد تكون متواضعة، طلباتها معقولة، لو أنّك تزوّجتها كما تريد لأتعبتْك تعباً لا حدود له، فالله عزّ و جلّ هو الحكيم، هو اختارها لك، اختياره، ألا ترضى باختياره ؟.

المعنى السابع:

من حُسن مُعاشرة الزوجة – هذه كلُّها معاني حُسن المُعاشرة – أن لا تُسيء الظنَّ بها، هناك أزواج عندهم سوء ظنّ، طبعاً سوء الظنِّ ضروري و غير ضروري، ضروري إذا شككت بشيء، إنسان نبَّهك: انتبه، في منزلك حركة غير طبيعية، لا أنا حَسَن الظنِّ بزوجتي، فأنت إذا أجدب، إذا كان هناك ملاحظات، دلائل، ريب، فيجب أن تُسيء الظنّ و أن تبحث، لكن عندما لا يوجد أي دليل على وجود خطأ، ولا يوجد لفت نظر، عندها نهانا النبي عليه الصلاة والسلام عن أن لا نُسيء الظنّ بالزوجة، لأنّ إساءة الظنِّ بالزوجة يُحطِّمها، يُفقدها معنويّاتها، فنهى النبي عليه الصلاة والسلام عن سوء الظنِّ بها، وأن يتّبّع زوجها عوراتها.

مثلاً: دخل إلى البيت فجأةً من دون أن يطرق الباب، جاء من سفر فداهم البيت مُداهمةً فجأةً، هذا يعني أنه يشُكُّ بها ؟

هذا يفعله من يُسيء الظنَّ بزوجته، فالنبي كان إذا قَدِمَ من سفر أعلم أهله قبل أن يدخُل البيت، هكذا علّمنا النبي عليه الصلاة والسلام، الآن هناك هاتف، أخبرهم من المطار أنك وصلت، أمّا المُداهمة، والمُفاجأة فتعني أنّك تشُكُّ بها، لذلك ورد في الحديث عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

((نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَطْرُقَ أَهْلَهُ لَيْلًا))

[البخاري]

أن يطرُق أهله ليلاً يتخوّنهم – كأنّه يتخوّنهم – أو يطلب عثراتهم، لأن هذا يوفِّر الأمن للزوجة والسلام، ويوَفِّر لها كرامتها ومودّتها معك.

كلُّ هذه المعاني مُستنبطة من آيةٍ واحدة:

﴿ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ ﴾

ربّما كان هذا الحقّ أبلغ من حقّ الطعام والشراب، لا يوجد بيت ليس فيه طعام وشراب، والزوجة تأكل طعاماً خشناً، ولا تحتمل أن تُسيء الظنّ بها، تأكل طعاماً خشناً، ولا تحتمل أن تكون قاسياً معها، تأكل أخشن الطعام، ولا تحتمل أن تهجرها، لذلك حُسنُ العُشرة مع الزوجة ربّما كان مُقدّماً على واجب الطعام و الشراب.

و هناك حقوق كثيرة للزوجة، لأنه كما قُلت في بداية الدرس: الأزواج يطرَبون طرباً لا حدود له لحقوق الزوج على زوجاتهم، يقول لك اللهم صلّ عليه... هكذا قال...هكذا قال... اصبر، هناك أحاديث أخرى، كما أن لك عليها حقّ، لها عليك حقّ، والإنسان إذا عرف ما له و ما عليه و أعطى كلّ ذي حقٍ حقّه، ساد السلام في البيت.

بقي علينا نماذج من مواقف النبي عليه الصلاة والسلام، الآن ننتقل إلى السيرة المتعلّقة بهذا الموضوع.

نماذج نبوية في معاملة الزوجة

الحديث الأول:

عَن عَائِشَةَ قَالَتْ:

((لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي، وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ بِحِرَابِهِمْ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ))

[متفق عليه]

تطييباً لخاطرها.

الحديث الثاني:

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

((كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ ــ يعني بالدمى ــ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي))

[متفق عليه]

هناك من يتزوّج بنتاً صغيرة، فتقول له: أريد لعبة، فيسُبُّها، اجلب لها لعبة، وحُل المشكلة، فالسيدة عائشة تقول:

((كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ ــ أي بلعب الأطفال ــ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي))

فالنبي يسمح لهُنّ فيلعبنَ معي، بموافقته، هذا تطييبٌ لخاطرها، فإذا كانت زوجتك صغيرة، وطلبت منك شوكولا مثلاً فلماذا الانزعاج ؟ حنّت إلى طفولتها، هكذا فعل النبي صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُريدها في سنٍ صغيرة و عقلٍ كبير.

الحديث الثالث:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ، قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ ــ أي هذا الأمر صحيحٌ ــ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ))

[متفق عليه]

الحديث الرابع:

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَى النِّسَاءِ، تَعْنِي فِي مَرَضِهِ فَاجْتَمَعْنَ فَقَالَ:

((إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدُورَ بَيْنَكُنَّ، فَإِنْ رَأَيْتُنَّ أَنْ تَأْذَنَّ لِي فَأَكُونَ عِنْدَ عَائِشَةَ فَعَلْتُنَّ، فَأَذِنَّ لَهُ))

[أبو داود]

انظر إلى الأدب، ما رضي أن يبقى عند عائشة إلا بعد أن جمع نساءه كُلَّهُنّ، واستأذنهُنَّ في ذلك، لأنها لها حقّ.

الحديث الخامس:



عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي الْبَيْتِ ؟ قَالَتْ:

((كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ خَرَجَ))

[البخاري]

كان إذا فَرَغَ كان في خِدمة أهله – أي يُساعدهم في أعمال البيت – من دون أن يشعُر أنه مُهان، كان في مَهنة أهله، فكان يحلِبُ شاته، ويكنُسُ أرضه، ويخصِف نعله، وكان في مَهنة أهله.

الحديث السادس:

فعَنْ أَنَسٍ قَالَ:

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ، فَانْفَلَقَتْ ــ أي انكسرت ــ فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ))

[البخاري]

كان عادلاً، تلك أرسلت صحناً جديداً فكُسر، فأرسل لها صحناً بدلاً عنه.

كان عليه الصلاة والسلام لا يسمح لزوجةٍ من أمّهات المؤمنين بأن تقول عن الأخرى من زوجاته كلمة نقص في مجلسه، لا يسمح أبداً، هناك شخص يسمح لزوجته الأولى أن تتكلّم عن الثانية، يقول لها: والله معك حقّ، ثُمّ يذهب مساءً إلى البيت الثاني فتتكلم زوجته الثانية عن الأولى، فيُصغي لها، النبي عليه الصلاة والسلام لا يسمح لزوجةٍ من أمّهات المؤمنين بأن تقول عن الأخرى من زوجاته كلمة نقص في مجلسه،

الحديث السابع:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ:

((مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا، وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ، وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا، كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمُزِجَ))

[الترمذي]

الحديث الثامن:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ))

[البخاري]

الحديث التاسع:

وفي رواية عن سَمُرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّكَ إِنْ تُرِدْ إِقَامَةَ الضِّلَعِ تَكْسِرْهَا، فَدَارِهَا تَعِشْ بِهَا))

العملية تحتاج إلى مُداراة.

الحديث العاشر:

وفي روايةٍ أُخرى في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ، إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ))

الحديث الحادي عشر:

و في روايةٍ لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا))

[مسلم]

الحديث الثاني عشر:

في خِتام هذا الدرس، عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

((خِيارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ))

[ابن ماجه]

قصة وعبرة: أشكو مما منه تشكو

بقيت قصّةٌ قصيرة: كان أعرابيٌّ يُعاتِبُ زوجته، فعلا صوتُها صوتَه، فساءه ذلك منها، وأنكره عليها، ثُمَّ قال: و الله لأشكوَنّكِ إلى أمير المؤمنين عُمَر، وما أن كان بباب أمير المؤمنين ينتظر خروجه حتى سمِع امرأة أمير المؤمنين تستطيل عليه، وتقول له: اتّقِ الله يا عُمَر فيما ولاّك، و ساكتٌ لا يتكلّم، فقال الرجل في نفسه و هو يهُمّ بالانصراف: << إذا كان هذا هو حال أمير المؤمنين، فكيف حالي أنا ؟، و فيما هو كذلك خرج عمر، ولمّا رآه قال: ما حاجتك يا أخَا العرب ؟ فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين، جئتُ إليك أشكو خُلُق زوجتي، واستطالتها عليّ، فرأيت عندك ما زهّدني إذ كان ما عندك أكثر مما عندي، فهممتُ بالرجوع، وأنا أقول: إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته، فكيف حالي ؟ قال، فتبسّم عمر رضي الله عنه و قال: يا أخَا الإسلام، إنّي احتملتها لحقوقٍ لها عليّ ــ إنّي احتملتها، أنا قادر أن أكون لئيماً، وأن أحطِّمها، ما أكرمهُنّ إلا كريم، ولا أهانهُنّ إلا لئيم، يغلِبنَ كلّ كريم ويغلبهُنّ لئيم، وأنا أحبُّ أن أكون كريماً مغلوباً لا أن أكون لئيماً غالباً ــ قال له: يا أخا العرب، إنّني احتملتها لحقوقٍ لها عليّ، إنّها طبّاخةُ لطعامي، خبّازةٌ لخُبزي، مُرضعةُ لأولادي، غاسلةٌ لثيابي، وبقدر صبري عليها يكون ثوابي، ألا يكفي هذا الكلام من سيّدنا عمر ؟ وبقدر صبري عليها يكون ثوابي >>.

وللبحث بقيّة في درسٍ قادم

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية : الحقوق – حق الزوجة على الزوج – الدرس (٢ – ٢) : حقها في هدايتها ورعاية دينها وأخلاقها.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٩-١٠-١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أيها الإخوة المؤمنون، لازلنا في حقوق الزوجة على زوجها، ويبدو أن الإنسان إذا أدى ما عليه من حقوق وجد الطريق إلى الله سالكا، فأيّ تقصير أو أيّ مخالفة إنما هي عقبة في الطريق إلى الله، فإذا أديت ما عليك من حقوق لزوجتك أو لأولادك أو لجيرانك، أو لمن حولك، لعل الله سبحانه وتعالى بتأدية الحقوق يزيل كل العقبات التي في طريق الإنسان إلى الله عز و جل.

معنى حسن المعاشرة

تحدثت في الدرس الماضي عن حق الزوجة في الإنفاق عليها، وقد تحدثت أيضا عن حقها في حسن المعاشرة، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا في القرآن الكريم فقال تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة النساء: من الآية ١٩)

وقد تحدثت حول هذه الآية كثيرا، و لعل من أبرز ما كان الحديث عنه في هذه الآية أن حسن المعاشرة لا تعني أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل تعني أن تحتمل الأذى منها، وشتان بين الفهمين والموقفين، إذا تحدثنا عن حقين من حقوق المرآة على زوجها.

وقد قلت أيضا: إن الإنسان يحلو له أن يبحث عن حقوقه، وعن واجبات الآخرين له، ولكن البطولة أن تبحث أيضا عن واجباتك تجاه الآخرين، والبطولة أيضا أن تبحث عن حقوق الآخرين التي تطالب بها يوم القيامة.

من حقوق الزوجة على الزوج: حفظ الدين والسلوك وحسن التوجيه

الحق الثالث من حقوق الزوجة: أن تحافظ على دينها، وأن ترعى سلوكها، وأن تحسن توجيهها، لأن الأزواج في هذه الأيام ما دامت الزوجة تروق له، وتقدم له خدمات جيدة ، نظيفة ، مرتبة ، تعرف ما ينبغي أن تفعله الزوجة ، فهذا في المرتبة الأولى، أما أمر دينها ففي المحل الثاني، إذا خرجت بطريقة لا ترضي الله يتساهل ، إذا استقبلت الرجال يتساهل، وهذا لا يرضي الله يتساهل، لكنه قد لا يتساهل في أمر يمسّ علاقته بها، أو نصيبه منها، هذه المرأة إذا تركتها مع رقة في دينها، و تقصير في معرفة ربها، وضبطها في النواحي المادية، هذه لها حق عليك كبير يوم القيامة، وربما صدق على هذا الزوج أن هذه المرآة تقول: يا رب، لا أدخل النار حتى أُدخل زوجي قبلي، لأنه لم يوجهني، ولم يبصرني، ولم يعرفني، ولم يأخذ بيدي إليك.

طبعا ما من زوج إلا ويهتم بسلامة جسم زوجته، ويخشى عليها من الأمراض، لأنه هو سيدفع الثمن، فأيّ مرض عضال يصيبها هو وحده سيدفع الثمن باهظا، لذلك ترى معظم الأزواج حريصين حرصا لا حدود له على صحة زوجاتهم، وعلى سلامة أعضاء زوجاتهم، وعلى رفاهية زوجاتهم، هذا الحرص يجب أن يقابله حرص آخر على سلامة دين زوجتك، وعلى حسن معرفتها بالله، وعلى حسن علاقتها بالله... وإلا فأنت تخونها، هي شريكة حياتك، لماذا هي شريكتك في الطعام، في المسكن ؟ وفي نصيبك منها ؟ وليست شريكتك في معرفة الله ؟ وليست شريكتك في فهم القرآن الكريم ؟ وليست شريكتك في التفقه في سنة رسول الله ؟

لذلك فهذا الذي يهمل دين زوجته، ويهمل معرفتها بالله، ولا يعلق أهمية على تعليمها العلم الشرعي، لا يقيم وزنا لفهمها لدينها، هذا مقصر أشد التقصير في حقها، هذا كلام طيب ومقنع، ومنطقي ومعقول.

الأدلة القرآنية على وجوب حفظ الزوج دين الزوجة

ولكن أين الدليل ؟ وكما عودتكم ما من إنسان بعد النبي عليه الصلاة والسلام يقبل منه أن يقول كلاما بلا دليل، كلام طيب، ولكن هل له دليل ؟ نعم:

الآية الأولى:

يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾
(سورة التحريم: من ١ لآية ٦)

﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾

أي: أنت مأمور أن تقي نفسك نار جهنم، ومأمور أيضا وفي الدرجة نفسها، وبالمستوى نفسه أن تقي أهلك نار جهنم، وكيف تقي أهلك، والأهل هم الزوجة والأولاد ؟

تقيهم بتوجيههم، بتعريفهم، بإرشادهم ومراقبتهم، ومحاسبتهم.

شيء آخر، ولعله مهم جداً، وهو أن الله سبحانه وتعالى جعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، فأنت ولي أخيك المؤمن، فإذا رأيت منه اعوجاجا أو انحرافا، أو تقصيراً أو مخالفة، أو معصية فلا بد من أن تنصحه، ولا بد من أن توجهه، ولا بد من أن تأخذ بيده، ولا بد من أن تعاونه، لماذا ؟ لأنه أخوك في الله، وله حق عليك، فإذا كان المؤمنون بعضهم لبعض أولياء، وكل واحد منهم له حق على الآخر، فمن باب أولى أن يكون الزوج وزوجته من أول من تطبق عليهم هذه الآية.

الآية الثانية:

يقول الله عز و جل:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾
(سورة التوبة: من الآية ٧١)

ما معنى:

﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾

أي: إذا كنت راكباً سيارة، وأمامك أخ يركب مركبة، وشعرت أن هناك بوادر احتراق بالسيارة، وصاحبها لا يدري، أنت كأخ له، أنت كمؤمن، وهذا الذي أمامك مؤمن أكبر حق له عليك أن تنبهه أن تلفت نظره، والأصح من هذا أنت مكلف بأي إنسان، الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله انفعهم لعياله، ولكن الحديث هنا عن المؤمنين لسبب، وهو أن غير المؤمن لا يستمع إليك، فلو رأيت إنساناً في الطريق يعصي الله، يشرب الدخان في رمضان، فربما لو نصحته أسمعك كلاما لا يرضي، وهذا ليس هو المقصود، فالحديث هنا عن المؤمنين، يقول ربنا سبحانه و تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾

فأنت ولي أخيك، وأخوك وليك، من كان منكم أكثر علما، وأقرب إلى الله، وأكثر ورعا وفهما فلينصح الأخ الآخر.

إذاً: المؤمنون بعضهم لبعض نصحه متوادون، والمنافقون بعضهم لبعض غششه متحاسدون، كما قال عليه الصلاة والسلام:

((المؤمنون بعضهم لبعض نصحه متوادون، ولو ابتعدت منازلهم، والمنافقون بعضهم لبعض غششه متحاسدون، ولو اقتربت منازلهم))

[ورد في الأثر]

وقد مر بنا قوله سبحانه و تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾

ولكن ما معنى: بعضهم أولياء بعض ؟

﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(سورة التوبة: من الآية ٧١)

فإذا كان أخوك المؤمن له حق عليك ؛ أن تنصحه، له حق عليك، أن ترشده، له حق عليك، أن تأخذ بيده، له حق عليك أن تبصره، وأن تنور بصيرته، فهذه شريكة حياتك، هذه التي نذرت نفسها لخدمتك، هذه التي حبست نفسها من أجلك، هذه التي شاركتك في الضراء والسراء، أليس لها حق عليك أن تأخذ بيدها إلى الله عز وجل ؟ أليس لها حق أن تعرفها أمر دينها، أن تبصرها سنة النبي عليه الصلاة والسلام، أن تصلح اعوجاجها، وأن تقيم انحرافها، من باب أولى، إذا كان أخوك المؤمن العادي له حق عليك فهذه زوجتك، لذلك إن شئت على قوله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

(سورة التحريم: من ا لآية ٦)

وإن شئت على قوله تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

الآن من أقوال النبي عليه الصلاة و السلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ))

[أبو داود، النسائي، ابن ماجه]

شيء رائع جداً فوق مستوى الروعة أن ينهض الرجل ليصلي قيام الليل، وأن يقيم زوجته معه.

((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ))

هذه المشاركة.... فقد تكون الزوجة أكثر نشاطا من زوجها، وقد يكون الزوج أكثر نشاطا من زوجته، فلا بد من التعاون، لا يقلّ قدرك، ولا يقلل من شأنك أن توقظك زوجتك على الصلاة، فهذا شيء لطيف.. فإما أنت وإما هي، فأنت تشتهي زوجتك بالطعام، فالذي ذاق حلاوة الطاعة، وحلاوة القرب ألا يشتهي زوجته بهذا القرب ؟

هذا هو حق التوجيه والإرشاد ، حق التعريف بالله عز وجل، وحق أن تأخذ بيدها إلى الله. مما روي أن امرأة قالت لابنتها يوم زفافها وزوجها يسمع: يا آبا أمية، ما أوتى الرجل شرا من المرأة المدللة ــ فوق الحدود ــ فأدب ما شئت أن تؤدب، وهذب ما شئت أن تهذب ، ثم التفت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة ".

لذا فإن قال بعض الأزواج تحت غطاء " يجب أن نأخذ بيدها إلى الله ": يجب أن نكرمها، فيعطيها شيئاً يفوق الحد المعقول، فتستطيل على الناس، وتفخر عليهم، وتوقع في قلوبهم اللوعة...لا:

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ

***

وقد قال تعالى:

﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مّحْسُوراً ﴾

[سورة الإسراء: الآية ٢٩]

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

((اخشوشنوا، وتمعددوا، فإن النعم لا تدوم))

[الجامع الصغير عن ابن أبي حدرد]

فالإنسان يجب أن يعوّد أهله على الأحوال كلها.

الحق الرابع للزوجة على الزوج: التزين لها

الحق الرابع للزوجة على زوجها أن يتزين لها كما تتزين له، فهذا أمر الشرع، فكما أنك تريد أن تظهر لك بمظهر حسن فهي إنسان أيضا تتمنى أن تكون أنت في مظهر مقبول، ومظهر حسن، والدليل قوله تعالى:

﴿ وَلَهُنّ مِثْلُ الّذِي عَلَيْهِنّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرّجَالِ عَلَيْهِنّ دَرَجَةٌ ﴾

(سورة البقرة: من الآية ٢٢٨)

إنها درجة القوامة.

أتت امرأة إلى سيدنا عمر بن الخطاب، وزوجها أشعث أغبر، فقالت: يا أمير المؤمنين، لا أنا ولا هذا، خلصني منه، فنظر إليه عمر، وكان لماحا فطنا، فعرف ما كرهت منه، فأشار إلى رجل، وقال له: اذهب بهذا، وحممه، وقلم أظافره، وخذ من شعره، وائتني به، فذهب، و فعل ذلك، ثم أتاه به، فأومأ عمر إليه، أن يأخذ بيدها فقالت: يا عبد الله، سبحان الله ! أبين يد أمير المؤمنين تفعل هذا ؟ فلما عرفته أنه زوجها ذهبت معه، فقال عمر رضي الله عنه: هكذا فاصنعوا لهن، فإنهن يحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزين لكم.

فهذه القصة تبين أن للزوجة حقا في أن يتزين لها زوجها، والنبي عليه الصلاة والسلام رأى رجلا أشعث الشعر، فقال:

((احلق، فإنه يزيد في جمالك))

[ورد في الأثر]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ:

((مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ))

[أبو داود]

والنظافة من الإيمان، فالمؤمن نظيف ؛ نظيف في أخلاقه، نظيف في البدن، نظيف في الملبس، وسيدنا على كرم الله وجه يقول: << إن الله يكره من عباده القاذورة.

و يقول ابن عباس: **<< إنني ألبس، وأتجمل، فان الله جميل يحب الجمال >>.**

والنبي صلى الله عليه و سلام كان يعرف بريح المسك إذا مر.

وكان يقول:

((إِنّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَلِبَاسَكُمْ حَتّى تَكُونُوا فِي النّاسِ كَأَنّكُمْ شَامَةٌ فَإِنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التّفَحُّشَ))

[أحمد عن أبي الدرداء]

والنبي عليه الصلاة والسلام كان له ثياب خاصة جديدة يلبسها في أيام الجمع، وإذا حضرته الوفود، وقد كانت علية قومه تفعل ذلك.

فالمؤمن يحتاج إلى ثوب نظيف أنيق، والمؤمن يمثل الدين الإسلامي، أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك.

يقول أبو الحسن: " هيئة الرجل لامرأته مما يزيد في عفتها ".

فتراك في مظهر حسن ، نظيف ، شعرك مرجّل، فهذا مما يصونها، ويجعلها تعتز بك، و تعف عن الآخرين.

الحق الخامس للزوجة على الزوج: عدم الزهد فيها وهجر مضجعها

الحق الخامس من حقوق المرآة على زوجها: ألا يزهد بها، وألا يهجر مضجعها.

فهذا الذي قال لزوجته: أنت علي كظهر أمي، هذا عاقبه الله عز وجل بأنه حرِّمها عليه ما لم يصم ستين يوما، أو يطعم ستين مسكينا، فكما أن له عندها حاجة فلها عنده حاجة، ومن الظلم أن تتجاهل حاجتها.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

((جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَلَمّا أُخْبِرُوا كَأَنّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ؟

قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[متفق عليه]

فأي منهج يطبقه المسلم خلاف هذا المنهج فإنه يخالف به سنة النبي الكريم، فأولئك الذين تركوا الزواج نهائيا، أو تركوا العمل، هؤلاء قد خالفوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فسنة النبي تضمن لك أن تصل بها إلى أعلى مستوى، فقد كان له زوجات كثر، وكان يطوف عليهن جميعاً، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ))

[الترمذي]

وفي عهد عمر بن الخطاب أتت امرأة إليه وقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي قوام، فقال سيدنا عمر: بارك الله لك في زوجك، فقالت: إن زوجي قوام، وإني أكره أن أشكوه، فكان عند سيدنا عمر صحابي اسمه كعب الأسدي فقال: إنها تشكو زوجها، فقال عمر: هكذا فهمت من كلامها ؟ فإذا فهمت هكذا فاحكم بينها وبينه، فقال كعب: علي بزوجها، فأتوني به، فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك، فقال: أفي طعام أو شراب ؟ قال: لا، فقالت المرأة، و قد صاغ أحد الشعراء شكواها بأبيات شعرية:

يـــا أيها القاضي الحكيم رَشَدُه   ألهى خليلي عن فراشي مسجده
زهَّــده في مضجعي تعبُّـــــده   فاقضِ القضا كعب و لا تَــردّه
نهاره و لــيله مـــا يــرقــده   فلست في أمر النساء أحمـــــده

فقال زوجها:

زهدني في فرشها وفـــي الحجـــــل   أني امرؤ أذهلني ما قد نزل
ففي سورة النحل وفي السبع الطوال   و في كتاب الله تخويف جلل

فقال له القاضي كعب:

إن لها حقا عليك يـــا رجل   نصيبها في أربع لمن عقــل
فأعطها ذاك ودع عنك العِلل

***

أي أن الله عز و جل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فكل ثلاثة أيام تعبد بها ربك، ولها الليلة الرابعة ، فقال عمر: والله ما أدري من أي أمريك أعجب، أمن فهمك أمرها، أم من حكمك بينهما ، اذهب فقد وليتك قضاء البصرة.

الحق السادس: إرشادها الى الخير وإبعادها عن الشر وصيانة نفسها

ومن حق الزوجة على زوجها أن يرشدها إلى طريق الحق، وأن يبعدها عن مواطن الشر. ومن حقها عليه أن يأمرها بأن تصون نفسها، فمثلا: هناك شرفة في المنزل، خرجت الزوجة إليها بملابس البيت، و لمارة ينظرون، فلم يتأثر الزوج، فرأته ساكتا، فاستمرت، و إذا رأته تساهل استمرأته، فمن حقها عليك أن تأمرها أن تستر نفسها، فلو لم تفعل لحوسبت حسابا شديدا، والدليل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٥٩)

و قوله تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٣٣)

يعني هذا أن المركز الأساسي أن تبقى في البيت لتقدم للمجتمع أكبر خدمة، فما من وظيفة أخطر من أن تربي أولادها، تماما كالطيار الذي لا بد من التزامه بغرفة القيادة للحفاظ على أرواح الركاب، فالبيت مركز قيادة المرآة، ويقول النبي عليه الصلاة و السلام:

((أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة))

[لجامع الصغير عن أنس]

((أي اعلمي أيتها المرآة، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرآة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[كنز العمال عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

و هذا لنساء الرسول صلى الله عليه و سلم، فإذا كان نساؤه قد قررن في بيوتهن، وهن المحصنات التقيات الطاهرات فلأن يكون هذا الأمر موجها لنساء المؤمنين من باب أولى. وهذا مبدأ في الفقه، وقاعدة أساسية.

مثلا: قوله تعالى:

﴿ فَلاَ تَقُل لّهُمَا أُفّ ﴾

(سورة الإسراء: من الآية ٢٣)

فمن باب أولى أن يكون الضرب ممنوعاً.

و قوله تعالى:

﴿ لَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنّ ﴾

(سورة النور: من الآية ٣١)

إذ أن هناك مشية للمرأة تلفت النظر، وهذه مشية المرأة مأمورة أن تبتعد عنها، كما أن هناك ثيابا ذات ألوان زاهية، وكذلك هناك أحذية ذات صوت يلفت نظر الرجال إليها، وأشد من ذلك كله أن تكون متعطرة، فإذا خرجت المرأة متعطرة لعنتها الملائكة حتى تعود، فكل شيء يلفت نظر الرجال إلى المرأة محرم بشكل قطعي.

أحيانا تهمل المرأة زينتها فيتضايق زوجها، وقد يصل الأمر إلى الطلاق، فالمذنب هو الرجل، إذ يجب أن يأمرها أن تصلح من هيئتها، ويجب أن يدقق عليها، فقد تكون صغيرة لا تعلم، أو لا تهتم، أو لا تبالي، فإذا استمرأت إهمال زينتها، وانزعج منها من دون أن يعرفها، ومن دون أن يلفت نظرها، ثم اتخذ منها موقفا صارما، وأرسلها إلى بيت أهلها من دون أن تعلم السبب فهو آثم، لذلك يجب أن يذكرها بواجبها تجاهه، ومن أولى هذه الواجبات أن تكون حسنة المظهر أمامه من أجل أن تعفه عن النظر إلى الحرام، ألم يقل النبي عليه الصلاة و السلام

((يَا مَعْشَرَ الشّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوّجْ، فَإِنّهُ أَغَضّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ...))

[متفق عليه]

فهذا هو الهدف الأول من الزواج للمؤمن، أن يكون عفيفاً عن الشهوة، فإذا أهملت نفسها، وأهملت ثيابها، وأهملت زينتها، ثم كرهها، وأبغضها، وطردها فقد أخذها على غرة، إذ يجب أن ينبهها، وأن يلفت نظرها، وأن يأمرها، وأن يدقق عليها لكي تبقى على مستوى طموحه، والدليل:
عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ قَالَ:

((كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ، فَلَمَّا قَفَلْنَا كُنَّا قَرِيبًا مِنْ الْمَدِينَةِ تَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِي قَطُوفٍ، فَلَحِقَنِي رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِي فَنَخَسَ بَعِيرِي بِعَنَزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَسَارَ بَعِيرِي كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ الْإِبِلِ، فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: أَتَزَوَّجْتَ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: فَهَلَّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ ؟ قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ فَقَالَ: أَمْهِلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا، أَيْ عِشَاءً، لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وتستحدث الْمُغِيبَةُ))

[متفق عليه]

فلم يرض النبي صلى الله عليه وسلم أن يباغت الزوج زوجته إذا كان مسافراً، فقد تكون غير مستعدة لاستقباله، وقد تكون هيئتها دون الوسط، فالنبي عليه الصلاة والسلام علمنا ألا نأتي من السفر إلى البيت مباشرة، فلا بد من إعلام الزوجة بأنك قد حضرت من أجل أن تأخذ المرأة من شعرها، ومن زينتها، ومن هيئتها، هذا من السنة النبوية. فقال:

((أَمْهِلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا، أَيْ عِشَاءً، لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وتستحدث الْمُغِيبَةُ))

قد لا يترك الزوج لزوجته وقتا لتعتني بنفسها، وهنا تظهر المشكلة، فلا بد من أن ترضيه، ولا يوجد وقت لترضيه، فلا بد من أن تتجاهل بعض الوقت حتى تكون كما يريد، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ))

[البخاري]

ويتبادر إلى الذهن هنا أن تتكلم المرآة كالرجال، أو أن ترتدي لباسا مما يرتديه الرجال عادة، أضف إلى هذا إذا أهملت المرأة زينتها، وآثرت الخشونة على النعومة والرقة، فقد تشبهت بالرجال، لذلك فقد أمر النبي النساء بالتزين حتى لا يتشبهن بالرجال في الخشونة والشدة.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

((كَانَتْ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ تَخْتَضِبُ، وَتَتَطَيَّبُ، فَتَرَكَتْهُ، فَدَخَلَتْ عَلَيَّ فَقُلْتُ لَهَا: أَمُشْهِدٌ أَمْ مُغِيبٌ ؟ فَقَالَتْ: مُشْهِدٌ كَمُغِيبٍ، قُلْتُ لَهَا: مَا لَكِ ؟ قَالَتْ: عُثْمَانُ لَا يُرِيدُ الدُّنْيَا، وَلَا يُرِيدُ النِّسَاءَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ، أَتُؤْمِنُ بِمَا نُؤْمِنُ بِهِ ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأُسْوَةٌ مَا لَكَ بِنَا... فَاصْنَعْ كَمَا نَصْنَعُ))

[أحمد]

فاعتنى بزوجته، وأعطاها حقها، فجاءت الزوجة في اليوم الثاني إلي السيدة عائشة، وقالت: لقد أصابنا ما أصاب النساء، فإهمال الزوجة مسؤولية.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

((أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً ــ وسادة ــ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاذَا أَذْنَبْتُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ ؟ قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا، وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ، وَقَالَ: إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ))

[متفق عليه]

ففي عهد النبي عليه الصلاة والسلام كان المصور ينحت الصنم، وكان الصنم يعبد من دون الله، ومن معاني التصوير النحت، وهو التجسيم، وقد كان الناس يعبدون هذه الأصنام من دون الله، فلذلك سدًّا للذرائع قال النبي الحديث الشريف:

((إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ))

[متفق عليه عن ابن مسعود]

الحق السابع: الغيرة على الزوجة

ومن حق الزوجة على زوجها أن يكون غيوراً عليها، إذ إن هناك بعض الأزواج ليس لديهم الغيرة على زوجاتهم، اذهبي وحدك، تعالي وحدك، عند الطبيب وحدها، عند البائع وحدها، ومن حق الزوجة أن يغار عليها، وأن يوجهها إلى ما يحفظ عليها شرفها وشرفه، ولكن ليس معنى هذا أن يشتطّ الزوج في الغيرة عليها، فالشطط في الغيرة مرض فلا بد من غيرة سوية، والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ ؟ وَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ))

[متفق عليه عن المغيرة]

الغيرة قسمان: محبوبة وغير محبوبة

فالغيرة مطلوبة، ولكن هناك غيرة سوية، وغيرة مَرَضية، والنبي عليه الصلاة والسلام فصل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يَكْرَهُ اللَّهُ، فَأَمَّا مَا يُحِبُّ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا مَا يَكْرَهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ))

[ابن ماجه]

فهناك غيرة يحبها الله ورسوله، وهناك غيرة يكرهها الله ورسوله.

فأما ما يحب الله فالغيرة في الريبة، مثلا: أنت ارتبت، جاءتك معلومات مقلقة، شعرت أن هناك تصرفات عير صحيحة، تدعو للشك، فما دام دخل الريب إلى قلبك فالغيرة الآن يحبها الله ورسوله، وأما الغيرة التي يكرهها الله ورسوله فالغيرة من غير ريبة، فليس هناك دليل، ولا داع، ولا عبارة، ولا أي شارة، ولا تصرف مقلق، والأمور كلها طبيعية، فالآن إذا غرت فهذه الغيرة يكرهها الله ورسوله.

هناك حالات كثيرة اطلعت عليها لغيرة في غير موضعها تسبب نفور الزوجة، وهناك غيرة من الزوجة في غير موضعها تسبب نفور الزوج، إذ أن هناك زوجات غيورات، فزوجة مؤمنٍ إذا تأخر تسأله: أين كنت ؟ ومع من كنت ؟ وزوجها مؤمن، فمع من سيكون ؟ مع رفاقه، أو في شغله، أو قد يكون هو أيضا فيسألها: هل دخل أحد في غيابي ؟ ما هذا الكلام ؟ فغيرة من دون ريب، من دون سبب، من دون دليل، من دون إشارة، من دون تنبيه، من دون لفت نظر، هذه غيرة يكرهها الله ورسوله، أما الغيرة مع الريب، مع تصرف مشبوه فمطلوبة.

مثلا: دخلت البيت، اضطربت، تسألها: لماذا هذا الاضطراب ؟ باب أغلق فجأة ....شيء خرج ... شيء دخل، في مثل هذه الحالات لا بد من أن تكون غيوراً.

بالمناسبة، إن كل إنسان لا يتفقه في الدين يدفع الثمن باهظا، والله قبل خمسة عشر عاما في هذا المسجد عقب خطبة أمسكني رجل من يدي، وقال: أريد أن أحدثك بحديث خطير، فقلت له: تفضل، فقال: لقد اكتشفت اليوم أن زوجتي تخونني مع جار لنا منذ سنين، فسألته: ما السبب ؟ فقال: لنا جار، ومرة زارني، فناديتها يا أم فلان تعالي فاجلسي معنا، هذا فلان مثل أخيك، فجهله بالشرع دفع ثمنه باهظا، لذلك حضور مجالس العلم كما قال النبي عليه الصلاة و السلام حتم

واجب على كل مسلم، إذا أن هناك قواعد خطيرة جدا، فالاختلاط طريق إلى الزنى، فإنسان رأى في هذه الزوجة ما ليس عند زوجته فمال إليها، ومالت إليه، أغراها وأغرته، ومن وراء ظهر الزوج فعلوا الفاحشة، فكل إنسان يخالف الشرع يدفع الثمن باهظا.

مثلا: يقول أحدهم: جاءنا خاطب شاب راقٍ مؤدب، فيسأل: هل عقدتم العقد ؟ فيجيب بأن العقد ليس ضروريا، وأمامنا وقت، يدخل ويخرج الخطيب، ثم يختفي وينتفخ البطن، فكل إنسان يخالف الشرع يدفع الثمن باهظا، هذه غيرة يحبها الله ورسوله، وأما الغيرة التي يبغضها الله ورسوله فهي الغيرة من دون ريب

دفع الزوج مواطن الريبة أمام الزوجة لاتقائها عن نفسها

و هناك شيء آخر، إذا كنت ماشيا مع زوجتك، وكنت تنظر إلى النساء من حولك، أو أن امرأة زارت زوجتك، فاستقبلت ورحبت، ونظرت، فأنت قمت بعمل خطير، فزوجتك رأتك، وأنت تخالف الشرع، فأنت الآن تعطيها مبررا لتعاملك بالمثل، فإذا رأتك في عفة وفي حشمة، وفي ورع وفي غض بصر اقتدت بك، وهنا نتدبر قول سيدنا موسى:

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾

[سورة القصص: من الآية ٢٣]

فهل هناك في اللغة العربية بأكملها عبارة أشد اختصارا، وأكثر جدية، وأقطع لكل تعليق من هذه ؟ قالتا:

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

[سورة القصص: من الآية ٢٣]

و مرة أخرى:

﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

[سورة القصص: من الآية ٢٥]

فلم تقل له: أبي يدعوك، وسكتت، فسألها: لماذا ؟ وهذا حتى لا يكون هناك حوار مباشرة،

﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

انتهى الأمر بكلمة.

﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾

[الأحزاب: من الآية ٣٢]

فلا كلمة زائدة، مثلا: سعرها كذا، ادفعي، وامشي، فإذا قالت: نحن جيرانك، فقد أصبح هناك حوار لا مبرر له، قال تعالى:

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾

[الأحزاب: من الآية ٣٢]

فحتى على الهاتف كلمة فقط، مثلا: فلان موجود ؟ لا، بلغوه أن فلانا قد اتصل به، انتهى، دق الباب، فلان موجود ؟ لا، تفضل، هذا كلام مخالف للأصول، فالإنسان يجب أن يتعلم كيف يتكلم، وهذا الذي يقول عنه النبي عليه الصلاة والسلام فعليه أن يكون عفيفا أمام زوجته، وأمام الله، فحين يكون عفيفا على مرأى منها يعلمها أن تكون عفيفة مع غيره، مع البائع، مع الشاري، مع أي إنسان، أما إذا هو أخذ، وأعطى في الكلام، وكان لطيفا جدا، وكان لينا في الكلام، ونظر، وأدار حديثاً ممتعاً ومازحاً مع امرأة لا تحل له على مرأى من زوجته، فكأنه يعطيها مبررا لتشطط في الحديث.

ومن حق الزوجة على زوجها أن يأمرها بالصلاة، وأفضل شيء أن يصلوا سوية، ففي البيت الزوجة مع الأولاد، أصبحت الصلاة صلاة جماعة، فتوضؤوا، وصلوا جماعة، فمن حقها عليه أن يأمرها بالصلاة، وأداء الفرائض لقوله تعالى:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾

[سورة طه: الآية ١٣٢]

لذلك ورد في بعض الأحاديث أنّ الزوجة تتعلق يوم القيامة برقبة زوجها، وهي تقول: يا رب، خذ لي حقي من زوجي، لأنه كان يراني أفعل كذا وكذا من الموبقات فلم ينهني، وكان يراني أبتعد عن كذا وكذا من الخيرات وأداء الصلوات فلم يأمرني، يا رب، خذ لي حقي من زوجي.

إنّ الإنسان إذا لم يفعل فسوف يحاسب عن زوجته حساباً عسيراً.

الحق الثامن: عدم التحدث عن الأسرار الزوجية

شيء آخر، لا يجوز، ولا بأي شكل من الأشكال، ولا بأي تلميح أو تصريح، لا يجوز تحت طائلة أشد العقوبات أن يتحدث الزوج عن أسرار الحياة الزوجية للناس، فهذا الذي يفعل ذلك لا يغار على عرضه، ما كان بين الزوج والزوجة يجب ألا يعلمه إلا الله، فالنساء في بعض المجالس يتحدثن عن أزواجهن، وعن أسرار الحياة الزوجية، والزوج أحيانا يتحدث عن زوجته، وأسرار

العلاقة الزوجية، هذا الذي يفعل هذا فاقد للمروءة، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ))

[مسند أحمد]

وعن أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا))

[مسلم]

ولكن هذا لا يدخل في نطاق السؤال: هل صار العرس ؟ فالنبي عليه الصلاة والسلام سأل أبا طلحة، فقال: أعرّستم الليلة ؟ ولم يقصد النبي إلا أن يسأله: هل دخل بامرأته ؟ فهذه ليس لها علاقة بالعلاقة الزوجية.

الحق التاسع: عدم تكليف الزوجة بعمل فوق طاقتها

ومن حق الزوجة على زوجها ألا يكلفها عملاً فوق طاقتها، فهناك أحيانا زوج يضع برنامجا لتنظيف البيت غير معقول، ويحاسب حسابا شديدا، فالتدقيق سهل، والفحص سهل، أما الإنجاز فيتطلب جهداً كبيراً، فإذا كان لديها أولاد، وعندها عمل كبير، وأنت تحاسبها: لماذا لم تفعلي كذا ؟ ولماذا لم تفعلي ؟ فهذا خلاف الشرع، إذ لا يحل للزوج أن يكلف زوجته فوق استطاعتها، فقد تكون الأوامر في ذاتها مشروعة، ولكنها لظروف الزوجة تصبح غير مشروعة، كحالة الدورة الشهرية، حيث تكون المرأة ضعيفة، فيكلفها فوق طاقتها، ويحاسبها، وكأنها شديدة عتيدة، فهذا أيضا مخالف للشرع، والنبي عليه الصلاة والسلام أوصى ألا يكلف الإنسان خادمه فوق طاقته، فلأن يمتنع أن يكلف الإنسان زوجته فوق طاقتها من باب أولى.

السيدة فاطمة رضي الله عنها اشتكت إلى أبيها صلوات الله وسلامه عليه ما تلقى من مشقة الخدمة، فأمرها عليه الصلاة والسلام أن تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا اله إلا الله، والله أكبر، فهذا إشارة إلى أن من واجب الزوجة أن تقوم بخدمة زوجها، وبيتها بالمعقول، إلا أن الرأي الدقيق أنه إذا كان هناك مودة ومحبة ترتفع التكلفة، إذ إن الزوجة قد تعمل فوق طاقتها اختيارا ومبادرة منها، والزوج يعين زوجته، فمادام هناك محبة وألفة وإخلاص فكل شيء يحل

هذه بعض حقوق الزوجة على زوجها، والإنسان كلما أدى الحقوق كلما اقترب من خالقه، وكلما شعر أن الطريق إلى الله سالك.

والحمد لله رب العالمين

الفقه الإسلامي – موضوعات متفرقة – الدرس ٠١ : حقوق الزوجة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٤-٠٥-٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحقوق المعنوية للزوجة :

١ ـ حسن المعاشرة :

أيها الأخوة المؤمنون : وصلنا في موضوع الزواج إلى حقوق الزوجة ، وحقوق الزوجة كما بينا من قبل حقوق مادية ، كالمهر ، والجهاز ، والنفقة ، وحقوق معنوية .

أولى هذه الحقوق المعنوية حسن المعاشرة .

٢ ـ صيانة الزوجة :



والحق الثاني غير حسن المعاشرة صيانة الزوجة ، فماذا تعني صيانة الزوجة ؟ يجب على الزوج أن يصون الزوجة ، ويحفظها من كل ما يخدش شرفها .

هناك أزواج يأخذون من زوجاتهم حظوظهم ، ولكن لا يعنون بشرف زوجتهم ، وسمعتها ، وصيانتها ، فهم يستهترون بالقواعد الشرعية التي شرعها الله عز وجل ، فكلما يسلم عرضها ، ويمتهن كرامتها ، ويعرض سمعتها لمقالة السوء ، هذا مما يتحمله الزوج أمام الله عز وجل .

وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((إن الله يغار – الغيرة على الزوجة خلق عظيم – وإن المؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتي العبد ما حُرم عليه))

[البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

الفرق بين غيرة الله و غيرة المؤمن :


يغار الله على عبده العاصي فيسوق له الشدائد

ما الفرق بين غيرة الله عز وجل وبين غيرة المؤمن ، الله سبحانه وتعالى يغار على عبده أن يعصيه ، لذلك مما يدل على غيرة الله عز وجل أن العبد إذا عصاه ساق له من الشدائد ما يجعله يعود إليه راشداً غانماً .

الله سبحانه وتعالى يغار أيضاً أن يرى عبده يعتمد على مخلوق مثله ، من علامة غيرة الله عز وجل أن هذا المخلوق الذي اعتمد العبد عليه يخذله ، هذه علامة ثانية . إذا اعتمدت على عبد من عباد الله ، وعلقت عليه الآمال يغار الله عز وجل ، إذا تذللت أمام فلان وفلان عبد مثلك لا يملك شيئاً ، لا يقدم ولا يؤخر ، يغار الله عز وجل ، فيجعل الإساءة عن طريق هذا الذي اعتمدت عليه ، إذا التفت إلى ما سواه يغار الله عز وجل ، حتى أن بعضهم يفسر أن سيدنا إبراهيم عليه أتمّ الصلاة والتسليم حينما التفت إلى ابنه إسماعيل وهو نبي كريم غار الله عز وجل ، فأمره أن يذبح ابنه . لما يركن المؤمن لشيء مما سوى الله عز وجل ، إذا ركن المؤمن لزوجته ، وظن فيها سعادته لابد من أن تسيء هذه الزوجة ، لأن الله يغار خلقتك من أجلي ، لم أخلقك من أجلها .

إذا تعلق الإنسان بأي جهة من الجهات ، ورأى فيها خلاصه فإن الله يغار ، هذه غيرة الله ، من غيرة الله عز وجل أن العبد إذا بقي شارداً عن الله ، ملتفتاً إلى الدنيا بعث إليه شيئاً يذكره بالله ، حتى يسمع صوت عبده .

أي إذا إنسان زوج ابنه ، كان يأتي إليه كل يوم مرة ، بعدما زوجه لم يعد يأتيه بالشهر مرةً ، يتألم الأب ، أنسيتنا ؟ . .

الأب زوج ابنه ، النفقات على الأب ، هو اختار له إياها ، لما رآها نسي الأب . الأب يغار ، والله سبحانه وتعالى إذا رأى عبداً مؤمناً ، في الشدة ملتفت إليه ، فلما آتاه الدنيا نسيه ، يغار ، يسلبها منه . إذا أحب الإنسان ألا يسلبه الله النعم فلا يتعلق بها ، إذا تعلق بها سلبها الله منه ، هذه غيرة الله عز وجل ، أما غيرة المؤمن :

((وإن المؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتي العبد ما حُرم عليه))

[البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

وروي عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((ما أحد أغير من الله ، ومن غيرته حرم الفواحش))

[متفق عليه عن ابن مسعود]

لأن الله يغار حرم الفواحش ، أي أن يتعلق إنسان بغير زوجته الله يغار ، وهذا محرم ، زوج يميل إلى غير زوجته ، زوجة تميل إلى غير زوجها ، يصير استلطاف ، إن الله يغار ، هذا لم يسمح الله به عز وجل ، سمح لك بالزوجة ، قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾

[سورة المعارج: ٢٩-٣١]

((ما أحد أغير من الله ، ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وما أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل ، ومن أجل ذلك أثنى على نفسه ، وما أحد أحب إليه العذر من الله عز وجل ومن أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين))

[متفق عليه عن ابن مسعود]

الحديث جميل جداً ، يوضح أخلاق الله عز وجل .

((قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ وَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا



ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ))

[متفق عليه عن المغيرة بن شعبة]

أي إذا إنسان وهو في محله التجاري دخلت عليه امرأة ، إذا كان يحب الله عز وجل فالله يغار أن يلتفت هذا الرجل إلى هذه المرأة ، يجب أن تكون التفاته إلى زوجته فقط ، والزوجة إذا كانت مؤمنة تصون نفسها ، وتخاف أن تكون غيرة الله عز وجل قد اطلعت عليها، لذلك من علامات إيمان المؤمن العفة عند الرجال وعند النساء .

هناك فكرة ساذجة ، سخيفة أن الرجل لا يعيبه شيء ، والله الذي لا إله إلا هو إن الذي يعيب المرأة يعيب الرجل ، في عالم الإيمان ما يعيب المرأة يعيب الرجل ، أما في عالم الجهلة فالرجل لا يعيبه شيء ، أما المرأة فقط فيعيبها كل شيء ، المرأة والرجل سواء في العيب .

ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم :

١ ــ العاق لوالديه :

((ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالدَّيُّوثُ ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى))

[النسائي وأحمد عن عبد الله عن أبيه]



العاق لوالديه : لا يوجد إنسان أقرب لإنسان من الأب لابنه ، فالذي يعق والديه لا يدخل الجنة أبداً ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((ليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة))

[الحاكم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه]

وفي رواية " فلن يُغفر له . . " . لو أن في اللغة أقل من كلمة أف لقالها الله عز وجل ، أي أقل كلمة ، أقل صوت ، أف اسم صوت ،

يعني أتضجر ، أقل كلمة في اللغة إصدار صوت من الشفتين هو الفاء ، في هذه الكلمة عقوق للوالدين : " ما بر أباه من شدّ النظر إليه "

قال له : أحضر لنا هذه الحاجة من السوق ، فنظر له هكذا وقال : طيب . ذهب فأحضر الحاجة من السوق ثم عاد ، ولكن هذه النظرة فيها عقوق للوالدين . لذلك من علامات أهل الإيمان أن الأبناء يعتزون بآبائهم .

والنبي الكريم قال:

((رحم الله والداً أعان ولده على بره))

[كشف الخفاء رواه أبو الشيخ في الثواب بسند ضعيف عن علي وابن عمر مرفوعا]

٢ ــ الديوث :

((ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ وَالدَّيُّوثُ وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى))

[النسائي وأحمد عبد الله عن أبيه]



من هو الديوث ؟ النبي الكريم في أحاديث أخرى عرف الديوث قال: " الذي لا يغار على عرضه، أو يرضى الفاحشة في أهله " أي إذا أخذنا التعريف الدقيق : الذي يرضى الفاحشة في أهله بالمئة خمسة في بلادنا ، الذي يبلغه أن امرأته تأتي المنكر وتأتي الفاحشة ويسكت هؤلاء قلة قليلة ، ولكن الذي لا يغار على عرضه كثرة كثيرة ، أي إذا الأب جالس وزوجته على الشرفة تنشر الغسيل ، وهي متبذلة في ثيابها ، هذا الذي يرى زوجته هكذا ، ولا يتحرك فيه شيء ، هذا في عرف رسول الله ديوث ، الديوث لا يدخل الجنة ، الذي يفتخر أن تظهر زوجته بأكمل زينتها أمام الأجانب ، ويدعو الناس إلى التعرف على زوجته . . أعرفك عليها زوجتي المصون . أي مصون هذه ؟


نظرة الرحمة من الزوج للزوجة يحبها الله

هذا الذي يرضى الفاحشة في أهله ، أو لا يغار على عرضه ديوث ، والديوث لا يدخل الجنة ، ولا يذهبن الظن بكم إلى أن هذا تشدداً ، حينما تبدو المرأة بزينتها أمام أجنبي لابد من أن تقع أشياء لا تُحمد عقباها ، أقل هذه الأشياء ميل القلب ، أي أطهر إنسان إذا التقى إنسانة في مكان ، في دائرة ، في غرفة ، وتملى منها ، لو لم ينبس ببنت شفة أقل شيء أنه يميل إليها وينقطع عن الله عز وجل ، لكن الإنسان إذا مال إلى زوجته لا ينقطع عن الله ، يقوم ويصلي ويقبل في صلاته ، لأن هذه حلاله ، يصلي العشاء ، ويصلي الفجر، ويقبل على الله ، ويستغرق في كمال الله ، وهو مائل إلى زوجته ، لأن هذا يرضي الله عز وجل ، حتى أن النبي الكريم قال : "إذا نظر الرجل إلى امرأته نظرة رحمة أظلهما الله برحمته " ، و أن تضع اللقمة في فم زوجتك هي لك صدقة ، كأن الله في عليائه يرضى عن زوجين متحابين ، سبحان الله ! يرضى عن زوجين ودودين ، يرضى عن زوجة تؤثر رضا زوجها وعن زوج يؤثر رضا زوجته ، هذا كله شيء مباح ، هذه القناة الصحيحة ، هذا الشيء المسموح به .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾

[سورة المعارج: ٢٩-٣١]

٣ ـ المرأة المترجلة :

إذاً العاق لوالديه ، والديوث ، ورجلة النساء ، أي المرأة المسترجلة التي تبدو كالرجال فيما تلبس، أو فيما تقول ، أو تقلدهم فيما يفعلون ، في كلامهم ، في حركاتهم ، في تصرفاتهم ، في أشياء ترى أنها ترتفع في نظر الناس إذا قلدت الرجال . . شيء يقوله علماء النفس : المرأة هي أنثى وفيها أنوثة ، إذا استرجلت المرأة فقدت أنوثتها ، وإذا فقدت المرأة أنوثتها فقدت أجمل ما فيها ؛ فالوقاحة ، والصوت المرتفع ، والتصرفات التي تكون معهودة عند الرجال إذا فعلتها النساء فقدن أنوثتهن .

الطلاقة ، أحياناً أنت تغض بصرك وهي تنظر إليك ، أنت مستح منها وهي تنظر إليك ، هذه امرأة مسترجلة ، رجلة .

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حَجَّاجٌ لَعَنَ اللَّهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ))

[متفق عليه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ]

فالمرأة الرجلة ، والديوث ، والعاق لوالديه هؤلاء لا يدخلون الجنة .

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً الديوث والرجلة من النساء ، ومدمن الخمر قالوا : يا رسول أما مدمن الخمر فقد عرفناه ، فما الديوث ؟ قال: الذي لا يبالي من دخل على أهله))

[الدلائل في غريب الحديث عن عمار بن ياسر]

تقول : والله جاء رفيقك في غيابك ، يقول : أدخلته ؟ ليس من اللائق ألا تدخليه ، لماذا أدخله ؟ أأستقبله في البيت في غيابك ؟ لا يبالي . يأتي رفيقه يقول : هاتي القهوة أم فلان. ماذا هاتي القهوة ؟؟ هذا شيء لا يجوز ، هذا ديوث .

" قالوا: يا رسول الله أما مدمن الخمر فقد عرفناه ، فما الديوث ؟ قال : الذي لا يبالي من دخل على أهله ، قلنا : فما الرجلة من النساء ؟ قال: التي تتشبه بالرجال " .

الغيرة :


سوء الظن يفسد العلاقة الزوجية

إذاً وكما يجب على الرجل أن يغار على زوجته فإنه يُطلب منه أن يعتدل في هذه الغيرة ، هنا حالتان ، حالة سليمة ، وحالة مرضية . مرضان ووضع سليم ، المرض الأول المبالغة في الغيرة ، هذه مرض ، والمرض الثاني عدم الغيرة ، ديوث ، لا يبالي ، لا يهمه . أما الوضع السوي فالاعتدال في الغيرة ، فلا يبالغ في إساءة الظن بها ، ولا يسرف في تقصي كل حركاتها وسكناتها ، ولا يحصي جميع عيوبها ، فإن ذلك يفسد العلاقة الزوجية ، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل .

((إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْهَا مَا يَبْغُضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنَ الْخُيَلَاءِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْهَا مَا يَبْغُضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يَبْغُضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ وَالِاخْتِيَالُ الَّذِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ وَعِنْدَ الصَّدَقَةِ وَالِاخْتِيَالُ الَّذِي يَبْغُضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخُيَلَاءُ فِي الْبَاطِلِ))

[النسائي وأبو داود وأحمد عن جابر بن عتيك الأنصاري]

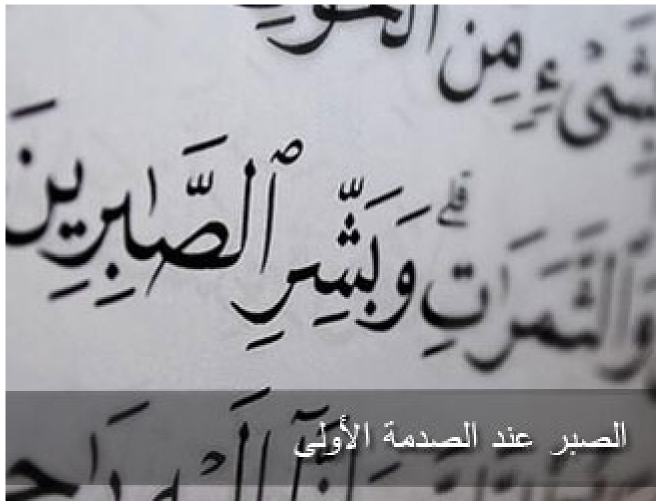
الغيرة في الريبة : شعرت الوضع غير طبيعي ، صار هناك ريبة ، هناك وضع لست مرتاحاً له، الآن الغيرة يحبها الله . لكن زوجتك مؤمنة طاهرة ، لم تر أبداً في سلوكها شيئاً شاذاً ، تقصي الحركات والسكنات ، ومن خبّرك ؟ وأريد أن أحضر جهازاً يسجل لي المخابرات الآتية في البيت، المبالغة في هذا الموضوع يفسد العلاقة الزوجية ، إن كانت هذه الغيرة مبنية على ريبة فهي التي يحبها الله عز وجل ، وإن كانت هذه الغيرة غير مبنية على ريبة فهذه التي يبغضها الله عز وجل ، وهي التي تسيء العلاقة بين الزوجين .

كذلك المرأة ، هناك امرأة غيورة ، والغيرة في النساء مرض وضعها الطبيعي سوي ، هناك امرأة لا تبالي ، هذه مريضة ، وهناك امرأة تبالي كثيراً لدرجة أنها ترهق زوجها بالتحقيقات ؛ أين كنت ؟ ومع من ذهبت ؟ وامرأة بين بين ، هذه تغار على زوجها إن ارتابت في سلوكه ، ولا تغار عليه إذا كانت واثقة من أخلاقه .

((وَالِاخْتِيَالُ الَّذِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ))

أي إذا كنت أمام عدو لله يجب أن تظهر بمظهر قوي ، إن هذه المشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن .

الله عز وجل يحب الرجل رابط الجأش عند الصدمات :



الصبر عند الصدمة الأولى

وعند الصدمة ، أحياناً الإنسان يبلغ نبأ مفجعاً ، الله يحب الإنسان إذا تبلغ نبأ مفجعاً أن يكون متماسكاً ، الصبر عند الصدمة الأولى ، أي إذا المرأة بكت لا مانع ، المرأة تبكي ، والطفل يبكي ، والصغير يبكي ، والشاب يبكي ،

كتاب المرأة المسلمة- لفضيلة الدكتور محمد ر

والشابة تبكي ، والبكاء لا يزلزل مكانة الباكي ، أما إذا الزوج بكي فتنهار الأسرة كلها ، أي بكاء الزوجة شرف لها ، بكاء الابن شرف له ، لكن بكاء الرجل عند المصيبة ، بكاؤه إذا تجلى الله على قلبه هذا بكاء الصحابة الكرام ، هذا بكاء الصديقين ، هذا البكاء الذي يحبه الله عز وجل ، إن لم تبكوا فتباكوا ، أي إذا إنسان جلس بذكر الله عز وجل وفاضت عيناه في الدموع أقول لك : هنيئاً له، قلبه حي ، هناك حياة بقلبه ، هناك نبض ، تذرف عيناه بالدموع ، هذا البكاء ليس له علاقة في حديثنا ، أما إنسان بلغه نبأ فبكى ، هو الرجل هو القيم في البيت ، لذلك من صفات الرجال محنكون في الأزمات ، متماسكون عند الزلازل ، أحياناً قائد جيش إذا فرطت أعصابه تفرط المعركة كلها ، القيادة العالية ، التماسك الداخلي ، مهما كانت الأخبار سيئة في الحرف ، مهما كان هناك تقدم واجتياح ترى القواد الكبار متماسكين ، لأنه إذا انهارت أعصابه انتهت المعركة . حتى ربان السفينة ، يكون هناك أخطار هائلة ، على وشك الغرق ، ربان الطائرة ، قائد الطائرة يكون في مطبات جوية خطيرة جداً ، أحياناً يكون في عطل خطير بالطائرة ، إذا انهار الربان ينتهي ، ويموت الركاب جميعهم . هناك مناصب قيادية أحوج ما يحتاج فيها الإنسان إلى رباطة الجأش وتماسك الأعصاب . فالله عز وجل يحب الإنسان أن يكون عند الصدمة رابط الجأش متماسكاً .

" ثلاثة أنا فيهن رجل ؛ ما سمعت حديثاً من رسول الله إلا علمت أنه حق من كتاب الله تعالى ، ما مشيت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول ، ما صليت صلاة فشُغلت نفسي بغيرها حتى أقضيها " رجولة :

﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾

[سورة النور: ٣٧]

سُئلت امرأة مسترجلة : أنك على هذا الموقف ثابتة ؟ قالت لهم : هل أنا رجل حتى أقلب ؟ أي نحن في عصر ضاعت قيمة الرجال ، أي هي تترفع عن أن تكون رجلاً فتغير موقفها . شيء مؤلم .

الاختيال :



الاختيال الذي يبغضه الله عز وجل الاختيال بالباطل ، يقولون إن أحد الصحابة كان له شأن – ليس اختيالاً حاشا لله ، كبر لا – في موقف ظنه

الصحابة تيهاً ، فقيل له : ما هذا التيه يا فلان ؟ قال: هذا ليس تيهاً ولكنها عز وطاعة .
الطائع يشعر بعزة ، إذا إنسان طائع لله عز وجل يحس نفسه غالياً على الله ، أحياناً بحياتنا الاجتماعية إذا رجل له مكانة كبيرة في دائرة ، عنده موظف مخلص ، ومستقيم وإنجازه شديد ، ومقرب من هذا المسؤول الكبير ، ترى هذا الموظف المخلص المستقيم النزيه عنده نوع من أنواع الكبرياء ، هذه مقبولة . . الحمد لله الذي أخرجنا من ذل معصيته إلى عز طاعته . والله الذي لا إله إلا الله في قلب المؤمن عزة لو جمعت أهل الأرض كلهم وما فيهم من كبر لا يبلغون ما عنده من عزة ، قال تعالى :

﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾

[سورة النساء: ١٣٩]

المؤمن عزيز .

سيدنا عبد الرحمن بن عوف ، جاءه رجل يقول له: يا أخي أنت أخي في الله ، خذ هذا البستان بكامله ، هدية ، قال له: بارك الله لك في مالك ، ولكن دلني على السوق . أحياناً إذا قلت لإنسان: خذ هذا المبلغ ، يتألم ، إذا دين آخذه ، أنت كن رقيقاً ، وقل له: دين . بكلمة دين حفظت له ماء وجهه .

وقال علي كرم الله وجهه :" لا تكثر الغيرة على أهلك فتؤتى بسوء من أجلها"

أي إذا شخص أكثر الغيرة ، هناك شخص كان يقفل الباب ، ما هذا الكلام ؟ الشباك مفتوح ، إذا قفلت الباب هناك هاتف ، لا يوجد حل وسط ، إما ثقة ، أو عدم ثقة ، أنت ابحث عن زوجة من أرقى الناس ، من أشرف العوائل ، ادرس الأمر دراسة ملية ، لا تتسرع بالزواج لأن الشك يتلف الأعصاب .

* * *

أحاديث تبدأ بكلمة إنما :

إلى بعض الأحاديث الشريفة . هناك بعض الأحاديث القصيرة التي تبدأ بكلمة إنما . .

تفسير إنما البيع عن تراض :

((إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ))

[أبو داود عن أبي سعيد]

طبعاً المعنى واضح ، والحديث من الأحاديث الواضحة ، لكن أردت أن أذكره لفكرة واحدة ، هو أن بعض الباعة يستغلون جهل بعض الزبائن ، يقول لك: هو راض . مثلاً يأتي زبون ، هذه الحاجة سعرها عشرة ، رآه غشيماً قال له: ثلاثون ، قال له: راعينا ، قال بخمس وعشرين من أجلك ، أنت ابن حلال ، يقول : إذاً أعطني ، ماذا يظن هذا البائع ؟ أن هذا البيع عن تراض ، لو كُشف لهذا الشاري أن هذه الحاجة سعرها عشر ليرات ، هل يرضى ؟ لا يرض ، لذلك التراضي هنا ليس معناه أن يرضى وهو لا يعلم ، أن يرضى وهو يعلم السعر الحقيقي ، هذه الناحية أضعها بين أيديكم لأنها خطيرة .

أخي هو رضي ، أحياناً يخفي العيب ، النبي الكريم قال : " من باع عيباً " ما سماه سلعة ، باع عيباً ، فكلمة تراضي ، الإنسان لا يرضى إذا كان مغبوناً ، أما يرضى إذا كان جاهلاً ، فرضاه وهو جاهل لا قيمة له ، ولا علاقة له بهذا الحديث إطلاقاً .

رضا الشاري الجاهل لا علاقة له بهذا الحديث ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((غبن المسترسل حرام))

[الطبراني عن أبي أمامة]

من هو المسترسل الغشيم ؟ الجاهل ، سبحان الله إذا الباعة غير مؤمنين و عرفوا أن هذا الشاري جاهل يرفعون السعر إلى درجة مذهلة ، لذلك عندما يسخر الله أناساً لقمع أناس فالله حكيم ، وهؤلاء دواء لهؤلاء ، وأما المستقيم فلا سلطان لأحد عليه .

((إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ))

[أبو داود عن أبي سعيد]

أي التراضي الحقيقي .

تفسير إنما الحلف حنث أو ندم :

حديث آخر : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّمَا الْحَلِفُ حِنْثٌ أَوْ نَدَمٌ))

[ابن ماجه عَنِ ابْنِ عُمَرَ]

أي نوع من أنواع الأيمان حنث أو ندم ، حلفت ألا تزور بيت أختك ، إن زرتها حنثت في يمينك، وإن لم تزرها تندم وتقول : ما كان يجب عليّ أن أحلف هذا اليمين . هناك حالة ندم ، فالإنسان يكون حراً طليقاً يقيد نفسه بيده . حلفت يميناً ألا تذهب زوجتك إلى عند أمها ، الآن إذا ذهبت

صار هناك طلقة ، وإن لم تذهب فأنت متألم أي زودتها في هذا اليمين ، أمها !! مثل ما تحب أن تزور أمك هي تحب أن تزور أمها ، فكل إنسان يحلف لابد من أن يندم ، ولا بد من أن يحنث ، والحنث مشكلة ، والندم مشكلة .

وقال أصيحابي الكرار أو الردى فقلت : هما أمران أحلاهما مر

***

انظر إلى هذا الكلام الموجز :

((إِنَّمَا الْحَلِفُ حِنْثٌ أَوْ نَدَمٌ))

[ابن ماجه عَنِ ابْنِ عُمَرَ]

أحياناً يكون له جار سمان ، يتشاجر هو وإياه ، يحلف بالله ألا يشتري منه ، يأتيه أحياناً ضيف ، ويلزمه أوقية لبن ، وهو بجانبه ، والباعة بعيدون ، فيتغلب غلبة لأنه حلف اليمين ، لا تحلف يميناً ، لا تقيد نفسك أبداً ، كن حراً طليقاً ، أنت قل بنفسك : لن أشتري من عنده ، وأنا أجد من علامة جهل الإنسان كثرة أيمانه ، كيفما تحرك يحلف يميناً ، تراه مقيداً ، من شيخ إلى شيخ ، حلفت طلقت أم لم أطلق ، والله نحتاج نحن إلى مجلس خبراء من أجل هذا الموضوع .

تفسير إنما الطاعة في المعروف :



((إنما الطاعة في المعروف))

[البخاري عن علي]

أحاديث كلها موجزة ، أحياناً تظن الزوجة أن الله أمرها بطاعة زوجها ، وإذا أمرها بالسفور ؟ فهذه ليست طاعة، إذا أمرها أن تدخل على رفيقه وتسلم عليه ، هذه ليست طاعة . حيثما وردت كلمة طاعة في القرآن والحديث فيعني في المعروف ، فيما شرع الله ، فيما أمر به ، فيما سمح به ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، أي مخلوق . من يطيع مخلوقاً في معصية الخالق كمن يتلقى أمراً من عميد ، ويتلقى أمراً من عريف ، فيطيع العريف ويعصي العميد ، يكون لا

يعرف الرتب إطلاقاً ، لا يعرف الصلاحيات ، هذا إنسان لا تقدم طاعته ولا تؤخر ، ولا تقدم معصيته ولا تؤخر ، ولكن ذاك الذي يملك الثكنة ، هذا مثل منتزع من حياتنا ، فالذي يطيع إنساناً ويعصي إلهاً ، هذا منتهى الحمق ، إنه من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله .

تفسير النساء شقائق الرجال :

ربنا عز وجل يزوج الرجال بما يشبههن من النساء ، وأغلب الظن أنه هذه الزوجة أنسب زوجة لي . أي الزواج حدث ضخم . طبعاً في حالات شاذة ، لها تفسير ، أما الحالة العامة فإن الطيبين للطيبات .

الطيبون للطيبات والطيبات للطيبين ، والزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة . له غلطة ، لها غلطة، له خبرات سابقة ، لها خبرات سابقة ، عفيف جداً ، عفيفة جداً ، ورع ، ورعة:

((إنما النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ))

[الترمذي عن السيدة عائشة]

هناك رجل فطن و هناك امرأة فطنة ، رجل عنده ذكاء اجتماعي و رجل أحمق و امرأة حمقاء .

((لا تسترضعوا الحمقاء ؛ فإنَّ اللبن يورِّث))

[البزّار عن عائشة]

هذه الحقيقة اكتشفت حديثاً أن جزءاً من أخلاق المجتمعات يتأثر بنوع الطعام بنوع اللحوم التي يأكلها المجتمع .

((لا تسترضعوا الحمقاء ؛ فإنَّ اللبن يورِّث))

[البزّار عن عائشة]

وتخيروا لنطفكم فإن العرق دســـاس ، فهذه الأحاديث : " إنما النساء شقائق الرجال " ، " إنما الطاعة في معروف " ، " إنما الحلف حنث أو ندم " ، " إنما البيـــع عن تــراض " .

حقائق أساسية : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . لا تحلف يميناً مهما يكن السبب ، إلا إذا استحلفت ، إذا استحلفت لا خيار لك .

قال له : أنا والله حلفت ، ولكن نويت على غيرها . قال : له أخذت منه المبلغ؟ قال : ما أخذتهم أنا سيدي ، قصده المفاتيح ما أخذهم ، اليمين على نية المستحلف لا على نية الحالف . يحنث بيمينه بحسب نية المستحلف لا بحسب نية الحالف .

فن الانتقاد الناجح المثمر مبني على حقيقتين :

والآن إلى السيرة التي نتحدث عنها كل أسبوع ، وهي متابعة لقصة سيدنا عمير ابن سعد . عمير هذا الشاب الصغير الذي لا يزيد عمره عن عشر سنين ، والذي حدثتكم عنه في الدرس السابق ، وكيف أنه كان سبباً في توبة عمه زوج أمه الجلاس ، وكيف أنه وقف موقفاً رائعاً . اليوم خطر في بالي خاطر ، النبي الكريم كان يصلي ، بعد أن نوى الصلاة وائتم به الصحابة الكرام ، جاء رجل متأخراً فأحدث من الجلبة والضجيج في الجامع ما شوش على المصلين صلاتهم ، بعد أن انتهى النبي الكريم من صلاته ، قال لهذا الرجل : " زادك الله حرصاً ولا تعد ". استنبط العلماء من هذا القول أن فن الانتقاد الناجح المثمر مبني على حقيقتين ؛ الحقيقة الأولى: أن تبدأ بالثناء على الذي تنتقده .

عندك ابن غلط ؛ أنا والله يا بني مسرور من أمانتك ، ومن أدبك ، ومن صلاتك، لكن هذا الموضوع لا أحبه لك . لما الابن سمع كلمات الثناء بما هو أهله ، الشيء الواقعي صار بعد هذا الثناء يتحمل النقد ، هذه بتلك ، صار هناك تعادل .

أساساً ألّف كتاب اسمه : كيف تكسب الأصدقاء ؟ لديل كارينجي ، هذا مؤلف أمريكي ، الكتاب طُبع منه خمسة ملايين نسخة ، من أوسع الكتب انتشاراً ، أي كيف تعامل الناس معاملة يحبوك فيها ؟ هناك رجل عالم في مصر ، ألف كتاباً تعقيباً على هذا الكتاب ماذا فعل ؟ دلل على أن كل قواعد هذا الكتاب إنما هي آيات كريمة ، وأحاديث شريفة . ففي أحد الفصول ، أنه إذا أردت أن تنتقد مرؤوساً لك ؛ أنت مدير معمل ، مدير مؤسسة ، رئيس دائرة، مدير ثانوية ، مدير مدرسة ، ضابط في قطعة عسكرية ، عندك عنصر أساء ، لابد من أن تحاسبه ، لما تحاسب هذا العنصر على خطئه ولا تذكر محاسنه ، هذا العنصر ينقم عليك ، هذا العنصر عامل جهده ، جاء باكراً ، عامل أعمالاً لا بأس بها ، غلط غلطة مع مراجع مثلاً استدعاه المدير ، هذه كيف تغلطها ؟ يتألم بنفسه ، أنه أما رأى دوامي مضبوطاً ؟ أما رأى إخلاصي ؟ ألم ير أني لم أرتشِ في حياتي ؟ لما المدير العام يقول له : أنا مسرور من نزاهتك وأنا أعرف أن دوامك مضبوط . وأنا بلغني أنك إنسان نبيه ، لكن هذا الموضوع لا تريد أن توصف به ، والموضوع كذا وكذا وكذا . الثناء الحقيقي ، المعتدل ، الواقعي ، إذا بدأ به الذي يحاسب ، ثم ثنى بالخطأ هذا الخطأ يُتقبل ، فالنبي الكرم لما ركض هذا الإنسان أحدث جلبة وضجيجاً وصياحاً في المسجد ، وشوش على المصلين،

هذا عمل سيئ ، ولكن بدافع ماذا؟ بدافع حرصه على الصلاة ، قال له عليه الصلاة والسلام: " زادك الله حرصاً ولا تعد"

جربوا هذه القاعدة ، لا يوجد واحد منا إلا و يكون تحت يده أحد ، قد يكون أباً ، قد يكون معلماً ، قد يكون عنده موظفون في محل تجاري ، أنت أثني على ما هو موجود ، ثم ثني بالخطأ ، وعلى انفراد ، إذا فعلت هذا أمام الناس صار تشهيراً ، والإنسان قلّما يعترف بخطئه إذا كان في ملأ . لا يعترف بخطئه .

تذكير الآخرين بفضلهم قبل انتقادهم :

لذلك سيدنا عمير بن سعد كان الجلاس أمامه قد تكلم بكلمة فيها كفر ، لكن أحسن له كثيراً ، قال له: والله يا عماه ، ما من رجل على ظهر الأرض أحب إلي بعد رسول الله منك . بدأ بموقفه ، حتى لا يقول ما هذا اللؤم ؟ ربيته ، أطعمته ، كسوته ، اعتنيت به و هكذا تكلم ، أي أنا أعرف فضلك عليّ .

سيدنا رسول الله بلغه أن بعض الأنصار في أنفسهم حزن ، قال له: يا رسول الله: إن قومي وجدوا عليك في أنفسهم – سيدنا سعد بن عبادة – قال: ولمَ ؟ قال: في هذا الفيء الذي وزعته على الأنصار ؟ قال له : يا سعد أين أنت منهم ؟ قال: ما أنا إلا من قومي . والله أنا مثلهم حزين أيضاً . قال له : اجمع لي قومك ، فجمع قومه ، قال لهم : " يا معشر الأنصار، مقالة بلغتني عنكم ، وجدة وجدتموها علي في أنفسكم ، من أجل لعاعة تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ، يا معشر الأنصار ، أما أنكم لو قلتم لصدقتم ولصدقتم به ، أتيتنا مكذباً فصدقناك ، أتيتنا عائلاً فأغنيناك ، أتيتنا ضعيفاً فنصرناك – هذا صحيح – لو قلتم هذا أنتم صادقون ، ولو قلتم للناس هذا أنتم مصدقون ، أنتم صادقون ومصدقون . ولكن يا معشر الأنصار ، ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي ؟ ألم تكونوا أعداءً فألف بين قلوبكم ؟ ألم تكونوا عالة فأغناكم الله ؟" متى بدأ بفضله عليهم ؟ بعدما ذكر فضلهم كما يتوهمون ، لا ينسى الجميل صلى الله عليه وسلم .

صهره دخل مع المشركين في حربه ، أبو العاص ، كان أحد الجنود أو أحد الأبطال إن كان هناك بطولة لجيش الكفار في بدر . ألقي القبض عليه أسيراً ، استعرض الأسرى فرأى صهره . . قال: والله ما ذممناه صهراً . كصهر ممتاز ، أما هنا فيحارب رسول الله . بكلمة ما ذممناه صهراً ذوبه ذوباناً . وضمه إلى بيته ، وأكرمه ، وقبل الفداء الأقل من المطلوب وأرجعه إلى زوجته . انظر هذه المواقف كلها ، أنت تريد أن تنتقد .

الآن معظم مشاكل الناس الانتقاد ، ينتقده بقسوة فيقطعه ، إن كان الأب مع ابنه ، إن كان الأخ مع أخيه ، الشريك مع شريكه ، الزوجة مع زوجها ، انتقاد حاد ، مؤذ ، كلمة قاسية ، اذكر الميزات،

هذه التي تشكو منها ، أليست عفيفة ؟ نعم ، أليست شريفة ؟ نعم . أليست سيدة منزل جيدة ؟ نعم. تطبخ ؟ تطبخ ، نظيفة ؟ نظيفة ، إذا كنت تريد أن تعاتب زوجتك ، قل لها : والله أنا ممنون من اهتمامك ، ومن ترتيبك ، ومن نظافتك ، ومن ، ولكن لي عندك ملاحظة . انظر الآن كلمة ممنون برد وسلام . أما إذا بدأت بالنقد تلقى بركاناً . . لذلك إذا أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئاً قالت: لم أر منك خيراً قط .

إذا إنسان بلغ سيدنا رسول الله ما معنى هذا ؟ أنه صار نماماً ، أنه تكلم عنك هكذا ، قال له: إني ذاهب إليه ، لأقول له ما قلت . وبهذا الكلام أعطاه فرصة ليتوب . ذكر فضله وانتقده ، وأعطاه فرصة ، وذهب وما غدر به ، وطفل عمره عشر سنوات .

كيفية اختيار عمر بن الخطاب ولاته :

سيدنا عمر رضي الله عنه كان يختار ولاته ، وكأنه يختار قدره . مهم كثيراً أن يحسن الخليفة اختيار الولاة ، لأنه أحد أسباب نجاحه في خلافته حسن اختياره للولاة ، وأحد أسباب إخفاق الخليفة سوء الاختيار للولاة ، هؤلاء الحواشي خطيرون جداً ، لأنه إن كانوا محسنين فالناس في بحبوحة ، وإن كانوا سيئين فالناس في بلاء .

قال : وكان رغم بصيرته النافذة ، وخبرته المحيطة يستأني طويلاً ، ويدقق كثيراً في اختيار ولاته ومعاونيه . اسمعوا هذه العبارة كان يقول سيدنا عمر: أريد رجلاً إن كان ليس عليهم أمير بدا وكأنهم أميراً عليهم ، وإن كان أميراً عليهم بدا وكأنه واحد منهم ، هكذا يريده. والله هذا مقياس من أرفع المقاييس ، يعين أميراً عليهم إنساناً منهم متواضعاً ، هو ليس أميراً عامل حاله أمير بالرعاية والاهتمام والشؤون والخدمة . إن كان ليس عليهم أمير بدا وكأنهم أميراً عليهم ، وإن كان أميراً عليهم بدا وكأنه واحد منهم . أريد والياً ، لا يميز نفسه على الناس في ملبس ، ولا في مطعم ، ولا في مسكن . يقيم فيهم الصلاة ، ويقسم بينهم بالحق، ويحكم فيهم بالعدل ، ولا يغلق بابه دون حوائجهم .

هذه الشروط الواجب توافرها في الولاة . والدليل هكذا كان سيدنا عمر ، ترك اللحم أثناء المجاعة أربعين يوماً فكركب بطنه فحدثه ، قال: يا بطني ، قرقر إن شئت أولا تقرقر ، فوالله لن تأكل اللحم حتى يشبع منه صبية المسلمين ، جاءته هدية من أذربيجان طعام نفيس ، فلما أكلها قال : يا هذا أيأكل عندكم عامة المسلمين هذا الطعام ؟ قال: لا هذا طعام الخاصة . فلفظها من فمه .

إلزام أمير المؤمنين عمر عمير بن سعد بولاية حمص :

في ضوء هذه المعايير اختار سيدنا عمر عمير بن سعد بعدما كبر والياً على حمص ، وحاول عمير أن يتخلص منها وينجو ، ولكن أمير المؤمنين ألزمه بها إلزاماً وفرضها عليه فرضاً ،

واستخار الله عميراً ومضى إلى واجبه وعمله ، وفي حمص مضى عليه عام كامل ، لم يصل إلى المدينة منه خراج ، ولا كتاب ، ولا خبر ، ولا شيء ، بل ولم يُبلغ أمير المؤمنين رضي الله عنه كتاباً ، و نادى أمير المؤمنين كاتبه وقال له: اكتب إلى عمير ليأتي إلينا ، فدعاه على جناح السرعة سيدنا عمير جاء من حمص إلى المدينة ، وسيدنا عمر كتب فقال: ذات يوم شهدت في شوارع المدينة رجلاً أشعث أغبر تغشاه وعاء السفر ، يكاد يقتلع خطاه من الأرض اقتلاعاً ، متعباً ، من طول ما لاقى من عناء ، وما بذل من جهد ، على كتفه اليمنى جراب وقصعة – قصعة : صحن – وعلى كتفه اليسرى قربة صغيرة فيها ماء . مطرة ، وصحن ، وجراب . وإنه ليتوكأ على عصا لا يؤودها حمله الضامر الوهنان ، وجلس إلى مجلس عمر في خطا وئيدة وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين . من هذا ؟ سيدنا عمير ، ما استدعاه عمر ، جاء .

ويرد عمر السلام ثم يسأله ، وقد آلمه ما رآه عليه من جهد وإعياء ما شأنك يا عمير ؟ قال : شأني ما ترى ، ألست تراني صحيح البدن ؟ قال: بلى ، معي الدنيا أجرّها بقرنيها ، هذه معي ، كل الدنيا أجرها ، هذا الجراب ، وهذه القصعة ، وهذه المطرة ،

قال: يا عمير ما معك ؟ قال: معي جرابي أحمل فيه زادي ، وقصعتي آكل فيها ، وأدواتي أحمل فيها وضوئي وشرابي ، وعصاي أتوكأ عليها ، وأجاهد بها عدواً إن عرض ، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعها ، هذا كل دنياي ، جئت من حمص أنا وأغراضي كلها ، قال عمر: أجئت ماشياً ؟ قال : نعم . قال : أو لم تجد من يعطيك دابة تركبها ؟ قال: إنهم لم يفعلوا ، وإني لم أسألهم . قال له : فماذا عملت فيما عهدنا إليك به ؟ قال : أتيت البلد الذي بعثتني إليه فجمعت صلحاء أهله، ووليتهم جباية فيئهم وأموالهم – انظر إلى هذه الإشارة ، الصلحاء ولاهم جباية الأموال ، أحياناً يكون هناك أخطاء كبيرة جداً في جباية الأموال ، أحياناً يتحمل الإنسان فوق طاقته ، أحياناً تنهار أسر – قال له عمر: فما جئتنا بشيء ؟ طبعاً الوالي يجبي الأموال ينفقها على المحتاجين ، والفائض يرسله إلى الخليفة . فقال له : أما جئتنا بشيء ؟ قال له : أتيت البلد الذي بعثتني إليه ، فجمعت صلحاء أهله ، ووليتهم جباية فيئهم وأموالهم ، حتى إذا جمعوها وضعتها في مواضعها ، ولو بقي منها شيء لأتيتك به .

قال له: أما جئتنا بشيء ؟ قال : لا ، فصاح عمر وهو منبهر سعيد : جددوا لعمير عهداً ، تمديد سنة ثانية ، فأجابه عمير في استغناء عظيم : تلك أيام قد خلت ، لا عملت لك ولا لأحد بعدك . سيدنا عمر ماذا قال ؟ قال : وددت لو أن لي رجالاً مثل عمير ، أستعين بهم على أعمال المسلمين أي نزاهة فوق التصور ، لم يملك من الدنيا إلا هذا الجراب ، وهذه القصعة ، وهذه المطرة كما يسمونها الآن ، وهذه العصا ، جاء بكل متاعه من حمص ، مشياً على قدميه ، فأمير حمص سيدنا عمير رسم واجباته فقال : ألا إن الإسلام حائط منيع ، وباب وثيق ، فحائط الإسلام العدل ، وبابه الحق .

له حائط ، وله باب ، الحائط هو العدل ، والباب هو الحق ، فإذا نُقض الحائط ، أي لا يوجد عدل، وحطم الباب ، استفتح الإسلام ، ولا يزال الإسلام مينعاً .
طبعاً استفتح الإسلام أي انتهى ، فتحت بلاد المسلمين ، وأخذت أرضهم ، وانتهكت حرماتهم ، وفعل بهم أعداؤهم ما يشاؤون ، متى ؟ إذا انهار الحائط وهو العدل ، وتخرب الباب وهو الحق ، ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد سلطانه ، وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ، ولا ضرباً بالسوط ، ولكن قضاءً بالحق ، وأخذاً بالعدل ، هذا كان منهجه في إدارة شؤون حمص .
سيدنا عمير رأيتم في الأسبوع الماضي حينما كان شاباً صغيراً كيف وقف من عمه الجلاس ، وحينما كبر وعينه سيدنا عمر والياً على حمص ، رأيتم تقشفه ، وزهده وورعه ، وتقاه . وكل واحد منا إذا تعفف عن الحرام ، إذا زهد في الدنيا ، وأحب الله ، وكان عند أمره فهو من أسعد الناس بلا شك ، ولا يزيده الزمن إلا سعادة ، والزمن في صالحه ، ومهما امتد به العمر يزداد رفعة ، وسعادة ، ومكانة ، فإذا جاء الموت كان الموت عرسه ، وفرحته الكبرى ، لأن الله عز وجل أعدّ للمؤمنين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

إمكانية الهدى موجودة عند كل إنسان :

هناك سؤال : هؤلاء الصحابة هل هم من طينة ونحن من طينة ثانية ؟ لا والله . والله الذي لا إله إلا هو حينما خلق الله الخلق لم يميز أحداً على أحد ، فرعون عنده استعداد أن يكون مؤمناً كبيراً، لذلك :

﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً ﴾

[سورة طه: ٤٣ -٤٤]

إمكانية الهدى عند فرعون موجودة ، إذا رأيت إنساناً ضالاً بعيداً عن الحق ، عنده استعداد أن يكون من كبار المؤمنين ، كهؤلاء الصحابة الذين بلغوا الأوج ، سعدوا وأسعدوا ، أخلصوا لله فكسبوا الدنيا ، هم ملوك الآخرة ، هؤلاء الصحابة هم ملوك الآخرة .

أحياناً يكون الإنسان له عمل متواضع ، يأتي إلى مكان آخر له شأن كبير ، فالإنسان قد يكون في الدنيا إنساناً عادياً ، لكن إذا انتقل إلى الدار الآخرة قد يكون ملكاً من ملوك الآخرة ، يُشار له بالبنان .

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾

[سورة الواقعة]

الإنسان ألا يغار ، هذه القصص ألا تبعث الغيرة في نفس أحدنا ؟ والإله موجود كما هو ، وأبواب البطولة مفتوحة ، أبواب التقوى ، والعمل الصالح ، ومد يد المعونة للناس ، وذكر الله ، وقراءة

القرآن ، والتفكر في آلاء الله ، كله مفتوح ، والله هو هو ، وكل الفرص التي كانت متاحة لهؤلاء الصحابة متاحة لكم ، ولي الآن . ألا تستطيع أن تكون ورعاً ؟ نعم . ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط ، ألا تستطيع أن تكون محسناً ؟ نعم . ألا تستطيع أن تكون محباً لله ؟ نعم . كله بيدك ، فلماذا هؤلاء كانوا هكذا ولماذا نحن هكذا؟ نحن ألف كألف ، وكانوا واحداً كألف ، فلذلك سُمي عصر رسول الله عصر الأبطال . إذا الطفل هكذا مواقفه ، ولما كبر صار والياً على حمص ، هكذا مواقفهم ، الإنسان يستطيع أن يسلك هذا الجانب .

على الإنسان محاسبة نفسه ليرتفع عند الله عز وجل :

أنا أردت من هذه القصص ليس المتعة ، أي إذا خطر ببال أحدكم أن هذه القصص ممتعة ، هي ممتعة ، ولكن والله ما أردتها لأنها ممتعة ، ولكني أردتها كدرس عملي أمامنا ، وحافز يحفزنا إلى أن نكون على قدم هؤلاء ، قال: لا تسبوا أصحابي من بعدي ، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغتم مد أحدهم ولا نصيفه .

ورع ، محبة ، استقامة ، طهر ، إخلاص ، صدق ، تضحية ، هكذا كانوا والأبواب مفتحة ، فالإنسان يحاسب نفسه ، أنا ماذا فعلت من هذه القصص ؟ من هذه المواقف المشرفة ؟ هل لي مواقف مثلها ؟ هل لي مواقف أفخر بها عند الله عز وجل ؟ لقد رضي الله .

الآن أرقى لقب ، يقول لك : معه بورد ، يكتبها عند أحسن خطاط يضع لها إضاءة من الداخل . والله كلمة رضي الله عنه والله أرقى من بورد ، إذا كان إنسان مذنب رضي عنك فأعطاك هذه الشهادة ، فكيف إذا رضي عنك الإله ؟

ما معنى منحوه شهادة ؟ رضوا عنه . متى يمنح الدكتور الطالب الإجازة ؟ عندما يرضى عن مستواه العلمي ، كأنها رضي فلان عنه ، فإذا رضي فلان عنه فمنحه هذه الشهادة فكيف إذا رضي الله عنه ؟ فكلمة رضي الله عنه أعلى لقب علمي ، أعلى لقب أخلاقي ، أعلى لقب إنساني، الإنسان يسعى أن يرضي الله عز وجل ، لذلك :

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾

[سورة الفتح : ١٨]

لذلك : "ما ضر عثمان ما فعله بعد اليوم " . إن شاء الله عز وجل يكرمنا ، ويكون لأحدنا موقف مشرف ، موقف أخلاقي ، موقف فيه نبل ، موقف فيه تضحية ، فيه معاونة ، فيه ورع ، فيه عفة . قال لي مرة شخص : دُعيت إلى امرأة ذات منصب وجمال ، فقلت : إني أخاف الله رب

العالمين . . هذه القصة وقعت معه من ثلاثين سنة كلما رأى شخصاً يحكيها له ، يفتخر فيها ، هذا موقف ، موقف مشرف ، لا أحد يخشاه إلا الله .

والإنسان كلما تقدم بهذا الموضوع يسعد ، في فترة يحس حاله كتلة من السعادة متنقلة ، شيء عظيم عند الله عز وجل ، أما المال وحده فلا يرفع الإنسان عند الله عز وجل ، لا المال ولا الشهرة ولا أي شيء من متاع الدنيا .

والحمد لله رب العالمين

الباب الرابع : العورات

٠١ – العورات

٠٢ – عورة الرجل بالنسبة للمرأة

٠٣ – عورة المرأة بالنسبة للمرأة

٠٤ – عورة المرأة بالنسبة للرجل

الفقه الاسلامي – العبادات التعاملية – الحلال والحرام – الدرس ١١-٢٢ : العورات.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٦-٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

نهي النبي عليه الصلاة و السلام عن النظر إلى العورات :

أيها الأخوة الكرام: مع الدرس الحادي عشر من سلسلة دروس: "الحلال والحرام في الإسلام"، وقد بينت لكم كثيراً أن أخطر موضوع بعد الإيمان بالله هو الحلال والحرام، لأنك بالكون تعرفه، وبالشرع تعبده، وكيف تطيع الله عز وجل إن لم تعرف حدوده؟ وكيف تعبده إن لم تعرف منهجه؟ فلذلك طلب الفقه حتم واجب على كل مسلم.

وصلنا في الدرس الماضي في موضوع الحلال والحرام في علاقة الرجل بالمرأة إلى تحريم النظر إلى العورات.

النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النظر إلى العورات ولو كان من رجل إلى رجل أو من امرأة إلى امرأة، طبعاً من امرأة إلى رجل أشد بكثير، من رجل إلى امرأة أشد بكثير، لكنه نهى عن النظر إلى العورات، ولو من رجل إلى رجل، أو من امرأة إلى امرأة، وهذا مما يغفل عنه كثير من المسلمين بشهوة أو بغير شهوة، كل كلمة لها معنى.

نهى عن النظر إلى العورات ولو كان من رجل إلى رجل، أو من امرأة إلى امرأة، بشهوة أو بغير شهوة، لأنه إذا قال الإنسان: أنا لا أشتهي ثم يشتهي، فالشهوة تتنامى، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد))

[مسلم عن أبي سعيد الخدري]

إذا اعتبرنا لا نافية، النفي هنا أقوى، أو أن نقول: لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، لا ناهية، كلاهما يصح.

النظر المباح إذا خيفت معه الفتنة يصبح محرماً :

الانحرافات الجنسية ربما كان مبعثها أن يفضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد، أو المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد، هذا كلام النبي عليه الصلاة والسلام، لا نظر ولا مس، الحديث رواه الإمام مسلم، واستدل العلماء في الحديث الشريف على عدم جواز اضطجاع الرجل مع الرجل والمرأة مع المرأة في ثوب واحد، أي إذا كان هناك مباشرة في الجسد فهناك نهي شديد عن هذا. أما عورة الرجل الذي لا يجوز النظر إليها من رجل أو امرأة فتحدد فيما بين السرة والركبة، وعورة المرأة جميع بدنها والوجه والكفان موضوع يحتاج إلى تفصيل، الأصل أن المرأة عورة من فرقها إلى قدمها، والقاعدة أنه ما لا يجوز النظر إليه من العورات لا يجوز أن يمس باليد، أو بجزء من البدن، كل هذه الأحكام تستثنى أو توقف عند الضرورة والمعالجة، أي للطبيب المسلم الورع أن ينظر إلى موقع الألم من جسم المرأة، وأن يعالجه، وأن يجسه بيده إن كان الفحص يقضي هذا.

هذا الحديث رواه الإمام مسلم وهو أصل في هذا الموضوع، القاعدة التي يجب أن تكون واضحة عندكم جميعاً النظر المباح إذا خيفت معه الفتنة يصبح محرماً.

ولا تنسوا أننا في عصر فتنة، إذا ورد في أحكام الفقهاء ما يشير إلى أنه إذا أمنت الفتنة، الآن الفتنة قائمة، والفتنة يقظى، والعصر عصر جنس، والعصر عصر شهوة وامرأة، فلذلك الأولى أن يأخذ بالأحوط.

من سماحة الإسلام أنه عفا عن النظرة الأولى الفجائية التي لا يملك الإنسان حيالها غض بصره لذلك قال أحدهم:

((سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة – أي البغتة من غير قصد – فقال : " اصرف بصرك "؟))

[مسلم في صحيحه عن جرير بن عبد الله]

أي لا تعاود البصر مرة ثانية هذا من عفو الإسلام وسماحته.

الآية الكريمة التالية تشير إلى تحريم إبداء زينة المرأة :

لكن الإنسان يعلم وحده علم اليقين ماذا تعني النظرة الأولى، أي كلما اشتد الورع تقصر هذه النظرة إلى أن تكون كالخطفة، الآية الكريمة التي تشير إلى إبداء زينة المرأة أو إلى تحريم إبداء زينة المرأة هي قوله تعالى:

﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

[سورة النور: آية ٣١]

قال العلماء: زينة المرأة الزينة الطبيعية أو زينة الحلي، على كلٍ ولا يبدين زينتهن، المواضع التي زين الله بها المرأة هذه الزينة الطبيعية، أو المواضع التي توضع فيها الزينة الظاهرة، كالقرط والعقد والسوار والخلخال، هذه المواضع قال تعالى:

﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

[سورة النور: آية ٣١]

والدقة في التعبير أن الله عز وجل لم يقل إلا ما أظهرن منها، إلا ما ظهر منها عن غير قصد، وقد فسر العلماء هذا الظهور عن غير قصد أن طول المرأة ليس في إمكانها أن تخفيه، وأن لون ثيابها ليس في إمكانها أن تخفيه، وامتلاء جسمها أو عدم امتلاء جسمها ليس في إمكانها أن تخفيه، لذلك قال تعالى:

﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

[سورة النور: آية ٣١]

المرأة المؤمنة الطاهرة ترتدي ثياباً سابغة داخلية لئلا يبدو شيء من جسمها :

وقد أشار بعض العلماء إلى أن هذه الزينة التي زين الله بها المرأة لو أنها ظهرت عن غير قصد، وقعت في الطريق مثلاً، بالمناسبة المرأة المؤمنة الطاهرة ترتدي ثياباً سابغة داخلية، بحيث لو أنها تعثرت في الطريق لا يبدو شيء من جسمها، هذا من آداب الإسلام أن ترتدي المرأة ثياب احتياط فيما لو تعثرت قدمها وأصبحت طريحة الأرض لا يبدو شيء منها.

على كلٍّ حال لو كان هناك فعل غير مقصود وظهر شيء من زينتها هذا أيضاً مما عفا عنه الإسلام.

﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

أما الشيء الذي بإمكانها أن تظهره أو ألا تظهره فليس هو المقصود، لو كان هو المقصود لجاءت الآية إلا ما أظهرن منها، إذا كان بإمكان المرأة أن تظهر أو لا تظهر لجاء النص كما

يلي: ولا يبدين زينتهن إلا ما أظهرن منها، أما إلا ما ظهر منها عن غير قصد، فطولها لا يمكنها أن تخفيه، وامتلاء جسمها لا يمكنها أن تخفيه، ولون ثيابها لا يمكنها أن تخفيه، وإذا تعثرت وظهر بعض أعضائها هذا ليس عن قصد، ولا عن رغبة، هذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

وهناك آراء أخرى هذا الرأي هو أوجه الآراء، وهو الرأي المعتمد.

على المرأة المسلمة أن تجتهد في إخفاء زينتها ما استطاعت :

تعليق لطيف: الأكمل للمرأة المسلمة أن تجتهد في إخفاء زينتها ما استطاعت، وذلك لانتشار الفساد، وكثرة الفسوق في عصرنا، ثم يقول الله عز وجل:

﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾

[سورة النور: آية ٣١]

والخمر جمع خمار وهو غطاء الرأس، والجيوب جمع جيب وهو فتحة الصدر من الثوب، وليضربن بخمرهن على جيوبهن مروراً بوجوههن يؤكد هذا قول السيدة عائشة رضي الله عنها وقد أورد هذا الإمام البخاري:

((كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرمات، فإذا حازونا أسدلت إحدانا جلبابها على وجهها))

[البخاري عن عائشة

كما يحق للخاطب أن يرى استثناءً من عورة المرأة وجهها وكفيها.

العلماء استدلوا بهذا الحديث على أن الوجه عورة، ثم إن الله تعالى يقول:

﴿ وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾

[سورة الأحزاب:آية ٥٣]

الأولى بالإنسان أن يأخذ بالأحوط :

أما الحديث الذي يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح لها أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه))

[أبو داود عن عائشة

قال: هذا الحديث فيه ضعف، فيه انقطاع وفيه راوٍ كذاب.

الموضوع: هناك المتشددون، وهناك المتساهلون، والأحوط أولى، هذا الموضوع احتمالي قال تعالى:

﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾

[سورة النور: آية ٣١]

الآن موضوع الزينة الطبيعية والمجلوبة المصنوعة، أن تضع القرط في أذنها، والعقد في جيدها، والسوار في معصمها، والخلخال في رجلها، مكان الزينة زينة، والزينة نفسها المجلوبة زينة.

الأصناف التي استثناها القرآن الكريم من إخفاء الزينة :

ثم قال:

﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن ﴾

استثنى القرآن الكريم من إخفاء الزينة هؤلاء الأصناف الآتي ذكرهم، أولاً بعولتهن، البعل له حكم خاص، أي الزوج مستثنى من كل قيد، الزوج له أن يرى من زوجته ما يشاء، وكذلك المرأة وفي الحديث الشريف:

((احفظ عورتك إلا من زوجتك))

[أحمد والبخاري عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده]

الصنف الثاني:

﴿ آبائهن﴾

ويدخل في الآباء الأجداد من قبل الأب، أو من قبل الأم،

﴿آباء بعولتهن﴾

فقد أصبح لهم حكم الآباء بالنسبة إليهن، أي والد زوجها، ثم أبنائهن و مثل هؤلاء أبناء أبناءهن و أبناء بناتهن، الفروع مهما نزلت و الأصول مهما علت، أبناء أزواجهن لضرورة الاختلاط بهن و لأنها بمنزلة أمهن في البيت.

لكن بعد قليل أشير إلى أن هناك محارم كالأم، و البنت، و الأخت، و بنت الأخت، و بنت الأخ، و هناك محارم تأتي بالمصاهرة كزوجة الابن، هذه لها حكم آخر سوف أشير إليه بعد قليل.

﴿إخوانهن﴾

أكانوا أشقاء أو من أب أو من أم،

﴿ بني إخوانهن﴾

لما بين الرجل و عمته من حرمة أبدية،

﴿بني أخواتهن﴾

لما بين الرجل وخالته من حرمة أبدية،

﴿نسائهن﴾

أي النساء المتصلات بهن نسباً أو ديناً، هذا معنى نسائهن، أما المرأة غير المسلمة فلا يجوز أن ترى من زينة المسلمة إلا ما يراه الرجل على الصحيح لعلة أنها تصف للناس شكل المرأة، ومواضع الفتنة فيها، وكأن الرجال ينظرون إليها.

وأما قول الله عز وجل:

﴿ أو ما ملكت أيمانهن﴾

العلماء أشاروا للإماء دون الذكور، الجارية في البيت لها أن تنظر إلى سيدتها، أما العبد الذكر في البيت إذا نظر إلى سيدته فيشتهيها، هذا حكم الطبيعة،

﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال﴾

هؤلاء الذين لصفة طارئة فيهم فقدوا شهيتهم للنساء، ولهم علاقة بهذا البيت،

﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾

هم الصغار الذي لو تكن في نفسهم المشاعر الجنسية، إبداء الزينة يجوز لهؤلاء الأصناف جميعاً.

﴿ لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾

الحقيقة أن الآية أغفلت صنفان ممن يحق لهم أن يروا زينة المرأة العم والخال، والنبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح يقول:

((عم الرجل صنو أبيه))

[مسلم عن أبي هريرة]

على النساء أن يظهرن أمام محارمهن بثياب الخدمة :

أيها الأخوة: حينما أبيح للرجل أن يرى محارمه هؤلاء أمه، وبنته، وأخته، وبنت أخته، وبنت أخيه، وعمته، وخالته، هذه المحارم العلماء أشاروا إلى مصطلح وهو أن يظهرن أمام محارمهن بثياب الخدمة، وثياب الخدمة هي الثياب التي ترتديها المرأة أثناء خدمة البيت، أي لها أن تظهر وجهها، وشعرها، وجيدها، ومعصمها، وساقيها، أي تحت الركبة وقريب من الرقبة تحت العضد، هذه ثياب الخدمة التي يجوز للرجل أن ينظر إلى أمه، أو أخته، أو بنت أخيه، أو بنت أخته، أو عمته، أو خالته.

المرأة التي تظهر مفاتنها لسان حالها يدعو الرجال إلى التحرش بها :

ثم إن الله تعالى يقول:

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما﴾

[سورة الأحزاب: آية ٥٩]

في الآية إشارة لطيفة جداً إلى أن الرجل إذا نظر إلى امرأة وقد أظهرت مفاتنها ربما أوقع بها الأذى إما بلسانه، أو بيده، فالمرأة التي تظهر مفاتنها لسان حالها دعا الرجال إلى التحرش بها، هذه قاعدة.

أي امرأة تظهر مفاتنها عن عمد وقصد لسان حالها يدعو الرجال أو الذئاب إلى أن يتحرشوا بها، وأن يسمعوها كلاماً مخجلاً وأن يمدوا إليها أيديهم.

حجاب المرأة هو أقل ما تعرف به ولكن أكثر علامة تقواها وورعها وحفظ لسانها :

لذلك قال تعالى:

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾

[سورة الأحزاب: آية ٥٩]

هناك إشارة لطيفة في هذه الآية إلى أن حجاب المرأة هو أقل ما تعرف به، هناك نساء يتوهمن أنهن لمجرد أنهن تحجبن فعلن كل شيء، ما فعلن إلا شيئاً واحداً، هناك معرفتهن بكتاب الله، معرفتهن بحديث رسول الله، قيامهن بواجباتهن تجاه أزواجهن و أولادهن، كما أن الطالب أقل شيء يعرف أنه طالب زيه الرسمي، هذا الزي الرسمي الذي يرتديه طالب الجامعة أو طالب الثانوي هو أقل ما يشير إلى أنه طالب علم، لكن الحقيقة ليس هذا الزي هو الدليل الوحيد، هناك علمه، وتفوقه، وأوراق امتحانه، ونجاحه في الامتحانات، لكن أقل علامة تشير إلى أنه طالب علم هو ذلك الزي، وكذلك المرأة المسلمة أقل علامة تدل على أنها مسلمة هو حجابها، ولكن أكثر علامة تقواها، ورعها، حفظ لسانها، حفظ مال زوجها، حفظ نفسها في غيبة زوجها، حسن رعايتها لزوجها وأولادها هذا الذي يعليها عند الله عز وجل.

((أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة))

[فيض القدير شرح الجامع الصغير]

((اعلمي أيتها المرأة، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[ورد في الأثر]

المرأة المؤمنة معروفة بالحشمة و الوقار :

في الآية إشارتان لطيفتان؛ الأولى أن إظهار أية فتنة في المرأة يعبر عن رغبتها في أن تستجلب نظر الرجال لو لم تعترف بذلك، المرأة التي تحب أن تظهر مفاتنها عن طريق الثياب غير الشرعية إنما هي امرأة عندها رغبة عميقة إلى أن تلفت نظر الرجال إليها، لذلك إذا آذوها بالكلام أو بغير الكلام فهي المتسببة، هناك من تتوهم إنها شريفة بمعنى أن أحد اًلا يستطيع أن ينالها بالأذى، حينما تظهر مفاتنها في الطريق هي تدعو الآخرين إلى أن ينالوها بالأذى، لذلك قال تعالى:

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً﴾

[سورة الأحزاب: آية ٥٩]

يعرفن بالحشمة والوقار

﴿فلا يؤذين﴾

أما هذا الجمال الذي أودعه الله في المرأة فهذا من أجل أن ينشأ بينها وبين زوجها مودة بالغة، هذا الجمال لزوجها ليس لعامة المسلمين، وكلمة

﴿أدنى أن يعرفن﴾

الحجاب وحده لا يكفي، لو أنها تحجبت وكانت ثرثارة، مغتابة، مهملة لزوجها، حسودة، حقودة، وتريد أن تزول النعم عن غيرها لتصير إليها، حجابها هذا لا يغني عنها من الله شيئاً، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((إن فلانة ذكر من كثرة صلاتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في النار))

[أخرجه البزار عن أبي هريرة]

﴿ذلك أدنى أن يعرفن﴾

أي أقل شيء، أقل علامة تشير إلى أن هذه المرأة مسلمة حجابها، أما أكبر علامة فتربيتها لأولادها، رعايتها لزوجها، ضبط لسانها، ضبط مشاعرها، الإخلاص لزوجها، هذه أعلى علامة، أدنى علامة ثيابها، كما أن أدنى علامة تشير إلى أن هذا الشاب طالب الثياب الرسمية التي ألزم أن يرتديها لكن قد يأخذ أصفاراً في كل المواد، جاهل فهل يعد هذا الزي الذي يرتديه الطالب دليلاً قطعياً على علمه؟ لا هذا أقل دليل، لذلك قال تعالى:

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما﴾

[سورة الأحزاب: آية ٥٩]

ويوجد آراء لمفكرين معاصرين أدباء أن أية امرأة تظهر مفاتنها هي تدعو الشباب إليها، تدعو الناس إلى التعليق عليها، وإيذائها بالكلام وبغير الكلام.

المرأة ليست للجميع هي خاصة لزوجها ومحارمها :

هناك حديثان شريفان؛ يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر الذي بينها وبين الله عز وجل))

[رواه الترمذي واللفظ له وقال حديث حسن ورواه أبو داود وابن ماجة والحاكم وقال صحيح على شرطهما ورد هذا في الترغيب والترهيب عن أبي مليح الهذلي]

امرأة تخلع ثيابها وتبدي محاسنها في غير بيت زوجها.

أحياناً يكون الزوج واثقاً منها، أرسلها إلى بيت أختها مثلاً زوج أختها بدت أمامه بأبهى زينة، خلعت معطفها، وخلعت ثيابها، وبدت مفاتنها أمام زوج أختها.

((ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر الذي بينها وبين الله عز وجل))

[رواه الترمذي واللفظ له وقال حديث حسن ورواه أبو داود وابن ماجة والحاكم وقال صحيح على شرطهما ورد هذا في الترغيب والترهيب عن أبي مليح الهذلي]

ابن ماجه عن أبي مليح الهذلي]

هؤلاء نساء المسلمين اللواتي يذهبن إلى الأعراس بأبهى زينة وكأنها في ليلة عرسها، المدعوة ليست العروس، ثم يأتي هذا العريس الشاب يجلس مع عروسه، ويمتع نظره بهؤلاء الجالسات، ويأتي المصور ليصور، ويطبع من هذا الشريط النسخ العديدة، وكل إنسان في بيته يراه، ثم يسأل من هذه ؟زوجة فلان، هذا ما يجري في بيوت المسلمين، هل هناك مبالغة؟

لذلك كلما رخص لحم النساء غلى لحم الضأن وكلما قلّ ماء الحياء قلّ ماء السماء.

وفي حديث آخر عن أم سلمة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها خرق الله عنها ستره))

[أحمد و الطبراني عن أم سلمة]

أي أن الله عز وجل زين المرأة –وهذا من فضل الله عليها– جعلها محبوبة، وجعلها مطلوبة، وجعلها مرغوبة بهذه الزينة، هذه الزينة لمن سمح الله له أن يراها؛ لزوجها، وثياب الخدمة لأبيها، وأخيها، وابنها، وعمها، وخالها، وابن أخيها، وابن أختها، أما أن تكون لوحة فنية للجميع، فليست للجميع بل هي خاصة لزوجها ومحارمها.

تميز المرأة المسلمة عن غير المسلمة بخلق الاحتشام والعفاف والحياء :

قد يسأل سائل هؤلاء الفتيات الكاسيات العاريات أين آباؤهن؟ أين أزواجهن؟ أين إخوانهن؟ ثم إن المرأة المسلمة تتميز عن غير المسلمة بخلق التصون، و الاحتشام، والعفاف، والحياء، وصدقوني أيها الأخوة: للاحتشام والعفاف والتصون والحياء جمال لا يعرفه إلا من أتاه الله ذوقاً رفيعاً، المرأة جميلة جداً باحتشامها، وبصونها، وبعفافها، وحينما تتبذل تصبح كالشيء الساقط المبتذل، والمرأة الكافرة من لوازمها التكشف وإبداء الزينة عن قصد أو عن غير قصد، والأصح عن قصد، لذلك قال الله تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى (٣٣) ﴾

[سورة الأحزاب:آية ٣٣]

ما هو التبرج؟ نحن درسنا محوره الحلال والحرام في علاقات الرجل بالمرأة، فذكرنا الحجاب، وذكرنا إبداء الزينة المباح، والآن نصل إلى موضوع التبرج.

تعريف التبرج :

التبرج في المعنى الدقيق: التكشف والظهور للعيون، ومنها بروج مشيدة، البرج: الشيء العالي الظاهر، وبروج السماء معروفة عندكم، والسماء ذات البروج في هذه المجموعات من النجوم التي ترى بوضوح شديد في أثناء حركة الأرض حول الشمس، قال الإمام الزمخشري في شرح معنى التبرج: "تكلف إظهار ما يجب إخفاءه"، أي تكشف المرأة وإبداء زينتها الظاهرة والخفية وإظهار محاسنها.

التبرج قد يبدو في المشية، وقد يبدو في الحديث، ممكن أن يكون كلام المرأة في لين، لين كلامها من التبرج، طريقة مشيتها من التبرج، إظهار زينتها الظاهرة والباطنة من التبرج، وقد يكون هذا الذي يجب إخفاؤه موضعاً في الجسم، أو حركة العضو منه، أو طريقة في الكلام، أو المشي، أو حلية مما تتزين النساء منه، أو يلبسنه، قال تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى (٣٣) ﴾

[سورة الأحزاب:آية ٣٣]

الأصل أن تقر المرأة في بيتها، خروجها لسبب استثنائي، وليس الأصل أنها في الطريق والبيت استثناء، القاعدة هو البيت والاستثناء هو الخروج، لذلك قال تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى (٣٣) ﴾

[سورة الأحزاب:آية ٣٣]

أي إذا خرجتم لضرورة لا تتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، هناك من يفهم الآية فهماً سقيماً، يقول لك: هذه الآية لنساء النبي، والجواب بسيط جداً إذا قلنا للطالب المجتهد: اقرأ، فلأن يكون هذا الأمر موجهاً للكسول من باب أولى، إذا كان الطالب المجتهد مأموراً أن يقرأ وأن يذاكر، فالطالب الكسول من باب أولى، إذا كانت نساء النبي وبنات النبي مأمورات أن يقررن في بيوتهن فلأن يكون هذا الأمر موجهاً إلى نساء المسلمين من باب أولى.

من معاني التبرج :

الآن بعض العلماء من السلف الصالح يقول: التبرج أن تمشي المرأة بين الرجال بلا حياء لا يهمها، لكن ابنتي سيدنا شعيب:

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ(٢٣) ﴾

[سورة القصص]

كانتا متنحيتين إلى جانب، هناك ازدحام، أما أن تدخل المرأة في الزحام بين الرجال ولا تعبئ بذلك فهذا الخلق ليس من أخلاق المرأة المؤمنة.

قال: التبرج كانت المرأة تخرج وتمشي بين الرجال متبرجة، مظهرة زينتها.

وقال قتاده: كان لهن مشية تكسر وتغنج و هذا من التبرج، وقال مقاتل التبرج إنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده، أي حجاب رفع عتب، قد ينزاح إلى نصف رأسها وقد تبدو كل معالم وجهها، يبدو عنقها أحياناً هذا هو من معاني التبرج.

من صور التبرج في الجاهلية :

الاختلاط بالرجال، والتكسر بالمشي، ولبس الخمار على نحو يبدو معه أو منه بعض محاسنها. طبعاً لو أن علماء السلف الصالح رأوا ماذا تفعل النساء في الطرقات لصعقوا. إذا الخمار غير مشدود وظهرت بعض المفاتن هذا هو التبرج.

أما إذا ألقي الخمار كلياً، وظهرت المرأة كما خلقها الله إلا من ثياب تظهر ولا تخفي، فهذا هو الذي وصل إليه المسلمون اليوم، لأنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، الكفار لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، الذي وصلنا من أزياء اليهودي الفرنسي يتحكم بنساء المسلمين كلهم، هكذا الموضة، معقول مصمم أزياء يهودي فرنسي هو يتحكم بثياب نسائنا؟ هذا من ضعف المسلمين، ومن تخاذلهم، ومن تقصيرهم.

ما يخرج المرأة عن حدّ التبرج :

ما الذي يخرج المرأة عن حد التبرج؟ قال تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى (٣٣) ﴾

[سورة الأحزاب:آية ٣٣]

ما الذي يجعل هذه المرأة في نظر الدين ليست متبرجة؟ قال: غض البصر، فإن أثمن زينة للمرأة هو الحياء، وأبرز عنوان الحياء غض البصر، قال تعالى:

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾

[سورة النور:آية٣١]

والمرأة الفاسقة وقحة تنظر إلى الرجال بحدة، وتعلق تعليقات خبيثة، ومما يبرئ المرأة من التبرج عدم اختلاطها بالرجال، اختلاط تماسك وتماس، كما يحدث في المركبات العامة، مكان مزدحم، لا تعبأ تدخل بين الرجال، وقد يلتقي الصدر مع الصدر والظهر مع الظهر ولا تعبأ بذلك. أيها الأخوة دققوا في هذا الحديث الشريف؛ قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني و البيهقي وقال رجاله ثقات والحديث صحيح:

((لأن يُطْعَن في رأس أحدِكم بِمِخْيَطٍ مِن حديد خيرٌ له مِن أن يَمَسَّ امرَأَةً لا تحلُّ لَه))

[الطبراني و البيهقي عن معقل بن يسار]

الله عز وجل هو الخبير، وهذا النبي الكريم رسول الخبير، أودع في كل رجل هذه الشهوة، لأنه أصبح تماس، لذلك النبي الكريم قال:

((إني لا أصافح النساء))

[الترمذي عن محمد بن المنكدر]

إذا كان هناك مباشرة يد بيد ينشأ منها فساد كبير.

شروط الثياب التي إذا ارتدتها المرأة خرجت من وصف التبرج :

١ ـ أن تغطي جميع الجسم على أرجح الأقوال :

ما هي الثياب التي إذا ارتدتها المرأة خرجت من وصف التبرج؟ قال: أولاً أن يغطي جميع الجسم على أرجح الأقوال، لذلك المعطف السابغ إلى أسفل أفضل، كأن دين المرأة مرتبط بطول ثيابها، الرجل قد يرتدي ثياباً متنوعة، أما كلما زاد الثوب مسافة في المرأة كان هذا دليلاً على زيادة إيمانها وحرصها.

٢ ــ ألا تشف وتصف ما تحتها :

الشرط الثاني: ألا يشف ويصف ما تحته، فالثياب الرقيقة الشفافة هذه محرمة في الإسلام، قد ترتدي المرأة قميصاً شفافاً، هذا محرم أشد التحريم، وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح أن من أهل النار:

((نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ... لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها))

[مسلم عن أبي هريرة]

سبحان الله! العلماء قديماً حاروا في هذا الحديث كيف كاسيات عاريات؟ الآن واضح جداً، مرتدية ثيابها ولكن هذه الثياب لا تسترها، بالعكس تظهر محاسنها.

وفي الحديث دخل نسوة على عائشة رضي الله عنها وعليهن ثياب رقاق فقالت: "إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات".

وأدخلت امرأة عروس على عائشة رضي الله عنها وعليها خمار قبطي معصفر، فلما رأتها قالت: لم تؤمن بسورة " النور " امرأة تلبس هذا.

الشرط الأول: أن يغطي جميع الجسم.

الشرط الثاني: ألا يشف عما تحته.

٣ ــ ألا تحدد أجزاء الجسم وتبرز خطوطه ومفاتنه :

الشرط الثالث: ألا يحدد أجزاء الجسم، ويبرز خطوطه ومفاتنه، فجميع الثياب الضيقة التي تبرز خطوط جسم المرأة ومعالم أعضائها هذه محرمة.

٤ ــ ألا يكون الثوب مما يختص بلبسه الرجال :

ألا يكون الثوب مما يختص بلبسه الرجال، البنطال يرتديه الرجال فإذا لبسته المرأة في الطريق فهي ملعونة، بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((..لَعَنَ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ))

[من سنن ابن ماجة عن ابن عبّاس]

وبالعكس لعن الله أيضاً المتشبهين من الرجال بالنساء، من عام أو عامين لاحظت ثياباً يرتديها الشباب بلا أكمام، ممقوتة أشد المقت لأنها تشبه بالنساء، الحديث الشريف:

((لَعَنَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَلَعَنَ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ))

[من سنن ابن ماجة عن ابن عبّاس]

٥ ــ الثياب التي تختص بها الكافرات لا ينبغي لنساء المؤمنين أن يرتدينها :

الآن الثياب التي تختص بها الكافرات المنحرفات هذه الثياب أيضاً لا ينبغي لنساء المؤمنين أن يرتدينها لقول النبي صلى الله عليه وسلم:

((من تشبه بقوم فهو منهم))

[أبو داود عن ابن عمر]

٦ ــ الألوان الصارخة والمزخرفة والصور التي تلفت النظر :

الآن الألوان الصارخة والمزخرفة والصور في ثياب المرأة التي تلفت النظر هي أيضاً محرمة، هذا الشرط السادس.

٧ ــ أن تلتزم الوقار والاستقامة في مشيتها وفي حديثها وتتجنب الإثارة :

الشرط السابع أن تلتزم الوقار والاستقامة في مشيتها، وفي حديثها، وتتجنب الإثارة في سائر حركات جسمها، قال تعالى:

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) ﴾

[سورة الأحزاب:آية ٣٢]

على المؤمنة أن تتكلم الكلام الذي لا يغري الرجال فيها :

اسمعوا أدب القرآن الكريم قالت بنت سيدنا شعيب:

﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

[سورة القصص:آية ٢٥]

كلام لا يحتاج إلى جواب، لو أنها قالت: إن أبي يدعوك، سوف يسألها ما المناسبة؟ ولماذا؟ صار حواراً.

كيف سألها عن حالها؟ قال تعالى:

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ(٢٣) ﴾

[سورة القصص:آية ٢٣]

يوجد ألف عبارة فيها طول، فيها مؤانسة، فيها استطراد، فيها تفصيل، المؤمن يتكلم الكلام الدقيق الموجز الذي لا يشعر بشيء، والمؤمنة تتكلم الكلام الذي لا يغري الرجال فيها.

امرأة متزوجة ولها أولاد لكنها جاهلة، وقفت على بائع وساومته في ثمن المبيع مساومة فيها تكسر، وفيها لين، وفيها استعطاف، حتى أنه ظن أنها تقبل أن يأتي إلى بيتها، بعد دقائق بيتها قريب من محل البائع دق الباب ففتحت، فدخل ما كان منها إلا أنها استغاثت بابنها وزوجها في محل قريب أيضاً، فقالت: ادعُ والدك، الأب في حالة غضب شديد أغلق الباب، وأتى بالشرطة، وساقها إلى المخفر، وكتب الضبط، وطلقها، مع أنها بريئة لم تفعل شيئاً، لكن جهلها بأصول الحديث مع الرجال أغرى هذا الرجل بها فدخل البيت عنوة، وهو يظن أنها ترضى أن تزل قدمها معه، فلذلك:

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ (٣٢) ﴾

[سورة الأحزاب]

وأكثر شيء في أثناء البيع والشراء الكلام اللين، السعر محدد تشتري أو لا تشتري، أما الكلام الساقط الذي فيه تكسر ولين فيجب الابتعاد عنه.

على المرأة ألا تتعمد جلب نظر الرجال إلى ما خفي من زينتها بالعطور أو الرنين :

الآن من شروط ثياب المرأة التي تخرجها عن التبرج ألا تتعمد جلب نظر الرجال إلى ما خفي من زينتها بالعطور أو الرنين، قال تعالى:

﴿ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾

[سورة النور:آية ٣١]

أخواننا الكرام: لا يوجد إنسان عنده شيء يتكلم به إلا أن ينقل عن القرآن والسنة، لا يوجد شيء من عندنا، ولا يوجد إنسان أهل أن يشرع إنما أنا متبع هكذا قال سيدنا الصديق، ولا يوجد شيء اسمه قضية مزاجية، قرآن وحديث صحيح.

﴿ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾

وفي الحديث الصحيح قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية))

[أبو داود عن أبي موسى الشعري]

من خرجت لحاجة لا شيء عليها :

الحديث الآخر:

((المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية))

[الترمذي عن أبي موسى]

النبي وصفها بالزانية، ولكن ليس معنى هذا أن المرأة محرم عليها أن تخرج من بيتها لحاجة؛ لتزور أباها؛ أو لتطلب العلم في المسجد، قال عليه الصلاة والسلام لزوجته سودة:

((قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن))

[البخاري عن عائشة]

وقال عليه الصلاة والسلام:

((إذا استأذنت امرأة أحدكم –إلى المسجد– فلا يمنعها))

[رواه البخاري عن ابن عمر]

لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، العلم لك ولها، هي إنسانة مثلك تماماً، مساوية لك تماماً، تعرف الله كما تعرفه أنت، وتقبل عليه كما تقبل عليه أنت، وتحبه كما تحبه أنت، وترقى عنده كما ترقى عنده أنت، لذلك إذا منعتها من العلم فقد حطمتها.

وفي حديث آخر قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((لا تمنعوا إماء الله مساجد الله))

[رواه البخاري مسلم عن أبي هريرة]

لا يحل لمسلم أن يتقدم لخطبة امرأة مطلقة أو متوفى عنها زوجها في عدتها :

موضوع النظر إلى المخطوبة هذا الموضوع دقيق أكمل ما فيه أنه لا يحل لمسلم أن يتقدم لخطبة امرأة مطلقة أو متوفى عنها زوجها في عدتها.

هناك أخطاء كبيرة جداً تقع، امرأة مطلقة قبل أن تنتهي عدتها يتقدم أحد لخطبتها، أو امرأة متوفى عنها زوجها، لأن وقت العدة حرم للزوجية السابقة فلا يجوز الاعتداء عليه، لكن له أن يُفهم المرأة المتوفى عنها زوجها أو المطلقة رغبته في الزواج منها في التعريض والتلميح لا بالإظهار والتصريح قال تعالى:

﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ﴾

[سورة البقرة: آية٢٣٥]

لا مانع، أنا فلانة أحترمها احتراماً كبيراً، جعلها الله من نصيبي، كلمة لك أن تقولها في العدة، تطمئن هي من جهة أما كطلب رسمي فلا.

لا تطلب المرأة للزواج إلا بعد انقضاء عدتها.

ويحرم عليه أن يخطب على خطبة أخيه، فلان طرق هذا البيت وخطب ابنتهم منهم أنت لا يجوز أن تخطب هذه البنت قبل أن يبت في أمر الأول، فإذا وصل إلى اتفاق مع الطرف الآخر ذلك أن الخاطب قبله قد اكتسب حقاً فيجب أن يصان، رعاية لحسن العلاقة والمودة بين الناس، قال عليه الصلاة والسلام:

((الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ فَلاَ يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلاَ يَخْطُبَ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ))

[مسلم عن عقبة بن عامر]

وفي حديث آخر رواه البخاري:

((لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك))

[البخاري و مسلم عن أبي هريرة]

وقال عليه الصلاة والسلام:

((ثلاث لا يؤخرن؛ الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت لها كفئاً))

[الترمذي عن علي]

و :

((إذا جاءكم من ترضون دينه و خلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))

[الترمذي عن أبي هريرة]

والحمد لله رب العالمين

الفقه الاسلامي – العلاقات الأسرية – ستر العورة – الدرس (٣ – ٥) : عورة الرجل بالنسبة للمرأة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-١١-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

شهوتا البطن و الفرج :

أيها الأخوة المؤمنون... بدأنا في الدرس الماضي، بموضوع العورة في الإسلام، وقد قدمت للموضوع بمقدمةٍ مهمةٍ جداً، لأنها تُلقي ضوءاً على ذلك الموضوع، أُحب في هذا الدرس أن أُشير إليها، وأن أُقدم مقدمةً ثانية، تُلقي ضوءاً إن شاء الله كاشفاً على ذلك الموضوع الحساس.
أولاً: الله جلّ جلاله، أودع في الإنسان شهوتين، أو شهواتٍ كثيرة، لكن أبرز هذه الشهوات شهوة البطن، وشهوة الفرج.



شهوة البطن من أجل الحفاظ على وجود الإنسان، وشهوة الفرج من أجل الحفاظ على نوعه، وهناك حاجاتٌ أُخرى لا مجال إلى ذكرها في هذا الدرس.
خالقُنا وربنا نظّم لنا نظاماً، شرّع لنا شرعاً، وضع لنا منهجاً، شهوة البطن تختلفُ عن شهوة الفرج، شهوة البطن هناك منبهات نوبية، مهما كنت مشغولاً، مهما كنت غارقاً في عملك، تُحسّ بالجوع ، تحس أن المعدة قد فرغت من الطعام، وأنه لا بدّ من أن تأكل، ولولا الإحساس بالجوع لهلك الناس، أي السيارة يوجد بها عدادات، لو أن الإنسان غافل عن العدادات، وارتفعت الحرارة إلى أعلى درجة، يحترق المُحرك، ويُكلفك العمل مبلغاً كبيراً جداً، الآن يوجد عدادات سمعية، لو أن هناك ضجيجاً كبيراً ولم تنتبه لهذا التنبيه السمعي هناك التنبيه الصوتي، لكن الإحساس بالجوع ما طبيعته؟ يا ترى عداد مرئي أم سمعي؟ تُحس أن كل كيانك يحتاج إلى الطعام، فالحاجة إلى الطعام أكّدها الله عز وجل بالإحساس بالجوع.
لكن شهوة الجنس لها طبيعةٌ أُخرى، ليس هناك منبهات دورية، منبهات كلها خارجية، الجوع المنبِّه داخلي، والأطباء يعرفون آلية الجوع، هناك مركز في الدماغ يُنبه والمركز في الدماغ

يُعطي أمراً للعصارات في المعدة فتفرز، وهناك أبحاث دقيقة وعميقة في موضوع الجوع، ولكن شهوة الجنس ليس لها مُنبه دوري، منبهها خارجي، فإذا طبق المجتمع الشرع الإلهي، وطبق المنهج الرباني، وطبق القرآن الكريم، فالإنسان لا يُحسُّ بهذه الحاجة، إلا إذا نُبه، دعونا قليلاً من شهوة الجنس ولنعد إلى شهوة البطن.

الحكمة من أمر النساء بالتستر و الرجال بغض البصر :


أمرت النساء بالتستر لئلا توقظ الشهوة في الرجال

الإنسان يحتاج باليوم إلى ثلاث وجبات، أو وجبتين، لو فوضنا في مدخل البناء هناك طعام نفيس، بالمصعد يوجد طعام، بغرفة الضيوف يوجد طعام، بالمكتب يوجد طعام، بالسيارة يوجد طعام، والطعام نفيس، والشهوة موجودة، الإنسان يقتل نفسه، أصبح هناك مُثيرات مستمرة، لو أن هذا المُثير الآخر، حينما تخرج المرأة متكشِّفةً، حينما تُبرز مفاتنها للناس، هذه كلها إثارات مستمرة، فهذه الإثارات المستمرة تسبب للإنسان يقظة كما قيل: الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها.

وكذلك هذه الشهوة نائمةٌ، لعن الله من أيقظها، من هنا جاءت الأوامر الإلهية، والتشريعات النبوية، بأمر النساء بالتستر، وأمر الرجال بغض البصر، أنتم لو عشتم في مجتمع حُجبت فيه النساء كما أراد الله عزّ وجل، وغضّ فيه الرجال أبصارهم تماماً عما حرم الله لعاش الإنسان بسلامٍ مع نفسه أيما سلام.

إذاً حينما تجد في القرآن الكريم آياتٍ تأمُرنا بغض البصر، وحينا تجد في القرآن الكريم آياتٍ تأمر النساء بالتستر، هذه الآيات ما كان الله عز وجل ليُشرع في موضوعٍ إلا إذا كان ذا خطورةٍ بالغة، لو أن محطة وقود، أرادت أن تضع إعلاناً واحداً، تختار من بين ألف إعلان أخطر الإعلانات، تأمر بعدم التدخين، لئلا يشتعل الوقود، وكذلك إذا ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم أمراً أو نهياً فهذا شيءٌ مصيري.


إذا كان الرجل ببيته سعيدا كان إنتاجه وفيرا

بالمناسبة الله عزّ وجل أمر بأشياء، ونهى عن أشياء، وسكت عن أشياء، ولو دققت النظر في الذي أمر، أو في الذي نهى، أو في الذي سكت، لوجدت أن هناك حكمةً ما بعدها حكمة، وموعظةً ما بعدها موعظة، حينما أمر بأشياء وسكت عن أشياء لأنه كما تعلمون أساس سعادة الرجل بيته وعمله، فإذا كان في بيته سعيداً، كان إنتاجه في المجتمع وفيراً، مكان الاستقرار، مكان السُكنى، مكان الراحة، فلو كان هناك تشويش أو تطلُّع إلى غير الزوجة، إطلاق البصر يُسبب هذه الاتجاهات، فلذلك هناك أوامر كثيرة في القرآن وفي السنة تأمر النساء بالتستر، و تأمر الرجال بغض الأبصار، وقد علل الله جلّ جلاله، ذلك فقال:

﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾

[سورة الأحزاب: ٥٣]

من غضّ بصره عاش في سلام مع نفسه :

وكما قُلت لكم: الشهوة الثانية التي نحن بصددها منبهاتها كلها خارجية، فلو عشنا في مجتمعٍ مسلمٍ حقيقةً، مطبق لشرع الله عزّ وجل، لعشنا حياةً أُخرى، أكثر هدوءاً، وأكثر استقراراً، وأكثر طمأنينةً، ولكن إذا كان الطرف الآخر وهم النساء، لسن متقيداتٍ بأمر الله عزّ وجل، فعلينا نحن الطرف الثاني أن نغض الأبصار وهذا هو الذي يحمينا من فتنة النساء، وكما تعلمون:

((اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن إبليس طَلاّع رَصّاد حَصّاد وما هو بشيء من فُخُوخه بأوثق لصيده في الأتقياء من فخوخه في النساء))

[الديلمي عن معاذ]

و:

((اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء))

[مسلم عن أبي سعيد]

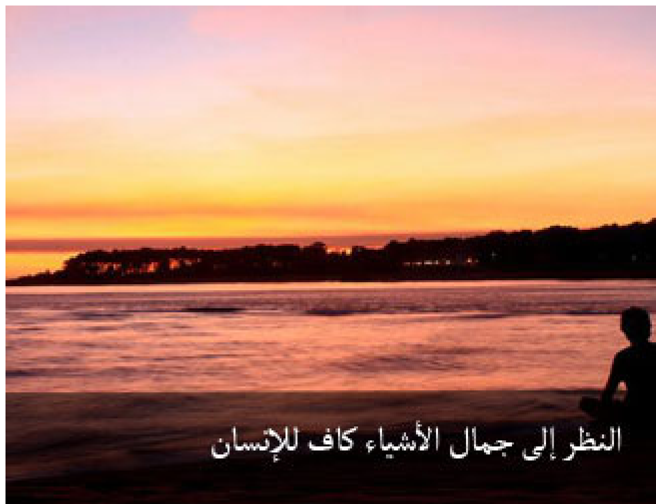
وفي حديثٍ آخر: يقول النبيّ عليه الصلاة والسلام :

((النساء حبائل الشيطان))

[أحمد عن أبي الدرداء]

أي مصيدة بيد الشيطان، لكن فعّالة، والإنسان يؤتى أحياناً من حبه للمال أو حبه للنساء، يُهلكه حب المال، ويُهلكه حبه للنساء، وحينما يُغادر الإنسان الدنيا، ويجد أنه من أجل امرأةٍ ضيّع سعادته الأبدية، عندئذٍ هي خسارةٌ ما بعدها خسارة.

و هناك شيءٌ آخر أُحب أن أؤكده لكم، أنه ليس في الإسلام حرمان، وأنا أعني ما أقول أي ما كان الله عز وجل ليودع في الإنسان شهوةً ثم يمنعه من ممارستها، لكن أودع فيه شهوةً، ونظمها له، فتح له قنواتٍ نظيفة، أي بين الزواج، بين النِكاح، وبين السِفاح مسافات شاسعة جداً، هنا الطمأنينة، وهنا الاستقرار، وهنا الولد، وهنا الشعور بالطهارة، وهنا الشعور بالنظافة، كل المشاعر المُقدسة تأتي من الزواج؛ وجميع المشاعر المنحطة، والاختلال، والشعور بالذنب، والشعور بالنقص، والحجاب عن الله عز وجل يأتي من مخالفة منهج الله عز وجل.


النظر إلى جمال الأشياء كاف للإنسان

إذاً حينما نجد في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية المُطهرة، أمراً، أو نهياً فهذه موضوعاتٌ مصيرية خطيرةٌ جداً، فالنظرة قد تتبعها نظرة، والنظرة قد تتبعها حركة، والحركة تنتهي بالفاحشة، والفرق قد يقول أحدهم: إن الله جميلٌ يحب الجمال، هذا كلام صحيح، الله عز وجل يتجلّى على بعض الأشياء باسم الجميل، فيمنحه جمالاً ما بعده جمال، لكن جمال الأشياء شيء، وجمال المرأة شيءٌ آخر، جمال الأشياء، أي الإنسان يكتفي بالنظر، وردة جميلة، جبل أخضر، ساحل جميل، حديقة مُنسقة، هذه الإنسان إذا نظر إليها يكتفي بالنظر، لكن الطرف الآخر، الذي هو موضوع درسنا، الإنسان أودع فيه شهوة تُحرّكه، لا تبقيه على مستوى النظر، فكل الكوارث الكبيرة مبدأها من النظر، ومعظم النار من مستصغر الشررِ، هذه موضوعات دقيقة.

أي ما دام الله عز وجل حرم، فالأمر خطير، هذه أول فكرة، الفكرة الثانية شهوة الجنس تختلف عن شهوة البطن، بأن مُثيرها خارجي، وليس داخلياً، فإذا الإنسان امتنع، غض بصره، والمرأة

تسترت، عاش الإنسان في سلام مع نفسه، والدليل: عندما يكون الإنسان مشغولاً في موضوع خطير، ينسى هذا الموضوع كُلياً، أما الجوع فلا ينساه، هناك حافز نوبي، حفاظاً على وجودك وعلى قِوام حياتك.

العلم أمانة فلابد من تبليغ الأمانة إلى أهلها :

بدأنا في الدرس الماضي بعورة الرجل بالنسبة إلى الرجل، وكنت قد شعرت بحرجٍ شديد في معالجة هذه الموضوعات، بعد الدرس سألت بعض الأخوة الكرام عن انطباعهم حول هذا الموضوع، فأُناسٌ كثيرون شجعوني على متابعته، وأنا أنطلق من فكرة هو أن من العار أن يخوض الإنسان في موضوعات أي الأولى ألا يخوض بها، لكن من العار الأشد أن يجهل هذه الموضوعات، خوضها يُحرج المُتكلم والسامع، لكن أن نبقى في جهلٍ شديد، وأن نخالف شرع الله عز وجل، دون أن ندري، فالعلم أمانة، فلابد من إبلاغ الأمانة إلى أهلها.

فطبيعة حياتنا، في المسابح، على شواطئ البحار، في الحمامات أحياناً، في الطرقات، في أثناء التدريبات الرياضية، قد تتكشف العورات، وكما قلت قبل قليل: النظر إلى عورة الرجل، أو إلى عورة المرأة، قد يكون حافزاً إلى ميل النفس إلى شيء لا يرضي الله عز وجل، فكأن الشرع تماماً كما قلت في الدرس الماضي، كيف أنك إذا سرت في حقل ألغام، لا سمح الله ولا قدّر، ورأيت لوحةً كُتب عليها: حقل ألغام، ممنوع التجاوز، كيف أنك تشعر وأنت في أعلى درجات الوعي أن هذه اللوحة وضعت ضماناً لسلامتك، ولم توضع قيداً لحريتك.

فأحياناً الجاهل يتوهم، يا أخي الدين صعب، الدين كله قيود، هذه حرام، وهذا لا يجوز، وهذه تغضب الله عز وجل، أنا من غير دين أريح لي، حر طليق، أفعل ما أشاء، أتطلع إلى من أشاء، أذهب إلى حيث أشاء.

الهدى و الاستقامة يرفعان صاحبهما إلى العلياء :

الإنسان حينما يتفلّت من المنهج، لا تنسوا أن الله عز وجل في آياتٍ كثيرة قال:

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾

[سورة البقرة: ٥]

أجمل ما في الآية، كلمة على، على تفيد الاستعلاء، أي أن المهتدي فوق الهُدى، أو أن الهدى رفع المهتدي، لا يزال الهدى، والمنهج، والاستقامة، وتطبيق الأمر وترك النهي، يرفع صاحبه إلى أن يبلغ به العلياء:

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾

[سورة البقرة: ٥]

لكن الفاسق، أو الضلال:

﴿ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

[سورة الأحقاف: ٣٢]



لماذا قال الله في؟ الضلال من شأنه أن يُقيدك، والهدى من شأنه أن يرفعك وعلى خلاف ما تتوهم، مع أن الهدى كله قيود لكنه يرفعك، مع أن الضلال كله تفلّت لكنه يقيِّدك.

فرضاً لو إنسان أحب أن يعمل معمل غسالات أحدث نوع، واجه صعوبة في شراء الكمبيوتر، الذي يحركها تحريكاً مبرمجاً، هذا صعب وغال، فلغاه، لغى الكمبيوتر، جهاز التسخين لغاه، صعوبة لغاها، جهاز الدوران لغاه، كلما واجه صعوبة ألغاها، أصبحت تنكة غسيل، ليس لها قيمة، كان ثمنها اثنين وثلاثين ألفاً، أصبح ثمنها خمس ليرات، أي الإنسان إذا لم يواجه الصعوبة أصبح ليس له قيمة، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أَلا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ، ...))

[أحمد عن ابن عبّاس]

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَقُولُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَوْمَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِيَدِهِ إِلَى الأَرْضِ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ وَقَاهُ اللَّهُ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ أَلا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ثَلاثًا أَلا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُقِيَ الْفِتَنَ وَمَا مِنْ جَرْعَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا عَبْدٌ مَا كَظَمَهَا عَبْدٌ لِلَّهِ إِلا مَلأَ اللَّهُ جَوْفَهُ إِيمَانًا))

[أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ]

أي يوجد جهد، بيت جميل جداً، لكن في رأس تلة، والطريق إليه صاعد، وقد يكون متعرِّجاً، وقد يكون فيه تراب، وقد يكون فيه أكمات، وقد يكون فيه عقبات، لكن فوق يوجد قصر مُنيف، فيه ما لذّ وطاب، وإن عمل النار، يشبه طريقاً منحدراً، معبداً، تحف به الأشجار، والأزهار، لكن ينتهي بحفرة ما لها من قرار، دائماً العاقل ينظر إلى النتيجة.



الآن الناس، إنسان راكب دراجة، لا يوجد فيها محرك، بقوة عضلاته، واجه طريقين، طريق نازل، وطريق صاعد، بحسب طبيعته، بحسب طبيعة الدراجة، وفيها جهد، أريح شيء النزول، والطريق النازل معبد، وحوله أشجار، ويوجد أزهار، وفيه مناظر جميلة، لكن لو أن هذا الطريق ينتهي بحفرةٍ سحيقةٍ ما لها من قرار، فيها وحوشٌ جائعة، تنتظرك؛ الطريق الثاني، ترابي، وفيه صعوبات، وفيه أكمات، وفيه صخور، وتعرفون أن أصعب شيء عند راكب الدراجة الصعود، فأين العقل؟ العقل أن تدع الطريقَ النازلة، المريحة، وأن تسلك الطريق الصاعدة المتعبة، لأن الطريقَ الصاعدةَ المتعبة تنتهي بقصرٍ مُنيف، والطريق النازل المريح ينتهي بحفرةٍ ما لها من قرار، هكذا قال عليه الصلاة والسلام، قال:

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَال رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهم عَلَيْهِ وَسَلّمَ حُفّتِ الْجَنّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفّتِ النّارُ بِالشّهَوَاتِ))

[مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]

((أَلا إِنّ عَمَلَ الْجَنّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ، ...إِنّ عَمَلَ النّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))

[أحمد عن ابن عبّاس]

أين طريق جهنم؟ طريق جهنم موجود، تفلّت من أي قيد، انظر إلى ما تشاء كلما رأيت امرأةً انظر إليها، كلما رأيت طعاماً كلْه، حلال أو حرام، كلما دُعيت إلى مكان جميل، اذهب إليه، اختلاط بلا اختلاط، فحركة طليقة، ونظر طليق، وسماع طليق، سماع، ونظر، وأكل، وطعام، وشراب، واختلاط، وهو قد تكون روحه مرحة، كلما رأى امرأةً مازحها، وأدار معها حديثاً، هذا عمل جهنم.

((...إِنّ عَمَلَ النّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))

[أحمد عن ابن عبّاس]

التّكليف و الطّبع :


شهوة المال في الأخذ والتكليف يكون بالعطاء

لماذا سمي التكليف تكليفاً؟ لأنه ذو كلفةٍ، يكلف جهداً، الإنسان جسمه يتمنى أن يرتاح في الفراش، أمرك الله بصلاة الفجر، طبيعة الجسم، طبيعة الشهوة التي أودعها الله في الإنسان تدفعه إلى أن ينظر، إلى محاسنِ امرأة تمشي في الطريق، لكن التكليف يأمره بغض البصر.

شهوة المال التي أودعها الله في الإنسان تدفعه إلى أن يأخذ، لكن التكليف أمره أن يعطي، التكليف عطاء، الطبع أخذ، التكليف نظر، التكليف غض بصر، الطبع إطلاق بصر، الطبع نوم، التكليف استيقاظ، إذاً التكليف ذو كلفة، أي أحدنا يجب أن يوطِّن نفسه على أن بلوغ الجنة، وبلوغ المستويات الرفيعة، يحتاج إلى جهد.

الآن لا تبتعد، حتى الإنسان يجلس في عيادة فخمة جداً، ويحضر لعنده مريض، يبالغ في تعظيمه، يا دكتور، تجد المريض يبالغ في احترام الطبيب، وحتى يتحرك الطبيب حركتين، يفحص له ضغطه، يسمع دقات قلبه، يعمل له تخطيطاً، يأخذ ألفي ليرة، إنسان آخر يشتغل من الصباح إلى المساء بحمل الحاجات، يأخذ مئة وخمسين ليرة، إذاً هذا الطبيب حتى قعد في العيادة، والناس أقبلوا عليه، ويدخل عليه كل دقيقتين مريضاً، أو كل ثلاث دقائق، أو كل خمس دقائق، يأخذ ألف ليرة، بين إيكوا، بين تخطيط، يجمعهم يصبحون ألف ليرة، معنى ذلك الإنسان عندما يريد أن يصل إلى مستوى مريح، الراحة تتطلب الجهد، وكل إنسان يتصور أنه سيصل إلى مستوى مريح من دون جهد يكون أحمقاً، أما ربنا عز وجل فعادل.

طلب الجنة من دون عملٍ ذنبٌ من الذنوب :

هذه الجنة، أي من السذاجة، من الغباء، من ضيق الأُفق، تظنها شيئاً سهلاً، هذه التلبسة التي يقولها الناس، انتهى كل شيء، بيته كله غير إسلامي، يعمل مولداً، يدعو عدداً من العلماء ليلقوا كلمات، يحس نفسه أصبح من أهل الجنة، لكن أنت الدخل له مشكلة، الدخل فيه شبهة، والعلاقات فيها شبهة، والسلوك فيه شبهة، و البنات لهم شبهة، فإذا دعوت إنساناً له مكانته الدينية، وقال لك: بارك الله فيك يا فلان، انتهت المشكلة ؟ لو أخذت كلاماً من فم رسول الله، ما انتهت المشكلة، هناك عدل.

لذلك طلب الجنة من دون عملٍ ذنبٌ من الذنوب، الآن الإنسان هل يستطيع أن يدخل على أضخم بائع سجاد، وموضوع على الأرض أكثر من خمسين سجادة، يقول له: أرني هذه، أطلعني على الثانية، الثالثة، الرابعة، الخامسة، كم ثمنها؟ قال له: ثمانون ألفاً، قال له: يوجد معي ألف ليرة، هل يجعله البائع يخرج بسلام من عنده؟ لأنك أنت احتقرته، تطلب الجنة بركعتين وانتهى الأمر، الناس الآن بهذا الشكل، الله عز وجل:

﴿ أَحَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾

[سورة العنكبوت : ٢]

يجب أن توطِّن نفسك على الامتحان.

المراحل التي يمر بها المؤمن :

ذكرت من درسين أو ثلاثة أن المؤمن يمر بثلاث مراحل، مرحلة التأديب، ومرحلة الامتحان، ومرحلة الإكرام، ولن يصل إلى مرحلة الإكرام حتى يمر بمرحلة التأديب، ومرحلة الامتحان، لكن كلما استجاب بسرعة يقصر المسافة، إذا استجاب بسرعة، فهم على الله بسرعة، حلت مشاكله، أصبح في فهم مباشر، أن الله أعطاني هذه مقابل هذه، هذه عاقبني بها مقابل هذه، حينما ترى أن أفعال الله عز وجل حكمةٌ ما بعدها حكمة، عدالةٌ ما بعدها عدالة، تصل إلى ما تريد. أنا من يومين كنت ذاهباً إلى عملي، أخ كريم دعاني أن أركب سيارته وأصر عليّ، ركبت معه، سألته متى اشتريت هذه السيارة؟ قال لي: لهذه السيارة قصة يا أستاذ، هذه ثمنها كان في الدرج، موضوع في الدرج، مدة خمس سنوات، ودخل إلى بيتنا حرامي- قال لي أولاً: كلما أهم لأضع المبلغ في المصرف أخاف أقول: هذا حرام، أمتنع، وضعته في درج طاولة- في غيابنا، لم يترك درجاً إلا وخلعه، لم يترك ديواناً إلا ورفع فراشه، إلا هذا الدرج لم يقترب منه، أنا بعدما نزلت قلت: سبحان الله، ورعه وخوفه من الله، الله أراه آية من آياته، كل شيء يحدث فيه حكمة ما بعدها حكمة.

نتائج الاختلاط :

الآن بحسب موضوعنا، لو إنسان غض بصره عن محارم الله، ألا يشعر بسعادة زوجية؟ أنا أقول لكم: والله يا إخوان كل من أطلق بصره في الحرام دفع الثمن باهظاً في بيته قبل كل شيء، أي هذه المودة، وهذا التراحم، وهذه


الحفاظ على المودة بين الزوجين يكون بغض البصر

السكينة، وهذا النجاح الزوجي، هذا يتلاشى، لذلك أكاد أقول: إن بين الطاعة وبين نتائجها علاقةً علمية، أي علاقة سببٍ بنتيجة، هناك أفكار كثيرة خطرت في بالي وأنا في الطريق إليكم في زحمة السير، لكن بعضها ذهب من ذهني، لكن الموضوع لماذا أمر الله بغض البصر؟ لأنه إله خالق الكون، هو الخبير، قال تعالى:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر: ١٩]

ولماذا أمر المرأة أن تتستر؟ من عند الخبير، توجيه الخبير، فالإنسان لا يستهين، ماذا حدث؟ لم نأكلها مثلاً، تجد أهل الدنيا يخففون من وقع المعصية، ما عملنا شيئاً، لا سرقنا، ولا قتلنا، ولا شربنا خمراً، جلسنا مع بعضنا، ما الذي حدث؟

أنا قلت لكم سابقاً: سمعت قصتين، ثلاث، أربع، خمس، الاختلاط انتهى بالطلاق، أُسرتان ذهبتا إلى الساحل، في الصيف، وجلسوا في شاليهات على البحر ثم عادا إلى الشام، أول أُسرة طلّق الزوج امرأته، وله منها سبعة أولاد، وتزوج امرأة صديقه، ولها أولاد، تصور سبعة أولاد أُمهم مطلقة، هذه آثار الاختلاط.

دائماً كلما وجدت مشكلةً اجتماعيةً، مأساةً اجتماعية، افعل كما يفعل ضباط الأمن الجنائي، يقول لك: ابحث عن المرأة، بكل جريمة يقول لك: ابحث عن المرأة، أنا سوف أعمل تعديلاً طفيفاً، ابحث عن المعصية، أينما تجد مشكلة، ابحث عن المعصية، منهج الله عز وجل دقيق، إذا طبقته لا يوجد مشكلة، أي الله عز وجل خبير.

الإنسان أحياناً في البلاد التي فيها معامل سيارات، فيها مراكز صيانة رفيعة المستوى، فيها صيانة دورية، تجد السيارات تظل جديدة، أحياناً يفحصون الدولاب، ممنوع تدخل البلد نهائياً إذا جفت الدواليب، هنا عندنا تقول: نحن عندنا دولاب جديد، هذا قد ينفجر في الطريق، إذا طبقت كل المقاييس العالمية، في أمور السيارة، تظل السيارة جديدة، أما إذا كان هناك تقصير، هذا دولاب قديم، والزيت لم نضعه في مكانه، والبطارية نسينا أن نضع لها الماء، تفاجئك وتقطعك في الطريق، تعمل لك مشاكل جديدة، السيارة لها نظام، لها تعليمات دورية وتعليمات صيانية، وتعليمات لو طبقتها تقطف ثمارها يانعة، تعيش معك عمراً طويلاً وتخدمك، فكيف الإنسان لو طبق منهج الله عز وجل؟

عورة الرجل بالنسبة إلى المرأة :

الآن القسم الثاني، نحن القسم الأول، عورة الرجل بالنسبة إلى الرجل، الدرس الثاني: عورة الرجل بالنسبة إلى المرأة.

الآن لا يُحلُّ للمرأة أن تنظر إلى الرجل، من هي المرأة؟ عندنا أربعة أنواع من النساء، عندنا زوجة، وعندنا قريبة محرمة، وقريبة غير محرمة، وعندنا أجنبية، زوجة، قريبة محرمة، معنى محرمة: أم، بنت، أخت، عمة، خالة، بنت ابن، بنت أخ، بنت أخت، محرمات، غير محرمة: بنت خالته، بنت عمه، امرأة عمه، هذه غير محرمة، قريبة غير محرمة، وأجنبية، لا تمتُّ له بصلة، أية امرأةٍ هذه امرأة أجنبية ؛أجنبية، قريبة غير محرمة، قريبة محرمة، زوجة.

يوجد عندنا عدة قواعد عامة، أي الشيء المسموح أن تنظر إليه مسموح أن تمسه، الشيء المسموح أن تمسه مسموح أن تنظر إليه، ليس بين الرجل وبين زوجته أي حرج، لقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ *إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾

[سورة المؤمنون : ٤-٦]

انظر إلى معنى ملومين، لو إنسان نظر إلى امرأةٍ لا تحلُّ له، أو أدار معها حديثاً، لا يرضي الله عز وجل، أو أنه فعل الفاحشة، لماذا يحدث انهياراً نفسياً؟ هذه الفطرة، قلت لكم سابقاً: إن في علم النفس، علم النفس عبارة عن علوم، الظاهرة النفسية علم حقيقي، فهناك شعور، فالعقل له دليل، لكن الله عز وجل من فضله وكرمه، أعطاك مقياساً آخر، مقياس الفطرة، الفطرة تشعر أنك أخطأت، تسمونه شعوراً بالذنب، صحيح، تسمونه عقدة الذنب، صحيح، تسمونه اختلال توازن، صحيح، تسمونه وخز الضمير، صحيح، الله عز وجل عبر عنه:

﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾

[سورة المؤمنون : ٦]

الموازنة بين طريق النّكاح و طريق السّفاح :

أنا مرة قلت لكم: لي صديق ساكن بأحد أحياء دمشق، في المهاجرين، فقال لي مرة: طرق بابنا الساعة الرابعة والنصف، فتح لم يجد أحداً، عجيب استدار فوجد سكاً، فتحه فوجد فيه طفلاً صغيراً مولوداً حديثاً، أي أن هذا الإنسان مظنة صلاح، هذا لقيط، ابن زنا، فظنوا هذا البيت فيه صلاح وفيه دين، فألقوه أمامه ودقوا الباب وهربوا.

هنا القصة على أنها بسيطة لفتت نظري، أنه عندما يتزوج الإنسان، وتحمل زوجته، يفرحون، تنتقل الأخبار السارة أنه الحمد لله حملت، ابنتي حملت الحمد لله، أي ترتاح الأم، الطفل يثبت،

يثبت العقد، الآن هناك مُثبّت عقد بالنبات، أيضاً الطفل مثبت عقد، الأخبار تتناقل بين الأُسرة، صار الوضع، تجد احتفالاً ومباركة وهدايا، للرجال حفلة، وللنساء حفلة، بالتلفونات، الحمد لله جاء لها صبي، أو بكرت البنت، كما قال النبي:

((من بركة المرأة تبكيرها بالأُنثى))

[لديلمي عن واثلة بن الأسقع]

هكذا النبي علمنا، وعندما جاءته السيدة فاطمة، ضمها، وشمها، وقال: " ريحانةٌ أشمها وعلى الله رزقها"


الفرق شاسع بين ثمرة النكاح وثمرة السفاح

انظر، وازن بين طريق النكاح وطريق السفاح، طبعاً الطفل قبل أن يولد بشهرين أو ثلاثة، هيؤوا له سريراً، هيؤوا له حاجات أساسية، يحتاج إلى بانيو صغير، تجد الأسرة كلها في حركة ونشاط، هذا طريق الحق، أي لا يوجد خجل، الواحد لا يستحي بزواجه، يملؤون الدنيا صخباً، لأن الشرع هكذا، والدين هكذا، والمنهج هكذا؛ أما إذا الإنسان تكلم مع إنسانة في طريق مهجور، ففاجأه شخص، تجدهم يستحون ويخافون، هي تدير وجهها وهو يدير وجهه، هنا تهمة، إذا كان الوضع غير مشروع يصبح تهمة، أما المشروع ففيه فخر، انظر الآية:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ *إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾

[سورة المؤمنون : ٥-٦]

لا يوجد لوم، ممكن إنسان يكون له زوجة، ويصلي الصبح حاضر، ويعمل ورده، ويعمل ذكره، قام بواجبه الزوجي، فلا يوجد حرج، لا يوجد لوم، أما لو نظر المؤمن إلى امرأةٍ لا يحل النظر إليها، يشعر بهبوط، شعر بحجاب، أي يوجد فطرة، هنا طريق مسموح، هنا طريق ممنوع، إذا كان الإنسان يمشي في طريق ممنوع يكون خائفاً، يفاجئه شرطي، تفاجئه دورية، ويقول عليه الصلاة والسلام وقد روى الحديث الخمسة:

((.... احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ...))

[الترمذي عن بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ]

((حَدَّثَنَا بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ قَالَ احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ فَقَالَ الرَّجُلُ يَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ قَالَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا يَرَاهَا أَحَدٌ فَافْعَلْ قُلْتُ وَالرَّجُلُ يَكُونُ خَالِيًا قَالَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ))

[الترمذي عن بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ]

أي بين الرجل والمرأة لا يوجد مشكلة، هذه أول صنف الزوجة، الزوجة قريبة محرمة، قريبة غير محرمة، أجنبية.

عورة الرجل بالنسبة إلى قريباته :

وأما عورة الرجل بالنسبة إلى قريبة محرمة كانت أو غير محرمة أو أجنبية طبعاً الرجل عورته من سرته إلى ركبته، فهذه المنطقة لا يجوز أن يراها أحد، لا الأم، ولا الأخت، أحياناً الرجال يسبحون الرجال على مرأى من زوجاتهم، طبعاً ومن أخواتهم، ومن بناتهم أحياناً، بلباس قصير، هذا مخالف للإسلام، هذا مخالف للشرع، أن الإنسان يسبح ولو كان المسبح خاصاً، ما دامت بناته موجودات، ما دامت أخواته موجودات، قريباته المحرمات، لا يجوز أن ترى القريبة المحرمة من الرجل إلا ما فوق السرة وما تحت الركبة، المحرمة طبعاً، أما غير المحرمة لا يوجد لقاء إطلاقاً أي كما تعلمون أنتم.

إذا كان مسموح للأم أن ترى ابنها، أن ترى يده، صدره مثلاً، ظهره، يجوز لها أن تمس يده، أن تصافحه، الواحد يقبّل يد والدته، والدته تُصافحه أحياناً، المكان المسموح الذي تراه المحرمة مسموح مسه طبعاً ، لكن العلماء الورعين يقولون دائماً: إذا أُمنت الفتنة.

طبيعة هذا العصر توقظ الشهوات و تثيرها :

قلت لكم: يوجد عندنا إنسان، طبيعي، أي سوي، فالإنسان الطبيعي السوي الشرع كلّه له، أما إذا كان هناك حالات خاصة، كان هناك انحراف، فلا يجوز أن ينظر إلى أخته، ونمنعه بأن يختلي بأخته، إذا كان هناك انحراف، لا يجوز إطلاقاً، كلُّ هذه الأحكام كما قلت في الدرس السابق: إذا أمنت الفتنة، لكن طبيعة هذا العصر، كما قلت أيضاً في الدرس السابق، نحن نألف أن نأكل ثلاث وجبات، أو وجبتين، أما إذا كان هناك مثيرات، أينما ذهبت، أينما ذهبت في الطريق، في الدوائر الحكومية، في المدارس، أحياناً في المطاعم، أينما ذهبت، رأيت امرأةً متكشفةً تبدي مفاتنها، أصبح الإنسان أينما تحرك، هناك أكل، هنا وضعوا له كبة مقلية، هنا سندويش، هنا وضعوا له موالح، غير معقول! معقول أن يأكل الإنسان أربعاً وعشرين ساعة باستمرار !.

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها إن الطعام يقوي شهوة النّهم

***

فطبيعة العصر، هذا العصر، عصر الشهوات، عصر النساء الكاسيات العاريات، المائلات، المُميلات، النبي قال:

((سَمِعْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى السُّرُوجِ كَأَشْبَاهِ الرِّجَالِ يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ عَلَى رُءُوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ لَوْ كَانَتْ وَرَاءَكُمْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَخَدَمْنَ نِسَاؤُكُمْ نِسَاءَهُمْ كَمَا يَخْدِمْنَكُمْ نِسَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ))

[أحمد عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو]

النبي قال:

((...الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ ...))

[أحمد عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو]

فهذا العصر، الفتن كلُّها يقظى، ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام:

((اشتقت لأحبابي، قالوا: أو لسنا أحبابك؟ قال: لا أنتم أصحابي أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، أجره كأجر سبعين، قالوا : منا أم منهم؟ قال : بل منكم، قالوا: و لمَ؟ قال : لأنكم تجدون على الخير معواناً و لا يجدون))

[الترمذي عن أنس]

فالإنسان إذا دخل لكي يدفع فاتورة، دخل ليلاحق معاملة، يجد امرأة متكشفة ليست منضبطة، تُبدي مفاتنها، متعطرة، متزينة، بالطريق، في درج البناء، في المصعد، في البقالية، أينما ذهب، اشترى حاجة، اشترى علبة بويا عليها امرأة، والله هذه مشكلة، أية بضاعةٍ يشتريها، عليها امرأة، ولا سيما البضاعة الأجنبية، لذلك طبيعة هذا العصر توقظ الشهوات، وتعمل وعياً جنسياً مبكراً، لذلك الفتنة الآن لا تؤمن.

أنا قدَّمت هذا التقديم، الفتنة الآن لا تؤمن، الفتنة لا تؤمن في هذه الأيام، فكل شيء يدعوك أن تنظر، كلّ ما حول المؤمن فتن وإثارات، يقول لك: كبت، كلمة كبت لها عندي معنى كبير جداً، ما هو الكبت؟ حينما يستثار الإنسان، وليس في إمكانه أن يفعل شيئاً، هذا هو الكبت، إذا ضغطت شيئاً، ولم تنفسه، تشعر بقوة دفع يسمونها رد الفعل، لو كان هناك ضغط و تنفيس لا يوجد مشكلة، فطبيعة هذا العصر لشيوع التفلت، لشيوع التبرج، لشيوع التكشف، لأن أجمل ما في المرأة مبذول في الطرقات، أجمل ما فيها في الطرقات مبذول.

نزع النخوة من رؤوس الرجال آخر الزمان :

لذلك بالمناسبة أحياناً الإنسان يشتكي ارتفاع أسعار اللحم، والله اللحم غال، بعضهم قال: كلما رخصت لحوم النساء ارتفع لحم الضأن، عندما يكون لحم النساء رخيصاً متبذلاً، متكشفاً في الطرقات، في كل حركات المرأة وسكناتها تبدو مفاتنها، لذلك تجد أن الله يضيق على الناس، وكلما قلّ ماء الوجه قلّ ماء السماء، لا يوجد حياء، النبي عليه الصلاة والسلام وصف آخر الزمان بأنه تنزع النخوة من رؤوس الرجال، لا يوجد به نخوة يمشي مع زوجته بأبهى زينة، يفتخر بها، وكلما رأى صديقاً يعرفه عليها، هذه زوجتي تصافحه، يبتسمون، أو يجلس معها على الشرفة، وقد تكون بثياب متبذلة، لا يحس بشيء، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً الديوث من الرجال ....فقالوا : يا رسول الله فما الديوث من الرجال ؟ قال : الذي لا يبالي من دخل على أهله))

[شعب الإيمان عن عمار بن ياسر]

لو أخذت ألف رجال، الذي يرضى الفاحشة في أهله قلائل جداً، لكن الذين لا يغارون على أعراضهم كُثُر، فالنبي عليه الصلاة والسلام هكذا وجه.

شيوع المرأة ينمّي الإحساس الجنسي :

إذاً أردت من هذه التفاصيل التي كنت أتمنى ألا أذكرها، أردت من هذه التفاصيل أن أبين لكم أن شيوع المرأة أينما ذهبت تجدها متكشفة، هذا ينمّي الإحساس الجنسي، ينميه نمواً شديداً، إذاً لا تؤمن الفتنة، وكثيراً ما سمعت قصصاً يندى لها الجبين أساسها، فيما بين المحارم أيضاً، لذلك كلُّ هذه الأحكام تتوجه لمن؟ للأسوياء، للطبيعيين، للشخص صاحب الفطرة السليمة، أما المرضى فلهم أحكامٌ خاصة.

طبعاً القريبة غير المحرمة، لا نظر، ولا مس، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني عن معقل بن يسار قال:

((لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمسَّ امرأةً لا تحلُّ له))

[الطبراني عن معقل بن يسار]

الآن إذا إنسان مثلاً أقبل على دروس العلم كثيراً، ويريد أن يحفظ القرآن، وداوم الدروس كلّها، هو شاب، بعد ذلك اختفى فجأةً، سألت عنه لم أعد أراه، أغلب الظن، زلّت قدمه في النظر، حينما ينظر الإنسان، والنظر يعقبه أحياناً لقاءات، واللقاءات يعقبها خيالات، بعد ذلك رسائل، دخل في عالم ثان، دخل في عالم آخر، يتناقض مع عالم المساجد، وعالم الطهر والعفاف.

من حفظ نفسه كافأه الله بزوجة صالحة :



بالمناسبة، هذا الكلام أقوله للشباب، والله أيها الأخوة الشباب، أي واحدٌ منكم يحفظ نفسه قبل الزواج المكافأة من الله عز وجل، زوجة صالحة، وكما قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))

[النسائي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ]

((الدُّنْيَا كُلُّهَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ متاعها المرأة الصالحة))

[مُسْلِمٌ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ]

التي إذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها، وإذا أقسمت عليها أبرتك، وإذا نظرت إليها سرتك، أمرتها أطاعتك، أقسمت عليها أبرتك، غبت عنك حفظتك، في مالك ونفسها، في كل شيء، فكلما الإنسان غض بصره عن النساء، كأنه خبأ خمسمئة ليرة و عندما يأتي الزواج يفتح فيجد معه مئات الألوف، فالإنسان عندما يغض بصره كأنه خبأ عند الله عز وجل، أودع عند الله سعادة زوجية، فكل شيء محفوظ.

((وما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

أنا سمعت قصة من مدة فتأثرت، في أحد أحياء دمشق الغنية، شاب عفيف له مجالس العلم، يحضر مجالس العلم، ومستقيم، وحييْ، ويغض بصره، عنده مكتبة عنده صغيرة، أمام أبنية شاهقة من أهل الغنى واليسار، يرى الفتيات داخلات و خارجات، وأكثرهن محجبات، تاقت نفسه أن يقترن بإحدى هذه الفتيات، فطلب من والدته أن تخطب له، فوالدته واقعية، قالت له: أنت إنسان لا يوجد معك شيء، فلن تستطيع أن تتزوج، ألح عليها، رفضت، ألح عليها، رفضت، و عندما ألح عليها كثيراً ذهبت إليهم مجاملة، قالت له: والله لم يوافقوا، هي لم تطلب، من غير المعقول أن تطلب، ليس من المعقول أن تطلب، هذه القصة سبحان الله، هو يقول لأمه: أنا شاب طاهر وأنا

عفيف، والله لا أعرف الحرام، وأغض بصري، فلماذا لا يعطوني؟ تقول له: أنت لا تفهم شيئاً الآن، أحد سكان هذه الأبنية الشاهقة، من أهل اليسار، مرّ لعنده، قال له: يا بني هل أنت متزوج؟ قال له: لا والله يا سيدي، قال له: والله أنا عندي ابنة تناسبك، ابعث أهلك، الله ألقى في قلب الرجل، يبدو أن هذا الرجل يراقبه، رآه شاباً، عفيفاً، أديباً، صادقاً، حيياً، والرجل غني، وإذا الله عز وجل أكرم الإنسان بالمال، واختار زوجاً مؤمناً وهو اشترى له بيتاً، لا يوجد مانع، هناك أناس يقولون: لا أريد أن أعوده، ماذا تعوده؟ الآن لا يوجد بيوت، إذا كان عندك إمكانية، وجاء لك شاب مؤمن حيي يحفظ لك ابنتك، لا مانع من أن تشتري له بيتاً، هذه ابنتك، قال له: يا بني ابعث أمك، قال هذا الشاب: لابد من أن يكون لهذه البنت علة، غير معقول، و لكن ظهر أنها بنت ممتازة جداً، والأمر تمّ، وهناك قرابة، والقصة أنا أحكيها عن معرفة، ولم أسمعها سماعاً، عاينتها معاينة، هو طالب من الله، وصادق، فالله عزّ وجل أكرمه.

فلا يوجد إنسان يغض بصره، يعف، إلا والله عز وجل يخبئ له سعادة زوجية، وعندما يريد الإنسان أن ينظر، قال: لعن الله الذواقين والذواقات .

هذه يعبرون عنها بالتعبير الحديث، أن عنده خبرة قبل الزواج، لعن الله هذه الخبرة، هذه ليست خبرة، هذه معصية، يسمونها خبرة، أي يعرف كل شيء، لا، في هذه الموضوعات يجب ألا تعرف، الأكمل ألا تعرف شيئاً حتى الله يعرفك أحسن شيء.

الناظر و المنظور كلاهما محاسب :

الأحكام الفقهية، طبعاً أحكام الفقه كلها حنفية، وهي قضية متفق عليها وحاصل هذا الموضوع، يقول: لا يجوز للرجل– دققوا الآن بالكلام، هذه فقرات منتزعة من حاشية ابن عابدين، وهي أعلى مرجع في الفقه الحنفي– أن يبدي شيئاً مما بين سرته وركبته، أمام أمه، أو أخته، أو عمته، أو خالته، أو بنت أخته، أو بنت أخيه إطلاقاً، وهن القريبات المحرمات، قال: لا وقت خلع الثياب، ولا لغسلٍ، ولا لنومٍ، ولا في ركض، أي في رياضة تقريباً، فكل ما ذكر، ركض رياضة، اغتسال، نوم، خلع ثياب، لا يعدّ عذراً في جواز النظر إلى العورة، لا من الأم، ولا من غيرها. الآن عندنا مشكلة، لا ليست مشكلة، لكنها موضوع لاحق، دائماً هناك طرفان، عندك ناظر، ومنظور، طبعاً إذا المنظور تكشّف، والناظر نظر، لعن الله الناظر والمنظور، كلاهما داخل في اللعنة، بهذا الموضوع طرفان، لو الطرف الثاني غير متقيد، ماذا عن الطرف الأول؟ أن يغض بصره، أي لو أنّ امرأةً أخوها، والله أنا قال لي أخ– أصلحه الله– ليس هو طالب علم إطلاقاً

ببيته، عنده أخت، وعنده أم، يقوم أمامهم باللباس الداخلي بالصيف، فهذا منتهى قلة الأدب، منتهى التفلّت، هذه أشياء أنطلق بها من واقع، أنا أعرفه، هويته مسلم، وينتمي إلى هذا الدين، ومع ذلك لا يستحي أمام أخته، وأمام أمه، وأمام بناته، أن يقوم بالثياب الداخلية القصيرة، فلذلك لا في الرياضة، لا في الركض، لا في النوم، لا في التغسيل، لا في خلع الثياب، كلُّ هذا ليس عذراً، لو فرضنا الطرف الثاني ليس متقيداً لابأس، أنا أتقيد بغض البصر، فأنت إذا كان الاثنان متقيدين شيء جميل جداً، هذا مجتمع راق، إذا كان هناك طرف متفلت، أنت تغض بصرك، يتضاعف أجرك.

تلخيص لما سبق :

إذاً نحن القريبة المحرمة، الغير محرمة، والأجنبية سواء، الزوجة لها حكم والقريبة المحرمة لها حكم، والقريبة غير المحرمة والأجنبية لها حكم، وإذا لم تؤمن الفتنة، فالرجل كلُّه عورةٌ من فرقه إلى قدمه، وإذا كان هناك فتنة فهناك شعور جنسي مبكر، لا يجوز أن ترى الأخت من أخيها شيئاً، طبعاً إذا كان هناك خوف، يجب أن تبعد، يجب أن تنتبه، يجب أن تراقب، وإلا يقع المحذور.

وفي درسٍ قادمٍ إن شاء الله، نأخذ موضوع عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة، وعورة المرأة بالنسبة إلى الرجل.

أنا سألت عدداً من الإخوان بعد الدرس الماضي، أنه هل من المعقول أن نستمر في هذا الموضوع؟ قالوا: نعم، فتتابعت الموضوعات.

الطبابة :

هناك سؤال عن الطبابة، هذا بحث آخر، موضوع الطبابة، هذا بحث آخر يجوز للطبيب أن يرى أية امرأةً أجنبية، لكن امرأة مثلاً نحيفة قليلاً، وتحب أن تسمن، إذا كان جسمها متعباً قليلاً، هذه أشياء عادية جداً، هل يجوز أن تكشف جسمها أمام الطبيب؟ لا يجوز.

يوجد عندنا حكم آخر.. إذا وجدت طبيبة مختصة، ومتفوقة باختصاصها، لا يجوز أبداً أن تكشف المرأة جسمها أمام طبيب، لكن إذا كان الطبيبة غير متفوقة، والمرض مشكلة، المرض دقيق، أو مرض حار به الأطباء، وهناك إنسان متخصص، رجل، لا يوجد مانع.

يجوز للقاضي أن يرى وجه المرأة، يجوز للطبيب أن يرى من جسمها بالقدر الذي يحتاج أن يفحصه، وهذه عندنا قاعدة أوصولية: الضرورة تقدِّر بقدرها.

مرة زرت طبيباً – جزاه الله خيراً- أعجبني، إذا كان يريد أن يفحص مريضة، طبعاً لا يسأل، يجب أن تكشف عن بطنها، فهذا الطبيب، عنده شرشف أبيض، مفتوح فتحة صغيرة، يسترها تستيراً كاملاً، المؤمن له ترتيب، الطبيب المؤمن أولاً، يغض بصره و لا ينظر إلا بالقدر الذي يحتاجه ضرورةً.

فالطبابة في درس أخير إن شاء الله، موضوع الاستثناءات لها درس مستقل، لا نستعجل به.

ما ملكت أيمانكم :

أما موضوع ما ملكت أيمانكم، لا أحد يفكر فيها الآن إطلاقاً، لا أحد يسن أسنانه، لا يوجد شيء إطلاقاً من هذا القبيل، هذه بالعصور الأولى عندما فتحت البلاد الأجنبية، وهذه المرأة بدلاً من أن تقتل تؤخذ أسيرةً، وتربى في بيوت المسلمين، لتنشأ على الإسلام، هذا بحث آخر، فالآية الآن معطلة، أي هذا القسم من الآية غير موجود إطلاقاً، لأنهم أحياناً أصبحوا يفسرونها تفسيرات ثانية.

حكم محرمات النسب و محرمات المصاهرة :

أم الزوجة لك أن تنظر، هذه طبعاً المحرمات، موضوع نأخذه بوقت قادم إن شاء الله، يوجد عندنا زوجة، هذه حكم، عندنا محرمات نسب، عندنا محرمات مصاهرة، محرمات المصاهرة أم الزوجة، زوجة الابن، زوجة الأب، هؤلاء لهم حكم آخر، مثلاً لا يجوز في حاشية ابن عابدين للرجل أن يخلو بكنته الشابة، أي إنسان يدخل إلى بيت ابنه بغيابه، وامرأة ابنه صبية، عروس جديد، وابنه غير موجود، يقعد معها ساعات طويلة، هذه ليس واردة إطلاقاً، هذه فيها تحريم، لا يجوز للرجل أن يخلو بكنته الشابة، كما لا يجوز للابن أن يخلو بامرأة أبيه الشابة، إذا إنسان بالستينات أخذ فتاة بالثلاثين، وابنه عمره ثلاثون سنة، لا يجوز أن يختلي مع امرأة أبيه، هي مثل أمي، لا هذه ليست مثل أمك، فأم الزوجة على التأبيد.

هناك سؤال جاءني مرتين، العادة السرية، الله عز وجلّ قال:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ *إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾

[سورة المؤمنون : ٤-٧]

تدخل هنا ؟ تدخل هنا:

﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾

[سورة المؤمنون : ٧]

والحمد لله رب العالمين

الفقه الاسلامي – العلاقات الأسرية – ستر العورة – الدرس (٤ – ٥) : عورة المرأة بالنسبة للمرأة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-١١-٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الشهوة و الميل :

أيها الأخوة المؤمنون... لا زلنا في موضوعٍ وجدتم أنتم أننا جميعاً في أمس الحاجة إليه ألا وهو موضوع العورات، وقد بينت لكم في درسين سابقين قبل الحديث عن أحكام العورة وأقسامها، بينت لكم أن الشيء الذي أمر الله به، أو نهى عنه، هذا الشيء يعد مصيرياً في حياة الإنسان، فإما أن يقوده إلى سعادةٍ، وإما أن يقوده إلى شقاءٍ أبدي.

وفي الشرع كما تعلمون شيءٌ أمر الله به، وشيءٌ نهى الله عنه، وشيءٌ سكت عنه، فالذي سكت عنه هناك حكمةٌ بالغةٌ جداً، لا تقلُّ عن حكمة الذي أمر به، وعن حكمة الذي نهى عنه، أما الذي أمر به فتقوم عليه سلامتنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة ؛ والذي نهى عنه سببٌ أساسيٌ لهلاكنا في الدنيا والآخرة، والذي سكت عنه لا يتعلّق لا إيجاباً ولا سلباً بحياتنا الدنيا، بسعادتنا في الدنيا والآخرة، إنما هو نوعٌ من ألوان الحياة الخشنة أو المترفة، كل عصرٍ، وكل قطرٍ، وكل بيئةٍ، وكل مستوىً يحدد ملامح الحياة التي لا علاقة لها لا إيجاباً ولا سلباً بأُمور الدين.

الشهوة والميل: هناك سؤال كثيراً ما يطرق بال الناس، لماذا أودع الله فينا الشهوات؟ ما ذنبي أنا؟ ركّب الله في كياني الميل للمرأة، وركب في كيان المرأة الميل للرجل، فإذا عبَّر الإنسان عن ميلٍ فطريٍ فيه أيكون عاصياً؟ أي كيف يحاسبنا ربنا وقد أودع فينا هذه الشهوات؟ هذا سؤال يطرحه كثيرٌ من الشباب، وقد يجيبون عنه في غيبة الشرع، هذه حاجة فطرية إن لم نفعل هكذا نتعقّد.

والشيء المؤسف أن معظم الأطباء النفسيين قد يوجّهون الشباب إلى شيءٍ لا يرضي الله عزّ وجل، ولا يحلُّ لهم في الشرع، لأنهم تعلموا في بلاد الغرب أن هذه حاجة أساسية في الإنسان، فإذا رواها بطريقةٍ أو بأخرى فقد توازن، وإن لم يروها فقد اختل توازنه، هذا كلام أهل الكفر.

بطولة الإنسان أن يبتعد عن أسباب المعصية :

نوّهت في درسٍ سابق إلى أن الإنسان إذا أثير ولم يلبِّ هذه الإثارة يقع الكبت، لكن عظمة الدين أنه أبعدنا عن كل المثيرات، حينما قال:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾

[سورة الإسراء: ٣٢]

أبعدنا عن هذه الحالة غير الطبيعية، أن تعيش في جو من الإثارة، وأن تكبت هذه العواطف، هذه حالة مرضية، ليس فيها توازن، فلذلك غض البصر، وعدم صحبة الأراذل، وعدم ارتياد الأماكن المشبوهة، كل ما من شأنه أن يقرِّبك من المعصية فهو معصية، وهذه قاعدة: ما لا يكون الواجب إلا به فهو واجب، وما كان طريقاً إلى المعصية فهو معصية .

فالبطولة أن يبتعد الإنسان عن أسباب المعصية لا عن المعصية، ابتعاده عن المعصية بعد أن دخل في أسبابها شيءٌ فيه مغامرةٌ، ومقامرة، إذا نجا واحد فالأكثرون يهلكون، إذا دخلت في أبواب المعصية ثم واجهت لبِّ المعصية وجوهر المعصية قد ينجو، إنسان واحد ويهلك الآخرون، لكنك إذا امتنعت من الولوج في أبواب المعصية في الأصل فإن هذا الامتناع يضعك في حصنٍ حصين.

الجواب الأول: أن الإنسان خلق ليسعده الله إلى الأبد، هناك فرقٌ بين أن يعطي الله المخلوق شيئاً، وبين أن يستحقّ المخلوق شيئاً، أنت إذا أردت أن تعطي نبتةً صغيرةً ماءً وفيراً قد تميتها، يا ترى الماء الذي تعطيه لهذه النبتة الصغيرة يجب أن يتناسب مع كرمك أم مع طاقة احتمالها، يجب أن يتناسب لا مع كرمك ولكن مع طاقة احتمالها.

الإنسان هو المخلوق الأول والمكرَّم، الذي أعدَّه الله لسعادةٍ لا نهاية لها مادام الإنسان قد أعدَّ لسعادةٍ لا نهاية لها. الحيوان سعادته محصورة، محدودة، غير مكلّف، الحيوان يكفي أن يأكل هذا الحشيش الأخضر، هذه كل سعادته، وانتهى الأمر، تنتهي سعادته بتلبية شهواته، لا يحاسب عن شيء، لكن لا يرقى إلى مستوى الإنسان.

الملك يسبح، عقلٌ كله، ولكن لا ترتقي سعادته إلى مستوى الإنسان، لأنه ليس هناك شهوات يصارعها، وليس هناك صراعات، وليس هناك خيارات، خُلق ليسبِّح الله عزَّ وجل، ركِّب من عقلٍ فقط، يسعد بتسبيحه، والحيوان يسعد بشهواته، وكلاهما غير مسؤولين وغير مكلّفين ولا يرقيان أبداً لمستوى الإنسان.

موضوع الشهوات وموضوع العورات موضوع متداخل، وخير معالجةٍ للموضوعات ما ربطنا الجزئيات بالكليّات، ما ربطنا النتائج بالمقدمات.

سؤال: أنا ما ذنبي؟ أودع الله فيّ هذه الشهوة، فلماذا أمرني بغض البصر؟ لماذا قال لي: هذا حرام، وهذا حرام، وهذا حرام؟ يا رب كنت في الأصل انزع منا هذه الشهوات وانتهى الأمر، هذا منطق ساذج.

الله جلّ جلاله خلقنا، الإنسان مخلوق وحيد، مكرَّم، مخلوق أول، قال الله عزَّ وجل:

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾

[سورة الأحقاف: ٣٣]

ولكن خلق الإنسان من أجل أن يسعد بالله عزَّ وجل، كل مخلوقٍ يسعدُ بشيءٍ مما سِوى الله إلا أن الإنسان يسعَدُ بالله عزَّ وجل، فلكي يحتمل التجليات الإلهية في الآخرة، لكي يحتمل هذه السعادة التي لا حُدُودَ لها، أرسله إلى الدُنيا، ليستعد لهذه السعادة، ليُحصِّل موجِبات رحمة الله، أرسله إلى الدُنيا ليُقوِّي طاقة احتماله، أرسله إلى الدُنيا ليؤهِّل نفسه لهذه السعادة التي ينفرد بها الإنس والجن من بين سائر المخلوقات، إذاً الشهوة في ظاهرها توريط، لكن في حقيقتها دفعٌ إلى الله عزَّ وجل،.

التقرب إلى الله عزَّ وجل يعني هذا المخلوق، كيف يستطيع هذا المخلوق أن يتقرَّب إلى الله؟ لو أنه لا يُحِبُ شيئاً، ولا يكره شيئاً، لا يُحبُ النساء، ولا يحب المال، ولا يحب العُلو في الأرض، ولا يكره الجوع، ولا يكره الخوف، ولا يكره الذل، ما دام بالإنسان شهوات، إذاً هناك شيء يسعده، وشيء يُزعجه، هذه البنية، بنية مخلوق، يسعد بأشياء، ويتألَّم بأشياء، الآن جاء التكليف، أودع فيه حُب النساء، وأمره أن يغُض الطرف، الإنسان بهذه الطريقة يرقى إلى الله، أودع فيه حُب المال، وجعل الله طُرُقاً عديدة لِكسب المال، لكن طُرُق كسب المال المشروع طرقٌ قد تكون صعبةً أحياناً، أما الطرق السهلة، الحرام، قد تكون سهلاً ليرقى بترك الحرام، وأكل الحلال، أي بشكلٍ مُلخّص، أقول هذا الكلام كثيراً: أودع الله فينا الشهوات لنرقى بها مرتين، مرةً صابرين، ومرةً شاكرين، إلى الله عزّ وجل، يمكن أن أقول: إن الشهوة قوةٌ مُحرِّكة، قوةٌ دافعةٌ نافعة يوم القيامة حتى يستحقُ المؤمنون الجنة، يقولون:

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾

[سورة الزمر : ٧٤]

لولا أن الله عزّ وجل خلقنا في الأرض، وأودع فينا الشهوات، وكلّفنا وأمرنا أن نفعل، وألا نفعل، لولا أن هناك شهوات، حينما خالفناها ارتقينا إلى الله، ولولا أن هناك شهوات حينما رويناها وفق منهج الله ارتقينا إلى الله، لما كُنا في الجنة.

لا تستغرِبوا أن يأتي عليكم جميعاً إن شاء الله وأنتم ترفُلون في حُلل الجنة إن شاء الله، الجنة رجاؤنا، هناك عشرة أشخاص استحقوها يقيناً، هم العشرة المُبشرون بالجنة، وما سِوى هؤلاء نرجو الله عزّ وجل، أن نكون من هؤلاء، لكن لا تستغربوا أن تُدرِكوا في لحظةٍ من لحظات الجنة أنه لولا الشهوات التي أودعها الله فينا لما كُنا في الجنة، قد يقول المؤمن وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾

[سورة الزمر : ٧٤]

كيف تتقربُ إلى الله؟ لا يوجد طريق إلا أن تُحب شيئاً، أن تتمنى أن تقترب منه، والأمرُ يمنعك عنه، فتقول: إني أخاف الله رب العالمين.

الزواج و غضّ البصر :

من باب بيان فضل الله علينا، أنت تُصلي في اليوم خمس مرات، بل هل تعلم أنك كلما رأيت في الطريق امرأة وغضضت عنها بصرك تُصلي؟ أراد الله عزّ وجل أن تكون المناسبات للاتصال به كثيرةً، فأمرك بغض البصر، ولئلا تكون محروماً سمح لك بالزواج، فالزواج يمنع عنك الحرمان، وغض البصر، يرقى بك إلى الواحد الدّيان.

فلسفة الأُمور مُريحةٌ جداً، الإنسان إذا أخذ أوامر الشرع هكذا في نهاياتها، في حيثياتها، دون أن يربطها بكلّيات العقيدة، بفلسفة الوجود، بحقيقة الكون، بحقيقة الحياة، بجوهر الإنسان، يقع في متاهات، تنشأ معه آلاف الأسئلة، ولا يدري لها جواباً، حينما تمشي في الطريق يجب أن تعلم أن الله هو الذي أودع فيك حب النساء، هو هو، وهو الذي أمرك بغض البصر، من أجل أن يكون غضُّ البصرِ طريقاً إلى الإقبال عليه دائماً وهذا ما أكدّته لكم كثيراً، قد تتفق الشرائع مع القوانين.

اتفاق الشرائع مع القوانين وافتراقهما :

السرقة محرمة في الشرع، ومحرمة في القانون، فمن ترك السرقة، ممكن لأنه يخاف من السجن والمسؤولية، ولك أن تقول: يخاف من الله، ما الحقيقة؟ الله أعلم، لكن الذي يغضُّ بصره عن

محارم الله يقيناً يخاف من الله، لأنه ليس في الأرض كلها تشريعٌ أو قانونٌ يأمرُ بغض البصر، إذاً هنا افترقت الشريعة عن القانون.

الصيام: بإمكانك أن تدخل البيت في أيام الصيف الحارة، وأن تدخل الحمام بعيداً عن نظر أولادك وزوجتك، وأن تشرب الماء النمير البارد، من العداد رأساً، ولا يدري بك أحد، إذاً الصيام عبادة الإخلاص، ما دمت تمتنع عن أن تشرب قطرة ماء إذاً أنت تُراقب الله عزّ وجل.، فحكم العِبادات أحياناً من أجل أن تعلم أنك تحب الله، من أجل أن تعلم أنك تعلم أن الله يُراقبك، من أجل أن ترتفع معنوياتك، من أجل أن تُحس أنك في رضى الله عزّ وجل، إذاً لا تستغرب، أنه يا أخي ما هذه الحياة؟ كلها صراع نفسي، وفي الطريق نساءٌ كاسياتٌ عاريات، والله يأمرني أن أغض بصري، وضع غير طبيعي، لا، هذا هو الطبيعي، لأنه خلقك للجنة، وثمن الجنة ضبط الشهوات، لأنه خلقكَ لحياةٍ أبدية لا تنتهي، وأن ثمن هذا كله الجنة:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾

[سورة النازعات : ٤٠]

فأنا أتمنى دائماً أن أوضح لإخواننا الشباب كما أنه ليس في الإسلام حرمان ليس فيه تفلّت، الله قال:

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾

[سورة الحديد: ٢٧]

هم كتبوها على أنفسهم، هم اجتهدوا فأخطؤوا، والدليل أنهم أخطؤوا:

﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقّ رِعَايَتِهَا﴾

[سورة الحديد: ٢٧]

لم يتمكنوا، لأنها خلاف الفطرة، الترهُّب، الرهبنة، خلاف فطرة الإنسان، لذلك القصص التي تروى عن الرهبان في انحرافاتهم الجنسية لا تعدُّ ولا تحصى، لأنهم ألزموا أنفسهم ما لا ينبغي أن يكون، ما كتبناها عليهم، والدليل أنهم:

﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقّ رِعَايَتِهَا﴾

[سورة الحديد: ٢٧]

فالإسلام دين الفطرة، فكما أن الإسلام ما كلفك ما لا تطيق، كذلك ما أطلقك إلى حيث تريد، هناك منهج، مثلاً طريق، الطريق عريض، لك حرية الحركة في حدود هذا الطريق، لكن بعد الطريق هناك ممنوعات. فأجمل حياة يعيشها حياة القيم، حياة المنهج، حياة الدستور، انظر إلى السيارة أروع ما تكون وهي على الطريق المعبّد، لأن هذا الطريق صنع لها، وهي صنعت له،

فإذا سارت على الطريق المعبدّ تجدها كلها مرتاحة، لا يوجد أصوات أبداً، أما إذا نزلت إلى الطريق الوعر فتحس أن هذا الطريق ليس لهذه السيارة، وهذه المركبة ليست لهذا الطريق.

ربط الجزئيات بالكليات :

أردت من هذه المقدمة أن نربط الجزئيات بالكليات، لا أن نبقى في هذه حرام، لماذا حرام؟ أنت تعيش في مجتمع، هناك أناس ليس لديهم وازع ديني إطلاقاً، أما آتاهم الله منطقاً، عندهم عقل، فإذا ملكت الحجَّة، بالمناسبة: ما اتخذ الله ولياً جاهلاً، لو اتخذه لعلمه :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾

[سورة الأنعام: ٨٣]

أي يوجد قوة للمؤمن، قد تكون غير مادِّية، قد يكون مؤمناً أي من أقل المراتب في المجتمع، قد يكون موظفاً صغيراً جداً، ضارب آلة كاتبة، حاجباً، لكن قوته نابعةٌ من حجته، لما ربنا قال:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾

[سورة الأنعام: ٨٣]

لكل مؤمنٍ من هذه الآية نصيب، قوةٌ، يجوز حاجب في دائرة يناقش المدير العام المتفلت، الذي عقيدته فاسدة، هذا الحاجب أقوى منه في المناقشة، المؤمن يعلّم لماذا يغضُّ بصره، يعلّم لماذا يصوم، يعلّم لماذا يصدق، يعلّم لماذا يتكلّم بالحق، فنحن نريد مؤمناً متمكّناً، لا أريد مؤمناً يطبّق الإسلام إلى حين، لو أنّك عرفت الأمر الشرعي من دون حيثيات، من دون أن تربطه بالكلّيات، من دون عقيدة صحيحة، يمكن أن تطبق الأمر لكن مقاومتك هشة، أي أدنى ضغط، أو أدنى إغراء، تجد مقاومتك قد انهارت، لذلك كلّ إنسان يربي، كل إنسان يبني إخوانه بناء، إذا بنى النفوس بناء صحيحاً، بناء علمياً، بناء منطقياً، على أساس من العقيدة الصحيحة، تجد هذا الأخ قوياً، أي قوي في دينه، أينما ذهب مستقيم، أي أنت عندما تعرف أن هذا الأمر مربوط بهذه العقيدة الصحيحة، مربوط بهذه الكلّية، أي أنت مؤمن بخالق الكون، أنت مخلوق للجنّة، والجنّة ثمنها ضبط الشهوات، الشهوات أودعت فيك لترقى بها إلى الله، أودعت فيك، هذا الذي أتمنى أن يكون واضحاً للكل.

قوة الشهوة والوقوف أمامها :

قوة الشهوة والوقوف أمامها: كل إنسان بيتبرم بالشهوات، يقول: يا أخي ليس بيدي، لكن الله أودعها فيك، وقوية هذه الشهوات، أي مثلاً تصوّر طناً من الحديد ألقيناه من عشرة آلاف متر،

هذا يتسارع، ماذا يقف في وجهه؟ طبق ورق؟ أعوذ بالله، قماش؟ مستحيل، سقف يحطمه كذلك الشهوات، قوة اندفاع شديدة، لا يقف أمام الشهوات إلا يقين، إلا إيمان قوي، إلا عقيدة صحيحة، إلا اتصال بالله، حينما تستقيم، وتتصل، تصبح كالجبل قويّاً، تحس أنه يوجد عندك مقاومة كبيرة جداً، لذلك المؤمن الصادق لا يضعف لا أمام أقوى المغريات، ولا أمام أقوى الضغوط، لا الضغط يؤثر فيه، ولا الإغراء يؤثر فيه، التِبْر عنده كالتراب، والحياة والموت سواء، قال له:

﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾

[سورة طه : ٧٢]

الحقيقة نحن لا نقدر أن نستعيد مجد أمتنا، ولا نرجع كما كنا قادة للأمم، النّبي الكريم جاء إلى قومٍ هم رعاةٌ للغنم، فجعلّهم قادةً للأمم، من رعاة غنّم لقادة أمم، بعقيدة صحيحة، وبالتزام صحيح، أصعب شيءٍ في مجتمعاتنا الإسلامية أن يظنّ المسلمون أنّ الدين صوم وصلاة، الدين منهج، منهج طويل عريض، فيه كل شيء، فيه تفصيلات لكلّ شيء، فهذا المنهج. مرة قرأت كتاب: الإسلام إما أن تأخذه كلُّه أو فدعه كلُّه، أنا لا أوافق على هذا العنوان، أوافق على الشق الأول، خذه كلّه، ولن تقطف ثماره إلا إذا أخذته كلّه، هذا أصح، خذه كلُه، بأدق تفاصيله.

إيداع الشهوات في الإنسان ليرقى إلى ربه صابراً و شاكراً :

إذاً ملخص المقدمة أن الله أودع فينا الشهوات لنرقى بها صابرين بغض البصر، وشاكرين بنعمة الزواج، إلى رب الأرض والسموات، أودع فينا الشهوات، المال، لنرقى بحب المال صابرين بإنفاقه، شاكرين بكسبه، أودع فينا حب العلو في الأرض لنرقى به صابرين، بترك معاونة الظلام، ولنرقى شاكرين بخدمة الضعيف، وهكذا، كلُ الشهوات يمكن أن توظّف في الحق.

أخ كريم.. استوقفني في الدرس الماضي، وقال لي– أنا والله أعجبني ورعه، وأعجبني غيرته على دينه–: أنا محامي، قلت له: أنعم وأكرم، قال لي: لماذا بعض العلماء يذمّون هذه المهنة؟ قلت له: والله أنا ما فعلتها في حياتي لأنني أعتقد أنّ أية مهنةٍ لا تستعصي على الالتزام بالدين، والمحامي المؤمن الذي يضع كلّ علمه، وكلّ ذكائه، وكلّ طلاقة لسانه، وكلّ ثقافته القانونية الواسعة في خدمة الضعيف، ويأخذ أجره حلالاً جُعالةً، هذا يرقى إلى الله، قد يرقى المحامي، قد يستحق دخول الجنّة لأنه محامي، أعتقد يجب أن توظِّف كلّ شيء في الحق، الآن حتى الذين آتاهم الله أصواتاً عذبة، أليس من الممكن أن يقرؤوا القرآن وأن تصبح أصواتهم خالدةً إلى آلاف السنوات؟ مرة أنا سمعت أذاناً لمؤذن، أعتقد أنه مات قبل خمسين سنة بمصر، قلت: هذا الصوت بقي مستمراً، الصوت الحسن يمكن أن يوظّف في الحق، في تلاوة القرآن، في الأذان، في مدح

النبي عليه الصلاة والسلام، كلُّ ما أودعه الله في الإنسان يمكن أن يوظف في الحق وفي الباطل، في الخير، وفي الشر.

إذاً من أجل أن تربط غضِّ البصر وحفظ العورة، عدم إبداء العورة وعدم إطلاق البصر إلى العورة، من أجل أن تربط هذا الحكم الجزئي الصغير بكليةٍ كبرى في الدين، اعتقد دائماً أن الله جلّ جلاله خلقك للجنّة، وهذه الدنيا دار دفع الثمن، كيف العام الدراسي، الآن الطالب الجامعي، مقاعد الجامعة مريحة؟ لا والله، مقعد خشبي عرضه خمسة وعشرون سنتيمتراً، وقائم لا يوجد به إسفنج ولا جلد والتدفئة أقل من الوسط، وبعض البلور مكسَّر دائماً، في أيام البرد لا يوجد تدفئة جيدة، ولا مقعد مريح، ولا يوجد أثناء الدرس بعض من الموالح، أو قليل من العصير مثلاً،لا يوجد إلا محاضر أمامك، لا يوجد غير كلام الصراحة.

لكن سنة سنتين، ثلاث، أربع بهذه الجامعة، أصبح طبيباً مثلاً ، أو مهندساً، عندما كان لهذه المهن الراقية دخل كبير، فبعدما أخذ الشهادة، وأصبح له مكانة اجتماعية، وركّز وضعه بالتعبير التجاري، واشترى بيتاً، وجاءه دخل كبير، لولا هذه السنوات التي قضاها في الجامعة، اثنتا عشرة ساعة باليوم بلا غداء، أكثر الأيام بلا غداء، اثنتا عشرة ساعة، وكل محاضر له طبع خاص، وظائف، حلقات بحث، ومفاجآت بالامتحانات، ومعركة بين الأستاذ والطلاب، هم يتوقعون قسماً فيفاجئهم بقسم، وسلم صعب، ولا يمكن أن تراجع ورقتك، لولا هذه المتاعب خلال ست أو سبع سنوات، لا يقال لك: الدكتور فلان تفضل، يقول لك: إيكو بخمسمئة ليرة، هذا غير تخطيط، تحتاج لإيكو، وتخطيط، وكذا، لولا هذه المتاعب ما كنت في هذا المستوى، طبعاً أنا أضرب أمثلة من واقع الحياة.

ولولا أنك جئت إلى الدنيا، ووضعت فيك الشهوات، حب المال، حب النساء، حب العلو في الأرض، وجاء الشرع، غضْ بصرك، ولا تصافح، ولا تخلُ بأجنبية، وهذه حرام، وهذه حلال، وهنا غض بصرك، والفخذ عورة، وهذه، منهج طويل عريض تفصيلي، وهذا الكسب حرام، وهذه شبهة الربا، وسألت، وجلست بمسجد، وعلى ركبك جلست ، و كان الدرس ساعة ونصف، ما كنت ترقى إلى هذا المستوى.

لذلك هذا الدرس جزئيته صغيرة أما كليته فكبيرة، أنت حينما تطبِّق منهج الله عزَّ وجل من أجل أن تكون في عداد السعداء في الآخرة.

عورة المرأة بالنسبة للمرأة :

عورة المرأة بالنسبة للمرأة الآن، درسنا هذا اليوم عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة، أي أكثر الناس يظنون أنه لا يوجد عورة بين النسوة، امرأةٌ على امرأة، أي نحن وهذا ما أعتقده اعتقاداً جازماً أنَّ مجتمعنا والحمد لله مجتمع مسلم، مجتمع نظيف، المجتمع المؤمن مجتمع أرقى، مجتمع روَّاد المساجد الملتزمين، هذا مجتمع أرقى وأرقى، لذلك الانحرافات الأخلاقية إذا ذكرناها لا أعتقد أن من بين الحاضرين من هو واقع بها، لأنه شيء بعيد جداً.

شخص يدرس جامعة تسأله: هل تقرأ وتكتب؟ أنا معي بكالوريا ماذا أقرأ وأكتب؟ كلام لا معنى له، ما وصل إلى الجامعة حتى أخذ البكالوريا، فنقول لأحد: أخي توجد انحرافات؟ هذا أغلب الظن بعيد جداً عن رواد المساجد، عن مجتمع المؤمنين الصادقين، ولكن هناك انحرافاً بين النساء سببه التكشُّف، وهناك انحراف بين الجنس الواحد اللواط و هو معروف، والسِحاق معروف، فالانحرافات الجنسية في الجنس الواحد سببها عدم التقيُّد بأوامر الله عزَّ وجل.

فالدرس اليوم عن عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة، إما أنها قريبة، وإما أنها أجنبية، ما معنى أجنبية؟ هل معنى هذا أن معها جواز سفر؟ لا ولكنها ليست قريبة، أو فاجرة، أو كافرة، أربع نساء؛ قريبة، أجنبية، فاجرة، كافرة.

الفاجرة قد تكون هويتها مسلمة في الأصل، ولكن هذا الانتماء التاريخي لا قيمة له إطلاقاً، أما هي ففاجرة، ليست منضبطة، هذه لها حكم.

والكافرة الكتابية، هذه لها حكم، والقريبة، والأجنبية، الأجنبية ليست قريبة جارتنا، أما القريبة فأخت، أم، عمة، خالة، بنت أخ، بنت أخت.

فالقريبة، والأجنبية، لمّا جمعنا بين القريبة والأجنبية معناها القرب النسبي لا قيمة له في هذا الموضوع، القريبة، أو الأجنبية، كلاهما واحد، لا يوجد فرق بين جارتي وبين عمتي، فيما بين المرأة والمرأة فقط، درسنا اليوم عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة.

قال: فلهما لكلا المرأتين، النظر من المرأة إلى المرأة إلى سرتها فما فوق، وإلى ما تحت ركبتيها، لأن عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة ما دون سرتها إلى مادون ركبتها، فالسرة ليست من العورة، والركبة من العورة، أي أن عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة كعورة الرجل بالنسبة إلى الرجل.

الأحاديث التي حددت عورة الرجل مع الرجل هي نفسها حددت عورة المرأة مع المرأة :

وقد اتفق العلماء على أن الأحاديث التي حددت عورة الرجل مع الرجل هي نفسها بيانٌ لعورة المرأة مع المرأة، قال صلى الله علية وسلّم:

((لا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ.....))

[مسلم عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ]

طبعاً هذه القريبة، والأجنبية، الحاصل أنه لا يجوز للأُم أن ترى من ابنتها، ولا للبنت أن ترى من أُمها، ولا للأُختِ أن ترى من أُختها، ولا للمرأة أن ترى من عمتها، أو خالتها، أو بنت أُختها، أو بنت أخيها، أو إحدى النساء، قريباتٍ كنّ أو أجنبيات، شيئاً مما بين السرة والركبة، لا في الحمام ولا في غير الحمام، ولا وقت خلع الثياب، ولا في الاستقبالات، والاحتفالات، ولا في عمل المنزل، ولا في تنظيفه.. هذا الحكم الشرعي. فإذا كشفت إحداهن، شيئاً من عورتها وأثمت بهذا الكشف، لا يحلُ للباقيات النظر إليها أبداً، بل يجب عليهن الإنكار عليها، ويجب عليهن منعها من إبداء شيءٍ من عورتها، وإن أصرت إحداهن على كشفها، لا يجوز الجلوس وهي كاشفةٌ عورتها، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناظر والمنظور إليه.

نحن نتمنى أن يلتزم الفريقان، الناظر والمنظور، فإذا أخلّ المنظور على الناظر أن يغُض البصر، عليه أن ينصح، عليه أن يغُضّ البصر.

مرة ثانية، وثالثة، ورابعة، هذه الأحكام للأسوياء، للإنسان الطبيعي، أما لو أنه خُشيت الفتنة من نظر امرأةٍ مريضةٍ، أو منحرفةٍ، أو فاسقةٍ، أو فاجرةٍ، إلى امرأةٍ سوى ما بين السرة والركبة فلا يجوز، الوضع الطبيعي، المألوف، المرأة السوية التي تمثِّل الخط العريض في المجتمع، هذا هو الحكم، أما في عدد قليل، نسب قليلة، منحرفة المزاج، الاتجاه غير سليم، فهذه المرأة لا يجوز لها أن تبدي حتى لامرأةٍ أُخرى قريبةٍ أو غير قريبةٍ ما فوق السرة، وما تحت الركبة.

ما حلّ للمرأة النظر إليه حلّ مسُّه :

والحكم الذي قلته لكم سابقاً ما حلّ للمرأة النظر إليه حلّ مسُّه؟ أي ممكن بنت تنظف ابنتها فيما سوى العورة في الحمام، ممكن الشيء المسموح النظر إليه مسموح مسّه بلا شهوة، فإذا خُشيت الشهوة حُرِم مسه، وحُرِم النظر إليه، مع وجود الشهوة، مع خوف الفتنة، هناك أحكام أُخرى، يقول عليه الصلاة والسلام:

((....وَلا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَلا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ...))

[مسلم عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ]

كما أنه لا يجوز أن يتلامس الجسدانِ للذكور، لا يجوز أن يتلامس الجسدان للإناث، الحكم نفسه، لأن فيما بين الذكور انحرافاً معروفاً، وفيما بين الإناث انحرافاً معروفاً..

تحريم وصف المرأة امرأة أخرى أمام زوجها :

يوجد عندنا حكم مهم جداً هو أن المرأة إذا رأت امرأةً، الآن انظر، أكثر الأُسر الإسلامية أين كنتم؟ في بيت فلان، ماذا صار؟ الزوج عنده فضول، ماذا رأيتم؟ والله عندهم بنت جميلة جداً، صفيها لنا؟ قالت: كذا و كذا، قال: لا يجوز لمرأةٍ أن تصف امرأةً لزوجها إطلاقاً، طبعاً يوجد معها دليل، يقول عليه الصلاة والسلام، فيما ورد في الصحيحين:

((لا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا))

[متفق عليه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم]

أنا أقول لكم: لو أن امرأةً وصفت امرأةً لزوجها ذهب خيال الزوج إلى صفاتٍ أعلى بكثير مما وصفت. الإنسان ينزع نحو الكمال دائماً، لذلك النبيّ عليه الصلاة والسلام حينما رأى زيد الخيل، وهذا رجل كان من أصحاب المُروءة في الجاهلية، النبيّ أُعجب به، قال له: من أنت؟ قال له: أنا زيد الخيل، قال له: بل أنت زيد الخير، لله درُّك يا زيد، ما وصف لي شيءٌ فرأيته إلا رأيته دون ما وصف، إلا أنت يا زيد.

هذه قاعدة، يقول لك: جلسنا في مكان جميل جداً، وإذا رأيته فتقول له: والله ليس لهذه الدرجة، لم يطر عقلنا، الوصف دائماً أكبر بكثير من الواقع، لأن هذا من عجز اللغة، اللغة لماذا هي عاجزة؟ تقول: كبير، ما معنى كبير بالنسبة للمتكلم؟ أي إذا إنسان دخله محدود، يقول لك: فلان غني، يجوز هذا الغني مع الغني الحقيقي فقير، لكن كلمة غني من إنسان فقير تختلف عن كلمة غني من إنسان غني، فمن عجز اللغة أنها لا تُعطي الحجوم حقيقتها.

لذلك حينما تصفُ امرأة، الأصل محرم، لكن لو أنها وصفت لا يقف الزوج في تصوّره عند حدود الواقع، بل قد يشتط خياله إلى أبعد من الواقع، هذا الذي حرّمه الشرع، إذاً لا يجوز، قال: إذا جاز للمرأة أن تنظر إلى امرأةٍ أُخرى، قريبةٍ أو أجنبية، في تلك الحدود الضيّقة، التي سمح بها الشرع، إذا جاز لها ذلك، فلا يجوز لها أن تصف ما رأت لزوجها أو قريبها أو لأجنبيّ إطلاقاً. لذلك أكثر الأُسر يحضرون أعراساً، يتكلمون بعد العرس، فلانة كذا و كذا، لو أنهنّ تكلمنّ على مسمعٍ الزوج فهذا حرام، حرامٌ حرمةً قطعيةً أن تصف امرأةٌ امرأةً لزوجها فكأنه ينظر إليها. يوجد عندنا استثناء واحد، من يعرف هذا الاستثناء؟ الخاطب، أن الخاطب له حق أن يراها مباشرةً، فإذا وصفت له أقل من الرؤية، الخاطب من حقه أن يراها، لذلك إذا ذهبت امرأة لتخطب لابنها، ووصفت له مخطوبته، الأمر مشروع لا شيء عليه، لكن لا يجوز أن تصف له هذه الفتاة

أمام أخيه المتزوج، ليس له علاقة، هذه دقة الشرع، تصف الأُم لابنها مخطوبته، دون أن ينتقل هذا الوصف إلى آخرين.

لا يحلّ للمرأة أن تبدي زينتها أمام المرأة الفاجرة أو الكافرة :

قال: أما الفاجرة، الفاجرة قد تكون بالهوية مسلمة، لكنها فاجرة، فاسقة، قد تكون زانية، قد تكون متفلّتة من كل الشرائع تقريباً، قال: هذه الفاجرة لا يحل للمرأة أن تبدي أمامها زينتها، لا يحل للمرأة المسلمة أن تبدي زينتها للمرأة الفاجرة، لأن الفاجرة ليس عندها قاعدة، المسلمة إذا رأت مسلمة، المسلمة لها زوج، و زوجها معلمها، وأبوها معلمها، وأمها علمتها، أي المسلم يغلب عليه الورع، يغلب عليه الانصياع لله عزّ وجل، فحينما تبدو امرأة أمام امرأة، أغلب الظن أنها لن تصفها للآخرين، لكن هذه المرأة الفاجرة إذا نظرت إلى زينة امرأة مسلمة، رُبما وصفتها للأجانب، تصور امرأة ماشية بالطريق وهي محجَّبة، وقد وصفت عضواً عضواً للأجانب، ما قيمة هذا الحجاب؟ يعرفونها من الداخل هم حسب الوصف، إذاً ما قيمة حجاب المرأة إذا رأتها فاجرةٌ ووصفتها للأجانب؟

الفاجرة، لا يحل للمرأة المسلمة أن تبدي أمامها زينتها، لأنها تصفها عند الرجال، فلا تضع جلبابها ولا خِمارها عندها، لذلك أنا والله أستمع إلى أخوات مؤمنات يحضرنّ أعراساً، ويرتدين ثيابهنّ الخارجية تماماً، هذا موقف سليم، لماذا؟ قد يكون في هذا العرس امرأة فاجرة، القصد حضرن ولبين الدعوة، فالمرأة المسلمة تبقى في ثيابها المُحتشمة في الأعراس، أما هذا التقليد أن تخلع ثيابها الخارجية، وأن تبدو في أبهى زينة ولا تعلم من هنّ المدعوّات، فإن كان من بين المدعوات فاجرة، الهوية مسلمة لكن فاجرة، هذه الفاجرة من طبيعتها أن تتكلم لأن الشيطان يؤزها أزاً الشيطان، لأنها مع الشيطان، والشيطان يُغري بكل معصية، أنا الذي أتمناه أنه حتى في الاحتفالات أن يكون المدعوون قد انتقاهم الداعي انتقاء جيداً، فإذا كان الانتقاء عشوائياً فيجب أن تبقى المرأة المسلمة في الحدود التي لا تبدو زينتها أمام الفاجرات، الآن الدليل، قال تعالى:

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آَبَائِهِنَّ أَوْ آَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾

[سورة النور : ٣١]

أين بيت القصيد، أين الشاهد؟ أو نسائهن.

تحريم خلع المؤمنة ثيابها بين يدي مشركةٍ أو كتابية :

ورد في رد المحتار في تفسير قوله تعالى "أو نسائهن" أي الحرائر المسلمات، لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرد، أي أن تخلع ثيابها بين يدي مشركةٍ أو كتابية، هذه معنى أو نسائهن ، والشيخ النابلسي

له كتاب اسمه" هدية ابن العماد" يقول: " لا يحل للمسلمة أن تتكشف بين يدي يهوديةٍ، أو نصرانيةٍ، أو مشركةٍ أبداً، هذا تفسير قوله تعالى أو نسائهن" . وقال ابن كثير: " أو نسائهن، أي ألا تظهر بزينتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة، أي الكتابيات، لئلا تصفهن لرجالهن، وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد".

فيغلب الظن أن المرأة المسلمة لا تصف المرأة المسلمة لزوجها، أما الكافرة، والفاجرة، فتصِفُها لزوجها، إذاً يجوز للمرأةِ المُسلِمة المؤمنة أن تُظهر زينتها لمن؟ لامرأةٍ مسلمةٍ مثلها، أما لغير المُسلمة فلا يجوز، الكافرة لا يجوز، الفاجرة لا يجوز والحديث الشريف:

((لا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا))

[متفق عليه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم]

سيدنا عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عُبيدة بن الجراح، وقد بلغه أن في الشام حمامات عامة قديماً، هذه القصة قديمة جداً، من عهد سيدنا عُمر، قال له: " أما بعد، فإنه بلغني أن نساءً من نساء المُسلمين، يدخُلن الحمامات مع نساء أهل الشرك، فإنه من قبلك لا يحل لامرأةٌ تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملّتها ".

هذا كلام سيدنا عمر لأبي عبيدة بن الجراح.

وقال الإمام مُجاهد في تفسير قوله تعالى: " أو نسائهن " نسائهن المسلمات، ليس المشركات من نسائِهن، وليس للمرأة المسلمة أن تتكشف بين يدي مشركة، ولا يحل لامرأةٍ غير مُسلمةٍ أن ترى من المرأة المُسلمة زينتها أو مكان الزينة .

وروي عن مجاهدٍ أيضاً قال: "لا تضع المُسلمة خِمارها عند مشركة، لأن الله تعالى يقول: أو نسائهن فليست المُشركة من نسائهن".

كم دليل أصبحوا؟ سبعة أدلة تقريباً، وفي تفسير الخازن: "أو نسائهن، أي المؤمنات من أهل دينهن" أراد أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة، ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد من ثيابها عند الذمية، أو الكافرة ، لأن الله تعالى قال: أو نسائهن، والذمية أو الكافرة ليست من نسائنا، ولأنها أجنبية في الدين فكانت أبعد من الرجل الأجنبي .

هذا الموضوع الذي هو في الترتيب الثالث عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة وكُنا قد أخذنا في الدرس الماضي عورة الرجل بالنسبةإلى الرجل.

والدرس الأول عورة الرجل بالنسبة إلى المرأة، بقي الموضوع الأخير وهو عورة المرأة بالنسبة إلى الرجُل، هذا في الدرس القادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين

الفقه الاسلامي – العلاقات الأسرية – ستر العورة – الدرس (٥ – ٥) : عورة المرأة بالنسبة للرجل .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-١٢-٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

عورة المرأة بالنسبة إلى الرجل :

أيها الأخوة المؤمنون... مع الدرس الرابع من دروس العورة، وقد بينتُ بفضل الله عز وجل في دروسٍ سابقة، عورة الرجل بالنسبة إلى الرجل، وعورة الرجل بالنسبة إلى المرأة، وعورة المرأة بالنسبة إلى المرأة، وبقي الموضوع الرابع، وهو عورة المرأة بالنسبة إلى الرجل.
أولاً: تختلف عورة المرأة بالنسبة للرجُل، باختلاف الرجل، من هو هذا الرجل؟ ما كل رجل ككل رجل، عورة المرأة بالنسبة إلى الرجل تختلف باختلاف الرجل.
كم احتمال يوجد للرجال؟ هناك رجُلٌ زوج، وهناك قريبٌ محرم، وهناك قريبٌ غير محرم، وهناك أجنبيّ، أربع أنواع من الرجال، زوجٌ، قريبٌ محرمٌ، قريبٌ غير محرمٍ، أجنبيّ.
أما المرأة بالنسبة لزوجها فليس لها عورة، وله أن يرى منها كل شيء، من فرقها إلى قدمها، بشهوةٍ وبغير شهوة، لأنه لما جاز المسّ والغشيان فلأن يجوز ما دونهما وهو النظر إلى جميع بدنها من باب أولى، إلا أن الأولى– الآن دقة الحكم– إلا أن الأولى ألا ينظر كل واحدٍ منهما إلى عورة صاحبه، طبعاً المغلظة، السوأة، ومن نظر فقد ترك الأولى، لقول النبيّ عليه الصلاة والسلام:

((إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَسْتَتِرْ وَلا يَتَجَرَّدْ تَجَرُّدَ الْعَيْرَيْنِ))

[ابن ماجة عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ]

أي هذا توجيه إرشادي، فمن ترك هذا ترك الأولى، ولقول النبيّ عليه الصلاة والسلام:

((رَأَى رَجُلا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ بِلا إِزَارٍ فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ))

[النسائي عَنْ يَعْلَى]

ولقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّيَ فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لا يُفَارِقُكُمْ إِلّا عِنْدَ الْغَائطِ وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ))

[الترمذي عَنْ ابن عمر]

إذاً عورة المرأة بالنسبة إلى زوجها ليس لها عورة، له أن ينظر إليها من فرقِها إلى قدمها، بشهوةٍ وبغير شهوة، لأنه جاز المس والغشيان، فلأن يجوز ما دونهما وهو النظر من باب أولى، لكن ذوق النبيّ الراقي وجّه إلى عدم النظر إلى السوأة، فمن نظر فقد ترك الأولى.

ليس هناك قضية تحتاج إلى بحث، أو إلى أخذ ورد، فيما بين الزوج وزوجته، وإذا كان هناك من تفصيلات تتعلق فيما بين الزوجة وزوجها فله درسٌ آخر مستقل، أي موضوع الحيض والنفاس وما إلى ذلك، لكن طبيعة هذا الموضوع تقتضي أن ننتقل من هذا الجزء من الدرس إلى الجزء الآخر، وهو عورة المرأة بالنسبة لقريبها المحرم.

الجزء الأول، عنوان الدرس عورة المرأة بالنسبة إلى الرجل، أجزاءٌ كثيرة من هذه الأجزاء عورة المرأة بالنسبة لزوجها.

عورة المرأة بالنسبة لقريبها المحرم :


تظهر المرأة أمام القريب غير المحرم كالغريب تماما

الجزء الثاني: عورة المرأة بالنسبة لقريبها المحرم: من هو القريب المحرم؟ القريب المحرم أي ما حرُم عليه الزواج منها، الأب، الابن، الأخ، العم، الخال، ابن الأخِ، ابن الأُختِ. قال: هؤلاء الأقرباء المحارم، لا يمكن للمرأة أن تُظْهِر أمامهن إلا .. والآن عدم الفهم، أنه أخي، أخوكِ له حدود، ابني، ابنك هناك حدود، أبي، أبوكِ له حدود.

قال: هؤلاء الأقرباء المحارم لا يحل لهم أن ينظروا إلى المرأة إلا إلى الرأس، والشعر، والوجه، والعنق أي أعلى الصدر، والأُذن، والساعد، والكف، والساق، والقدم هذه المواضع التي يجوز للأقرباء المحارم أن ينظروا إليها من المرأة، التي يحرم عليهم الزواج منها.

المحارم بحكم المصاهرة :

طبعاً هناك أقرباء محارم بحكم النسب، وأقرباء محارم بحكم المُصاهرة، فالإنسان حماته، أُم زوجته، هذه من محارمه، زوجة ابنه من محارمه، زوجة أبيه من محارمه، أُمه، أُخته، ابنته، ابنة أخيه، ابنة أُخته، عمته، خالته، هذه النساء القريبات المحارم.

إذاً الرأس، الشعر، الوجه، العنق، الأُذن، أعلى الصدر، الساعد، الكف، الساق، القدم، تُلخص هذه المواضع بأن المرأة عليها أن ترتدي أمام أقاربها المحارم ثياب الخدمة، وثياب الخدمة هي الثياب التي تغطي سائر الجسد، ماعدا هذه الأعضاء التي ذكرتها قبل قليل، قال تعالى:

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آَبَائِهِنَّ أَوْ آَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[سورة النور: ٣١]

مرّ شرح هذه الآية بالتفصيل، في سورة النور، فمن أراد التفصيل الدقيق فليرجع إلى تفصيل سورة النور، وهي مُسجلة.

دليل عدم رؤية القريب المحرم الظهر والصدر في النساء المحارم :

الآن ما الدليل على أن الظهر والصدر في النساء المحارم لا ينبغي أن يراها القريب المَحْرَم؟ دليل قوي جداً، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾

[سورة المجادلة: ٢]

إذا قال الزوج لزوجته: أنت عليّ كظهر أُمي، أي حرامٌ أن أنظر إليك كحرمة نظري إلى ظهر أُمي، فظهر الأُم بإمكان الابن أن يراه؟ هذا دليل قوي جداً، إذاً أيهما أكثر فتنة الظهر أم الصدر والبطن؟ من باب أولى إذا كان ظهر الأُم طبعاً، والأُخت، والابنة، والعمة، والخالة، وبنت الأخِ، وبنت الأُختِ، وأُم الزوجة، وزوجة الابن، وزوجة الأبِ، أي النساء المحارم، محارم نسب، ومحارم مُصاهرة، إذا قال الله عز وجل:

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾

أي حينما قال أحدهم: أنت عليّ كظهر أُمي، الله عز وجل قال:

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً﴾

[سورة المجادلة: ٢]

إذاً فلأن تكون حرمة النظر إلى البطن والصدر من بابِ أولى، إذاً ما بقي إلا الرأسُ، وما عليه من الشعر، والوجه، والأُذنُ، والعنق، والكف، والساعد، والساق ما تحت الركبة، والقدم، أي ثياب الخدمة، إذاً في بيوتنا، البنت أمام أخيها، أمام أبيها، أمام ابنها، أمام عمها، أمام خالها، أمام ابن أخيها، أمام ابن أُختها، أمام والد زوجها، أمام ابن زوجها، لا يحل لها أن تُظهر إلا رأسها، وشعرها، ووجهها، وأُذنيها، وعنقها، وساعدها، وكفّها، وساقها، وقدمها، أي عليها أن ترتدي ثياب الخدمة، أي الثياب المحشومة.

أما قميص نوم يشف عما تحته، أخي، أي أخٍ هذا؟ هذا خلاف الشرع، ألبسة ضيقة، ألبسة شفافة، ألبسة فيها إبراز للمفاتن، ألبسة فيها تبذُّل، ألبسة تصف ما تحتها، تصف خطوط الجسم، هذه كلُّها محرمةٌ، أن تبدو المرأة أمام أقاربها المحارم، إن أردت الإسلام، إن أردت الشرع، إن أردت منهج الله عزّ وجل، إن أردت أن يبقى هذا البيت مصوناً، إن أردت ألا تقع فيه شبهة، إن أردت النظافة والعفاف، فعليك باتباع الشرع.

ما حلّ من المحارم النظر إليه حلّ مسه وغمزه :

طبعاً يوجد عندنا حكم فرعي، ما حلّ نظره من محارمه حلّ مسه، الإنسان له حق أن يُصافح أُخته، أن يُمسك بكفها، ما حلّ نظره من محارمه حلّ مسه، طبعاً قال: إذا أمن الشهوة، الإنسان السوي، الشخص الطبيعي، الإنسان الذي يمثل الخط العريض، أما النسبة الشاذّة فهذه لها حكم آخر، كل الأحكام التي تلوتها عليكم في هذه الدروس الأربع، هي متعلقةٌ بالإنسان السوي، فكان عليه الصلاة والسلام يقبّلُ رأس السيدة فاطمة رضي الله عنها، وكان يقول:

((من قبّل رجل أُمه فكأنما قبل عتبة الكعبة))

[روي في كتاب شرعة الإسلام]

لك الحق أن ترى الساق، والقدم، والساعد، والكف، والعنق، والرأس، والوجه، والأُذن، فما حلّ نظره حلّ مسه عند أمن الفتنة.

لكن أنا أتمنى، أن تجعل هناك فرقاً بين الأقارب– أقارب النسب– وبين أقارب المُصاهرة، أقارب المصاهرة يجب أن تأخذ احتياطاً أكثر، فعادات التقبيل بين الصهر والحماية هذا ليس وارداً، أي

حتى هناك رأي متشدد، أنه من قبّل أم زوجته، وشعر بشيء، حرمت عليه زوجته، فالأولى أن نبتعد كُلياً عن تقبيل المحارم، بسبب المصاهرة، أي زوجة الابن مشتهاة، لذلك لا يجوز الخَلوة بها، زوجة الأب التي في سن الابن مشتهاة، لا يجوز الخلوة بها، أم الزوجة، يوجد حالات تشتهى، لا يجوز، لذلك النساء المتعلقات بالمصاهرة، هؤلاء يجب أن تأخذ احتياطاً أكبر بكثير من احتياط الأم، والبنت، والأخت، والعمة، والخالة، وابنة الابن، وابنة البنت.

كان بعض التابعين يمشّط رأس أُمه، لا يوجد مانع، الرأس مسموح، الشعر مسموح، لكن الحكم الدقيق من لم يأمن ذلك، بأن خاف الشهوة على نفسه، أو عليها، أحياناً يكون الوضع معكوساً، خاف الشهوة على نفسه، أو عليها، أو شك، يوجد درجة أشد من الخوف هي الشك، لو شك فلا يحل له النظر ولا المس، قال: وكذا ما حلّ من محارمه النظر إليه حلّ مسه وحلّ غمزه بالتدليك، إذا الإنسان دلّك، أي بين الكتفين، أو الساق لا يوجد مانع، فالتدليك يجوز لما يجوز النظر إليه، أما ما لا يجوز النظر إليه، انظر الدقة، فيحرم مسُّه مباشرةً، ويكره تحريماً دلكه من فوق الثياب، تدليكه، ما حرم النظر إليه يحرم تحريماً قوياً، مسه مباشرةً، أو دلكه من فوق الثياب.

إذاً أول قسم في الدرس: عورة المرأة بالنسبة لزوجها، القسم الثاني: عورة المرأة بالنسبة لأقاربها المحارم، محارم النسب، ومحارم المُصاهرة، ومحارم المُصاهرة درجة يجب أن تكون أدق، وفيها احتياط أكثر.

عورة المرأة بالنسبة لقريبها غير المحرم :

أما عورة المرأة بالنسبة لقريبها غير المحرم مثلاً قال: ابن عمها، ابن عمتها، ابن خالها، ابن خالتها، وهكذا سائرُ أقاربها، الآن قريب غير محرم، ابن العم، وابن العمة، وأخو الزوج، أخو الزوج قريبها لكنه غير محرم، وابن الخال، وابن الخالة، وسائرُ أقربائها من النسب، وزوج الأُختِ، وزوج الخالة، وزوج العمة، وأخ الزوج، زوج الأُختِ، وأخو الزوج، واضح تماماً، زوج الأخت، وأخو الزوج، وزوج الخالة، وزوج العمة، وابن أخِ الزوج، وعم الزوج، وخال الزوج، وأبناؤهم، وابن أُخت الزوجِ، وغيرهم أي تقريباً الأقرباء غير المحارم، ابن العم، وابن الخال، وابن العمة، وابن الخالة، زوج الأخت، أخو الزوج، زوج الخالة، زوج العمة، ابن أخِ الزوج، عم الزوج، خال الزوج، وأبناؤهم، ابن أخت الزوج، وغيرهم، الحكم سهل جداً، قال: هؤلاء المحارم غير النسبيين كالأجانب تماماً، بل هناك قولٌ للنبيّ عليه الصلاة والسلام، لأن الأقارب يمكن أن

يطرقوا الباب، هنا أخي؟ لا والله تفضل، أخو الزوج، زوج الأُخت صهري، أهلاً وسهلاً صهري، هذا زوج الأُخت، قال: الحرمة أشد، فلما سُئل عليه الصلاة والسلام عن الحمو قال:

((إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ قَالَ الْحَمْوُ الْمَوْتُ))

[البخاري عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ]

لأن له مدخل، يوجد قرابة، هو أجنبيٌ تماماً، والخطر قائم وأشد.

لذلك مرة ثانية: الأقرباء غير المحارم: ابن العم، وابن العمة، وابن الخال، وابن الخالة، وزوج الأخت، وزوج الخالة، وزوج العمة، وأخو الزوج، وابن أخِ الزوج، وعم الزوج، وخال الزوج، وأبناؤهم، وابن أخت الزوج، وغيرهم، قال: لا يحل لهم أن يروا من المرأة شيئاً، كالأجانب تماماً، إلا للضرورة الشرعية، إذا ابن عمها طبيب، له الحق أن يرى وجهها وكفيها، طبيب، إلا أن يكون هناك ضرورة شرعية، وعند أمن الفتنة، شرطان: أمن الفتنة، والضرورة الشرعية.

وهؤلاء لا ينظرون من المرأة شيئاً، فإذا نظروا إليها لضرورةٍ شرعيةٍ، كأن يكون ابن عمها قاضياً، فينظرون إلى الوجه والكفين، أما ما لم تكن هناك ضرورةٌ شرعية فالنظر إلى وجه المرأة حرام، بشهوةٍ حرامٌ حُرمة شرعية، وبغير شهوةٍ مكروهٌ كراهة تحريمية، بغير شهوةٍ مكروهٌ كراهةً تحريمية، أي ترقى إلى الحرمة، أما بشهوة فحرامٌ مطلقاً.

وقال مؤلف الدّر، وهو كتابٌ في الفقه الحنفي: " وينظر من الأجنبية وجهها وكفيها فقط للضرورة الشرعية، فإن خاف الشهوة أو شكّ، امتنع نظره إلى وجهها وكفيها، فحِلُ النظر مقيدٌ بالضرورة وبعدم الشهوة وإلا فحرم"

الإمام السرخسي، وهو من أعلم علماء السادة الأحناف، وله موسوعة في الفقه، اسمها المبسوط للسرخسي، يقول: " وحرمة النظر إلى الوجه لخوف الفتنة، لأن خوف الفتنة في النظر إلى وجهها، وعامة محاسنها في وجهها، ووجهها أشد فتنةً من أكثر سائر الأعضاء "

وفي الهدية العلائية: " تمنع المرأة من كشف وجهها خوف الفتنة "

الأحاديث الواردة في تحريم النظر ووجوب غض البصر :

و الآن إلى الأحاديث الواردة في تحريم النظر، ووجوب غض البصر، لا تقولوا إنني أتشدد، أنا أُعطيكم الأدلة، أنا لا يوجد شيء من عندي إطلاقاً، لا يوجد إنسان عنده شيء أساساً، ليس أنا

فقط، لا يوجد إنسان يسترجي أن يأتي بشيء من عنده، هذا شرع، ودين، هذا دين الله، هذه الأدلة، إذا ألقيتها على مسامعكم انتهت مُهمتي، أنتم أحرار بعدئذٍ، أنا لا ألزمكم بشيء، لكن أُبيّن لكم.
يقول عليه الصلاة والسلام:



((مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ وَيْلٌ لِلرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ وَوَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ))

[ابن ماجة عَنْ أَبِي سَعِيدٍ]

((النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله، فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل إيمانا يجد حلاوته في قلبه))

[أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة]

وعن أبي أُمامة رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوّلَ مَرّةٍ ثُمّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إِلا أَحْدَثَ اللّهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلاوَتَهَا))

[أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ]

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:

((لتغضُن أبصاركم، ولتحفظُن فروجكم، أو ليكسفنّ الله وجوهكم))

[الطبراني عن أبي أمامة]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ وَالرِّجْلانِ تَزْنِيَانِ وَالْفَرْجُ يَزْنِي))

[أحمد عَن ابْنِ مَسْعُودٍ]

((عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب رَضِي اللّهم عَنْهم أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهم عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لَهُ يَا عَلِيُّ إِنّ لَكَ كَنْزًا مِنَ الْجَنّةِ وَإِنّكَ ذُو قَرْنَيْهَا فَلا تُتْبِعِ النّظْرَةَ النّظْرَةَ فَإِنّمَا لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ))

[أحمد عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ]

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال عليه الصلاة والسلام:

((كل عينٍ باكيةٌ يوم القيامة، إلا عيناً غضت عن محارم الله، وعيناً سهرت في سبيل الله، وعيناً خرج منها مثل رأس الذباب، من خشية الله))

[البيهقي عن أبي هريرة]

وعن جريرٍ رضي الله تعالى عنه قال: سألت النبي عليه الصلاة والسلام، عن نظر الفجأة، فقال:

((عَنْ جَرِيرٍ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظْرَةِ الْفَجْأَةِ فَقَالَ اصْرِفْ بَصَرَكَ))

[مسلم وأبو داود والترمذي عَنْ جَرِيرٍ]

الخلاصة: وجه المرأة ليس بعورة في الصلاة فقط، وعورةٌ بالنسبة للأجانب من حيث حرمة النظر إليه خارج الصلاة، خوف الفتنة، وهي في هذا الزمان متحققة، الفتنة متحققة، والفتنة كلها في وجه المرأة، والدليل الخاطب إن لم يعجبه الوجه قلّما قبل بمخطوبته، قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾

[سورة الأحزاب: ٥٣]

نساء النبي عليه الصلاة والسلام إذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب.

المعاني المستفادة من الآية التالية :

وقال الله للمؤمنين عامةً:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

[سورة النور: ٣٠]

من أروع ما في هذه الآية، أن هذه المن للتبعيض، أي إذا نظرت إلى محارمك، فغُضّ من بصرك، كيف؟ أُمه، أُخته، ابنته، ابنة أخيه، ابنة أخته، عمته، خالته، لا تدقق في التفاصيل، لا تنظر نظرةً تفصيليةً، انظر بعض النظر، غضّ من البصر، لك أن تنظر شيئاً، أما التدقيق فلا يجوز، هذا معنى من أبصارهم.

والمعنى الثاني أنك إذا نظرت إلى امرأةٍ فجأةً فغض من بصرك، أي الثانية ليست لك.

المعنى الثالث أن هناك نساء لا يحلّ لك أن تراهنَ، فمرة الغض لنوعٍ من النساء، ومرة الغض لجزءٍ من المرأة، ومرة الغض لزمنٍ من النظر، واحدة للزمن، واحدة للجزء، واحدة للنوع ، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾

[سورة الأحزاب : ٥٩]

معاني قوله تعالى ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ :

الآية السابقة دقيقة جداً، وأدقُّ ما فيها قول الله عزّ وجل:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾

[سورة الأحزاب : ٥٩]

بعض العلماء قال: ذلك أدنى ألا يعرفن، امرأةٌ تكشف عن وجهها، ألا تُعرف من هي؟ الوجه هوية، هذه فلانة، هذه بنت فلان، هذه زوجة فلان، فمن أجل ألا تُعرف يجب أن تستر الوجه، الوجه هوية، نريد الدليل، أنا الآية فسرتها سابقاً، فالقرآن حمّال أوجه.

المعنى الأول: أي هذا هو الحد الأدنى، الذي تعرف فيه المرأة أنها مؤمنة فإذا عرفت أنها مؤمنة، لم يطمع بها أحد، أية امرأةٍ تكشف عن محاسنها، لسان حالها يقول: اُنظروا إلي، أنا أظهر أمامكم بهذا المظهر، كي تنظروا إليّ، دعوةٌ صريحة، لكن ليست قوليةً، إنما هي عملية، أيما امرأةٍ تكشف عن مفاتنها، إنما تدعو الرجال، بل تدعو الذئاب من الرجال، إلى أن ينهشوها، إذاً من أجل أن تُعرف المرأة أنها مؤمنة، ومُسلمة، ولا تبتغي فتنةً، ولا تعرض نفسها على أحد، عليها أن تتحجب:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾

[سورة الأحزاب : ٥٩]

الحد الأدنى، الطالب ما حدّه الأدنى الذي يعرف فيه بين الناس أنه طالب مدرسة؟ إذا ارتدى ثياب الفتوة، هذا مستوى الطالب، أن يكون قوياً في اللغة العربية، والرياضيات، والتاريخ، والجغرافيا، والفيزياء، والكيمياء، والأخلاق، والمنطق، والتربية السلوكية، والأخلاقية، وحسن التهذيب، لكن الحد الأدنى الذي تعرف أن هذا طالب مدرسة هو ثيابه.

فأقلُّ شيءٌ تعرف به المسلمة حجابها، بقي أدبها، بقي حياؤها، بقي ضبط لسانها، بقي أداؤها لواجباتها، بقي أداء



ما عليها من حقوق زوجها، حسن رعاية أولادها، خدمة زوجها، أي هناك آلاف الصفات التي يجب أن تتصف بها المرأة المسلمة، لكن أدنى شيء تُعرف به أنها محجبة، وحينما تحجب كأنها تقول: أنا محجبة، أنا مسلمة، إياكم أن تطمعوا فيّ، هذا المعنى الأول:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾

[سورة الأحزاب : ٥٩]

انظر دقة القرآن، أي الحد الأدنى، أقل شيء مقبول في المرأة المسلمة أن حجابها ينبئ عن إسلامها، وحجابها يُشير إلى عفّتها، وإلى صونها.

المعنى الثاني: ذلك أدنى ألا يعرفن، قد يقول قائل: من أين جئت بهذا المعنى؟ الله قال: أدنى أن يُعرفن، أتيتكم بدليل من آية ثانية، استمعوا قال تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة المائدة : ١٩]

ما معنى أن تقولوا؟ لئلا تقولوا، فماذا نقدّر؟ العلماء قدروا المضاف قال: يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترةٍ من الرسل كراهة أن تقولوا يوم القيامة، يوجد مضاف محذوف. كذلك هنا، ذلك أدنى خوفاً أن يعرفن، أي لئلا يعرفن، روعة القرآن أنك إذا قرأت الآية، ذلك أدنى أن يعرفن، لها معنى راق جداً أي هذه المرأة حينما تحجب مفاتنها، هذا هو الحد الأدنى. إذا إنسان وضع على صدره ميزاناً، ما المعنى؟ هذا محام، يا ترى فهمان؟ على كل حال معه ليسانس حقوق أقل شيء، وداخل في نقابة المحامين، ومعه إجازة، وله مكتب، هذا أقل شيء، أما محامي فهمان، متفوق، مستقيم، فهذا بحث آخر، أما أدنى شيءٍ يعرف به الإنسان أنه محام هذا الشعار.

دخلت إلى غرفة طبيب، رأيت دكتوراً في الطب، الإجازة معلقة توقيع وختم، هذه الشهادة هي الحد الأدنى أنه طبيب.

امرأةٌ محجبةٌ هذا هو الحد الأدنى الذي تُعرف فيه أنها مسلمة، لكن هل حجابها هو الإسلام؟ لا هذا أقل ما في الإسلام، أقل ما فيه، تماماً كالطالب، الحد الأدنى أنه طالب مدرسة ثيابه لونها أخضر، أي طالب ثانوي، وإذ كان لون ثيابه أزرق فهذا طالب جامعي، هذا الحد الأدنى، يا ترى

يدرس، لا يدرس، يداوم، لا يداوم، فهمان، ليس فهماناً، ناجح بجهد، بالنقل، بالغش، بحث ثان، لكن الحد الأدنى أنه طالب، فهذه المرأة المحجبة هذا هو المظهر الذي يمثل الحد الأدنى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾

[سورة الأحزاب : ٥٩]

محجبة، إذاً لا تطمعوا فيّ إطلاقاً.

والمعنى الثاني، أدنى ألا يعرفن، من فلانة؟ لا أعرف، محجبة أما وجهها فمكشوف، هذه زوجة فلان، هذه فتون، سهام، سحر، ما دام الوجه مكشوفاً دخل الاسم، ذلك أدنى ألا يعرفن، هذا المعنى الثاني.

فالقرآن حمّال أوجه، أي إذا قلت: أدنى أن يعرفن، الحد الأدنى أنها معروفة أنها مسلمة مؤمنة، إذا قلت: أدنى ألا يعرفن، ألا تعرف من هي، محجبة، هذا هو المعنى.

الله سبحانه أمر النساء بإرخاء الجلاليب لئلا يُعرفن :

و قال تعالى :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

[سورة الأحزاب : ٣٣]

قال: فسّر عبيدة السلماني هذه الآية، فقال فيما أخرجه ابن جرير في تفسيره بسنده، قال: " فلبسها عبيدة بعباءة، فتقنّع بردائه، فغطّى أنفه وعينه اليسرى، وأخرج عينه اليمنى، وأدنى رداءه من فوق، حتى جعله قريباً من حاجبه، أو على الحاجب"

قال: " ورجال هذا السند جبالٌ في الثقة والضبط" أو وضع حجابٍ غير صفيقٍ على الوجه، بحيث لا يمنع المرأة من رؤية الطريق التي تمشي فيها، يعد مثل ذلك في المعنى.

إما أن نبقي عيناً واحدة، لترى الطريق، أو حجاباً غير صفيق، أي غير رقيق ترى منه، ولا تُرى منه.

يقول عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس " أمر الله تعالى نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن لحاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلاليب، ويبدين عيناً واحدة"

هذا كله تفسير هذه الآية.

الجصاص في تفسيره: " في هذه الآية دلالةٌ على أن المرأة مأمورةٌ بستر وجهها، عن الأجنبيين وإظهار العفاف عند الخروج، لئلا يطمع أهل الريب فيهن "

أحد العلماء يقول: " أمر سبحانه النساء بإرخاء الجلاليب لئلا يُعرفن، ثم قال: وقد ذكر عبيد السلماني وغيره أن نساء المؤمنين كن يدنين عليهن الجلاليب من فوق رؤوسهن حتى لا يظهر إلا عيونهن، لأجل رؤية الطريق "

الآن يوجد أدلة أُخرى، قال ورد في الآثار الكثيرة: " أن أزواج النبي عليه الصلاة والسلام وعامة المسلمات كن يخفين وجوههن عن الأجانب، حتى في حالة الإحرام"

ويدل ذلك على لزوم ستر الوجه خشية الفتنة، ولو في حالة الإحرام، وفي سنن ابن داود عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت:

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْرِمَاتٌ فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ))

[أبو داود عَنْ عَائِشَةَ]

وفي الموطأ للإمام مالك رحمه الله تعالى عن فاطمة بنت المنذر قالت:

((كُنَّا نُخَمِّرُ وُجُوهَنَا وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ وَنَحْنُ مَعَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ))

[مالك عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ]

وفي فتح الباري في شرح صحيح البخاري في كتاب الحج عن عائشة قالت:

((تسدل المرأة جلبابها، من فوق رأسها على وجهها))

[البخاري عن عائشة]

وفي حديث عائشة الطويل، حديث الإفك تقول:

((أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ وَأُنْزَلُ فِيهِ فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدِ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ

ثِقَلَ الْهَوْدَجِ فَاحْتَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ....))

[البخاري عن عائشة]

ماذا رأى صفوان؟ سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ.

فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي كتب السيرة أن سبب غزوة بني قينُقاع، محاولة اليهود كشف حجاب امرأةٍ مسلمةٍ عن وجهها.

وأخرج الترمذي في الرَضاع، قال:

((الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ))

[الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ]

تلخيص لما سبق :

المرأة كلها عورة فيجب سترها، هذه أدلة، من أقوال السلف، والخلف، في تفسير هذه الآيات والأحاديث، وكلها تؤكّد بشكل مختصر أن عورة المرأة بالنسبة إلى الرجل على أربع مستويات: زوجها لا عورة بينها وبينه، يحل له أن يرى منها كل شيء من فرقها إلى قدمها، بشهوةٍ وبغير شهوةٍ، لأنه لما جاز المس والغشيان جاز النظر من باب أولى، لكن النبي يوجد توجيه إرشادي ألا ينظر كل منهما إلى عورة الآخر، ومن فعل هذا فقد خالف الأولى.

النوع الثاني، نظر الرجل إلى المرأة من محارمه، المحارم؛ محارم نسب ومحارم رضاع، النسب: الأم، والبنت، والأخت، والعمة، والخالة، وبنت الأخِ، وبنت الأخت، أخت الزوجة، زوجة الأب، زوجة الأخ، أم الزوجة، هن قريبات بالنسب.

الرأس، شعر، وجه، أذن، عنق، أعلى الصدر، الساعد، الكف، الساق، القدم، ثياب الخدمة. أما الأقارب غير المحارم فحكمهم حكم الأجانب، لا يجوز أن ينظرن إلى المرأة إطلاقاً، وهذه الآيات والأحاديث التي تؤكّد أن الوجه يجب أن يُستر، وهذا ما جاء في كتب الفقه، وإن شاء الله في درسٍ قادم، نتابع بعض الموضوعات الفرعية في هذا الدرس.

والحمد لله رب العالمين

الباب الخامس : أسباب الشقاق الزوجي

٠١ – أسباب الشقاق الزوجي

٠٢ـ الطمع المادي والغياب الطويل عن البيت والجهل والتعالي

٠٣ـ شيوع العداوة والبغضاء بين الزوجين وإطلاق النظر في الحرام

٠٤ـ أسباب الشقاق الزوجي وأسباب السعادة الزوجية

٠٥ـ التقليد الأعمى أحد أسباب الشقاق الزوجي

٠٦ـ حرمان المرأة من الميراث

٠٧ـ سوء الظن

٠٨ـ عدم احترام الزوج لعائلة الزوجة أو عدم احترام الزوجة لعائلة الزوج

٠٩ـ الأسلوب التربوي الفعال في تربية الأولاد أن تكون قدوة لهم

١٠ ـ جهل الزوج والزوجة بواجباتهما

١١ – أسباب السعادة الزوجية

محاضرات وندوات خارجية – لبنان – المحاضرة ٢١ : محاضرة في جامعة طرابلس –أسباب الشقاق الزوجي

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٨-٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

من الآيات البينات التي استمعنا إليها و التي يسيء تفسيرها كثير من الأزواج من المسلمين و المسلمات هي الدستور الذي وضعه رب العالمين لبناء الأسرة المسلمة، الأسرة الصالحة، و إن موضوع محاضرتنا اليوم هو موضوع خطير و هام جداً لأن أروقة المحاكم الشرعية في لبنان و في سائر البلاد العربية و الإسلامية تغص بالمتخاصمين من الأزواج الذين نشب الشقاق و النزاع بينهم نتيجة سوء الفهم و سوء التطبيق و سوء التربية، ثم نسبة الطلاق قد ارتفعت في بلادنا بكل أسف و مرارة حتى تجاوزت في مدينة طرابلس المدينة العريقة بحضارتها العريقة بتمسكها بمبادئ الشريعة الإسلامية تجاوزت نسبة الطلاق خمسين بالمئة. كنا نقرأ في ريعان شبابنا عن ظاهرة الطلاق في البلاد الغربية و في أمريكا بالذات أنها وصلت إلى ثمان و أربعين بالمئة فإذا بنا بعد الحروب التي نشبت في بلادنا و بعد الآفة الاقتصادية التي اعتصرت أوضاعنا الاجتماعية و بعد تردي الأخلاق نتيجة الإعلام الفاسد المقصد الذي نشر روح الإباحية و الخلاعة و الفسق و الفجور فإذا بنا نسمع كل يوم قصة جديدة تحكي لنا حالة اجتماعية متردية إن محاضرنا اليوم سوف يضع أصابعنا على الداء ثم يصف لنا الدواء و نحن جميعاً كلنا آذان صاغية و قلوب واعية، كلنا يتعطش إلى سماع كلام ضيفنا الحبيب، كلامه العذب الذي يخرج دوماً من قلبه العامر بالإيمان ليدخل قلوب المستمعين الحاضرين بدون استئذان، إن الكلام الذي يخرج من قلب مخلص عمره الإيمان بالله تعالى و باليوم الآخر هو الذي يدخل إلى القلوب دوماً و أبداً و نحن في هذه الساعة المباركة نسأل الله عز وجل أن يفقهنا في ديننا و أن يعلمنا ما ينفعنا و أن ينفعنا بما علمنا و أن يزيدنا علماً و إيماناً و تقى و صلاحاً و أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.
أترك المجال لأخي الحبيب فضيلة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي أهلاً و سهلاً به في بلده و بين إخوانه و أخواته.

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.
أشكر لكم دعوتكم الكريمة وأشكر لكم حضوركم المتميز وأشكر للقائمين على هذا المجمع الإسلامي الكبير وعلى رأسهم فضيلة الشيخ الجليل الشيخ رشيد الميقاتي أشكر له حرصه على

إقامة جسور بين الدعاة إلى الله في العالم الإسلامي وأرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون عند حسن ظنكم.

أيها الإخوة الكرام:

القرآن الكريم كلام الله وفضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه، يقول الله في القرآن الكريم:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة الروم: الآية ٢٢]

والسماوات والأرض مصطلح قرآني يعني الكون والكون ما سوى الله، الكون بأكمله من آياته الدالة على عظمته ومن آياته الشمس والقمر ومن آياته الليل والنهار، الآن دققوا ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة.

الذي أراده الله من الزوجين أولاً السكنة أي أن كل طرف يسكن إلى الآخر، معنى يسكن إليه أي يرتاح لأنه يكمل نقصه في الطرف الآخر فالزوج يكمل نقصه العاطفي في زوجته فيسكن إليها والزوجة تكمل نقصها القيادي في زوجها فتسكن إليه.

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ ﴾

[سورة الروم: الآية ٢١]

وجعل من خلق الله.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

[سورة الروم: الآية ٢١]

قال بعض العلماء: المودة سلوك يعبر به عن الحب فحينما يكون الزوج ملء عين زوجته وحينما تكون الزوجة ملء عين زوجها وحينما تتحقق مصالح الزوجين في بعضيهما تنشأ المودة، لكن شاءت حكمة الله أن هذه المؤسسة أسست كي تستمر فإن لم تكن المودة دافعاً لاستمرار هذه العلاقة فالرحمة دافعاً لاستمرار هذه العلاقة، لو أن الزوج افتقر لو أن الزوجة مرضت لا سمح الله ولا قدر قد تنقطع المصلحة تبقى الرحمة.

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾

[سورة الروم: الآية ٢١]

ومعنى من أنفسكم أي أنها إنسانة مثلك تحب كما تحب وتكره كما تكره وترضى كما ترضى وتغضب كما تغضب وتسمو كما تسمو وتضعف كما تضعف، إنسانة بكل معنى الكلمة بل إن من

حقائق الإسلام البديهية أن المرأة مساوية للرجل تماماً في التكليف والتشريف والمسؤولية، مكلفة كما هو مكلف مشرفة كما هو مشرف مسئولة كما هو مسؤول.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

[سورة آل عمران: الآية ١٩٥]

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[سورة النحل: الآية ٩٧]

لكن الله عز وجل يقول:

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

[سورة آل عمران: الآية ٣٦]

كل طرف هيئه الله جسمياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً بخصائص هي كمال للمهمة التي أنيطت بهم، كل طرف ذكر كان أم أنثى مهيء من قبل المولى جل جلاله بخصائص فكرية وجسمية ونفسية واجتماعية هي كمال في حقه.

أيها الإخوة الكرام:

هذا هو الأصل في العلاقة الزوجية السكنة والمساواة والافتراق مع الحكمة ثم المودة والرحمة.

أيها الإخوة الأحباب:

فيما ورد في السنة الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ....))

[الترمذي، أبو داود، الدارمي]

الإنسان خارج البيت قد يتجمل قد يتصنع اللطف قد يلمع قد يحسن شكله قد يحسن أخلاقه حفاظاً على مكانته أما إذا دخل البيت لا رقيب ولا سلطان فمقياس الخيرية التي أكدها النبي هو في البيت:

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي...))

[الترمذي، أبو داود، الدارمي]

فما دام الإنسان خيراً في البيت يرحم أهل البيت منصفاً في حكمه في أهل البيت فقد حقق أصل الخيرية في حياته لكن الذي يؤسف له أن الشقاق الزوجي ظاهرة تكاد تصبح وبائية في العالم الإسلامي وهناك ملمح في القرآن الكريم رائع جداً يقول الله عز وجل:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾

[سورة النساء: الآية ٣٥]

يعني ينبغي أن تتنبهوا أيها المؤمنون لا بعد أن يقع الشقاق ينبغي أن تتنبهوا قبل أن يقع الشقاق إذا ظهرت بوادر الشقاق ينبغي أن تتنبهوا:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾

[سورة النساء: الآية ٣٥]

وعنوان المحاضرة مأخوذ من القرآن الكريم.

أيها الإخوة:

يقع في رأس أسباب الشقاق الزوجي الجهل لأن الجاهل عدو نفسه والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به والجاهل يهدم بيته بيده والجهل وراء كل مشكلة يعاني منها الإنسان، ذلك لأنه ما من مصيبة في الأرض إلا بسبب خروج عن منهج الله وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، إذا أردت السعادة الزوجية فعليك بالعلم إذا أردت المال الحلال فعليك بالعلم، إذا أردت الآخرة فعليك بالعلم والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً ويظل المرء عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.

طالب العلم أيها الإخوة الأحباب يطبق منهج الله عز وجل فيربح الدنيا والآخرة والجاهل يخسر الدنيا والآخرة ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦)﴾

[سورة الليل]

أنت حينما تصدق بالحسنى أي بالجنة تبني حياتك على الانضباط تحرص على طاعة الله تتقي أن تعصيه، وتعطي تجعل حياتك مبنية على العطاء.

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩)﴾

[سورة الليل]

كذب بالجنة آمن بالدنيا استغنى عن طاعة الله بنى حياته على الأخذ.

فلذلك أيها الإخوة الأحباب:

الجهل أعدى أعداء الإنسان لكن ما بالنا نجد أسرةً ترتاد المساجد وتعلم حقوق الزوجين ومع ذلك هناك شقاق بينهما، الآن ندخل في سبب أخر هو ضعف الإيمان، ضعف الإيمان ينتج عنه ضعف الإرادة فقد تعلم ولا تفعل بما تعلم فقد تعلم وليس عندك همة أن تطبق ما تعلم إذاً لو توافر العلم بحقوق الزوجين وواجبات الزوجين ووجدت شقاقاً زوجياً يعزى هذا إلى ضعف الإيمان.

أيها الإخوة الأحباب:

إذا بني الزواج على طاعة الله تولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين أما إذا بني على معصية الله يتولى الشيطان التفريق بينهما، في بعض دروس العلم في دمشق كنت ألقي درساً وكان من بين الحاضرين القاضي الشرعي الأول الذي تسلم القضاء الشرعي قرابة ثلاثين عاماً سألته كم نسب الطلاق في أمريكا ؟ فقال: تسعة وستين بالمئة وفي أوربا ستة وثلاثين تقريباً وفي الشام قديماً خمسة عشر بالألف.

الآن في الشام خمسة عشر بالمئة، يعني يعزى هذا إلى تفلت الناس وإلى هذه الصحون التي تستقبل ما يرضي الله وما لا يرضي الله.

شيء آخر: حينما يبنى الزواج على طاعة الله أنت تطبق تعليمات الصانع والله عز وجل يقول:

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾

[سورة فاطر: الآية ١٤]

الله عز وجل هو الخبير بسعادة الزوجين فإذا قال الله عز وجل:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

[سورة النور: الآية ٣٠]

في القرآن شيء مهم جداً غض البصر إن غض البصر من قبل الزوجين لعله أحد الأسباب التي تمتن العلاقة بين الزوجين.

أيها الإخوة الأكارم:

وهناك سبب ثالث من أسباب الشقاق الزوجي سوء التصرف وسوء التصرف ينقلنا إلى موضوع الحكمة، من قوي إيمانه كافأه الله بالحكمة فقد قال الله عز وجل:

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾

[سورة البقرة: الآية ٢٦٩]

أنت بالحكمة تسعد بزوجة من الدرجة الخامسة، وأنتِ أيتها الأخت الكريمة بالحكمة تسعدين بزوج من الدرجة الخامسة، وأنت من دون حكمة تشقى بزوجة من الدرجة الأولى وأنتِ أيتها الأخت من دون حكمة تشقين بزوج من الدرجة الأولى، لذلك ما من شيء يقوض العلاقة بين الزوجين كسوء التصرف، الحكمة من لوازم الإيمان والحمق من لوازم العصيان، فمن عصى الله عز وجل حجب عنه كل خبراته وهدم بيته بيده وكانت تصرفاته معولاً يهدم به سعادته الزوجية، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١)﴾

[سورة محمد: الآية ١]

مهما كنت ذكياً مهما كنت خبيراً مهما كنت محصلاً لما ينبغي أن يكون عليه الزوج:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨)﴾

[سورة محمد: الآية ٨]

سبب رابع أيها الإخوة من أسباب الشقاق الزوجي هو التعالي قد يتعالى الزوج على زوجته لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو طبقية وقد تتعالى الزوجة على زوجها لأسباب اقتصادية أو علمية أو ثقافية أو اجتماعية والتعالي معول آخر يهدم السعادة الزوجية.

وقد لا تصدقون أن امرأة عاشت بالجاهلية اسمها أمامة بنت الحارس أوصت ابنتها ليلة زفافها قالت لابنتها: أي بنية إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منكِ ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ولو أن المرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها أو لشدة حاجتيهما إليها لكنت أغنى الناس عنه ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال.

أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لا تعرفيه وقرين لم تألفيه فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً كوني له أمةً يكن لك عبداً وشيكاً، لا تتعالي عليه.

أي بنيتي: خذي عني عشرة خصال تكن لكِ ذخراً وأجراً:

الصحبة بالقناعة يقول عليه الصلاة والسلام:

((أعظم النساء بركة أقلهن مؤونةً أعظم النساء بركةً أقلهن مهراً.))

وكانت الصحابية الجليلة تودع زوجها وتقول اتقِ الله بنا نحن بك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام.

ماذا تفعل الزوجة المعاصرة ؟ تضغط على زوجها وتضغط على زوجها وتضغط على زوجها حتى تحمله على أكل المال الحرام عندئذ يشقى وتشقى بشقائه وهذا معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾

[سورة التغابن: الآية ١٤]

من للتبعيض، أي حينما تضغط الزوجة على زوجها كي تحقق مظاهر فارغة تتباهى بهذه المظاهر أمام قريناتها هي أدخلت زوجها إلى النار وهي لا تدري.

أي بنيتي: خذي عني عشرة خصال تكن لكِ ذخراً وأجراً:

الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة. إذا صلت خمسها وصامت شهرها وحفظت نفسها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها.

طاعة زوجها ربع دينها.

والتفقد لموضع عينه وأنفه فلا تقع عينه منكِ على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

والكحل أحسن الحسن والماء أطيب الطيب المفقود.

اكتشف الآن أن للجلد البشري رائحةً عطرة يكفي أن تنظفه لو لم تملك ثمن العطور الثمينة والماء أطيب الطيب المفقود، إن فقد الطيب فكن نظيفاً فجلدك له رائحة عطرة.

والتفقد لوقت منامه وطعامه فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة.

والاحتراس لماله والإرعاء على حشمه وعياله.

وملاك الأمر في المال حسن التدبير وملاك الأمر في العيال حسن التقدير ولا تعصي له أمراً ولا تفشي له سراً فإنك إن عصيت أمره أوغرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمني غدره.

ثم إياك والفرحة بين يديه إن كان ترحاً والكآبة بين يديه إن كان فرحاً، فإن الأولى من التقصير والثانية من التكبير.

واعلمي أنك لن تصلي إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواكِ فيما أحببت أو كرهت والله يختار لكِ.

أيها الإخوة الكرام حضوراً ومستمعين:

التعالي معول يهدم السعادة الزوجية الجهل أولاً وضعف الإيمان ثانياً وسوء التصرف ثالثاً والتعالي يهدم السعادة الزوجية، ثم التقليد الأعمى التقليد الأعمى يسوقني إلى حديث لطيف عن اللذة والسعادة اللذائذ أيها الإخوة الكرام طبيعتها حسية ومصادرها خارجية وتحتاج إلى مال وفير لكن حكمة الله شاءت أن هذه اللذائذ لا يمكن أن تمدنا بمستوى مستمر بل بمستوى متناقص فكل

شيء حينما تصل إليه وتألفه يتناقص أثره في نفسك لذلك هذه الكآبة التي تصيب الإنسان الذي حقق كل أهدافه في الدنيا ما مردها ؟ إلا أن الإنسان خلق ليعرف الله فإذا اكتفى بما دون الله ونفسه لا نهائية أحاطت بهذا الإنجاز الذي يبدو عند الناس عظيماً وألفه الإنسان وسئمه لذلك المؤمن لا يشيخ أبداً سبب عدم شيخوخته قد يتقدم في السن لكن يبقى بروح الشباب لأن أهدافه كبيرة جداً أهدافه إرضاء الله عز وجل والعمل الصالح فحينما تجعل هدفك أكبر من طاقاتك فأنت شاب دائماً.

اللذائذ حسية مصادرها خارجية متناقصة في تأثيرها فلو كانت مخالفة لمنهج الله أعقبتها كآبة مدمرة هي مرض العصر لأن الإنسان يحاسب نفسه دون أن يشعر ذلك أن النفس قد جبلت وفطرت على أنها تحاسب نفسها، قال تعالى:

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥)﴾

[سورة القيامة]

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)﴾

[سورة الشمس]

حينما تفجر تعلم أنها تفجر وحينما تتقي تعلم أنها تتقي، أما السعادة أولاً تنبع من الداخل ولا تحتاج إلى أموال طائلة ولا تحتاج إلى مصادر متعددة وهي متزايدة وقد تقتصر بنعم الآخرة لذلك فرق كبير بين أن تكون غارقاً في اللذائذ وقد يعقبها كآبة وبين أن تكون في سعادة.

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا
ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا
ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا
ولو نسمت لك من قربنا نسمة لـــــمت غريباً واشتياقاً لقربنا

***

أيها الإخوة الكرام:

ومن أسباب الشقاق الزوجي الغياب الطويل عن البيت هذا الذي يبحث عن عمل له دخل كبير لكن يخسر أسرته أي عمل يبعدك عن زوجتك وأولادك أنا أراه خسارةً محققة لأن الزوجة حينما يغيب عنها زوجها طويلاً لابد من أن تتألم أشد الألم فإن كانت عفيفةً صبرت وإن كانت ضعيفة الإيمان انحرفت، وحينما يغيب الزوج عن بيته قد يتفلت أولاده وقد لا تستطيع أمهم ضبط البيت فلذلك قبل أن تقرر أن تغادر وأن تسافر وأن تغيب عن أهلك أمداً طويلاً أدخل في حساباتك أنك أثمن شيء تملكه أسرتك وأولادك، الغياب الطويل يلغي السكنة ألم يقل الله عز وجل:

﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾

[سورة الروم: الآية ٢١]

الغياب الطويل يضعف المودة، لذلك الإنسان حينما يغيب عن بيته طويلاً هناك أخطار إما نفسية أو مادية قد يتعرض لها البيت.

أيها الإخوة الكرام:

ثم إن الطمع المالي أحد أسباب الشقاق الزوجي عقد الزواج أقدس عقد في الأرض قال تعالى:

﴿وكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً (٢١)﴾

[سورة النساء: الآية ٢١]

لذلك مثلاً قد يسأل سائل ألا ينبغي للزوجة أن تعمل في البيت ؟ تقول نعم هكذا العرف تطبخ وتنظف وتهيء حاجات الزوج والأولاد نقول ألا ينبغي أن يدخل هذا في أصل العقد ؟ نقول لا هذا عقد زواج وليس عقد عمل إن إدخال هذه الشروط يفسد عقد الزواج إنه أقدس عقد في الأرض شريكة حياتك هذه معك على السراء والضراء أما إذا كتب في أصل العقد انقلب إلى عقد عمل هذا لا يجوز أبداً لذلك الطمع المالي أحياناً بمال الزوجة يفسد العلاقة بينهما، اسأل الله من فضلك.

شيء آخر البغض أيضاً أحد أكبر أسباب تقويض السعادة الزوجة، حينما يأتي طبيب ليعالج أباً بخيلاً ويقول الطبيب عارضة يتألم الأولاد والزوجة لماذا قضية عارضة يتمنونها قاتلة لذلك الزوج البخيل يتمنى أقرب الناس إليه أن تنتهي حياته بينما يقول عليه الصلاة والسلام:

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله.))

يقول أحد الصحابة الكرام: **حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي.**

جعل الهدف الأول من المال أن تطعم أولادك أن تلبسهم أن تلبي حاجاتهم أن تهيء لهم مستقبلهم بل إن الله جل جلاله جعل من البيت طريقاً إلى الجنة، أنت حينما تربي أولادك وتربي بناتك وتهيء لهم مستقبلاً مشرقاً هذا العمل يكفي لدخول الجنة.

((من جاءته بنتان فأحسن تربيتهما فأنا كفيله في الجنة، قالوا وواحدة قال وواحدة.))

أنا أعجب لأب عنده بنات في البيت اعتنى بهن وأحسن تربيتهن واختار لهن زوجاً مؤمناً صالحاً كيف يقصر في هذا وهن طريقه إلى الجنة ؟ كان عليه الصلاة والسلام يقول:

((أكرموا النساء فإنهن المؤنسات الغاليات.))

كان عليه الصلاة والسلام يقف لابنته فاطمة، جاءته فاطمة فضمها وشمها وقال:

((ريحانة أشمها وعلى الله رزقها.))

الذي يؤذي البنات هو الجاهل بل فيه جاهلية والذي يكرمهن.

((أكرموا النساء فوالله ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم وفي بعض الروايات والزيادات يغلبن كل كريم ويغلبهن لئيم وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً.))

أيها الإخوة الكرام:

وسوء الظن أحياناً، سوء الظن المرضي، قال تعالى:

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

[سورة الحجرات: الآية ١٢]

حينما تظن بزوجتك وليس معك دليل فهذا إثم، وحينما تظن بزوجتك ومعك دليل فهذا حزم، وفرق كبير بين الظن الآثم وبين الظن الحازم، إذا كان هناك دليل ينبغي أن تسيء الظن وأن تتصرف أما إذا لم يكن هناك دليل فهذا إثم لقوله تعالى:

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

[سورة الحجرات: الآية ١٢]

ثم إن الميل لأحد الأولاد يسبب الشقاق الزوجي. يا رسول الله عندي حديقة وهبتها لابني قال: **ألك ولد غيره** ؟ قال: نعم قال: **هل أعطيتهم كما أعطيته** ؟ قال: لا، قال:

((أشهد غيري فإني لا أشهد على جور.))

بل إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((اعدلوا بين أولادكم ولو في القبل.))

في القبل ينبغي أن تعدل بينهم.

أيها الإخوة الكرام:

خروج المرأة من البيت من دون إذن زوجها أو خروجها من البيت ناقمةً على زوجها أحد أكبر معاول تهديم السعادة الزوجية أقول لكم هذه الكلمة:

أكبر مشكلة بين الزوجين إذا بقيت المرأة في بيت زوجها بعد أيام تتلاشى وتنتهي وأصغر مشكلة إذا نشبت بين الزوجين إذا خرجت من بيت زوجها إلى بيت أهلها قد تنتهي هذه المشكلة الصغيرة إلى الطلاق لذلك قال تعالى:

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾

[سورة الطلاق: الآية ١]

يرتكب الزوج خطأً كبيراً حينما يطرد زوجته من بيته وترتكب الزوجة خطأً أكبر منه حينما تذهب إلى بيت أهلها غاضبةً، لذلك في ملمح في القرآن دقيق جداً قال تعالى:

﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾

[سورة النساء: الآية ٣٤]

لو أن الزوج هجر زوجته في غرفة ثانية لعلم الأولاد فإذا علم الأولاد أصبحوا عناصر ربما زادت في الشقاق بين الزوجين، لو هجر الزوج زوجته إلى بيت أهله لعلم الأهل ينبغي أن تهجرها في غرفة النوم فقط ليبقى الأمر بينكما وهذا من أحكم ما يفعله الزوجان حينما يبقيان كل مشكلة بينهما حصراً.

أيها الإخوة الكرام حضوراً ومستمعين:

خلو الزوجة ببعض الأقارب أحد أسباب الشقاق الزوجي لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما.))

وليست المشكلة أن تتهم لكن أن تفعل ما يوجب الاتهام، يمشي النبي عليه الصلاة والسلام مع زوجته صفيه مر صحابيان جليلان قال: على رسليكما هذه زوجتي صفية.

لمجرد أن تسمح الزوجة بدخول غريب غير محرم إلى بيت الزوجية دخلت الشبهة على سلوكها، إذاً خلو الزوجة ببعض الأقارب هذا أيضاً مما يثير الشكوك ويشير إلى الاتهام.

أيها الإخوة الكرام:

كما تفضل الشيخ الجليل فقال إن مهمتي في هذه المحاضرة أن أصف الداء وأن أضع الدواء، الدواء في القرآن الكريم لأنه شفاء للصدور شفاء للنفوس من أدوية القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى يأمر الأزواج وكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، قال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة النساء: الآية ١٩]

ما هو المعروف ؟ من أروع تعريفات المعروف ان المعروف تعرفه الفطر السليمة ابتداءً من دون إرشاد، يأمرون بالمعروف أي معروف ما تعرفه النفوس ابتداءً أي فطرة، قال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)﴾

[سورة الشمس]

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً(١٩)﴾

[سورة النساء: الآية ١٩]

قال بعض المفسرين: ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها بل أن تحتمل الأذى منها. لأن الزواج الإسلامي فيه شيء لا يصدق، الله بين الزوجين فكل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر وكل طرف يرجو رحمة الله بخدمة الطرف الآخر فما قولك بزواج هذا منهجه ؟

شيء آخر روت كتب الأدب والسيرة أن القاضي شريح لقيه صديقه الفضيل قال يا شريح كيف حالك في بيتك ؟ قال والله منذ عشرين عاماً لم أجد ما يعكر صفائي قال وكيف ذلك يا شريح ؟ قال: خطبت امرأةً من أسرة صالحة فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحاً وكمالاً، يقصد صلاحاً في دينها وكمالاً في خلقها، والمرأة الصالحة لا تقدر بثمن إنها حسنة الدنيا في تفسير بعض العلماء ربنا آتنا في الدنيا حسنة، إنك إن نظرت إليها سرتك، وفي رواية إن نظرت، إن نظرت إلى المطبخ نظيف، إن نظرت إلى غرفة النوم سرتك، إن نظرت إلى أولادك سرتك وفي رواية إن نظرت إليها، وإن نظرت سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك وإذا أقسمت عليها أبرتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها.

فهذا شريح قال: خطبت امرأةً من أسرة صالحة فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحاً وكمالاً، يقصد صلاحاً في دينها وكمالاً في خلقها، فصليت ركعتين شكراً لله على نعمة الزوجة الصالحة فلما سلمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي وتسلم بسلامي وتشكر شكري فلما خلا البيت من الأهل والأحباب دنوت منها لأنه يوم العرس فقالت لي على رسلك يا أبا أمية انتظرت فقام ووقفت وخطبت أصبحت خطيبة قالت: أما بعد يا أبا أمية إنني امرأة غريبة لا أعرف ما تحب ولا ما تكره فقل لي ما تحب حتى آتيه وما تكره حتى أجتنبه. أرأيت إلى هذه الزوجة، ويا

أبا أمية لقد كان لك من نساء قومك من هي كفء لك وكان لي من رجال قومي من هو كفء لي ولكن كنت لك زوجةً على كتاب الله وسنة رسوله ليقضي الله أمراً كان مفعول فاتقِ الله فيّ وامتثل قوله تعالى إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ثم قعدت.

قال فألجأتني إلى أن أخطب، وليس ناوي أن يخطب في هذا الوقت، وقفت وقلت أما بعد: لقد قلت كلاماً إن تصدقي فيه وتثبتي عليه يكن لكِ ذخراً وأجراً وإن تدعيه يكن حجةً عليكِ أحب كذا وكذا وأكره كذا وكذا وما وجدت من حسنة فانشريها وما وجدت من سيئة فاستريها.
يصف النبي المرأة المؤمنة بأنها ستيرة لا تفضح زوجها بينما يقول عليه الصلاة والسلام:

((إني أكره المرأة تخرج من بيتها تشتكي على زوجها. وأي امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس لم ترح رائحة الجنة.))

ولا ينظر الله إلى امرأة لا تستغني عن زوجها تسأل زوجها الطلاق وهي لا تستغني عنه. تقول له طلقني.

إخوتنا الكرام:

نعمة الزواج نعمة كبيرة أي زوج يسيء إلى زوجته كأنه يكفر نعمة الزواج وأي امرأة تسيء إلى زوجها كأنها تكفر نعمة الزواج.

هذه الآية الأولى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾

[سورة النساء: الآية١٩]

تروي كتب الأدب أن رجلاً في المدينة المنورة عقب وفاة النبي عليه الصلاة والسلام تزوج امرأة فلما دخل عليها لم تعجبه فخرج من المدينة وغاب عشرين عاماً، لما رأته قد كرهها قالت له أيها الزوج الحبيب قد يكون الخير كامناً في الشر، يعني إذا ظننتني لست كما تتمنى فقد يكون الخير كامناً في. تروي هذه القصة أنه عاد بعد عشرين عاماً ودخل إلى المسجد فرأى درس علم حول شاب مئات بل ألوف فسأل عنه فإذا هو ابنه، أنجب الله له من هذه الزوجة عالماً جليلاً.
إذاً:

﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً (١٩)﴾

[سورة النساء: الآية ١٩]

شيء ثانٍ أيها الإخوة:

هذا قرآن كريم:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة البقرة: الآية ٢٢٨]

يعني كما تتمنى أن تكون أمامك بمظهر أنيق ينبغي أن تكون أنت أمامها بمظهر أنيق كما تتمنى أن تكون صادقةً معك يجب أن تكون صادقاً معها، كما تتمنى أن تحترم أباها وأمك ينبغي أن تحترم أباها وأمها كما تتمنى أن تقف معها بالشدة ينبغي أن تقف معها بالشدة كما تتمنى أن تكون معطاءةً ينبغي أنت أن تكون معطاءً، آية رائعة:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة البقرة: الآية ٢٢٨]

لكن يوجد استثناء سمح الله عز وجل للمسلم أن يكذب في ثلاثة مواطن، أن يكذب أحياناً في الحرب لأن الحرب خدعة وأن يكذب في الإصلاح بين الشخصين، أما لو أن زوجته سألته أتحبني ينبغي أن يقول لها إني أحبكِ وإذا سألها أتحبينني ينبغي أن تقول له إني أحبك، أما لو أن كلامها لا ينطبق مع الواقع لا يوجد مشكلة أبداً، العبرة أن لا تكون بصراحتك قد هدمت سعادتك الزوجية فما كل بيت يبنى على الحب قد يبنى البيت على المصلحة عندكم أولاد والأولاد هم فلذات الأكباد فإذا رأوا شقاقاً بين الزوجين ضاعوا بين الأب والأم.

أيها الإخوة:

شيء آخر:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

[سورة البقرة: الآية ٢٢٨]

درجة واحدة هي درجة القيادة لابد لهذه المؤسسة من صاحب قرار لابد لهذه المؤسسة من إنسان بعيد التفكير والنظر يقول لا عند الضرورة لكن ينبغي أن تستشيرها لقوله تعالى:

﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ﴾

[سورة الطلاق: الآية ٦]

وقد استشار النبي الكريم زوجته أم سلمة وأشارت عليه وفعل ما أشارت عليه وحلت المشكلة.

﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ﴾

[سورة الطلاق: الآية ٦]

لكن صاحب القرار هو الزوج لما أهله الله به.

النبي عليه الصلاة والسلام حينما فتح مكة أين ينام تلك الليلة ؟ ما من بيت إلا ودعاه إلى أن يستضيفه لأن دخول النبي لبيت شرف كبير ماذا قال ؟ قد لا تصدقون قال انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة ونصب لواء النصر عند قبرها ليشعر الناس جميعاً أن هذا النصر المبين وهذا الفتح الكبير لزوجته السيدة خديجة نصيب منه كبير.

والله أقول احياناً قد تكون قلامة ظفر امرأة لها عند الله من المكانة ما يعدل مليون رجل شارد عن الله عز وجل. كلما تقدمت بالإيمان وجدت أن المرأة قد تصل إلى أعلى المراتب بطاعتها لله عز وجل، كانت هذه السيدة سنده من الداخل.

الآية الثالثة:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

[سورة النساء: الآية ٣٤]

يفهم معظم المسلمون هذه الآية على أن هذه القوامة قوامة تسلط قوامة قمع قوامة استعلاء قوامة قهر لا، قوامون جمع قوام، قوام صيغة مبالغة لاسم الفاعل يعني شديد القيام يعني أنت أيها الزوج حملك الله مسؤولية كبيرة حملك أن تأتي برزق حلال لأهلك وأولادك حملك أن تربي أولادك حملك بأن تأخذ بيد أهلك إلى الله حملك بمراقبة أولادك حملك بأعباء لا تعد ولا تحصى، هي قال لها صلِ خمسك وصومِ شهرك واحفظِ نفسك وأطيعي زوجك انتهى دينها، أما دين الرجل مؤلف من مئة ألف بند، يعني هذه مرتبة خدمة مرتبة رعاية مرتبة جهد مرتبة تضحية لا مرتبة استعلاء وقهر وقمع وسيطرة.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

[سورة النساء: الآية ٣٤]

لأن خصائصهم كما قلت قبل قليل الفكرية والجسمية والاجتماعية والنفسية صممت كي يكون الزوج قائداً لهذا البيت.

شيء آخر لا أنسى كلمة سيدنا عمر حينما قال: **لست خيراً من أحدكم ولكنني أثقلكم حملاً.** والزوج قياساً على هذه المقولة ليس خيراً من زوجته عند الله ولكنه أثقل منها حملاً وعليه تبعات كثيرة آية أخرى رائعة جداً قرأها الأخ الكريم الذي بدأ الحفل بتلاوة قرآنية كريمة:

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾

[سورة النساء: الآية ٣٤]

لا وفق مزاجهن لا وفق اجتهادهن بما حفظ الله ينبغي أن تحفظي نفسك لا وفق مقاييس العصر لا وفق مقاييس الشرع ينبغي أن تحفظي نفسك وفق سنة رسول الله ينبغي أن تحفظي نفسك بما أمرك الله عز وجل، قد تقول الإنسانة أنا شريفة لكنها تتفلت من منهج الله عز وجل فهي تحفظ نفسها على زعمها وعلى مزاجها وعلى تفكيرها أما الصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله.

شيء آخر يقول الله عز وجل:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال: الآية ١]

قال الإمام الغزالي: **لهذه الآية مستويات ثلاثة أصلحوا علاقتكم مع الله فإن صلحت فأصلحوا علاقتكم مع أهليكم.**

وقال بعض العارفين بالله: **أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي.**

فإذا كانت العلاقة عامرة بينك وبين زوجتك ألهم الله الزوجة أن تكون عوناً لك في الحياة فإذا ساءت العلاقة مع ربك ضعفت قيمة الزوج عند زوجته وبدأت تتمرد عليه، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأصلحوا علاقاتكم بزوجاتكم وأصلحوا أية علاقة بين زوجين.

حدثني أخ فقال لي: شكوت من زوجتي شيئاً مزعجاً لأخيها فقال لي طلقها مباشرةً.

يجب أن تصلح علاقة بين زوجين ما من شفاعة أعظم عند الله من أن تشفع بين اثنين في نكاح. الآن أيها الإخوة:

بعض القواعد الاجتماعية، الإنسان يرى زوجةً متالقةً مطيعةً مستقيمةً تعتني ببيته وطعامه وشرابه وهو ساكت لماذا وأنت في الخطبة تتحدث ثلاث ساعات على الهاتف بعد أن تزوجت ولا كلمة ولا حرف تكلم أثني على هندامها أثني على نظافتها أثني على طبخها أثني على تربية

أولادها هذا الثناء المعتدل الصادق هذا يديم العلاقة بين الزوجين يحافظ على حرارة الحب بين الزوجين، الثناء المعتدل الواقعي الصادق من حين إلى آخر.

أكلت طعاماً طيباً أثني على طبخها وجدت البيت مرتباً أثني على ترتيبها رأيت أولادك في أبهج حالة أثني على تربية أولادها، رأيتها في مظهر أنيق أثني على مظهرها.

النبي عليه الصلاة والسلام سألته السيدة عائشة كيف حبك لي ؟ قال: كعقدة الحبل، فأصبحت هذه الكلمة رمزاً بينهما، تسأله من حين إلى آخر كيف العقدة يا رسول الله يقول لها على حالها. فالإنسان أحياناً ينبغي أن لا يبخل بكلمة ثناء على زوجته.

شيء آخر ينبغي أن تجلس معها دون أن تمسك جريدة أو مجلة أو أن تعمل على الكومبيوتر أمامها لأن الكومبيوتر يسبب شقاء زوجي وأنا واقع به، ينبغي أن تجلس معها فترةً من الوقت أن تنصرف إليها أن تستمع إليها أن تسألها عن أحوالها أن تسألها عن منجزاتها أن تناقشها هذا مما يمتن العلاقة الزوجية.

إن بدت متعبةً أو مشغولةً أو مريضةً عاونها فقد كان عليه الصلاة والسلام في مهنة أهله، أقول كلام دقيق النزهة المنضبطةُ بقواعد الشرع تجدد النشاط بين الزوجين وتخفف أعباء الحياة وتمتن العلاقة بينهما، النزهة المنضبطة بقواعد الشرع أما النزهة التي فيها اختلاط وغناء وأماكن عامة ترتكب فيها المعاصي على قارعة الطريق هذه ربما زادت الشقاق بين الزوجين، لماذا نظرت إلى هذه ؟ يقول لها لماذا نظرت إلى فلان ؟ هذه النزهات التي لا ترضي الله ربما سببت شقاقاً زوجياً أما النزهات المنضبطة بالشرع لعلها تمتن العلاقة بين الزوجين وتخفف أعباء الحياة.

يقول بعض علماء النفس: ما الذي يمنع أن تتصل بها مرةً وأنت في عملك لتطمئن على صحتها قل لها ماذا فعلت الآن ؟ ماذا تفعلين ؟ إذا على الخليوي أين أنت ؟

الاتصال الهاتفي أحياناً يمتن العلاقة بين الزوجين إذا سافرت إلى خارج البلد ينبغي أن تتصل بها لتخبرها عن رقم الهاتف هذا إشعار بقيمتها وبدورها في الحياة، إذا سافرت بعيداً كما كان يفعل عليه الصلاة والسلام لم يكن يفاجئ أهله أبداً من سفر، كان يأتي إلى ظاهر المدينة ويقيم يوماً ما كان هناك اتصال هاتفي، ليشعر الزوجات أن أزواجهن قد اقترب مجيئهن، لا تفاجئ زوجتك إذا كنت مسافراً سفراً بعيداً.

قالوا: تعاطف مع مشاعرها من حين إلى آخر إذا شعرت بالضيق تعاطف مع مشاعرها، فاجئها بهدايا صغيرة من وقت إلى آخر فالهدية كما قال عليه الصلاة والسلام

((تذهب بوحر الصدر.))

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((تهادوا تحاببوا.))

وإذا كانت مريضة فاسألها عن أحوالها وعن تطور مرضها وعن الدواء هل أخذته وعن مواعيد الدواء وهكذا....

وإذا جرحت مشاعرها قل لها سامحيني تبقى في مكانتك العلية إن أخطأت معها قل لها سامحيني.

أيها الإخوة:

رجل عنده زوجة سيئة جداً قيل له طلقها قال والله لا أطلقها فأغش بها المسلمين.

رجل خطب امرأة فقال لها إن في خلقي سوءاً فكانت ذكيةً جداً قالت له إن أسوأ خلقاً منك من حاجك إلى سوء الخلق.

والحمد لله رب العالمين

جزى الله أستاذنا الكريم عن هذه المحاضرة القيمة ونفعنا الله تعالى بما استمعنا إليه من الأدوية الشرعية التي وصفها ربنا جل وعلا، وقدوتنا في حسن الخلق هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الذي ينبغي أن نجلس دوماً إلى سيرته العطرة نتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نتعامل مع زوجاتنا ومع أولادنا ومع الناس فالدين المعاملة، لقد اختصر أستاذنا الكريم بإيجازه البليغ مجلدات كتبها الفقهاء والعلماء وكنا نتشوق إلى المزيد من علمه ومن فضله ولكنه يستعمل أسلوب التشويق فلا يطيل خوفاً من الملل وينسى أننا منذ عام أو أكثر نتشوق إلى هذه الساعة المباركة وكنا نتمنى على فضيلته لذلك نستميحه عذراً أن يترك المجال للإخوة الحاضرين والحاضرات إذا كانت هناك أسئلة يمكن أن توجه إلى فضيلته فيجيب عليها مشكوراً.

أستغفر الله، قالوا: اجلس إلى الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه وهذا يطبق على الدعوة إلى الله.

السؤال الأول:

يقال الإنسان عندما يخلق في أمريكا يخرج كافراً والعكس هو صحيح فكيف يحاسب الإنسان على ما ليس له علاقة فيه؟

الإنسان أينما خلق إذا تعرف إلى الله من خلال خلقه ثم اهتدى إلى منهج الله عز وجل يكون مؤمناً في أي مكان وجد، لكن في أمكنة تعينك على أن تكون مؤمناً وفي أمكنة تعينك على أن

تكون مستقيماً فمن هوي الكفرة حشر معهم ولا ينفعه عمله شيئاً أما أن نعد كل إنسان ولد في مكان فهو كافر هذا كلام غير علمي يمكن أن تولد في أي مكان وأن تكون مؤمناً كما أراد الله عز وجل.

فضيلة الشيخ نشهد الله أننا نحبك فيه أنا بنت من عائلة بعيدة جداً جداً عن ربها وقد هداني الله والحمد لله وأسأله أن يثبتني، يا فضيلة الشيخ أعاني من مشكلة كبيرة مع عائلتي في موضوع الحجاب إلا أن أبي هداه الله يمنعني ويهددني كلما تكلمت في هذا الموضوع وأنا أعلم أن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق لكنني ضعيفة أمام أهلي فليتك تنصحني وترشدني فأنا أشهد الله أني مشتاقة جداً إلى الحجاب.

الأصل أيها الإخوة كما تفضل الشيخ الجليل لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وسيدنا سعد بن أبي وقاص قالت له أمه يا بني إما أن تكفر بمحمد وإما أن أدع الطعام حتى أموت قال **والله يا أمي لو أن لك مئة نفس فخرجت واحدةً واحدة ما كفرت بمحمد فكلي إن شئت أو لا تأكلي،** الأولى أن الفتات أن تكرم أمها وأبيها في أمور الدنيا إكراماً لا حدود له ثم أن تلتمس منهما أن يعيناها على أمر دينها، الإحسان له دور كبير أنا حينما أرى أبي يعاندني في شأن الحجاب أبالغ في الإحسان إليه حتى أمتلك قلبه فإذا ملكت قلبه سمح لي أن أتحجب الأب حينما يربط الحجاب بالبر، بنت مطيعة تخدمه ليلاً نهاراً تعتني به تقدم له كل ما تملك من أجل أن يرضى ثم تطلب منه الحجاب لا أشك أنه يمانعها أما إذا كانت بنتاً عادية الحجاب مرفوض عند الأب وأسأل الله عز وجل أن يهبها إنساناً مؤمناً يعينها على أمر دينها.

سؤال آخر:

بعض النساء يذهبن إلى بعض المشعوذين بحجة أنهن يردن أن يكن محببات أكثر إلى أزواجهن فيفعلن بعض الأمور غير لائقة التي يأباها الشرع والعقل.

مشعوذة بالشام دخلت السجن لأنها تشعوذ وتضلل لكن اكتشف أن سبب نجاحها بشعوذتها أنها تأمر النساء بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطاعة للزوج فالحقيقة نجاحها ما كان بسبب شعوذتها بسبب أنها أعطت تعليمات مشابهة لتعليمات رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحب الأزواج زوجاتهم، فأي امرأة تتوهم أن زوجها لا يحبها والله لمجرد أن تطبق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعد بها وتسعد به لأن الله عز وجل يقول:

﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

[سورة الأنفال: الآية ٣٣]

معنى الآية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي مادامت سنتك مطبقةً في بيوتهم فلن يعذبهم الله عز وجل.

صلى الله على سيدنا محمد، صلوا على النبي يا أحباب محمد، **السؤال الآخر:**

ما هي النصيحة التي تقدمونها للأولاد ما بين السنة الخامس عشر والتاسع عشر حينما يرى أهله يتشاجرون وماذا تنصحهم أن يفعلوا في حال قيام دعوى طلاق ؟

أيها الإخوة:

لي كلمة أقولها بالشام كثيراً حينما تنجب أولاداً يجب أن تضع حظك من النساء تحت قدمك، يعني الوفاق بين الزوجين لا يقدر بثمن أمام الأولاد والابن حينما يرى أباه منشقاً عن أمه وأمه منشقة عن أبيه يتمزق يكون الأب الذي يخاصم زوجته أمام أولاده مجرماً في حق أولاده فحينما ينجب الإنسان أولاداً هؤلاء فلذات أكباده أحد أكبر أسباب صحتهم النفسية الوفاق بين الزوجين عندئذ لو لم يكن هناك تفاهم ينبغي أن تتعايش مع زوجتك وإذا كان لابد من خلاف فليحرص الزوجان على أن لا يكون الخلاف أمام أولادهن.

سؤال آخر هل التلفاز جيد أم لا وهل تنصحون به ؟

الجهاز ليس له علاقة بالحكم الشرعي إطلاقاً، ما في الجهاز، ما حكم هذا الكأس وهل تنصحنا باقتنائه أم عدم اقتناءه ؟ هذا كأس إن وضع فيه الخمر أنصح بعدم اقتنائه وإن وضع فيه الشراب اللذيذ أنصح باقتنائه، أما حينما يغلب على البرامج أن فيها تفلت وفيها دعوةً إلى الإباحية وفيها دعوةً إلى الانحلال وفيها دعوةً إلى البعد عن الله عز وجل عندئذ يكون هذا الجهاز خطيراً في البيت.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية – قناة سوريا الفضائية – الاسلام والحياة – الدرس (١٥-٢٠) : أسباب الشقاق الزوجي

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٨-٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

آيات الله عز وجل :


المودة والرحمة بين الزوجين

أيها الأخوة الكرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، يقول الله جل جلاله في كتابه العزيز :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة الروم : ٢٢]

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾

[سورة فصلت: ٣٧]

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾

[سورة الروم : ٢١]

فكما أن خلق السموات والأرض آية كبرى دالة على عظمة الله عز وجل ، كذلك أنه خلق من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها ، وجعل بيننا مودة ورحمة ، آية دالة على عظمة الله عز وجل ، الأصل في العلاقة بين الزوجين أن يسكن كل منهما إلى الطرف الآخر ، وأن تكون المودة والرحمة بينهما ، هذا هو الأصل ، والحقيقة أن تماسك الأسرة له دور خطير في تماسك المجتمع، ونمو الأسرة له أثر واضح في نمو المجتمع ، لذلك الشرائع السماوية دعّمت الأسرة ، وصانتها من الخطر والزلل .

حقيقة الإنسان وأخلاقه تتبدى في بيته :

أيها الأخوة ، ولكن الإنسان العاقل الواعي إذا بدا عن بُعدٍ أن هناك ملامح للشقاق الزوجي ينبغي أن يستعد لمعالجة الخلل ، فقد قال الله عز وجل :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾

[سورة النساء: ٣٥]



أي إنه ينبغي أن تكتشف بوادر الشقاق قبل أن يقع ، وهذا من البطولة أن تكتشف الشيء قبل أن تعاينه ، لذلك سيكون موضوع هذا اللقاء الطيب حول أسباب الشقاق الزوجي ، إنه موضوع حيوي ، واجتماعي ، ويمس كل أسرة.

بداية أيها الأخوة ، النبي عليه الصلاة والسلام جعل خيرية الإنسان داخل بيته، أصل خيريته العامة ، ذلك أن الإنسان خارج البيت يحرص على مكانته وسمعته ، لذلك يظهر من التصرفات ما هو مقبول عند المجتمع ، أما إذا دخل إلى البيت فلا رقابة ، ولا مسؤولية، لذلك حقيقة الإنسان وتدينه وأخلاقيته تتبدى في بيته ، من هذا المنطلق قال عليه الصلاة والسلام:

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي ، وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ))

[الترمذي عَنْ عَائِشَةَ]

أرأيتم أيها الأخوة أن الإنسان إذا امتحن لينال شهادة سوق القيادة يمتحن في أصعب أطوار القيادة، فإذا نجح في الشيء الصعب كان السهل عليه سهلاً ، لذلك أصعب شيء أن تكون أخلاقياً في بيتك ، حيث لا رقابة ، ولا خشية ، ولا سمعة ، من هنا أعيد على أسماعكم قول النبي عليه الصلاة والسلام :

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي ، وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ))

[الترمذي عَنْ عَائِشَةَ]

أسباب الشقاق الزوجي :

١ ــ الجهل :

إذا حللنا أسباب الشقاق الزوجي هناك أسباب عديدة نحاول في هذا اللقاء الطيب إن شاء الله تعالى أن نشرح بعضها .

يقع في رأس هذه الأسباب الجهل ، فهو أعدى أعداء الإنسان ، فالجاهل عدو نفسه، ويفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، الإنسان انطلاقاً من حبه لوجوده ، وسلامة وجوده ، وكمال وجوده ، واستمرار وجوده ، حينما يعلم وسائل سلامته وسعادته يقبل عليها بلا تردد ، أين الأزمة ؟ إنها أزمة العلم ، حتى أهل النار وهم في النار يقولون :

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

[سورة الملك: ١٠]

لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردت حياة زوجية ناجحة عليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كله ، فإذا أعطيته بعضك لا يعطيك شيئاً .

أيها الأخوة ، ما من عقد قران وإلا ويقول العاقد : على كتاب الله وسنة رسوله ، فهل عرف الزوجان ما في كتاب الله وفي سنة رسوله من أحكام الزواج ؟ هل عرف الزوج حقوق زوجته وواجباته تجاهها ؟ هل عرفت الزوجة حقوق زوجها وواجباتها تجاهه وتجاه أولادها ؟ النبي عليه الصلاة والسلام يخاطب النساء عامة من خلال امرأة قال :

((اعلمي أيتها المرأة ، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[أخرجه ابن عساكر وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

لذلك أيها الأخوة ، لابد من أن تعرف واجباتك أيها الزوج ، ولابد من أن تعرفي أيتها الزوجة واجباتك ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((أكرموا النساء ، والله ما أكرمهن إلا كريم ، وما أهانهن إلا لئيم))

[ابن عساكر عن علي]

وفي بعض الزيادات على بعض الروايات يقول عليه الصلاة والسلام :

((يغلبن كل كريم ، ويغلبهن لئيم ، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً))

[ابن عساكر عن علي]

يقع في رأس قائمة أسباب الشقاق الزوجي الجهل الذي يهيمن على الأسرة ، حقوق الزوجة وواجباتها ، وحقوق الزوج وواجباته ، الحدود التي ينبغي أن يقفوا عندها ، الحكم فيما بينهم من مشكلات ، الحكم الذي ينبغي أن يرجعوا إليه ، المرجعية التي ينبغي أن تحكم علاقتهما ، هذا كله مفقود في أسرة تفقد العلم الشرعي .

٢ ــ ضعف الإيمان :

أيها الأخوة ، السبب الآخر هو ضعف الإيمان ، ذلك أن الزوجين المؤمنين يشعران أن الله بين الزوجين ، فكل طرف منهما يخاف الله أن يظلم الآخر ، وكل منهما يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر ، فإذا كان الزوجان مؤمنين فإيمانهما بالله ، وأنه يراقبهما، وبأن الله سبحانه وتعالى سيكافئهما على عملهما ، هذا أكبر ضمانة لنجاح الزواج في ظروف الإيمان .

وقد قال بعضهم : زوِّج ابنتك للمؤمن ، إن أحبها أكرمها ، وإن لم يحبها – لا سمح الله – لن يظلمها .

أيها الأخوة ، القناعة شيء ، وأن تحمل نفسك على أن تفعل ما أنت مقتنع به شيء آخر ، هناك من يعرف الحلال والحرام ، والواجبات والحقوق ، لكنه أضعف من أن يقوم بهما ، فقوة الإيمان تقوي الإرادة ، فإذا قوي إيمانك قويت إرادتك ، فإذا سألنا هذان زوجان يعلمان الحقوق والواجبات ويعلمان حدود الشريعة فلماذا الشقاق بينهما ؟ لأن كلاً منهما مقصر مع الطرف الآخر ، وهذا التقصير هو الذي يسبب الشقاق بينهما .

على كلٍّ هناك حديث شريف ينطبق على هذا الموضوع انطباقاً تاماً :

((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا ، وَقَالَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ، وَمَا تَوَادَّ اثْنَانِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا إِلَّا حَدَثٌ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا ، وَالْمُحْدِثُ شَرٌّ ، وَالْمُحْدِثُ شَرٌّ ، وَالْمُحْدِثُ شَرٌّ))

[أحمد عن أبي هريرة]

لا يكفي أن أتعلم الحقوق والواجبات والحدود والقيود لابد من أن أملك إرادة قوية على تطبيق ما أنا مقتنع به ، هذه الإرادة القوية من نتائج قوة الإيمان ، فإذا قوي إيمان الزوجين قويت إرادتهما ، وقوة إرادتهما تعينهما على أن يطبقا ما تعلماه من منهج الله عز وجل .

٣ ــ سوء التصرف :

أيها الأخوة الأحباب ، هناك سبب ثالث للشقاق الزوجي هو سوء التصرف ، أنا مقتنع تماماً أن المؤمن له عطاء من الله لا يقدر بثمن ، هذا العطاء قد لا يبدو جلياً واضحاً لعامة الناس ، إنه الحكمة ، فقد قال الله عز وجل :

﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً ﴾

[سورة البقرة: ٢٦٩]

الحكمة أن تضع الشيء في موضعه ، وأن تقول الكلمة المناسبة في الوقت المناسب ، مع الشخص المناسب ، بالقدر المناسب ، الحكمة أعظم عطاء إلهي على الإطلاق ، إنه خاص بالمؤمنين .

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾

[سورة محمد : ١]

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾

[سورة الليل]

الحكمة ضالة المؤمن ، ومن ثمار الإيمان .

أيها الأخوة ، أنت بالحكمة تسعد بزوجة من الدرجة الخامسة ، وبالحكمة تعيش بمال محدود ، وتقلب الأعداء إلى أصدقاء ، وبانعدام الحكمة تشقى بزوجة من الدرجة الأولى، وبنقص الحكمة تبدد المال ، وتجعل الأصدقاء أعداء ، لذلك الصفة الأولى التي يتميز بها المؤمنون حكمتهم التي منحهم الله إياها .



حسن اختيار الزوجة من اسباب السعادة

﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً ﴾

[سورة البقرة: ٢٦٩]

الحكمة لا تؤخذ ، لكنها تؤتى ، تؤتى للمؤمن كنتيجة لطاعته لله عز وجل ، وكانصياع لأمر الله ، ألم يقل الله عز وجل :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾

[سورة الطلاق: ٢]

أي إنه من يتق الله في اختيار زوجته يجعل الله له مخرجاً من الشقاق الزوجي ، من يتق الله في تربية أولاده يجعل الله له مخرجاً من عقوق أولاده ، من يتق الله في كسب ماله يجعل الله له مخرجاً من تبديد المال ، فحينما تطبق منهج الله إنك تطبق تعليمات الصانع ، وما من جهة يمكن أن تلتزم بتعليماتها إلا الجهة الصانعة ، لأنها الخبيرة ، قال تعالى :

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر: ١٤]

٤ ـ التعالي :



أيها الأخوة الكرام ، شيء آخر من أسباب الشقاق الزوجي هو التعالي ، أحياناً يتعالى الزوج على زوجته ، أو تتعالى الزوجة على زوجها ، والتعالي معول يهدم السعادة الزوجية ، إذا دخلتَ إلى البيت فأنت واحد من أهل البيت ، إذا دخلتِ إلى البيت فأنت واحدة من أهل البيت ، أما أن أستعلي على شريكي في الحياة ، أو أن أستعلي على شريكتي في الحياة ، وقد يكون هناك تفاوتٌ لبعض الشيء بين مستوى الأسرتين ، ولكن هذا الزوج هو والد أولادك ، وهذه الزوجة هدية الله إليك أيها الزوج ، فإذا دخلنا في عش الزوجية فلا ينبغي أن يكون هناك تعالٍ .

وصية أمامة بنت الحارث لابنتها يوم زفافها :

أيها الأخوة الأحباب ، امرأة قبل الإسلام اسمها أمامة بنت الحارث ، أوصت ابنتها يوم زفافها ، فقالت : أي بنية ، إن الوصية لو تركت لفضل أدبٍ تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل ، ولو أن المرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها ، أو لشدة حاجتهما إليها لكنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خُلِقن ، ولهن خُلِق الرجال ، أي بنية ، إنك فارقت الجو

الذي منه خرجت ، وخلفت العش الذي فيه درجتِ ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرينٍ لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً ، كوني له أَمَة يكن لك عبداً ، أي بنية ، خذي عني عشر خصال تكن لك ذخراً وأجراً : الصحبة بالقناعة ، أعظم النساء بركة أقلهن مؤونة ومهراً ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، المرأة إذا صلت خمسها ، وصامت شهرها ، وأطاعت زوجها ، وحفظت نفسها دخلت جنة ربها ، والتفقد لمواضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينك منه على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح ، ولا كحل إلا أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب المفقود .

أيها الأخوة ، ثبت أن لرائحة الجلد رائحة عطرة ، يكفي أن ينظف فله رائحة ، وهذه الحقيقة أشير إليها في هذه الوصية ، والماء أطيب الطيب المفقود ، والتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة ، والاحتراس لماله والرعية على حشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التدبير ، وفي العيال حسن التقدير ، ولا تعصِ له أمراً ، ولا تفشِ له سراً ، فإنك إن عصيت أمره أوغرتِ صدره ، وإن أفشيت سره لن تأمني غدره ، ثم يا بنيتي ، إياك والفرح بين يديه إن كان ترحاً ، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً ، فإن الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، واعلمي أنه لن تَصلي إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت أو كرهت ، والله يختار لك .

أيها الأخوة الكرام ، التعالي معول يهدم السعادة الزوجية ، أراد الله أن يكون بين الزوجين الود والرحمة ، فالود هو تصرف يعبر صاحبه به عن الحب ، والرحمة هي الشفقة، فأراد الله لهذا الزواج أن يستمر ، وينمو بالود والرحمة معاً أو أحدهما فلابد من وجودهما بين الزوجين .

٥ ــ التقليد الأعمى :

أيتها الأخوات الكريمات ، أيها الأخوة الكرام ، التقليد الأعمى معول آخر يهدم الحياة الزوجية ، حقيقة دقيقة جداً أنه في حياتنا سعادة ولذّات ، اللذّات منبعها خارجي ، فتأتي من طعام نفيس ، من بيت واسع ، ومناظر خلابة ، وأطفال نجباء ، لكن السعادة تنبع من الداخل ، اللذّات تحتاج إلى مصادر خارجية ، وأموال طائلة ، واللذّات ليست مستمرة ، بل متناقصة ، وإن لم تكن وفق منهج الله تبعتها كآبة ، أما السعادة فتنبع من قلب الإنسان ، ويملكها ، وفي متناول يده ، وتسعده ، ولا علاقة لها بالشروط المادية التي تحيط بالإنسان ، فحينما توازن امرأة نفسها مع امرأة أخرى ، والفرق الاقتصادي كبير ، هذا معول آخر يهدم الحياة الزوجية ، ذلك أن أساس الحياة الزوجية السكن ، قال تعالى :


الرحمة هي الشفقة

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم: ٢١]

و لحكمة أرادها الله جعل الزوجين متكاملين ، وليسا متشابهين ، فكل طرف يكمل نقصه بالطرف الآخر ، فيسكن إليه ، الزوجة تكمل نقصها بزوجها القوي الأمين ، فتسكن إليه، والزوج يكمل نقصه العاطفي بزوجته الجياشة العاطفية ، فيسكن إليها ، وهذا من حكمة الله ، أما حينما تأتي امرأة لتقلد امرأة أخرى لها وضع ومستوى آخر فإنها بهذا التقليد الأعمى تهدم السعادة الزوجية فيما بينها وبين زوجها ، فلذلك قيل : إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه ، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين .

٦ ـ الغياب الطويل :

أيها الأخوة الأحباب ، شيء آخر من أسباب الشقاق الزوجي الغياب الطويل ، مادامت الزوجة بحاجة لزوجها كي تسكن إليه ، وما دام الزوج بحاجة إلى زوجته كي يسكن إليها ، متى تكون هذه السكنى ؟ إذا كان غيابه عن البيت طويلاً ، العشرة الزوجية أصل في الزواج ، فإذا امتص العمل كل وقت الزواج فهذا العمل مهما كان الدخل فيه كبيراً فهو في الحقيقة خسارة ، لأنه فقَد شريكة حياته ، وفقدت شريك حياتها ، ضاع الأولاد ، وربوا تربية ليست سليمة ، فالغياب الطويل عن المنزل له مضاعفات خطيرة ، قد تكون له مضاعفات معتدلة بين زوجين منضبطين ، وقد تكون له مضاعفات خطيرة بين زوجين غير منضبطين ، حينما تفتقر الزوجة إلى الأنس وعطف زوجها ووجوده إلى جانبها فقد تضعف نفسها أمام خبيث من خبثاء الأرض .
أيها الأخوة الكرام ، عدم الإقامة في البيت لفترة معقولة أحد أسباب الشقاق الزوجي .

٧ ـ السكوت وعدم الاهتمام بالطرف الآخر :

شيء آخر ، الأزواج أحياناً لا يهتمون لشأن زوجاتهم ، عدم اهتمامهم يتبدى في عدم اهتمامهم بمظهر زوجاتهم ، قد تعتني بنفسها ، وتظهر بأبهى زينة أمامه ، لا يلتفت إلى ذلك ، قد تعد له

طعاماً نفيساً لا يشكرها عليه ، قد يرى الأولاد في أحلى حالة لا يثني عليها بهذا ، قد يرى البيت رائعاً لا ينتبه إليه ، عدم الاهتمام بالزوجة ، بمظهرها ، وبعملها ، وبإدارة بيتها ، وبطعامها ، وبنظافة وتربية أولادها ، هذا يضعف العلاقة بين الزوجين ، فلذلك الزوج الناجح هو الذي يثني على زوجته من حين إلى آخر حتى تشعر أنه يعم قدراتها وما عندها من خير .

٨ ـ الابتعاد عن الكلمة الطيبة :

أيها الأخوة الكرام ، شيء آخر في العلاقة الزوجية ، ألم يقل الله عز وجل :

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾

[سورة البقرة: ٨٣]

أيهما أحق بكلامك الطيب الناس عامة أم هذه التي هي في البيت أم شريكة حياتك؟ الكلمة الطيبة صدقة .



كان عليه الصلاة والسلام زوجاً ناجحاً، كانت السيدة عائشة تسأله من حين لآخر: يا رسول الله كيف حبك لي ؟ فعبر النبي عن حبه الشديد لها بمثلٍ قال : حبي لك كعقدة الحبل ، فأصبح هذا رمزاً بينهما ، تسأله من حين لآخر: كيف العقدة ؟ فيقول : على حالها .

أنت تهتم بالزوجة ، وتثني على فعلها ، وهندامها ، وإدارة بيتها ، وطعامها ، وتربية أولادها ، وتسمعها كلمة طيبة ، وتعبر لها عن حبك ، هذا من أسباب السعادة الزوجية، بل إن من عكس ذلك من أسباب الشقاق الزوجي

أضرب لكم مثلاً ينسحب على هذه الحالة : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فِي اللَّهِ ، قَالَ : فَأَخْبَرْتَهُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَخْبِرْهُ ، فَقَالَ : تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ : فَأَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ))

[أبو داود ، أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]

إذا كان هناك ود بينهما ، فلمَ يبخل الزوج بكلمات الحب والود لزوجته ؟ ولم تبخل الزوجة بكلمات الحب لزوجها ؟ هذا أيضاً السكوت وعدم الاهتمام بالطرف الآخر من أسباب الشقاق الزوجي .

٩ ـ الطمع المالي :



شيء آخر : من أسباب الشقاق الزوجي الطمع المالي ، هذا العقد بين الزوجين هو أقدس عقد في الأرض ، يقول الله عز وجل :

﴿ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

[سورة النساء : ٢١]

هذا الميثاق الغليظ يفسده الاتجاه المالي ، فحينما يطمع الزوج بمال زوجته، أو حينما تطمع الزوجة بما عند زوجها لتقتنصه لأهلها هذا يفسد العلاقة بين الزوجين ، فالمادة تفسد العلاقة ، وإن جعلتها تحت قدمك تكسبها ، وإن كانت أمامك تخسرها ، وأكبر خسارة أن تخسر الزوجة زوجها أو أن يخسر الزوج زوجته .

١٠ ـ بخل الزوج :

أيها الأخوة الكرام ، ومن أشد معاول هدم السعادة الزوجية بخل الزوج ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم]

وقد قال بعض الصحابة الكرام : " حبذ المال أصون به عرضي ، وأتقرب به إلى ربي " ، إلا أن الصحابية الجليلة حينما تودع زوجها تقول : اتق الله فينا نصبر على الجوع ، ولا نصبر على الحرام ، أما المرأة التي تضغط على زوجها كي يكسب المال الحرام فهي شريكته في الإثم .

١١ ـ سوء الظن :

أيها الأخوة الأحباب ، من أسباب الشقاق الزوجي سوء الظن ، وهو حزم إذا كان هناك دليل ، وإن لم يكن هناك دليل فهو إثم ، فينبغي أن نحسن الظن إن لم يكن هناك دليل على سوء الظن ، أما إن كان هناك دليل فالحزم سوء الظن .

١٢ ـ خروج المرأة من دون إذن زوجها :

شيء آخر أيها الأخوة ، خروج المرأة من دون إذن زوجها ، يقول الله عز وجل:

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾

[سورة الطلاق: ١]

أصغر مشكلة إذا خرجت الزوجة من بيت زوجها ونشزت تغدو أكبر مشكلة ، وقد تنتهي بالطلاق ، وأكبر مشكلة بين الزوجين إذا بقيت الزوجة في بيت الزوجية قد تنتهي إلى الوفاق . أيها الأخوة الكرام ، هذه بعض أسباب الشقاق الزوجي ، فالشقاق الزوجي معول يهدم الأسر ، وإذا ضاعت الأسر ضاع المجتمع ، بل إن بعض أقطاب الحضارة الغربية يقول: نحن مهددون بتفكك الأسرة ، وشيوع الجريمة ، وبالانحراف الأخلاقي .

فيا أيها الأخوة الأكارم ، عظمة هذا الدين أنه منهج قويم يبدأ من الأسرة ، وينتهي بالعلاقات الدولية ، فالزوج والزوجة إذا بنيا بيتهما على طاعة الله تولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين، أما إذا بنيا منزلهما على معصية فيتولى الشيطان التفريق بينهما .

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة – الخطبة ٠٦٩٥ : خ١ –أسباب الشقاق الزوجي ، خ٢ – قصة زواج شريح القاضي (أبو أمية) .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-٠٤-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

من أخطر قضايا المجتمع الإسلامي: التماسك الأُسري:

أيها الإخوة الكرام، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقني إلى أن أضع يدي على الجراح التي يعاني منها المسلمون، وعلى النقاط التي ينبغي أن تُعالج.
في أسبوعٍ سبق عُرِضَت علي عدة قضايا يعاني منها المسلمون، قضايا الشقاق الزوجي، فساد ذات البَيْن، انهيار الأسرة المُسلمة، هل المجتمع الإسلامي إلا مجموعة أسر ؟ فإن صلحت الأسرة صلح المجتمع، وإن فسدت فسد المجتمع.



قضية تماسك الأسرة، وقضية صحتها، وقضية قوتها، وقضية انسجامها، هذه قضيةٌ مهمةٌ جداً المسلمون في أشد الحاجة إليها، ذلك أن الإنسان إذا كان مُرتاحاً في بيته، مطمئناً إلى أهله، انطلق إلى عمله، وأتقن عمله، ونفع المسلمين، وعاد الخير على كل المسلمين، أما إذا كان البيت جحيماً لا يطاق، إذا كان البيت مُفْعَمَاً بالمشكلات، مفعماً بالتنافس، مفعماً بالعداوة والبغضاء، إن هذا البيت على خلاف ما أراد الله عزَّ وجل، لأن الله عزَّ وجل حينما قال:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(سورة الروم: من آية " ٢٢ ")

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾

(سورة فصلت: من آية " ٣٧ ")

قال:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾
(سورة الروم: من آية " ٢١ ")

الأصل في العلاقات الأُسرية: المودة والرحمة:

هذا هو الأصل في العلاقة الزوجية المودة والرحمة، هذا الأصل في الأسر ؛ التماسك، الود، الحب، الانسجام، الانضباط.

أيها الإخوة الكرام، يجب أن نعلم جميعاً علم اليقين أن المال لا يقدِّم ولا يؤخِّر في هذا الموضوع، قضية أن تعرف مالك وما عليك.

أسباب الشقاق الزوجي:

السبب الأول: الجهل بأحكام الشريعة:

أول سببٍ في الشقاق الزوجي الجَهْلُ، وكما أقول لكم دائماً: الجهل أعدى أعداء الإنسان، حينما يجهل الزوج واجباته تجاه زوجته، وحينما تجهل الزوجة واجباتها تجاه زوجها، وحينما يجهل الرجل حقوقه على زوجته، وحينما تجهل الزوجة حقوقها على زوجها، حينما يبنى زواجٌ على جهل، فهذا الزواج مصيره إلى التفكك وإلى الشقاق.



أيها الإخوة الكرام، لا يستطيع عدوك مهما كان حاقدا عليك أن ينال منك كما ينال منك الجهل، يجب أن ننطلق من بيوتٍ سعيدة، يجب أن ننطلق من بيوتٍ متماسكة، يجب أن ننطلق من أُسَرٍ نظيفة، من علاقاتٍ واضحة، الجهل أعدى أعداء الإنسان، لابدَّ من أن تعرف، حينما عقد القران قال خطيب الحفل: إن هذا العقد كان على كتاب الله وسنة رسوله، فهل عرف الزوجانِ ما في كتاب الله وما في سُنَّةِ رسوله من أحكامٍ تتعلق بالزواج ؟ هل عرف الزوج حقيقة الزواج ؟ هل عرف حقوقه وعرف واجباته ؟ هل عرفت المرأة حق زوجها عليها ؟ وأن المرأة إذا أحسنت تبعُّل زوجها كانت كالمجاهدة في سبيل الله، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله))

(كنز العمال)

لابدّ من طلب العلم، ولا سيما اللذان يقدمان على الزواج، لابدّ من طلب العلم، لابدّ من معرفة أحكام الشريعة في شأن الزواج، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت زواجاً ناجحاً فعليك بالعلم، إذا أردت زواجاً مستقراً فعليك بالعلم، إذا أردت زواجاً سعيداً فعليك بالعلم، إذا أردت زواجاً متماسكاً فعليك بالعلم.

أيها الإخوة الكرام، يكاد الجهل يكون أول سببٍ من أسباب الشقاق الزوجي، والجهل كما أقول دائماً أعدى أعداء الإنسان، هو العدو الأول الذي يقوض الحياة الزوجية، يقوض هذه الأسرة، يجعلها في الشقاق، يجعلها في العداوة والبغضاء على خلاف ما أراده الله عزّ وجل، الذي أراده الله المودّة والرحمة بين الزوجين، هذه هي الحالة الصحيحة المستقيمة، فإن لم تكن كذلك لابدّ من علاجٍ سريع، لابدّ من عودةٍ إلى الصواب.

السبب الثاني: تفرُّق الزوجين وشيوع العداوة:

أيها الإخوة الكرام، السبب الثاني لانهيار الأسر، وتفرّق الزوجين، وشيوع العداوة والبغضاء بينهما هو: التقصير في تطبيق ما تعلم، قد يكون السبب الجهل، ما بال الذي يعلمون حقوق الزوجة وحقوق الزوج، وواجبات الزوجة وواجبات الزوج ولا يفعلون..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(٣)﴾

(سورة الصف)

ما قيمة العلم إن لم يُطَبَّق ؟ ما قيمة معرفة دقائق العلاقة الزوجية إن لم تكن واقعاً بين الزوجين ؟ ما قيمة التفقُّه بأحكام الفقه إن لم يكن هذا الفقه مطبقاً في البيت ؟

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

(سورة الأنفال: من آية " ٣٣ ")

قال علماء التفسير: ما دامت سُنَّتُكَ في بيوتهم، وفي أعمالهم، وفي أفراحهم، وأتراحهم، وفي إقامتهم وسفرهم، وبيعهم وشرائهم، فهم في بحبوحةٍ من عذاب الله.

وجوب تطبيق ما تعلّمه المسلم:

أيها الإخوة الكرام... لابدّ من أن تعلم، ولابدّ من أن تطبّق ما تعلم، ولابدّ من أن تعلم، ولابدّ من أن يكون واقعك وَفْقَ ما تعلم، وإلا كان النفاق، وإلا كان الانحراف، وكان التزوير، من السهل جداً أن تتزين بكلامٍ تنتزع به إعجاب الحاضرين ؛ ولكن البطولة أن يكون هذا الكلام مطبقاً في حياتك اليومية، شتانَ بين أن تقول مئة ألف، بين أن تلفظها وأن تملكها، شتانَ بين القولين، بين أن تملك مئة ألف أو مئة مليون وأن تتلفظ بها، فالتلفُّظ بالشيء لا وزن له إن لم يكن واقعاً تعيشه.



لذلك أيها الإخوة... كثيرٌ أولئك الذين يحضرون مجالس العلم، ويتعلمون شيئاً كثيراً عن حقوق الزوجة وعن واجباتها، وعن حقوق الزوج وعن واجباته، وعن حقيقة الزواج المُسْلِم، وعن حقيقة الزواج الإيماني، ولكنهم يقصرون، فإذا قصَّروا ما قيمة هذا العلم ؟ العلم ما عُمِلَ به، فإن لم يعمل به كان الجهل أولى، لأن هذا العلم الذي لم يعمل به أصبح حجةً عليك.

أيها الإخوة الكرام، بين أن تستمع إلى حقيقة وأن تعيشها مسافةٌ كبيرة جداً، بين أن تترنّمَ بحقوق الزوجين وأن تؤدي هذه الحقوق مسافةٌ كبيرةٌ جداً.

فالسبب الثاني أيها الإخوة هو: أن الذي يعلمون لا يطبِّقون..

أول سبب: هناك من لا يعلم.

والسبب الثاني: هناك من يعلم ولا يطَبِّق، وهذا العلم الذي بين جوانحه حجةً عليه لا حجةً له.

إن الله مع الزوجين:

يا أيها الإخوة الكرام، ربما يبدو أن أحد أكبر أسباب السعادة الزوجية بين المؤمنين حقيقةٌ خطيرةٌ جداً هي: أن الله بين الزوجين، معنى أن الله بينهما، أي أن كل طرفٍ يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر، وأن كل طرفٍ يرجو رحمة الله بإكرام الطرف الآخر، فإذا كان كلٌّ من الزوجين يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر، وإذا كان كلٌّ من الزوجين يرجو رحمة الله بإكرام الطرف الآخر، لأن الله بين الزوجين، كان هذا الزواج سعيداً ومستمراً، بل إن الله عزّ وجل حينما قال:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

(سورة الروم: من آية " ٢١ ")

وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً


المودة والرحمة

وقف العلماء وقفةً متأنيةً بين المودة والرحمة، المودة سلوكٌ يُعَبِّرُ بمقتضاه عن الحب، فالحب شعور والبسمة مودة، الحب شعور والهدية مودة، المودة سلوكٌ ظاهري يعبِّر عن شعورٍ داخلي، وجعل بينكم مودة، هذه المودة بين الزوجين من خَلْق الله عزّ وجل، ولا يمكن أن ينشأ بينهما العداوة والبغضاء إلا بسبب بعدهما عن الله، أو تفلتهما من منهج الله، التفلّت والبعد يسبب العداوة والبغضاء..

﴿ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

(سورة المائدة: من آية " ١٤ ")

ولكن يا أيها الإخوة... قال تعالى:

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

الرحمة أحياناً يستعان بها حينما تفقد المودة، حينما تنقطع المصلحة بين الزوجين، حينما يفتقر الزوج ولا يستطيع أن ينفق على الأسرة شيئاً، حينما تُصاب المرأة بمرضٍ شديد، ولا تغدو زوجةً ملء عين زوجها، ما الذي يحل محل المودة ؟ الرحمة، إذاً هذه المؤسسة الإسلامية أنشأت لتبقى، لتبقى بالمودة أو بالرحمة أو بكليهما، فإن لم تكن مودةٌ ولا رحمةٌ بين الزوجين، فهذه حالةٌ مرضيةٌ تقتضي المعالجة السريعة.

السبب الثالث للشقاق الزوجي: إطلاق البصر في الحرام:



أيها الإخوة الكرام، لعل من أبرز أسباب الشقاق الزوجي أن يملأ الإنسان عينيه من محاسن غير امرأته، إطلاق البصر، قال تعالى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

(سورة النور: من آية " ٣٠ ")

فإطلاق البصر أحد أسباب الشقاق الزوجي، لأن إطلاق البصر يجعل الإنسان في دوامةٍ لا نهاية لها، في دوامة الموازنة بين ما عنده وبين ما يرى، وقد يأخذ من صفات اللواتي يرى صفات لا تتمتّعَ بها إحداهن، إذا وازن بين ما يرى وما عنده ربما وقع شقاقٌ بينه وبين أهله.

أيها الإخوة الكرام... هناك ما يسمّى بمدرسة غض البصر..

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾

(سورة النور: من آية " ٣٠ ")

السبب الرابع: سوء التصرُّف:

أيها الإخوة الكرام، ولعل من أسباب الشقاق الزوجي سوء التصرُّف، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾

(سورة البقرة: من آية " ٢٦٩ ")

أعرابيةٌ نصحت ابنتها فقالت: " واتقِي الفرح معه إن كان تَرِحَاً، والترح إن كان فرحاً، فإن الأولى من التقصير، والثاني من التكدير، لا تفشِي له سراً، لا تعصي له أمراً، اتقِي وقت طعامه ووقت منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مبغضة ".

نصائح كثيرة، حينما تقع المرأة أو الرجل في سوء التصرف فهذا سببٌ كبير.

أول سبب هو الجهل.

والثاني هو سوء التطبيق.

والثالث هو إطلاق البصر.

والرابع هو سوء التصرُّف.


حسن التصرف

حينما المؤمن يستقيم على أمر الله يكرمه الله عزَّ وجل بالحكمة، أن يقول الكلمة المناسبة في الوقت المناسب، بالقدر المناسب، مع الشخص المناسب، في الظرف المناسب، فالسكوت أحياناً من الحكمة.

السيدة عائشة رضي الله عنها جاءها طبق طعامٍ من ضرتها صفية رضي الله عنها، أصابتها الغيرة، فكسرت الطبق، فالنبي عليه الصلاة والسلام امْتَصَّ هذا الغضب وقال:

((غَارَتْ أُمُّكُمْ))

[البخاري عن أنس]

أي إذا غضبت الزوجة على الزوج أن يمتص هذا الغضب، وإذا غضب الزوج على الزوجة أن تمتص هذا الغضب.

أيها الإخوة الكرام... هذا من حسن التصرف، وهذا من الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً.

السبب الخامس: التعالي:

يا أيها الإخوة الكرام، ومن أسباب الشقاق الزوجي الذي يعاني منه معظم مجتمع المسلمين، من أسباب الشقاق الزوجي التعالي، قد يكون الزوج في وضعٍ أغنى وأقوى من أهل زوجته، فالتعالي

على أهل الزوجة يسبب الشقاق الزوجي، وقد يكون والد الزوجة أقوى وأغنى من أهل الزوج، تتعالى عليه ؛ تفتخر بأهلها ومالها وما عند أهلها، فهذا التعالي أحد أكبر الشقاق الزوجي. التعالي أيها الإخوة معولٌ تهدِّم به سعادتك الزوجية، والتواضع أحد أسباب الوِفاق، والواقعية أحد أسباب الوفاق، والتعالي أسباب الشقاق.

((لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ))

(صحيح مسلم: عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ)

الكبر يتناقض مع العبودية لله عزَّ وجل، وهذا الذي يفتخر بشيءٍ ليس من كسبه، يفتخر بشكلٍ، أو بمالٍ، أو بقوةٍ، أو بحسبٍ، أو بنسب، وينسَ أن الله عزَّ وجل يقول:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

(سورة الحجرات: من آية " ١٣ ")

ينسَ أن السُلَّمَ الذي نرقى به عند الله سُلَّمُ الطاعة والعمل، سلم العلم والعمل، قال تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾

(سورة الأنعام: من آية " ١٣٢")

وقال تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

(سورة المجادلة: من آية " ١١ ")

فأنت عند الله حجمك بحجم معرفتك به، وحجمك عند الله بحجم العمل الذي أناطه الله بك. فالتعالي أيها الإخوة سببٌ آخر من أسباب الشقاق الزوجي.

السبب السادس: عدم القيادة:

أيها الإخوة الكرام، وسببٌ آخر هو أن الأسرة لابدَّ لها من قيادة، لذلك قال تعالى:

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

(سورة البقرة: من آية " ٢٢٨ ")

هذه الدرجة هي درجة القيادة.



﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾
(سورة النساء: من آية " ٣٤ ")

وفي آيةٍ أخرى:

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾
(سورة البقرة: من آية " ٢٢٨ ")

هذه الدرجة درجة واحدة، هي درجة القيادة، لابدَّ لكل مؤسسةٍ من آمر، من قائد، من إنسان يملك القرار، وإلا ضاعت الأمور، وإلا فسدت الأسرة، لابدَّ لها من قائد، هذا القائد هو الزَوْج، لذلك هذه الدرجة التي يتمتع بها الزوج هي درجة القيادة، بين الزوجين درجة واحدة لا ألف درجة، درجة واحدة، لأن الله عزَّ وجل يقول:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾
(سورة البقرة: من آية " ٢٢٨ ")

هذه الدرجة هي درجة القيادة.

السبب السابع: التقليد الأعمى:

أيها الإخوة الكرام، ومن أبرز أسباب الشقاق الزوجي التقليد الأعمى، فكل بيتٍ له ظروفه، وكل أسرةٍ لها مُعطياتها، فإذا أرادت الزوجة أن تقلِّد أختاَ لها، لها زوجٌ غني، وقعت في شقاقٍ لا ينتهي مع زوجها، السعادة الزوجية أيها الإخوة لا علاقة لها بالمال، لها علاقةٌ بالصلة بالله، لها علاقةٌ بتطبيق الإسلام في البيت، قد يكون بيتاً، قد يكون البيت بيتاً متواضعاً جداً، وأصحابه في جنة، وقد يكون قصراً مُنيفاً وأصحابه في جحيم، إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه ؛ ولكنه يعطي السكينة بقدرٍ لأصفيائه المؤمنين.



قد يعيش الزوجان عيشةً خشنة، وهما أسعد خلق الله، وقد يعيش الزوجان عيشةً مترفة، وهما أشقى خلق الله، العبرة بطاعة الله، العبرة بالتفاهم، العبرة بالود، قد تأكل طعاماً خشناً مع من تحب، هو خيرٌ لك من أن تأكل

أنفس مع من لا تحب، قد تسكن كوخاً مع من تحب، خيرٌ لك من أن تسكن قصراً مع من لا تحب..

رحب الفلاة مع الأعداء ضيقةٌ سم الخياط مع الإخوان ميدان

أيها الإخوة الكرام... أحد أسباب الشقاق الزوجي التقليد الأعمى، نريد أن نقلِّد، لذلك قال: يا عائشة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إِيَّاكِ وَمُجَالَسَةَ الأَغْنِيَاءِ، وَلا تَسْتَخْلِقِي ثَوْبًا حَتَّى تُرَقِّعِيهِ))

(من سنن الترمذي: عن عائشة)

وقد ورد عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه **<< من دخل على الأغنياء ــ والمقصود بالأغنياء غير المؤمنين، غير المنضبطين، أما الغني المؤمن فتشتهي الغنى منه ؛ من تواضعه، وسخائه، ورقّتِهِ، وفضله، الأغنياء غير المؤمنين ــ من دخل على الأغنياء خرج من عندهم وهو على الله ساخط >>**.

فالتقليد الأعمى من قبل الزوجة يسبب الشقاء الزوجي.

السبب الثامن: الغياب عن البيت طويلا:



أيها الإخوة الكرام، وسببٌ آخر من أسباب الشقاق الزوجي هو الغياب عن البيت الغياب الطويل، هناك مشكلاتٌ كثيرةٌ جداً اطّلعت عليها، السبب أن الزوج يخرج قبل الشمس، ويعود بعد منتصف الليل، لزوجته عليه حق أن يجلس معها، أن يؤانسها، أن يستمع إلى حديثها، أن تنظر إليه أن ينظر إليها، أن يأكلا معاً، أما هذا الغياب الطويل، وهذا الذي يبحث عن عملٍ ويبتعد عن أهله سنوات وسنوات، من يربي أولاده ؟ من يرعى زوجته ؟ الغياب الطويل عن الزوج وراء أكثر الجرائم

التي تقع بين الزوجين وفي مقدمتها الخيانة الزوجية، الغياب الطويل عن البيت يفقدك رعاية أولادك، يفقدك تربيتهم التربية المُثلى.

فيا أيها الإخوة الكرام... هذا سببٌ آخر من أسباب الشقاء الزوجي.

السبب التاسع: الطمع المالي:

وقد يأتي الطمع المالي، قد ترث المرأة من أهلها إرثاً، يطمع زوجها بهذا المال فيضيق عليها، ويشدد عليها حتى تعطيه المال، طمعه في مال زوجته سَبَّبَ شقاءه البيتي، الزوج المؤمن يترفّع عن مال زوجته، ولا يعلِّقُ أهميةً على أن يأخذ ما عندها، هو ملكها تفعل به ما تشاء.

السبب العاشر: البخل:

يا أيها الإخوة الكرام... بل إن من أشد الشقاق الزوجي البُخْلُ، البخيل لا يحبه أحد، لا تحبه زوجته، تتمنّى موته، يتمنى أولاده أن يفتقدوه لأنه بخيل، لذلك أول صفةٍ من صفات الزوج المؤمن أنه كريم..

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتّر على عياله))

(الجامع الصغير عن جبير بن مطعم بسند فيه ضعف)

ليس منا ينفي عنه النبي أن ينتمي إلى المؤمنين، من وسَّع الله عليه ثم قتر على عياله.

لكن بالمقابل أيها الإخوة..

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

(من سنن أبي داود: عن " عبد الله بن عمرو ")

هؤلاء الذين تطعمهم، وتكسوهم، وتغذّيهم، وتسكنهم في بيتٍ مريح، وتعطيهم ما يشاؤون، إن لم تهتمّ بدينهم، وأخلاقهم، واستقامتهم، ومعرفتهم أنت قد ضيَّعْتَهُم، هناك تضييعان، التضييع الأول ألا تنفق عليهم فيكرهوك، إذا أنفقت عليهم أعطيتهم ما يشاؤون، فإن لم تعرفهم بالله فقد ضيعتهم..

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

السبب الحادي عشر: سوء الظن:

أيها الإخوة الكرام... هناك من أسباب الشقاق الزوجي سوء الظن من دون دليل، قال تعالى:

﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

(سورة الحجرات: من آية " ١٢ ")

وقد ورد في الأثر: أن الحزم سوء الظن، وأن سوء الظن عصمة، واحترس من الناس بسوء الظن إذا كان هناك دليل، فإن لم يكن هناك دليل فسوء الظن إثم، قد ينشأ عند الزوجة غيرةٌ غير معقولة، بلا أي سبب، زوجها مؤمن تأخذ في المجيء للبيت تتهمه باتهاماتٍ لا تليق به، هذا مرض، وقد تكون الزوجة مؤمنةً طاهرةً عفيفةً، والزوج واقعٌ في سوء الظن، فيتهمها اتهاماتٍ لا تليق بها، إن لم يكن هناك دليل فسوء الظن معصية، إثم، أما إذا في دليل فسوء الظن عصمة، لذلك أحد أسباب الشقاق الزوجي سوء الظن الذي يقع به الأزواج أو تقع به الزوجات من حين إلى آخر.

السبب الثاني عشر: ميل أحد الزوجين إلى أحد الأولاد:



أيها الإخوة الكرام... وقد يميل الزوج لأحد الأولاد، أو قد تميل الزوجة لأحد الأولاد، هذا الميل يقتضي التعصُّب، ويقتضي الاندفاع غير الذكي، ويقتضي الهجوم على الطرف الآخر، فقد ينشأ خلافٌ شديدٌ بين الزوجين، لأن الأب منحازٌ إلى ولد والأم منحازة إلى ولد، وهذا أيضاً من أسباب الشقاق الزوجي.

أيها الإخوة الكرام.... ولا تنسوا قول النبي عليه الصلاة والسلام حينما جاءه أبو النُعمان بن البشير، ففي الحديث عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلامًا، فَقَالَ: أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَهُ ؟ قَالَ: لا، قَالَ فَارْجِعْهُ))

(من صحيح البخاري عن حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ)

فمن لوازم الوفاق الزوجي العدل بين الأولاد، ولا يقولَنَّ أحدكم: إنني أعطي البار، وأحرم العاق، إن حرمت العاق تزيده عقوقاً، وإن سوّيت بين الأولاد دون أن تنظر إلى برهم أو عقوقهم قرَّبت

العاق، وانتزعت إعجاب البار، البار يعجب بك والعاق يخف عقوقه، أما فرقت في العطاء بين الأولاد يزيد العاق عقوقاً وتسقط من عين الذي حابيته من أجل أخيه.

السبب الثالث عشر: تدخُّل الآباء والأمهات في خصوصيات العلاقة الزوجية:

أيها الإخوة الكرام... أحد أسباب الشقاق الزوجي، وهذه مشكلة المُشكلات، تدخُّل الآباء والأمهات في خصوصيات العلاقة الزوجية، الأم المُسَيْطِرَة التي تريد أن يعيش ابنها كما تتمنى على مزاجها، بعيداً عن قواعد الشرع، والأب المسيطر الذي يعلِّق عطاءه لابنه على أن يكون الابن على شاكلة أبيه، والأم والأب اللذان لا يحترمان ابنهما، فيفرضان عليه ما لا يريد، وما لا يتمنى، ولا يحترمان اتجاهه الديني، تدخُّل الآباء والأمهات في خصوصيات العلاقة الزوجية هذا يفسد أيضاً العلاقة الزوجية بين الزوجين، وينبغي للشاب المؤمن أن يعرف الفرق بين طاعة الآباء وبِرِّهِم، قال تعالى:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

(سورة الإسراء: من آية " ٢٣ ")

الإحسان للوالدين، والعبادة لله وحده، فلا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق..

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾

(سورة لقمان: من آية " ١٥ ")

<< يا سعد إما أن تكفر بمحمد، وإما أن أدع الطعام حتى أموت "، قال: " يا أمي لو أن لكِ مئة نفسٍ فخرجت واحدةً واحدة ما كفرت بمحمد، فكلي إن شئتِ أو لا تأكلي >>.

يجب أن تعرف الفرق بين الإحسان للوالدين والعبادة، العبادة لله عزّ وجل، ولا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، والإحسان للوالدين.

السبب الرابع عشر: خروج المرأة من بيت زوجها دون إذن الزوج:

أيها الإخوة الكرام... خروج المرأة من بيت زوجها من دون إذن زوجها، مع أن الملائكة تلعنها، لكن هذا الخروج بلا إذن يسبب الشقاق الزوجي.

((إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ))

(صحيح البخاري عن أبي هريرة)

وخروج المرأة من بيت زوجها من دون إذن زوجها أحد أسباب الشِقاق الزوجي.

السبب الخامس عشر: خلو الزوجة بأحد الأقارب:

والسبب الأخير أيها الإخوة... هو خلو الزوجة بأحد الأقارب، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ))

(صحيح البخاري عن ابن عباس)

فالتقاليد والعادات أنه جاء من مكان بعيد، هو أخو زوجي، ينبغي أن أستقبله لئلا ينتقدنا، لا يجوز أن تقع خلوةٌ بين المرأة ومن لا تحل له، إلا المحارم فقط.

الملخّص: بناء الزوجين بيتهما على طاعة الله:



أيها الإخوة الكرام... هذه بعض أسباب الشقاق الزوجي، ولكن الذي يلخِّصُهُ جميعاً هو: أن الزوجان إذا بَنَيَا زواجهما على طاعة الله عزّ وجل تولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين، وإن بنياهُ على معصيةً لله تولى الشيطان التفريق بينهما.

أنت تحب زوجتك، وتحبك زوجتك، وتعيشان حياةً مِلْؤها السعادة والتفاهم بقدر طاعتكما لله عزّ وجل، وينشأ النفور، والبغضاء، والعداوة، والشحناء، والخصومات بقدر تفلّتهما من منهج الله عزّ وجل، فإن أردت زواجاً سعيداً فاتق الله، اتق الله أن تعصيه فيما أمرك، ليس الولي الذي يمشي فوق الماء ولا الذي يطير في الهواء ؛ ولكن الولي كل الولي الذي تجده عند الحلال والحرام، أن يجدك حيث أمرك وأن يفتقدك حيث نهاك.

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزّن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطّانا إلى غيرنا، وسيتخطّى غيرنا إلينا، فلنتّخذ حذرنا، الكيّسُ من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنّى على الله الأماني.

والحمد لله رب العالمين

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخُلُقِ العظيم، اللهم صل وسلِّم وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

زواج شريح القاضي (أبي أمية) قصة وعبرٌ:

أيها الإخوة الكرام، قصةٌ أرويها كثيراً في عقود القِران، ولكنها مناسبةٌ لهذا الموضوع: شريحٌ القاضي لقيه صديقه الفضيل قال: يا شريح، كيف حالك في بيتك ؟ قال: والله منذ عشرين عاماً لم أجد ما يعكِّر صفائي، قال: وكيف ذلك يا شريح ؟ قال: خطبت امرأةً من أسرةً صالحة، فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحاً وكمالاً ــ أي صلاحاً في دينها وكمالاً في خَلْقِهَا ــ فصليت ركعتين شكراً لله على نعمة الزوجة الصالحة، فلما سلّمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي، وتسلم بسلامي، وتشكر شكري، فلما خلا البيت من الأهل والأحباب دنوت منها فقالت لي:

على رِسْلِكَ يا أبا أمية، ثم قامت فخطبت، قالت: أما بعد، فيا أبا أمية، إنني امرأةٌ غريبة لا أعرف ما تحب، ولا ما تكره، فقل لي ما تحب حتى آتيه، وما تكره حتى أجتنبه، ويا أبا أمية، لقد كان لك من نساء قومك من هي كفء لك، وكان لي من رجال قومي من هي كفء لي، ولكن كنت لك زوجةً على كتاب الله وسنة رسوله، فاتقِ الله فيَّ، وامتثل قوله تعالى:

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾

(سورة البقرة: من آية " ٢٢٩ ")

ثم قعدت.

قال: فألجأتني إلى أن أخطب، وقفت، وقلت: أما بعد، فقد قلتِ كلاماً إن تصدقي فيه، وتثبتي عليه يكن لك ذخراً وأجراً، وإن تدعيه يكن حجةً عليك، أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما وجدتِ من حسنةٍ فانشريها، وما وجدتِ من سيئةٍ فاستريها ــ والمرأة المؤمنة سِتِّيرَةَ لا تفضح زوجها ــ فقالت: كيف نزور أهلي وأهلك ؟

قال: نزورهم غباً مع انقطاعٍ بين الحين والآخر، لئلا يملونا، قالت: فمن من الجيران تحب أن أسمح لهن بدخول بيتك، ومن تكره ؟ قال: بنو فلان قومٌ صالحون، وبنو فلان قومٌ غير ذلك. قال: ومضى علي عامٌ عدت فيه إلى البيت فإذا أم زوجتي عندنا، رَحَّبْتُت بها أجمل ترحيب، وكانت قد علمت من ابنتها أنها في أهنأ حال.

قالت لي: يا أبا أمية، كيف وجدت زوجتك ؟ قلت: والله هي خير زوجة، قالت: ما أوتي الرجال شراً من المرأة المدللة ــ فوق الحدود ــ فأدِّب ما شئت أن تؤدِّب، وهذِّب ما شئت أن تهذِّب، ثم التفتت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة.

ومضى علي عشرون عاماً لم أجد ما يعكِّر صفائي إلا ليلةً واحدة كنت فيها أنا الظالم.

لماذا لم نكن في مثل سعادتهم ؟

قد يقول أحدهم: والله عشت معها ثلاثين عاماً لم أنم ليلةً واحدة مرتاحاً منها، طبعاً، المعصية تسبب الشقاق الزوجية، والطاعة تسبب السعادة الزوجية..
ويا أيها الإخوة الكرام... يجب أن نحرص على بيوتنا، وعلى تماسك بيوتنا، وعلى سعادتنا الزوجية، لأنه إذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، هي اللبنة الأولى، يجب أن تقيم أمر الله في بيتك، يجب أن يمتلئ البيت عبادةً وصلاةً وتلاوةً، وما شاكل ذلك، أما إذا نقل ما في السطوح إلى ما في البيت كان الشقاق الزوجي، اصعد إلى جبل قاسيون وألقِ نظرةً على دمشق، تعلم لماذا الشقاق الزوجي بين الزوجين ؟

والحمد لله رب العالمين

ندوات اذاعية – اذاعة القدس – رسالة التجديد – الحلقة (٣ – ٨) : أسباب الشقاق الزوجي وأسباب السعادة الزوجية.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٩-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام:

الإسلام دين التكامل، وقد وازن بين حاجات الجسد وحاجات الروح، ووزان بين القيم والمتطلبات، بينما هو عليه الإنسان وما يجب أن يكون عليه، وقد أعطى الإسلام للأسرة زخماً حضارياً، وبعداً إنسانياً حدد بموجبه الحقوق والواجبات، وأدبيات التعامل، وزد على ذلك أن القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية الخالد، لم يتعرض لبيان الأحكام الشرعية في ناحية من نواحي المجتمع، كما بين أحكام الأسرة، وإن كنا في هذا المقام لا نستطيع أن نحيط بتشريع الإسلامي للأسرة وأحكامها تفصيلاً، أو بيان هذا التشريع إجمالاً، إلا أننا نستطيع أن نضع تحت دائرة الضوء أسباب الشقاق الزوجي، وأسباب السعادة الزوجية، ويشرفني أن أكون إلى جانب ضيفنا الكبير فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في كلية التربية بدمشق.

السلام عليكم ورحمة الله وأهلاً بكم دكتور.

الأستاذ:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

المذيع:

الأستاذ الكريم معلوم أن الإسلام حرص على أن تكون علاقة طيبة بين الزوجين، يسود هذه العلاقة الاستقرار، والاطمئنان، وذلك حرصاً على سلامة الأسرة من أن يعتريها أية شائبة تمس في جوهر العلاقة الأسروية، يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

(سورة الروم الآية: ٢١)

كيف تتجلى هذه العلاقة ؟

الأستاذ راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم، وفي كتابه العزيز، وفي وحي السماء، وفي دستور الإنسان، وفي منهج الخالق يقول:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(سورة الشورى الآية: ٢٩)

وكلمة السماوات والأرض مصطلح قرآني يعني الكون، والكون ما سوى الله، إذاً كل الكون آية دالة على عظمة الله ومن آياته أيضاً خلق السماوات والأرض ومن آياته الليل والنهار ومن آياته الشمس والقمر، الآن ندقق: ومن آياته أيضاً:

﴿ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

أي كما أن خلق السماوات والأرض آية دالة على عظمته، وكما أن الشمس والقمر آيتان دالتان على عظمته، وكما أن الليل والنهار آيتان دالتان على عظمته، نظام الزوجية ونظام الذكر والأنثى، والعلاقة بينهما هي من خلق الله، ومن تصميم الله.

تتبدى أيها الأخ الكريم الأستاذ زهير جزاك الله خيراً، تتبدى هذه العلاقة في خصائص قال:

﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

يعني الزوجة إنسان لها مشاعرها، ولها طموحاتها، ولها مبادئها، ولها قيمها ولها رغباتها، تسعد وتشقى، ترضى وتغضب، تسمو وتسفل، ترقى عند الله وقد تصل إلى أعلى درجة " مِنْ أَنْفُسِكُمْ " لها رغبات، لها ميول، لها مشاعر، لها كرامتها " مِنْ أَنْفُسِكُمْ " يعني من جبلتكم، من خصائصكم " وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا " ما هو السكن الراحة، الطمأنينة، السعادة، الإنسان متى يسكن إلى زوجته، حينما يكمل نقصه بها، والزوجان في الحقيقة العلمية متكاملان، وليس متشابهين.

الأستاذ زهير:

أستاذي فيما يتعلق في بنود الاستقرار، هل يعني الاستقرار عدم وجود مشاكل وقضايا عائلية ؟ أم أن الاستقرار أيضاً عنصر أمني في الأسرة ؟

الأستاذ راتب:

هو جبل جبلة خاصة تتناسب مع مهمته في الحياة، فالعنصر القيادي مهم عنده جداً والرؤية عنده بعيدة جداً، وعنده القدرة على التعامل في المحيط الخارجي تعاملاً جيداً، هذه خصائصه كزوج لأن هذه الخصائص كمال لأداء مهمته، لكنه يفتقر للتأجج العاطفي، يفتقر إلى الجمال، فإذا رأى نفسه مفتقراً إلى هاتين الصفتين، ووجدهما في زوجته إذاً يسكن إليها، لأنه يكمل نقصه العاطفي والجمالي بها فيرتاح بها.

هي تريد قائداً، واسع الأفق، حاد البصر، بعيد النظر، تريد حامياً لها، تريد منفقاً عليها، تريد من تركن إليه، فإذا وجدت في زوجها هذه الصفات سكنت إليه وارتاحت هي تكمل نقصها القيادي في زوجها ويكمل الزوج نقصه العاطفي في زوجته.

الأستاذ زهير:

يعني نلاحظ هذا البنيان، وهذا الذي نشأ على أساس تبادلي أيضاً بين الزوج والزوجة.

الأستاذ راتب:

كل منهما يسكن للآخر، كل منهما يكمل نقصه في الطرف الآخر كل منهما مفتقر إلى الآخر، هذا من خلق الله عز وجل:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣)﴾

(سورة الليل)

هناك تكامل بينهما، الحقيقة أن صفات الزوج العقلية والجسمية والاجتماعية والنفسية متعلق بالمهمة التي أنيطت به، وأن صفات المرأة العقلية والجسمية والاجتماعية والنفسية منوطة بالمهمة التي ألقيت على كاهلها.

جاءت امرأة إلى النبي عليه الصلاة والسلام قالت يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهل ومال، فلما كبرت سني، ونثر بطني وتفرق أهلي، وتبدد مالي، قال أنت علي كظهر أمي، ولي منه أولاد ــ الآن دقق ــ إن تركتهم إليه ضاعوا ــ أنا أربيهم ــ وإن ضممتهم إلي جاعوا ــ هو ينفق عليهم ــ.

هذه المرأة التي اشتكت إلى النبي، والذي سمع الله شكوها من فوق سبع سماوات حددت لكلٍ من الطرفين مهمته الأساسية، هي تربي، وهو يكسب المال، فالآية تقول:

﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

فهذه المودة والرحمة بين الزوجين هي من خلق الله عز وجل، هي الأصل في العلاقة الزوجية، هي الأصل في تحقيق الزواج هدفه الكبير" وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً " ولكن لو وقفنا وقفة متأنية عند المودة والرحمة لأخذنا العجب، هذه المؤسسة وجدت لتبقى، قد ينشأ طارئ فتفقد الزوجة الصفات التي ينبغي أن تكون عليها، لمرض أصابها، وقد ينشأ طارئ فيفقد الزوج الصفة التي بني عليها الزواج وهي كسب المال، فإذا ضعف كسب المال أو انعدم، أو أصيبت الزوجة بمرض كيف تستمر هذه العلاقة مع أن المصلحة الزوجية تعطلت، تأتي الرحمة مكان المودة يعني حينما تحقق المصلحة، المودة هي التي تزيد هذه العلاقة متانة، أما حينما تتعطل المهمة الأساسية للزواج تأتي الرحمة لتحل محلها، فلذلك الزواج في عالم المسلمين رائع جداً.

مرة سألت أحد القضاة وكان يحضر درس التفسير، سألته كم نسب الطلاق في بلاد الغرب ؟ فقال في أمريكة تزيد النسبة عن ٦٥%، يعني ٦٥ % من الزواج ينتهي إلى الطلاق خلال عامين فقط، وسألته عن نسب الطلاق في أوربة فقال ٣٥ %، سألته عن نسب الطلاق في بلاد المسلمين قال واحد ونصف بالألف، لأن هذا الزواج لم يبنى على شهوة أو على متعة، أو على رغبة حسية، بني على رحمة، بني على مودة إذاً:

﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

الأستاذ زهير:

أستاذي هذه النسبة على قلتها نجدها ظاهرة كثيرة في المجتمع.

الأستاذ راتب:

والله لكن لا أكتمك أن هذه النسبة ارتفعت كثيراً، يعني مع تفلت المسلمين من منهج الله، ارتفعت مع الأسف الشديد إلى ١٥ % في بلاد المسلمين حينما ينصرف كل زوج عن زوجته إلى جهة أخرى تضعف هذه المودة والرحمة، لأنه ما من مؤمنين تودا في الله ففرق بينهما إلا بذنب أصاب أحدهما، فحينما يقع أحد الزوجين أو كلاهما في معصية، هذه المعصية أحد أسباب الفراق.

الأستاذ زهير:

سنعود إلى هذه النقطة من أسباب الطلاق، ولكن نتابع الحديث عن المودة والرحمة.

الأستاذ راتب:

" وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً " فهذه المودة والرحمة من خلق الله.

شيء آخر: الله عز وجل جعل خيرية الإنسان في بيته، السبب ؟ طبعاً بوحي من الله، يقول عليه الصلاة والسلام:

((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))

لابد من أن نوضح القضية بمثل، أنا حينما أتقدم لامتحان قيادة السيارة كيف أفحص ؟ أكلف أن أرجع إلى الوراء، في طريق ضيق لا يزيد عن عرض السيارة، وفي طريق ملتوي على شكل s، وفي إشارات بلاستيك لو أنني مسست إحداها لوقعت، إذاً أصعب شيء في القيادة أن ترجع إلى الوراء في طريق ضيق، وفي مسار متعرج، وهناك إشارات تنبئ بأنك مسست إحداها، فإن نجحت في هذا، فكل شيء سوى ذلك سهل جداً، الإنسان خارج البيت يحرص على سمعته، وعلى مكانته، يتجمل يتزين، يستخدم ألطف العبارات، يعتذر، يبتسم، يقدم هدية، يباسط يبش بوجهه، حفاظاً على سمعته وعلى مكانته، أما في البيت لا رقابة في البيت لا يبتغي لا منصباً في البيت، ولا رفعةً، ولا مكانة، ولا حفاظاً على سمعة، ولا شيئاً من هذا القبيل، لذلك تكشف الحقيقة المرة في البيت فالذي تجده في بيته أخلاقياً صادقاً أميناً متواضعاً يحب خدمة أهله، عدا النبي هذه الخيرية في البيت مقياساً لخيرية الإنسان خارج البيت، فقال: خيركم خيركم لأهله وأن أخيركم لأهلي " أنا أستمع إلى شكاوى كثيرة جداً، أن إنسان له مكانته وله سمعته، وله مصداقيته خارج البيت، في البيت إنسان أخر، قاسي أناني يحب ذاته، أقول سبحان الله صدق عليه الصلاة والسلام حينما قال

((خيركم خيركم لأهله وأن أخيركم لأهلي))

أستاذ زهير المشكلة أن هذه الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع فإن تماسكت تماسك المجتمع، وإن ارتقت ارتقى المجتمع، وإن كانت إيجابية كان المجتمع إيجابياً، وحينما تتفكك الأسرة، وحينما تنهار القيم في الأسرة، وحينما تحل العداوة والبغضاء بين الزوجين فقد تفكك المجتمع لذلك النظم الإلهية تدعم الأسرة، والنظم الوضعية تفكك الأسرة، ومرة صرح أحد رؤساء جمهوريات أمريكة كلينتون أن أكبر خطر يهدد أمريكة لو أنني سكت ماذا يخطر في بالك الصين فرضاً، التجمع الأوربي، أكبر خطر يهدد أمريكة برأي كلينتون تفكك الأسرة وشيوع الجريمة، وانتشار المخدرات، لذلك القرآن الكريم كما تفضلتم في مقدمة هذا اللقاء اعتنى عناية بالغة بالعلاقة بين الزوجين، أنا أقول لك لعل تسعة أعشار الأحكام الشرعية متعلقة في موضوعين كبيرين، موضوع كسب المال وإنفاقه وموضع العلاقة الزوجية، أو علاقة الإنسان بالمرأة مطلقاً، لأنهما شهوتان طاغيتان، فحينما لا تنضبطان بمنهج الله يحل الفساد في الأرض ولو سألتني أن ألخص لك كل

أنواع الفساد في الأرض أقول لك الفساد لا يزيد عن أن يكون حرية عشوائية في العلاقة بالمرأة، وحريةً عشوائية في كسب المال، وأن عظمة هذا الدين أنه يضبط كسب المال وإنفاقه، ويضبط العلاقة بين الزوجين، بل إنه ما من فضيحة في تاريخ البشرية إلا متعلقة بالفضيحة الجنسية أو المالية.

الأستاذ زهير:

أستاذي اسمح لي أن نأخذ هذه المداخلة، ونتوقف بعدها مع عناوين أخبار الواحدة والنصف.

ألو: السلام عليكم

عليكم السلام ورحمة الله.

الله يعطيك العافية أستاذ زهير، نرحب بك وبالدكتور راتب ــ أهلاً بك أستاذ عبد الفتاح السمان. دكتور راتب تعودنا منك الحديث ذو شجون، ولكني أراك اليوم تتهرب من كلمة الحب وتستعيض عنها بكلمة المودة، فهل لا يوجد علاقة بالمفهوم العام بمفهوم الحب بين الزوج والزوجة، أم هي المودة فقط التي ذكرتها في القرآن الكريم، فكما نعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام خرج غير مرة ليقول للناس عن السيدة عائشة إني رزقت حبها، فتلفظ في هذا اللفظ فهل هناك استعمال لهذا اللفظ في المدلول الإسلامي، وهل له علاقة بما طرأ على هذا اللفظ من تغيرات، ومن اصطلاحات في عالمنا اليوم، هذا جانب.

الجانب الآخر الذي أتمنى أن نستمع لرأيك وأنت متخصص في قضايا الاجتماع والتربية، قضية مهر المرأة، فكما نعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام قد زوج ابنتيه بمهر وزوج أحد الصحابة بما معه من القرآن، فهل هناك قاعدة يبنى عليها المهر، هناك من الناس من يرفض أخذ المهر على أنه عادة لا يريدها، أو يتباهى بأنه لم يأخذ مهراً، وآخرين يتباهون بأنهم أخذوا الملايين في مهر المرأة، فما هي القاعدة، وما هو الأسلوب الأنجع لبناء حياة سليمة أسرية تحفظ حق المرأة، وحق العائلة وتجعل من هذا الشاب الذي يريد أن ينشأ أسرة شاباً ملتزماً واعياً لمفهوم الأسرة في الإسلام، كل الشكر، وكل التقدير لكليكما، وكل الشكر أولاً وأخيراً لإذاعة القدس والسلام عليكم ورحمة الله.

الأستاذ زهير:

أستاذي الكريم اسمح لي أن نتوقف قليلاً لعناوين الأخبار الواحدة والنصف وبعد ذلك نعود ونرد على أسئلة ومداخلة الأستاذ عبد الفتاح.

نعود ونتابع أيها الأخوة هذه الحلقة من برنامج رسالة التجديد ومعنا في الاستديو فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية بدمشق، وموضوع لقاء اليوم عن أسباب الشقاق الزوجي وأسباب السعادة الزوجية، أستاذي الكريم كان هناك مداخلة قبل عناوين أخبار الواحدة والنصف من الأستاذ عبد الفتاح السمان، هو في البداية أستاذ عبد الفتاح وجه شبه اتهام

أنك تتهرب من التلفظ بكلمة حب، وتلجأ إلى لفظ المودة، فعلاً أستاذ تتهرب من هذه الكلمة ؟

الأستاذ راتب:

لا أستطيع أن أتهرب من هذه الكلمة وقد ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام، إن السيدة عائشة سألت سيد الخلق وحبيب الحق، سألته كيف حبك لي ؟ فأجابها إجابة شافية قاطعة جامعة مانعة، قال لها كعقدة الحبل فأصبح هذا رمزاً بينهما، كانت تسأله من حين لأخر كيف العقدة، فيقول على حالها، لا تزال عقدةً محكمة، الحقيقة أن الإنسان الذي لا يحب ليس من بني البشر، من جبلة الإنسان أنه يحب.

مرةً كنا في كلية التربية وودعنا أحد أكبر الأساتذة حينما أحيل إلى التقاعد، ألقيت كلمات كثيرة جداً في الإشادة بفضله، فلما جاء دوره في الحديث، قال هذه العبارة أحفظها غيباً قال: الإنسان الذي لا يشعر بحاجة إلى أن يحِب، كما أنه لا يشعر أن يحَب ليس من بني البشر. يمكن أن تحب الله، وهذا أسمى أنواع الحب، ويمكن أن تحب الحقيقة، أنت موضوعي، يمكن أن تحب أولادك، يمكن أن تحب زوجتك الحب مستويات، وقد يصل الحب إلى المستوى الحسي، العلاقة الجنسية نوع من الحب، لكن الحب كلمة سامية جداً، بل إن علة خلق السماوات والأرض هي محبة الله لخلقه، بل إن الله عز وجل لو شاء لهدى الناس جميعاً لكن أرادهم أن يأتوا إليه محبين طائعين، لا أن يأتوا إليه طائعين قسراً، المحبوبية أساس نظام التكليف، أساس نظام حرية الإنسان، أرادك أن تأتيه محباً لا أن تأتيه مكرهاً، لا إكراه في الدين، لذلك الحب النبي عليه الصلاة والسلام حمد الله على أنه رزق حب عائشة، والسيدة عائشة سألت عليه الصلاة والسلام عن حبه لها فقال كعقدة الحبل، ولكن المودة أبلغ من الحب.

الأستاذ زهير:

هنا سأل الأخ عبد الفتاح عن الفرق بين المودة والحب.

الأستاذ راتب:

المودة هو سلوك يعبر به عن الحب، سلوك، يعني ابتسامة، يعني هدية ثمينة يعني خدمة، يعني خوف على المحبوب، إشفاق عليه سلوك ينطلق من الحب، فكل مودة فيها حب، لكن ما كل حب فيه مودة إذاً المودة أبلغ، وهي كلمة قرآنية.

الأستاذ زهير:

أيضاً تحدث الأستاذ عبد الفتاح عن قضية المهور، وسأل في نهاية مداخلته هل هناك أساس أو قاعدة تبنى عليها قضية المهور ؟

الأستاذ راتب:

الحقيقة إن العقد، عقد الزواج إن لم يكن فيه مهر فهو فاسد، هذا عند كل الفقهاء والعقد الفاسد شيء، والعقد الباطل شيء آخر، لو أن إنسان عقد زواجه على أخته من الرضاعة خطأ بعد أن عقد الزواج عليها تبين أن هذه الفتاة رضعت من أمه حينما كانت صغيرة، ولم يعلم إلا بعد العقد

فالعقد باطل، يفسخ، بينما العقد من دون مهر عقد فاسد يصحح فإذا كان كل الفقهاء أجمعوا على أن العقد من دون مهر عقد فاسد، إذاً المهر جزء من لوازم العقد، لذلك.

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾

(سورة القصص الآية: ٢٧)

لكن يقول عليه الصلاة والسلام:

((أعظم النساء بركة أقلهن مهراً، أعظم النساء بركة أقلهن مؤنة))

المرأة المؤمنة لا تضغط على زوجها من أجل أن يكسب المال الحرام فيروي رغباتها، المرأة المؤمنة مثلها الأعلى الصحابية الجليلة التي كانت تودع زوجها وتقول اتقِ الله بنا نصبر على الجوع، ولا نصبر على الحرام، والمرأة التي تطالب زوجها بنفقات فوق طاقته إنها تدفعه دون أن يشعر إلى كسب المال الحرام، من هنا قال الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾

(سورة التغابن الآية: ١٤)

قال علماء التفسير هذه عداوة مآل لا عداوة حال، يعني هو يحبها وتحبه، أما حينما دفعته إلى كسب المال الحرام واستحق النيران يوم القيامة نشأت تلك العداوة لأنها كانت هي السبب، إذاً المهر لا بد منه، ولكن أعظم النساء بركة أقلهن مهراً، أما هذا الذي يلغي المهر كلياً هو لا يفقه حقيقة هذا التشريع.

شيء آخر المرأة ليست شيئاً مبتذلاً، الآن ما الذي يحصل بأمريكة وبأوربا، شيء مخيف، مساكنة فقط، لا في عقد، ولا في مهر، ولا في عقد مدني، ولا في أي شيء، في أية لحظة يركلها بقدمه، أما في الإسلام الزوجة لها شأن، يعني أحد أسباب أن نمنحها قيمة هذا المهر، يعني الزوج حينما يفكر بطلاق زوجته في مئة ألف يجب أن يدفعها، بالتمام والكمال وإلا يسجن، يعني هذا شيء من رفع معنويات المرأة، أما أن تطالب امرأة بخمس ملايين فرضاً هذا أيضاً خلاف الشرع، مغلاة المهور ليست من روح شريعة الإسلام.

الأستاذ زهير:

نحن الآن قد دخلنا إلى أحد أسباب الشقاق الزوجي، وهناك أيضاً ملاحظة للأستاذ عبد الفتاح السمان جزاه الله خيراً من الأسلوب الأنجع لبناء أسرة سليمة، الآن طالما تطرقنا إلى المشاكل، إذاً نحن نعالج ونضع حلولاً، ونضع تعريفاً أيضاً للحياة السعيدة.

الأستاذ راتب:

الإنسان هو أعقد آلة بالكون، تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز، ولهذه الآلة صانع حكيم ولهذا الصانع تعليمات التشغيل والصيانة، فالإنسان أنطلاقاً من حبه لذاته، وحبه لسلامة ذاته وحبه لكمال ذاته، وحبه لاستمرار ذاته، إذا طبق تعليمات الصانع سعد في الدنيا والآخرة والزواج جزء من ذلك، أسوق لك آية دقيقة جداً يقول الله عز وجل:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

(سورة الجاثية الآية: ٢١)

يعني شاب متفلت يروي رغباته الجنسية مع أي فتاة، لا يعبأ لا بقيم الدين، ولا بقيم المنطق، ولا بقيم الخلق، وشاب آخر صبر حتى رزقه الله زوجة صالحة، أيعقل أن يعامل هذان الشابان معاملة واحد

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ ﴾

والزواج من محيى دعك من الآخرة مبدئياً.

﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)﴾

(سورة الجاثية)

إذاً أسباب الشقاء الزوجي في الأصل يمكن أن تعود إلى شيء واحد هو عدم تطبيق منهج الله في الزواج، لذلك الزوجان الناجحان يحتكمان إلى الشرع في كل قضية، والشرع يعطي كل طرف حقه.

الأستاذ زهير:

الآن نأتي إلى ذكر الأسباب أستاذي الكريم، يعني نبدأ في مسألة فيما يتعلق باختيار الزوجة، يعني هذه النقطة لها علاقة أساسية في أسباب الشقاق، يعني حين يختار الزوج زوجته أو شريكة حياته ينبغي أن يحسن الاختيار.

الأستاذ راتب:

النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((تنكح المرأة لجمالها، وتنكح لدينها، وتنكح لحسبها، وتنكح لجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك))

في حديث آخر أقل صحة من هذا الحديث:

((من تزوج المرأة لجمالها أذله الله))

أي لجمالها فقط، يعني شهوته العارمة هي التي كانت حاسمة في هذا الموضوع.

ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءة، ومن تزوجها لمالها أفقره الله، فعليك بذات الدين تربت يداك.

طبعاً اختيار الزوجة هذا قرار مصيري، وقرار بالتعبير الشائع قرار استراتيجي فحينما لا تحسن اختيار الزوجة هناك متاعب لا تعد ولا تحصى، تنتج عن سوء اختيار الزوجة لذلك المؤمن يتزوج زواجاً متأنياً.

الحقيقة أنا أقول يقع في رأس أسباب الشقاق الزوجي الجهل، الجهل أعدا أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به، يعني أعدى عدو للمسلم هو جهله في مكونات الشرع، يفعل عملاً غير منضبط، يدفع ثمنه باهظاً، ذلك أن الأمر الإلهي علاقته بنتائجه علاقة علمية، لا علاقة وضعية، يعني أنا قد أقول لأبني لا تخرج من هذا الباب باب عادي، صالون له بابان، اخرج من هذا الباب ولا تخرج من هذا الباب، فخرج من الباب الذي منعته أن يخرج منه، فضربته، ما في علاقة بين الضرب وبين خروجه من الباب، أما أنا وضعت علاقة، أنا قلت هذا الباب ممنوع أن تخرج منه، فالعلاقة بين السلوك والعقاب علاقة وضعية أنا وضعتها، لكنها ليست علمية، أما حينما يأتي ابني ويضع يده على المدفأة المشتعلة فتحترق فالعلاقة بين وضع الإصبع واحتراقها علاقة علمية، أنا أعتقد وأؤمن أن العلاقة بين الأمر ونتائجه، وبين النهي ونتائجه علاقة علمية، أي علاقة سبب بنتيجة، فأنت إذا أردت السعادة الزوجية فعليك بطاعة الله، لأن الإنسان حينما يطيع الله في أمور زواجه يعني يطبق تعليمات الصانع، وليست من جهة في الأرض أليق من الجهة الصانعة التي تتبع تعليماتها لأنها خبيرة، إذاً الجهل يقع في أولى أسباب الشقاء الزوجي، هو أعدا أعداء الإنسان، أنا ما من عقد حضرته وشيء لطيف أن أقول ذلك إلا وسمعت الذي أنشأ العقد يقول على كتاب الله وسنة رسول الله، لو سألت الزوجين هل تعرفان ما في كتاب الله، وما في سنة رسوله من أحكام متعلقة بالزواج ؟ لا يعلمان شيئاً، فكيف بني هذا العقد على كتاب الله وسنة رسوله، والزوجان يجهلان ما في كتاب الله وما في سنة رسوله من توجيهات للزوجين، يعني النبي الكريم قال:

((أعلمِ أيتها المرأة وأعلمِ من دونك النساء، أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

وتوجه إلى الرجال فقال:

((أكرموا النساء فو الله ما أكرمهن إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم ــ في بعض الزيادات ــ ويغلبوهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً، من أن أكون لئيماً غالباً))

الجهل يقع في أعلى مستويات الأسباب التي تفضي إلى الشقاء الزوجي.

سبب أخر لضعف الإيمان، الآن قد تعلم أنه ينبغي أن تكون حليماً ينبغي أن تكون كريماً، ينبغي أن تكون مسامحاً، قد تعلم الزوجة أنه ينبغي أن تكون زوجة دؤوبة على خدمة زوجها وأولادها، قد تعلم أنها ينبغي أن تعتني بأولادها، لكن ضعف إيمانها يسبب لها تهاونها في تطبيق تعليمات الصانع، فإذا كان هناك جهل فالجهل هو السبب، وإذا كان هناك علم لكنه غير مطبق فضعف الإيمان هو السبب، ألا ترى إنسان يدخن وهو طبيب، هو أشد الناس علماً بأضرار التدخين، إذاً هذا يعلم لكنه لا يعمل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(٣)﴾

(سورة الصف)

الآن أحياناً هناك سوء تصرف، أنا أقول لك أيها الأخ الكريم.

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً﴾

(سورة البقرة الآية: ٢٦٩)

الحكمة أثمن عطاء يناله الإنسان، الإنسان بالحكمة يسعد بزوجة من الدرجة الخامسة ومن دون حكمة يشقى بزوجة من الدرجة الأولى بالحكمة يكسب المال الكثير، يعيش بالمال القليل، ومن دون حكمة يبدد المال الكثير، بالحكمة يحول الأعداء إلى أصدقاء، وبالحمق يجعل أعداءه أصدقاء، يمكن ولا أبالغ أثمن عطاء على الإطلاق أن يؤتيك الله الحكمة إذاً سوء التصرف، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨)﴾

(سورة محمد)

الإنسان إذا كان مقطوعاً عن الله يلهم الحمق، بتلاقي يضحي بعلاقته الزوجية لشيء تافه، بساعة غضب ينهي علاقته مع زوجته يحلف طلاق مكرر مثلاً بساعة غضب ينهي سعادته الزوجية، فإذاً سوء التصرف كمان انعكاس لضعف الإيمان.

الأستاذ زهير:

إذاً نحن حتى الآن عددنا الجهل، وضعف الإيمان، وسوء التصرف.

الأستاذ راتب:

الآن التعالي، التعالي صفة بغيضة جداً في الزوجين، قد تتعالى على زوجها، وقد يتعالى على زوجته، أما الشيء الذي يلفت النظر.

أن امرأة قبل الإسلام اسمها أمامة بنت الحارس أوصت ابنتها ليلة زفافها، قالت يا بنية: إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ولكنها تذكرت للغافل ومعونة للعاقل ولو أن المرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها أو لشدة حاجتهما إليها لكنت أغنى الناس عنهم ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال.

أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجتي إلى وكر لا تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً.

أي بنية: كوني له أمةً، أي ؛ تواضعي له يكن لك عبداً.

أي بنية: خذني عني عشرة خصال تكن لك ذخراً وأجراً.

الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتفقد لموقع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود. ثبت الآن أن لجلد الإنسان رائحة عطرة لمجرد أن تتنظف، وأن تغتسل تبدو هذه الرائحة، لو أن المرأة فقيرة لا تملك ثمن عطور غالية يكفي أن تكون نظيفة فهي معطرة من قبل خالقها. والتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة والاحتراس لماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التدبير، وفي العيال حسن التقدير، ولا تعصي له أمراً، ولا تفشي له سراً، أنك إن عصيت أمره أوغلت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان ترحاً والكآبة بين يديه إن كان فرحاً، فإن الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، واعلمي أنه لن تصل إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاكِ، وهواه على هواكِ فيما أحببتِ أو كرهتِ والله يختار لك.

هذه امرأة عاقلة جداً جاءت توجيهاتها قريبة جداً من توجيهات الشرع، لأن الفطرة واحدة، هذا من فطرتها، لو طبقت النساء هذه الوصية، أنا أتوقع أن تغلق المحاكم الشرعية أبوابها.

التعالي: أحد أسباب الشقاء الزوجي، تكون فتاة بنت غني وجاءها موظف ذو خلق وذو علم وذو مكانة، تتعالى عليه بمال أبيها، أو بالعكس، تتعالى عليه بمستوى أبيها الاجتماعي، تتعالى بموقع بيت أبيها أو بأصل عائلتها، أو بحسبها أو بنسبها، أو يتعالى عليها فأحد أسباب الشقاء الزوجي أن يتعالى كل منهما على صاحبه.

أستاذ زهير أنا في حكم عملي بالدعوة إلى الله، تصل إلي قصص كثيرة، هذه القصص يمكن أن تلخص ببنود، فالغياب الطويل عن البيت أحد أسباب الشقاء الزوجي، بل أقول أخطر من ذلك، الغياب المديد عن البيت يعني يذهب الساعة السادسة، ويأتي الساعة الثانية عشرة ليلاً منهمك في العمل، طيب هذه الزوجة تركتها وحدها في البيت ثمانية عشرة ساعة ماذا تفعل بهذا الوقت، ما الذي ينبغي أن يؤنسها، من هذا الذي ينبغي أو يواسيها، من هذا الذي ينبغي أن تتحادث معه، من هذا الذي ينبغي أن يؤنس وحشتها، إنه زوجها، زوجها غائب، لو أنها ضعيفة الإيمان، لو أنها بعيدة عن أن تحس بمراقبة الله لها، ربما زلت قدمها وأحد أكبر أسباب انحراف المرأة أحياناً غياب زوجها الطويل، فأنا أنصح الأخوة الأكارم أن الغياب الطويل عن البيت له مضاعفات خطيرة، الغياب الطويل، أو أن يختار عملاً بعيداً عن بلده، سنوات أربعة متتالية، طيب هذه الزوجة تركت سنوات طويلة، من لها غير زوجها، على كل يعني أنا أتمنى أن يبرمج الزوج نفسه على أنه يكون وجوده في البيت معقول كي يؤنس زوجته، ويتفقد أولاده.

الأستاذ زهير:

أردت التوقف عند هذه النقطة لأنه في وقتنا الآن لا أظن هناك موظفاً أو رجلاً ليس لديه عملاً آخر بعد عمله الرئيسي، مشاغل الحياة وكثرة النفقات، وأشياء كثيرة تحتم عليه أن يعمل عملاً آخر أو يبحث عن مصدر الرزق، يعني الظروف تجبر الزوج على أن يغادر البيت فترةً طويلة.

الأستاذ راتب:

أقول هذا صحيح ولكن لو أنه عملين ينبغي أن يأكل طعام الغداء مع زوجته فرضاً وينتقل للعمل الثاني، ينبغي أن يأتي الساعة العاشرة ليلاً أما من السادسة صباحاً من الخامسة وحتى الساعة الواحدة ليلاً، والله مشكلة هذه.

الأستاذ زهير:

يعني أنا أطرح عن نفسي، يعني أنا أغادر صباحاً، ولا أعود قبل الساعة العاشرة أو الحادية عشرة ليلاً ــ معقول العشرة في ساعتين للساعة الثانية عشرة ــ يعني هذا الوقت أغيبه بالسنة بكاملها بهذا الشكل زملائي كثيرون من زملائنا سواء في هيئة التحرير، أو زملائنا المذيعين، أو حتى زملائنا الفنيين، كل واحد له شغله الآخر، قد يضطر للغياب عن بيته وعن زوجته وأولاده ساعات طويلة، قد تتجاوز اثنتي عشرة ساعة.

الأستاذ راتب:

صدق أنه ما من إجراء تقوم به الدولة أفضل من أن تعلن عن نهاية الدوام في المحلات التجارية، هل تصدق في بعض البلاد ينتهي الدوام الساعة الخامسة، الآن كل أوربة وأمريكة، وتركية، والدول التي تأخذ هذا المنهج، الدوام من الثامنة، وحتى السادسة، ما في عمل بعد السادسة يعني في مشكلة عندنا، في بلاد النامية تقريباً، أنت ينبغي أن تعمل عملاً واحداً، وأن يكون دخل هذا العمل يكفيك أنت وأولادك وزوجتك، هذا الأصل، أنت إنسان الإنسان الذي ليس عنده وقت فراغ شوه إنسانيته العمل المستمر من دون توقف ليس وسام شرف بحق إنسان، لأنه مقابل هذا الشيء ضيع أشياء كثيرة.

يعني اسمح لي بمثل أستخدمه كثيراً: إنسان ذهب إلى بلاد الغرب لينال دكتوراه هو عصامي، يعمل وينفق على نفسه، وجد عمل ساعة باليوم يكفيه ثمن حاجاته كلها، بعد حين طمع بساعتين، بعد حين بثلاث ساعات، ثم وجد عمل حارس ٢٤ ساعة، ودخل كبير، لكن ألغى دراسته ألغى الدكتوراه، ألغى هدفه الأساسي لوجوده في فرنسا، ألغى علة وجوده في هذا البلد.

فحينما يمتص العمل كل الوقت قد تلغى علة وجودي فغي الأرض أنا طبعاً أعرف أن هناك في متاعب كثيرة، وهناك ضغوط شديدة، وهناك متطلبات عديدة، وهناك دخول محدودة، وهناك حاجات كثيرة، أنا والله أقدر الزوج الذي يعمل طويلاً، أنا أعده بطل، بالمقابل لا بد من بعض التوازن، إذا ما عندك وقت فراغ إطلاقاً أن تصغي إليها، أنت دائماً مشغول هي تحتاج إلى مؤنس، طبعاً هو الفضل لله عز وجل معظم الزوجات المؤمنات الطاهرات صابرة وطاهرة وتقية وعفيفة، هذا هو الأعم الأغلب، أنا أضع احتمالات لإنسانة ضعيفة الإيمان زوجها يبتعد عنها

كثيراً.

الأستاذ زهير:

أنا ظروفي واحد اثنان ثلاثة، يعني إن لم أختر الزوجة التي قد تقدر هذه الظروف وتقتنع بها، وتحترم عمل زوجها أيضاً، وتقدر سعيه على رزقها ورزق أولادها، يعني من هنا تبدأ المشكلة بسوء الاختيار.

الأستاذ راتب:

هذا الكلام جيد، لكن الشرع ليس لنخبة، الشرع لعامة الناس، أنا أتحدث عن قضية قد تنطبق على بعض الناس، أن لا شك أن هناك أناس متميزين، تقدر زوجاتهم انهماك انهماك انهماك في عملهم وتعينه على هذا العمل هذا شيء موجود، أما إذا تحدثت كقضايا عامة يتناول الوضع الثاني السلبي، أنا أقول الحقيقة المرة دائماً أفضل ألف مرة من الوهم المريح.

الآن الطمع المالي أحياناً يسبب الشقاء الزوجي، يعني زوج له دخل كافي، له زوجة توفي والدها وترك لها إرثاً كبير، هو يتدخل في شؤون الإرث لدرجة أنه يهددها بالطلاق إن لم ينال من هذا الإرث شيئاً، من حرم ابنته ميراثه يعني سيحاسب حساباً عسيراً كما قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الرجل يعبد الله ستين عام ثم يضار في الوصية فتجب له النار))

لكن ليس معنى هذا أن أجعل هذا الإرث من الزوجة هو سبب استمرار الزواج أو عدم استمراره، هذه مشكلة كبيرة جداً، قد يكون لها أخوة أشداء يعني عندهم انحراف، ليس عندهم عدل كافي، فلذلك أنا أرى أحياناً عقب وفاة أحد الأبوين ولاسيما والد الزوجة تنشأ مشكلات بينها وبين زوجها من أجل الميراث، لو طلب حصتها بتلطف بلطف باعتدال، لو ذكرها ما في مانع، أما حينما يجعل هذا النصيب من الإرث سبب استمرار الزواج أو عدم استمراره هنا مشكلة كبيرة.

أستاذ زهير أنا لا أرى من صفة مريحة للزوجة في زوجها من الكرم، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

ليس منا من وسع الله عليه ثم قطر على عياله.

يعني صفة الكرم هي أول صفة في الزوج، بينما صفة البخل والحرص من صفات الزوجة المطيعة لزوجها، هذا المال ليس مالها فهناك زوجة تعطي بغير حساب لأهلها ولجيرانها، ولمن يلوذ بها دون علم زوجها، فكلما حرصت المرأة على حفظ مال زوجها تكون أقرب إلى الله عز

وجل، وكلما كان الزوج أكثر خيرة وإنفاقاً وتسامحاً كان أقرب إلى الله عز وجل، فلذلك البخل، أضرب لك مثلاً لا سمح الله ولا قدر الأب البخيل يتمنى أقرب الناس إليه موته، أقرب الناس إليه لأنه يشدد عليهم إلى درجة أنه يفقدون صوابهم، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قطر على عياله))

سيدنا أبو ذر الغفاري يقول: حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي.

يعني أحيان زوج يأتي بحاجات البيت يوفرها، إذا كان في بحبوحة لكن الشرع ما كلفه ما لا يطيق، أما إذا كان في بحبوحة ووسع الله عليه ينبغي أن يوسع على عياله، أو يطعمهم مما يشتهون، أن يلبسهم ثياباً لطيفة يحبونه، أما أن يقسو عليهم في الإنفاق فهذا يتناقض مع قربه من الله عز وجل.

الأستاذ زهير:

أريد هنا أستاذي أن أسوق قصة، أحد الآباء، عنده ما شاء الله ملايين، عشرات الملايين، كان من أشد الناس بخلاً على عياله حينما مرض أدخل إلى المستشفى وتوفي في المشفى، كان عنده أحد أولاده كان هذا الولد أشد بخلاً من أبيه، كان يعمل في المحل عند والده، ونقله إلى البيت وهو ميت ولم يعلم أحداً من أخوته، واتفق مع المحامي، وأخذ بصمات الأب وهو ميت، وأخذها على أوراق أنه باعه كل شيء وسجل له التركة كلها، ودفنه في مزرعته ولم يدفنه في مقبرة، دون أن يعلم أحد بعد أن أنهى هذه العملية طبعاً كذب على أخوته وقال وصية الوالد أن أدفنه في المزرعة، والمزرعة كما ترون وهذه الأوراق وأن المزرعة لي وأنا مستعد أن أنفذ هذه الوصية، حينما جاءوا لاقتسام التركة لم يجدوا شيئاً وهذه القصة موجودة ومشهورة وتحدثت عنها الصحف أيضاً، يعني هذا مظهر سببه بخل الأب في الدرجة الأولى، في المقام الأول.

الأستاذ راتب:

ما دام تحدثنا عن البخل والشح يقول الله عز وجل:

﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾

(سورة الحشر الآية: ٩)

هناك شح مرض خطير، أنا والله أشبهه بالسرطان، كيف أنه مرض عضال الشح كبير، أخي الكريم سوء الظن من كلا الطرفين أحد أسباب الشقاء الزوجي، نحن نعلم وهذه كثيرة في المجتمع، نحن نعلم أن سوء الظن عصمة كما ورد، وأن الحزم سوء الظن، وإن بعض الظن إثم وكيف نوفق بينهما، العلماء قالوا: إذا في دليل فسوء الظن واجب، إذا لم يكن هناك دليل فسوء الظن إثم، فالذي يجعل سوء الظن إثماً أو حزماً هو الدليل، فإذا ما في أي دليل وأسأت الظن فأنت آثم عند الله لقوله تعالى:

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

(سورة الحجرات الآية: ١٢)

أما إذا في دليل وتعاميت عنه، وتجاهلته فأنا غبي، هكذا، من الغباء أن يكون هناك دليل ويتعامى عنه الإنسان، من هنا ورد أن الحزم سوء الظن، احترس من الناس بسوء الظن هذا احتراس، أما من دون دليل، إثم، مع الدليل حزم.

يروى أن سمكات ثلاثة كن في غدير مر بها صيادان، تواعدا أن يرجعا ومعهما شباكهما ليصيدا ما فيه من سمك، فسمع السمكات قولهما أما أكيسهن فإنها ارتابت وتخوفت ولم تعرج على شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل منه الماء من النهر إلى الغدير فنجت وقالت العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها، الثانية الأقل ذكاء منها بقيت في مكانها حتى عادا الصيادان، فذهبت لتخرج من حيث خرجت رفيقتها فإذا بالمكان قد سد، قالت فرط وهذه عاقبة التفريط غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ثم إنها تماوتت، فطفت على وجه الماء منقلبة تارةً على ظهرها، وتارةً على بطنها، وأخذها الصياد ووضعها على الأرض بين النهر وبين الغدير فوثبت في النهر فنجت، قال له أما العاجزة فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صيدت.

قال تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾

(سورة النساء الآية: ٣٥)

الأمور لا ينبغي أن تصل إلى الشقاق إذا كان هناك بوادر طفيفة جداً على الشقاق ينبغي أن تعالج، فأنا ذكرت هذه القصة في معرض الحديث عن سوء الظن، وعن حسن الظن حينما يكون هناك بوادر أو دليل ولو كان ضعيف ينبغي أن تحتاط، وأن تتحرك، وأن تراقب وأن تدقق، لا أن يكون الزوج آخر من يعلم، فسوء الظن مع الدليل حزم، سوء الظن من دون دليل إثم.

خروج المرأة من البيت أحد أسباب الشقاق الزوجي، كيف ؟ نشأت مشكلة، المرأة خرجت إلى بيت أهلها، أستاذ زهير أصغر مشكلة إذا تبعها خروج إلى بيت الأهل تصبح أكبر مشكلة قد تنتهي إلى الطلاق، وأكبر مشكلة إذا نشبت بين الزوجين إذا بقيت الزوجة في بيت زوجها ربما تطامنت وتقلصت وحلت، لذلك الهجر في المضاجع، قال:

﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾

(سورة النساء الآية: ٣٤)

لماذا قال في المضاجع ؟ إنك إن هجرة زوجتك في غرفة أخرى علم الأولاد المشكلة فأصبحوا عناصر متدخلة، إن هجرتها في بيت أختك علم الأهل، أرادك أن تعاملها فيما بينك وبينها حصراً " وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ " حينما تخرج إلى بيت أهلها وتشتكي على زوجها أصبح الأم والأب والأخوة والعمة والخالة، وكل واحد له رأي، وكلهم يدعونها إلى متابعة النشوز، إذا بقيت في البيت، أول يوم المشكلة كبيرة، ثاني يوم صغرت هذه المشكلة، بعد أيام قال والله أنا لعلي بالغت، فأنا أقول أكبر مشكلة بين الزوجين إذا بقيت الزوجة في بيت زوجها تغدو بعد حين أصغر مشكلة، وأصغر مشكلة بين الزوجين إذا تبعتها خروج من البيت تغدو أكبر مشكلة، وقد تنتهي إلى الطلاق، وأنا أقول حالات لا تعد ولا تحصى من الطلاق كانت بسبب بسيط جداً، تفاقم هذا السبب، طبعاً خلو الزوجة ببعض الأقارب أحد أسباب الشقاق الزوجي ــ هي الاختلاط بشكل عام ــ والله في الإنترنيت وجدت عنوان اعترافات زوجة خائنة فتحت هذا الموقع شيء لا يصدق، زوجة في مصر من أعلى مستوى اجتماعي تحمل الماجستير ولها زوج غني، يعني احتمال أن تخونه واحد بالمليار جاء برجل يحبه كثيراً ميكانيكي يعينه في أعماله، تتدخل في البيت، إلى أن جلس معه على الطعام كل يوم، فحينما صحفي كبير طلب مقابلة هذه المرأة المحكومة بالإعدام، لأنها تآمرت على قتله بعد حين، فقالت لولا أنه سمح لهذا الإنسان الغريب أن يدخل إلى هذا البيت لما خنت زوجي فالاختلاط محرم بالشرع، محرم بنصوص كثيرة جداً، أما حينما نلغي هذا الحكم الشرعي، والأمور متداخلة فيما بين الناس هناك مضاعفات قال له يا رسول الله عظني ولا تطل، قال له: قل أمنت بالله ثم استقم قال: أريد أخف من ذلك، قال إذاً فاستعد للبلاء.

ونحن حينما لا نقف عند حدود الشرع ينبغي أن نستعد للبلاء، وقد يكون البلاء وانهيار الأسرة، ما من انهيار أسرة إلا بسبب مخالفة لمنهج الله ــ الأسرة جزء من المجتمع، إذا انهارت الأسرة انهار المجتمع، وانهيار المجتمع يعني انهيار الدولة ــ يعني هذه بعض النقاط أحياناً الميل لأحد الأولاد دون الآخر، فهو العدل أصل في العلاقة مع الأولاد.

قال: يا رسول الله اشهد أنني نحلت ابني هذا بستاناً، قال عليه الصلاة والسلام: ألك ابن غيره ؟ قال: نعم قال: هل نحلتهم مثل ما نحلته ؟ قال: لا، قال: أشهد غيري فإني لا أشهد على جور. فينبغي أن تعدل حتى في القبل كما قال النبي الكريم، وحتى في النظرات، حتى في بشاشة الوجه، أيام إنسان يبش وجهه أمام ابن ويقطب أمام ابن آخر، هذا يجرحه للأعماق، فإذا كان في

عدل بالمعاملة بين الأولاد من قبل الزوج والزوجة تضعف فرص الشقاق الزوجي، لأنه أحياناً ما الذي يحصل هي تنحاز إلى ابن وهو ينحاز إلى ابن، ويبدأ الشقاق.

فالغياب الطويل عن البيت، الاختلاط، الميل لأحد الأولاد، سوء الظن من دون دليل، بخل الزوج، الطمع المادي بمال الزوجة، التقليد الأعمى شيء مهم جداً، يعني أخت تسكن في بيت جيد صحي، ولها زوج يحبها وتحبه، والأمور طبيعية جداً وفي سعادة كبيرة لها أخت زوجها تاجر كبير، فحينما توازن مستواها بيتها مع بيت أختها، مستوى فرش البيت مع فرش أختها، مساحة البيت مع مساحة بيت أختها، تنشأ مشكلة من التقليد الأعمى، يعطي الله عز وجل الإنسان عطاء بمجموع واحد فقد يعطي إنسان مال كثير ويعطيه الصحة الكافية للتمتع بهذا المال فالمجموع عشرة، وقد يعطيه مالاً قليلاً بصحة وافرة المجموع عشرة فالمجموع ثابت أحياناً، الإنسان لضعف أفقه، ولضيق أفقه، ولسوء ظنه بالله عز وجل يتمنى ما عند الآخرين، فأيضاً التقليد الأعمى أحد أكبر أسباب الشقاق الزوجي، هذه بعض الأسباب طبعاً ذكرتها أصطفاءاً لا

الأستاذ زهير:

الله يبارك فيك أستاذنا الكريم، تحدثنا عن الأسباب، وتحدثنا عن بعض المشكلات وطرحنا بعض الأمثلة أستاذي الكريم، الوقت يعني شبه أدركنا، بقي عشرة دقائق تقريباً، لكن في هذه العجالة سيدي الكريم طالما تحدثنا عن الشقاق الزوجي، ماذا عن السعادة الزوجية ؟

الأستاذ راتب:

بشكل عام يمكن أن يكون عكس هذه الأسباب هي أسباب السعادة الزوجية، لكن أنا أذكر قصة لطيفة جداً لقاضي اسمه شريح، لقيه صديقه الفضيل، قال له: يا شريح كيف حالك في بيتك قال: والله منذ عشرين عاماً لم أجد ما يعكر صفائي، قال وكيف ذلك ؟ قال تزوجت من أسرة صالحة، فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحاً وكمالاً، يعني صلاحاً في دينها، وكمالاً في خلقها، فصليت ركعتين شكراً لله على نعمة الزوجة الصالحة، فلما سلمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي وتسلم بسلامي وتشكر شكري، فلما خلا البيت من الأهل والأحباب دنوت منها فقالت لي على رسلك يا أبى أمية، ثم قامت فخطبت، قالت: أما بعد فيا أبى أمية إنني امرأة غريبة لا أدري ماذا تحب، ولا ما تكره، فقلي ما تحب حتى آتيه، وما تكره حتى أجتنبه، ويا أبى أمية لقد كان لك

من نساء قومك من هي كفئ لك، وكان لي من رجال قومي من هو كفئ ولكن كنت لك زوجة على كتاب الله وسنة رسوله ليقضي الله أمراً كان مفعولا، فاتق الله فيّ، وامتثل قوله تعالى:

﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾

(سورة البقرة الآية: ٢٢٩)

ثم جلست، ثم قعدت، فقام أبو أمية زوجها، فألجأتني إلى أن أخطب، يعني ما كان يتمنى أن يخطب في هذا الموقف، قال وقفت وقلت: أما بعد فقد قلت كلاماً إن تصدق فيه وتثبت عليه يكن لك ذخراً وأجراً وإن تضعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا وما وجدت من حسنة فانشريها، وما وجدت من سيئة فاستريها، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إني أكره المرأة تخرج من بيتها تشتكي على زوجها، ولا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر زوجها وهي لا تستغني عنه، وأيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس لن ترح رائحة الجنة))

قال وما وجدت من حسنة فانشريها، وما وجدت من سيئة فاستريها قالت كيف أزور أهلي وأهلك، قال نزورهم غباً مع انقطاع بين الحين والحين لئلا يملون، وفي الحديث الشريف زر غباً تزدد حباً، قالت فما من الجيران تحب أن أسمح لهن بدخول بيتي ومن تكره، قال بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم غير ذلك، قال وعدت إلى البيت في أحد الأيام بعد عام من زواجي فإذا أم زوجتي عندنا، رحبت بها أجمل ترحيب وكانت قد علمت من ابنتها أنها في أهنأ حال، قالت يا أبى أمية كيف وجدت زوجتك ؟ قلت والله هي خير زوجة، قالت يا أبى أمية ما أوتي الرجال شيئاً أسوء من المرأة المدللة فوق الحدود، فهذب ما شئت أن تهذب وأدب ما شئت أن تؤدب، ثم التفتت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة، ومضى علي عشرون عاماً لم أجد من زوجتي ما يعكر صفائي إلا ليليةً واحدة كنت فيها أنا الظالم.

هذه أخلاق السلف الصالح، حينما يتق الله في زواجه يسعده الله في زوجته وحينما لا يتق أحد الزوجين ربه ينشأ الخلاف والشقاق بينهما.

الأستاذ زهير:

أستاذي الكريم إذا هناك أي نقطة تحب إضافتها، أو إيضاحها قبل أن نختم هذا اللقاء.

الأستاذ راتب:

سيدي أولاً التعبير عن الحب أحد أسباب السعادة الزوجية، أنا لمست هذا من قول النبي عليه الصلاة والسلام لأحد أصحابه، لما قال أحد الأصحاب، وقد مر رجل وقال والله إني أحبه، قال هل أعلمته بهذا، قال لا، قال اذهب فأعلمه، أي إذا في زوجة مخلصه تعتني بهندامها، تعتني ببيتها، بأولادها، لمَ لا يعبر زوجها عن إعجابه بها، لمَ يبق صامتاً، لمَ تطول المكالمة في أيام الخطبة إلى ستة ساعات ثم بعد الزواج لا ينطق ولا بكلمة، فلذلك التعبير عن الحب هو من أسباب السعادة الزوجية، الثناء على عملها، إن في هندامها، وإن في بيتها، وإن في نظافة البيت،

وإن في العناية في الأولاد، أيضاً يشجعها على متابعة خدمة الزوج، الجلوس معها والإنصات إليها، هناك من يجلس مع زوجته لكن لا يصغي إليها بيده مجلة، أو يتابع شيء، أو يقرأ، أو يستخدم الكمبيوتر، فهذا ليس جلوساً، الجلوس ولو لنصف ساعة كل يوم تجلس أمامها وهي أمامك وتتحادثان، هذا أيضاً مما يمتن العلاقة، لو أنك رأيتها متعبة منهكة مريضة جئت لها بطعام من السوق، راعيت شعورها، وراعيت متاعبها وراعيت وضعها الصحي، هذا يمكن العلاقة بينهما، حينما تأخذها من حين لأخر إلى نزهة منضبطة وفق منهج الله، إن لم تكن النزهة منضبطة وفق منهج الله قد تكون سبب للشقاء الزوجي، اختلاط، ونساء كاسيات عاريات، وعينه عليهن، وهي تغار عليه، وهي عينها على الرجال والغناء يصدع النزهة المنضبطة وفق منهج الله تمتن العلاقة بين الزوجين، وتخفف متاعب الحياة، وتجدد النشاط، في أشياء أخرى يمكن أن تكون معينة على السعادة الزوجية، أنت سافرت ينبغي أن تتصل بها إذا سافرت إلى خارج البلدة ينبغي أن تتصل بها، وأن تعطيها رقم الهاتف فهذا يشعرها أنها تحتل مكانة في قلبك، إذا كنت متأخراً ينبغي أن تتصل بها لتعلمها أنك متأخر، أما أن تنتظر حتى الساعة الواحدة، وأنت منغمس مع أصدقائك في حديث ممتع، هذا شيء يسبب المتاعب، إذا سافرت إلى مكان بعيد ينبغي أن تعلمها كم تفتقدها، وكم لها من مكانة عندك، وكم أن العيش من دونها لا يطاق مثلاً، حينما تأتي من سفر ينبغي أن تخبرها متى تأتي، لا أن تفاجئها، وقد علمنا النبي عليه الصلاة والسلام أنه إذا كان في غزو يقيم في ظاهر المدينة يوماً كي يعلم كل من في المدينة أنه قد اقترب اللقاء، أما أن تفاجئ، الآن بالهاتف تحل القضية التعاطف مع مشاعرها يسبب الود بين الزوجين، قد تكون مضطربة، قد يكون قد توفي أحد أقرباءها، أنت تمرح وتضحك في البيت، تكون في وضع بعيد عن مشاعرها هذا يسبب الشقاء الزوجي، أن تقدم لها هدية من حين إلى آخر بشكل مفاجئ لو أنها رمزية، هذه تمتن العلاقة بين الزوجين لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((تهادوا تحابوا))

يعني إن كانت مريضة اطمأن عن أحوالها، عن وضع مرضها عن الأدوية، هل تناولتها، عن أوقات الأدوية هل زرت هذا الطبيب، هذا الاهتمام يسبب هذه السعادة بالإضافة إلى توجيهات القرآن.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(سورة النساء الآية: ١٩)

قال علماء التفسير: ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها بل أن تحتمل الأذى منها.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

(سورة النساء الآية: ٣٤)

قائمون على إدارة البيت، وخدمة أهل البيت، والإنفاق على البيت ورعاية البيت وضبط البيت، ومراقبة الأولاد، ليست القوامة استعلاءً ولا تغطرساً، ولا قمعاً، ولا شدةً، ولا كبراً، القوامة خدمة، كما قال سيدنا عمر لست خيراً من أحدكم لكني أثقلكم حملاً.

هذه بعض التوجيهات العامة في القرآن والسنة، بعض التوجيهات الخاصة المستنبطة من واقع الحياة الزوجية.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية – قناة سوريا الفضائية – الايمان هو الخلق – الدرس (٨٢-٩٥) – مقومات التكليف : الأسرة ـــ أسباب الشقاق الزوجي ـــ التقليد الأعمى أحد أسباب الشقاق الزوجي

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-١٠-٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تذكيرٌ وربطٌ :

سيدي ، كنا قد ارتحلنا وإياكم مع السادة المشاهدين في قضية هامة ، ومسألة في منتهى الخطورة تدب في أُسَرنا ، وفي مجتمعاتنا الصغيرة ، التي تشكل المجتمع الكبير ، تتسل هذه القضايا إلى ذلك المجتمع الصغير انسلالاً دون أن نتنبه إلى مواطن الخلل ، وإلى الشكوك التي تأتي منها هذه الرياح السموم ، هذه القضايا ولفترة وجيزة تعصف بالأسرة ، وتدمر أركانها ، وهي التي أرادها الله ، وأرادتها الشرائع أن تكون أسرة متوازنة متهادية متحابة ، تتعاون على الخير ، وتتعاون على البر ، وتتعاون على البناء ، هذه القضايا تأتي لتشكل جَبلاً أمام ناظري الزوجين ، لا يستطيعان زحزحة لا يمنة ولا يسرى ، فإذا بالشقاق الزوجي يأتي على هذه الأسرة ، ويدمر هذه الأسرة ، كما تعصف رياح في خيام غير ثابتة ، والنتيجة أن الأولاد هم الذين يتحملون كل هذا الضنك ، وكل هذا العناء .

سيدي وصلت إلى مجموعة الأسباب التي تؤدي إلى الشقاق الزوجي ، عند مسألة هامة ، قبل كل شيء نلخص بعض الأشياء التي مرت معنا ، ثم نأتي إلى التقليد الأعمى .

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

ضعفُ الدين أهم أسباب الشقاق الزوجي :

أستاذ علاء جزاك الله خيراً ، بادئ ذي بدء قلنا : في الأخبار موجز وفيها تفاصيل ، أنا أرى أن موجز الأسباب المتعلقة بالشقاق الزوجي ضعف الدين ، ضعف الالتزام ، ضعف معرفة مهمة الإنسان في الحياة ، ضعف معرفة المهمة التي كلف بها ، ضعف الإيمان باليوم الآخر .

حينما يؤمن الإنسان باليوم الآخر أُقسم لك بالله ولا أبالغ تنعكس كل مقاييسه مئة وثمانين درجة ، إن آمن باليوم الآخر يسره العطاء ، يسره أن يبث الأمن فيمن حوله ، يسره أن يعطي لا أن يأخذ،

يسره أن يؤلِّف لا أن يفرِّق ، يسره أن يقدّم خدماته لكل من حوله ، لا أن يعيش على أنقاضهم ، هذه القضية في الأساس تصور صحيح أو خاطئ .

الأستاذ علاء :

مَن سرّته حسنته وساءته سيئته .

الدكتور راتب :

التصور الصحيح قاعدة مهمة للنجاح :

إن تصور الإنسان أنه في دار تكليف سوف يدفع فيها ثمن جنة عرضها السماوات والأرض يبني حياته على العطاء ، يبني حياته على الصبر ، يبني حياته على الإحسان ، يبني حياته على الرحمة ، وفي الأساس الإنسان حينما يجهل سر وجوده ، وغاية وجوده يصبح شرساً ، أحياناً يعبد لذّته ، ويعبد هواه ، فإن لم تأتِ الأمور كما يتمنى ضاق بها ذرعاً ، فلذلك حينما يصح الإيمان ، ويستقيم السلوك تحل كل فصول الإنسان ، وزواجه أحد فصوله ، لأن الله عز وجل يقول :

﴿ مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ﴾

(سورة النساء الآية : ١٧٤)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

(سورة فصلت)

الله بيْن الزوجين المسلمَيْن ، وبين غيرهما المصالح الدنيوية :

فأنا أقول : في أصل الزواج الإسلامي اللهُ بيْن الزوجين ، في أيّ زواج آخر ليس بينهما الله ، بل بينهما مصالح متبادلة ، فإن ضعفت هذه المصالح كان الشقاق ، في الزواج الإسلامي الله بين الزوجين ، كل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر ، وكل طرف يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر ، لذلك من أروع ما قرأت حول قوله تعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ (١٩)﴾

(سورة النساء)

قال علماء التفسير : ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها ، بل أن تحتمل الأذى منها ، وأنت تعيش معها لرسالة .

١ – ضعفُ الإيمان والاستقامة ينعكس سلبًا على بيت الزوجية :

هذه أم أولادك ، هذه شريكة حياتك ، هذه قبلَت وضعك المادي الضعيف ، فلما اغتنيت أصبحتَ لا ترضاها ، القضية قضيةُ وفاء ، قضية أخلاق ، قضية محبة ، قضية إيمان ، لذلك الحقيقة الدقيقة أن الإنسان إذا ضعف إيمانه ، وضعف التزامه ، وضعفت استقامته ينعكس هذا على بيته .

٢ – خيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ :

قد بينت في لقاء سابق بمعيتكم مقياسَ الخُلق الذي أراده النبي في البيت ، الإنسان خارج البيت يتجمّل ليكون أنيقاً ، يبتسم ، يعتذر ، لأن مصلحته تقتضي ذلك ، أما في البيت فلا رقيب عليه ، فقد يكون شرساً ، وقد يكون قاسياً ، وقد يكون عنيفاً ، وقد لا يهتم بمشاعر الآخرين ، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم :

((خيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[الترمذي]

عدم الكفاءة بين الزوجين من أسباب الشقاق :

لو طلبت مني بعض التفاصيل في الحلقات السابقة ، والجهل أعدى أعداء الإنسان ، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، ثم ضعف الإيمان ، ثم التعالي ، والتعالي يتأتى أحياناً من عدم الكفاءة بين الزوجين ، وتحدثت عن الكفاءة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، فهذه بعض أسباب الشقاق الزوجي ، وهي كثيرة جداً ، وأنا أرى أن هذا الموضوع يمس معظم الأسر التي شردت عن الله عز وجل ، وصار البيت جحيماً لا يطاق .

الأستاذ علاء :

سيدي ، مسألة الكفاءة التي مررنا عليها في حلقة سابقة ، هل نستطيع أن نستقرئها من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

الدكتور راتب :

إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ :

سبحانك يا رب على هذه التفرقة بين الدِّين والخُلق ، هو يصلي ، ويؤدي زكاة ماله ، ويحج بيت الله الحرام ، ويصوم رمضان ، لكنه قاسٍ ، لكنه يحب لنفسه كل شيء ، لكنه لا يرحم ، فلذلك كأن الدين والخلق شرطان ، كلٌّ منهما شرط لازم غير كاف ، فالخُلق من دون دِين مشكلة كبيرة جداً ، لأن الإنسان الذكي جداً يجد مصلحته في أن يكون صادقاً أميناً ، فيبتغي الدنيا فقط ، أما إذا مست مصلحته فيصبح ثوراً هائجاً ، كما نرى في العالم الغربي اليوم ، قيم وحضارة ومبادئ ، ولما مسّت مصالحهم انقلبوا إلى وحوش ، فالبطولة لا أن أكون أخلاقياً بدافع الذكاء أو بدافع المصلحة ، بل أكون أخلاقيًّا بدافع العبادة لله عز وجل ، أخلاقيا تعبداً للدنيا والآخرة معاً ، أما الذكي فينال الدنيا وحدها فقط ، لكن ما له :

﴿ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ ﴾

(سورة البقرة الآية : ٢٠٠)

((إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

لكن الملمح في الحديث خطير جداً ، الملمح في تتمته :

((إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))

يا تُرى إذا وضعنا عراقيل أمام الزواج فهل تنعدم العلاقة بين الذكر والأنثى ؟ لا تنعدم ، بل تنتقل من القناة النظيفة المشروعة الرائعة التي جاء بها هذا الدين القويم إلى قناة نجسة سيئة هي السفاح ، لأن المرأة إما زوجة ، إمّا عشيقة ، وفي الإسلام الزواج هو القناة النظيفة .

كنت أقول دائماً : ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناةً نظيفة تسري خلالها ، فيجب أن يعتقد الإخوة الكرام أنْ ليس في الإسلام حرمان ، لأن هذا الدين دين الفطرة :

((أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[البخاري عن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

لذلك هناك قصص لبعض العلماء أنه : صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين عاما ، أنا لا أصدقها، وفيها مبالغة غير واقعية ، الجسم له قوانين ، هل تستطيع ألاّ تنام ؟

الأستاذ علاء :

إلا إذا نام في النهار كله .

الدكتور راتب :

((أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[البخاري عن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

الإسلام دين الفطرة ، دين الواقع ، دين الحياة .

كنت أقول دائماً : الحق دائرة يتقاطع فيها أربعة خطوط ، خط النقل الصحيح ، والعقل الصريح، والفطرة السليمة ، والواقع الموضوعي ، أي أن الحق ما جاء به النقل الصحيح ، وقبِله العقل الصريح ، وارتاحت له الفطرة السليمة ، وأيَّده الواقع الموضوعي .

الأستاذ علاء :

سيدي الكريم ، كما تفضلت ، أن الشهوة ، وخاصة رغبة الرجل بالمرأة ، والمرأة بالرجل ، إن لم تنفذ بالطرق النظيفة والشرعية اتجهت نحو طرق غير شرعية ، كالماء عندما لا تصرف هذه الكمية من الماء في قنوات ، ومن خلال سدود تنقلب دماراً وتجريفاً للتربة والبيوت والإنسان والحجر والبشر .

الدكتور راتب :

لابد للشهوة أن تنفجر ، لكن في أيّ مكان ؟

وكنت أقول دائماً كلاما قريبًا من هذا الكلام : الوقود السائل في المركبة إن وضع في المستودعات المحكَمة ، وسال في الأنابيب المحكَمة ، وانفجر في الوقت المناسب ، وفي المكان المناسب ولّدَ حركة نافعة ، أقلّتك أنت وأهلك إلى مكان جميل ، السائل نفسه إذا صُب على المركبة أعطى شرارة فأحرقت المركبة ومَن فيها ، هذه الشهوة إما أنها قوة نافعة رائعة ، أو قوة مدمرة ، والمحرَّمات كلوحة كتب عليها : " حقل ألغام ، ممنوع التجاوز " ، هل يشعر المواطن إن قرأ هذه اللوحة أن هذه اللوحة قيَّدت حريته ، أم ضمنت سلامته ؟

الأستاذ علاء :

إن فهمها تقيداً للحرية يكون جاهلاً .

الدكتور راتب :

وإن فهِمها ضمان لسلامته يكون عالما .

مثل آخر : هذه السيارة لماذا صنعت ؟ من أجل أن تسير ، ولماذا المكبح ؟ المكبح نظرياً أو إيديولوجياً يتناقض مع علّة صنع السيارة ، المكبح من أجل سلامتها ، يوقفها ضماناً لسلامتها ، وكنت أقول ردًّا على من يزعم أن الحجاب رمز إسلامي : الحجاب كالمكبح في السيارة ، وهو جزء أساسي في السيارة ، وليس رمزاً .

الأستاذ علاء :

سيدي ، هذه الأسرة تبين من خلال حديثكم كيف يأتيها الشقاق من خلال أسباب ، وهذه الأسباب عند كثير من الأزواج نتيجة الجهل كما تفضلت ، لا يتنبهون إليها ، أو لا يصغون سمعاً إليها ، وصلنا إلى التقليد الأعمى ، وتحدثنا عن الكفء ، كما تفضلت ، وعن الجهل ، وعن ضعف الإيمان ، وأشياء كثيرة ، وصلنا إلى التقليد الأعمى ، كيف يكون التقليد الأعمى جسراً للشقاق الزوجي .

الدكتور راتب :

كيف يكون التقليد الأعمى سببًا للشقاق الزوجي ؟

أحياناً تكون الزوجة مع زوجها أسعد الناس به ، يحبها وتحبه ، يقدرها وتقدره ، ولهما بيت يؤويهما ، ولهما مركبة صغيرها يستعملانها ، ولهما دخل معقول يغطي نفقاتهما ، لكن لها جارة، أو أخت ، أو قريبة ، أو بنت خالة ، أو بنت عمة ، زوجها تاجر كبير ، بيتها مساحته أربعمئة متر ، الأثاث ، التزيينات ، الحفلات ، الولائم ، هي تضغط على زوجها بشكل أو بآخر كي تقلِّد هذه الجارة ، أو تلك الأخت ، أو تلك بنت الخالة ، هو سعيد بها ، وهي سعيدة به ، ولكن هذا الضغط المستمر من أجل أن تتباهى ، وأن تتظاهر بالرخاء والغنى تحطم سعادتها الزوجية ، هذه أخطر مشكلة ، لذلك المؤمن لا يقارن نفسَه مع آخر .

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ (٣٢)﴾

(سورة النساء)

لابد للأزواج من الرضى بما قسم الله لهم :

لا تتمنوا ، لأن الحياة مؤقتة ، وأيّ مستوًى مادي في الدنيا ينتهي عند الموت ، فالموت ينهي كل شيء ، ينهي قوة القوي ، وضعف الضعيف ، وغنى الغني ، وفقر الفقير ، ووسامة الوسيم ، ودمامة الدميم ، وذكاء الذكي ، ومحدودية المحدود ، ينهي كل شيء ، فنحن خلقنا للآخرة ، فلذلك قد تجد بيتا متواضعا جداً أثاثه متواضع جداً ، فيه سعادة زوجية لو وُزّعت هذه السعادة على أهل مدينة لكفتهم ، وبيت آخر يضجّ بالتحف ، بقيمة الملايين في الصالونات والشرفات والحدائق والأبهاء ، وفيه مركبتان أو ثلاث فارهة ، لكن هذا البيت قطعة من الجحيم ، لأن النقطة الدقيقة جداً أن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خَلقه ، ولكنه يعطي السكينة بقدرٍ لأصفيائه المؤمنين ، فالرضا أحد أسباب السعادة ؛ أن تكون راضيًا عن الله فيما أقامك ، أقامك بشكل معين ، أقامك بقدرات معينة ، أعطاك هذه الزوجة هي هدية من الله ، أعطاكِ هذا الزوج هو هدية من الله عز وجل .

حينما أرضى عن الله أكون قد حققت أحد أسباب السعادة ، والرضا مقام ، والرضا أحد مدارج السالكين ؛ أن ترضى عن الله عز وجل ، والزوجة حينما ترضى بزوجها تسعد به .
المشكلة مثلاً : أن الزوجة يأتيها أخوها ، بيتها صغير ، يقول لها : كيف تعيشين في هذا البيت ؟ ينكِّد عليها حياتها ، لذلك :

((مَن فرَّق فليس منا))

الجامع الصغير عن معقل بن يسار بسند موضوع ، وله شواهد أخرى في الترمذي وأبي داود]

هذا حديث دقيق جداً .

حينما تلقي كلمة قد لا تلقي لها بالاً :

((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ))

[الترمذي]

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ :

((مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا ، قَالَتْ :فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ ، وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا ، كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً ، فَقَالَ : لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمُزِجَ))

[الترمذي ، أبو داود ، أحمد]

والله مرة زرتُ أحد إخواننا ، غرفة الضيوف عنده تتسع لشخصين أو ثلاثة فقط ، كهذه الطاولة، هو استحيا ، قلت : لا تستح ، سيد الخلق ، وحبيب الحق غرفته التي كان ينام فيها لا تتسع لصلاته ونوم زوجته ، أنا طمأنته أن هذه القضية لا قيمة لها إطلاقاً ، العبرة أن تكون مطيعاً لله :

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾

(سورة الأحزاب)

التقليد الأعمى يدمر السعادة الزوجية .

بين السعادة واللذة :

أنا مضطر الآن أن أفرق بين شيئين بين السعادة واللذة :
اللذة إحساس مادي ، تحتاج إلى أشياء خارجة عن الإنسان ؛ إلى مال ، إلى صحة ، إلى وقت ، أساسها بيت واسع جداً ، مكيف ، مدفّأ ، فيه كل الأجهزة ، له إطلالة رائعة ، أساسها مركبة فارهة جداً ، أساسها دخل كبير فلكي ، سفر ، رحلات ، فنادق ، إلى آخره .

أما السعادة فتنبع من الداخل ، ولا تحتاج إلى شيء خارجي إطلاقاً ، لذلك قد تكون في أضيق بيت ، وأنت في قمة السعادة ، بعضهم قال : هذه السكينة وجدها إبراهيم وهو في النار :

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾

(سورة الأنبياء)

وجدها أهل الكهف في الكهف ، ووجدها النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء .

هذه السكينة أستاذ علاء تسعد بها ولو فقدتَ كل شيء ، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء ، إنها الصلة بالله عز وجل ، والزوجان حينما يؤمنان الإيمان الصحيح ويتصلان بالله يعيشان حياة والله الذي لا إله إلا هو يتمناها أغنى أغنياء العالم ، كيف نفسر أن أعلى نسب انتحار في العالم في الدول الغنية جداً ؟ في السويد والدانمارك والنرويج ، لأن الإنسان نهائي مصمم للآخرة ، فإذا اختار بحمقه هدفاً محدوداً بعد حين استوعبه وملّ منه ، وأنا أفسر كل انحرافات الجنس في العالم الغربي لا لأن الذي انحرفوا إليه أمتع من الذي انحرفوا عنه ، إلا أن الملل والسأم أهلكهم ، والإنسان طاقاته كبيرة جداً ، اختار هدفا ماديا محدودا ، فلما استوعبه ، وختمه ، وأحاط به شعر بالملل .

أنا أقول لمن شرد عن الله : يسعد أول فترة في حياته ما دام يعيش الأحلام ، يحلم في زوجة معينة ، في بيت معين ، بدخل معين ، بمركبة معينة ، لما تتحدد زوجته ، وبيته ، ومعاشه يشعر بالفراغ ، أما المؤمن فلا يشيخ أبداً ، بل يصل إلى سن التسعين وهو شاب ، لأن هدفه كبير ، وكان الشيخ بدر الدين الحسني ــ رحمه الله ــ لما يمشي أمام مقهى يقول : " سبحان الله ! لو أن الوقت يشترى من هؤلاء لاشتريناه منهم " .

فلذلك التقليد الأعمى أساسه اللذة ، واللذة تحتاج إلى وقت ، وإلى صحة ، وإلى مال ، لحكمة بالغة هذه الأشياء الثلاثة لا يمكن أن تجتمع في وقت واحد ، ففي بدايات العمر لا يتوفر المال ، وتتوفر الصحة والوقت ، وفي منتصف الحياة الوقت قليل ، لكن هناك صحة ومال ، وفي النهاية لا صحة ، مع وجود المال والوقت .

حينما تتعرف إلى الله ، وتسعد به ، وتصطلح معه تنطلق بسعادة لا توصف ، لأن هدفك معك دائماً ، وهدفك واضح ، والوسائل واضحة .

إنسان في محل تجاري ، أسّسه حتى يربح ، والبيع على أشدِّه ، هو تعبان ، لكن يحقق هدفه الكبير ، لو أن البيع قليل ، وجلس ، وارتاح ، وأحضروا له القهوة والشاي والصحف والمجلات لا يرتاح .

الأستاذ علاء :

سيدي ، من خلال ما مر كما تفضلت هنالك نقطة حينما يحس بالسعادة ، ويرضى عن ربه ، ثم يقنع بما لديه ، وقد يتساءل شخص ، أو قد ينفذ لهذا المعنى رأي للانتقاد : أن هذه القضية تدعو إلى الكسل ، وتدعو أن نرضى بهذا المرتقى ، وألا يكون لنا طموح في الحياة .
الدكتور راتب :

الاقتناع بالموجود لا يعني الكسل وعدم الطموح :

أنا أشكرك على هذا السؤال ، وهذه المداخلة ، الحقيقة يجب أن ترفع مستواك ، وأنا أقول هذا الكلام : حينما تبذل كل ما تستطيع من جهد لترفع المستوى ، ولا يتاح لك شيء لحكمة إلهة أرادها الله ، عندئذ ارضَ عن الله ، لكن إذا كان الدخل قليلا ، وعندي أولاد ، حينما أسعى إلى رفع دخلي ، وحينما أعطي أولادي حاجاتهم ، وحينما أربطهم بي ، وحينما أحقق لهم طموحهم فهذا لا ينافي القناعة ، فحبذا المال أصون به عرضي ، وأتقرب به إلى ربي .
أنا أقول : حينما أبذل كل ما أستطيع ، وأصل إلى هنا لحكمة أرادها الله لم أستطع أن أتابع ، عندئذ أرضى ، أما أن أرضى بمستوى بإمكاني أن أرفعه فهذا لا ينبغي ، لذلك قالوا : أصلح دنياك ، واعمل لآخرتك ، فيمكن أن توسع البيت ، عندك بنات ، وعندك شباب ، يمكن أن تجعل البيت صحيا وتوسّعِه ، وأن تقتني مركبة تريح أولادك ، وتأخذهم في نزهة كل أسبوع ، هذا شيء مطلوب ، أنا لا أرضى أن أكون بمستوى أقل من غيري إلا في الأشياء التي لا ترضي الله عز وجل ، أما أنا أسعى لرفع مستوى دخلي فهذا شيء طبيعي جداً ، لكن أنا أقول : في العالم الغربي إذا طمح الإنسان في شيء ، وما وصل إليه ينتحر ، لكن المؤمن لا ينتحر ، بل المؤمن يحمد الله على كل شيء .
الأستاذ علاء :
سيدي هذه الحلقة تبث ونحن نعيش أول العام الدراسي ، وأول ورود أبنائنا طلبة وتلاميذ إلى مدارسهم ، وتعلم سيدي الكريم أن المدارس ، ورغم أن التعليم في مجمله مجاني ، هنالك مدارس خاصة ، هنالك تكاليف ، فعلى الأهل أن يقتنوا الوسائل لأولادهم من ملابس ومن أشياء للرياضة، ومن دفاتر وأقلام ، رغم أن التعليم في سوريا والحمد لله مجاني ، ولا يكلف الأهل الانتساب إلى مدرسة عامة أيّ مبلغ من المال ، هنالك في هذا المنحى التقليد الأعمى ، قال علماء النفس :

هنالك حاجات وهمية ، وهنالك حاجات أساسية أو حقيقية ، ويريد هذا الولد حذاء للرياضة ، يريد ثيابا للرياضة ، يريد صدرية ، يريد ملابس للمدرسة ، يريد أقلاما ، هنالك قلم ثمنه كذا في السوق ، وهو من نوع معين ، كما قلنا في التقليد الأعمى ، هنالك حذاء للرياضة بماركة عالمية جد غالية ، يصل ثمن الحذاء إلى خمسة عشر ألف ليرة سورية ، وهناك حذاء من إنتاجنا ، وهو جيد ، هنا تبدأ الأم بالتقليد الذي تفضلت به فتضغط على زوجها .

الدكتور راتب :

بل هي تضغط أكثر فأكثر .

الأستاذ علاء :

لتشتري لأولادها كما عند جيرانها أو أقرانها في المدرسة من تلك الماركة ، أو ذلك المصنع ، ماذا نقول ؟

الدكتور راتب :

النفقة بالموجود مع عدم تكلُّف المفقود :

سيدي ، هناك ملاحظة علمية : سجادة وطنية من الصوف ، ولها نقش جميل جداً ، ثمنها بالآلف، وهناك سجادة ثمنها ثمانمئة ألف ، وهي أجمل ، الفرق في الجمال بالمئة عشرة ، أما الاستعمال فهما سواء ، والاستعمال واحد ، صوف عازل دافئ في الشتاء ، وفيها جمال ، لكن ليس كالسجادة التبريزية أو الحرير ، دائماً عندنا مستوى استعمال ومستوى جمال ، والفرق في السعر كبير جداً ، فقد يكون مئة ضعف ، أما الفرق في الاستعمال فقد يكون عشرة بالمئة ، وحينما أقنع مَن حولي أن هذه الأشياء بأسعار معقولة نعيش حياة سعيدة كلنا .

عندنا نفقات معالجة طبية ، ونفقات نزهات ، ونفقات ألبسة ، وحين أضع كل دخلي للمظاهر يكون عندي حمق ، وهذه كلمة قاسية ، لكنها كلمة حق ، فلابد من الإنفاق بمستوى دخلي :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩)﴾

(سورة الإسراء)

هذه تحتاج إلى إقناع من قِبل الأب والأم ، ونحن لا نوازن نفسنا مع الآخرين .

على الأغنياء مراعاة مشاعر الفقراء و ظروفهم :

أنا أتمنى لأصحاب الدخل المفتوح غير المحدود ألاّ يفسدوا أبناء أصحاب الدخل المحدود في المدارس ، فإذا اشتريت فاكهة فأهدِ منها لجارك ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ ولده ، ولا تؤذه بقتار قِدرك إلا أن تغرف له منها .

أنا أعطي ابني خمسمئة ليرة في الروضة ، والفقير أخذ من أبيه خمسين ليرة ، هذا عمل أنا لا أراه منطقياً إطلاقاً ، أو أعطي ابني أكلات مستوردة القطعة ثمنها مئة ليرة ، بل أعطي ابني عشرين ليرة ليشتري قطعتي حلوى ، فالذي أسرف بإعطاء ابنه المدلل الذي لا يحتمل أعطاه هذا المبلغ الكبير قد أفسد به عشرات الطلاب الذين حوله .

عندنا موقف كامل من أصحاب الدخل غير المحدود ، أطعم ابنك ما تشاء في البيت ، اشتر له أي لعبة تشاء في البيت ، أما أن تجعله هو طفل صغير يغيظ أصدقاءه ، أن تجعله يملأ قلب أصدقائه حقداً وحسداً ، فهذا شيء غير معقول ، وبصراحة يجب أن تعطيه فاكهة مما يأكل منها كل الناس ، تفاحة ، أما فاكهة غالية جداً ، أو قطع حلويات غالية جداً ، ومعه خمسمئة ليرة فهذا طفل جاهل يريد أن يفتخر ، ويقول : معي خمسمئة ليرة ، يشتري أشياء غير معقولة .

كما أن الفقير عليه أن يعتدل بإنفاقه عليه أن يشتري الشيء المناسب بالوقت المناسب ، وعلى أصحاب الدخل غير المحدود أن ينتبهوا لهذه الناحية ، ولا تؤذه بقتار قدرك ، إلا أن تغرف له منها ، وإذا اشتريت فاكهة فأدخلها سراً ، هكذا كان السلف الصالح ، يضع بعضهم غطاء من قماشٍ فوق السلة ، والمفروض من المؤمن أن يكون عنده إحساس عالٍ جداً ولو كان غنيًّا .

واللهِ أقول لك أستاذ علاء : المؤمن الغني تشتهي الغنى منه ، وقد قيل : " العدل حسن ، لكن في الأمراء أحسن ، والسخاء حسن ، لكن في الأغنياء أحسن ، والورع حسن ، لكن في العلماء أحسن، والتوبة حسن ، لكن في الشباب أحسن ، والصبر حسن ، لكن في الفقراء أحسن ، والحياء حسن ، لكن في النساء أحسن " .

الأستاذ علاء :

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية – قناة سوريا الفضائية – الايمان هو الخلق – الدرس (٨٣-٩٥) – مقومات التكليف : الأسرة ــ أسباب الشقاق الزوجي ــ ميل أحد الأبوين إلى أحد الأولاد

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-١٠-١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ علاء :

سيدي الكريم توقفنا عند مسألة هامة ودعني أبدأ هذه الحلقة بقوله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا(٥٤)﴾

(سورة الفرقان)

تحدثنا عن الأسرة وعن أهمية الأسرة وعن الرباط الأسري ، وتحدثنا في حلقات أخرى عن المودة والرحمة وجعل بينكم مودة ورحمة ، ثم تحدثنا عن المظاهر التي نراها في المحاكم الشرعية نتيجة الشقاق الزوجي ، وتحدثنا عن أسباب الشقاق الزوجي بدأنا بضعف الإيمان بالله ، ضعف القناعة ، ضعف الإيمان باليوم الآخر ، التعالي ، الجهل ، سوء التصرف ، وتحدثنا عن التقليد الأعمى وهذا ما يورث الشقاق الزوجي ، ماذا عن إجمال هذه الموضوعات لنبتدئ بموضوع هام هو ميل أحد الأبوين إلى أحد الأولاد .

بطولة كل إنسان لا أن يعالج أعراض الداء بل أصل هذا الداء :

الدكتور راتب :

سيدي أحياناً يكون عندنا التهاب عميق بالجهاز الهضمي لهذا الالتهاب العميق أعراض ، ارتفاع حرارة ، أحياناً صداع ، أحياناً ارتفاع حرارة مع برودة (بردية)، فالبطولة لا أن تعالج هذه الأعراض أن تعالج أصل الداء ، فنحن قلت في حلقة سابقة الأصل أن هذا الإنسان غفل عن الله ، غفل عن سرّ وجوده ، غفل عن غاية وجوده ، غفل عن حقيقة الزواج قال سيدنا عمر : أقوم إلى زوجتي ، وما بي من شهوة إلا ابتغاء ولد صالح ينفع الناس من بعدي .

المؤمن يرجو من الزواج ما لا يرجوه غير المؤمن

هناك أهداف نبيلة جداً ، أنا سبحان الله في عقود القران أحياناً أذكر آية ما لها علاقة بالزواج إطلاقاً متعلقة بالجهاد لماذا أذكرها في موضوع الزواج ، ما الآية ؟

﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ(١٠٤)﴾

(سورة النساء)

يعني أي شاب أقدم على الزواج أمامه متاعب كبيرة جداً ، تأمين البيت ، تأسيس البيت ، تأمين الحلي للمخطوبة ، الحفلات ، تكاليف فوق طاقته ، أي إنسان أقدم على الزواج أمامه متاعب لا تعد ولا تحصى ، لكن المؤمن يرجو من الزواج ما لا يرجوه غير المؤمن :

﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ (١٠٤)﴾

(سورة النساء)

أسعد الناس في الدنيا أرغبهم عنها وأشقاهم فيها أرغبهم فيها :

لذلك موضوع أسباب الشقاق الزوجي أصلها جهل الإنسان بسر وجوده ، وغاية وجوده ، جهل الإنسان برسالته في الحياة لماذا الزواج ؟ ليس للمتعة ، المتعة موجودة ، لكن ليس للمتعة وحدها والفلاسفة ذكروا حقيقة خطيرة جداً ، الإنسان حينما يتوهم أن اللذة تسعده سوف تشقيه ، إن أسعد الناس في الدنيا أرغبهم عنها وأشقاهم فيها أرغبهم فيها ، أنت حينما تعتقد أن اللذة تسعدك هذا أكبر خطأ ، لذلك قالوا : مبدأ اللذة إذا أصبح هدفاً انقلب إلى مبدأ ألم.

فلذلك الزواج برسالته راقٍ جداً ، برسالته سامٍ جداً ، برسالته مسعد جداً لكن من دون رسالة متعة ، الزوجة تمل ، والزوج يمل ، وكل شيء يمل في الحياة ، مادام لا يوجد رسالة ، لا يوجد هدف كبير كل شيء ممتع بدون رسالة يمل ، لذلك ورد في بعض الأحاديث:


الزواج سام برسالته وراق جدا

((أَنّ رَسُولَ اللّهِ صلّى اللّهم عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمّا بَعَثَ بِهِ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ إِيّاكَ وَالتّنَعّمَ فَإِنّ عِبَادَ اللّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعّمِينَ))

[مسند الإمام أحمد عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ]

ليس القصد ألا تتنعم ، لا ، ألا تجعله هدفاً وغاية ، ألا يكون التنعم محط رحالكم ومنتهى آمالكم ، أنا معي رسالة ، هذه الأمة تصنع تاريخها بأبطالها وأبطال المسلمين صنعوا تاريخاً متألقاً جداً ببطولاتهم ، هم تزوجوا وأنا يغلب على ظني أنهم سعدوا بزوجاتهم لكن معهم رسالة ، إذاً الإنسان يحقق نجاحاً كبيراً بعمله ، في بيته مرتاح ، في أكل ، في شرب ، في زوجة ، لكن هذه الأشياء تعينه على رسالته ، ليس الهدف أن يكون له مقعد مريح في البيت ، ليس له عمل خارج البيت من أين يأتي بالمال ؟ هو له أعمال مهمة وناجح نجاحاً كبيراً لكن في بيته مرتاحاً .

المبادئ والقيم والرسالة والإيمان أساس كل علاقة زوجية :



لذلك حينما ننحي المبادئ والقيم والرسالة والإيمان جانباً نقع في إشكال كبير يغدو الزواج مملاً ، أنا مرة كنت في أمريكا لي قريب هناك له صديق أميركي ، على شرفته ألبسة ولادية منشورة ، زاره مرة فسأله كم ولد عندك ؟ قال أنا عندي كلاب ما عندي أولاد ، هذه ثياب الكلاب ، الولد ممل متعب ، المشكلة الكبيرة المجتمع الغربي يتناقص ، سكان أوربا نسبتهم إلى سكان العالم كان خمسة و عشرون بالمئة الآن خمسة عشر بالمئة وسنة ٢٠٢٠م سيكونون خمسة بالمئة في تناقص ، لا داعي للأولاد ، لا داعي أن يكون هناك زواج أصلاً هناك مساكنة فقط ، شاب اختار شابة في الجامعة سكن معها ، عاشرها كزوجة إلى أن يمل منها يركلها بقدمه ، هذه حياة ؟ نحن عندنا زواج ، عندنا مقدسات ، عندنا عقد :

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١)﴾

(سورة النساء)

نحن الزواج مقدس ، الأولاد مقدسة ، مرة كنت في أستراليا فقال لي رئيس الجالية هناك بلغ أخواننا في الشام أن مزابل الشام خير من جنات أستراليا ، يعيشون في جنة هناك المادية طبعاً ،

لما سألته لماذا ؟ قال لأن ابنك ليس ملكك هناك ، ابنك في بلاد الشرق أنت مطمئن أنه ابنك سيكون على شاكلتك ، هناك ملحد أو في حلقة في أذنه لها معنى سيئ جداً ، مشكلة كبيرة جداً ، نحن الزواج شيء مقدس .

أكبر سبب في الشقاق الزوجي أن نجهل حقيقة وجودنا :


نحقق الهدف من الزواج حين نربي أولادا صالحين

كما تفضلت في بداية الحلقة السابقة قلت نقطة دقيقة جداً أن من دون أن يشعر الإنسان يحقق هدفاً كبيراً في الزواج ، فلذلك أنا أقول إما أن نعالج أصل المرض أو أن نعالج أعراضه ، أعراضه في مئة عرض الحل لا يكون إلا بمعالجة أصل المرض .

لذلك : أن نجهل حقيقة وجودنا ، أن نجهل ما ينتظرنا بعد الموت ، يعدّ أكبر سبب في الشقاق الزوجي ، أما حينما أؤمن أن هذا الزواج مرحلي وله رسالة كبيرة إنجاب أولاد صالحين يعطون المجتمع بناء صحيحاً ، قيماً صحيحة ، أقول قد حققت الهدف من الزواج .

الأستاذ علاء :

سيدي في الحلقة الماضية انتهينا من التقليد الأعمى وقد أشبعنا هذه النقطة ، في البيت الأب أو الأم يميل كل منهما إلى أحد الأولاد ، وهذه قضية تربوية ، وهذه قضية سلوكية من دون أن يشعر الأب أو الأم قد تحدث مشكلة في المنزل تكبر وتكبر حتى تفضي بانهيار الأسرة أحياناً ما حلّ هذه القضية ؟

من بالغ بالعدل بين أولاده ألغى الفروق الفردية بينهم :

الدكتور راتب :

أستاذ علاء لا شك أن هناك فروقاً فردية ، الآن أنطلق من حقيقة علمية ، هناك ولد وسيم وسامته عالية جداً ، وهناك ولد غير وسيم ، هناك ولد ذكي ، وهناك ولد غير ذكي ، فأنت أحد شخصين إما أن أنساق مع رغباتي الفطرية الغرائزية فأهتم بهذا الوسيم وهذا الذكي وأهمل غير الوسيم وغير الذكي أنا أكون بحق الثاني مجرماً وإما أن أكون صاحياً مؤمناً وأعامل الاثنين بأعلى درجة فأخفف الفروق بينهما



أنا حينما أعامل جميع الأولاد باهتمام واحد ، بعدل تام ، بعطاء واحد ، بمودة واحدة ، اعدلوا بين أولادكم في القبل ، أعطِ قطعة حلوى للأول وللثاني مثلها ، أنا حينما أبالغ في العدل بين الأولاد ألغي الفروق الفردية بينهم ، وألغي الأمراض النفسية التي تنشأ عندهم .

والله هناك أطفال يعانون من آلام اتجاه والديهم حتى الموت ، والله أنا أتلقى اتصالات من بعض أخواني تجد البنت متألمة من أبيها ألماً لا يحتمل لأنه فضل أخاها عليها ، لذلك في الآثار ورد : البنت يوم القيامة تقف أمام رب العزة ، تقول : يا رب ، لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي ، لأنه سبب شقائي في الدنيا ، والله أنا أهيب بالأخوة المشاهدين أن يبالغوا في العدل بين الأولاد ، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم :

((إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي النُّعْمَانَ نُحْلًا ، وَإِنَّ عَمْرَةَ سَأَلَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى ذَلِكَ ، قَالَ : فَقَالَ : أَلَكَ وَلَدٌ سِوَاهُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكُلَّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَ النُّعْمَانَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي))

[أبو داود ، والنسائي عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ]

((قَالَ : لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ))

[أبو داود ، والنسائي عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ]

من حرم ولده زاده عقوقاً :

والله تكاد تكون المشكلة الأولى الآن ولا أبالغ عدم العدل بين الأولاد ، أو تحرم البنات ويأخذ الذكور كل شيء . الوهم الشيطاني أن هذا المال سيذهب إلى الصهر ، الصهر زوج ابنتك أقرب إنسان لها ، بالمناسبة النبي صلى الله عليه وسلم سئل :

((مَن أعظم الرجال حقاً على المرأة ؟ قال : زوجها ، فلما سئل : مَن أعظم النساء حقاً على الرجل ؟ قال : أمه))

[الجامع الصغير عن عائشة بسند فيه ضعف]



إنّ أعظم رجل في حياة المرأة زوجها ، وأعظم امرأة في حياة الرجل أمه ، هذا زوجها إذا ورثت من أبيها مبلغاً واشترت سيارة تدعو له طول حياتها ، أنا أقول دائماً قضية العدل بين الأولاد فيها وعيد من الله خطير .

فإنّ الرجل وإن المرأة ليعبدان الله ستين عاماً ، ثم يضران في الوصية فتجب لهما النار ، في رواية إن الزوجين يعبدان الله ستين عاماً ، ثم يضران في الوصية فتجب لهما النار ، ليس شيئاً سهلاً حرمت ولداً و أعطيت ولداً ، يقول لك هذا عاق أنت حينما حرمته زدته عقوقاً ، صار مجرماً بحق أولاده ، منذ مدة انتحر إنسان لأن والده أعطاه كل شيء ، واغتصب أموال والده كلها فأخوته كادوا له بالمحاكم وبالقضاء وبالمالية إلى أن حملوه على أن ينتحر ، خطأ الأب ، فلذلك أنا أهيب بالآباء العدل التام بين الأولاد بكل شيء ، إن كانوا صغاراً حتى بالمودة حتى بالقبل .

المودة أساس العدل :


المدرس يجب أن يعدل بين طلابه

أنا أقول كلاماً آخر للمعلم ، تجد معلم صف ، عنده خمسة وعشرون طالباً ، خمسون طالباً كم طالب أذكياء جداً عينه عليهم فقط ، السؤال لهم وظيفتك يا بني ، والآخر يهمله ، وجد نفسه مهملاً هل تصدق أن من صفات المعلم الناجح أن يمر بعينيه على كل الطلاب بالتسلسل ، حتى الداعية يقف ليلقي كلمة في قسم يحبهم ثلاث أرباع الساعة هكذا والآخرون أهملهم ، تنقل عينك من واحد لواحد حتى يشعر أن له قيمة عندك .

الأستاذ علاء :

أذكر أن مدرسونا حينما يمرون على وظائفنا على المقاعد يعطي وقتاً بالتساوي للكل وتشعر بأنه منحك ما منح الغير من اهتمامه .

الدكتور راتب :



الأب والأم حينما يعدلان بين أولادهما ينشأ مودة ، أما حينما يؤثر الأب ابن أذكى من ابن أو أحياناً يكون الابن بالتعبير العامي بهلول ، يمدح والده كثيراً ، يستأثر بمودته ، والثاني مستقيم لكن ما عنده هذه الإمكانية يقلد أخوه ، ينحرف ، هذا خطأ كبير والله أنا لا أنطلق من فراغ ، والله إنسان ترك ألف مليون أحد أولاده يعمل على السوزوكي، والثاني عنده ثمانين محضراً باسمه ، يجوز ؟ قريب مليار ، والآخر يعمل على السوزوكي ، أما هذا الذي باسمه ثمانين محضراً صالح جداً بعدما مات والده وزع التركة بالتساوي كان بطلاً ، أنا لا أتكلم من فراغ ، أنا أكبر مشكلة أعاني منها عدم العدل بين الأولاد ، تجعلهم أعداء ، يصبحون وحوشاً بعد الموت .

الأستاذ علاء :

لماذا نلعب بقوانين الميراث ؟

أكثر مشاكل الأسر بعد وفاة الأم والأب هي سوء العدل بين الأولاد :

الدكتور راتب :

الله عز وجل ما سمح للنبي أن يوزع تولاها بذاته ، الميراث وزعه القرآن الكريم ، كل إنسان يشتغل يحرم أخواته البنات .

الأستاذ علاء :

تسمح لي سيدي بهذه الناحية كما تفضلت مررت عليها ، لكن في أريافنا أنا أقول من خلال هواتف تأتينا ، وفي مناطق كثيرة ليس في بلاد الشام وإنما في العالم العربي والإسلامي يعتقدون وخاصة إذا كان الميراث أرضاً يأخذ هذه الأرض الذكور بعد وفاة والدهم وتحرم الإناث قال : حتى لا تتشتت الأرض ولا تذهب إلى الغريب ، وخاصة إذا كان الغريب من قبيلة ثانية أو أسرة ثانية ، ماذا نقول ؟

الدكتور راتب :

أستاذ علاء خلاف الشرع ، المشكلة نحن توهمنا أن الدين صلاة وصوم وحج وزكاة ، الدين والله لا أبالغ خمسمئة ألف بند ، الدين منهج كامل الدين يدخل بأدق العلاقة خصوصية ، بالعلاقات الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية ، الدين متعلق بالميراث ، إذا أنت عادل مع الأولاد كلهم ، الكل

مرتاحون ، الكل يتمنون بقاءك ، أما إذا في ظلم أنا أقول لك إن شاء الله لا أبالغ قريب من تسعين بالمئة من الناس لا يعدلون ، وأكثر مشاكل الأسر بعد وفاة الأم والأب هي سوء العدل بين الأولاد.

الأستاذ علاء :

سيدي إذا سمحت لي هنالك كما ورد في الأثر بعض الاستثناءات قال : صغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم حتى يصبح صحيحاً ، وغائبهم حتى يعود .

على كل إنسان أن يهيئ لله جواباً عن كل شيء قبل أن يلقاه :

لابد أن تملك جواباً مقنعاً لله في كل ما تفعل

الدكتور راتب :

مثلاً إنسان عنده أربع بنات ، ثلاث متزوجات من تجار أغنياء ، و الرابعة ما أصابها الزواج بقيت عانساً ليس لها أحد ، فكتب لها بيتاً في حياته غير الإرث ، له عند الله جواب مقنع ، لك أن تهاب ما تشاء لكن معك جواب لله ، أحياناً يكون عند الإنسان زوجتان تصر عليه الثانية التي يحبها وهي صغيرة في السن أن يكتب بيتاً لأحد أولادها من زوج آخر فيستجيب لها ، والأولى أم أولادك الوفية يحرم أولادها من كتابة بيت آخر لهؤلاء ، هذا اسمه هبة كيدية يحاسب عليها الإنسان أشد الحساب ، إذا شخص عنده ولد معاق فكتب له بيتاً ودكان في حياته يسكن في بيت ويؤجر الدكان يعيش منها وخلاف أخوته معه لله جواب .

العدل أساس الملك :

لذلك نحن نقول عندنا فرق بين العدل والمساواة ، أنت عندك ابن جامعي وابن في الحضانة ، تعطي ابنك في الحضانة خمسين ليرة ، تعطي الجامعي مئتي ليرة ، عنده مواصلات ، وسندويش، وعنده كتب ، يا ترى أنت لست عادلاً ؟ لا أنت عادل ، إن أعطيت الصغير خمسين ليرة والكبير ثلاثمئة أنت في منتهى العدل تعطيه حاجته .

هناك نقطة ثانية أكبر ولد يشتري له بيت يزوجه ، يسلمه عملاً ، عنده ولد صغير يجب أن تهيئ للصغير ما أعطيت الكبير هذا خطأ كبير ، يقول لك الإرث بالتساوي لكن أنت آخذ البيضة والتقشيرة ، لذلك هو يفضل أن يكون ما يعطى للكبير ديناً عليه يحسم من نصيبه من الإرث ، هذا عدل ، أنا أمنت لابن كبير بيت وسيارة فرضاً وعمل ، دين عليه لما يموت الأب يوزع الإرث .



أنا مرة أحد الأخوة الكرام توفي والده آخذ بيوتاً لثمانية أولاد ، بيت باثني عشر مليوناً وبيت بخمسة ألف قديماً ، واختلفوا وترك مبلغاً ضخماً ، كان اقتراحي أن يأتوا بخبراء يُقيموا البيوت كلها بالسعر الحالي وكتبوا بيتك الآن ثمنه عشرون مليوناً ، والثاني ثمانية ملايين ، واعتبروا البيوت كلها من الإرث وتوزع المبلغ كله ، كان نصيب الواحد عشرين مليوناً فالذي بيته اثني عشر أخذ ثمانية ، والذي بيته ثمانية أخذ اثني عشر مليوناً .

لا يصلح للناس إلا العدل أبداً ، بالعدل أنت ملك تكون والعدل أساس الملك .

الأستاذ علاء :

رعاية في البيت إذا كان في البيت صغير رعاه أكثر .

المساواة بين الأبناء مستحيلة في ظروف متفاوتة :

الدكتور راتب :

معه جواب إلى الله ، الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يشفى ، والغائب حتى يعود . سبحان الله الآخرون يرضون عن هذا ، أحياناً يقول لك أنا أخذت لابنتي العانس بيتاً لكن أخوتها موافقون، نقطة مهمة ، الأب إذا كان تصرفه حكيم وإنساني ومعه جواب لله مقبول عند أولاده أيضاً ، أربع بنات ثلاث متزوجات من تجار أغنياء والرابعة ما أصابها الزواج أخذ لها بيتاً أخوتها يرضون عن هذا .


قد يهتم الأب بابنه المريض أكثر من إخوته فجوابه مقنع لله

الأستاذ علاء :

لأن هذا مقنع بالعدل .

الدكتور راتب :

العدل شيء والمساواة شيء ، المساواة مستحيلة في ظروف متفاوتة ، شخص مثلاً أرسلته إلى حلب يدرس يحتاج إلى بيت يسكن ويأكل ، أما في الشام نائم في البيت نفسه ويأكل في البيت نفسه فتعطيه مصروف بيته فقط ، أما في حلب يحتاج إلى بيت وقسط جامعة ، أنت ما ظلمت الذي صحّ له في جامعة دمشق ، في كلية حلب يأخذ أكثر منه بكثير .

الأستاذ علاء :

سيدي في هذا الموضع خاصة التعامل مع الصغار مررت أنت في حلقات ماضية كثيراً على هذه المسائل ، عندما جاء سيدنا عمر بشخص ليكلفه أن يكون والياً فرآه يقبل ابنه فقال إننا والله لا نقبل أبناءنا ، فأنهى المهمة وعزله في هذا الملمح يجب أن يتوفر في الأبوين رحمة حاضنة لكل الأولاد .

الإنسان بغرائزه يميل إلى الذكي والوسيم لكن بإيمانه يعدل بينهما :

الدكتور راتب :

أنا سوف أقول لك كلمة دقيقة : الإنسان بغرائزه يميل إلى الذكي ، إلى الوسيم دون أن يشعر بغرائزه ، لكن بإيمانه يعدل بينهما حتى في القبل ، حتى في الابتسامة ، عندما يكون أب حكيم جداً أولاده بالتساوي تماماً ، والله مرة جاءني اتصال هاتفي أن بنتاً زارت أباها في المصيف في العيد أعطاها خمسمئة ليرة ، وقال لها لا تطيلي المكوث لأن عنده زوجة ثانية ، الزوجة الثانية سيأتي بناتها يهتم بالزوجة الثانية قال لها لا تطيلي المكوث هذه خمسمئة واذهبي ، أما الثانية أعطى كل بنت خمسة آلاف وتغدوا عنده ، تقول أكثر من ستة أشهر كلما أتذكر تبكي ألم من أبيها، أنا ابنتك أعطاها خمسمئة ولا تطيلي المكوث ، وبناته من زوجته الجديدة يأكلون عنده في بلودان ويأكلون لحم مشوي وكل واحدة عيدية خمسة آلاف ، لماذا هذه التفرقة ؟ لذلك البنت كأنك ذبحتها ، كأنك حطمتها ، والله يا أستاذ علاء إذا إنسان كان عادلاً يشعر بسعادة لا توصف .

أنا أؤكد مرة ثانية قضية الوسامة والذكاء متفاوتة ، بطولتك أن تكون عادلاً مع الكل حتى في القبل ، حتى في الابتسامة ، حتى في المودة ، حتى في الهدايا ، حتى مع أزواجهن ، أحياناً ترى هناك زوج لا يهتمون به كثيراً ، و هناك زوج غني محترم جداً ، ليس معقول الزوج الثاني آدمي وصاحب دين وورع وابنتكم مرتاحة عنده ، لكن دخله محدود ، الاهتمام بهذا .



هذه أمراض تنخر في مجتمعنا يا أستاذ ، ليس منا من فرق ، صار في تفرقة ، صار في حزازات ، صار في آلام ، صار في أحقاد .

الأستاذ علاء :

قال رسول كسرى عندما أراد أن يأتي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحث عنه في كل الأرجاء ظن أنه سيرى قصر ، فقالوا : هذا الذي ينام تحت الشجرة وقد توسد بنعليه ، قال حافظ إبراهيم تلك القصيدة : وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا ، قال : عدلت فأمنت فنمت . العدل كما تفضلت أساس .

من التزم جانب العدل أصبح بيته متماسكاً :

الدكتور راتب :

لا يوجد أب إلا سوف يموت ، ولا يوجد أب إلا عنده شيء يورثه لأولاده ولو بيته الوحيد ، عندما لا يكون عادلاً يجعلهم أعداء بعد وفاته ، أنا أعلم علم اليقين والله في مشاكل يأتيني اتصالات يومية أستاذ علاء من سوء العدل بين الأولاد ، فأنا أعاني مشكلة أنا أضع يدي على جرح كبير في المجتمع ، التفرقة بين الأولاد ، إن شاء الله ، الله عز وجل يلهم الأخوة المشاهدين أن يلتزموا جانب العدل مع أولادهم يصبح البيت متماسكاً ، أنا أستاذ علاء أحترم الأسرة المتماسكة احترام ما له حدود متماسة ، في مودة بالغة بين الأولاد بعد موت أبيهم ، الأب كان عادلاً ، لما كان عادلاَ ترك سمعة طيبة ، في زيارات ، في لقاءات ، في محبة ، أنس ، في تبادل هدايا .



الأستاذ علاء :

العدل يلغي كل مرض نفسي .

الدكتور راتب :

لذلك الآن في أسر بعد موت الأب لا يتكلمون ، لثلاثين سنة ما دخلت بيته ولا أسلم عليه ، من المرض النفسي الذي أورثه الأب ، العدل قيمة عليا ، الله هو العدل .

الأستاذ علاء :

كنا نود أن نستمر لكن الحقيقة الوقت أدركنا إن شاء الله نكمل البنود التي تتعلق بالشقاق الزوجي، إن شاء الله لا يشهد بيت من بيوتنا شقاق زوجياً .

الدكتور راتب :

ما وجدت موضوعاً ألصق بهذا العنوان الإيمان هو الخلق ، من هذه الموضوعات.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية – قناة سوريا الفضائية – الايمان هو الخلق – الدرس (٨٤-٩٥) – مقومات التكليف : الأسرة ــ أسباب الشقاق الزوجي ــ حرمان المرأة من الميراث

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-١٠-٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تذكير :

وإياكم ، سيدي الكريم ، في حلقات سابقة تحدثنا عن موضوع هام ، وعن موضوع يعتبر من آفات المجتمع ، هذا الموضوع يتعلق بالكيان الصغير للمجتمع الذي يتشكل المجتمع من خلال تكراره ، هذا الكيان هو الأسرة .

الدكتور راتب :

وفي سلامته سلامة المجتمع .

الأستاذ علاء :



وفي اهتزازه يهتز المجتمع ، تحدثنا عن الشقاق الزوجي ، وأسباب الشقاق الزوجي ، ومررنا على مجمل الموضوعات التي كانت من أسباب الشقاق الزوجي ، منها الجهل ، ومنها ضعف الإيمان ، ومنها التعالي ، ومنها سوء التصرف ، ومنها عدم الكفاءة بين الزوجين ، الله عز وجل يقول :

﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

(سورة الروم)

لتحقيق هذه الآية ، ومعاني هذه الآية لا بد من حاضنة ، هذه الحاضنة تستوعب الأسرة المكينة ، والأسرة التي فيها المودة والرحمة ، وكنت قد تحدثت عن هذه المسائل في حلقات سابقة ، نود أن نكمل في أسباب الشقاق الزوجي ، كل ذلك تبيانا للأزواج كي يحيدوا عن هذه الأخطاء التي تعصف بكيان الأسرة .

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين .

لابد من النجاح الشامل لجميع نواحي الحياة :



أستاذ علاء ، جزاك الله خيراً ، لا بد من تاج تنضوي فقرات هذا اللقاء الطيب تحته ، وهو أنه ليس في العلم الاجتماعي ولا علم النفس ما يسمى بالنجاح الجزئي ، هو ليس نجاحاً ، فما لم تنجح في علاقتك بالله أولاً ، وفي علاقتك بزوجتك وأولادك ثانياً ، وفي علاقتك بعملك ثالثاً ، وفي علاقتك بصحتك رابعاً فإن أي خلل في هذه البنود الأربعة ينسحب على البنود الثلاثة ، فلا يمكن أن يكون هناك خلل في أحد هذه البنود إلا وينسحب على بقية البنود ، فذلك أنا أريد أن أؤكد للإخوة المشاهدين أنه لا يمكن أن تكون ناجحاً إذا كنت متألقا في عملك ، ولست ناجحاً في بيتك ، أو أنك ناجح في البيت وفي عملك ضعيف ، أو ناجح في البيت والعمل ، وعلاقتك مع الله ليست كما ينبغي ، أو ناجح في الثلاثة وتهمل صحتك .

الأستاذ علاء :

إذاً هي أربعة بنود للنجاح .

الدكتور راتب :

لا بد من نجاح شمولي ، بل إن النجاح الجزئي لا يسمى نجاحاً ، فقد يذهب إنسان إلى بلد بعيد ليجمع أموال طائلة ، ويهمل زوجته وأولاده ، فالابن يربى في الطريق ، والزوجة من بيت إلى بيت ، يعود وقد رأى أسرة مهدمة ، إذاً : لم ينجح ، ولو جاء معه بالأموال الطائلة .

أريد أن أبين أن النجاح لا يتجزأ ، النجاح شمولي ، لذلك قضية الأسرة أحد أركان النجاح العام


من النجاح أن يكون بيت المؤمن فيه راحة وسكينة

ولأن البيت مكان فيه سكينة ، فيه راحة ، كل ضغوط الحياة ، كل متاعب الحياة ، كل إشكالات الحياة ، كل المشكلات التي يئنّ منها الإنسان خارج البيت إذا دخل إلي بيته ، وكان مرتاحاً مع زوجته فهذه الراحة تمتص كل هذه الهموم ، أما إذا جاء إلى البيت ، وبدأت المشكلات ، وخرج من البيت ، وبدأ المشكلات فهذه الحياة لا تطاق ، هي جحيم لا يطاق ، لذلك سمى الله عز وجل الزوجة سكناً ، قال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾

(سورة الروم)

الحقيقة الأولى : ليس هناك نجاح جزئي ، الإنسان لا يتبجح بنجاحه في عمله ، وبينه وبين زوجته ما صنع الحداد ، لا يتبجح أنه نجح في عمله ، وأولاده ليسوا كما ينبغي ، لا يتبجح بنجاحه في عمله ، وعلاقته مع الله ليست كما ينبغي ، لا يتبجح بنجاحه في عمله ، وصحته تعاني ما تعاني .

أنا أتمنى أن نقتنع أنه لا بد من نجاح شمولي ، والأسرة أحد أركان هذا النجاح ، هذا تاج تحته بنود .

لابد من مقدمة ، الإله العظيم خالق السماوات والأرض والخبير ، العليم ، الرحيم ، الحكيم :

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

(سورة فاطر)

الحرمان من الميراث سبب من أسباب الشقاق الزوجي :

والإنسان أعقد آلة في الكون ، ولهذه الآلة المعقدة تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز صانع حكيم ، له تعليمات التشغيل والصيانة ، فالجهة الوحيدة التي ينبغي أو يجب أن نأخذ بتعليماتها هي الجهة

كتاب المرأة المسلمة- لفضيلة الدكتور محمد ر


حرمان البنات من الإرث تصرف جاهلي ويدل على أفق ضيق

الصانعة ، لأنها الخبيرة ، فالخبير تولى بذاته العلية توزيع الميراث ، ولم يسمح لنبيه المعصوم المخلوق المكرَّم أن يوزع الميراث ، فهناك أسر لا تعد ولا تحصى تريد أن تحرم البنات ، بسلوك جاهلي ، بسلوك ينمّ عن أفق ضيق، أن الثروة تذهب إلى الأصهار ، هذا الصهر زوج ابنتك ، هو أقرب الناس إليها ، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم حينما سئل : مَن أعظم الرجال حقاً على المرأة ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : زوجها ، فلما سئل : من أشد النساء حقاً على الرجل قال : أمه .

إن الأسر التي تريد أن تحرم البنات الميراث بطريقة أو بأخرى ، بوكالة ، بتفويض ... والزوج الذي يرى أن امرأته التي هو وهبها كل شيء لا تهبه شيئاً ، وأهلها حرموه من كل شيء ، هنا تبدأ المشكلة ، هي تبدأ أولاً من أهل الزوجة ، وهناك أزواج آفاقهم ضيقة ، وقد يكونون في ضعف مادي شديد .

الأستاذ علاء :

تسمح لي خاصة في بعض القرى حيث الميراث يكون أرضاً زراعية ، ويخشى أن تذهب هذه الأرض إلى الغريب ، إلى عائلة الصهر ، وتحرم البنت من حقها ، وبالتالي هذا تعدٍّ على حق الله، هنالك بعض المناطق تقوم بهذه الأفعال جهلاً وتعدياً على حق الله عز وجل .

الدكتور راتب :

حرمان البنات من الميراث عنصرية مقيتةٌ :



أستاذ علاء ، أنا لي رأي دقيق : أن البشر جميعاً على أعلى مستوى ، على مستوى دول عظمى ، وعلى مستوى أفراد ، إما أن يكونوا إنسانيين أو عنصريين ، فالرجل الذي يرى أن أصهاره دونه ينبغي ألا يأخذوا شيئاً عنصري ، والزوج الذي يرى له ما ليس لزوجته عنصري ، وكل إنسان يضع نفسه فوق الآخرين فهو عنصري، بل إن دولاً عظمى حينما تخص نفسها بميزات ولا تسمح لأحد أن ينالها فهي جهة عنصرية ، بل إن كل جهة تعامل الآخر بخلاف ما تعامل الأقرب هي عنصرية ، فلذلك حينما الأب يحرم بناته من حقهن في الميراث فهو أب عنصري ، لا ينتمي إلى منهج ، ولا إلى قيمة ، ولا إلى تشريع سماوي ، ولا إلى وحي سماوي ، ينتمي إلى مزاجه الشخصي ، فلذلك القضية تبدأ

من أولياء الزوجات ، وتنتهي شقاقاً ، وقد يودي إلى الطلاق ، وأنا عندي مئات القصص التي رفعت إلي لحل هذه المشكلة ، سببها أن أهل الزوجة يريدون ألا يعطوا صهرهم شيئاً ، فبأسلوب أو بآخر يحتالون ، أما الحديث الذي يقصم الظهر :

((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ وَالْمَرْأَةُ بِطَاعَةِ اللَّهِ سِتِّينَ سَنَةً ، ثُمَّ يَحْضُرُهُمَا الْمَوْتُ ، فَيُضَارَّانِ فِي الْوَصِيَّةِ ، فَتَجِبُ لَهُمَا النَّارُ))

[الترمذي]

هذا العمل يحبط أعمال الإنسان كلها .

أستاذ علاء ، هنا ملمح دقيق جداً قالته السيدة عائشة لرجلٍ ممن عاصرها من أصحاب رسول الله بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : << قولوا لفلان أنه أبطل جهاده مع رسول الله >> . وأنا أقول الآن ، وأنا أعني ما أقول ولا أبالغ فيما أقول : هناك أعمال يقترفها الإنسان فيها ظلم ، والله تلغي صلاته وصيامه وحجه وزكاته وإيمانه بالله .

كلمة (الله أكبر)وكلمة التوحيد بين لسان الحال ولسان المقال :

المشكلة أستاذ علاء أن الإنسان له لسان قال ، وله لسان حال ، نحن قريبو عهد من عيد الفطر السعيد ، ومن السنة وفي القرآن الكريم :

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)﴾

(سورة البقرة)

فكلمة (الله أكبر)يلفظها مليار وخمسمئة مليون صبيحة أحد العيدين ، اللسان يقول : الله أكبر ، الآن الذي يغش الناس ، ويحقق ربحاً كبيراً ، غشهم قد تكون مادة غذائية مسرطنة ، قد تكون مادة غذائية انتهت صلاحيتها ، قد تكون مادة لا تصلح للاستخدام البشري ، قد تكون مادة لها مشكلات كبيرة ، سمون غير مهدرجة ، غير مشبعة ، أو مشبعة .

الأستاذ علاء :

أو يريد أن يحتكر ليزيد في السعر .

الدكتور راتب :

أنا أقول ولا أبالغ ، وأعد هذا جزءًا من الدين : الذي يبني ثروة على أنقاض الناس ، على أنقاض صحتهم ، والله ما



قال : الله أكبر ، ولا مرة ، ولو رددها بلسانه ألف مرة ، لسان حاله يرى أن هذا المال الذي كسبه من هذا الغش أكبر من الله ، هذا لسان الحال ، رأى أن هذا المبلغ إذا حققه ، وأساء إلى صحة الناس أكبر من الله ، ولما يبيع إنسان دواء انتهى مفعوله ، ويحك مكان التاريخ ، والدواء يؤذي تفكك فهذا يبني ربحاً على مضرة الآخرين ، والله ألغى صلاته وصيامه وحجه وزكاته ، والله ألغى كل كلمات الإسلام، ألغى كلمة : الله أكبر ، هذا الذي يطيع زوجته في معصية كبيرة ، لسان قالِه يوم العيد يقول : الله أكبر ، مع المصلين ، أما لسان حاله يرى أن إرضاء زوجته أكبر من إرضاء الله عز وجل ، ما قال : الله أكبر ، ولا مرة ، ولو رددها بلسانه ألف مرة .

مشكلتنا مع هذه الكلمات الكبرى في الإسلام ، لا إله إلا الله ، وتعني لا معطي ولا مانع ، ولا معز ولا مذل ، ولا ناصر ولا حافظ ، ولا مؤيد إلا الله ، فإذا توجه الإنسان إلى غير الله ، ونسي الله ، وأرضى غير الله بمعصية الله فما قال : لا إله إلا الله ، ولا مرة ، ولو رددها بلسانه ألف مرة ، هذه الكلمات الكبرى فرغت من مضمونها ، وأصبحت كلاما يردَّد لا معنى له ، فلذلك هذا الكمّ الكبير من المسلمين ، مليار وخمسمئة مليون ليسوا كما ينبغي ، ليس أمرهم بيدهم ، وللطرف الآخر عليهم ألف سبيل وسبيل ، هذا شيء مؤلم جداً ، .

وعودُ الله وشرط تحقُّقها :

إليكم الحقيقة المُرّة التي هي أفضل ألف مَرّة من الوهم المريح : والله إنه من سابع المستحيلات ، و والله لزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين ، فإذا قال الله عز وجل :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي (٥٥)﴾

(سورة النور)

الشرط : يعبدونني ، فإذا أخل الطرف الآخر فيما عليه من واجبات فالله عز وجل في حل من وعوده الثلاثة ، فلذلك يجب أن نصطلح مع الله ، والكرة في ملعبنا ، وأسباب سلامتنا وسعادتنا وانتصارنا على أقوى أقوياء الأرض بيدنا ، وكل هذا التفوق ألغاه الله عز وجل بآية واحدة :

﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾

(سورة آل عمران الآية : ١٢٠)



أساطيل ، بوارج ، صواريخ عابرة للقارات ، درع صاروخي ، حاملات طائرات ، أقمار الصناعية ، الإعلام بيدهم ، الأموال بيدهم ، التحالفات بيدهم ، والله لو اصطلح المسلمون مع الله لألغيت كل هذه رموز القوة :

﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾

(سورة آل عمران الآية : ١٢٠)

فالإسلام كلٌّ متكامل ، الإسلام نهج ، ولن نقطف ثماره إلا إذا طبقناه كلّه .

أستاذ علاء ، متى تمشي السيارة ؟ تحتاج إلى محرك ، وبنزين ، وعجلات ، ومقود ، وكهرباء ، لها شروط من أجل أن تمشي ، الذي عنده رفراف فقط فهذه ليس سيارة ، هذه اسمها سيكراب ، نحن عندنا دين سيكراب ، وما عندنا دين كامل ، لو كان كاملا لكانت النتائج مئة بالمئة ، وزوال الكون أهون على الله مِن ألاّ يحقق وعوده للمؤمنين ، فالكرة في ملعبنا ، أريد ألا نيئس ، ألا نحبط ، ألا نحسّ أن القضية انتهت ، الأمل كبير عند الله عز وجل ، وأنا أقول : أخطر شيء أن نهزم من الداخل :

﴿ وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ (١٢)﴾

(سورة المائدة)

إذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟

انتقلت من قضية أسرية حينما تحرم الفتاة من حظها من ميراث أبيها ، ويغضب الزوج الفقير ، ويتألم لهذا التصرف العنصري ، لا نسمح لهذا المال أن ينتقل من بيت فلان إلى بيت فلان ، نعطي الابن كل شيء ، مع أنه والله هناك فتيات فيهن خير لآبائهن لا يعلمه إلا الله ، فالتفرقة بين الذكور والإناث جاهلية ، كان عليه الصلاة والسلام حينما تأتيه بنت يضمها ، ويشمها ، ويقول : ريحانة أشمها ، وعلى الله رزقها .

أُثر على النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقف لابنته فاطمة ، يقف ترحيباً بها ، فأنا أرى أننا عندنا جاهلية كبيرة ، مع أن الإطار إسلامي .

الأستاذ علاء :

كما تفضلت من خلال المظلة نأخذ جزءا ، ونترك أجزاء ، هذا ليس تطبيقا ، فطمع أو عنصرية الآباء في حرمان الفتيات ، وتألم زوج الفتاة يبدأ هذا الشيء عصفاً بكيان الأسرة ، وتبدأ المشاكل، ومن هنا تهتز هذه الأسرة ، وتنتهي إلي الطلاق .

الدكتور راتب :

لابد من وعيِ الزوج في حال حرمان زوجته من ميراث أبيها :

لكن كتحفظ ، قد يكون الزوج واعيا جداً ، ودخله جيد ، وليس بحاجة ، فلا يعلق أهمية ، هذه حالات نادرة ، زوج واعٍ ، وإيمانه بالله قوي ، ودخله جيد ، وما له بحاجة لزوجته ، فما سأل ، وما علق أيَّ تعليق ، لكن يتألم لهذا الموقف العنصري ، أحياناً يكون نصيبها من الميراث يقابل ثمن سيارة ، والسيارة تحل مليون مشكلة ، السيارة مسعدة للأسرة ، تحل مشكلات المواصلات العامة والتأخير ، فلو أن هذه البنت أخذت هذا المبلغ ، وتسجله باسم ابنتك ، هذا البيت سجله باسم ابنتك ، فقويتَ لها مركزها ، وأعانت زوجها ، الزوج وجد قسما من المال لزوجته انضم إلى الأسرة ، انضم إلى الأولاد ، لذلك حينما أقول : لم يسمح الله لسيد الخلق وحبيب الحق أن يوزع الميراث ، بل تولاه بذاته في القرآن الكريم ، معنى هذا أن الذي يضر في الوصية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم تجب له النار .

الأستاذ علاء :

سيدي هذا ، البند في أسباب الشقاق الزوجي أصبح واضحاً وضوح الشمس بكل معنى الكلمة ، الآن ننتقل إلى سبب آخر .

تسمح لي : الإنسان يضطر لجلب الرزق ، ضاق رزقه في بلده ، انتقل إلى بلد آخر ، وترك زوجته وأولاده طلباً للرزق ، هذا الغياب من الناحية الشرعية هل هو مؤسّس لحالة ضياع ، وشقاق بين الزوجين ، أم أن هذا الأمر يمكن أن يكون بين الطرفين ليصبح داعماً لهذه الأسرة ؟

الدكتور راتب :

الغياب الطويل للأب من أسباب الشقاق الزوجي :

١ – الغياب الطويل ضمن المدينة :

بادئ ذي بدء ، أستاذ علاء ، قد يكون الغياب ضمن المدينة ، يخرج الرجل الساعة السادسة ، ويأتي الساعة الواحدة في الليل ، يأتي ليأكل وينام ، وهذه الزوجة التي حبستها من أجلك مَن يحادثها ؟ مَن يؤنسها ؟ مَّن يهتم بها ؟ مَن يبتسم في وجهها ؟ مَن يثني عليها ؟ بحاجة إلى من يثني عليها ، ومن يؤلّف قلبها ، مَن يصغي إليها ، فإذا ذهب الزوج قبل ذهاب الأولاد إلى المدرسة ، ويعود بعد نومهم لم يصبح أبًا ، مَن يربي هذا الولد ؟ مَن يستمع إليه ؟ مَن يرشده ؟ مَن يعلِّمه ؟ مَن يربي أخلاقه ؟ لا أحد ، لم يصبح الأب أبا الزوج ولا الابن ابنا ، الشاشة تربي فقط .

٢ – العمل الذي يمتصّ كل وقت الإنسان خسارةٌ :



أضرب مثلا تركيبيًّا لقضية الغياب الطويل : لو أن إنسانا عرضوا عليه لو جئت بدكتوراه في الطب تكون وزير الصحة ، هو لا يملك شيئا من حطام الدنيا ، على أن يعمل في بلد الدراسة ويأكل ، ذهب إلى باريس ، اضطر أن يعمل بمطعم ساعتين ليكفي مصروفه ، لكن مهمته كبيرة جداً ، أن ينال دكتوراه ، ويعود بأعلى منصب في بلده، ومع أعلى منصب بيت فخم وزوجة جميلة ومركبة ، إلى آخره ، هذا طمع بعمل إضافي ، فضاعف ساعات عمله في المطعم ، فضعفت دراسته ، فجاءه عرض ثالث فضاعفه ثلاثة أضعاف ، بعد هذا عمل كل وقته في المطعم فألغى مهمته الأساسية ، لذلك العمل الذي يمتص كل وقتك هو خسارة ، لأنه ألغى وجودك .

بعض العلماء لهم كلمة : الإنسان الذي ما عنده وقت فراغ ليس إنساناً :

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ(٥٠)فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ(٥١)﴾

(سورة المدثر)

العمل الذي يمتص كل وقتك هو أكبر خسارة لك ، لأنه ألغى وجودك ، ألغاك كأب ، ألغاك كزوج، الإنسان بحاجة إلى أن يمضي وقتاً مع من يحب ، مع أصدقائه ، بمسجد ، بلقاء مع عالم، بلقاء مع صديق ، بسهرة لطيفه ، بسفر ، بنزهة ، وحينما يلغى وقت الفراغ يلغى وجود الإنسان.

٣ – مجتمع التسوُّق والاستهلاك :


مجتمعنا يتحول إلى مجتمع تسوق واستهلاك

إنّ هذا الأسلوب المعاصر بعرض السلع في كل مكان في الطرقات ، وفي الشاشات ، وفي الصحف ، المكيفات ، والمركبات ، يخلق حاجة استهلاكية كبيرة جداً ، والناس حيال هذه الحاجة الضاغطة ثلاثة أنواع ، النوع الأول : شخص ألغى وقت فراغه ، فألغى وجوده كأب ، وكزوج ، وكإنسان ، وعمل ليلاً ونهاراً ليؤمّن هذا المكيف ، وهذه المركبة ، فهذا إنسان شريف ، ما مدّ يده للحرام ، ولكن ألغى وقت فراغه ، وضيع زوجته وأولاده ، وفقَد أبوّته ، وتحول إلى آلة .

النوع الثاني : يعيش بالحرمان المستمر ، ما عنده شيء .

النوع الثالث : مد يده للحرام ، فسقط من عين الله ، ومن عين الناس ، هذا مجتمع الاستهلاك .

دخلت امرأة إلى سوبر ماركت ، قالت : يا إلهي ، ما أكثر الحاجات التي لا يحتاجها الإنسان !!!

نحن عندنا حمى استهلاك ، التسوق متعة ، هؤلاء الغربيون أرادوا لنا أن نكون متسوقين فقط لا منتجين .

الأستاذ علاء :

وحولوا لنا الحاجات الأساسية إلى حاجات وهمية ، والإنسان بحاجة إلى ملبس ، إلى حذاء ، ولكن لسنا بحاجة إلى نوع معين ثمنه اثنا عشر ألف ليرة، حذاء رياضة ، مثلاً .

الدكتور راتب :


الترف الزائد يعيق تقدم الأمم

مثلاً : سجادة وطنية صوف مئة بالمئة، جميلة تقوم بالوظيفة التامة مئة بالمئة ، عزل ، ومنظر ، وصوف ، هذه ثمنها خمسة آلاف ، وسجادة ثمنها ثمانمئة ألف ، الفرق في الاستعمال بالمئة خمسة ، أما بالسعر فثمانمئة ضعف ، فحينما نسعى إلى الرفاه ، أو إلى الترف فهذا يعيق تقدم الأمة ، والإنسان له مصاريف ينبغي أن توفّر .

الأستاذ علاء :

لذلك قالوا : الحاجة الوهمية التي لا يحتاجها الإنسان في المجتمع الاستهلاكي تتحوّل إلى حاجة أساسية ، هو ليس بحاجة لها ، الإنسان بحاجة إلى التعليم ، الطعام ، الشراب ، الصحة ، الكسوة، ولكن هذه الكسوة كمثال السجادة تفي الغرض ، ولكن للزهو والكبر نبحث عن أنواع معينة فخمة.

الدكتور راتب :

فَكَأَنّمَا حِيزَتْ لَهُ الدّنْيَا :

فلذلك النبي صل الله عليه وسلم قال :

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنّمَا حِيزَتْ لَهُ الدّنْيَا))

[أخرجه البخاري والترمذي وابن ماجة عن عبد الله بن محصن]



هو أمن الإيمان ، فإذا أطعت الواحد الديان ألقى الله في قلبك الأمن :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١)الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢)﴾

(سورة الأنعام)

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنّمَا حِيزَتْ لَهُ الدّنْيَا))

والله ما فاته من الدنيا شيء ، وخذ من الدنيا ما شئت ، وخذ بقدرها هماً ، ومَن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه ، وهو لا يشعر .

الأستاذ علاء :

الغياب الطويل عن البيت سواء للعمل أو غير ذلك .

الدكتور راتب :

٤ – الغياب الطويل خارج البلد :

للعمل في بلده ، وقد يسافر إلى بلد بعيد ، إذا كان هناك تواصل في الهاتف ، ومتابعة الأخبار ، وإرسال أشياء ، وزوجة صارمة جيدة ، وأهل مربّون كبار ، يمكن أن يخفف من أخطار الغياب الطويل ، أما الغياب لسنة بكاملها ، وهو لا يعلم عن أولاده شيئا ، ولا عن دراستهم ، ولا عن أوقات فراغهم ، ولا عن علاقتهم بأصدقائهم ، ولا عن زوجته شيئاً ، هذا شيء يحتاج إلى دراسة مطولة وتدقيق .

الأستاذ علاء :

لذلك سيدنا عمر في الغياب بعد انقطاع الأخبار طلق بعد فترة طويلة ، استشار أم المؤمنين السيدة حفصة ، كم تستطيع المرأة أن تصبر على غياب الزوج ؟ فأخذ بهذا الحكم ، وإذا انقطع الخبر لمدة طويلة يفرِّق القاضي بين الزوجين .

الدكتور راتب :

الغياب الطويل إلغاءٌ للمساكنة الزوجية :

الغياب الطويل ألغى المساكنة ، ألغى أحد مقاصد الزواج ، وهناك زواج المسيار ، أنا لا أدخل في تفاصيل الحلال والحرام ، كمقيم في بلد إسلامي ، وله زوجة في بلد ثانٍ ، يمكن في سنة ما يزور هذا البلد ، أنت سميتها زوجة ، وصنفتها مع الزوجات ، وألغيت العنوسة منها ، وهي بقيت عانسا سنة ما نظرت إليها ، هي من شدة رغبتها بإنجاب ولد قبلت بهذا الزواج ، والزواج أكبر مقوم من مقوماته وهو المساكنة ، كما أن الرجل بحاجة إلى امرأة هي بحاجة إلى رجل ، الإنسان ليس مفتقر إلى الله وحده ، مفتقر على زوجة ، الزواج نعمة كبيرة ، بحاجة له ، أنا لا أرى من عمل أعظم من تيسير الزواج .

الأستاذ علاء :

إذاً في وجوده في المنزل عليه أن يصغي إلى زوجته ، وأن يستمع إليها .

الدكتور راتب :

وأن يؤنسها ، بتعبير أو بآخر جنس الرجل حسي ، تثيره منظر امرأة ، وهي جنسها اجتماعي ، يثيرها كلام طيب ، هذا شيء ثابت ، طبيعة الجنس



عند المرأة طبيعة اجتماعية ، لذلك قال تعالى :

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ (٣٢)﴾

(سورة الأحزاب)

نقطة ضعفها القول المعسول ، أما الرجل فقال له : غض بصرك ، الجنس الحسي غير الجنس الاجتماعي ، المرأة تحتاج إلى من يؤنسها ، من يلاطفها ، من يثني عليها ، من يثني على عملها، على بيتها ، على أناقة أولادها ، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ))

[النسائي ، أبو داود]

الزوجة الصالحة تسرك إذا نظرت إليها ، لكن في رواية عجيبة ، تسرك إذا نظرت ، ليس إليها ، إلى غرفة النوم ، إلى المطبخ ، إلى ثياب أولادك ، مرتبة ، نظيفة ، إذا بذلت زوجة جهدا كبيرا فالمفروض أن تسمع ثناء من زوجها ، وأحيانا الزوج أربعين سنة لا يتذكر ولا يثني عليها بكلمة، الأكل ، الطبخ ، النظافة ، الأوامر ، والمحاسبة .

الهدف من هذه اللقاءات التوفيق بين الزوجين .

الأستاذ علاء :

والحرص على هذه اللبنة التي تبني المجتمع بشكل كامل .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية – قناة سوريا الفضائية – الايمان هو الخلق – الدرس (٨٥-٩٥) : أسباب الشقاق الزوجي : سوء الظن

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-١١-٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

أسباب الشقاق الزوجي:



الأستاذ علاء:

تحدثنا في حلقات ماضية عن أسباب الشقاق الزوجي، هذه الأسباب التي تتسرب إلى علاقاتنا الزوجية، إلى أسرنا، وربما لا نتنبه إليها، وربما لا نصغي إلى من ينبهنا إلى خطورتها، فبالتالي تدخل وتكبر ككرة الثلج ثم تفعل فعلها في هذه الأسرة التي هي لبنة أساسية من لبنات المجتمع، ومن تكرارها يتشكل جدار المجتمع، تحدثنا عن مسائل كثيرة منها الجهل، ضعف الإيمان، سوء التصرف، عدم الكفاءة، التعالي، في الحلقة الماضية تحدثنا عن الطمع المالي، وتحدثنا عن غياب الزوج الطويل، يعني آثر عمله على أسرته فالتغى وجوده كزوج، وألغى شخصه ورسالته بكل معنى الكلمة، وراح يلهث وراء عمل، هذا العمل استهلك كل وقته، بالتالي هذه المسائل، أي جنوح أي عدم اعتدال في أي جانب يدفع ثمنها الإنسان في الجانب الآخر.

الآن نكمل في أسباب الشقاء الزوجي، وهذه رسالة لكل من يشاهد لكي يحرص ولكي يتنبه ولكي يسد تلك الثغرات التي تأتي منها رياح سموم.

سوء الظن سبب من أسباب الشقاء الزوجي:

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.



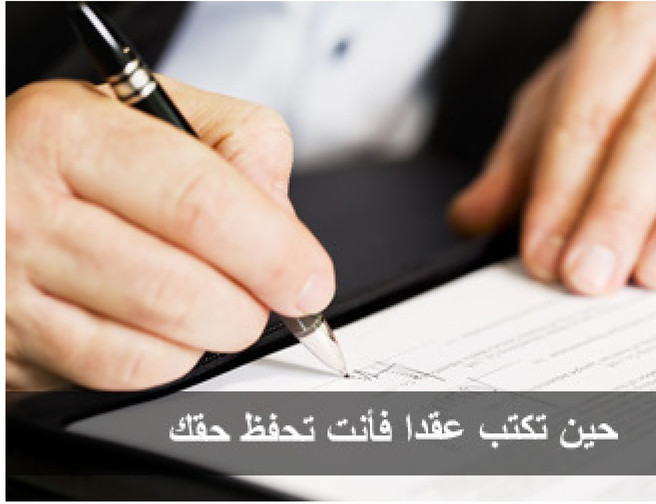
أستاذ علاء جزاك الله خيراً من هذه الأسباب سوء الظن، لا بد من مقدمة، المقدمة أن الإنسان خصائصه حيادية، وحظوظه حيادية، معنى خصائصه الإنسان يغار هذه خصيصة، ما معنى حيادية ؟ يمكن أن توظف في الخير أو في الشر، يمكن أن توظف للتنافس بين طلاب العلم، وبين البطولات، وبين إحقاق الحق، يمكن أن توظف هذه الخصيصة الغيرة لها مصطلح آخر الغبطة في الدنيا الحسد، هي خصيصة ثابتة لكن حيادية تُقيّم في ضوء استخدامها، فالذي عنده غيرة هذه صفة حيادية صماء، إن غرت من إنسان متفوق في الانحراف، أو في كسب المال الحرام، أو في الإيقاع بين الناس، أو في بناء قوته على أنقاض الآخرين، فهو الحسد المذموم، أما إذا غرت من إنسان صالح متفوق له خدمات لمجتمعه، متألق، عالم، فهذا الغيرة المحمودة، الآن الغيرة لها وضع سليم وضع صحي ووضع سوي، فإذا زادت عن حدّها المعقول انقلبت إلى سوء ظن، في حد أدنى لا بد منه للغيرة على الزوج، الله يغار على عبده المؤمن أن يلتفت إلى غيره، إني لأشد غيرة من سعد وإن الله لأشد غيرة مني، فالغيرة صفة حيادية توظف في الخير أو في الشر، من نتائج الغيرة المرضية سوء الظن لكن متى يكون سوء الظن عصمة ؟ متى يكون القول الصحيح احترس من الناس بسوء الظن ؟ متى نقول سوء الظن له وظائف إيجابية ؟

الظن عصمة تعصمك من أن تتورط مع الناس:


لا تتعامل بسذاجة مع الناس وبالأخص بالتعاملات المالية

شخص لا تعرفه إطلاقاً يجب أن تعامله لا بسذاجة ولا بجهل بيقظة، أدنته مبلغاً خذ منه إيصالاً، هناك إنسان يهمل الوثائق يسكن في المحاكم، قيل لعمرو بن العاص: " ما بلغ من دهائك ؟ قال: والله ما دخلت مدخلاً إلا أحسنت الخروج منه، قال له: يا عمرو، لست بداهية، أما أنا والله فما دخلت مدخلاً أحتاج أن أخرج منه.

الغيرة حالة سوية، وحالة أساسية، وسمة عميقة بالإنسان، لكنها حيادية صماء بحسب توظيفها تُقيّم، إن وظفت غيرة في الخير والعمل الصالح وطلب العلم كانت الغبطة وإن وظفت لغير ما ينبغي كانت الحسد.


حين تكتب عقداً فأنت تحفظ حقك

الآن الغيرة لها وضع صحي معتدل فإذا زادت عن حدّه انقلبت إلى سوء الظن، وسوء الظن له جانب إيجابي وجانب سلبي، الإيجابي سوء الظن عصمة، اعمل عقداً، دخلت مع إنسان بشراكة والمقر باسمه، اطلب أن يكون باسمك، لو نجح المشروع نجاحاً مذهلاً قد يدخل إلى نفسية الطرف الآخر أن يستأثر به، يقول لك المبلغ أخذته منك قرضاً لا شراكة، وقعت آلاف المرات لأنه تكاسل يعمل عقداً، وتكاسل أن يسجله في محكمة البداية، التوقيع ماله قيمة، في دعاوى التوقيع تبقى عشر سنوات، مادام مسجلاً في المحكمة خلاص، فلذلك احترس من الناس بسوء الظن، اطلب عقداً، اطلب إيصالاً، اطلب وثيقة، أما أن تبقى الأمور سبهللة بلا تسجيل هذا شيء مزعج جداً، نحن وسعنا قليلاً المفهوم، احترس من الناس بسوء الظن، سوء الظن عصمة تعصمك من أن تتورط.

عرت سيارتك، مرة كنت في الحج إنسان ما وجد معي حاجات إطلاقاً محفظة صغيرة، قال لي: هل لك أن تأخذ من بعض حاجاتي ما في معك وزن، قلت له ما في مانع لكن افتح لي الحقيبة، لو فيها مادة ممنوعة أو مهربة أنا مسؤول، فتشت وجدتها كلها ملابس وافقت، سوء الظن عصمة.

سوء الظن بلا دليل يعد ذنباً من الذنوب:


اللباقة واللطف مطلوبين في التعامل مع الناس

احترس من الناس بسوء الظن، الحزم سوء الظن، لكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحذر الناس ويحترس منهم من دون أن يطوي بشره عن أحد، سوء الظن من الداخل، من الخارج في مودة وفي لطف وفي جواب لطيف وفي اعتذار لبق وفي كلام معقول وفقط، ليس معنى أنه لا سمح الله إذا شخص أساء الظن بإنسان يجرحه، يهينه، أبداً.

كان يحذر الناس، ويحترس منهم، من دون أن يطوي بشره عن أحد، بشره للجميع، أما سوء الظن الذي هو رذيلة، وهو خلق ذميم أن تسيء الظن بلا دليل، دخلت إلى البيت تتكلم بالهاتف لما لمحتك أقفلت الهاتف، في مشكلة، لذلك:

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ (٣٤) ﴾

(سورة النساء)

بطولة الرجل لا أن يحل المشكلة بعد أن تقع، بعد أن تظهر بوادر خفيفة جداً منها،

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾


نهينا عن سوء الظن بلا دليل

ما وقع النشوز لكن في ظاهرة، في تصرف صعب تفسيره، النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي مع زوجته قال، هذه زوجتي لصحابيين لماذا ؟ لئلا يقعا بسوء الظن، علمنا منهجاً، أنت كنت في مكان نزلت في فندق مؤتمر شخص له زوجة مقيمة عند ابنتها وهو داخل إلى غرفته سبعة أيام لوحده، مرة

جاءت زوجته إلى عنده للفندق وهناك شخص قاعد يراقب قل له هذه زوجتي، هو يظن أنه سبعة أيام لوحده في الغرفة هذه المرة لماذا معه واحدة ؟

سوء الظن الذي نهانا الله عنه هو سوء الظن بلا دليل، ما في ولا دليل، تأخر الزوج أين كنت ؟ أين أكون، معروف باتجاهه الديني واستقامته وعفته وكان في سهرة عمل أو مع رفقائه، لا مع من كنت ؟ لذلك حينما يكون سوء الظن بلا دليل يعد ذنباً من الذنوب، الله عز وجل قال:

﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ (١٢) ﴾

(سورة الحجرات)

دقق ما كل الظن إثم إن بعض الظن إثم.

أحد أكبر أسباب انهيار البيوت سوء الظن بلا دليل:


سوء الظن بلا دليل يهدم البيوت العامرة

سوء الظن عصمة وذكاء وحرص واحتراز، سوء الظن عصمة، احترس من الناس بسوء الظن، الحزم سوء الظن، لكن النبي الكريم كان يحذر الناس ويحترس منهم من دون أن يطوي بشره عن أحد، فلما الزوج يجد ظواهر لا ينبغي أن تفسر تفسيراً واضحاً من زوجته يجب أن يسيء الظن، أن يراقب، أما ما في أي أثر، ما في أي غلط، ما في أي مظهر يثير الشك لماذا سوء الظن من دخل البيت إلى عندك ؟ أنت عندك زوجة شريفة راقية، صاحبة دين، تربيتها جيدة، ما هذا من دخل ؟ لذلك أحد أكبر أسباب انهيار البيوت سوء الظن بلا دليل. الأستاذ علاء:

هذه حالة اتهام.

البيان يطرد الشيطان:

الدكتور راتب:

لا يحتمل زوج يسيء الظن بلا دليل، ولا تحتمل زوجة تسيء الظن بلا دليل، اسمها حالة سوء ظن مرضية، تجاوزت الحد المعقول، كل إنسان يغار على زوجته وكل زوجة تغار على زوجها،

ولو لم تغر الزوجة على زوجها لا تحب، حريصة عليه والعكس صحيح، أما حينما ترتفع نسبة الغيرة إلى درجة أنها اتهام مستمر، الإنسان ما في حوله ولا شبهة هذا سوء ظن يفسد العلاقة الزوجية.


عندما تصبح الغيرة اتهام مستمر بلا دليل يفسد الزواج

في زوجة كل يوم في تحقيق مع زوجها، تفتش جيبه، يكون زوجاً ابن مسجد، ابن اتجاه ديني راقٍ جداً، يغض بصره عن محارم الله، يتهم بشيء بعده عنه بعد الأرض عن السماء، مثل بسيط لو فرضنا جامع فارغ ما في أحد إطلاقاً جالس شخصاً وفي معطف معلق وباب المسجد مفتوح، هذا الإنسان في آلة تصوير خفية نظر إلى الباب لم يجد أحداً، ثم قام إلى المعطف، وسحب منه ألف ليرة، صورناه، يمكن أن تفسِّر الصورة أنه سارق، أمّا إذا علمت أن هذا الإنسان هو الذي بنى هذا المسجد، دفع خمسين مليون وهذا معطفه، ولمح فقيراً فقام إلى المعطف، الصورة واحدة


البيان يطرد الشيطان

شخص يجد ليرة ذهب في الأرض انحنى وأخذها وضعها في جيبه صورناه، إذا نوى أن يبحث عن صاحبها ويضع أخباراً، في بعض المحلات فهي مؤاثرة وفضيلة، وإذا نوى أن يأخذها دون أن يبحث عن صاحبها فهي رذيلة.

الصورة وحدها لا تكفي، تعليل، لذلك قال هذه زوجتي، ويقاس عليها الحساب انتهى حسابك، أنا أعطيتك مبلغاً ضخماً، قدم لي فاتورة، أنت بريء ومستقيم وورع، لكن أنت ما بينت له، البيان

يطرد الشيطان، قدم حساباً، قل له هذه مدفوعاتك وهذه المصاريف طلع الرصيد صفر، هذا بيان، هذه تابعة لسوء الظن عصمة، أو البيان يطرد الشيطان تنسحب على ملايين الحالات. شخص فرضاً سافر ووصى أخو زوجته تفقد أخته وما بلغ أحداً من الجيران، هم رأوه مسافراً ورأوا رجلاً يدخل إلى البيت في غيابه، أوقعهم في مشكلة من غيرتهم على جارهم يبلغ أنا أودع الجيران قبل أن أسافر، وأقول: أنا وكلت أخو زوجتي بتفقد زوجتي، إذا شاهدوا رجلًا دخل إلى البيت واضح تمام، في إنسان لا يتكلم ينشأ من عدم الكلام شر كبير جداً.

الكتابة تلغي سوء الظن:



سوء الظن عصمة، والحزم سوء الظن، واحترس من الناس بسوء الظن، والله في غباء وفي سذاجة بعلاقات الناس تدمر، دفعت مبلغاً ضخماً ما في إيصال، ما في سند، ما في عقد ؟ المشكلة ليست مع الطرفين مع أولاد الطرفين، شخص وضع عنده أمانة مبلغاً ضخماً ما كتب أمانة توفي بحادث، الأولاد لا يقبلوا أن يكون المبلغ أمانة وجدوه في الصندوق الحديد، إذا ما كتب أمانة في مشكلة كبيرة أطعم أولاده المال الحرام، وكل ابن إذا صدق أي دعوى شفهية هذه مالها حل، أنا أريد مع والدك خمسة ملايين ؟

الأستاذ علاء:

سيدي ربنا قال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾

(سورة البقرة الآية: ٢٨٢)

الدكتور راتب:

الكتابة تلغي سوء الظن، تلغي احتمال.

الأستاذ علاء:

سيدي والخطاب لمن ؟ للذين آمنوا.

ضرورة الوعي عند الإنسان:

الدكتور راتب:

شخص دفع مبلغ لشخص ستمئة ألف، قصة قديمة بالسبعينات كان الدولار بثلاث ليرات، وقال له اعمل لي وصلاً، قال ما في داعي مساءً سأعطيك، العصر مات بحادث، جاؤوا أهله قالوا مالك معنا شيء، في مشكلة ما في وثيقة، أحياناً الوعي القانوني أنا رأيي الشخصي المحامي ليس مهمته أن يدافع عنك أن يمنعك أن تقع، المحاماة الوقائية قبل أن تعمل العقد اسأل محامياً.

الأستاذ علاء:

المنع والاحتراز قبل القمع كما يقولون، أسباب المشكلة أن تمنعها.

الثقة جزء أساسي في حياة كل إنسان:

الدكتور راتب:

للأزواج إذا في بوادر نشوز ابحث وسيء الظن، أما ما في ولا بادرة أحسن الظن، لا بد من التسليم، لأن يوجد جزء أساسي في حياتنا هو الثقة، إذا ما في ثقة تقف الحياة كلياً، في أرضية أما إذا في بوادر، في مشكلة، ما أعطاك الحساب، وضعت مالاً مع شخص ما أعطاك الحساب، أنا ما عندي حسابات، لماذا ما عندك حسابات ؟ أريد ميزانية، كل إنسان امتنع من تقديم ميزانية عنده إشكال، معنى منحك رغبة أن تبحث، هذا سوء الظن، سوء الظن عصمة، لا يوجد ولا بادرة قدم لك حساباً واضحاً جداً قانونياً وفنده لك، لا تعرف الله يعلم، هذا كلام، أحياناً يذكر اسم امرأة يعمل هكذا فقط، ورد في بعض الآثار قذف محصنة يهدم عمل مئة سنة، أنت عملت هكذا عرفت ماذا فعلت ؟

((وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وأحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

السيدة عائشة وصفت السيدة صفية رضوان الله عليهما بأنها قصيرة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((يا عائِشَةَ لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْه))

[رواه أبو داود والترمذي، عن عائشة رضي اللّه عنها]

أحياناً كلمة يرقى بها على أعلى عليين، وبكلمة يهوي بها إلى أسفل سافلين.

الأستاذ علاء:

سيدي هنالك من الأسر أو من الزوجات من يعانين من شح الزوج، ترى الزوج لديه مدخول، الزوج لديه مكنة مادية، الزوج يستطيع أن يصرف على هذا البيت على زوجته وأولاده وأن يعيشوا بدون عوز بل ببحبوحة، تراه ضنيناً، ولما يسأل عن الموضوع أنا من أجلكم، هذا الأمر أنا لا أقول للذي ليس لديه مكنة أو قسرت يده عن العمل، أنا لا أقول عن الفقير أنا أقول عن المتمكن، هو له بواعث داخلية هذه القضية تجعل في لوحة الأسرة خدشاً ماذا عن شح وبخل الزوج ؟

الشحّ مرض خبيث يصيب النفس:



الشح من أمراض النفس الخبيثة

الدكتور راتب:

أستاذ علاء جزاك الله خيراً على هذا السؤال، أولاً هناك أمراض خبيثة السرطان يصيب الجسم أقسم لك بالله إن الشحّ مرض خبيث يصيب النفس، الدليل لولا الدليل لقال من شاء ما شاء:

﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾

(سورة الحشر)

لذلك الشحيح يتمنى أولاده موته أول شيء وهذه أكبر مصيبة، أن يتمنى الذين حول الإنسان أن يموت، الشحيح يعيش فقيراً ليموت غنياً، الشحيح ربما دخل بماله النار ودخل أولاده بماله الجنة، الشحيح مريض مرضاً عضالاً.

لذلك الكرم يغطي كل سلبيات الإنسان، الكرم يغطي ألف عيب، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ليس منا من وسع الله عليه، ثم قتر على عياله))

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم بسند فيه ضعف]

((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ))

[أحمد عَن ابْنِ عُمَرَ]

بين أن الإنسان يعيش مع أولاده، ويتمنون حياته، يفدونه بأرواحهم، وبين أن يتمنوا موته، لو أنه أصابه مرض وجاء الطبيب وقال عرضية ينزعجون كثيراً ليست عرضية نريدها قاضية، ننتظرها بفارغ الصبر، الشح مرض خبيث، الكريم إنسان مؤمن بالله:

((أنفق بلال، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالا))

[الطبراني في المعجم الكبير والأوسط بسند حسن عن أبي هريرة]

((يا عبدي، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ))

[الترغيب والترهيب بسند صحيح]

وما نقص مال من صدقة:

﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾

(سورة الحشر)

أكبر مصيبة أن يتمنى الذين حول الإنسان أن يموت من شدة بخله:



والله كما تفضلت أستاذ علاء أنا لا أتكلم من فراغ، والله هناك أزواج يحصون حبات الفواكه في البراد، وهناك أزواج لا يسخون على زوجاتهم بما لا يحتاجونه من الأمور الأساسية، البخل مرض خطير، أنا أنصح كل أولياء الفتيات ألا يزوجوا بناتهم لشحيح لأن حياته جحيم لا يطاق.

ورد في بعض الآثار: أحب ثلاثاً، وحبي لثلاث أشد، أحب الطائعين وحبي للشاب الطائع أشد، أحب المتواضعين وحبي للغني المتواضع أشد، أحب الكرماء وحبي للفقير الكريم أشد، وأبغض ثلاثاً، وبغضي لثلاث أشد، أبغض العصاة وبغضي للشيخ العاصي أشد، أبغض المتكبرين وبغضي للفقير المتكبر أشد، أبغض البخلاء وبغضي للغني البخيل أشد.

لذلك قالوا الورع حسن لكن في العلماء أحسن، والعدل حسن لكن في الأمراء أحسن، والصبر حسن لكن في الفقراء أحسن، والسخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن، والتوبة حسن لكن في الشباب أحسن، والحياء حسن لكن في النساء أحسن. الأستاذ علاء:

سيدي البخل مرض خطير.

الزكاة تطهر الغني من الشح، وتطهر الفقير من الحقد:



الدكتور راتب:

لكن احتياطاً في ثلاثة أحاديث هي مقاييس دقيقة:

برأ من الشح من أدى زكاة ماله، وبرأ من الكبر من حمل حاجته بيده، وبرأ من النفاق من أكثر من ذكر الله.

الذي يؤدي زكاة ماله قد يكون دخله محدوداً، وينبغي أن يتدبر هذا المبلغ في هذا الشهر، فأنت ليس لك حق أن تتكلم كلمة، هذا مقتصد ليس بخيلاً، أما البخيل من كان غنياً وهو يضن بماله كما قلت قبل قليل.

((ليس منا))

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم بسند فيه ضعف]

هذا شيء خطير، أخرجه النبي عليه الصلاة والسلام من الإسلام:

((ليس منا من وسع الله عليه، ثم قتر على عياله))

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم بسند فيه ضعف]



كتاب المرأة المسلمة- لفضيلة الدكتور محمد ر

لذلك يوجد باب في الجنة لمن يُدخل الفرح على قلوب الصغار، فلذلك الإنسان إذا أنفق يسعد، ما معنى قوله تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ (١٠٣) ﴾

(سورة التوبة)

قال علماء التفسير: إن هذه الزكاة تطهر الغني من الشح، وتطهر الفقير من الحقد، وتطهر المجتمع من هذا التفاوت الطبقي الكبير الذي وراءه انحرافات وسرقات واحتيالات، حتى الدعارة، أمراض لا يعلمها إلا الله تتلاشى إذا في كرم وفي كفاية، بل وتطهر المال من تعلق حق الغير به.

بيت المؤمن جنة من جنان الأرض لكن يحتاج إلى علم و صلة بالله و ق رحيم:

أربع حالات، تطهر الغني من الشح، وتطهر الفقير من الحقد، وتطهر المجتمع من هذا التفاوت الطبقي الذي وراءه كل انحرافات المجتمع. ألم يقل سيدنا علي: كاد الفقر أن يكون كفراً.



أنا أقول كاد الفقر أن يكون إرهاباً أو قتلاً أو جريمة أو اختلاساً أو سرقة، أنا لي تعليق لطيف، رجل دخل إلى بستان أنصاري، وأكل من دون إذنٍ، فشكاه الأنصاري إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وسيق إليه على أنه سارق، ماذا قال له النبي عليه الصلاة والسلام؟ قال له:

((هلاّ علمته إذا كان جاهلاً، وهلا أطعمته إذا كان جائعاً))

[ورد في الأثر]

أنت يجب أن تعالج القضية من بداياتها لا من نتائجها، أحياناً يكون الشح مرضاً ووبيلاً يفسد العلاقة بين الزوجين وتكره المرأة زوجها، أكبر صفة الكرم، والله أعرف أزواجاً أنا أعدها فضيلة فيهم لو دعي إلى طعام نفيس لا يمكن إلا أن يأتي بمثله لزوجته، والمؤمن يأكل بشهوة أهله، هي تؤثره فيما يحب من طعام، وهو يؤثرها فيما تحب من طعام، هذا هو المؤمن لذلك البيت جنة، البيت جنة من جنات الأرض لكن يحتاج إلى علم، وإلى فهم، وإلى حكمة، وإلى تدين، وإلى صلة بالله عز وجل، وإلى قلب رحيم.

الالتفاف والانفضاض:


الأب الرحيم يلتف حوله أولاده ويحبونه

أنا أقول دائماً في قانون اسمه قانون الالتفاف والانفضاض، الأب بحاجة إلى من يلتف حوله أولاده وزوجته، يحبونه، يخدمونه، ينصاعون له، يتلقون توجيهاته باحترام بالغ والأم بحاجة كذلك، ما قانون الالتفاف دقق:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾

(سورة آل عمران الآية: ١٥٩)

أي بسبب رحمة استقرت بقلبك يا محمد هذه الرحمة انعكست ليناً، التف الناس حولك، ولو كنت منقطعاً عنا لامتلأ القلب قسوة، ولانعكست القسوة غلظة وفظاظة، فانفضوا من حولك، هذا القانون يحتاجه الأب والأم والداعية، والخطيب والمدرس وأستاذ الجامعة وأي منصب قيادي، قانون الالتفاف والانفضاض.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية – قناة سوريا الفضائية – الايمان هو الخلق – الدرس (٨٦-٩٥) : أسباب الشقاق الزوجي عدم احترام الزوج لعائلة الزوجة أو عدم احترام الزوجة لعائلة الزوج

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-١١-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ علاء:



سيدي الأستاذ بدأنا منذ حلقات عدة نعاين ونسلط الضوء على أسباب الشقاق الزوجي مبتدئين بقوله تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (٢١) ﴾

(سورة الروم)

الله عز وجل خلق لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها، ولتكون المودة والرحمة بيننا، لكن أفعال الإنسان هي التي تؤثر بل وتفسد هذه العلائق التي وضعها الله عز وجل، وبدأنا خلال الحلقات الماضية نتحدث عن أسباب الشقاق الزوجي، تحدثنا مطولاً عن بنود لابد من أن نستكملها، قلت لنا: من هذه البنود عدم احترام الزوج لعائلة الزوجة، أو عدم احترام الزوجة لعائلة الزوج، بداية نبتدئ بهذا البند لو سمحت.

الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع:

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.



أستاذ علاء كنت أقول دائماً: إن النجاح لا يسمى نجاحاً إلا إذا كان شاملاً، وأركان النجاح نجاحك مع أهلك وأولادك، نجاحك مع ربك، نجاحك مع صحتك، نجاحك مع عملك، فكأن النجاح في الأسرة أربعة أركان هو أحد أركانها، نجاحك مع أهلك وأولادك ربع النجاح الشمولي، لذلك إذا شبهنا المجتمع ببناء كبير، الأسرة هي اللبنة، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، إذا تماسكت الأسرة تماسك المجتمع، إذا نمت الأسرة نما المجتمع، إذا طهرت الأسرة طهر المجتمع، إذا تكافلت الأسرة تكافل المجتمع.

اجتماع الشرائع السماوية على تدعيم الأسرة و قدسيتها:

كأن النظم الإلهية، الشرائع السماوية تجتمع على تدعيم الأسرة، وعلى قدسيتها، وعلى الحفاظ عليها، وعلى الوئام، بل إن الله عز وجل حينما قال وجعل المودة والرحمة بين الزوجين من خلق الله عز وجل:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٣٧) ﴾

(سورة فصلت)

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (٢٢) ﴾

(سورة الروم)

ومن آياته الدالة على عظمته:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (٢١) ﴾

(سورة الروم)

وجعل بمعنى خلق بينكم مودة و رحمة.

كل إنسان فطر على حبّ أمه وأبيه:


فطر الإنسان على حب أمه وأبيه

إذاً بخطأ الإنسان، بتقصيره في أداء واجباته، بخروجه عن منهج ربه في معاملة أهله ينشأ الشقاق، الفساد أصله من الإنسان، يوجد دليل قوي جداً:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ (٤١) ﴾

(سورة الروم)

أصل التصميم كمال مطلق، الفساد يتأتى من خطأ يرتكبه الإنسان، انظر إلى مركبة سحبت من الوكالة لتوها رائعة جداً، لو قادها إنسان مخمور فنزل بها في الوادي هذا الذي حصل هو سبب خطأ في قيادتها، أنا بشكل صريح أعزو أي مشكلة بين الزوجين إلى خطأ في السلوك من أحدهما أو من كليهما، الحقيقة فطر الإنسان على حبّ أمه وأبيه، أي ما بين الأب والأم وما بين الأب وأولاده وما بين الأم وأولادها شيء من صنع الله عز وجل، هي رحمة الله أودعها في قلوب الأمهات، هي محبة الله أودعها في قلوب الآباء.

من أراد أن يحافظ على ود زوجته عليه أن يتجنب السخرية من أمها و أبيها:


هناك خطوط حمراء يجب أن لا يتجاوزها الزوج

إذا أراد الزوج أن يسخر من أم زوجته يحطم زوجته، كما أن أمه مقدسة عنده أمها مقدسة عندها، بصرف النظر عن أخطائهما، هذا موضوع آخر، أنت أحياناً ولاؤك لأمك وأبيك لكن قد لا تعجب بتصرفاتهم موضوع آخر، لكن أنت منهما، لهم رعاية، لهم حق البر، الزوج حينما يتطاول على أم زوجته أو على والد زوجته يحطم زوجته لماذا ؟ لأنه أبوها ولأنها أمها، وهو زوجها، فبطولة الأزواج أن يضعوا خطوطاً حمراء أمام عائلات زوجاتهم، تبقى الزوجة على مودة ولن تستطيع أن تقطع فتاةً عن أمها وأبيها، في أزواج بحمق ما بعده حمق يمنعوها من زيارة أمها أو يمنعوا أمها من زيارتها، ماذا فعل بزوجته ؟ كيف تريد أيها الزوج أن تحبك زوجتك ؟ ردّ نفسي عنيف جداً، كيف تنتظر أن تحبك زوجتك وقد أصبتها بأقدس ما عندها ؟ كيف تحب أن تواليك هذه الزوجة وقد طعنتها بالظهر حينما طعنت بأبيها ؟ أنا لا أتحدث الآن عن أن الأب والأم على صواب أو على خطأ، قد يكونان على خطأ لكن أنت يجب أن تعامل والد زوجتك وأم زوجتك كما تعامل أباك وأمك.

ينبغي على الزوج ألا يقطع زوجته عن أمها وأبيها ولو كان هناك خطأ:


قطيعة أهل الزوجة مرفوضة

أنا كنت أقول دائماً هناك أب أنجبك، وأب زوّجك، وهناك أب دلّك على الله، فهذا الأب والد الزوجة اعتنى بابنته عشرين عاماً، اعتنى بحجابها وثقافتها، ثم قدمها لك هدية له حق عليك.الأستاذ علاء:

سيدي من يسمع الآن ويشاهد قد يتساءل وهو يمارس هذه المسألة أنني أنا منعت زوجتي من زيارة أهلها، أبيها، أمها، نتيجة تصرفات هذه التصرفات أنا جعلت من منع الزيارة كحرز ماذا نقول له ؟

الدكتور راتب:

أزور أهلها وأنا معها، هو يتوقع توجيهات معينة سوف تبث من قبل الأم لزوجته الحل أنا أزورهم كل أسبوع أنا وهي معاً، لن يستطيعوا في حضرتي أن يقولوا شيئاً، هذا حلّ، لا ينبغي أن أقطعها عن أمها وأبيها ولو كان في خطأ، الخطأ يصحح، الخطأ يعالج، أما مبدأ قطيعة الأم عن أمها وأبيها خطأ أكبر من أي خطأ آخر ينتج عن اتصالها.

الأستاذ علاء:

سيدي اسمح لي أن أقف عند هذه المسألة، هنالك كي يتجاوز الأمر الخطأ إلى مفسدة ربما تكون الأم في وضع معين إذا زارت البنت أمها ارتشفت من فسادها، هنا هل يحلل الشرع هذا ؟

درء المفاسد مقدم على جلب المنافع:

الدكتور راتب:

هذه حالة أخرى، قالوا: دع خيراً عليه الشر يربو. قالوا: درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، هذه حالة خاصة إذا يمكن أن تكون هذه الصلة سبباً لفساد بيتك، يجب أن تقنع زوجتك أولاً بأن


الإقناع مجد أكثر من القمع

هناك خطر من زيارتك لأهلك، البطولة بالإقناع القمع لا يجدي، أنا أرى دائماً الأزواج إما أن يقمع وإما أن يقنع، البطولة أن تقنعها أن هذه الأفكار تفسد علاقتنا، تفسد بيتنا، تفسد تربيتنا لأولادنا، تفسد سعادتنا، تفسد سلامتنا، نحن لسنا مكلفين أن نكون أوصياء على الآخرين، فأنت حينما تقنع زوجتك وأنا أرى في الأعم الأغلب إذا كان الزوج محسناً لزوجته تقنع بكلامه، وتستجيب له، وهي تبادر فإذا جاءت المبادرة منها المشكلة خفيفة جداً، أنا كل ما جئت إليكم أفسدتم علاقتي مع زوجي، أنا سأبتعد عنكم قليلاً بالهاتف أطمئن عن صحتكم بالهاتف ممكن، طبعاً هذه حالة نادرة.

الأستاذ علاء:

قد يتساءل المشاهد أن هناك حالة تقتضيها هذه المسألة ما هو موقف الشرع ؟ الآن تبين.

الإدارة تقتضي أن تقنع الذين حولك لا أن تلزمهم بما تريد:

الدكتور راتب:



أريد دائماً، علموا ولا تعنفوا، أنا مع الإقناع ولست مع القمع، أحياناً الإله العظيم لما أمرنا أعطى التعليمات، سر في التربية رائع:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾
(سورة البقرة)

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ (١٠٣) ﴾
(سورة التوبة)

المطلق الذي كن فيكون، زل فيزول، أعطاك الأمر مع التعليل، أنت لا تعطي الأمر من دون تعليل، أنت لما تعطي التعليل تجعل الطرف الآخر ما هو مأمور تجعله شريكاً بالقرار، بطولة القيادة الذكية في المدارس، في الجامعات، في المؤسسات، من إدارة الأعمال أن تجعل هذا الذي

معك شريكاً لك في اتخاذ القرار لا تجعله متلقياً للقرار، يوجد فرق كبير جداً، أنت إذا بينت له المشكلة، وأبعادها، والأخطار الناجمة عنها، تبنى معك هذا القرار، ونفذه عن قناعة، ونفذه بكرامة، ونفذه بروحه لا بنصه، فأنا أعد الإدارة تقتضي أن تقنع الذين حولك لا أن تلزمهم بما تريد.

الأستاذ علاء:

سيدي هذا إذا كان من الزوج، وهذه الصور غالبة على أن تكون من الزوجة تجاه عائلة زوجها، هنالك تسمح لي أن أبحث بالتعبير العامي زوجة قاطوعة، يعني تقطع زوجها عن أهله، وتكسر رجل أهل زوجها عن البيت، ماذا نقول في هذه الحالة ؟

الزوجة العاقلة تسعى لتكون العلاقة بين زوجها وأهله علاقة طيبة تنعكس عليها استقراراً:

الدكتور راتب:


القسوة تأتي من خلل داخلي

تخسر زوجها، لأن الإنسان حينما يعق أهله يضطرب، هذا يعود عليها، الزوجة العاقلة تسعى لتكون العلاقة بين زوجها وأهله علاقة طيبة، إن هذه العلاقة الطيبة تنعكس عليها استقراراً وراحة نفسية، فإذا جهدت في قطع زوجها عن أهله اضطرب الزوج لم يعد طبيعياً، أصبحت ردود فعله قاسية جداً، صار لأتفه سبب يثور، عنده خلل داخلي، أحياناً نجد في خلل داخلي عميق جداً قد لا ننتبه له وراء قسوتنا، وراء التطاول، وراء الكلمات القاسية، وراء الاضطراب، وراء سرعة اتخاذ القرار، هذا كله وراءه اضطراب داخلي، الإنسان لو كان عنده صحة نفسية، متوازن هادئ، قراره هادئ، تصرفه معقول، ردود فعله معقولة، متزنة، أما لما أنا أقطع زوجي عن أهله وأستطيع أن أفعل ذلك لما لي عنده من مكانة ؛ هو يستجيب لي إرضاء لي لكنني أوقعته في اضطراب، أوقعته في انهيار داخلي، ما ينتج عن هذا الانهيار الداخلي من آلام انعكس عليها، أنا

أقول من ذكاء الزوجة أن تسعى لحسن علاقة زوجها بأهله، ومن ذكاء الزوج أن يسعى لحسن علاقة البنت مع أهلها مع الضوابط.

الأستاذ علاء:

الآن جاءت إلى بيت زوجها فوجدت هناك علاقة مضطربة من أخته، مع أخيه، مع أمه، مع أبيه، أصلحت هذه العلاقة، الزوجة، وبنت علاقة متوازنة فيها ينتفي العقوق، تمسك بقلبه.

من بنت علاقة متوازنة بين الزوج و أهله أبعدت زوجها و أولادها عن العقوق:

الدكتور راتب:

هذه زوجة لا تقدر بثمن لكنها ذكية جداً وعاقلة جداً، هذه مبادئ ثابتة بالحياة الزوجية، هذا الابن ليس من شجرة، ليس من الحائط، له أب وأم، له أخوة، فحينما أقرّ بما هو فطري، بما هو طبيعي، بما هو مألوف، أنا أوظفه لمصلحتي.

الأستاذ علاء:

سيدي الآن جئنا إلى أسرة فيها تفاهم بين الزوجين، وفيها مودة، وفيها محبة بين الزوجين، وهذه العلاقة مشت مشياً هادئاً و رائعاً بعد فترة يدب الشقاق والخلاف، بالنظر نجد أن هناك تدخل من الآباء والأمهات في علاقة الزوجة ماذا نقول عن هذه الزاوية التأثيرية عن علاقة الزوجة ؟

أكثر مشاكل الأسر تتأتى من تدخل الآباء والأمهات من كلا الطرفين:

الدكتور راتب:

الحقيقة إذا كان الأب والأم ناضجين يتركان أولادهما مع أهلهم على ما يريدون، لا يتدخلون، أحياناً تتدخل الأم بوضع الأثاث في بيت ابنها، لها أذواقها، الزوجة أنت عمرك سبعين سنة، هي عمرها ثماني عشرة سنة، لها أذواقها هذا بيتها، تجدها تتدخل في كل شيء، هذا التدخل يخلق مشكلات كبيرة، أنا حينما أتدخل ألغي شخصية الزوجة لماذا قال الله عز وجل دقق أستاذ علاء:

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ (١) ﴾

(سورة الطلاق: الآية١)


القرآن شرف الزوجة بانه نسب البيت لها لأنه مملكتها

لماذا عزي البيت في القرآن للزوجة مع أنه ملك الزوج ؟ عزي إليها إشرافاً، الزوج يحقق ذاته في عمله، له مجالات عديدة يحقق ذاته فيها، أما الزوجة أين تحقق ذاتها ؟ في بيتها، في ترتيبه، في تنظيمه، في إدارته، في مملكتها، لذلك نسب البيت في القرآن الكريم إلى الزوجة لا نسبة تملك بل نسبة إشراف، فأنا أرى أن الأب العاقل لا يتدخل في تفاصيل حياة ابنه مع زوجته إلا إذا كان في خروج عن مبدأ، عن قيمة، عن سمعة عائلة، عن اتجاه، عندئذ تدخله تدخلاً مشروعاً، تدخلاً يشكر عليه، أما له نمط خاص بترتيب الأثاث، نمط خاص بالطعام والشراب، نمط خاص بترتيب البيت، هذه الأشياء لا أتدخل بها.

الزوجة العاقلة ترضي أهلها من طرف وترضي زوجها من طرف آخر:

أنا بحكم عملي في الدعوة أكثر مشاكل الأسر تتأتى من تدخل الآباء والأمهات من كلا الطرفين، أحياناً أقرباء الزوج، أحياناً أقرباء الزوجة، الأم أحياناً، أستاذ علاء عند الإنسان حاجة اسمها تأكيد الذات، هي أم، ابنتها تزوجت أصبحت تابعة لزوجها كأنها خسرت فحينما تأمر ابنتها أن تفعل مع زوجها كذا وكذا تشعر أنها ما زالت مسيطرة وأن زوج ابنتها بيدها، وأنا أقول البنت غير الناضجة تستجيب لضغوط الأم أو الأب على زوجها فتغدو غبية، هذا البيت بيتك، وهذا الزوج زوجك، وليس من رجل أقدس عندك من زوجك هذا بنص كلام النبي عليه الصلاة والسلام حينما سئل:


تدخل الأقارب والأهل يفسد العلاقة بين الزوجين

((مَن أعظم الرجال حقاً على المرأة ؟ قال: زوجها، فلما سئل: مَن أعظم النساء حقاً على الرجل ؟ قال: أمه))

[الجامع الصغير عن عائشة بسن فيه ضعف]

فهذا توجيه نبوي، فأنا حينما أرى زوجة عاقلة جداً، مصيرها مع زوجها، سعادتها مع زوجها، تألقها مع زوجها، تتلطف مع أهلها لا تزعجهم لكن لا تستجيب لهم، وقد تسلك طريقاً فيه ذكاء ترضيهم من طرف وترضي زوجها من طرف.

على الزوج ألا يسرف في مدح زوجته أمام أمه:

أحياناً الزوج يبالغ بمدح زوجته أمام أمه قد لا تحتمل ذلك، هذا خطأ أيضاً، يبالغ كان ملكها فأصبح بيد زوجته، أنا أتمنى على الزوج ألا يسرف في مدح زوجته أمام أمه ما شي الحال نصيبنا.الأستاذ علاء:

والزوجة يجب أن تعرف مؤدى هذه العبارة، هو ليس انتقاصاً في حقها، باتفاق مسبق الدكتور راتب:

الإنسان حينما يتقدم بالسن ينشأ حالات أنا أسميها تقلصاً عقلياً، أو أسميها ثبات على شيء غير صحيح، أنا أعذر أب متقدم بالسن أو أم متقدمة بالسن أنا يجب أن أداريها لا أن أجابهها.

الأستاذ علاء:

سيدي الكريم هنالك من يقول من الأزواج أنا أشتغل والحياة صعبة، لقمة العيش يجب أن نسعى لها، وهذا جهاد بكل معنى الكلمة، ويغيب غياباً طويلاً عن البيت، هل هذا مبرر له أن يغيب وماذا يتأتى من الغياب ؟

أحد أكبر أسباب الخيانة الزوجية هو غياب الزوج الطويل عن البيت:



الدكتور راتب:

والله لئلا أكون مبالغاً أنا عندي دراسة مؤصلة وعميقة جداً أنه أحد أكبر أسباب الخيانة الزوجية هو الغياب الطويل، كلمة قاسية وخطيرة، أحد أكبر أسباب الخيانة الزوجية هو الغياب

الطويل، المرأة إنسانة أستاذ علاء تريد من يؤنسها، من يلاطفها، من يثني على جمالها أحياناً، من يثني على إدارة بيتها، من يثني على طبخها، من لها غير زوجها، هل لها غير زوجها يقدر وضعها ؟ أحياناً يذهب قبل شروق الشمس، يأتي الساعة الثانية عشرة على الطعام والنوم، هذا إنسان ؟ لا يحكي معها كلمة، لا يسألها عن صحتها، لا عن أولادها، لا يسمع لها، أحياناً النبي عليه الصلاة والسلام سمع للسيدة عائشة فترة طويلة عن أبي زرع وأم زرع، وحدثته عن شجاعته وكرمه، لكنها تأسفت أشد الأسف حينما أعلمته في النهاية أنه طلقها، فكان عليه الصلاة والسلام رفيقاً بها، فقال لها: أنا لك كأبي زرع لأم زرع، غير أني لا أطلقك.

المرأة إنسانة تريد من يؤنسها و يلاطفها:

هذه الزوجة تاركها أنت ثماني ساعات وحدها في البيت، رتبت، نظفت، طبخت، غسلت، اعتنت بأولادها، الآن تنتظر زوجها، لها حاجة عند الزوج أستاذ علاء، حاجة عاطفية، اترك العلاقة الجنسية، هي بحاجة من يقدرها الله يعطيك العافية، الله يخلي لي إياكِ، ماذا تكلفك هذه الكلمات ؟ ترى ملأت قلبها سعادة ولو ربع ساعة، أنا عندي قاعدة إن لم تصغِ إلى زوجتك بالحد الأدنى عشرين دقيقة كل يوم تنشأ مشكلة، لا يتكلم معها و لا كلمة، الجرائد، الأخبار، العشاء، النوم، أهو دابة ؟ مشكلة كبيرة، أحياناً أنت في المكتب اتصل بها الساعة العاشرة كيف حالك يلزمك شيء، اتصال، الحياة كلها ذكاء، إما أن يعيش بذكائه أو بإيمانه، أحياناً سافر يأتي الساعة العاشرة، صارت الساعة الحادي عشر، قل لها إنك متأخر، يوجد سبب قاهر، طمئنها إنسانة تنتظرك، الاتصال ولو هاتفياً، أحياناً تسافر خبرها مرتين ثلاثة، أيام ولا هاتف، أخبرها مرة، يلزمك شيء؟ كيف الأولاد بخير ؟الأستاذ علاء:

عندما لا تجد لهذه الساحة العاطفية من زوجها ما يسقيها سوف تبحث عمن يسقيها.

الزواج فن:

الدكتور راتب:

والله اليوم اتصال هاتفي أنه بحياته ما تكلم معها كلمة لطيفة، ذهبت إلى الطبيب تكلم معها كلمة لطيفة تعلقت



به، سبب تعلقها بالطبيب أنه تكلم معها كلمة لطيفة، هي يجب أن تسمعها من زوجها هذه الكلمة، أستاذ علاء أنا عملي بالدعوة أتلقى مئات الاتصالات واضع يدي على المشكلة، يعني زوج لا يتكلم، ولا ينطق بكلمة طيبة، ولا يبتسم، وكل قسوته وتجهمه لزوجته، وكل نعومته لأصدقائه أو أهله، هذا زوج لن ينجح في علاقته مع زوجته، أنا عندي قصص والله تبكي الحجر والله يندى لها الجبين، إهمال، زوجة صالحة مستقيمة مؤمنة طاهرة تخدمك مالها منك نصيب، تقول لها لها كلمة طيبة، كلمة ثناء، كلمة محبة، عبّر عن محبتك لها، في مشكلة كبيرة، الحقيقة الزواج فن والذي يسعد بزوجته، أنا أقول الحب بيدك، بيدك أن تصنعه صناعة.

الأستاذ علاء:

لذلك مجموعة من الرجال يقولون إن الرجل لا يفصح عن مشاعره، وإن أفصح عن مشاعره رخى الحبل لزوجته هكذا أسمع، وبالتالي تصبح تتدلل عليه كثيراً.

بطولة الإنسان لا أن يكون ليناً فيعصر و لا قاسياً فيكسر:

الدكتور راتب:

أستاذ علاء سهل جداً أن تكون قاسياً، لا تحتاج إلى بطولة، و سهل جداً أن تكون مسيب الأمور، البطولة أن تقع في حيرة تحبك إلى درجة مذهلة وتخشاك إلى درجة مذهلة، أن تمسك العصا من نصفها، دائماً التطرف صعب.

الأستاذ علاء:

أن تحترمك.

الدكتور راتب:

لا تكن ليناً فتعصر أو قاسياً فتكسر، إن أردت أن تطاع فائمر ما يستطاع، فأنت حينما تجاوزت حدها سكت، أعرضت عنها إلى حين، أدبتها أنت من دون سباب، من دون رفع صوت، حينما



كن معتدلا بعيدا عن القساوة الشديدة أو اللين الشديد

تجاوزت حدها سكت، سكوتك موقف، رسالة، انتبهت هي، وحينما تجاوزت أنت حدك معها همدت لم تتكلم أيضاً رسالة، يمكن أن أبعث رسالة وأتلقى رسالة من دون كلام، فلما هي تتجاوز حدها سكت أنت لك مكانتك وهناك خطوط حمراء، ولما هي تتجاوز حدّها أيضاً هناك خطوط حمراء، أنا لما أرى مودة أقابل المودة بمودة، وجدت في تجاوز اعمل طريقة معينة، أبلغ رسالة، دائماً التساهل سهل والقسوة سهلة، بينهما يحتاج إلى جهد كبير ودائماً الفضيلة وسط بين طرفين.

الأستاذ علاء:

الغياب الطويل سبب أساسي في الشقاق الزوجي.

الغياب الطويل سبب أساسي في الشقاق الزوجي:

الدكتور راتب:

أستاذ علاء، قد ينتهي إلى خيانة أحياناً، إذا لم يكن هناك روادع دينية، لا يوجد قيم أخلاقية، إذا في تربية غير عميقة، هو في تفلت شديد وغائب عن البيت ليلاً نهاراً يكون هو السبب في هذه المسألة.

الأستاذ علاء:

هناك أسرار وخصوصية بين الزوجين، هنالك قضايا يفضي كل طرف إلى الطرف الآخر، أحياناً الزوج يفشي هذه الأسرار وأحياناً الزوجة، هل هذه تؤثر على العلاقة؟

أسرار الزوجية لا يمكن أن يفضى بها دائماً:



الدكتور راتب:

شيء مؤلم إلى درجة غير معقولة أن تكون أسرار الزوجية على كل لسان، في زوجة فضاحة، في زوجة ستيرة، والنبي عليه الصلاة والسلام أثنى على الزوجة الستيرة وصف المرأة المؤمنة بأنها ستيرة، يوجد للبيت حرمة، أنا

أرى أن هناك أسرار يجب ألا يعلمها أحد، لا أم الزوجة ولا والد الزوجة ولا أم الزوج ولا والد الزوج، هذه أسرار يجب أن تبقى في البيت، فكلما كان الزوجان على فهم عميق وعلى نضج كبير جعلوا منطقة من المعلومات لا يمكن أن يفضى بها.

الأستاذ علاء:

سيدي بعض التصرفات يحلو للزوج أن لا يحترم زوجته أمام الضيوف وأمام الأقارب والعكس بالعكس.

الدكتور راتب:

الاحترام المتبادل بين الزوج و الزوجة مطلوب دائماً:



أحياناً تؤدب ابنك بدافع محبتك له، ورحمتك، وحكمتك، وفضلك عليه، يقبل هذا التأديب وقد يبقى على مودة عالية معك، أما إذا أهنته أمام صديقه يمكن المشكلة ضرب مليون صارت، هذا مبدأ عام أنا أرى أن توجه للزوجة كلمة قاسية أمام أهلها، أو أمام أقربائها، أو أمام أولادها، أو أمام بناتها، هذا عمل خطير جداً، هذا عمل يسبب مضاعفات كثيرة، كما تفضلت قبل قليل يرضها رضاً عنيفاً، يزلزل كيانها.

لذلك الإنسان يجب أن يحترم الآخر، الإنسان لا يعيش بالخبز فقط، كلمة السيد المسيح ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، أنا أحضر أكل طيب، تتمنى منك كلمة طيبة وأن تحترمها وأن تأكل أخشن الطعام، أستاذ علاء الإنسان بحاجة إلى أن يأكل حفاظاً على وجوده الفردي، بحاجة إلى زوجة حفاظاً على النوع، هو بحاجة إلى كرامته أن تكون مصونة، بحاجة إلى تأكيد الذات، بحاجة إلى أن يعيش حياة فيها احترام متبادل.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية – قناة سوريا الفضائية – الايمان هو الخلق – الدرس (٨٧-٩٥) : الكذب سبب من أسباب الشقاق الزوجي يهدم كيان الأسرة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-١١-١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع:

الأستاذ علاء:



سيدي الأستاذ مبحث هام في حياتنا الاجتماعية الذي يؤسس لبناء لبنة صالحة وهي الأسرة، ومثلت هذه في حلقات سابقة إذا كان لدينا بنيان كبير هذا البنيان إن كان يشد بعضه بعضاً، وإن كان متيناً لا يهتز ولا يستجيب لأي عارض من عوارض الدهر تكون لبناته صحيحة، فيها موادها المتماسكة، وشبهت لنا بأن اللبنة هي الأسرة، وأن المجتمع هذا البنيان الكبير، وتحدثنا في حلقات سابقة عن أسباب الشقاق الزوجي وهو من فعل الإنسان وكما تفضلت في الحلقة الماضية ومن خلال قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (٢١) ﴾

(سورة الروم)

وقلت وجعل أي خلق بينكم مودة ورحمة، هذه العلائق الربانية الذي يفسدها تصرفات الإنسان، والذي يفسدها ويؤثر عليها وتستحيل هذه الأسرة من المودة والرحمة إلى الشقاق والشجار من

خلال فعل أحد الزوجين أو المحيط بالزوجين، ومررت على الكثير من النقاط التي تؤثر على العلاقات الزوجية، الآن سيدي من هذه المسائل التي تؤثر على علاقة الزوجين بندت لنا عنوان الكذب، هل الكذب من قبل أحد الزوجين على الطرف الآخر هو من القضايا التي تهدم بنيان الأسرة ؟

عدم اجتماع الإيمان مع الكذب:

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.



أستاذ علاء هناك أشياء متناقضة، وهناك أشياء متعاكسة، المتعاكسة تجتمع والمتناقضة وجود أحدها ينقض وجود الآخر، أنا ممكن أطلي الجدار بأبيض وأسود كالنمط الشامي القديم، فالأبيض والأسود يلتقيان ويجتمعان في جدار واحد، لكن الضوء والظلام لا يجتمعان وجود الضوء يلغي وجود الظلام، ووجود الظلام يلغي وجود الضوء، أؤكد لك بكل صراحة وبكل إصرار أن الإيمان والكذب لا يجتمعان الدليل ورد في بعض الأحاديث:

((يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ))

[أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ]

هناك مؤمن أنيق جداً، مؤمن أقل أناقة، مؤمن اجتماعي، مؤمن يميل إلى الجلوس في البيت، مؤمن مرح، مؤمن يأخذ وضع الهيبة الزائدة، هذه كلها طباع مقبولة:

((يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ))

[أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ]

فإذا كذب وخان ليس مؤمناً أصلاً.

الكذب يهدم الثقة بين الزوجين:



لذلك ما من شيء يهدم الثقة بين الزوجين، الإنسان يعيش بالثقة، الثقة كنز، أحياناً إنسان يكون غنياً بثقة الناس به، تكون الزوجة قوية شخصيتها كثيراً لأن زوجها واثق بها، كلامها عنده لا يتطرق إليه الشك إطلاقاً، فأية زوجة تبدأ بالكذب تنتهي عند زوجها، وتنتهي عند أولادها، وتعلم أولادها الكذب، لا بالتلقين بل بالممارسة وهذا أخطر من التلقين.

لذلك الزوجة التي تكذب تخسر زوجها، والزوج الذي يكذب يخسر زوجته، والكذب معول يهدم السعادة الزوجية، لكن في استثناء لو أنها سألته أتحبني ؟ وكان حبه لها ليس كاملاً فاتراً، ما كل بيت يبنى على الحب الجامح، الحب الصاعق، فإذا قال لها وأكد لها أنه يحبها من أعماقه هذا كذب لكنه مطلوب، هي تطمئن على محبته لها، طبعاً النبي عليه الصلاة والسلام له وضع آخر سألته السيدة عائشة: كيف حبك لي ؟ يقول لها كعقدة الحبل، تسأله من حين لآخر: كيف العقدة ؟ يقول: على حالها.

هذا وضع ثان لا علاقة له بموضوعنا، موضوعنا إذا ما كان الحب كما ينبغي هو عبّر عنه كما ينبغي يكون ذكياً جداً، يكون حكيماً جداً، لو أنه سألها أتحبينني ؟ هو زوجها وأبو أولادها يقدم لها كل شيء، والحياة فيها متاعب، وفيها ابتلاءات، فقالت والله أحبك من لي غيرك، ما كذبت عند الله مع أن الواقع ليس كذلك، لكن أنا أتألم ألماً شديداً ممن يفهم الكذب على الزوجة بالأسعار، تكشفك، تطلع كذاب، ليس هذا المجال، أحياناً تحب أن تطمئن على محبتك لها، طمئنها، وأحياناً يحب الزوج أن يطمئن على محبة زوجته له. الأستاذ علاء: كأن جرت حادثة لسيدنا عمر.

من أنجب أولاداً عليه أن يضع حظه تحت قدمه من أجل أولاده:


مصلحة الأولاد مقدمة على المصالح الشخصية للزوجين

الدكتور راتب: سيدنا عمر قال ما كل بيت يبنى على الحب، في بيت يبنى على المصلحة في أولاد، نريد أن نربي أولادنا، نعلمهم، يصبحوا أبطال المستقبل، هذه رسالة، أنا أقول دائماً كلمة حينما ينجب الزوجان الأولاد يجب أن يضعا حظوظهما من بعضهما تحت قدميهما، حينما ينجبان الأزواج الأولاد ينبغي أن يضعا حظوظهما من بعضهما تحت أقدامهما من أجل أولادهما، أنا أقول كلمة أخرى من خلال معاناة طويلة في الدعوة ما رأيت طلاقاً حلت به المشكلة، بل بدأت به المشكلة طبعاً إذا في أولاد، أنا أقول إذا ما في أولاد موضوع ثان، بل بدأت به المشكلة، فلذلك ما كل بيت يبنى على الحب الصارخ، قالوا لو أن روميو تزوج جوليت لطلقها بعد حين.

الأستاذ علاء: قالوا إن قيس وليلى لأنهم لم يتزوجوا الحب اشتد واشتد، لذلك هذه الحالات الرومانسية والحالات الصارخة.

الدكتور راتب: شيء مضحك.

الحب الجارف الصارخ إذا استمر بين الزوجين توقفت الحياة:


الحب المتأجج لا يستمر كما هو بين الزوجين

لي رأي ثان لو أن هذا الحب الجارف الصارخ يستمر تقف الحياة، لحكمة بالغة بالغة الحرارة بين الزوجين بالخطبة معقول لكن على طول ليس معقولة، نريد أن نبني حياتنا، نربي أولادنا، نشتغل، نعمل إنجازاً للأمة، يصبح عندك أهداف ثانية، الحب موجود أما الحب المتأجج هذا مستحيل يستمر. الأستاذ علاء: هذه صور خيالية

كما قال عنترة:

ولقد رأيتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي

* * *

هذه حالة شاعر لا نعممها.

الدكتور راتب: أذكر أنه في مكالمة بين خطيبين ثلاث عشرة ساعة، بعد بسنة ما عاد تكلم كلمة.
الأستاذ علاء: استنفد كل طاقته بهذه المكالمة.

من كذب مرة فقد مصداقيته دائماً:

الدكتور راتب:

إذاً الكذب يهدم السعادة الزوجية، ما عاد واثقاً منها، المشكلة أن الإنسان يكذب مرة، لكنه أفقد مصداقيته صار لو صدق مليون مرة يتهم بالكذب، هذه مشكلة، إنسان كذب مرة أخذت عنه أنه يكذب، الآن تكلم صواباً في شك، لا يوجد تأكد، عندما يتكلم الإنسان كلاماً غير مصدق هذه مشكلة كبيرة جداً، هو السبب فضلاً، عن تعليم الكذب للأولاد.

الأستاذ علاء:

سيدي كما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ))

[أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ]

وفي حديث آخر: هل يسرق المؤمن، المؤمن لا يكذب.

الدكتور راتب:

عفواً أنا أقول لكل إنسان في مؤسسة اقتصادية أنا أتحمل من موظف عندي آلاف الأخطاء، لكن لا أدعه عندي دقيقة لو كذب أو خان، إذا كذب انتهى، ممكن أتحمل منه آلاف الأخطاء، ما دام في خطأ مبرر في سوء خبرة، سرعة اتخاذ قرار كله مقبول أما إذا كذب قصداً أو خان انتهى.

الأستاذ علاء:

سيدي الكذب من القضايا الأساسية التي تفقد المصداقية.

الصدق مفتاح النجاة:

الدكتور راتب:



الصدق منجاة، أحياناً يتوهم الإنسان أن الصدق يعمل له مشكلة كبيرة، الصدق يكون مفتاح النجاة، الصدق له تأثير السحر.

((إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلي البِرِّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنةِ، وإن الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتى يُكتَبَ [عند الله] صِدِّيقا، وإن الكذبَ يهدي إلى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يهدي إلى النارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ ليكذبُ حتى يكتبَ عندَ اللهِ كذّابا))

[أخرجه البخاري، ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صحيح]

الأستاذ علاء: سيدي هنالك بين الزوجين يصير خلافات الزوج لا يحب تصرفات من زوجته لكن كما قلت في حلقة سابقة، القمع سهل لكن الإقناع يحتاج إلى جهد، التهديد بالطلاق، التهديد بالزواج الآخر، هذه المسائل بين الأزواج قضية إشكالية وتفصم العلاقة بين الزوجين في لحظة معينة.

التألق عند الزوجة مبعثه وشحنه من الزوج:

الدكتور راتب:

أستاذ علاء أكاد أقول إن الرجل يوجد بحياته فصول عديدة منها زواجه، منها عمله، منها دعوته، منها اختصاصه، منها دراسته، ومع أن المرأة لا تقل عنه إطلاقاً لكنها لحكمة بالغة الزواج عندها كل فصول حياتها فإذا خطبت نجحت في الحياة، وحينما يهددها الزوج بالطلاق أو بزوجة أخرى وهو لا ينوي ذلك يقع في حماقة كبيرة، لأنه خسرها من دون أن يكسب شيئاً، أصبحت قلقة، صدق أحياناً الزوجة تكون متألقة جداً وجميلة جداً إذا كانت مطمئنة إلى محبة زوجها إليها، وأحياناً تظهر عوامل القلق على محياها لوناً باهتاً، تكون لها لون متألق جداً يبهت لونها حينما تفقد ثقتها بزوجها، هي إنسانة تتألق وتكمد، تتألق وتتراجع، فأنت حينما لا تفكر بالزواج من غيرها ولا تفكر بطلاقها لماذا تمزح هذا المزاح؟ أليس هذا المزاح حماقة ؟ في ألف موضوع.


تتألق الزوجة بسبب زوجها

الأستاذ علاء: التألق عند الزوجة مبعثه وشحنه من الزوج.

الزوجة هدية الله لك عليك أن تشعرها بأنك لن تتخلى عنها أبداً:

الدكتور راتب:

أنا حدثني أخ، أقول أخ تجاوزاً، كل حياته يهدد زوجته بالطلاق، قلت له إما أن تفعل أو اسكت. يا أخي طلق أو اسكت، أما لا طلقت ولا تزوجت غيرها أنت أفقدتها الثقة فيك، حالة اضطراب دائمة، صدق شاب يتزوج زوجة رائعة، مستقيمة، من بيت


زوجتك هدية الله لك فحافظ عليها

أصيل، تربيتها عالية، لا يحلو له من أنواع المزاح إلا الزوجة الثانية أو الطلاق، في مليون موضوع للمزاح، كأنه يعرف المنطقة الحساسة عندها يحب أن يستفزها، أمنها أنا لا أتخلى عنك مدى الحياة، دعها تشعر أنها هي أحد أركان البيت، هي شريكة حياة، لا تطلق المرأة إلا للريبة أستاذ علاء بسبب كالخيانة الزوجية أما للأسباب تافهة هذه أم أولادك، هذه هدية الله لك، هذه قدرك عند الله وأنا أقول كلمة بالحكمة تسعد بزوجة من الدرجة الخامسة، ومن دون حكمة تشقى بزوجة من الدرجة الأولى، لذلك قال تعالى:

﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً ﴾

(سورة البقرة الآية: ٢٦٩)

الأستاذ علاء:

سيدي الآن هنالك وسائل إعلام منتشرة تمطرنا بها الفضائيات من خلال السواتل التي تدخل كل بيت، وهذه الفضائيات في كم كبير منها ليس منضبطاً بفكر ولا قيمة ولا بأخلاق وتأتي إلى بيوتاتنا ماذا عن دور وسائل الإعلام السلبية التي تمطرنا بها السواتل ؟

وسائل الإعلام تطرح أحياناً قيماً لا ترضي الله عز وجل:

الدكتور راتب:


المسلسلات تسبب هدم البيوت لأنها تعطي صورة كاذبة عن الحياة

أنا أنقل كلمة قالها أحد كبار النقاد في الأدب العربي قال: يحق للأديب (طبعاً العمل التمثيلي عمل فني والقصة فن والمسرحية فن والمقالة فن) قال: يحق للأديب أن يصور الرذيلة (مسموح له، جزء من مهمته)، لكن على نحو نشمئز منها، نحتقرها، أما إذا صورها على

نحو نعجب بها .

أحياناً أسرة متفلتة فيها كل المعاصي والآثام، بيت فخم جداً، امرأة جميلة جداً، متبذلة جداً مع أصدقاء زوجها، ما في عندها شيء محرم، همها أناقتها، همها زينتها، همها متعتها، همها أن تفتخر بزوجها، هكذا رأت بالأفلام، هي عندها زوج مستقيم منضبط له مبدأ، عندها خمسة أولاد، طبعاً الإنسانة حينما تتخلى عن أهدافها النبيلة في الحياة قد تكون متعة رخيصة للآخرين، حينما نتابع هذه الأفلام الهابطة التي تزين الانحراف والرذيلة والتفلت ما الذي يحصل ؟ هذا يعد المثل الأعلى، أي إنسانة توازن نفسها مع إنسانة بيت فخم أربعمئة متر مثلاً، صالونات، غرف جلوس، وفي خادمين أو ثلاثة، وحدائق، هي عندها بيت خمسة وخمسين متر، كرهت زوجها، كرهت دخله، كرهت أولادها، فأحياناً المسلسلات لها آثار سلبية كبيرة جداً تعطي صورة كاذبة غير صحيحة، كل منا سافر إلى بلاد الغرب، الحياة بسيطة جداً، بيوت عادية جداً، فأحياناً هذه الأعمال الفنية تسبب، وهناك شيء أخطر الشيء الآخر أنها تطرح قيماً لا ترضي الله عز وجل، تطرح قيماً أقسم لي رجل أنه تابع مسلسلاً قال ثلاث عشرة خيانة زوجية في المسلسل الواحد، ماذا تفعل مع المشاهدات والمشاهدين ؟ مشكلة كبيرة في قيم هي هويتنا، هي سبب تقدمنا، أنت حينما تحطم هذه القيم في مسلسل، أنت حينما تزدري هذه القيم، أنت حينما تصور من يحمل هذه القيم إنسان محدود، غبي، غير متألق، أنت حينما تطرح من يحمل هذه القيم بهذا الشكل تكون أعلنت حرباً على القيم التي نؤمن بها جميعاً، مشكلة كبيرة.

الأستاذ علاء:

سيدي مسألة المخدرات، إذا تناول الإعلام مسألة المخدرات، يجب أن يتناوله بالزاوية السلبية لا أن يظهر هذه المسألة كيف ينتشي.

ينبغي على كل كاتب أن يصور الرذيلة كمرض اجتماعي نشمئز منه:

الدكتور راتب:

إذا صورت الرذيلة على نحو نعجب بها، ونقدر أصحابها، ونطرب لها، صدق ولا أبالغ تتمة النص، فإن مجتمعاً بأكمله يمكن أن ينهار من خلال هذا الفن.

الأستاذ علاء:

سيدي من خلال القص القرآني الرفيع عندما أتى على حديث الأقوام الذين فسقوا وانحرفوا أتى إلى فعلهم بعبارات معينة ثم بين النتيجة.

الدكتور راتب:

ينبغي أن أصور الرذيلة كمرض اجتماعي، أنا أديب، كاتب مسرحي، كاتب سيناريو، على نحو نحتقرها، ونشمئز منها، ولا نلتفت إليها، يكون عالج الموضوع معالجة حقيقة، لو أنت صورت إنساناً سارقاً كيف يعيش ؟ نوع سيارته، ما الذي فعلت مع المشاهدين ؟ رأيت السرقة طريقاً إلى المجد، هذه مشكلة كبيرة جداً، يجب أن تريني إنساناً مستقيماً متألقاً.

الأستاذ علاء:

هذه المحطات لها أخطارها وهي وجدت للتأثير على الثقافة والهوية.

ما يأتينا من الفضائيات أخطر من الغزو الثقافي:



الدكتور راتب: والله أكاد أقول أستاذ علاء هذا الذي يأتينا من الفضائيات، من فضائيات ليست منضبطة إطلاقاً والله أخطر من الغزو الثقافي بالضبط، الأمة بقيمها، بمبادئها، الأمة تتماسك

بهدف نبيل تسعى إليه كيف تبني الأمة ذاتها ؟ من خلال منظومة قيم، فإذا حطمتها قيمة قيمة، هناك فضائيات تطرح الدجل والشعوذة والسحر هذه خطيرة جداً، الطروحات كلها غير علمية.

الأستاذ علاء: ليس للدين علاقة فيها تطرحها والاتصالات تأتي من كل حدب وصوب وهي كلها ابتزاز.

الدكتور راتب: لذلك قلت مرة على المنبر خذوا دينكم عن الأرضيات ولا تأخذوها عن الفضائيات.

الأستاذ علاء: الحمد لله الله أكرمنا بفضائية سورية لها هدفها وتوجهها.

الدكتور راتب: كنت في ألمانيا قبل أيام أثر هذه الندوة رائع جداً في الجاليات السورية في جميع أنحاء ألمانيا.

الأستاذ علاء: سيدي أنا الآن سوف أتجرأ وأدخل إلى موضوع هام، كثير من الذين يشتغلون في الدعوة أو من السادة العلماء يتجنبون أو يتجافون أو يرمزون له، لكن في الحقيقة هو شيء أودعه فينا وهو واقع، أحد الزوجين أو كلا الزوجين يجهل جهلاً تاماً الثقافة الجنسية الشرعية، هل الجهل بالثقافة الجنسية الشرعية المنضبطة هي من القضايا التي تفرق بين الزوجين.

الجهل بالثقافة الجنسية الشرعية المنضبطة من القضايا التي تفرق بين الزوجين:

الدكتور راتب:

الأساسية، نعم، ذلك أن الله عز وجل أودع في الإنسان حاجة إلى الطعام والشراب حفاظاً على وجوده، وأودع فيه حاجة أخرى حاجة إلى الجنس حفاظاً على النوع، وهو حاجة أساسية متغلغلة في أعماق الإنسان، وحاجة أساسية متغلغلة في أعماق المرأة والرجل، الحديث عنها أو عدم الحديث لا يلغيها، هي موجودة وصارخة، الدليل:

((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا))

[الترمذي عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ]

يا ترى إلا تفعلوا ألغيت هذه العلاقة بين الذكر والأنثى ؟ لا تلغى، تأخذ طريقاً منحرفاً، تأخذ طريقاً شاذاً، تأخذ طريقاً سفاحاً لا نكاحاً:

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ ﴾

هذا دافع متغلغل بأعماق الإنسان، فالإنسان حينما يكون أنانياً في علاقته الجنسية مع زوجته، وينصرف عنها قبل أن تقضي حاجتها كما وجه النبي صلى الله عليه وسلم، هذا الدين الإسلامي منهج تفصيلي يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية، فإذا انصرف عنها قبل أن تقضي حاجتها حرمها حقها الطبيعي، وإذا لم تلبِ حاجته وهو بحاجة إليها حرمته حقه الطبيعي، كم من بيت ينهار لأن الزوجة لا تلبي حاجة زوجها الجنسية، وكم من بيت ينهار لأنه لا يلبي حاجة زوجته الجنسية.

أكبر أسباب نجاح الزواج العلاقة الجنسية المتوازنة الطبيعية:

لو إنسان قرأ الشرع التفصيلي لرأى فيه ما يغنيه، لو اشترى أي كتاب منضبط في العلاقة الجنسية لقرأ فيه توجيهات رائعة جداً، الله عز وجل في القرآن الكريم قال:

﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ (٢٢٣) ﴾

(سورة البقرة)

أنا أقول في جنس البهائم وفي جنس الإنسان، جنس البهائم من دون مقدمات.

الأستاذ علاء:

خبط لزق.

الدكتور راتب:

جنس الإنسان مع مقدمات:

﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ (٢٢٣) ﴾

(سورة البقرة)

وأنا قرأت كثيراً في كتب علم النفس أن أحد أكبر أسباب نجاح الزواج العلاقة الجنسية المتوازنة الطبيعية، التي تحقق هدف كل واحد من الطرفين، هذا شيء لابد من ذكره والنبي ذكره، النبي صلى الله عليه وسلم ما أخفى.

الأستاذ علاء:

في كتب الفقه، هذا موجود ؟

الدكتور راتب:

أبداً، تفاصيل.

الأستاذ علاء:

قضية المداعبة.

النبي صلى الله عليه وسلم زوجاً ناجحاً جداً علمنا النجاح حتى بالعلاقة الجنسية:

الدكتور راتب:

أبداً بالقرآن:

﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ (٢٢٣) ﴾

(سورة البقرة)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم زوجاً ناجحاً جداً، وعلمنا النجاح حتى بالعلاقة الجنسية، ومنهجنا كما قلت قبل قليل يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية.

الأستاذ علاء:

قالوا كيف نرسل رسولاً ؟ الرسول بين الرجل والمرأة قال قدم لها بالقبل.

الدكتور راتب:

هذا كله مطلوب أي كتيب صغير بالمكتبات ممتلئة به عن العلاقة الجنسية بين الزوجين، كتاب منضبط طبعاً، سيجد فيه كل التوجيهات التي ينبغي أن تكون بين الزوجين.

الأستاذ علاء:

هذه قضية أساسية.

الدكتور راتب:

أحد أكبر أسباب الشقاق الزوجي إخفاق العلاقة الجنسية، من كليهما، أو من أحدهما، أو عدم اهتمام الطرف الأول بالطرف الآخر، زوجاً كان أو زوجة.

الأستاذ علاء:

تتزين له.

عدم اهتمام الطرف الأول بالطرف الآخر يعد عدواناً بحقهما:

الدكتور راتب:



والله تتزين له بأبهى منظر ولا ينظر إليها، أو بأمس الحاجة إليها تغيب عن البيت، تنشغل بأولادها قصداً، طبعاً هذا التصرف أنا أعده عدواني على الزوج، والزوج حينما يهمل زوجته عدوان على الزوجة، وهذه ناحية خطيرة جداً أنا أشكرك على أنك جرؤت وتكلمت بها.

الأستاذ علاء: والتي تأتي إلى زوجها ورائحة الطبخ المفترض هذا إنسان.

الدكتور راتب: والله حينما تستطيع الزوجة أن تلبي حاجة زوجها ليس الحاجة الجنسية فقط حاجة زوجها إلى أن تكون أنيقة (الروحية) متزينة، أن تكون أنيقة، أن تلبس ثياباً عصرية يراها بالطريق، والله هي في أعلى عبادة، الصحابية كانت قبل أن تصلي قيام الليل تقول له ألك بي حاجة ؟ تستأذنه، لأنها حينما تعبد ربها وتهمل حاجة زوجها إنها تعتدي عليه فحتى يقبلها الله في الصلاة يتجلى على قلبها تسأله قبل أن تصلي الليل ألك حاجة بي ؟ هكذا الصحابيات

((دَخَلَتْ عَلَيَّ خُوَيْلَةُ بِنْتُ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْأَوْقَصِ السُّلَمِيَّةُ، وَكَانَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، قَالَتْ: فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَذَاذَةَ هَيْئَتِهَا، فَقَالَ لِي: يَا عَائِشَةُ، مَا أَبَذَّ هَيْئَةَ خُوَيْلَةَ ! قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْرَأَةٌ لَا زَوْجَ لَهَا، يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، فَهِيَ كَمَنْ لَا زَوْجَ لَهَا، فَتَرَكَتْ نَفْسَهَا، وَأَضَاعَتْهَا، قَالَتْ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ فَجَاءَهُ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ، أَرَغْبَةً عَنْ سُنَّتِي ؟ قَالَ: فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنْ سُنَّتَكَ أَطْلُبُ، قَالَ: فَإِنِّي أَنَامُ وَأُصَلِّي، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ، فَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ))

[أحمد عَنْ عَائِشَةَ]

((وجاءت في اليوم التالي عطرة نضرة، فسألتها السيدة عائشة، ما الذي حصل ؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس))

[الطبراني عن أبي موسى الأشعري]

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية – قناة سوريا الفضائية – الايمان هو الخلق – الدرس (٨٨-٩٥) : الأسلوب التربوي الفعال في تربية الأولاد أن تكون قدوة لهم

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-١١-٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم



الدكتور راتب:

بكم أستاذ علاء جزاك الله خيراً.

الأستاذ علاء:

تحدثنا في حلقات ماضية عن أسباب الشقاق الزوجي، وكيف نحافظ على الأسرة هذه اللبنة الأساس وهذا المدماك المكين في جدار المجتمع من خلال هذه المداميك وتكرارها يتشكل المجتمع، إذاً الأسرة مجتمع صغير واللبنة الأولى، وإن صلحت الأسرة صلح المجتمع وإن تماسكت تماسك المجتمع.

الآن سيدي من أهم وظائف الأسرة أن تنجب أولاداً صالحين فاعلين يستبقوا الخيرات، الأسرة كما مرّ معنا في حلقات ماضية الأب الأم، الأم قد تكون ناجحة في العمل، قد تكون ناجحة في مجالات معينة، و الأب كذلك، لكن قد يكون في موطن آخر وهو الأهم في تربية أبنائه، والسهر على تقويمهم، وعلى أن يكونوا بناة حقيقيين لمجتمعهم، قد يفشلوا في هذه المهمة، وكثير هي الصور التي تمر أمامنا تترى تتعسر فيها الأسر في إنتاج أولاد صالحين، سيدي هل يُقبل أن يكون الأب ناجحاً في عمله، ناجحاً في المجتمع، وأن يفشل في تربية أولاده ؟

النجاح لا يمكن أن يسمى نجاحاً إذا كان جزئياً:

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصاد الوعد الأمين.

أستاذ علاء جزاك الله خيراً على هذا الموضوع، من الثابت أن النجاح لا يمكن أن يسمى نجاحاً أصلاً إذا كان جزئياً، لأن هناك أركان أربعة في حياة الإنسان، علاقته مع ربه، معرفة، انضباطاً، تقرباً، إحساناً لخلقه، سيدنا عيسى بالقرآن الكريم ورد على لسانه:

﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ (٣١) ﴾

(سورة مريم)



حركة نحو الله عز وجل، تعبداً ومحبة وإقبالاً وانضباطاً وتفانياً وإخلاصاً وتوكلاً وحركة نحو الخلق إحساناً، وكأن هاتين الكلمتين لخصتا الدين كله معرفة بالحق وإحسان إلى الخلق، فأول محطة كبيرة جداً في حياة الإنسان أن يعرف ربه، فإن عرفه عرف كل شيء وإن سلمت عبادته سلم كل شيء، لذلك هذه المحطة الأولى، لكن هو إنسان يعيش في بيت له زوجة شريكة حياته، له أولاد جزء منه، قدره شاء أم أبى، زوجته وأولاده المحطة الثانية، المحطة الثالثة عمله، مكان رزقه، كسب رزقه، تأكيد شخصيته، تفوقه في الحياة، المحطة الرابعة صحته، النقطة الدقيقة جداً أن أي خلل في أحد هذه المحطات الأربع ينسحب على المحطات الثلاث ولو أنه من الممكن أن يكون خللاً في إحداها دون أن يؤثر على البقية أقول هناك نجاح جزئي، لو أن بالإمكان أن خلل في علاقة الإنسان مع ربه، أو خلل في علاقته مع أهله وأولاده، أو خلل في علاقته مع عمله أو مع صحته، إن كان الخلل في إحدى هذه المحطات لا ينسحب على المحطات الأخرى أقول يمكن أن نسمي النجاح جزئياً إذا كان النجاح جزئياً يمكن أن نسميه نجاحاً، ولكن اعتقادي الجازم مع التجارب والتأكيدات العلمية أن أي خلل في أحد هذه المحطات سينسحب على المحطات الأربع.

من ساءت علاقته مع ربه ساءت علاقته مع كل الناس من حوله:



من ساءت علاقته مع ربه تفلت دون ضابط

إن ساءت علاقة الإنسان بربه لن يكون أخلاقياً في بيته، لن يكون مربياً يبحث عن لذته، ردود فعله قاسية جداً، يهمل أولاده، لا يقيم لزوجته مكانة إطلاقاً، لو أهمل علاقته مع ربه لن يتقن عمله، لن يخلص في عمله، ما الدافع إذا أخلص العمل، لابد من دافع. الأستاذ علاء: هل المحركات مادية أم هي محركات معنوية ؟

الدكتور راتب:

أخلاقية، لو أن علاقته مع ربه ساءت لماذا ينضبط في طعامه وشرابه وبعض ما أباح الله له من شهوات ؟ لا ينضبط بها يتفلت، لو أن العلاقة مع الله اختلت لاختلت علاقته مع زوجته وأولاده وبيته وعمله وصحته، لو أن علاقته مع صحته اختلت، صحته وعاء حياته، وعاء عمله، لا يقوى على العبادات، لا يقوى على العمل الصالح مثلاً لا يقوى على أداء واجباته، لو أنه في بيته بأعلى درجة وفي عمله مهمل فسمع كلمات قاسية من مديره أزعجته لأشهر عديدة، هذا الذي وصلت إليه من خلال تجربة طويلة أن المحطات الأربع يجب أن تكون كاملة حتى نسمي هذا الإنسان ناجحاً في حياته، النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى هذه الناحية:

((خَيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ))

[الترمذي عَنْ عَائِشَةَ]

أخلاق الإنسان الحقيقة لا تعرف إلا في بيته:

الإنسان خارج بيته يمكن يعتني بثيابه من أجل انتزاع إعجاب الآخرين، من أجل تحقيق نجاح في عمله، من أجل تحقيق نجاح اجتماعي، أما في بيته ما في رقابة عليه فأخلاقيته الحقيقية في بيته هذا ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم:


أخلاق المسلم الحقيقي تظهر داخل بيته مع أسرته

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[الترمذي عَنْ عَائِشَةَ]

كان عليه الصلاة والسلام إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً،

((أكرموا النساء، فو الله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم، ويغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً))

[ابن عساكر عن علي بسند فيه مقال كبير]

فأنا حتى أسمي فلان ناجح في حياته لا بد من أن أؤكد أن النجاح يجب أن يكون شمولياً، يسافر ليكسب مالاً غاب عن أهله سنة من دون تربية لأولاده، في الطرقات مع رفاق السوء، زوجته متفلتة مع الجيران والأحاديث الفارغة، رجع وجد بيته مهدماً، معه أموال طائلة ما قيمة هذا المال على بيت مهدم ؟ لذلك قضية النجاح يجب أن يكون شمولياً.

الأستاذ علاء:

سيدي الآن نتطرق إلى مسألة أود أن أقف عندها الخيرية يجب أن تكون في الأساس كما تفضلت إلى الطوق الأقرب فإن كان خيراً لأهله فهو خيراً لمجتمعه، أما إن لم يكن كذلك فالخيرية لمجتمعه هي خيرية زائفة ووهمية.

من لم يكن فيه خير لمن أنجبه لن يكون فيه خير لأحد:



الدكتور راتب:

أنا أبني على هذه الملاحظة الطيبة والعميقة أنك لا تشارك عاقاً لوالديه، إن لم يكن فيه خير لمن أنجبه لن يكون فيه خير لأحد.

الأستاذ علاء:

حتى لا نزوجه، نسأل كيف علاقته بأمه وأبيه ؟

الدكتور راتب:

نحن بفضل الله ثقافة المسلمين الاجتماعية بعلاقتهم مع أمهاتهم وآبائهم عالية جداً، مرة سافر إنسان إلى بلد غربي رأى شخصاً يقف على نهر السين ساهم قال ما الذي تتمناه ؟ قال أن أقتل أبي، قال لما ؟ قال أحب فتاة فأخذها مني.

نحن يبيع بيته في الشام يسكن خارج دمشق حتى يزوج أولاده، الأب عندنا سعادته الكبرى أن يهيئ لأولاده مستقبلاً، عندنا علاقات أسرية عالية جداً.

الموقف العلمي للإنسان أن يذكر الإيجابيات و السلبيات حتى يكون موضوعياً:



أنا أتألم تألماً بالغاً مما يسمى الآن بجلد الذات، أحياناً بكل مجلس نذم أنفسنا، نحن عندنا حضارة، عندنا مبادئ، عندنا قيم، عندنا تماسك أسري، عندنا حب، عندنا رحمة بقلوبنا، فإذا إنسان شاهد تقصيراً في بلاده عن بعض البلاد المتطورة جداً لا ينسى النواحي الإيجابية، الموضوعية إن ذهبت إلى الغرب اذكر محاسنهم ومساوئهم حتى تكون موضوعياً، اذكر تبادل الزوجات، الإباحية، الشذوذ، اذكر كل هذا وإن جلست في بلدك اذكر النقائص والإيجابيات، هذا هو الموقف العلمي. الأستاذ علاء:

سيدي أثناء دراستي في ألمانيا أول ما يستقبلوا الإنسان في المؤسسة التي جاءت منها المنحة، الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون كانت المحاضرة الأولى لأحد الأساتذة الكبار بروفيسور فقال: سوف تشاهدون قضايا تثيركم نحن سبقنا الغير فيها لكن هنالك إلى جوانبها قضايا لا تسر، كما يوجد النور في أي مكان بجواره يوجد الظل، وهذه قضية هامة جداً أن يصف الإنسان إن كان موضوعياً الجهتين، يتوازن، كما تفضلت المبادئ والخلق والتماسك الاجتماعي الموجود لدينا ليس موجوداً لدى الغير، قد نكون مقصرين في جوانب علينا أن نتداركها. الدكتور راتب:

أنا الذي أؤكد عليه أننا حضاريون بقيمنا والغربيون متطورون جداً لكنهم بعلاقتهم مع الشعوب الأخرى ليسوا حضاريين، فنحن حضاريون لكننا لسنا متطورين كما ينبغي، أما الطرف الآخر متطور تطوراً مذهلاً لكن في العلاقات العامة متوحش.

الأستاذ علاء:

سيدي هل بالاقتداء أو بالضرورة أو بالحتمية أو بالمقتضى شقاء الأولاد هو شقاء للآباء والأمهات؟

شقاء الأولاد شقاء حكمي لآبائهم:

الدكتور راتب:

أستاذ علاء جزاك الله خيراً مرة ثانية، في آية كريمة دقيقة جداً قال تعالى:



﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) ﴾

(سورة طه)

الآية جاءت بالفعل (تشقى) بالضمير المفرد، أما بحسب السياق اللغوي: ولا يخرجنكما من الجنة فتشقيا، استنبط علماء البلاغة أن هذا إيجاز بليغ لأن شقاء الرجل شقاء حكمي لزوجته، أنا أبني على هذه الملاحظة هذه القاعدة، شقاء الأولاد شقاء حكمي لآبائهم، كنت مرة في أمريكا لإلقاء محاضرة قلت لو بلغت أعلى منصباً في العالم ككلينتون (وقتها كان كلينتون)، وثروة كثروة أوناسيس، وعلماً كعلم أينشتاين، ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس.

أنا حينما أرى أباً ناجحاً في حياته، أولاده متفلتون، يأتون بعد الساعة الثانية ليلاً لا يجرؤ أن يسألهم أين كنتم ؟ أنا أرى أن هذا الأب أشقى الناس قاطبة، ما لم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس هذا المعنى القرآن الكريم أشار إليه بدعاء:

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ (٧٤) ﴾

(سورة الفرقان)

من كان له ابن صالح هذا الابن أفضل من أموال الدنيا كلها:


الابن الصالح خير من كنوز الأرض

والله أستاذ علاء السعادة التي يمتلئ بها قلب الأب حينما يرى ابنه صالحاً أقسم بالله تزيد عن الوصف، بالمقاييس المادية لو معه مليار دولار إن كان ابنه صالحاً والله هذا أغلى من الثروة، الناس الآن في أول حياتهم يهملون أولادهم، يكتشفون بعد حين أنهم خسروهم.

زارنا عالم متخصص بصناعة القيادة قال إن لم ترعَ ابنك من السنة الأولى وحتى السابعة بعد هذا التاريخ قد لا تجدي التربية، كيف الأولى ؟ يعني أطعمت الصغير عمره ثلاثة أشهر، بالشهر الثالث أطعمته وسقيته ونظفته وبكي فحملته، لما حملته عودته أن يتخذ البكاء وسيلة لإزعاجك


العادات الجيدة التي نعلمها للأبناء تبقى معهم دائما

ينبغي ألا تحمله، فأنت حينما تهتم بابنك من السنة الأولى وحتى السابعة تغرس فيه المبادئ، الصدق، الأمانة، الاعتدال في الطعام والشراب مثلاً، الاعتناء بالأسنان، الاعتناء بالنظافة، ترتيب الثياب، تجد هذه العادات بقيت معه حتى الموت، وترى أكثر البيوت لا يوجد نظام في البيت و لا يوجد ترتيب للأغراض، الغرفة كلها فوضى، بالطعام لا يوجد نظام، بالشرب لا يوجد نظام، بالعلاقات لا يوجد نظام، هذه الأمراض الطفيفة بالبداية تتفاقم، يصبح البيت قطعة من الجحيم.

فلذلك أنا أظن أن الأب يظن أنه لما تزوج دخل في عالم آخر فيه متعة، دخل في عالم آخر فيه مسؤولية، دخل بأعلى درجة يحاسب عليها عند الله، ورد في بعض الآثار:

لذلك البنت يوم القيامة تقف أمام رب العزة، تقول: يا رب، لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي، هو الذي سبب فسادي.

الابن قدر ومهما أهملته يبقى ابنك وتبقى آلامه آلامك وانحرافه يضنيك:

أنا أقول الذي عنده أولاد بحاجة ماسة إلى العناية بهم أولاً بإيمانهم، بأخلاقهم، بصحتهم، بتحصيلهم، بعلاقاتهم الاجتماعية، أما الأب الذي يرى بيته منضبطاً، صدق أستاذ علاء لو كان الدخل محدوداً جداً، والأكل خشن جداً، والبيت صغير جداً، وبحيّ متواضع جداً، وبمساحة قليلة جداً أسعد الناس هذه حقيقة، وفي بيوت قصور قطعة من الجحيم:

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾

(سورة العنكبوت الآية: ٤١)

الابن هو قدر الإنسان

خيط العنكبوت، ثبت أنه أمتن من الفولاذ بخمسة أضعاف، الوهن ليس في الخيط في البيت لأن الأنثى تأكل زوجها وتأكل أولادها وهن اجتماعي، بيت فوضوي، بيت فيه شقاق، بيت فيه تمحور، بيت فيه قسم مع الأب وقسم مع الأم، لا في انضباط لا باللقاء و لا بغيره، أنا أنصح الإنسان أن يجلس مع أولاده كل يوم جلسة ولو على وجبة طعام واحدة الحد الأدنى، كما تفضلت شقاء الأولاد شقاء حكمي لآبائهم، يمكن أن تكون بديهية، يمكن أن تكون مسلماً بها، والله ألتقي بآباء في أعلى درجات النجاح إن سألتهم عن ابنهم تقطع قلبه ألماً، ابنه منحرف، هذا الشيء واقع، أحياناً في قضية صارخة، مُسلّمة لا تحتاج إلى برهان، العلاقة بين الأب والأم علاقة مصيرية، مرة شخص قال لي: إنني أنا مختلف مع والدتي من باب المداعبة قلت له طلقها، قال ماذا أطلقها ؟ قلت له والدتك قدرك، أنا أقول الابن قدر ومهما أهملته يبقى ابنك وتبقى آلامه آلامك وانحرافه يضنيك.

الأستاذ علاء:

ولا يتمنى الأب لأحد في الدنيا أن يكون أفضل منه إلا الابن، ما عدا ذلك لا يتمنى.

محبة الأب لابنه محبة الله له ولولا هذه المحبة ما ربى أب ابنه:

الدكتور راتب:

أستاذ علاء بارك الله، هذه النقطة واضحة عندي جداً، كيف يعرفنا الله بذاته العلية، الله عز وجل لا تدركه الأبصار، كيف يعرفنا بذاته ؟ جعل نظام الأبوة مثل بسيط لعلاقة الله عز وجل بعباده، الأب قد يكون صحته طيبة، ووضعه المادي جيد، ليس بحاجة لأولاده، لا إلى مساعدتهم المادية، ولا المعنوية، ولا الاجتماعية، لكن حينما يرى ابنه متفوقاً وصالحاً ومستقيماً لو شققت على صدره لوجدته أسعد الناس، علاقة أخلاقية بلا نفع إطلاقاً، لذلك قال تعالى:

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) ﴾

(سورة البلد)



الله عز وجل أعطانا نموذجاً عن علاقته بعباده بعلاقة الأب بأولاده، من آيات الله الدالة عليه، مرة سيدنا موسى (رمزية) رأى أماً على التنور تقبل ابنها وتضمه وتشمه بين كل رغيفين، قال يا رب ما هذه الرحمة ؟ قال يا موسى هذه رحمتي أودعتها في قلب الأم وسأنزعها، قصة رمزية فلما نزعها وبكى ألقته في التنور.

فهذا الترابط بين الأب وأولاده وبين الأم وأولادها هذه رحمة الله، هذه محبة الله، بعضهم فسر قوله تعالى:

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي (٣٩) ﴾

(سورة طه)

محبة الأب لابنه محبة الله له ولولا هذه المحبة ما ربى أب ابنه، والآن والعياذ بالله الدول المتفلتة جداً تربي كلاباً.

الأستاذ علاء:

تستبدل الابن بأن تقتني كلباً، سيدي الكريم الآن يستمر وجود الإنسان بالمنصب، بالمال، بالمركز، بماذا يستمر وجود الإنسان ؟

استمرار وجود الإنسان بتربية ابنه تربية صالحة:

الدكتور راتب:

كله زائل، بابنه، والله مرة توفي عالم جليل في دمشق كان خطيباً في الجامع الأموي، اليوم الثالث أقيم له عزاء في الجامع الأموي، وقف ابنه خطيباً والله بكيت، إذاً ما مات الأب، مادام ترك ابناً صالحاً عالماً يتقن الدعوة إلى الله إذاً الأب ما مات، وأنا أتمنى أن يكون كل ابن استمراراً لأبيه، لأن الإنسان في أعماق أعماقه قد جُبل على حبّ وجوده وعلى حبّ سلامة وجوده وعلى حبّ كمال وجوده وعلى حبّ استمرار وجوده، سلامة وجوده بطاعة الله، وكمال وجوده بالبذل والتضحية في سبيل الله يرقى، والعمل الصالح يرفعه، واستمرار وجوده بتربية أولاده، وأنا أقول بطولة الأب في الأولاد الذين أنجبهم هل كانوا مواطنين صالحين ؟ صادقين ؟ أمناء ؟ أعفة ؟ متفوقين في دراستهم ؟ يتقنون العلاقة مع الناس إتقاناً جيداً ؟ لذلك الإنسان لما يرى ابناً صالحاً، الله يرحم الأب دون أن يشعر.

الأستاذ علاء:

هذا الاستمرار كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم:

((وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

الدكتور راتب:

((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

((صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، مسجد، ميتم، مستشفى، مدرسة، عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، ترك مؤلفات وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

الأستاذ علاء:

هذا فيه استمرار ويتصل العمل ما بين الدارين من خلال هذا.

من ربى ابنه تربية صالحة كل أعمال ابنه و ذريته بصحيفته إلى يوم القيامة:

الدكتور راتب:

أستاذ علاء في بعض الآثار الدينية أن المتوفى إذا كان له أولاد صالحون تأتيه الخيرات بعد وفاته من أولاده، يدعو له، بصراحة كل أعمال الأولاد في صحيفة الآباء، الدليل:



﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ (٢١) ﴾

(سورة الطور)

قال علماء التفسير: ألحقنا بهم أعمال ذريتهم، ممكن إنسان ينجب ولداً صالحاً وإلى يوم القيامة في ثلاثة ملايين من ذريته مثلاً ولأن الابن صالح اختار امرأة صالحة وربى أولاده وأنجب أولاداً صالحين، وهذه السلسلة ثلاثة ملايين إنسان صالحين كل أعمالهم في صحيفة هذا الأب الذي ربى ابنه الأول، هكذا نظام العطاء الإلهي:

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ(٢١) ﴾

(سورة الطور)

الأستاذ علاء:

سيدي هل نستطيع بعجالة أن نلخص تلك اللوحة التي تتعلق بتربية الأبناء ولها شرائح ومراتب ويجب أن تكون متكاملة غير منقوصة.

على كل أب أن يوجه ابنه:

١ ـ توجيهاً إيمانياً:



الدكتور راتب:

لا بد من أن تعرف هذا الابن بربه لماذا خلقه ؟ ماذا ينبغي أن يفعل ؟ لماذا هناك أمر وهناك نهي ؟ هل أوامر الله تقييداً لحرية الإنسان أم ضماناً لسلامته ؟ الدولة حينما تضع تيار عالٍ ممنوع الاقتراب، هل تريد أن تحد من حركة المواطنين ؟ أن تزعجهم ؟ لا أبداً تريد أن تضمن سلامتهم، في اللحظة التي يفهم فيها الإنسان أوامر الله ضماناً لسلامته يكون فقيهاً، هذا الابن، الأب يجب أن يجلس معه جلسات طويلة، يا بني كسب المال المشروع مفخرة، فما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناةً نظيفة تسري خلالها، الشعور بالحرمان لا أصل له في الدين، تصور إنسان تزوج امرأة صالحة وأنجب ذرية صالحة بيته قطعة من الجنة، وإنسان لبى هذه الشهوة بطريق غير مشروع فسقط من عين الله وعين الناس، ففي فرق كبير جداً فلذلك لا بد من تربية إيمانية، ما سر وجودك ؟ ما غاية وجودك ؟ ما تعريف الحلال والحرام ؟ العمل الصالح؟ ما الخير ؟ ما الشر ؟ هذه مبادئ قد يرضعها مع حليب أمه، هذه لا تجوز لأن الله نهى عنها هذه تفعل هكذا، الكذب يفقدك مكانتك في المجتمع، عدم إتقان العمل ينفض الناس من حولك تخسر زبائنك، الأب عندما يوجه ابنه توجيه إيمانياً أولاً.

٢ ـ توجيهاً أخلاقياً:

الآن توجيه أخلاقي الملمح الدقيق:

((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ))

[سنن الترمذي عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ]

الصدق، الأمانة:

((أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ))

[أحمد عن أم سلمة]

الإسلام منهج أخلاقي لكن تربية إيمانية عقدية ثم تربية أخلاقية.

٣ ـ توجيهاً نفسياً:

نريد تربية نفسية، الإنسان كيف يحاسب نفسه (النفس اللوامة) ؟ كيف لا يتكبر ؟ كيف لا يستعلي على الآخرين ؟ كيف لا يبني مجده على أنقاض الآخرين ؟ كيف يتواضع ؟ كيف يكون محسناً ؟ هذه كلها تربية نفسية.

٤ ـ توجيهاً اجتماعياً:

الاجتماعية: كيف يعتذر ؟ كيف يتقن عمله ؟ عندنا تربية اجتماعية، كيف يتواصل مع الآخرين ؟ أنا فاجئني مرة أنه في طلب لوظيفة في هولندا يوجد بند عجيب نحن لا نعرفه ؛ أن يصلح للعمل ضمن فريق، في إنسان يتنافس لا يتعاون.

الأستاذ علاء:

كنا نود أن نستمر نسأل الله عز وجل أن يمكننا من أن نكمل هذه الأبحاث الرائعة والجميلة، والتي تفيدنا في حياتنا اليومية الاجتماعية والاقتصادية وفي علائقنا مع بعضنا.

الدكتور راتب:

لكن كلمة واحدة الأسلوب التربوي الفعال في تربية الأولاد أن تكون قدوة لهم.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة – الخطبة ١٠٥٥ : خ ١ – الإرث (حرمان البنات والزوجات من الميراث) ، خ ٢ – الظلم بين أفراد الأسرة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-١١-١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

حرمان الإناث من الميراث

١ – حرمان الإناث من الميراث مِن عمل الجاهلية الأولى:

الحقيقة الأولى في هذه الخطبة: حرمان الزوجات من ميراث أزواجهن، وكذلك حرمان البنات من ميراث آبائهن من فعل الجاهلية، لأن الجاهليين هم الذين يحرمون الإناث من الميراث، لأنهم يقولون: إنما يستحق الإرث من يحمي الدماء، ويحمل السلاح، فهم يحرمون النساء والصغار من الميراث.

٢ – الإسلام أعطى المرأة حقّها من الميراث:

والله جل في علاه جعل للزوجات ميراثاً، لقوله تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾

(سورة النساء)

كذلك جعل للبنات نصيباً من ميراث آبائهن، فقال تعالى:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾

(سورة النساء)

هذا هو دين الإسلام الذي أنصف المرأة فأعطاها نصيبها، قال تعالى:

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾

(سورة النساء)

لذلك أيها الإخوة، حرمان البنات من الإرث عادة جاهلية أبطلها الله عز وجل بنص القرآن وبآيات قطعية الدلالة، فحرمانهم من العقار أو من الأنواع المرغوب بها كمحل تجاري رائج جداً، أو عقار في موقع ممتاز جداً، حرمان البنات من عقار أو من محل له نتائج خطيرة، وهذا أيضاً نوع من الحرمان.

أيها الإخوة الكرام، في الحديث الشريف الصحيح:

((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))

[مسلم]

الحكم الشرعي فيمن أخذ فوق ما يستحق

لكن ما الحكم الشرعي فيمن أخذ فوق ما يستحق ؟ قال: فإن لم يستطع التغيير بحال من الأحوال فواجبه عندئذ أن يتخلص مما هو زائد على حقه، ويقسمه بين الورثة، فإن لم يستطع إقناع بقية الورثة بإحقاق الحق والتوزيع وفق الكتاب والسنة فليتخلص مما ليس له.

كثير من المغتصبين ذوو كفاءات علمية ، بل من رواد المساجد !!!

لكن الذي يلفت النظر أن من يستبد ويظلم ليس جاهلاً، ولا أمياً، ولا إنسانا غير سوي بالمفهوم المصطلح عليه، بل إن بعضهم يعملون في المحاماة والهندسة والتجارة، ويديرون أعمالاً، ويعرفون حقوق وواجبات الأهل والأبناء والأصدقاء، ولكن يتجاهلون حقوق الميراث، ميراث إخوتهم من البنات، بل إن بعض الذي يحرمون البنات من رواد المساجد، وكنت أقول لكم دائماً ومرات عديدة: الدين الحقيقي ليس في المسجد، وأنت توزع الإرث، وأن تهب أولادك وبناتك، وأنت في دكانك، وأنت في عيادتك، وأنت في مكتب المحاماة، وأنت في الحقل، وأنت في متجرك، الدين أن تكون مستقيماً على منهج الله، تأتي العبادات الشعائرية التي في المسجد كي تقبض الثمن، أما من دون أن تستقيم على أمر الله فلا معنى للعبادات الشرعية، و كنت أقول مئات المرات: الصلاة والصيام والحج والزكاة إن لم تسبقها استقامة على منهج الله فلا قيمة لها عند الله،

((ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام))

[ورد في الأثر]

أيها الإخوة الكرام، حينما يستفتي إنسان من يعمل في الحقل الديني، ويقره على ذلك، فالإثم مضاعف، لأن الذي يفتي بلا علم يحاسب عند الله، لكن الذي يفتي بخلاف علمه له حساب أشد بكثير.

لو جاز التفضيل في عطية الأولاد لفضّلت النساء

أيها الإخوة الكرام، هل تصدقون أن النبي عليه الصلاة والسلام في بعض أحاديثه يقول: لو كنت مؤثراً لفضلت النساء على الرجال.

((سووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء))

[رواه الطبراني في الكبير بسند فيه ضعف]

لأنهنّ أكثر طواعية، وأكثر حباً، وأكثر وفاءً لآبائهم، لو كنت مؤثراً لفضلت النساء على الرجال.

قسمة الميراث تولى الله أمرها في القرآن جملةً وتفصيلاً

ولكن الحقيقة التي سوف أعدها محور هذه الخطبة أن الله جل في علاه لم يسمح لنبيه المصطفى المعصوم الذي هو سيد الخلق وحبيب الحق أن يتولى توزيع التركة، بل تولاها الله بذاته العلية في القرآن الكريم، فأحكام الميراث ليست في السنة، ولكنها في الكتاب بواضح الآيات ذات الدلالة القطعية.

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل:

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً ﴾

(سورة النساء)

مِن قِبَل مَن ؟ مِن قِبَل الواحد الديان، مِن قِبَل قيوم السماوات والأرض، مِن قِبَل الذي أنزل القرآن.

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾

(سورة النساء)

مِن هذه الآية أخذت الوصية الواجبة ؛ أن يعطى أولاد المتوفى في حياة أبيه نصيب أبيهم كما لو كان حياً.

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾

(سورة النساء)

الذي يحدث في الأعم الأغلب أن الابن البكر يأخذ أكبر نصيب، ويشتري له بيتًا، ويزوجه، ويدخل معه في المحل التجاري، وله نصف الأرباح، وله أخ صغير، لكن الأخ الأكبر أخذ النصيب الأكبر، ولم يترك للصغير شيئًا، وهذه الآية تقول:

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾

[سورة النساء]

ماذا يمنع أن يكون نصيب الكبير ديناً عليه، فإذا وزعت التركة طرح هذا المبلغ من نصيبه، فكان العدل أساس هذا التقسيم.

وعيد يقصم الظهر لمن أكل مال اليتيم ظلماً وعدواناً

الآن الآية التي تقصم الظهر:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً ﴾

(سورة النساء)

حينما يأكل الأخ الأكبر حقّ إخوته الصغار الذين أصبحوا يتامى بعد موت أبيهم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾

(سورة النساء)

هذا كلام مَن ؟ ليس كلام إنسان لا يعني ما يقول، وليس كلام إنسان ربما لا يستطيع أن يفعل ما يقول، هذا كلام خالق السماوات والأرض.

أنا أخاطب الإخوة الكبار الذين أخذوا وكالات من أخواتهم البنات الصغار، وبهذه الوكالة العامة ضموا ميراث الأب إليهم، وحرموا أخواتهم البنات وإخوتهم الصغار، أقول لهؤلاء: اقرؤوا هذه الآية، وضعوها دائما أمامكم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾

(سورة النساء)

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾

(سورة النساء)

هناك فرق بين العدل والمساواة

في النظام الإسلامي تأخذ المرأة المهر، وليس عليها نفقة إطلاقاً، والرجل يدفع المهر، وعليه شراء البيت وتأثيثه، والإنفاق، لذلك العدل غير المساواة، هذه الآية محض عدل، لكن ما فيها مساواة، فالذي يدفع غير الذي يأخذ، هي تأخذ المهر، ونفقتها على أبيها أو على زوجها ليست مسؤولة أن تنفق إطلاقاً، فلذلك يقول الله عز وجل:

آيتان عظيمتان في موضوع المواريث

الآية الأولى:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ

وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾

(سورة النساء)

دققوا الآن:

﴿ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾

(سورة النساء)

في موقع معلوماتي طالعته اليوم ذكر إنسانا ترك عشرين مليون ريال في جدة، أي مئتين وعشرين مليون ليرة، ابنته تسكن في غرفة قميئة، وتعيش من الصدقات، وأخوها معه مئتان وعشرون مليونا، لم يعطها شيئاً.

أيها الإخوة الكرام، لأن في هذا الشهر أكبر موضوع جاءني شكوى، أو اتصالا هاتفيا، أو لقاء شخصيا هو أن هناك مضاعفات خطيرة جداً انتهت بالطلاق، أسرتان أو أكثر في هذين الأسبوعين تفككت، وطلقت المرأة، وتشرد الأولاد، لأن الأهل لم يعطوا أختهم شيئاً.

الآية الثانية:

أيها الإخوة الكرام، قال تعالى:

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾

(سورة النساء)

خاتمة وعيدية تحذيرية لتعدي حدود قسمة الميراث

الآن التعقيب الذي جاء بعد آيات الميراث:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ﴾

(سورة النساء)

بأي موضوع ؟ التعليق بعد آيات المواريث ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾، في آيات المواريث:

﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾

(سورة النساء)

ألا تكفي هذه الآية لمَن تحدثه نفسه ألا يعطي أخته شيئاً ؟

المرأة في عصور التخلف مستضعفة، تجبَر على توقيع وكالة عامة لأخيها، وأخوها يأخذ كل شيء، وقد يعطيها الفتات، وقد علمت أن إنسانا مات في مدينة في الشمال ترك ألف مليون، ترك ابناً وبنتاً، الابن لم يعط أخته شيئاً، والقصة طويلة، وإنسان آخر في دمشق ترك ما يزيد على ألف مليون أحد أولاده يعمل على شاحنة يعيش كفاف يومه، والأخ الثاني باسمه ثمانون محضرا سكنيًّا، هذه وقائع، وأنا لا أخطب من فراغ، لا أختار موضوعا من خيالي، وأكبر مشكلة الآن في مجتمع المسلمين، في مجتمع الذين يقرؤون القرآن، في مجتمع الذين يرتادون المساجد، في مجتمع الذين يجلسون مع العلماء، ويمجدون دروسهم، ويثنون على خطبتهم، هؤلاء هم أنفسهم الذين يحرمون البنات.

ما جاء في السنة من أحكام الميراث والهبات والعطايا

أيها الإخوة الكرام، هذا في القرآن فماذا في السنة الشريفة ؟

الحديث الأول:

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ:

((تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ مَالِهِ، فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُشْهِدَهُ عَلَى صَدَقَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ، فَرَجَعَ أَبِي فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ))

[متفق عليه]

وفي أخرى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((أَلَكَ بَنُونَ سِوَاهُ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكُلُّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ هَذَا ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَلَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ))

[مسلم]

هل هناك أوضح من هذا الكلام ؟ هل هناك أدق من هذا الكلام، هل هناك أبين من هذا الكلام؟

وفي رواية أخرى عَنْ النُّعْمَانِ أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشْهِدُ عَلَى نُحْلٍ نَحَلَهُ إِيَّاهُ فَقَالَ:

((أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَهُ ؟ قَالَ: لَا قَالَ، فَلَا أَشْهَدُ عَلَى شَيْءٍ، أَلَيْسَ يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَلَا إِذًا))

[أخرجه البخاري، ومسلم]

وما في البخاري ومسلم من أصح الأحاديث بعد كتاب الله جل جلاله، ورواية ولمسلم عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ:

((أَتَى بِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا، فَقَالَ: أَكُلَّ بَنِيكَ نَحَلْتَ ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَارْدُدْهُ))

من هنا جاء الحكم أنه مَن أخذ أكثر ما يستحق عليه أن يرد الباقي على إخوته. والله أعرف شخصين جاءني أخ كريم إلى المسجد، وقد كتب له أبوه كما قلت قبل قليل ثمانين محضرا سكنيّا، ثمنها قريبا من ألف مليون ليرة، قال: وأخي يعمل على شاحنة، وقررت أن أوزع التركة بين إخوتي جميعاً بالعدل، قلت له: والله إن لم يكن لك إلا هذا العمل لكفاك لدخول الجنة، ابن صالح وزع الثروة بأكملها وفق أحكام الإرث الشرعي.

وفي رواية قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((فَارْتَجِعْهُ))

[مالك في الموطأ]

وأخرج أبو داود، والنسائي عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّهُ قَالَ:

((أَنْحَلَنِي أَبِي نُحْلًا، أو قَالَ: نِحْلَةً، غُلَامًا لَهُ، قَالَ: فَقَالَتْ لَهُ أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: ائْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَشْهِدْهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَشْهَدَهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي النُّعْمَانَ نُحْلًا، وَإِنَّ عَمْرَةَ سَأَلَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: فَقَالَ: أَلَكَ وَلَدٌ سِوَاهُ ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكُلَّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَ النُّعْمَانَ ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ: هَذَا جَوْرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا تَلْجِئَةٌ، أَلَيْسَ يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي الْبِرِّ وَاللُّطْفِ سَوَاءٌ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي، إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكَ مِنْ الْحَقِّ أَنْ تَعْدِلَ بَيْنَهُمْ كَمَا أَنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْحَقِّ أَنْ يَبَرُّوكَ))

العدل ولو في الحديث، ولو في القبل، وفي الابتسامة، والنظرة، أمامك أولادك، عينك على واحد فقط، هذا غلط، اعدلوا بينهم في القبل، وفي الابتسامة، وفي النظرة.

أيها الإخوة الكرام، حديث واضح كالشمس، وآيات واضحة كالشمس والمسلمون لم يأخذوا من الدين إلا العبادات الشعائرية، يقول عامل ثمانية وثلاثين عمرة، بارك الله بك ثم ظلمت بين أولادك يأخذون العبادات الشعائرية ولا يهتمون بالعبادات التعاملية مع أن العبادات التعاملية هي الأصل.

الحديث الثاني:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ

((أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى ابْنِي بِصَدَقَةٍ، فَاشْهَدْ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ وَلَدٌ غَيْرُهُ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَعْطَيْتَهُمْ كَمَا أَعْطَيْتَهُ ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ؟))

[أخرجه النسائي]

الحديث الثالث:

أما الحديث الذي يقصم الظهر فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إنّ الرّجُلَ لَيَعْمَلُ وَالْمَرْأَةُ بِطَاعَةِ اللّهِ سِتّينَ سَنَةً، ثُمّ يَحْضُرُهُمَا الْمَوْتُ، فَيُضَارّانِ فِي الْوَصِيّةِ، فَتَجِبُ لَهُمَا النّارُ، قَالَ: وَقَرَأَ عَلَيّ أَبُو هُرَيْرَةَ مِنْ هَا هُنَا: ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍ ﴾ّ، حَتّى بَلَغَ: ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾))

[سنن أبي داود]

خمس صلوات، وصوم، وزكاة، وحج، وطاعة.

الحديث الرابع:

الآن هناك حيلة شرعية، يكتب الأبُ لابنه سندَ دين بمليون ليرة فالدين يحسم من الإرث، قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

((مَنْ فَرّ مِنْ مِيرَاثِ وَارِثِهِ قَطَعَ اللّهُ مِيرَاثَهُ مِنْ الْجَنّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[ابن ماجة بسند ضعيف]

هذا فرار، وحيلة، بأن يعطي قرضًا لابنه أن عليه مبلغا كبيرًا جداً، هذا القرض يحسم من الإرث، ويوزع الباقي، فيكون قد ضر في الوصية، إذاً: حرمه الله ميراثه من الجنة يوم القيامة.

يبدو أنه كانت هناك عادة جاهلية قديمة، السيدة عائشة فيما ورد عنها أنها ذكرت صدقات الناس اليوم، و إخراج الرجال بناتهم منها، كيف يخرج الرجل بناته من ميراثه ؟ تقول: ما وجدت للناس مثلاً اليوم في صدقاتهم إلا كما قال الله عز وجل:

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

(سورة الأنعام)

هذه دعوة جاهلية.

العرف إذا عارض الشرع فهو باطل

الحقيقية الأخيرة أيها الإخوة الكرام، إن العرف يبطل إذا خالف نصاً شرعياً، الأعراف والتقاليد تركل بالقدم إذا خالفت نصاً شرعياً، فإذا كان هذا من أعراف المسلمين، أعرفاهم غير إسلامية، بل جاهلية، و خالفت نصاً إسلامياً فينبغي أن ترد، وأن تبطل، وألا يؤخذ بها، بل هي دعوة جاهلية، ينبغي أن تركل بالأقدام.

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيّس من

دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

***

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

لا بد من تحكيم الشرع في قضايانا

أيها الإخوة الكرام، أنا أركز على هذه الفكرة كثيراً، لقد ألِف المسلمون أن دينهم دين صلاة وصيام، وحج وزكاة، وفيما ذلك تحكمهم الأعراف والتقاليد، وما عليه الناس، وما يأتيهم عن الغرب، فالمفارقة الحادة أنك تجد المسلم مسلماً في المسجد، أما في معاملاته ففيها بضاعة محرمة، يقول لك: رائجة، الله يغفر لنا، وفي توزيع الإرث حرمت البنات، الأصهار لا يعطون وجها، نخاف أن يذهب المال إليهم فيتحكموا فينا.

ترى إنساناً لا يحكمه القرآن الكريم، من هو المؤمن ؟ الذي تجده وقافاً عند كتاب الله، الذي تجده وقافاً عند الحلال والحرام، من هو المؤمن ؟ أن يراك حيث أمرك، وأن يفتقدك حيث نهاك.

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

[سورة يونس]

انظر الى اين ينتهي مصيرك ؟!!

أيها الإخوة، دققوا، القبر حفرة في الأرض، أنت حينما تشيع جنازة ألا ترى مصير الإنسان؟ قد يكون من أغنى أغنياء البلد، قد يكون من أكبر علماء البلد، قد يكون من أقوى أقوياء البلد، أين البيت الفخم ؟ أين المركبة الفارهة ؟ أين المكتب التجاري الرائع ؟ أين الدخل الفلكي ؟ أين الحشم والخدم الذين حوله ؟ أين الأتباع ؟ تركوه، ونزل إلى القبر وحده، ونزل معه عمله، فإن كان عمله كريماً أكرمه، وإن كان عمله سيئاً أسلمه، ألا يا رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً.

الدين خطير عليكم بأدائه ، ومنه توزيع التركة على الوجه الشرعي

ترى عند المسلمين سبعمئة ألف دعوة كيدية، اغتصاب أموال، اغتصاب شركات، اغتصاب بيوت، ديون لا تؤدى، مع أن النبي عليه الصلاة والسلام قَالَ:

((يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ))

[مسلم، أحمد]

هذا لمن أدى حياته، وهي أثمن ما يملك في سبيل الله، الديون لا تغفر له، فكيف بالذي لا يقيم شرع الله في الميراث، لولا أنها مشكلة عامة، لولا أن سبعين بالمئة حتى أكون دقيقا سبعون بالمئة من الأسر يحرمون البنات، ويعطون الذكور، لم يكن هذا الموضوع، لكن لأنه موضوع ساخن وطاف على السطح، وموضوع متكرر، وموضوع ينتهي بالطلاق، وانتهت أسرتان في أسبوعين إلى الطلاق، لأن الأهل أحجموا عن إعطاء ابنتهم حصتها من الميراث.

لن ننتصر وحالنا كما هو

أيها الإخوة الكرام، ألا تتصور ما هي الأسباب الكبيرة التي وراء أن الله تخلى عنا ؟

هذا حال المسلمين في التاريخ، هكذا كان حالنا ؟ كنت في مدينة في أوربا اسمها آخن هي عاصمة الإمبراطورية سابقاً، كان فيها الملك شارلمان، جاءته هدية من هارون الرشيد، موضوعة بأعلى مقام افتخارًا، الدولة الإسلامية كانت في أعلى مقام، هل هذا حالنا الآن، لماذا ؟ لأننا فهمنا الدين عبادات شعائرية، ولم نفهمه عبادات تعاملية، فهمنا الدين صلاة وصيام وحج، وزكاة، ولم نفهمه أداء للحقوق، الدين عدل.

لما أرسل النبي عليه الصلاة والسلام عبد الله بن رواحة ليقيم تمر خيبر أغروه بحلي نسائهم، فقال: والله جئتكم من عند أحب الخلق إلي، ولأنتم أبغض إلي من القردة والخنازير، ومع ذلك لن أحيف عليكم، فقال اليهود بهذا قامت السماوات والأرض، وبهذا غلبتمونا.

المجتمع الإسلامي أساسه الأسرة، وهناك ظلم بين أفراد الأسرة لا يعلمه إلا الله، زوجات مظلومات، بنات مظلومات، أخ ظالم يأخذ كل الملك له، لا يعطي شيئاً، وقد تعاني أخته من آلام الجوع هي وأولادها، ونصيبها من الميراث من خمس وعشرين سنة لم توزع التركة، هكذا.

أيها الإخوة الكرام، أرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الخطبة باعثة للمسلمين، أو لمن يسمعها على أن يؤدي الحقوق إلى أهلها:

((ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام))

[ورد في الأثر]

الدانق سدس الدرهم، ثلاثون قرشًا سوريًا، أدّ الحق إلى صاحبه.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة – الدرس (٠٨٩) :أسباب الشقاق الزوجي.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٦-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون: هذا الدرس ، درس الأحد مخصص للسنة النبوية الشريفة ، إما أن تكون موضوعات فقهية أو أحاديث شريفة ، على كل الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم على النبي عليه الصلاة والسلام والنبي بيّن فهمه لهذا الكتاب ، حريص في هذا الدرس على أن تكون الموضوعات حيوية ، أي موضوعات تغطي حاجاتنا اليومية ، وقد وقع تحت يدي موضوع تشتد الحاجة إليه ، هذه الأسر أسر المسلمين إن تماسكت واستقامت واعتدلت أساس بناء المجتمع ، وإن تضعضعت ولم تتماسك وانهارت أساس تخلف المجتمع ، لا أبالغ أيها الأخوة إذا قلت إنّ أخطر شيء في حياتكم التماسك الأسري ، السعادة الزوجية ، لأنّ الرجل حينما يكون سعيداً في بيته ينطلق إلى عمله ويتضاعف إنتاجه ، وحينما يكون البيت جحيماً ، غير مستقر ينعكس هذا على الزوج وعلى الزوجة وعلى الأولاد ، وكم من أولاد يعانون من أمراض نفسية سببها الشقاق المستمر بين الأب والأم ، سببها عدم توازن البيت ، ونحن أيها الأخوة معنا منهج خالقنا ، منهج ربنا جل جلاله ، وموضوع الزواج والأسر والاستقرار الزوجي والسعادة الزوجية من أخطر الموضوعات التي يحتاجها المؤمن ، أي إذا كانت حياة المؤمن في بيته كحياة بقية الناس ما قيمة إيمانه ، إذا كان أهل الدنيا في حياتهم الزوجية شقاق وخصومات وكان أهل الدين كذلك ، الدين لم يظهر أثره إطلاقاً ، لا بد من أن يكون أثر الدين صارخاً ، لا بد من أن يكون أثر الدين واضحاً ، ولا سيما في البيت ، كلكم يعلم أنّ الإنسان أحياناً حينما يؤدي امتحان القيادة ، قيادة السيارة يوضع في ظرف صعب جداً ، ينبغي أن يرجع بمركبته نحو الوراء في طريق ضيق جداً ، ومتعرج كثيراً ، وهناك إشارات على أطراف الطريق ، فلو مسّ واحدة منها رسب ، لماذا هذا التعقيد ؟ إنه إن أتقن هذه العملية الصعبة كل شيء بعدها سهل ، ويقول عليه الصلاة والسلام:

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي))

أي إذا كان في البيت طيباً ، _لأنه لا يوجد رقابة في البيت ، في البيت لا يوجد من يحاسبك ، ليس هناك مسؤولية ولا سيما الزوج ، فحينما يكون الزوج في بيته منضبطاً وأخلاقياً ومتواضعاً وحينما يكون واحداً من أهل البيت ، عندئذ يصلح خارج المنزل ، كما تعلمون أيها الأخوة الإنسان حريص على سمعته بين الناس ، فهناك انضباط خارجي سببه الضغط الاجتماعي ، أما في البيوت غالباً_ لا يوجد ضغط اجتماعي ، ولا رقابة ، ولا مسؤولية ، ولا حساب ، ولا مكانة تهتز ، فلذلك الإنسان في بيته يرتدي ما يشاء ، يتكلم ما يشاء ، قد يقسو بكلامه ، قد يستخدم

كلمات قاسية جداً ، قد يتحرك حركات غير لائقة ، قد يتطاول ، قد يسب ، هذا السلوك غير المنضبط في البيت لا يتناسب مع أهل الدين إطلاقاً ، أهل الدين يتميزون بأخلاقهم الرفيعة في البيت ، وهناك زوجات كثيرات كان أزواجهن متفلِّتين فلما التحقوا بمسجد والتزموا بجماعة واصطلحوا مع الله ، الزوجة كشفت الفرق الهائل بين أخلاق الزوج قبل الاصطلاح مع الله وبين أخلاقه بعد اصطلاحه مع الله ، موضوع الدرس اليوم حول أسباب الشقاق الزوجي ، الأصل في العلاقة الزوجية كما قال الله عز وجل:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾

(سورة الروم)

هذا هو الأصل ، أما الواقع ليس كذلك ، في الواقع هناك خصومات وشجار وبغضاء وغياب عن البيت ، هناك أسباب ، أردت في هذا الدرس أن يوفقني الله عز وجل لوضع يدي على الأسباب ، إن وضعت اليد على الأسباب ، وقديماً قالوا: إن عُرِف السبب بطُل العجب، أول سبب في الشقاق الزوجي هو العدو رقم واحد الجهل ، جهل الزوج بواجباته تجاه زوجته، وجهل الزوجة بواجباتها تجاه زوجها ، وجهل الزوج بحقوق زوجته عليه ، وجهل الزوجة بحقوق زوجها عليها ، العدو الأول في سوء العلاقة الزوجية الجهل ، لذلك ما من عقد قران إلا ويقولون نقيم هذا العقد اقتداءاً بسنة رسول الله ، أي الزواج سنة ، حسناً هلاّ عرفتم الزوجين بتفاصيل هذه الكلمة ، وبحقوق الزوج على زوجته، وواجبات الزوجة تجاه زوجها ، وحقوق الزوجة على زوجها ، وواجبات الزوج تجاه زوجته ، هذه السنة ، فالإنسان حينما يعرف ما له وما عليه يؤدي ما عليه ويطالب بالذي له ، وحينما تعرف الزوجة ما لها وما عليها تؤدي الذي عليها وتطالب الذي لها تستقيم الحياة الزوجية لذلك أن تعرف حقوق الزوجة وواجبات الزوج شيء مهم جداً ، وأن تعرف الزوجة واجباتها تجاه زوجها وحقوق زوجها عليها شيء مهم جداً جداَ ، أنا أذكر قبل أعوام عديدة قد تزيد عن ثمانية أعوام ألقيت في هذا الدرس بالذات سلسلة دروس تحت عنوان حق الزوج على زوجته في شريطين وحق الزوجة على زوجها في شريطين ، وحق الأبناء على الآباء في شريطين ، وحق الآباء على الأبناء في أربعة أشرطة ، المجموع عشرة ، وجرت العادة أنني كلما رأيت زواجاً ميموناً كنت أهدي الزوجين هذه الأشرطة العشرة لأُعرِّف الزوج ما له وما عليه ، ولتعرف الزوجة ما لها وما عليها ، فأحد أكبر أسباب الشقاق الزوجي وانهيار الحياة الزوجية ، أحد أكبر أسباب الطلاق ، أحد أكبر أسباب الفصام بين الزوجين هو الجهل ، العدو

الأول ، ويا أيها الإخوة الكرام يفعل الجاهل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، وهذا أستقيه من بعض المشكلات التي تعرض عليّ ، أجد السبب صارخاً جهل الزوج بحق الزوجة عليه ، جهل الزوجة بحق زوجها عليها ، هي تنحرف وهو يقسو ، المحصلة شقاء زوجي ، لذلك الحياة السعيدة تحتاج إلى علم ، وأقول لكم والله ولا أبالغ ما من شيء يعلو في حياتك على طلب العلم ، لأنك بالعلم تعرف من أنت ، وتعرف سر وجودك ، وغاية وجودك ، وتعرف كيف تعيش ، كيف تعطي ، كيف تأخذ ، كيف تصل ، كيف تقطع ، متى تغضب ، متى ترضى ، متى تعفو ، متى تنتقم ، الإنسان من دون علم بهيمة ، وهناك أناس كالدواب والله ولا أبالغ لأنهم جهلوا ، فأول سبب كبير جداً للشقاق الزوجي هو الجهل ، السبب الثاني وهنا تكمن المشكلة أننا قد نجد زوجين ملتزمين ، زوجين يعلمان حق الزوج وحق الزوجة وواجبات الزوج وواجبات الزوجة ومع ذلك بينهما شقاق ، إلامَ نعزو هذا ؟ نعزو هذا إلى ضعف الإيمان ، حينما يضعف إيمانك لا تبالي بطاعة ربك ، أما إذا ارتفع إيمانك تحرص على طاعة ربك في العلاقة بزوجتك ، كنت أطمح كلما التقيت بزوجين شابين أن أقول للزوج لن تسعد بزوجتك إلا إذا عرفت الله أنت أولاً وسعدت بمعرفته وطاعته ، وعرّفت زوجتك بالله وسعدت بمعرفته وطاعته عندئذ تسعدك ويا أيتها الزوجة التي زاد إيمانها على إيمان زوجها إن عرفت ربك وسعدت بطاعته وقربه وأخذت بيد زوجك لتعريفه بالله عز وجل عندئذ يسعدك ، أي يستحيل أن يسعد زوج زوجته إلا إذا عرف الله ، الذي يحصل في حياة الزوجين المؤمنين أنّ كل طرف يتغاضى عن سلبيات الطرف الآخر ، وينمي إيجابيات الطرف الآخر ، وأن كل طرف يتقرب إلى الله بتسامحه مع سلبيات الطرف الآخر وتنمية إيجابيات الطرف الآخر ، لذلك الزوج يتقرب إلى الله بصبره على زوجته وإكرامه لها ، والزوجة تتقرب إلى الله بصبرها على زوجها وإكرامها له ، أي كما قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آَمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)﴾

(سورة التحريم)

ألم تكن صابرة ، كانت صدِّيقة وجعلها الله تحت زوج كافر فاجر جبار سفاك للدماء ومع ذلك قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آَمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)﴾

(سورة التحريم)

إذاً السبب الثاني لو وجدنا زوجين ملتزمين أو يعلمان حق الزوج وحق الزوجة وواجبات كل منهما ولا يقومان بهذه الواجبات ولا يرعيانها رعاية تامة معنى ذلك توافر العلم وضَعُف الخوف من الله ، توافر العلم وضَعُف الإيمان والتطبيق ، إذاً نحن بحاجة إلى أن نعرف وبحاجة إلى ورع وإلى خوف من الله عز وجل من أجل أن نطبق ما نعرف ، طبعاً هذا يحتاج إلى توعية ، الأم من أكبر مهماتها أن تعلِّم ابنتها واجباتها تجاه زوجها ، وأن تنمي فيها إيمانها وإتقانها لصلواتها وحفظها لكتاب الله وعملها الصالح ، المشكلة أنّ الزوجة أحياناً تُقمع بالدين قمعاً ، يكون أباً قاسياً وديّن فيعطي معلومات مشددة ويحاول تنفيذها بقسوة ، هذا أسلوب قمعي كثيراً ما يخفق الأب الصالح هو الذي يقنع ولا يقمع يأتي بالدليل يحاور ولا يفرض ، فحينما تجعل من زوجتك وبناتك قانعات لأحقيّة هذا الدين ، قانعات لضرورة الأخذ به ، عندئذ يمكن أن ينمو الإيمان وإذا رافق هذا الإيمان معرفة بالحقوق والواجبات سعد الزوجان ، طبعاً هذه الأسباب الأساسية ، السبب الثالث للشقاق الزوجي سوء التصرف ، أي زوجة مثلاً زوجها غضبان تضحك ، هذا الضحك في الوقت الغير مناسب ربما زاد غضبه ورمى يمين الطلاق ، وهو في هيجان اتق الفرح معه إن كان ترحاً ، والترح إن كان فرحاً ، فلسوء التصرف أن تقابل الزوجة زوجها الغضبان بابتسامة وميوعة ، أو أن يقابل الزوج زوجته المتعبة بسخرية لاذعة ، هذا من سوء التصرف أو حينما تلح عليه في الوقت غير المناسب ، جاء ليرتاح ما إن دخل إلى البيت بدأت بعرض مشاكلها وطلباتها وضجرها وتبرمها ، هو جاء ليستريح ، جاء ليخلد إلى الراحة ، ما إن دخل إلى البيت حتى واجه سيلاً من المشكلات ، أيضاً هذا اسمه سوء التصرف ، أول سبب الجهل ثاني سبب ضعف الإيمان وضعف الخوف من الله ، السبب الثالث سوء التصرف ، لذلك قال تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ(٢٦٩)﴾

(سورة البقرة)

أحياناً هي متعبة نظفت البيت كله غسلت الغسيل ، هيأت الطعام وقد وصلت إلى درجة الإعياء ، يطالبها بأشياء غير أساسية ، ثانوية بإلحاح تضجر ، ترفض ، ترفضين يقابلها بكلمات قاسية ، طلبه غير معقول في وقت غير مناسب ، وضعها غير لائق ، ضحكها أمام غضبه يثير غضبه أكثر ، لا مبالاته أمام تعبها يثير غضبها أكثر ، السبب الثالث سوء التصرف ، والشعار قوله تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ(٢٦٩)﴾

(سورةالبقرة)

أي أحياناً ، أنا أضرب مثلاً، إناءآن من البلور لو صدمتهما ببعضهما ، ينكسران ، أما لو كان الأول من البلور والثاني من المطاط وصدمتهما ببعضهما لا يحصل شيئاً ، فكلما كان الزوج قاسي الطرف الثاني يجب أن يكون مرناً ، لو صار اصطدام لا يحصل شيئاً ، أي إنسان يقتحم ، إنسان يمتص هذه الصدمة ، أحياناً الزوج يقتحم الزوجة تمتص هذه الصدمة ، أحياناً الزوجة تقتحم الزوج يمتص هذه الصدمة، النبي عليه الصلاة والسلام جاءه طبق طعام من زوجته صفية وهو عند السيدة عائشة ، أصابتها الغيرة من شدة حبها لرسول الله ، وحرصها على إرضائه ما أرادت أن تسمح لأحد ضراتها أن تأتي بطعام طيب ، فأمسكت الطبق وكسرته ، النبي ماذا فعل ؟ قال: غضبت أمكم غضبت أمكم ، هي اقتحمت هو امتص هذا الاقتحام ، فهذه قاعدة أساسية أحياناً تحل المشكلة بالسكوت ، تطاولت اسكت ، تطاول اسكتي ، الذي أريد أن أقوله لكم أنّ أكثر المشكلات تبدأ بكلمة كلمة قاسية ردت عليها بكلمتين قاسيتين ، رد عليها بخمس كلمات قاسية ، ثم ضربها ثم سب أهلها ، ثم طردها من البيت ، أساسها كلمة قاسية ، قال الرسول الكريم:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَرَى أَنْ تَبْلُغَ حَيْثُ بَلَغَتْ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا))

قالت عن أختها أنها قصيرة قال: يا عائشة لقد قلت كلمة لو ألقيت في ماء البحر لأفسدته ، طبعاً أنا أضرب بعض الأمثلة ، ولكنّ هناك أمثلة كثيرة جداً ، سوء التصرف ، اتق الفرح معه إن كان ترحاً ، والترح إن كان فرحاً ، فإنّ الأولى من التقصير والثانية من التكبير ، لا تعصي له أمراً ، لا تفشي له سراً ، حرارة النوم جوع ملهبة تنغيص النوم مغضبة احرصي على نومه وعلى تأمين طعامه في الوقت المناسب ، هناك زوجات دائماً يقصرن في إعداد الطعام ، الزوج دخل الساعة الثالثة ، الساعة الرابعة ، ينتظر أن يأكل لقيمات وأن يستريح قليلاً فيجد الطعام غير جاهز ، وهذه مشكلة كبيرة يجب أن يكون الطعام جاهزاً في الوقت المناسب ، من سوء التصرف موضوع الطعام ، موضوع النوم ، موضوع الضحك مع غضبه ، لا مبالاة مع حزنه ، تكليفها بأعمال فوق طاقتها في وقت غير مناسب ، تعليقات ساخرة ، هذا ينضوي تحت باب سوء تصرف ، فمن وفِّق إلى حسن التصرف وإلى امتلاك الحكمة فقد وفق إلى خير كثير ، السبب الرابع للشقاء الزوجي التعالي من بعض الأزواج ، إما _ن يتعالى عليها وإما أن تتعالى عليه ، إما أن يتغطرس عليها

وإما أن تتغطرس عليه ، قد يكون هو أقوى وأغنى ، وقد تكون هي لها أب أغنى منه ويدعمها ، فحينما يعلو أحد الشريكين على الآخر هذا إسفين في هذه السعادة الزوجية ، التعالي ، أحياناً الزوج لا يُناقَش ولا يُحاسب ، ولا يُراجع ، والزوجة دائماً هي المخطئة ، شدة الضغط يؤدي إلى الانفجار ، وأحياناً الزوجة قاسية جداً ، قال لي أخ أنه خطب من جماعة قال لي: أول سؤال سألتني إياه الخطيبة هل تعرف كيف تجلي وتطبخ ؟ قال لأمه: السلام عليكم هيا بنا ، سؤال أحمق، في أول لقاء لكي يراها تسأله إن كان يعرف كيف يغسل الصحون ويطبخ ، أحياناً كلمة تدمر أسرة ، أحياناً تصرف أحمق يفصم العلاقة بين زوجين قال تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ(٢٦٩)﴾

(سورة البقرة)

الإنسان إذا كان مع الله يؤتى الحكمة ، الحكمة ليست كسبية والدليل هو هذه الآية الكريمة ومن يؤتى ، تؤتى إيتاءً ، كأنّ الحكمة إكرام من الله ، كأنّ الحكمة التي يملكها الإنسان مكافأة من الله عز وجل على اتصاله به وعلى استقامته على أمره ، أي المعنى المخالف الكافر لا يؤتى الحكمة يؤتى الحماقة والرعونة والتصرف القاسي ، المؤمن يؤتى الحكمة ، أحياناً سكوتك يحل المشكلة ، أحياناً خروجك من البيت يحل المشكلة ، أحياناً كلمة اعتذار تحل مشكلة ، تجد أنّ المشكلة قد انتهت ، والشيء المؤلم أنّ هناك حالات تنتهي إلى الطلاق ، وتشريد الأولاد بدأت بكلمة لو أنّ الزوج تحمّلها وسكت ، لو أنه اعتذر لانتهى كل شيء ، فكم من بيت انهار بسبب كلمة قاسية أُلقيت بدون سبب ، دائماً هذه الآية يجب أن نحفظها جميعاً ، قال تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨)﴾

(سورة البقرة)

هي شريكة حياتك وأم أولادك ، لك ما لها ولها ما لك ، قال تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨)﴾

(سورة البقرة)

درجة واحدة ، درجة القيادة ، أوضح شيء القطعات العسكرية يكون هناك كتيبة مِلاكُها مُقدّم ، هناك مقدمان في الكتيبة ، لا بد من أن يكون أحد المقدمين أقدم من الآخر ، الأقدم يعين قائد الكتيبة ، مقدمين رتبة واحدة ، التخرج واحد ، الترقية واحدة ، الراتب واحد، هذا تخرّج قبل شهرين ، صار أقدم وله حق القيادة ، وللرجال عليهن درجة واحدة هي درجة القيادة ، البيت

مؤسسة لا يمكن أن تنجح إلا بقائد واحد ، السبب الخامس من أسباب الشقاق الزوجي التقليد الأعمى ، الزوجة تؤخذ بالمظاهر ، لها أخت زوجها تاجر ، وأنت زوجك موظف ، أي فعلوا اشتروا ، أقاموا وليمة ، سافروا ، تنزهوا ، فهذه القصص التي ترويها الزوجة ، زوجة الغني لأختها زوجة الفقير ، هذه القصص مؤلمة جداً ، فالفقيرة ماذا تفعل ؟ تضغط على زوجها كي تجاري أختها وما تدري أنها تضرب اسفين نعش هذا الزواج ، تكلفه ما لا يطيق ، قد تجد في بعض المحلات التجارية ثياب نسائية ، ثمن الثوب يساوي راتب الزوج كله ، هل من المعقول أن تطلب منه هذا الثوب ؟ حسناً ضعي نفسك مكانه ، ماذا يفعل بطعام الأولاد ؟ كيف يدفع نفقات الكهرباء والماء والحاجات الأساسية إن أردت هذا الثوب الذي يساوي راتب زوجك بأكمله ، مستحيل هذا الشيء ، فلذلك التقليد الأعمى ، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((يا عائشة إياك والدخول على الأغنياء))

المقصود الأغنياء غير المنضبطين ، الأغنياء المتفلتين من منهج الله ، الأغنياء غير المؤمنين ، من دخل على الأغنياء خرج من عندهم وهو على الله ساخط ، الفقير قد يقول: لا شيء عندي وهو عنده الصحة وعنده الزوجة والأولاد والوفاق الزوجي ومعرفة الله والطاعة لله ، هو أغنى الأغنياء الفقير ، ولكنه غفل عن هذا الغنى ، فلذلك التقليد الأعمى عند بعض الزوجات ، والمرأة سبحان الله تحب أن تغيظ أخواتها بحالاتها مع زوجها الإنفاق ، الثياب ، النزهات ، الولائم ، تتحدث بهذا ، وهذا شيء خطير جداً ، خرج على قومه بزينته فخسفنا به وبداره الأرض هذا نوع من الفساد قال الرسول الكريم:

((عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْوَلَدِ وَوَالِدِهِ فِي الْبَيْعِ فَرَّقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

المؤمن يقرب لا يبعد ، أحياناً قصة ، ماذا أردت من هذه القصة إلا أن تغيظي هؤلاء النسوة ، وأن تظهري أن زوجك غني وأنه قادر على أن ينفق عليك الشيء الكثير ، هذه القصة تورث الحسد والضيق والألم عند الزوجة الأخرى غير المتمكنة من إيمانها ، لذلك أقول لكم هذه الكلمة ليس لكم مصلحة بأن تصاحب من طبقة أخرى ، أي أن تُصاحب من يرى لك من الفضل مثل ما ترى له ، إذا كان هناك أخ دخله معتدل يزور أخ ثاني من نفس المستوى يسعدان سعادة بالغة ، ينسجمان في الحديث ويعيشان في ساعات مسعدة جداً ، أما لو دخل أخ من طبقة أو من درجة

معينة إلى بيت آخر يصغر والثاني يكبر ويستعلي ، لا تصاحب من لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له ، قال النبي:

((عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: خَطَبْتُ امْرَأَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا ؟ قُلْتُ: لاَ ، قَالَ: فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا))

أي أن أحد أسباب الوفاق أن تنظر إليها وأن تنال إعجابك ، أحياناً الإنسان يستجيب لضغوط معينة ، ضغط والده ، ضغط والدته ، كيف لا يوافق ، هذه الزوجة التي اتخذتها زوجة كي تحصنك ، إن رأيت أنها لا تحصنك إطلاقاً ، وأن في خلقها عيباً خطيراً ، وهذا قد لا يسعدك بها، لا توافق من الآن ، الذي يؤلمني أشد الألم أن يقول أنا أريدها مؤمنة فقط لا يهمني شكلها أبداً ، يأتي شرط الدين من أعلى مستوى ، بعد أن يتم الزواج يتهكم على شكلها، ويلوم حظه على هذا الاختيار السيئ ، وأنت كذا وكذا ، يجب أن لا تأخذها من الأصل، إما أن ترضى بها وترقى عند الله إلى أعلى درجة وأنت صامت ، أو في الأصل لا توافق عليها ، إخواننا الكرام نقطة دقيقة، البنت تكون في بيت أهلها معززة مكرمة البنت غالية كثيراً على أبيها وأمها ، يأتي الخطيب يأخذها ، يقبل بها في بادئ الأمر، ثم يكيد لها الانتقاد والسخرية ، هذا مما يضعف العلاقة بينهما، أنا أقول لكم هذه الكلمة ، أنت يجب أن تأخذ قرار قاسي ، إما أن تقبل بها وأنت ساكت ، وإما أن ترفضها من بادئ الأمر ، أما أن تقول أنا أريد الدين فقط ، ولا يعنيني الشكل إطلاقاً ، ثم يظهر أن الشكل عندك أهم شيء ، هذا خطأ كبير ، فهناك أسباب للشقاق الزوجي ، أي زواجاً تم بسرعة ، ما نظر إليها ، ما دقق في طلبه منها ، ما راقت له ضغط عليه أهله فاستجاب لهم ، قبلها على مضض فنشأت المشكلة ، هذه زوجة لا تحصنه ، قد تحصن زوجاً آخر ، فأنا أقول إما أن تصبر وتسكت وإما أن ترفض في بادئ الأمر ، أما أن تقبل ثم تزعج هذا عمل فيه ظلم ، لأنها كانت عند أهلها معززة مكرمة ، فأنت أتيت بها كي تهينها ، هذا خطأ كبير.

إخواننا الكرام ، أحد أسباب الشقاق الزوجي ، الغياب الطويل عن المنزل ، والله أيها الإخوة عشرات القصص ، اطلعت عليها بعضها انتهى إلى خيانات ، سببها الغياب الطويل عن المنزل ، يخرج الساعة السادسة يأتي الساعة الثانية عشرة كل يوم ، هذه زوجة روح لا أحد يؤنسها ، لا بكلمة ولا بحركة ولا بشيء ، فهي بحاجة إلى من يؤنسها ، فإذا عرف أحد الخبثاء ضعفها في هذه الناحية ، فقد يستغل هذا وقد يصل إلى مطلوبة بالتدريج ، وقعت الخيانة ، فأحد الأسباب

الغياب المديد عن البيت ، أنا أعجب من بعض الإخوة ، يقول أتاني عمل خارج القطر ، حسناً كم سنة ؟ يقول أربع سنوات وزوجته تبقى في الشام ، إذن هل من المعقول أن تدع زوجتك في الشام أربع سنوات وبمفردها ، وعندك أولاد منها ، هو كسب المال القليل ولكن ضيع الشيء الكثير ، الغياب الطويل عن الزوجة خطر كبير ، حاول أن يكون وجودك قوي في البيت ، وجودك يؤنسها، وجودك يسعدها ، وجودك يحصنها ، وجودك يرعاها ، أما إذا كان هناك غياب مديد عندها تنشأ المشكلات ، أحياناً بعد الزواج يذهب الزوج كل يوم مع رفاقه هذه مشكلة فهو متزوج، هذا رفيقته زوجته ، ويجب أن ينتبه زملاؤه إلى ذلك ، الإنسان عندما دخل قفص الزوجية إن صح التعبير ، صار له زوجة وأولاد أما أن يبقى على علاقاته مع أصدقائه يوم كان عازباً كما كان سابقاً فهذا شيء غير معقول إطلاقاً ، أحد أسباب الشقاق الطمع المالي ، ورثت ميراثاً من أبيها ، يريد هذا الميراث أو يسيء العلاقة بها ، يزعجها يضغط عليها وهي لا تملك أن تأخذ هذا المال من أخيها ، أيضاً أخيها انتبه أن هذا المال سيأخذه زوج أخته ، فجمد موضوع توزيع الإرث ، هو يضغط وأخيها يضغط ، الضحية الزوجة ، هذا سبب آخر من أسباب الشقاق الزوجي ، طمع كل طرف بمال الآخر ، الزوج الناجح لا يطمع أبداً بمال زوجته ، أي مكانته الزوجية وقوامته أساسها عدم طمعه بمال زوجته ، ثم أقول لكم أيها الإخوة أنّ هناك سبباً تاسعاً ، السبب التاسع هو أن بخل الزوج أحياناً يدمر أسرته ، أبشع صفة في الرجل بخله ، ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله ، الزوج الناجح يسعد بإطعام أهله وإكسائهم وإدخال الفرح على قلوبهم ، هذه سعادة الزوج والشيء المؤلم والذي لا أحب أن أقوله أبداً أن ينتظر أهله موته ، يعني أن إنساناً حدثت له مشكلة وجاء الطبيب وقال: عرضية ، يحزنون ويقولون كيف عرضية ألا يوجد شيء ، هذه بسيطة جداً ، يعتقد الطبيب أنه يطمئنهم ، وهم لا يريدون ذلك ، يريدون أن تكون المشكلة خطيرة ، حتى ينتهوا منه، البخيل دائماً يتمنى أقرب الناس إليه موته ، لأنه بخيل ، أما الكريم فيتمنون طول بقائه ، أنا ما رأيت أعقل ممن يكرم أهله في حياته ، أكرمهم وأعطهم ، حتى يتمنوا بقاءك ، ويسعدوا بقربك أما إنسان يعيش بين أناس يتمنون موته ، فهذه مشكلة ، البخلاء هكذا ، كل أب بخيل كأنه يدفع أولاده إلى تمني موته ، طبعاً لو أن إنسان عنده زوجتين ولم يعدل بينهما أحد أسباب الشقاق الزوجي ، أي فرق كبير بين البيتين في الإنفاق في السكنى فهذا يشكل ظلم شديد ، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ لِإِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدُ شِقّيْهِ مَائِلٌ))

وكان من دعاء النبي عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ: اللّهُمّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلاَ تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ ، قَالَ: أَبُو دَاوُد يَعْنِي الْقَلْبَ))

هناك سبب حادي عشر هو سوء الظن غير المعتمد على دليل ، أنا أعرف رجل دائماً يسيء الظن بزوجته ، بدِّل زوجتك لأنّ الأصل حسن الظن ، ما لم يقم دليل الإنسان برئ ما لم يقم دليل، هناك أزواج بلا دليل يسيئون الظن بزوجاتهم ، أو تسيء الظن به ، إذا تأخر مع من كنت ؟ هذا زوجك مؤمن ، أعرف أزواج مؤمنين إذا تأخروا عن البيت تتهمه زوجته بأنه كان مع إنسانة ، أو بالعكس ، سوء الظن بلا دليل مشكلة كبيرة وقد يسبب الطلاق سوء الظن بلا دليل، سوء الظن مع الدليل من الحزم ، هناك دليل ، هناك حركة غير طبيعية ، هناك تلون و اضطراب ، فهناك آثار ، عندها لا يوجد أي مانع ، عندئذ قم بسوء الظن أما من دون دليل إطلاقاً تسيء الظن هذا كما قيل: قذف محصنة يهدم عمل مائة سنة ، هناك سبب آخر أن بعض الأزواج لا يفهم طبع زوجته هذا يقع بين الشركاء والأزواج ، كل له طبع إنسان هادئ ، بارد ، وإنسان حاد ، وعصبي المزاج فإذا لم يفهم كل طرف طبع الطرف الآخر هذا يولد احتكاك ومشكلات ، وانفجار وشقاق وطلاق ، أغلب الظن بعد سنتين من الزواج يفهم كل منهما الآخر ، يتعامل معه حسب طبعه ، الآن الميل لأحد الأولاد يسبب شقاق زوجي ، أحياناً الأب يميل لابنه والزوجة تتألم من هذا الميل الظالم ، فهناك شقاق سببه أن الزوج يميل لأحد الأولاد ، ولا تنسوا أيها الإخوة أن العدل بين الأولاد من أبرز مواد منهج الله عز وجل ، سووا بين أولادكم في العطية ، قال أحدهم: يا رسول الله اشهد أنني نحلت ابني هذا حديقة ، فسأله النبي: وهل لك ولد غيره قال: نعم ، قال: أنحلتهم مثل ما نحلته قال: لا، قال: أشهد غيري فإني لا أشهد على جور ، لذلك أروع عمل يقوم به الأب هو العدل بين الأولاد في كل شيء ، يقول لي أحد الآباء: أن ابني هذا عاق فإذا حرمته فذلك أفضل ، قلت له: هو الآن عاق درجة ، حينما تحرمه تزيده عقوقاً ، وحينما تعدل بينه وبين إخوته تقربه إليك ، فأنا لست من أنصار التفريق في العطاء بين البار والعاق أبداً ، وزِّع بالتساوي ، فالعاق يخف عقوقه والبار يحترمك ، أما لو حرمت العاق البار يأخذ عليك أنك لم تكن عادلاً والعاق يزداد عقوقه، هناك شيء في الزواج أحياناً الزوج لا يقبل الطرف الآخر ، يقول لك: هذه ليست لي ، لا تليق بي ، يندب حظه طول حياته ، أو بالعكس تقول هي: أنا يليق بي زوج آخر ،

أغنى أو أجمل ، فإذا الزوجة أو الزوج ما قبِل أو قُبِلت الطرف الآخر لن تقوم سعادة بين الزوجين ، هذه هدية من الله ، الآن أقول قسمة ونصيب ، الله عز وجل اختار لك هذه الزوجة ، وهي أنسب زوجة لك ، فقضية قبول ، أنا قبلت هذه الزوجة ، أي بميزاتها ومساوئها والسبب الخامس عشر للشقاق الزوجي هو تدخل الآباء والأمهات في شؤون الأزواج ، والله أيها الأخوة في هذا الجامع المتواضع مئات حالات الشقاق سببها الأم أو الأب أو تعنت الوالدين ، أي أن الأب يريد أن ينفذ كلمته والأم كذلك على حساب سعادة أبنائهما ، هناك ضغوط شديدة جداً للآباء والأمهات وقد ينتهي الأمر إلى الطلاق ، طبعاً أنتم إن كنتم آباء لن تفعلوا هذا ولكن أرجو الله سبحانه وتعالى كما أقول في كل عقد قران وألهم أهليهما السداد والرشاد أي اجعل كل منهما قرة عين للآخر وألهم أهليهما السداد والرشاد ، أحياناً يرتكبون حماقة ، السبب السادس عشر للشقاق الزوجي خروج المرأة من منزلها بدون إذن زوجها ومن حق الزوج أن يعطي الموافقة أو عدم الموافقة ، أما أنها تخرج من دون إذنه ، قال لي أخ: كلما آتي إلى البيت لا أجدها في البيت وإنما عند الجيران وعندهم أجهزة فساد كبيرة جداً وتَفَلّت ، وأهلها يدافعون عنها وحياته قطعاً جحيم لأنها تخرج من بيتها بدون إذن زوجها وأية امرأة تخرج من بيتها من دون إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع ، هذا السبب السادس عشر ، هناك سبب سابع عشر وأظنه الأخير خلو الزوجة ببعض أقارب الزوج ، وخلو الزوج ببعض أقارب الزوجة ، وعند العوام أخي هي أخت زوجتي ولا يوجد أحد غريب ، هذه مثل أختي إن شاء الله ، لا ليست مثل أختك هي امرأة غريبة، هي امرأة أجنبية وتُشتهى ، وكم من حادث وقع بين الزوج وأخت زوجته ، كم من حادث، وكم من جريمة ارتكبت ، وكما قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ ، قَالَ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ))

خلو الزوجة ببعض أقارب زوجها ، جاء أخو زوجها تقول له: تفضل ، أين أخي ؟ تقل له: لم يأت بعد ، هذه مخالفة كبيرة جداً أو بالعكس ، أيها الأخوة سبعة عشر سبباً وراء الشقاق الزوجي، آخر سبب خلو الزوجة ببعض أقارب الزوج غير المحارم ، وخلو الزوج ببعض أقارب الزوجة غير المحارم ، وقد قال عليه الصلاة السلام:

((عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ ، قَالَ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ))

فأرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه النقاط بين أيدينا ، لأننا إذا حذفناها من حياتنا السعادة الزوجية قائمة وهي الأصل في العلاقة الزوجية.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية – قناة سوريا الفضائية – الاسلام والحياة – الدرس (١٦-٢٠) : أسباب السعادة الزوجية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٩-٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوتي المؤمنين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
في الحلقة السابقة تحدثنا عن أسباب الشقاق الزوجي، وفي الحقيقة هو موضوع سلبي، ولكن هذه الحلقة إن شاء الله تعالى سنتحدث فيها عن أسباب السعادة الزوجية، والحقيقة أنه ينبغي أن نتلافى أسباب الشقاق، ثم أن نفعل موجبات السعادة الزوجية، لو عدنا إلى كتاب، ومنهج الله، وتعليمات الصانع، وكلام الخبير فإننا نجد الله عز وجل يقول:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(سورة النساء)

ما معنى كلمة معروف ؟ المعروف تعرفه الفطر السليمة بداهة، إذا قال الله عز وجل:

﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

(سورة آل عمران)

ما المعروف ؟ الشيء الذي تعرفه النفوس بداهة يقول هكذا فطرت يقول وجبلت عليه، ألم يقل الله عز وجل:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)﴾

(سورة الشمس)

يعني أنها إذا اتقت تعلم أنها اتقت من دون أن ينبّهها أحد، وإذا فجرت تعلم من دون أن ينبهها أحد، هذه هي الفطرة، وهي متوافقة تماماً مع منهج الله، قال تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾

(سورة الروم)

أي أن تقيم وجهك نحو الدين، أن تشدّ همتك إلى تطبيق الحق، هو ما جبلتَ أنت عليه في الأصل، لذلك حينما يقول الله عز وجل:

﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

الشيء الذي تعرفه النفوس فطرة وابتداء وبداهة من دون توجيه، والفطرة أيها الإخوة شيء مهم جداً في الدين.

يقول الله عز وجل:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً(١٩)﴾

(سورة النساء)

نحن في دار ابتلاء، لا في دار استواء، وفي منزل ترح، لا منزل فرح، ومن عرف الدنيا لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا، فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي.

قال بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

قالوا: ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل أن تحتمل الأذى منها.

أيها الإخوة الكرام، روت كتب الأدب والسيرة أن قاضياً شهيراً اسمه شريح لقيه صديقه الفضيل، فقال له: يا شريح، كيف حالك في بيتك ؟ قال: والله منذ عشرين عاماً لم أجد ما يعكِّر صفائي، قال: وكيف ذلك يا شريح ؟ قال خطبتُ امرأة من أسرة صالحة، فلما كان يوم الزفاف وجدتُ صلاحاً وكمالاً، يقصد صلاحاً في دينها، وكمالاً في خُلقها، فصليتُ ركعتين شكر على نعمة الزوجة الصالحة، فلما سلمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي، وتسلم بسلامي، وتشكر شكري، فلما خلا البيت من الأهل والأحباب دنوتُ منها، فقالت لي: على رِسلك يا أبا أمية، ثم قامت فخطبت، وقالت: أما بعد، فيا أبا أمية، إنني امرأة غريبة، لا أعرف ما تحب، ولا ما تكره، فقل لي ما تحبه حتى آتيه، وما تكره حتى أجتنبه، ويا أبا أمية، لقد كان لك من نساء قومك من هي كفء لك، وكان لي من رجال قومي من هو كفء لي، ولكن كنت لك زوجة على كتاب الله وسنة رسوله ــ e ــ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فاتّقِ الله بي، وامتثل قوله تعالى:

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾

(سورة البقرة)

ثم قعدتُ ! قال: فألجأتني إلى أن أخطب، فوقفت وقلت: أما بعد، فقد قلتِ كلاماً إن تصدقي فيه، وتثبتي عليه يكن لكِ ذخراً وأجراً، وإن تَدَعيه يكن حجة عليك، أحِبُّ كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما وجدتِ من حسنة فانشريها، وما وجدتِ من سيئة فاستريها.

أيها الإخوة، وصف النبي عليه الصلاة والسلام المرأة الصالحة بأنها ستّيرة، والمرأة الفاجرة فضّاحة، وقال في بعض الأحاديث: إني أكره المرأة تخرج من بيتها تشتكي على زوجها. وعَنْ ثَوْبَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ))

[الترمذي]

ولا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه، وما وجدت من حسنة فانشريها، وما وجدت من سيئة فاستريها، قالت: كيف نزور أهلي وأهلك ؟ ما رأيك في هذا الموضوع ؟ قال: نزورهم غباً، مع انقطاع بين الحين والحين لئلا يملُّوا، وفي الحديث الشريف:

((زر غباً تزدد حباً))

[الطبراني عن عبد الله بن عمرو]

قالت: فمَن مِنَ الجيران تحب أن أسمح لهن بدخول بيتك ؟ ومن تكره ؟ قال: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم غير ذلك، يقول شريح: ومضى علي عام عدت فيه إلى البيت، فإذا أم زوجتي عندنا، رحبت بها أجمل ترحيب، وكانت قد علمت من ابنتها أنها في أهنأ حال، قالت: يا أبا أمية، كيف وجدت زوجتك ؟ قلت: والله هي خير زوجة، قالت: يا أبا أمية، ما أوتي الرجال شراً من المرأة المدللة فوق الحدود، فأدب ما شئت أن تؤدب، وهذب ما شئت أن تهذب، ثم التفت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة، ومضى علي عشرون عاماً لم أجد ما يعكر صفائي إلا ليلة واحدة كنت أنا الظالم.

ألم أقل لكم في الحلقة السابقة: إذا بني الزواج على طاعة الله تولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين، أما إذا بني على معصية الله يتولى الشيطان التفريق بينهما، إذا أطاع المؤمن ربه ألهمه الحكمة، فعاش مع زوجته حياة سعيدة، وإذا عصى الرجل ربه ألهم الحمق، فكم من إنسان يحفر قبره بيده، ويهدم سعادته بيده، إنه حينما ينقطع عن الله عز وجل فيحرم من الحكمة، الآية الأولى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً(١٩)﴾

أيها الإخوة، شيء آخر، الله عز وجل بين الزوجين وهو أروع ما في الزواج الإسلامي، كل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر، وكل طرف يرجو رحمة الله بخدمة الطرف الآخر، هذا من خصائص الزواج الإسلامي، الآن يقول الله عز وجل:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

(سورة البقرة)

كما أنك تحب أن تحترم أهلك هي تحب أن تحترم أهلها، كما تحب أن تراها بمظهر أنيق هي تحب أن تراك بمظهر أنيق، كما تحب أن تكون صادقة معك هي تحب أن تكون صادق معها، كما تحب أن تقدر شعورك تحب أن تقدر شعورها.

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ

والمعروف ما في الفطرة ما ركز في أهل الفطرة، وما جبل عليه الإنسان، أما هذه الدرجة التي للزوج فهي درجة واحدة، درجة القيادة، لأن الزواج والبيت مؤسسة لا بد لها من قائد واحد، وصاحب قرار، لكن الزوج ينبغي أن يستشير زوجته أحياناً، والدليل أن الله عز وجل يقول:

﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾

(سورة الطلاق)

بل إن النبي عليه الصلاة والسلام في الحديبية استشار أم سلمة، وأشارت عليه، ونفذ استشارتها، وحلت المشكلة، ينبغي أن تستشيرها، وتستشيرك، وتتبادلا الآراء، ولكن هذه المؤسسة تحتاج إلى صاحب قرار، الله عز وجل يقول:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

(سورة آل عمران)

فهذه الدرجة درجة القرار، لأن الذي يراه الزوج قد لا تراه الزوجة، والذي يعرفه الزوج من الظروف المحيطة بالبيت قد لا تعلمها الزوجة، أما أن يظن الزوج أن له كل شيء، وليس لها شيء، فهذا جهل فاضح في حقوق الزوجة.

أيها الإخوة الكرام،

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

هناك فكرة دقيقة، وهي أن هذه الدرجة درجة الخدمة والرؤية والحزم والقرار، وليست درجة التعسف، ولا درجة الاستبداد، بل درجة السلامة، ودائماً وأبداً كلمة (لا)عنوان السلامة، وكلمة (نعم) عنوان الهلاك، فالذي يملك قيادة البيت هو الزوج.

شيء آخر، المرأة أيها الإخوة في القيم الإسلامية، والفكر الإسلامي، وفي النصوص الإسلامية مساوية للرجل تماماً في التكليف، فهي مكلفة كما هو مكلف، وفي التشريف، هي مشرفة كما هو مشرف، وفي المسؤولية هي مسؤولة كما هو مسؤول، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام فيما تروي بعض الروايات حينما فتح مكة دعي لبعض بيوتاتها، فقال: انصبوا لي خيمة عند قبر

خديجة، من خديجة ؟ زوجته الأولى، ويروى أنه نصب الراية أمام قبرها ليشعر الناس جميعاً أن هذا الفتح المبين لها جزء كبير من الفضل فيه، كانت رضي الله عنها سنده من الداخل، فلذلك أشار النبي إلى فضلها، وما تتمتع به من حرص لنجاح الدعوة، لذلك أشعر الناس أن لهذه المرأة العظيمة التي كانت عند النبي عليه الصلاة والسلام، والتي عاش معها ربع قرن كان لها فضل كبير حتى في هذا الفتح المبين.

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

أما قوله تعالى:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

(سورة النساء)

قوَامون جمع قوَام، قوَام صيغة مبالغة اسم الفاعل، شديد القيام، يفهمها بعض الناس أن قوامة الرجل سيطرة، وعنجهية، واستعلاء، واستبداد، وتعسف، لا، أبداً، بل قوامة الرجل جهد كبير في داخل البيت وخارجه، متابعة للأمور، تصحيح للمسار، تصويب للأخطاء، هذه قوامة الرجل، فالله سبحانه وتعالى أناط مسؤولية الأسرة بالرجل، لأنه بحسب تكوينه الفكري والجسمي والاجتماعي والنفسي، لعله أقدر على قيادة هذا المركب من الزوجة، فلذلك حينما يقول الله عز وجل:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

بمعنى أنهم يتحملون مسؤولية سلامة، ونمو هذه الأسرة.

أذكر أن سيدنا عمر مرة قال: لست خيراً من أحدكم، ولكنني أثقلكم حملاً، وينبغي أن يقول الزوج: لست خيراً من واحد من أسرتي، ولكنني أثقلهم حملاً، هذا معنى قوامة الزوج:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

فهي تكليف، وليست تشريفًا، هي إشراف، وخدمة، وحرص، ودأب، وجهد، وسعي، وليست استعلاء وغطرسة، وتحكماً، وتعسفاً، واستبداداً.

آية أخرى تنظم العلاقة والسعادة الزوجية، هذه المرأة الصالحة التي قال عنها الله في بعض الأدعية: } رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ {، قالوا: حسنة الدنيا المرأة الصالحة، التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا غبت عنها حفظتك، وإذا أمرتها أطاعتك، المرأة الصالحة شيء لا يقدر بثمن، هي سبب سعادة زوجها وأولادها، ألم أقل لكم في الحلقة السابقة: يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((اعلمي أيتها المرأة، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[ورد في الأثر]

أليست العبادة بالمفهوم الواسع أن تعبد الله فيما أقامك ؟ إن أقامك أيها الرجل غنياً فالعبادة الأولى إنفاق المال، وإن أقامك عالماً فالعبادة الأولى تعليم العلم، وإن أقامك قوياً فالعبادة إنصاف الضعيف، وإن أقامكِ امرأة فالعبادة الأولى حسن رعاية زوجك وأولادك.

﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾

(سورة النساء)

المرأة الصالحة تحفظ نفسها وفق منهج الله، لا وفق مزاجها وتصوراتها الضعيفة، ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما.

أيها الإخوة الكرام، بقيت آية من آيات الله التي تنظم العلاقة بين الزوجين، يقول الله عز وجل:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

(سورة الأنفال)

هذه الآية تفهم على مستويات ثلاثة:

أولاً: أن أصلح علاقتك مع الله، فإن صلحت علاقتك معه صلح معك كل شيء، حتى إن بعض العارفين يقول: إني أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي، إذا كانت علاقته بالله قوية يلهم الله الزوجة أن تنصاع له، وتعتني به، وتحبه وتكون في خدمته، أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي.

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

أنت حينما تطبق منهج الله عز وجل تكون كبيراً في نظر زوجتك، وذا هيبة كبيرة، وعندئذ تنصاع لك، وتتودد إليك، وتتقرب منك، وأصلحوا العلاقة بينكم وبين جهة أخرى، وهل من جهة أقرب إليكم من زوجاتكم ؟ أي أصلحوا العلاقة ين الزوجين، والخطأ يصحح، مادام الإنسان حيًّا يرزق، ومادام القلب ينبض فكل شيء يصحح، الخطأ يصحح، يمكن أن نعتذر، أن نقدم هدية.

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

والمعنى الثالث: ينبغي أن تصلح العلاقة بين كل اثنين، مع الله أولاً، فإن صلحت علاقتك مع الله صلح معك كل شيء، " ابن آدم، اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، ابن آدم، كن لي كما أريد أكن لك كما تريد، ابن آدم، كن لي كما أريد، ولا تعلمني بما يصلحك، نصلح علاقتنا مع الله أولاً، ثم مع زوجاتنا ثانياً، ونصلح أية علاقة بين اثنين ثالثاً، هذه آية أخرى تنتظم العلاقة

الزوجية.

أيها الإخوة الكرام، هناك بعض القواعد الاجتماعية من شأنها أن تديم الحب بين الزوجين، وأن تديم حرارة العلاقة بين الزوجين، وأن تديم الود بينهم والرحمة، وكلها مستنبطة من نصوص الكتاب والسنة، إما مباشرة، أو بشكل غير مباشر.

أيها الإخوة، إن كنت تحب زوجتك فلمَ لا تعبر عن هذا الحب ؟ ألم يقل النبي لأحد الصحابة: هل أعلمته أنك تحبه ؟ قال: لا، قال: أعلمه.

مَن أولى الناس أن تعبر لها عن حبك ؟ حينما تعبر لزوجتك عن محبتك فهذا سبب من أسباب السعادة الزوجية، ويديم الحب بين الزوجين، وحرارة اللقاء بينهما.

أيها الإخوة، أن تثني على عملها كما قلت في الدرس السابق، بيتها نظيف، طعامها طيب، مظهرها أنيق، أولادها مرتّبون، هذه الإنجازات التي تفعلها ينبغي أن ترى صداها عندك، فحينما تثني على ما عندها، على عملها، واهتمامها، فهذا يديم السعادة الزوجية، وقد ورد في بعض الأحاديث أن من سعادة المرء أن تكون زوجته صالحة، وأولاده أبرارًا، ورزقه في بلده، ومنزله واسعاً، ومركبه وطيئاً.

شيء آخر، أن تجلس معها، وتنصت إليها، وتسألها عن يومها، هذا اهتمام بها، في أيام الخطبة قد تستمر المكالمة ست ساعات بعد حين من الزواج لا ينطق ولا بكلمة، ولا يتكلم، ولا تتكلم هي، ما هذه القطيعة ؟ ينبغي أن تجلس معها، وتنصت إليها دون أن تتشاغل بمجلة أو جريدة، أن تعطيها من اهتمامك، وتقبل عليها، وتسألها عن يومها، عمّا حدث لها، عن شؤونها، عن إنجازاتها، هذا يعني أنك مهتم بها حتى تهتم بك.

أيها الإخوة الكرام، كان عليه الصلاة والسلام في مهنة أهله يخدمهم، فعَنْ الْأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ:

((كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ))

[البخاري]

أحياناً إن رأيتها مشغولة، أو مريضة، أو متعبة فحاول أن تعينها على أعباء المنزل، وأن تقدم لها شيئاً، وتأتيها بطعام جاهز، وتعفيها من بعض المهمات، هذا يؤكد الود بينكما، وهذا أيضاً من سنن النبي عليه الصلاة والسلام.

أنا أقول لكم أيها الإخوة: إن ضغط العمل، وضغط عمل المنزل، والحياة الرتيبة، والضغوط النفسية الشديدة، هذه تفضي إلى توتر شديد، النزهة المنضبطة وفق منهج الله أساسية في تجديد النشاط، وتمتين العلاقات، لا تنسى أن تأخذ أهلك إلى نزهة من حين لآخر، على أن تكون النزهة منضبطة، هذا أيضاً من أسس العلاقة الزوجية.

ما الذي يمنع أن تتصل بها مراراً، وأنت في عملك كي تطمئن عنها ؟ أن تتصل بها هذا يشعر أنك تحبها، وهي في بالك، وأنك تحبها، فاتصالك الهاتفي من خلال عملك بها تسألها عن أحوالها، تعلمها ببعض الأفكار والحالات، هذا جزء من حسن العلاقة بين الزوجين.

أيها الإخوة، إذا كنت سوف تتأخر فينبغي أن تعلمها عن طريق اتصال هاتفي، أما أن تنتظر، وتنتظر إلى بعد منتصف الليل، وقد تكون معذوراً، لكن الاتصالات الآن جيدة جداً، فهذا الذي لا يكلف نفسه أن يتصل بزوجته كي يعلمها أنه متأخر فهذه حالة مَرَضية تسبب عدم المبالاة بين الزوجين.

أيها الإخوة الكرام، هذا من بعض ما تقتضيه الحكمة التي قال الله عز وجل عنها:

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾

(سورة البقرة)

أعود وأقول: أنت بالحكمة التي يهبها الله لك كمكافأة على إيمانك به، وطاعتك له قد تسعد بزوجة من الدرجة الخامسة، ومن دون حكمة قد تشقى بزوجة من الدرجة الأولى.

أيها الإخوة، من هذه القواعد الاجتماعية إذا سافرت خارج البلدة فينبغي أن تتصل بها، وتخبرها عن رقم هاتفك، وأنك وصلت بالسلامة، وتتيح لها أن تتصل بك، هذا شيء من الود بين الزوجين، هي تحب من يهتم بها، ويسأل عنها، بل إنك إن سافرت بعيداً فينبغي أن تخبرها أنك تفتقدها، وأن لها دورًا خطيرًا في حياتك، وأن الحياة من دونها لا تطاق، هذا من حكمة الزوج. بل كما علمنا النبي عليه الصلاة والسلام أنه لا تدخل إلى بيتك من بعد سفر إلا بعد أن تعلمها عن موعد قدومك كي تهيئ نفسها.

النبي عليه الصلاة والسلام حينما يكون في الغزوات لا يأتي أزواجه مباشرة، يقيم خارج المدينة يوماً، ويُعلِم من في المدينة أنهم قد حضروا، هذا من حكمة الزوج، لا تفاجئ زوجتك بدخول البيت عقب سفر طويل، لابد أن تعلمها مسبقاً عن موعد قدومك.

أيها الإخوة، تعاطف مع مشاعرها، إنه بدت متعبة، أو شعرت بالضيق، فالكلمة الطيبة صدقة، حينما تتعاطف مع مشاعرها في حال الضجر فهذا التعاطف هو العلاج والحل، والذي يمتص ضجرها، وقلقها، وتبرمها، ثم إنك إن فاجأتها بهدية من حين إلى آخر فهذا جيد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تَهَادَوْا، فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ...))

(سنن الترمذي)

فهي رسالة محبة ورمز المودة، فعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاسَانِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الْغِلُّ، وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا، وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ))

(موطأ مالك)

ليس القصد أن تكون الهدية ثمينة، بل أن تكون معبرة، ليس غير، فمن حين إلى آخر لا تنسَ أن تقدم لها هدية، ليست البطولة أن تبلغ القمة، بل أن تبقى في القمة، ليست البطولة أن تتزوج، بل أن يبقى الزواج ناجحاً، ليس البطولة أن تحب زوجتك في أيام الخطبة، بل أن يدوم هذا الحب، ويتنامى بعد العرس، وأن يكون خطك البياني صاعداً، لا أن يكون نازلاً، ففاجئها بهدايا صغيرة من حين لآخر، فإن الهدية كما قال عليه الصلاة والسلام:

((تذْهَبِ الْغِلُّ))

((وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ))

إذا كانت مريضة اسألها عن حالها، تفقد شأنها، واسألها عن تطور المرض، وعن الأدوية التي تأخذها، حاول أن تذكرها بأوقات الأدوية، هذا اهتمام منك بها، أما إذا جرحت مشاعرها فما الذي يمنع أن تعتذر لها ؟ وتقول لها: سامحيني لقد أخطأت معك، فهذه كلمة تنسيها كل الألم والضجر، فلذلك:

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ(٢٦٩)﴾

أيها الإخوة، حينما تنجح في إسعاد زوجتك وتربية أولادك تستطيع مواجهة المشكلات الخارجية، كنت أقول دائماً: لو بلغت أعلى منصب في العالم، وجمعت أغلى ثروة في الأرض، ولم يكن بيتك كما تتمنى فأنت أشقى الناس، أما إذا كنت سعيداً في بيتك فكل شيء يهون.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن ننتفع بهذا النهج المحمدي السليم في زواجنا وبيوتنا، وفي علاقتنا مع زوجاتنا، وتربية أولادنا، وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الباب السادس : أسباب هدم البيوت

١. – عمل المرأة

٢. ـ الخلوة والاختلاط

٣. – الاختلاط

٤. ـ خطر الغزو الفكري من الأجهزة الحديثة التلفاز

٥. ـ الأثر السلبي للشاشة والتصوير والهاتف

٦. ـ أحاديث تحرم مخالطة الأخ بزوجة أخيه ، خ٢ ـ محقرات الذنوب

خطبة الجمعة – الخطبة ٠٩٥١ : البيت المسلم٣.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٥-٠٢-٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

وسائل إصلاح البيوت ٣ :

أيها الإخوة الكرام، قبل عدة أسابيع، عالجت موضوعاً يمسّ كل مسلم في الحياة، عالجت موضوع البيت المسلم، ووعدت أن أتابع هذا الموضوع فيما بعد، وها أنا أتابع موضوع البيت المسلم الذي سبق أن ألقيت فيه خطبتين، وهذه الثالثة والأخيرة.

أيها الإخوة الكرام، انطلقت من أن هناك ما يصل إلى أربعين نصيحة لتماسك البيت المسلم، ذكرنا عشرين منها، وها نحن نتابع بعضاً منها:

٢١) ضوابط عمل المرأة :

من جملة هذه النصائح ضوابط عمل المرأة، الموضوع كبير جداً، ويحتاج إلى خطب متتالية، ولكن ملخصه ما يلي:
يمكن للمرأة أن تعمل وفق شرطين:

١) وجود ضرورة للعمل :

قال تعالى:

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

(سورة القصص: الآية ٢٣)

حينما تكون المرأة معيلة لأولادها بعد موت زوجها، فلها أن تعمل عملاً يتناسب مع طبيعتها، وعملاً وفق الضوابط الشرعية، ففي المنهج الإلهي نجد الأصل قوله تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: الآية ٣٣)

الأصل هو أن تقرّ المرأة في بيتها، ولها أن تعمل عند الضرورة.

٢) التزام الضوابط الشرعية :

الشيء الآخر: أن تعمل في عمل يتناسب مع أنوثتها، ووفق الضوابط الشرعية، كالحجاب الشرعي، وعدم الاختلاط، وعدم الخضوع بالقول لئلا يطمع الذي في قلبه مرض.

أيها الإخوة الكرام، ذلك لأن أقدس عمل تقوم به المرأة هو تربية الأولاد، فتقدم للمجتمع عناصر نظيفة منضبطة معطاءة، وأولادها أكبر شهاداتها، أما إذا تخلت عن المهمة التي أناطها الله بها، فقد ضيعت كل شيء، ولو أتت بدخل فلكي من خلال عملها.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال:

((جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن نصبوا أجروا، وإن قتلوا كانوا أحياءً عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبلغي من لقيت من النساء، أن طاعة الزوج، واعترافاً بحقه، يعدل ذلك، وقليل منكن من يفعله))

[حديث رواه البزار في مسنده، وفيه رجل ضعيف]

وقد جاء في الأثر:

أول من يمسك بحلق الجنة أنا، فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت: من هذه يا جبريل، قال: هي امرأة مات زوجها، وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلهم.

هذه المرأة، إن صحّ الخبر، أحسنت تربية أولادها، فهي تنازع رسول الله، صلى الله عليه وسلم دخول الجنة، لذلك مسموح للمرأة أن تعمل في النظام الإسلامي، ولكن عند الضرورة، ووفق الشروط الشرعية، ولهذا البحث تفاصيل كثيرة تحتاج إلى خطب مستقلة، لكن ينبغي أن نذكر مثالاً يوضح خطورة الأمر:

الطيار الذي يقود طائرة، لها ثلاث طبقات، وفيها خمسمئة وثمانين راكباً، هذا الطيار هل يعقل أن يدع غرفة القيادة وضبط شؤون الطائرة ليقدم الضيافة للركاب، هل يُسمَح أن نقول له: لماذا أنت محصور في هذه الغرفة؟ انطلق منها إلى رحاب الطائرة، وحين ينطلق الطيار من غرفته المحدودة إلى رحاب مقصورة الركاب، ربما يتسبب في فقدانهم حياتهم جميعاً.

أيها الإخوة الكرام، ما من عمل مقدس للمرأة كأن تحسن رعاية زوجها وأولادها، الأصل في العولمة الغربية أن تخرج المرأة من البيت، والآن في العالم الإسلامي نجد امرأة تعمل بدخل زهيد جداً، لا يكفيها للمواصلات فقط، من أجل أن تخرج، ومن أجل أن تعرض زينتها للناس، ومن أجل أن تختلط بالرجال، وهذا هو عمل المرأة المحرم، حيث لا ضرورة، ولا ضوابط شرعية.

أما أن تكون مضطرة، وأما أن يكون العمل وفق خصائصها، وأما أن يكون العمل منضبطاً وفق منهج الله عز وجل، فلا شيء عليها في العمل، بل إن طبيعة الحياة أحياناً تقتضي من المرأة أن تعمل في التدريس، وفي التمريض، وفي شؤون كثيرة لا تحسنها إلا المرأة.

أيها الإخوة الكرام، هذا ملخص الأصل:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: الآية ٣٣)

فإذا خرجنَ، فللضرورة:

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

(سورة القصص: الآية ٢٣)

٢٢) حفظ أسرار البيوت :

من لوازم البيت المسلم أن تحفظ أسراره، فمطلوب منك عدم نشر أسرار الاستمتاع بين الزوجين، وعدم تسريب الخلافات الزوجية، وعدم البوح بخصوصيات أحد الزوجين، إليكم الأدلة:

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾

(سورة النساء: الآية ٢١)

أفضى بعضكم إلى بعض: يعني اللقاء الزوجي.

وعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:

((إِن من أشَرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة: الرجلُ يفضي إلى امرأته، أو تُفضي إِليه، ثم ينشرُ أحدُهما سِرَّ صاحبه))

[حديث صحيح، أخرجه مسلم]

ومن أدلة التحريم أيضاً: حَدِيثُ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، رضي الله عنها، أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرجال والنساء قعود عنده فقال:

((لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها؟ فأزمّ القوم، فقلت: أي والله يا رسول الله، إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن. قال: فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة، فغشيها والناس ينظرون))

[حديث أخرجه أحمد والطبراني في الكبير]

أيها الإخوة الكرام، محرم بنصوص كثيرة أن يفضي الرجل إلى امرأته، وأن تفضي إليه، ثم ينشرا خبر استمتاعهما فيما حولهما.

٢٣) عدم تسريب الخلافات الزوجية :

عدم تسريب الخلافات الزوجية خارج محيط البيت، أيضاً مهم جداً، فإنه كثيراً ما يتدخل أطراف فيزيدون المشكلة تعقيداً، لذلك عدم خروج المرأة من بيتها على الرغم من الخلاف مع زوجها يقضي على هذه المشكلة في أقل وقت، أما إذا خرجت، وأباحت بما بينها وبين زوجها من خلاف، ربما انتهى الخلاف إلى الطلاق.

٢٤) عدم إفشاء الأسرار الخاصة :

عن يحيى المازني رحمه الله: أَنَّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قال:

((لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ))

[حديث حسن، أخرجه مالك في الموطأ]

إفشاء كل من الزوجين سر الآخر يعدّ من الخيانة:

وأما معنى قوله تعالى:

﴿ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾

(سورة التحريم: الآية ١٠)

فقد نقل ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية، فقال:

كانت امرأة نوح تطلع على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح ليبطشوا به، أما امرأة لوط، فكانت إذا أضاف لوط أحداً، أخبرت أهل المدينة ممن يعملون الفاحشة ليأتوا إليهم.

ليست إذاً خيانة فراش، إذ لا يعقل أن تخون امرأة نبي زوجها خيانة فراش، ولكن هذه خيانة دعوة.

وأية امرأة تبوح بطبيعة عمل زوجها، بحيث يأتيه ضرر كبير، فهذا أيضاً محرم.

٢٥) إشاعة الرفق في البيوت :

أيها الإخوة الكرام، ومن النصائح المعتمدة في البيت المسلم: إشاعة خلق الرفق في البيت.
عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

((إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق))

[حديث رواه الإمام أحمد، ورجاله رجال الصحيح]

وعن عائشة رضي الله عنها، أَنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:

((إنّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زَانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شيءٍ إلا شانَهُ))

[حديث صحيح، أخرجه مسلم]

وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النّبِيِّ صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، أَنّ رَسُولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ:

((إِنّ اللهَ رَفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويُعطي على الرِّفْق ما لا يُعْطي على العنفِ، وما لا يُعطي على مَا سِواهُ))

[حديث صحيح، أخرجه مسلم]

٢٦) إعانة أهل البيت في أعمالهم :

الرجال يأنفون من عمل البيت، وبعضهم يعتقد أن هذا ينقص من مكانته ومنزلته، أمّا النبي عليه الصلاة والسلام، فكما تروي السيدة عَائِشَةُ رضي الله عنها، أَنّهَا سألها رجل هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في بيته؟ قالت:

((نعم، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويرفع دلوه، ويعمل في بيته ما يعمل أحدكم في بيته))

[حديث صحيح، أخرجه أبويعلى وابن حبان]

٢٧) إشاعة المرح في البيت :

الملاطفة والممازحة لأهل البيت، شيء مهم جداً، فقد كان عليه الصلاة والسلام ينصحنا أن نكون مؤنسين للنساء وللأولاد، والنصوص التي تؤكد روح النبي صلى الله عليه وسلم المرحة، ومزاحه الحق مع أهله ومع أولاده أكثر من أن تحصى:

ورد في الأثر: أن عائشة رضي الله عنها سألته يوماً: كيف حبك لي؟ فقال لها: كعقدة الحبل، فصارت تسأله من حين إلى آخر: كيف العقدة؟ يقول: على حالها.

وكان إذا دخل البيت يدعو الصغار، ويتحبب إليهم، ويداعبهم، ويلاعبهم، بل ويركبون على ظهره.

لذلك: علامة المؤمن أنه إذا دخل إلى بيته كان أهله في عيد، وغير المؤمن إذا خرج من بيته كان أهله في عيد، يفرحون إذا خرج من البيت، بينما المؤمن يفرح أهله إذا دخل البيت.

٢٨) محاربة الأخلاق السيئة في البيت :

أيها الإخوة الكرام، لا يخلو بيت من البيوت من خلق لا يرضي الله عز وجل، يتلبّس به أحد أفراد الأسرة، فكان عليه الصلاة والسلام إذا علم أن أحداً من أهل بيته كذب كذبة، لم يزل معرضاً عنه حتى يحدث توبة، ويبدو أن الإعراض والهجر بترك الكلام والالتفات، من أبلغ العقوبات التي تهز كيان الأولاد الأسوياء، أما العقاب البدني، فله آثاره الوخيمة التي لا تحمد عقباها، ولكن يدعونا النبي عليه الصلاة والسلام بأن نعلق السوط بحيث يراه أهل البيت، فالرجل المؤمن يلوّح بالعقوبة، ولا يستخدمها، كيف أن الله عز وجل أخبرنا في القرآن الكريم:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وعدوكم ﴾

(سورة الأنفال: الآية ٦٠)

حينما تملك السلاح الفتاك يرهبك أعداؤك، ولو لم تستخدمه، وهذا الكلام له أدلة كثيرة، أما حينما لا تملك سلاحاً فتاكاً فهناك من يتهمك بالإرهاب، ومن يتهم دينك بأنه دين إرهابي، ومن يتهم القرآن الكريم بأن فيه آيات تدعو إلى القتل، لأن المسلمين ضعاف، فلما استضعفوا تهجم أعداءهم عليهم، قال تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وعدوكم ﴾

(سورة الأنفال: الآية ٦٠)

فلا بد من أن يعلق السوط دون أن يستخدم، ليرتدع بعض أفراد البيت:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه آدب لهم))

[حديث رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسناد حسن]

يعني أكثر تأديباً لهم مما لو فقد العقاب في البيت كلياً.

٢٩) عدم دخول الأجانب على النساء :

أيها الإخوة الكرام، الحذرَ الحَذرَ، الحذرَ الحَذرَ، الحذرَ الحَذرَ، من دخول الأقارب غير المحارم على المرأة عند غياب زوجها، فاحتمال وقوع الفاحشة كبير جداً، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لا يَخلُونّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم))

[من حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

لم يقل لا يخلونّ كافر بامرأة، ولم يقل لا يخلونّ فاسق بامرأة، ولم يقل لا يخلونّ عاصٍ بامرأة، قال:

((ألا لا يخلون رجل بامرأة، فإن ثالثهما الشيطان))

[من حديث صحيح، أخرجه الترمذي والحاكم]

٣٠) عدم اختلاط الرجال بالنساء :

أيها الإخوة الكرام، الحذر الحذر من الاختلاط في اللقاءات الأسرية، هيئ مكاناً للرجال ومكاناً للنساء:

﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: الآية ٥٣)

الحذرَ الحَذرَ من الخادمات والسائقين، ففي بعض البلاد الإسلامية هناك مشكلة كبرى تعد الأولى في حياتهم، مشكلة السائق ومشكلة الخادمة، والحذَرَ الحذرَ من أخطار الشاشة، والحديث عن الشاشة طويل جداً، الحذرَ الحَذرَ من أخطار الهاتف، الشاشة والهاتف والسائقين والخادمات والاختلاط ودخول غير المحارم على الزوجة في غياب زوجها.

أيها الإخوة الكرام، لعلكم تعجبون من بعض النصائح الآتية:

٣١) اختيار موقع البيت :

قد يكون الموقع في حي متفلت، وفي بعض البيوت مسابح، والبيت الذي اشتريته يطل على هذه المسابح، والذين عندهم هذه المسابح لا يعبؤون بقواعد الشرع، ولا بقواعد الأدب، فحينما يطل الأولاد على هذا المسبح، ويرون امرأة تسبح عندئذ يختل نظام البيت، فلا بد من أن تختار بيتاً إلى جنب مسجد، وفي حي محافظ، وحولك أناس مؤمنون، موقع البيت مهم جداً، فكم من أسرة دمرت بسبب موقع البيت.

شيء آخر: ينبغي، أن يكون التصميم الداخلي للبيت تصميماً إسلامياً، والآن البيوت الحديثة بلا جدران، حتى الأبواب عليها بلور شفاف، فأية حركة في البيت يراها الضيوف، هذا النظام الحديث جداً، لكن المسلم له غرفتان، إحداهما للرجال، والثانية للنساء، المسلم إذا دعا أقرباءه فهناك مكانان، للنساء مكان، وللرجال مكان، أما هذا الاختلاط، وهذه الأبواب المفتحة، وهذه النوافذ المفتحة على الجيران، ولا سيما في البيت، وهناك أناس خبثاء جداً يستخدمون المناظير ليطلعوا على عورات المسلمين فهذا أمر خطير.

٣٢) اختيار جيران البيت :

أيها الإخوة، اختيار الجار قبل الدار، وقد ورد في الأثر:

اللهم إني أعوذ بك من جار سوء، إن رأى خيراً كتمه، وإن رأى شراً أذاعه، اللهم إني أعوذ بك من إمام سوء، إن أحسنت لم يقبل، وإن أسأت لم يغفر.

فلا بد من مراعاة الجار.

يروى أن الأمير عبد القادر الجزائري أقام في دمشق، وكان له جار اضطر إلى بيع بيته، فدفع له ثمناً بخسًا، فغضب غضباً شديداً، وقال: والله لا أبيع جوار الأمير بثلاثمئة ليرة ذهبية، فكانت النتيجة أن أعطاه المبلغ، وقال له: ابقَ جاراً لنا.

من سعادة المرء أن يكون جيرانه صالحين.

أيها الإخوة الكرام، كان عليه الصلاة والسلام يتعوذ بالله من جار السوء في دار المقام:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قال:

((تَعَوَّذُوا بالله من جارِ السَّوء في دار المُقامِ، فإن جارَ البادي يَتَحَوَّلُ عنكَ))

[حديث حسن، أخرجه النسائي]

٣٣) العناية بصحة أهل البيت :

شيء آخر، البيت المسلم يحتاج إلى رعاية صحية عالية، فالاعتناء بصحة أهل البيت وإجراءات السلامة أمر مهم جداً، فقد كان عليه الصلاة والسلام إذا مرض أحد من أهل بيته نفث عليه بالمعوذات، وكان إذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء، وبحسب القواعد الطبية في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، التي كان يستخدمها لمراعاة أو لعلاج أهل بيته، هناك إجراءات لا بد منها، أحياناً يحترق البيت بأكمله، لأنها تركت المدفأة متوقّدة في الليل، وأحياناً ينفجر البيت، لأن أسطوانة الغاز لم تكن محكمة الإغلاق، فلذلك ورد في الحديث:

عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((أغلقوا أبوابكم، وأوكوا أسقيتكم، وخمِّروا آنيتكم، وأطفئوا سرجكم، فإن الشيطان لا يفتح غلقاً، ولا يحل وكاءً، ولا يكشف غطاءً، وإنّ الفويسقة ربما أضرمت على أهل البيت بيتهم ناراً))

[من حديث صحيح عند ابن خزيمة]

أي تسحب الفأرة فتيل السراج فيشتعل البيت، لو تتبعنا المصائب الكبيرة التي أصابت البيوت لمخالفة هذه البنود، لوجدناها كثيرة.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:

((لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون))

[حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

أيها الإخوة الكرام، هذه النصائح المذكورة في خطب ثلاث، هي من أجل صيانة البيت المسلم من التفتت، ومن الضياع، هذه النصائح كلها مؤصلة بالقرآن الكريم، وبحديث سيد المرسلين عليه أتم الصلاة والتسليم.

أيها الإخوة، يقول الإمام علي كرم الله وجهه: قوام الدين والدنيا أربعة رجال، عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه.

الآن دققوا في تفصيل ذلك: فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنيا غيره.

وأخيراً :

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قرارات مؤتمرات السكان :

أيها الإخوة الكرام، هذا عن البيت المسلم، فماذا عن مؤتمرات السكان التي عقدت تباعاً خلال النصف القرن الماضي، وكان آخرها مؤتمر بكين الذي عقد في عام خمسة وتسعين، وبعد شهرين سيعقد المؤتمر الأخير، مؤتمر السكان:

هذه المؤتمرات، واللهِ أعتقد أنكم لا تصدقون، هذه المؤتمرات تؤكد بكل وثائقها المعتمدة حق المرأة والفتاة في التمتع بحريتها الجنسية، آمنةً مع من تشاء، وفي أي سن تشاء.

الحرية الجنسية الكاملة للزوجة، أو للفتاة مع من تشاء، وفي أي سن تشاء، وليس بالضرورة في إطار الزواج الشرعي، مع تقرير الإباحية الجنسية، وإلزام جميع الدول الموافقة على ذلك، هذه هي عولمة المرأة.

أسوق لكم هذه المقررات التي صدرت، وأقرتها مئة وتسعة وثمانون دولة، وسوف تصل هذه إلى تشريعاتها، وقوانين الأحوال الشخصية فيها، وسوف تعاقب الدولة التي لا تنفذ هذه التعليمات. وازنوا بينها وبين شرع الله عز وجل، وإلزام جميع الدول بالموافقة على ذلك مع المطالبة بسن القوانين التي يعاقب بها كل من يعترض على هذه الحرية، حتى ولو كان المعترض أحد الوالدين، وهذا يستدعي تقليص ولاية الوالدين حتى ولو كانت تلك الممارسات داخل البيت:

لو أن الأب رأى مع ابنته في فراشها صديقاً لها يجامعها ينبغي ألاّ ينطق بكلمة، هكذا تقضي القوانين، يجب أن تعلموا ماذا يخطط لنا، يجب أن تعلموا أن قوة هذه الأمة بتطبيق دينها، فإذا أجبرت على التخلي عن دينها أصبحت أمة كأية أمة، لا وزن لها في الأرض.

أنا ألخص لكم ما جاء في مؤتمرات عديدة، ولكن أبرز هذه المؤتمرات مؤتمر القاهرة، ومؤتمر بكين، والآن مؤتمر بعد أشهر، هو المؤتمر الأخير:

وللفتاة والفتى أن يرفع الأمر إلى السلطات التي ستلزم بسن قوانين تعالج أمثال هذه الشكاوى، المهم أن تعطى الفتاة أو الشاب الحرية التامة في أي سن قبل الزواج بالممارسات الإباحية، ولو في بيت الوالدين.

هذه المؤتمرات تطالب بحق المراهقات الحوامل في مواصلة التعليم دون إدانة لهذا الحمل السفاح، فالوثيقة تدعو إلى سن قوانين للتعامل مع حمل السفاح لتكون وثيقة تدخل بها الحامل إلى المستشفى لتسقط الجنين، وهي آمنة من أية مساءلة، مع إباحة الإجهاض.

أما المرأة فلها أن تسافر متى تشاء بلا إذن زوجها، ولها أن تعمل بأي عمل تشاء من دون إذن زوجها، ولها أن تسكن في أي مكان تشاء بعيداً عن زوجها، هذا من حق المرأة.

أما كلمة الزوج فلم تذكر في هذه الوثائق، ولا مرة، لأن الزواج يعد في هذه الوثائق عملية اغتصاب للزوجة، وأن تعمل الزوجة عملاً بلا مقابل.

ولم ترد كلمة الوالدين إلا مصحوبة بعبارة: أو كل من تقع عليه مسؤولية الأطفال. لأن في الزواج المثلي ليس هناك والدان، ولكن هناك شركاء.

ولم ترد كلمة الزوج ولا مرة، جاء بديلاً عنها: الشريك، وعقد الزواج: عقد بين شخصين. وقعت على هذه التوصيات مئة وثلاث وثمانون دولة لتصبح هذه المقررات مرجعية في العلاقات الأسرية.

حقيقة العولمة :

أيها الإخوة الكرام، هذا ما يراد لنا، وهذه هي العولمة، وما من تعريف جامع مانع للعولمة إلا كلمة: الحيونة، أي أن يعود الإنسان لحيوانيته.

أنا لا أصدق أن ندرك جميعاً تطبيق هذه التوصيات إن شاء الله تعالى، لأن وعي المسلمين أكبر بكثير من هذا الشيء الساقط، لا نعرف قيمة هذا الدين ولا عظمة هذا التشريع إلا أن نوازنه مع هذه التشريعات الأرضية التي تجعل الإنسان يعبد الجنس من دون الله.

أيها الإخوة الكرام، إما أن تخطط، وإما أن يخطط لك، إما أن تخطط لهدف واضح، وإما أن تكون رقماً لا معنى له في خطة أعدائك.

فلا بد من أن أدعوكم إلى اليقظة، إلى ترسيخ معالم هذا الدين، إلى تطبيق هذه الشريعة الغراء، ولكن أريتكم الشيء الذي لا يصدق، هذا الذي يرسم لشعوب العالم الثالث، هذا الذي سوف يصدر، ولا أبالغ، الدولة التي لا تغير قوانين أحوالها الشخصية وفق هذه التوصيات ربما عوقبت بحصار اقتصادي، أما الدولة التي تطبق هذه القوانين فربما أعطيت مساعدات جزيلة.

القصد أن العالم الغربي لأنه انتهى يريد أن يجعل العالم كله على شاكلته عن طريق قوة القانون، وعن طريق هيمنة القطب الواحد.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة – الدرس (١٣٥) :أسباب هدم البيوت١ – الخلوة والاختلاط.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٤-٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون:

كتقديم لموضوع دقيق، الإنسان حينما يطلب العلم يعد العلم حارساً له، الإمام علي كرم الله وجهه يقول: يا بني العلم خير لك من المال لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو عن الإنفاق.

ذكرت هذا قديماً أنه في أول خطبة خطبتها في هذا المسجد استوقفني أخ في صحن المسجد وصار يبكي والإنسان الرجل إذا بكى منظره مؤلم جداً، سألته عن السبب، قال: كشف خيانة زوجته مع جاره من سنتين، سألته كيف عرفت زوجتك جارك ؟ قال: والله كان عندنا في سهرة فأردت أن تجلس معنا لأنها كأخته وانتهى الأمر بالفاحشة.

ومرة سائق استوقفته امرأة أشارت له، وقف لها أين تريدين ؟ قالت: إلى حيث تشاء، قضى حاجته أعطته ظرفين في الأول رسالة وفي الثاني خمسة آلاف دولار، المبلغ مزور وضع في السجن وفي الثانية مرحباً بك في نادي الإيدز.

كان من الممكن لو أنه طلب العلم، لو أنه عرف حدود الشرع أن ينجو الأول من خيانة زوجته وينجو الثاني من هذا المرض القاتل.

العلم يحرسك.

إخوانا الكرام:

الوقت الذي توظفه في طلب العلم ليس استهلاكاً للوقت إنما هو استثماراً له، هذا الكلام يعرفه التجار، أحياناً تنفق نفقة في ظاهرها إطعام وكيل شركة لكن هذا الوكيل قد يعود عليك النفع أضعافاً مضاعفة، الوقت الذي تطلب به العلم هو استثمار للوقت وليس استهلاكاً له.

العلم خير من المال لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق.

أقول لكم أيها الإخوة هذه الحقيقة هي قانون ما من مشكلة أو مصيبة على وجه الأرض، أقول ما من قانون إلا بسبب خروج عن منهج الله، لو طبقت تعليمات الصانع ليس هناك في الحياة ولا مشكلة وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل لذلك نحن نحتاج إلى العلم ذلك أنك تحب نفسك أنت تحب مصلحتك تحب وجودك تحب سلامة وجودك تحب كمال وجودك تحب استمرار

وجودك، بقي أن تعرف طريقة سعادتك اعتماداً على حبك لذاتك وعلى حبك لسلامتك وعلى حبك لسعادتك وعلى حبك لكمال وجودك وعلى حبك لاستمرار وجودك يكفي أن تعرف طريق السعادة فتسعد، لذلك أهل النار وهم في النار يقولون:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)﴾

[سورة الملك: الآية ١٠]

أزمتهم أزمة علم فقط، أنت لو رأيت صحابياً جليلاً والتقيت صدفةً مع من عاصره من الكفار كلاهما جاءته الدعوة وكلاهما عاصر النبي صلى الله عليه وسلم لماذا كان الأول في أعلى عليين والثاني في أسفل سافلين؟ الفرق هو العلم لأن هذا الذي كفر لو تعلم الذي تعلمه هذا الصحابي لآمن كما آمن ولأقبل كما أقبل ولأحب كما أحب، أقول لكم مرة ثانية الأزمة أزمة علم فقط بين المؤمن والكافر ذلك أن المؤمن والكافر حريص على سعادته، حريص على سلامته، حريص على استمرار وجوده، حريص على كمال وجوده، حريص على وجوده.

هذه المقدمة ندخل منها إلى أنك حينما تتعرف إلى تعليمات الخبير، قال تعالى:

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾

[سورة فاطر: الآية ١٤]

لا يمكن أن تكون أوامر الدين قيوداً لحريتك إنما هي ضمان لسلامتك لأنها تعليمات الصانع السعادة كل السعادة والفوز كل الفوز والنجاح كل النجاح والتفوق كل التفوق والفلاح كل الفلاح بطاعة الله عز وجل، يعني كلام قد يبدو لكم غريباً انطلاقا من حبك لذاتك، وبالتعبير الدقيق انطلاقا من أنانيتك وحرصك على مصلحتك ينبغي أن تعبد ربك، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١)﴾

[سورة الأحزاب: الآية ٧١]

إخوانا الكرام:

وازنوا بين آيتين إله عظيم خالق السماوات والأرض يقول:

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾

[سورة النساء: الآية ٧٧]

أي متاع لو كنت تملك مائة مليار دولار هذا بيل كيت يملك تسعين مليار دولار، إن كنت تملك في كل مدينة في العالم قصر، إن كنت تملك من كل نوع من أنواع السيارات مركبة من أعلى مستوى وطائرة خاصة و يخت في البحر لأن هناك موت ليس هذا بعطاء لأنه ينقطع عند الموت

ليس هذا عطاء يليق بخالق السماوات والأرض عطاء خالق السماوات والأرض لا يليق به إلا أن يكون أبدياً سرمدياً، إذا إنسان قال لك هذه السيارة ربع ساعة استعير مفاتيحها هذا عطاء ؟ إذا ما أعطاك السيارة هبةً مع أوراقها مع مفتاحها مع بونات البنزين دائماً هذا ليس عطاء ربع ساعة ليس بعطاء:

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾

[سورة النساء: الآية ٧٧]

الآية الثانية:

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً (١١٣)﴾

[سورة النساء: الآية ١١٣]

أي عطاء يقشعر الجلد له ؟ هو العطاء الأبدي السرمدي لذلك:

﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (١٠٤)﴾

[سورة الكهف]

أنا أقول لكم كلمة فيها مفارقة الإنسان طموح إن كان طموحاً في الدنيا فهو أزهد الزاهدين، من هو الطموح ؟ الذي طمح إلى الآخرة طمح إلى عطاء أبدي سرمدي، طمع إلى حياة لا نغص فيها ولا تعب ولا هم ولا حزن، بربكم هذا الذي تسمعونه في الأخبار هل يسعدكم ؟ لا والله نحن لم يصبنا شيء والحمد لله، أنت كإنسان هل تحتمل ما يفعل بالإنسان ؟ كيف تداس كرامته ؟ كيف يؤخذ ماله ؟ كيف يقتل أولاده ؟ كيف يهدم بيته ؟ الحياة مركبة على المتاعب ولو سلمت أنت من هذه المتاعب رؤية هذه المتاعب وسماع هذه المتاعب تعكر صفوك.

إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ومنزل ترح لا منزل فرح فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء جعلها الله دار بلوى وجعل الآخرة دار عقبى فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي

إخوانا الكرام:

المقدمة تعني أن الوقت الذي تمضيه في معرفة الله ومعرفة منهجه هو استثمار للوقت لأنه قد تبتعد عن شيء مدمر بسبب معرفتك بالله عز وجل، وقد تبتعد عن سبب الهلاك وعن سبب الدمار وعن سبب الشقاء.

الفكرة الثانية أنت حينما تأتي إلى هذا البيت بيت الله عز وجل ما الضيافة ؟ أي مكان تدخله يوجد به كنبة، مقعد وثير مريح، أنت على الأرض جالس لا يقدم لا كأس شاي ولا كأس قهوة ولا فواكه ولا حلويات ولا طعام، لا يوجد شيء، هل تعلم ما الضيافة في بيت الله ؟ العلم، هل تعلم ما هي الضيافة ؟ السكينة، هل تعلم ما هي الضيافة ؟ الحكمة.

والله أيها الإخوة من دون حكمة تدمر نفسك، بالحكمة تسعد بزوجة من الدرجة الخامسة ومن دون الحكمة تشقى بزوجة من الدرجة الأولى تشقى بها، من دون حكمة تبدد المال وبالحكمة تكسب المال، الله عز وجل إذا أتيت بيته ضيافته لك أن يؤتيك الحكمة ضيافته لك أن يملأ قلبك سعادة ضيافته لك أن يملأ قلبك رضىً عن الله عز وجل، الآن في زمن صعب الناس محبطون الناس ممزقون الناس ضائعون كيف يفسرون هذا الذي يجري ؟ يصعب تفسيره من دون إيمان، من دون إضاءة قرآنية يصعب تفسيره، عدو لدود قوي جداً وأنت لا تملك شيئاً ويريد أن يسحققك وأن يدمرك وأن يأخذ كل شيء وأن يذلك وأن يقتل أولادك أمامك، قطع رأس رب البيت وألقي بين أولاده قبل يومين.

لكن إذا معك نور هذا النور يعطيك تفسيراً متوازناً لما يجري، النور يعطيك رضى عن الله عز وجل فلذلك لابد من طلب العلم وطلب العلم استثمار للوقت وليس استهلاكاً له، وطلب العلم فيه نتائج كبيرة جداً:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً (١١٤)﴾

[سورة طه: الآية ١١٤]

وأي علم ورد في كتاب الله المقصود به العلم بالله والعلم بمنهج الله عز وجل.

الآن موضوع الدرس إن شاء الله هذا الموضوع يحتاج إلى درسين أو ثلاثة ما هي الأسباب الخطيرة في تهديم البيوت ؟ قد يقول أحدكم هذا الموضوع نظري أم عملي ؟ والله الذي لا إله إلا هو بحكم عملي في الدعوة ليس هذا ميزة لي لا لكن لأني أدعو إلى الله كل إنسان عنده مشكلة يعرضها علي إما شخصياً أو برسالة أو بالهاتف، فأنا عندي كم من التصورات عن المجتمع كبير جداً، عندي عدة قصص جاءتني كرسائل عن بيوت هدمت فحينما أقرأ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته في قيام البيت وسلامة البيت أشعر بإعجاب ما بعده إعجاب هذا النبي الكريم كأنه يعيش معنا الذي حذرنا منه واقع لا محال.

أول شيء إن من الأسباب التي تهدم البيوت الحذر من دخول الأقارب غير المحارم على المرأة في البيت عند غياب زوجها، وأتمنى أن لا أضطر إلى ذكر تفاصيل قصص وردتني أخاف إن ذكرت تفصيلاتها أن يسمع هذا الكلام الذي وقع معه فيتألم من ذكرها بالدرس، والله قصص لا تصدق وقعت الفاحشة وقعت الخيانة، من جهة هما مظنة صلاح أما حينما خلا رجل بامرأة كان الشيطان ثالثهما هذا أول توجيه في هذا الدرس.

((عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ قَالَ الْحَمْوُ الْمَوْتُ "))

[متفق عليه]

الحمو: أقرباء الزوج.

هل يجرؤ إنسان في الطريق أن يطرق باباً ليدخل على سيدة المنزل في غياب زوجها ؟ مستحيل هذا شيء لا يقع أبداً، من الذي يدخل على المرأة في غياب زوجها ؟ أقرباء الزوج أخيه، ابن عمه، ابن خالته، ابن عمته، أخوه، صديقه.

هو الحديث أقارب الزوج قال عليه الصلاة والسلام الحمو الموت، ألف الناس أن هؤلاء الأقارب معروفون موثوقون، النبي ما قال: ما خلا كافر بكافرة وما قال ما خلا فاسق بفاسقة وما قال ما خلا فاجر بفاجرة، قال ما خلا رجل مطلقاً بامرأة مطلقاً إلا كان الشيطان ثالثهما.

سألني أخ قبل يومين حول هذا الحديث قال لي إذا في ثقة قلت له هل يوجد بارود آدمي ؟ إذا قربنا النار من البارود ما الذي يحصل ؟ ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما هذا كلام سيد الخلق وحبيب الحق هذا كلام مبعوث العناية الإلهية، وأنت حينما تأخذ الاحتياط لا تضطر أن تصل إلى المتاهات.

لذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ قَالَ الْحَمْوُ الْمَوْتُ "))

هذا الحديث رواه الإمام البخاري، الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث قال: المراد بالحديث أقارب الزوج طبعاً عدا آباءه وأبناءه، والد الزوج من المحارم وابن الزوج من المحارم لأنهم محارم للزوجة لكن الأكمل أن لا تكون خلوة بين الصهرة الشابة وبين محارمها.

وقال الإمام النووي: المراد الأخ وابن الأخ والعم وابن العم وابن الأخت وغيرهم ممن يحل لها التزوج بهم لو لم تكن متزوجة، وهم أولى بالمنع من الأجنبي يوجد قرابة يوجد حديث أمام الجيران دخل إلى البيت أخوه عمه ابن أخيه....

ومن ألطف ما في شرح هذا الحديث قال: الحمو الموت أي أن الخلوة للحمو قد تؤدي إلى هلاك الدين إن وقعت المعصية، هلك دينه، يعني في بعض الرسائل تقول إن أخوه فعل معها الفاحشة لم يعلم أخو الزوج لكن هي انهارت، انهارت معنوياتها شعرت أنها مجرمة بحق زوجها أو أنها خانته فلذلك الموت بمعنى هلاك الدين إن وقعت المعصية، قال تعالى:

﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾

[سورة الفرقان: الآية ٦٨]

جاء الزنا بعد القتل فاستنبط العلماء أن القتل قتلان قتل الجسد وقتل النفس، الإنسان إذا ارتكب الفاحشة كأنه قتل نفسياً، أما إذا أصابه ضرب مميت قتل جسدياً، فجاءت الآية:

﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً (٦٨)﴾

[سورة الفرقان: الآية ٦٨]

يعني بالزنا تقتل النفس وتحجب عن ربها وبالقتل ترتكب جريمة أخرى.

قال: أو تؤدي إلى الموت إن وقعت الفاحشة ووجب حد الرجم، الأول موت نفسي المعنى الثاني موت حقيقي، أو إلى هلاك المرأة بفراق زوجها لها إذا حملته الغيرة على تطليقها إما أن تنهار أمام ربها تموت موتاً نفسياً وإما أن ترتكب جريمة فتقتل وإما يحملها زوجها على الطلاق أو المقصود احذروا الخلوة للأجنبية كما تحذرون الموت، أو أن الخلوة مكروهة كما يكره الموت أو فليمت الإنسان ولا يخلو بأجنبية.

هذا توجيه النبي عليه الصلاة والسلام. لكن سبحان الله لو حللت الفواحش ما أسبابها ؟ أنا لا أبالغ أحد أكبر أسبابها الخلوة، وأنا قد أدافع وأقول قد لا يفكر أو لا تفكر، قد لا يفكر الرجل أو لا تفكر المرأة مسبقاً بالخيانة أما إذا وقعت الخلوة قد تنتهي بالخيانة دون أن تكون مرادةً قبل الدخول، الموانع خرقت يسمونه اختراق.

شيء شائع جداً بين الناس أنا واعد أخي الساعة الثالثة لعل أتأخر لو جاء استقبليه، يوجد أوسع من هذا واعد صديقي، قد تستقبل أخاه و قد تستقبل صديقه، و قد لا يتأثر الزوج إذا رأى زوجته

تستقبل صديقه بزينتها أو غير محتشمة في ثيابها، هذا يعدوه حضارة أنه سبور، مجتمع مخملي، أو حضارة، هو واثق، يقول عليه الصلاة و السلام فيما رواه الإمام الترمذي:

((عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:..... لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ "))

[البخاري، مسلم، الترمذي، أحمد، الدارمي]

قال هذا الحديث يشمل أتقى الناس و أفجر الناس، و الشريعة لا تستثني من مثل هذه النصوص أحداً، أحياناً قد لا تقع الفاحشة و لكن يقع ما دون الفاحشة، أحياناً أخرى قد تنصرف المرأة إلى غير زوجها في قلبها و هذه مشكلة كبيرة جداً، إذا أردت الاسترسال في مضاعفات هذا الاختلاط دعك من الخلوة، الاختلاط، الخلوة اختلاط من دون أشخاص يعدون فريقاً ثالثاً، أما الاختلاط يوجد أشخاص كثر، ما الذي يحصل ؟ ماذا قال الله عز وجل ؟ قال:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾

[سورة الأحزاب: الآية ٥٣]

الاستنباط العكسي لو أن هناك اختلاط بين النساء و الرجال لما كان القلب طاهراً لا يعمل شيئاً، إنسان محترم يخاف من الله لا يمكن أن يفعل الفاحشة لكن التقى مع زوجة أخيه، مع أخت زوجته، أخت زوجته أجمل لماذا الله عمى على قلبه و لم يدعه يأخذ هذه مثلاً ؟ هذا حديث داخلي، إنسان بشكل لا شعوري يوازن، أنا أتحدى إنسان كائناً من كان أن يرى امرأة أجنبية غير امرأته و لا يوازن بينهما، و أتحدى امرأة لا ترى رجلاً مع زوجها و لا توازن بينه و بين زوجها، انظر إنه رشيق، انظر لمنطقه، زوجي جاهل هذا مثقف، لا تنام الليل يومها، هكذا حظي، حظي قليل، هذا و الله يحصل، لا أقصد أن أمتعكم و لكن هذا يحصل، و الله حدثني أخ أسرة ذهبت إلى الساحل في الصيف للاستجمام بعد العودة من هذه النزهة صار طلاق و زواج، تبادل زوجات، و أسرتين عريقتين مؤمنتين، بلا عراقة، بلا شيء، صار هناك اختلاط، الاختلاط يهدم البيوت، الحقيقة مرة و لكن الناس إذا غرقوا بمعصية بشكل مشترك لا يتكلمون عنها أبداً، يجاملوا بعضهم، أما جالس مع أخوات زوجتك، أو جالسة مع أخوات زوجها، و كل شخص له طريقة في الكلام، له ثقافة معينة، له منطق في الحديث، عنده طرف، عنده مواقف محرجة، مواقف ممتعة، يتحدث و أحياناً يقصد، أحياناً يكون الشيطان إذا وجد نساء غريبات يتفنن الرجل في النعومة، يتفنن في اللطف، يكون ببيته وحش، يتفنن أن يكون لطيفاً و شكراً و آسف و عدم المؤاخذة، هكذا

اللطافة يصبح (very nice) بالتعبير الأجنبي، و قد تجد فتاة أيضاً تتفنن أمام رجل آخر غير زوجها فالله عز وجل منهج هذا، منهج إلهي قال:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾

[سورة الأحزاب: الآية ٥٣]

و الله حدثني أخ قال لي كلما سهرنا سهرة مختلطة يوجد عندنا مشاكل للواحدة ليلاً، لماذا نظرت إليه زيادة ؟ تقول له: أنت كنت تغمز فتاة، هذا مجتمع الاختلاط، مجتمع المشكلات، مجتمع القلوب المريضة منهج الله أحق أن يُتبع، أي لا أستطيع بدرس دين أن أتكلم بتفاصيل أكثر أما تحدث منكرات لا يعلمها إلا الله، و قد يكون أكبر منكر أن تندم على زواجك، أن تندم على زواجها من زوجها، و أن يندم على زواجه من زوجته، التطلع إلى غير زوجته مشكلة، و تطلعها إلى غير زوجها مشكلة، موازنة الزوج زوجته مع غيرها مشكلة، و موازنة الزوجة زوجها مع غيره مشكلة، هذا واقع، مجتمع الإيمان مجتمع العفة، مجتمع الانضباط، المؤمن اجتماعي، المؤمن لطيف لكن وفق منهج الله، لا يوجد عنده لطف مدمر، أحياناً يصبح هناك تمثيل، يوجد قدرة بالإنسان اسمها القدرة على أن تبدو بأكبر من حجمك، مرة تكلمت بشاهد، قال له: أين تسكن ؟ قال له: بلاك ستون سيتي ؟ أين هذه ؟ بالحجر الأسود، كلامه صح، أي مدينة الحجر الأسود، تظن نيوجرسي، فيوجد إنسان يستطيع أن يعطيك لنفسه حجم كبير، بالاختلاط ما الذي يحصل؟ يستطيع الرجل أن يعطي حجماً لنفسه و الله كنت بالمكتب و مكتبه يكون صغير جداً، يوجد أساليب كثيرة تكبر حجمك الاقتصادي و الاجتماعي و قد يكون عندك هذه البدلة لا يوجد عندك غيرها و لكنها أنيقة جداً ماذا تظن المرأة ؟ أن كل بدلاته بهذه الأناقة، و هو قد يكون ملمع حاله زيادة، و قد تملك المرأة أيضاً أن تظهر بحجم أكبر من حجمها، تجد لها صوتاً عالياً مع زوجها و لكنها تصبح لا صوت لها مع الأجانب، لطيفة جداً، هذه مشكلة الاختلاط يا إخوان، فنحن لولا أن الاختلاط في بيوتات المسلمين لما ذكرته، أنا لا أخاطب غائبين، لو أن معصية متعلقة بأناس لا يرتادون المساجد أبداً لا أتحدث عنها، أنا أخاطب رواد المساجد، أخاطب المسلمين، أخاطب المنتمين لهذا الدين، الاختلاط مشكلة كبيرة جداً في مجتمعات المؤمنين و أكبر دعوى تدعو إلى الاختلاط لا تفرق العائلة، ونريد أكلاً واحداً، أكبر دعوى، و الله تكاد تكون أكبر مشكلة، أي يعاني إخواننا منها مع أهلهم هذه المشكلة، إذا أراد أن يطبق شرع الله صار كأنه سيفرق العائلة ! سيعمل شقاقاً بين الإخوة، و هذا احتقار للإخوة، و الأم جاهلة، الأم يمتعها أن ترى كل أولادها في

مكان واحد مع نسائهم، هذا شيء يمتع الأم و الأب لكن لا يرضي الله عز وجل، فهذا الذي يبدو بحجم أكبر من حجمه ذكره النبي عليه الصلاة و السلام قال:

((عَنْ أَسْمَاءَ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي ضَرَّةً فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ"))

[البخاري، مسلم، أبو داود، أحمد]

إخوانا الكرام:

الإنسان حينما يعطي نفسه ما تشتهي، و يؤدي شعائر الله عز وجل، هذه الشعائر لا يقطف ثمارها أبداً، يسير فيما يسمى دين شكلي، دين مفرق من مضمونه، انتماء لا يعني شيئاً، أي لافتة وضاءة و المحل لا يوجد فيه بضاعة أبداً، و هذا الذي يجري أحد أكبر تفسيراته، الانتماء للدين شكلي، محسوبون على الله و لسنا كما يريد، ابن آدم كن لي كما أريد أكن لك كما تريد، كن لي كما أريد و لا تعلمني بما يصلحك، و الآيات كثيرة جداً تعد المؤمنين بالنصر، فلذلك نحن الآن في صدد أن هذه الأحداث التي تجري ينبغي أن نراجع أنفسنا، يوجد مخالفات ببيوتنا، يوجد عندنا كسب مال حرام، يوجد عندنا إنفاق حرام، يوجد عندنا علاقات آثمة، أي يقول لك: أنا الحمد لله لا أزني و لا أسرق و لا أشرب خمراً و لا أقاتل أحداً هذه كبائر، لذلك يقول عليه الصلاة و السلام:

((إن الشيطان يئس أن يعبد في أرضكم، و لكن رضي فيما دون ذلك مما تحقرون من أعمالكم"))

و النبي عليه الصلاة و السلام يقول:

((اللهم إني أعوذ بك مما أهتم له و مما لا أهتم له "))

هناك معاصي كثيرة هي في الشرع معصية لكن لشيوعها لا يهتم الناس لها، و عندهم عبارة مثل أخوك، هذه آية أم حديث، إن شاء الله مثل أخي، من قال مثل هذا الكلام ؟ الحقيقة مرة أما أحسن أن يكون هناك اختلاط، و أبسط و أروح للنفس، يقول لك بُلّ قلبنا مثلاً، إذا أردت الجنة، الجنة لها ثمن، الاختلاط مدمر و لو ما وصل إلى الفاحشة حتى أكون معك دقيق قد لا يصل إلى الفاحشة لكن يفضي إلى الندم، يفضي إلى انصراف الزوجة عن زوجها نفسياً، و يفضي إلى انصراف الزوج عن زوجته نفسياً، انصراف أحد الطرفين عن الآخر هذه مصيبة كبيرة، لم يعد هناك تعلق، و دائماً يشكو المتزوجون أنه بعد حين هذا الحب فتر، أي بالخطبة ست ساعات المكالمة، يأتي إلى المنزل بعد بسنتين تأخذ منه الكلمة أخذاً صعباً، أين كان و هو يتكلم ست ساعات ؟ انتهوا،

صار هناك انصراف إلى ما سوى الزوجة، و هي أيضاً تهتم بصديقاتها و بأهلها و بأولادها وتنسى زوجها، كذلك أصبح هناك انصراف، هي انصرفت و هو انصرف لأن شعلة الحب أطفأت بالاختلاط.

أيها الإخوة:

أنا معي نصوص لا تقبلوا مني كلمة من عندي، لا يوجد إنسان مهما كان كبيراً مؤهلاً أن يعطيك أمراً في أمر دينك، أمر الدين من عند الله عز وجل، ذكرت لكم هذه الآيات وهذه الأحاديث و كلها صحيحة، كلها في البخاري، أحد أسباب تهديم البيوت إما تقويض مالي أي طلاق أو جريمة أو تشرد أولاد أو تهديم معنوي، التهديم المعنوي يصبح به شقاق زوجي و انصراف الزوج عن زوجته و الزوجة عن زوجها، هذا يتأتى من الاختلاط و من الموازنة و من المقارنة و من الاستلطاف، و دائماً الشيطان مهمته بالمناسبة أكبر مهمة للشيطان أن يفرق بين المرء و أهله، فيزين له أية امرأة و لو أنها دون زوجته، و يزيه لها أي رجل و لو كان دون زوجها، فمهمته الشيطان الأولى وهكذا قال الله عز وجل، مهمة الشيطان الأولى التفريق بين الزوجين، فما الذي يغذي هذه المهمة ؟ الاختلاط، أنت حينما تختلط كأنك تعطي الشيطان تربة خصبة كي يفعل فعله وينفذ مهمته في هذه التربة.

يوجد شيء آخر بقي أن أذكره لكم مهم جداً: أن بعض الرجال يمدحون زوجاتهم أمام أقربائهم أو أصدقائهم، يمدحون ذكاءها و لطفها و أناقتها و رشاقتها و طبخها الجيد وإيناسها، ليس منتبهاً ماذا يتكلم، أذهان هؤلاء الرجال انصرفوا إلى زوجته، قال تعالى:

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾

[سورة القصص: الآية ٢٩]

أو يذكر اسم زوجته و الله هكذا قالت لي سحر، من هذه سحر ؟ زوجته، هذه ليست سحارة قد تكون ليست ساحرة و لكن يوجد اسم مغري، فاتنة، سحر مثلاً، فيوجد أشخاص يتوسعوا بالحديث عن زوجاتهم و عن خصائص زوجاتهم، و عن ميزات زوجاتهم، و عن طبخها و عن أناقتها، و عن فهمها، و عن ذكائها، و قد تكون أقل من هذا بكثير، هذا نوع من النفاق، نوع من الكذب، ليس من المروءة أن تحدثنا عن زوجتك، ليس من المروءة أن تحدثنا عن أناقتها و لا عن رشاقتها و لا عن........، الآن لو أن امرأة وصفت لزوجها بعض صديقاتها محرم، محرم أن تصف له بعض صديقاتها، و محرم أيضاً أن يصف لها صديقه، شهم و غني و قوي ما شاء الله، الله أعطاه

شكلاً رائعاً جداً، أيضاً انصرفت إليه، هذه حقائق فأرجو الله سبحانه و تعالى أن نأخذ بها، لكن قد يقول قائل هذه بلوى عامة و الله على مستوى من يعمل في الحقل العلمي يوجد عنده اختلاط، زرت شخصاً في العيد قال لي: نحن نجلس مع زوجات إخوتي على طعام واحد، هكذا تريد أمي ماذا نعمل ؟ نريد أن نرضيها، هذا خلاف الشرع، هذه بلوى عامة لماذا أنتم تستغربوا أو تجدوا أن الموضوع غير معقول ؟ المعقول هو الشرع، ليس من المعقول ألا يجري، لذلك حينما تكون وقافاً عند كتاب الله الله عز و جل يحميك و يحفظك، يحميك من الداخل و الخارج، يحميك من أن تنصرف عن زوجتك، و يوجد شيء آخر لا أدري كيف أقنعكم به، أنت حينما تقيم أمر الله عز وجل يزينها في نظرك و يزينك في نظرها، هذا الشيء من فعل الله عز وجل، و قد تجد إنساناً يكره زوجته و هي قمة في الجمال، و هناك امرأة تكره زوجها و هو قمة في الجمال، لأنه هي حينما عصت ربها سوده في عينها و سودها في عينه، و أنت حينما تطيع الله عز وجل يزينها في عينك ويزينك في عينها.

إذاً الوصف ممنوع و الاختلاط و الخلوة و أهم شيء بالخلوة دخول الحمو، و الحمو أقرباء الزوج على الزوجة في غيبته و الأبلغ في سفره، و أنت حينما تكون وقافاً عند حدود الله فأنت آمن و في أرض صلبة جافة، أما حينما تخترق هذه المنهيات فأنت على أرض زلقة مائلة، و يوجد نهر عميق و الغرق محقق، و الحمد لله رب العالمين.

أيها الإخوة:

يوجد عدة أسئلة و لكن سؤال فقهي يقول أخ كريم أن رجلاً اشترى سلعة من تاجر و تم العقد على سعر معين و قد دفع المشتري للبائع ثلث المبلغ سلفاً تقديماً، على أن يأتي بالباقي فيما بعد و يأخذ السلعة بدون تحديد الزمن، فلما جاء بالمبلغ الباقي قال له البائع إن الأسعار قد ازدادت، السؤال فيه نقطة ضعف، متى أحضر المبلغ الباقي ؟

إذا أنت مشتري بيتاً بعشرين ألفاً بسنة الخمسة و خمسين دفعت عشرة آلاف و غبت خمسة و عشرون عاماً و أنت تحضر عشرة أخرى أعطني البيت، البيت أصبح سعره ثلاثة ملايين، أنت دافع نصف سعر البيت و البيت تضاعف مائة ضعف، لكن يوجد نقطة ضعف بالسؤال متى ؟ بعد ساعة، بعد أسبوع، أسبوعين إذا وجد غياب طويل و أنت حاجز سلعة يوجد جواب، قال له البائع:

إن الأسعار قد ازدادت و يجب على المشتري أن يزيد في الثمن المتفق عليه يوم العقد و السؤال: ما الحكم الديني في هذه الزيادة هل هي من باب النسيئة أم لا و جزاكم الله خيراً ؟

إخوانا الكرام:

أنت حينما تشتري و تمت شروط البيع بالإيجاب و القبول و تحديد الثمن و الزمن وطريقة الدفع وجب البيع، الآن هذه السلعة لو لم يقبضها هي ملك الشاري و لك في ذمة الشاري مبلغ هذا هو الحكم الشرعي، لو لم يقبضها و بقيت في متجره، أما إذا كان الاتفاق بعد ساعة و جاء بعد سنتين اختلف الوضع، القاعدة: أن كل جهالة تفضي إلى المنازعة، لم يتحدد الوقت، يوجد سلع تفسد، فالسؤال يحتاج إلى دقة متى نقدته بقية المبلغ بعد كم ؟ و هل كان الاتفاق أن تدفع المبلغ بعد أسبوع فرضاً و بينت أن السعر ثبت و لك في ذمة هذا المبلغ كذلك يختلف، المسلمون عند شروطهم و الجهالة تفضي إلى المنازعة، و أنت حينما تشتري بإيجاب و قبول و تحديد ثمن و تحديد وقت و طريقة دفع كل شيء صار واضحاً و لو لم تقبض السلعة هي لك لكن مودعة عنده أمانة و للبائع في ذمة المشتري نصف المبلغ، إذا كان ضمن الاتفاق ممنوع، أما لو فرضنا أن الاتفاق أسبوع و غاب ثلاث سنوات فرضاً اختلف الأمر.

سؤال آخر أنه انقطعت ثقتي بكل الناس من حولي حتى بأهلي لم أعد أثق بأحد و لولا إيماني بالله لانقطعت ثقتي بنفسي، ماذا أفعل ؟

لا تفعل شيئاً، من قال هلك الناس فهو أهلكُهم، و يوجد رواية فهو أهلَكَهم، هم ليسوا هالكين لكن هذا مرض بالإنسان، سوء الظن بالناس مرض، و زعزعة الثقة مرض، إذا شخص أساء لك اثنين ثلاثة هل تحكم على الجميع ؟ التعميم من العمى، قال:

أي هذا المشتكي و ما بك داء كيـــف تغدو إذا غدوت عليلاً
أي هذا المشتكي و ما بك داء كن جميلاً ترى الوجود جميلاً

يوجد إنسان نمطه متفائل، يحسن الظن بالناس، يتعاون معهم، يوجد إنسان تشاؤمي دائماً يتهم الناس.

قال: أنا شاب عادي لست عالماً و لا زاهداً و لا شيخاً كيف أصل إلى الجنة برأيك ؟

لأصل أنا أولاً و لكن أطل بالك، الجنة برحمة الله لا أحد يضمنها لا يوجد غير عشرة فقط ضمنوها، الذين بشرهم النبي و ما سوى ذلك نحن كلنا على سبيل الرجاء، الجنة بطاعة الله، كيف؟ بطاعة الله:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)﴾

[سورة يونس]

و طاعة الله عز وجل تعرف بالبديهة:

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥)﴾

[سورة القيامة]

بالبديهة تعرفها و هذا من فضل الله علينا:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)﴾

[سورة الشمس]

أي إذا أنت شخص استنصحك و لم تنصحه، عندك سلعة كاسدة قال لك: انصحني أنت خبير، فنصحته بالسلعة الكاسدة، لو لم تحضر درس علم في كل حياتك، لم تقرأ أي صفحة فقه بحياتك، ألا تحس نفسك أنك خنته ؟ بديهة.

إذا قالت لك الوالدة أريد نقوداً للدواء الساعة الواحدة ليلاً، و قلت لها إن الجميع أغلق، تقول لك: أكيد الجميع أغلق لا يوجد مناوبات ؟ سكتت أمه، ألم تجد نفسك أنك قصرت بحقها و سيارتك أمام البيت، تستطيع أن تذهب، لو ذهبت و لم تجد الدواء تنام مرتاحاً، و لكن بالحالتين هي لم تأخذ الدواء، و لكن أول مرة كذبت عليها لا تنام مرتاحاً، المرة الثانية كنت صادقاً معها الدواء مفقود فتنام مرتاحاً، الإنسان يعرف، إذا وجدت أمامك تفاحتين هذه فيها خد أحمر أخذها و وضع الأحمر للأسفل و أخذها و قشرها و اختارها هي و لكن أخفاها عن صديقه، ألا تكشف نفسك ؟ بالاختلاط من جاء ؟ تقول له صديقتي. تعالوا إلى هنا أدفأ لكم. لا تعرف أن هنا ليس أكثر دفئاً و لكن تريد أن ترى أخت زوجتك:

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥)﴾

[سورة القيامة]

بالبديهة عندما تطيع الله عز وجل تصل إلى الجنة:

﴿ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)﴾

[سورة الأعراف: الآية ٤٣]

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١)﴾

[سورة الأحزاب: الآية ٧١]

ما الفرق بين المتدين في هذا الزمان و المتدين في الأزمنة القديمة ؟

إلهنا واحد و نبينا واحد و قرآن واحد و الشهوات واحدة و بكل عصر يوجد ضغوط، و بكل عصر يوجد مغريات، أين مات الإمام أبو حنيفة؟ بالسجن، أي بكل عصر يوجد قوة و يوجد ضغط و يوجد تهم أنت بريء منها، ابن تيمية أين مات ؟ أيضاً في السجن لأنه أفتى فتوى كل العالم الإسلامي يفتي بها الآن، أفتى أنه إذا الإنسان طلق زوجته ليحملها على فعل ما و يمنعها من فعل ما و يكره فراقها كفراق دينه هذا ليس طلاقاً هذا يمين قسمي، اسأل محاكم الشرع بالأرض الآن كل المحاكم الشرعية تأخذ بهذه الفتوى، و أكثر المفتين يفتون بهذا، فتوفي ابن تيمية في السجن لهذه الفتوى، و بكل عصر يوجد قوة و يوجد خصوم و يوجد أعداء و يوجد شهوات و يوجد منكرات، النبي رجم امرأة زانية بعهده، الشهوات هي الشهوات و المرأة هي المرأة و القوي هو القوي و الحاكم هو الحاكم و المنهج هو المنهج و الله موجود و الأنبياء موجودين، أنتم ترون دولة عظيمة تقهر الخلق:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾

[سورة الحج: الآية ٤٨]

إله يتكلم:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨)﴾

[سورة الحج: الآية ٤٨]

أبداً، فبكل عصر يوجد ظروف صعبة و يوجد مغريات و يوجد صوارف و يوجد بواعث و يوجد عقبات.

أليس اختلاط النساء بعضهم مع بعضاً من أسباب الشقاق بين الزوجين في هذا العصر ؟

طبعاً إذا امرأة فاسقة، امرأة منافقة، و تكذب على صديقتها أن زوجها أخذها للمحل الفلاني و ناموا كذا و ذهب و أتى و تكذب عليها، طبعاً تفسد حياتها، و الثانية أيضاً ساذجة، اختلاط مجلس فيه فسق وفجور و كذب و غيبة و نميمة و مديح غير معقول يسبب الشقاق بين الزوجين.

إخوانا الكرام:

و الله ينبغي أن يختار الإنسان صديقه من بين المؤمنين الصادقين، و ينبغي أن تختار المرأة صديقتها من بين المؤمنات الصادقات، و إلا هناك مشكلات.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة – الخطبة ٠٧٨٨ : الاختلاط.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١-٠٥-١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الاختلاط :

أيها الأخوة الكرام، موضوع هذه الخطبة سببه معاناة كثيرة من مشكلات لا تُعد ولا تُحصى، بحكم ما شرّفني الله به من الدعوة إلى الله أطّلع على أسئلة كثيرة سببها مشكلات تعاني منها الأسر، هذه المشكلات يمكن أن ترجع في معظمها إلى الاختلاط، فكم من زوج انصرف عن زوجته ومال إلى امرأة أخرى؟ وكم من امرأة مالت عن زوجها وانصرفت إلى رجل آخر؟ وكم من أطفال شُرِّدوا؟ وكم من بيوت هُدِّمت؟ وكم من فساد عريض؟ كله بسبب تجاوز أحكام الشرع في شأن الاختلاط.

أيها الأخوة الكرام، الدعوة إلى الاختلاط بشكل صريح أو مبطن دعوة إلى تهديم المجتمع، لأن الله عز وجل جعل المرأة مساوية للرجل تماماً في التكليف والتشريف والمسؤولية، إلا أن للمرأة خصائص أكرمها الله بها لتكون محببةً إلى زوجها، كما أنّ للرجل خصائص أكرمه الله بها ليكون درعاً لزوجته، وحامياً لها، ومنفقاً عليها، هذا أصل التصميم الإلهي، المرأة مُصمَّمة زوجة ترعى زوجها وأولادها، والزوج مُصمِّم بإمكاناته العقلية والجسمية والاجتماعية ليكون قائداً لهذا المركب، حينما اختلطت الأوراق، وحينما تجاهلنا هذا الفرق الكبير، الذي يؤكده قوله تعالى:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

[سورة آل عمران: ٣٦]

حينما اختلط الحابل بالنابل، وحينما اختلطت أوراق المجتمع، هذا الاختلاط أفرز فساداً لا حدود له، والإسلام ليس مسؤولاً عن مشكلات لا تعد ولا تحصى، تتفجر من تجاوز حدوده.

آثار الاختلاط التي لا تعد و لا تحصى :

أيها الأخوة الكرام، من أراد أن يعرف عن كسب ما جناه الاختلاط من المفاسد التي لا تعد ولا تحصى، فلينظر إلى تلك المجتمعات البعيدة عنا، التي وقعت في هذا البلاء العظيم، ونحن على طريقهم سائرون، فلينظر إلى تلك المجتمعات التي وقعت في هذا البلاء العظيم اختياراً أو

اضطراراً، فلينظر بإنصاف من نفسه وتجرد للحق وأهله، يجد التفلت والاضطراب وتفكك الأسر، وهذا كله ثمارٌ حتميةٌ لهذه المخالفة الكبيرة في شرعنا.

أيها الأخوة الأكارم، يقول الله عز وجل:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾

[سورة الروم: ٤١]

وهذه الباء تعرب في هذا الموطن باء السبب، هي حرف جر ولكن بمعنى السبب، أي بسبب ما جنته أيدي الناس، قال تعالى:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾

[سورة الروم: ٤١]

فالمعصية لها آثار اجتماعية مدمرة، من حكمة الله ومن رحمته أنه جعل لهذه المعصية آثاراً، لولا هذه الآثار لاستمرأ الناس المعاصي، ولما تابوا من معاصيهم، قال تعالى:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة الروم: ٤١]

فتفكك الأسر، وتشرد الأولاد، ومقدمات الخيانات الزوجية، هذا كله من آثار الاختلاط، والله الذي لا إله إلا هو إن مئات الحالات التي اطّلعت عليها بحكم عملي في الدعوة، خيانة زوجية سببها الاختلاط، انصراف الزوج عن زوجته إلى عشيقة سببها الاختلاط، وهذا يقع بين الأقارب، بين من يدخلون عليك البيت، فكأن الإسلام فصل عن الحياة، الإسلام عبادات نؤديها أما حياتنا فنعيشها كما نهواها، حينما دخلت على حياتنا الأنماط الغربية، في الاختلاط، وفي التفلت، وفي التكشف، وفيما يجري بين الناس الآن دفعنا الثمن باهظاً، نحن معنا دين أيها الأخوة، معنا وحي السماء، معنا منهج الله، معنا كتاب الله، معنا سنة رسول الله، لا ينبغي أن نحيد عنها إلى شيء يفسد حياتنا.

مهمة الشيطان تزيين الحرام للناس :

أولاً: أيها الأخوة، كتقريب للموضوع، لو قلنا لطيار يقود طائرة وسلامة خمسمئة راكب في رقبته: دعك من هذه الغرفة الضيقة واخرج، دع هذه الغرفة، هنا مكان قيادته، وبقاؤه وراء مقود الطائرة، ومراقبته لأجهزة الطائرة ضمان لسلامة الركاب، فالمرأة صُممِّت لتكون أمًّا، بل إن الذي

يلفت النظر أنَّ المرأة في الإسلام لها قُدسية، بحيث لو مات زوجها مدافعاً عنها مات شهيداً، ولو مات أخوها دفاعاً عنها مات شهيداً، ولو مات ابنها دفاعاً عنها مات شهيداً.

أيها الأخوة الكرام، أرأيتم إلى هذه المكانة العَلِيِّة؟ أنَّ الرجل زوجاً كان، أو أباً، أو ابناً، أو أخاً، إذا قُتل وهو يدافع عن زوجته، أو أمه، أو أخته، أو ابنته يموت في سبيل الله، فكيف أصبحت أعراض المسلمين كلأً مشاعاً بين الناس؟ كيف أن المرأة خرجت مُتفلتة؟ كيف أن هذه العلاقات وتلك المناسبات وهذه الحفلات كلها اختلاط؟ وكل عين رجل على امرأة، وكل عين امرأة على رجل، وكل امرأة بحكم وسوسة الشيطان تستلطف غير زوجها، وكل زوج يستلطف غير زوجته، مهمة الشيطان الأولى أن يُزَيِّن لك الحرام، أن يُبعدك عن الحلال، يُبَغِّض لك زوجتك، وأن يُحبب لك نساء الآخرين، هذه مهمة الشيطان.

أيها الأخوة الكرام، المرأة التي سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، قال تعالى:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾

[سورة المجادلة: ١]

جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة، ذات أهل، ومال، وجمال، فلما كبرت سني، ونثرت بطني، وتفرق أهلي، وذهب مالي، قال: أنت عليّ كظهر أمي، ولي منه أولاد إن تركتهم إليه ضاعوا- أنا أُربِّيهم- وإن ضممتهم إليّ جاعوا، هو ينفق عليهم.

أرأيتم إلى هذين الدورين المتكاملين؟ أنا أُرَبِّي، أنا أُخَرِّج أبطالاً، أنا أصنع رجالاً، أنا أقدم للوطن عناصر مفيدة ومنضبطة وصادقة وأمينة، وهو ينفق علينا، أما حينما تركت المرأة بيتها واختلطت مع الرجال فقدت أنوثتها، وفقد الرجل رجولته، ومن علامات قيام الساعة أن النخوة تُنزَع من رؤوس الرجال، وأن الحياء يذهب من وجوه النساء، الله عز وجل يقول:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

[سورة النساء: ٣٤]

أنت مُفَضَّل بخصائص هي لك مِيزات ولزوجتك نقائص، وهي مُفَضَّلة عنك بخصائص هي لها ميزات ولك نقائص.

المهمة الخطيرة التي أُنيطت بها المرأة :

أيها الأخوة الكرام، قال تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً ﴾

[سورة الأحزاب : ٣٣-٣٤]

ما معنى قوله تعالى: وقرن في بيوتكن، أي أنتن تقمن بأخطر مهمة في الحياة، تربية الأولاد:

الأم مدرسة إذا أعددتـــــــها أعددت شعباً طيب الأعراق

***

الأم التي تُرَبي أولادها تُقدم أكبر خدمة للمجتمع، تُربيهم على الصدق والأمانة والعفة والاستقامة، وترعى أجسامهم ومصالحهم وعقولهم ودراستهم وحاجاتهم.

يا أيها الأخوة، هل من عمل في الإسلام أفضل من الجهاد؟ إنه ذروة سنام الإسلام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ مَاتَ عَلَى شُعْبَةِ نِفَاقٍ))

[مسلم عن أبي هريرة]

كيف يقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

((انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله – أي يعدل الجهاد في سبيل الله –))

[ابن عساكر وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

أية امرأة تقرأ هذا الحديث فتُعظِّمه وتعمل به؟ ولو عملت نساء المسلمين بهذا الحديث لَكُنَّ بحال غير هذا الحال.

أيها الأخوة الكرام، لا شك أنك إذا أمرت طالباً مجتهداً متفوقاً أن يجتهد، فلأن يكون هذا الأمر موجَّهاً إلى مُقصِّر من باب أولى، فإذا أُمرت نساء النبي وزوجاته وبناته أن يقررن في بيوتهن، وهنَّ على ما هُنَّ عليه من رِفعة المقام، وعلو الشأن، وطهارة النفس، فلأن يكون هذا الأمر مُوجَّهاً إلى عامة نساء المؤمنين من باب أولى، لكن في الآية مُلْمحاً لطيفاً، وهو أنّ هذه المرأة حينما تَقَرُّ في بيتها، وتعتني بأولادها وتربيهم، وترعى زوجها، قال:

﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٤]

أي حينما تشغل نفسها بالعلم الشرعي، بمعرفة الله وكتابه، بمعرفة سُنّة رسول الله، هذه المهمة الخطيرة التي أُنيطت بها تتناسب مع هذه المعرفة، أما حينما تقبع في بيتها لتُطالع كل قصة سخيفة، أو كل مشهد مؤثِّر لا يعني إلا التفلت من منهج الله، حينما تتغذى بما يرسله إليها أعداء المسلمين من برامج ومن مسلسلات، طبعاً هذه التغذية لا تسمح لها أن تقبع بالبيت، لأنها غُذِّيت أن تخرج من البيت، وغُذِّيت أن تكون ندّاً للرجل، وغُذِّيت أن تقتحم مجتمع الرجال، وغُذِّيت أن تسترجل، وتكون بعيدة عن الأنوثة المُحببة، دققوا أيها الأخوة في قوله تعالى في قصة سيدنا شعيب:

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾

[سورة القصص: ٢٥]

ما الذي يلفت نظر الرجل للمرأة؟ حياؤها، وما الذي يلفت نظر المرأة للرجل؟ قوته، قالت:

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

[سورة القصص:٢٦]

الذي يلفت نظر المرأة في الرجل قوته وأمانته، لا تخنُثه وتكَسُّر كلامه، والذي يلفت نظر الرجل في المرأة حياؤها، لا وقاحتها، ولا استرجالها، ولا بعدها عن أنوثتها.

الحجاب عبادة خاصة بالمرأة :

أيها الأخوة الكرام، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾

[سورة الأحزاب: ٥٩]

أي حينما تتحجب المرأة تؤكد بحجابها أنها مسلمة وأنها مؤمنة وهذا أدنى ما يُعرِّف بها لا أقصى ما يُعَرِّف بها، أي حينما ترى طالباً يرتدي زي الفتوة هذه الثياب تُشعر أنه طالب ثانوي، وقد يكون مطروداً من كل المدارس، وقد يكون كسولاً، وقد نال درجات الصفر في كل المواد، لكن هذه الثياب التي يرتديها مُشعِر بدائي، أقل ما يُشعر أنه طالب علم، وهذا الحجاب الذي ترتديه المرأة هو أبسط ما يُشعر أنها مؤمنة، بل إن بعض النساء يا أيها الأخوة الكرام يشتَكِين أن الرجال لهم عبادات خاصة، لهم الجهاد، لهم حضور الجُمَع والجماعات، وغاب عن المرأة أنّ لها عبادة

مستقلة بذاتها، إن لها عبادة تُميزها عن الرجل، ما هذه العبادة؟ إنها عبادة إعفاف الشباب بحجابها، لأن الرجل قد يرتدي ثياباً خفيفة في الصيف، ويستعمل حريته في ارتداء الثياب، لكنّ المرأة المسلمة وإن كان الحرُّ شديداً لا يُتيح لها دينها أن تخفف من ثيابها، لذلك هي مأمورة أن ترتدي الثياب السابغة، والثياب الثخينة لئلا تُشِفّ عن لون جلدها، ولا عن حجم أعضائها، إنها بهذا تتخلى عن بعض حريتها في سبيل طاعة ربها، إنها عبادة المرأة، عبادة خاصة بالمرأة.

أيها الأخوة الكرام، إن الله عز وجل يقول:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾

[سورة النور: ٣٠]

هذا الذي يقوله الله عز وجل أطهر لكم أيها المؤمنون حينما تغضوا أبصاركم، وأطهر لكنّ أيتها المؤمنات حينما تغضضن أبصاركن.

تحريم الإسلام جميع الوسائل والذرائع الموصلة إلى الأمور المُحرَّمة :

أيها الأخوة الكرام، الإسلام في حقيقته حرَّم جميع الوسائل والذرائع الموصلة إلى الأمور المُحرَّمة، حرَّم على المرأة المسلمة الملتزمة أن تخضع بالقول للرجال، قال تعالى:

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾

[سورة الأحزاب: ٣٢]

كلام فيه تكسُّر، فيه مُلاينة، حينما تشتري المرأة من البائع قد تُلين له القول، وقد تتكسر في حركتها، وقد تخضع بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض، وقال:

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾

[سورة الأحزاب: ٣٢]

قال سيدنا موسى: ما خطبك؟ فأجابت:

﴿ لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾

[سورة القصص: ٢٣]

حينما دعته إلى تناول الطعام عند أبيها ماذا قالت؟ لم تقل له: إن أبي يدعوك وسكتت، لماذا؟ ما المناسبة؟ عندها سيصير هناك حوار، وإنما قالت:

﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾

[سورة القصص: ٢٥]

كلام لا يحتمل الرد ولا المناقشة ولا الحوار، ماذا قال سيدنا موسى لهما؟ قال:

﴿ مَا خَطْبُكُمَا﴾

[سورة القصص: ٢٣]

مع أنّ هناك كلاماً آخر يُقال فيه مُلاينة، فيه تطويل، فيه تشقيق:

﴿ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

[سورة القصص: ٢٣]

هكذا تتحدث المرأة مع الرجال بكلام مقتضب، بكلام لا يحتمل التأويل، بكلام لا يحتمل السؤال والجواب والحوار، بكلام موجز، بنبرة جادة، لكن حينما ترقق له الكلام يرقق لها الكلام، حينما تُظهر مفاتنه يُثنون على مفاتنها ومن هنا تبدأ المشكلة، لذلك أيها الأخوة هناك في الإسلام توجيه رائع، أي أحياناً بعض المعاصي لها قوة جذب، فمثل هذه المعاصي أنت لست مكلفاً أن تبتعد عنها، أنت مكلف أن تبتعد عن أسبابها، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾

[سورة الإسراء: ٣٢]

لو أنّ هناك تيار توتر عال، وأردت أن تُحذِّر الناس منه، ولهذا التيار منطقة تزيد عن ثمانية أمتار لو دخله إنسان لجذبه التيار، هناك قوة جذب، أنت إن أعلنت عن خطر هذا التيار تقول: على السادة المواطنين ألا يمسوا هذا التيار أم ألا يقتربوا من هذا التيار؟ وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾

[سورة البقرة: ١٨٧]

الفاحشة لها مقدمات، المسلمون منهيون عن مقدماتها، عن الاختلاط، عن صحبة الأراذل، عن التنزه في الطرقات، عن الحديث عن النساء، عن إطلاق النظر، عن قراءة الأدب المكشوف، عن متابعة المسلسلات الفاضحة، هذا كله منهي عنه المؤمن، لذلك هو يبتعد عن أسباب الفاحشة، وكأنه في حصن حصين، وقد قال بعض العلماء: إن الله سمى مكث المرأة في بيتها قرارة، قال تعالى:

﴿وَقَرْنَ﴾

[سورة الأحزاب : ٣٣]

أي المرأة تستقر في بيتها، ترتاح نفسها، تسكن روحها، تطمئن، أما إذا خرجت هناك من يُسمعها كلمة، هناك من تنظر إليه فتُعجب به، هناك مشكلات فالأصل أن تَقرَّ في البيت، وتخرج عند الضرورة دون أن تُظهر من مفاتنها شيئاً، لذلك نهى الإسلام عن الخضوع بالقول، وأمر بغض

البصر، ونهى عن الخلوة بالمرأة الأجنبية على الإطلاق إلا مع ذي مَحرم، ونهى عن السفر مع المرأة الأجنبية أيضاً: قالَ النّبيُّ صلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

((.... ولَا تُسَافِرَنّ امْرَأَةٌ إلّا ومَعَهَا مَحْرَمٌ ....))

[متفق عليه عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا]

كل هذا رداً لذريعة الفساد وإغلاقاً لباب الإثم، أساساً في الأمن الجنائي عندهم قاعدة ذهبية: أن في كل جريمة فتش عن المرأة، وأنا أُعدِّل هذه المقولة: وفي كل مشكلة في العالَم فتش عن المعصية.

ما من مشكلة على وجه الأرض إلا بسبب خروج عن منهج الله :

ما من مشكلة على وجه الأرض إلا بسبب خروج عن منهج الله، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل، والجهل أعدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به، صدقوني أيها الأخوة مع أنها قصة طريفة قبل سبعة وعشرين عاماً في هذا المسجد في بدايات خُطَبي خرجت إلى صحن المسجد، فإذا رجل يبكي قال لي: عندي مشكلة كبيرة، قلت له: ما هي؟ قال لي: زوجتي تخونني ولي منها خمسة أولاد، قلت: مع مَنْ؟ قال: مع جاري، قلت له: كيف عرفت جارك؟ قال لي: والله مرة زارنا في البيت ليسهر عندي، وأردت لها ألا تجلس وحدها فقلت لها: يا أم فلان تعالي اجلسي معنا هذا مثل أخيك، وكان هذا سبب الخيانة الزوجية، والله هناك آلاف القصص، صدقوني إني سمعت قصصاً في هذا العمر في الدعوة بالآلاف، كل هذه القصص والفجائع والطلاق والتشريد نتيجة الاختلاط، شيء خطير جداً لأن الله ركّب في الإنسان حبِّ النساء قال تعالى:

﴿ زُيّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشّهَوَاتِ مِنَ النّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾

[سورة آل عمران: ١٤]

هذا تزيين الله، الشيطان له تزيين آخر، الشيطان يُزيّن امرأة الجار، امرأة الصديق، يُزيّن المرأة الأجنبية، يُريها للرجل ملكة جمال ولا يُري زوجته له كذلك، لذلك حينما ينساق الإنسان مع وساوس الشيطان يقع في شر عمله، ما اخترتُ هذا الموضوع والله عبثاً مع أنني ذكرته كثيراً، الله عز وجل في القرآن الكريم ذكر بعض القصص سبع عشرة مرة، لأنه موضوع خطير، كلما يأتيني اتصال هاتفي تُعرض فيه مشكلة أعرف أن سببها الاختلاط إما من الزوجة الشاردة أو من

الزوج الشارد، والثمن الأطفال هم من يدفعون الثمن باهظاً، يجب أن تبقى عند حدود الشرع، فعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ))

[متفق عليه عَنْ أسامة رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا]

ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((اتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))

[متفق عليه عَنْ أسامة رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا]

اعتراف رجال الغرب بمضار الاختلاط :

أنا مضطر أن أذكر لكم بعض هذه النصوص، لا لأنها مُعتَمَدة عندي إطلاقاً لكن العجيب أنّ الناس كل شيء يأتيهم من الغرب يُعجبون به، أما إن جاءهم من دينهم فيتأففون، تزَمُّت، دعونا نكن أحراراً، هذا لا ينطبق على خاصة المؤمنين الواعين المتفهمين، لكن ينطبق على عامة المسلمين، كاتبة بريطانية اسمها اللادي كوك تقول: "إن الاختلاط يألفه الرجال، ولذلك طمعت المرأة فيما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط يكون كثرة أولاد الزنى، وها هنا البلاء العظيم على المرأة"... إلى أن قالت: "علموهن الابتعاد عن الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيل الكامن لهنّ بالمرصاد".

أي إذا كنت أيها الرجل ممن يُعجب بالأجانب فهذا هو رأي الأجانب المُتفهمين، يقول شهوبنهور الألماني: "قل هو الخلل العظيم في ترتيب أحوالنا الذي دعا المرأة لمشاركة الرجل في علوِّ مجده وباذخ رفعته، وسهّل لها التعالي في مطامعها الدنيئة حتى أفسدت المدنية الحديثة بقوى سلطانها ودنيء آرائها".

تذهب إلى بلاد الغرب ترى كل شيء جميل ومنظم، لكنّ الفساد العريض لا يُحتَمل، اللورد بيرون يقول: " لو تفكرت أيها المُطالِع فيما كانت عليه المرأة في عهد قدماء اليونان لوجدتها في حالة طبيعية، لكن ينبغي أن تشتغل المرأة بأعمالها التي أُنيطت بها، وأن تحتجب عن الاختلاط بالغير".

ألكسي كاريل في كتابه " الإنسان ذلك المجهول " يقول: " أفضل نظام أن يَقصُرَ الرجل طَرْفَه على زوجة واحدة".

عالِم آخر بريطاني يقول: " إن النظام الذي يقتضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية لأنه حطم هيكل المنزل، وقوّض أركان الأسرة، ومزّق الروابط الاجتماعية، فإنه يسلب الزوجة من زوجها، والأولاد من أقاربهم، إنه تسفيل لأخلاق المرأة، إن وظيفة المرأة الحقيقية هي رعاية زوجها وأولادها".

وقال دكتور آخر: " إنّ سبب الأزمات العائلية في أمريكا، وسرّ كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأُسرة فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق"، ثم قال:" إن التجارب أثبتت أن عودة المرأة إلى البيت هو الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذي يسير فيه الإنسان".

أنا لا آتيكم بهذه النصوص من علماء كبار أجانب لأنني معجب بهم، نحن معنا كتاب وسُنّة لكنّ هؤلاء الذين يرون الغرب حياة راقية جداً الغرب نفسه يئنُّ من هذا.

أحد أعضاء الكونغرس يقول: "إن المرأة تستطيع أن تخدم الدولة حقاً إذا بقيت في البيت الذي هو كيان الأسرة".

عضو آخر يقول: "إن الله عندما منح المرأة ميزة إنجاب الأولاد لم يطلب منها أن تتركهم لتعمل في الخارج، بل جعل مهمتها البقاء في المنزل لرعاية هؤلاء الأطفال".

هؤلاء الطرف الآخر الذين يُعجب بهم بعض الناس، يقول شهوبنهور الألماني: " اتركوا للمرأة حريتها المطلقة كاملة بدون رقيب ثم قابلوني بعد عام لتروا النتيجة، ولا تنسوا أنكم ستَرَثُون معي الفضيلة والعِفة والأدب".

أيها الأخوة الكرام، يمكن أن نلخص هذا: إن استقرار المرأة في بيتها والقيام بما يجب عليها من تدبيره بعد القيام بأمور دينها هو الأمر الذي يناسب طبيعتها وفطرتها وكيانها، وفيه صلاحها، وصلاح المجتمع، وصلاح الناشئة، فإن كان عندها فضل ففي الإمكان أن تعمل عملاً يناسب أنوثتها وشرعها، يمكن أن تعلم الصغار، يمكن أن تعمل عملاً يتناسب مع أنوثتها ومع طبيعتها ومع منهج الله عز وجل في وقت فراغها.

الاختلاط يميت الغيرة :

أيها الأخوة الكرام، كاتب آخر يرى أن الاختلاط يولِّد موت الغيرة، هذه الغيرة التي صرَّح بها سيدنا سعد فعجب الصحابة من غَيْرَته، قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ:

((لَوْ رَأَيْتُ رَجُلاً مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ))

[متفق عليه عَنْ سعد بن عبادة]

الاختلاط يُميت الغيرة، تجد رجلاً إلى جانبه زوجته بأبهى زينة، مرتاح تماماً، يجلس معها على الشُرفة وهي بثياب فاحشة وتجده مرتاحاً، أين غَيرَته؟

لوازم الاختلاط :

أيها الأخوة، من لوازم الاختلاط المُصافحة حيث يُسلِّم الرجال على النساء ويتصافحون ويتراحبون. قَالَتْ عَائِشَةُ:

((وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ كَفُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَّ امْرَأَةٍ قَطُّ وَكَانَ يَقُولُ لَهُنَّ إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ: قَدْ بَايَعْتُكُنَّ كَلامًا))

[متفق عليه عَنْ عائشة]

وعندما جاءت الصحابيات يُسلِّمْن على النبي صلى الله عليه وسلم فقلن له: ابسط يدك نبايعك يا رسول الله، قال: إني لا أصافح النساء. هذا حكم شرعي، وهو المعصوم المؤيد بالوحي، ماذا في الاختلاط؟ النظر المُحرَّم إلى الوجوه والأجساد وغير ذلك، والله عز وجل يقول:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

[سورة النور: ٣٠]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا))

[مسلم الترمذي أبو داود النسائي ابن ماجة أحمد الدارمي عن أبي هريرة]

وكان عليه الصلاة والسلام يفصل بينهما بصفوف الصبيان، ثم إنّ الاختلاط في البيوت، تتزاور العوائل فيما بينها، الأقرباء والجيران والأصدقاء والأحبة والمعارف، هذا ابن عمه، وهذا ابن خالته، وهذا ابن ابن عمته، وهذا عديله، وتلك العائلة جارته، هذا الاختلاط يسبب متاعب نفسية وجسمية واجتماعية وهي خطيرة على المجتمع.

أيها الأخوة الكرام، لو قرأت النصوص القرآنية المتعلقة بالمرأة والأحاديث النبوية المتعلقة بالمرأة لاستنبطت منها جميعاً أنّ الاختلاط مُحرَّم تحريماً قطعياً، وأنه لا بد من أن تحقق الأسرة وظيفتها المُثلى في الإسلام عن طريق حفظ المرأة من أن تختلط بالرجال، قد يقول قائل: إن هذا أخي، ابن عمي، قد يقول قائل: ماذا نفعل بهذه العلاقات الحميمة؟ إن الخطر يأتي منها، يقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ))

[متفق عليه عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ]

من هو الحمو؟ هو القريب، هو أخ الرجل، ابن عمه، ابن عمته، ابن خاله، ابن خالته، نسيبه وهكذا...

أيها الأخوة الكرام، هذا هو الحق، لكن قد يبدو الحق غريباً لأن الناس في معظمهم تحللوا منه، وحينما يضيع الحق لا يُلغى، الحق حق، والباطل باطل، وما أَلِفه الناس من ولائم مختلطة، ومن لقاءات مختلطة، ومن حفلات مختلطة، هذا كله خلاف الشرع، ويدفعون الثمن باهظاً، والمشكلات التي تتفجر في الأسر لا تعد ولا تحصى، كلها بسبب هذا الاختلاط.

أيها الأخوة الكرام حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنّ ملَك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيّسُ من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تحليل الأجانب فساد مجتمعهم و معرفة أسباب هذا الفساد :

أنقل لكم أيها الأخوة شيء جديد، رئيس أمريكي سابق صرّح في عام ١٩٦٢ بأن مستقبل أمريكا في خطر، بأن شبابها مائع، منحل، غارق في الشهوات، لا يقدِّر المسؤولية المُلقاة على عاتقه، وأن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة منهم غير صالحين، لأن الشهوات التي أُغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية، ونتيجة الاختلاط الكائن بين الطلاب والطالبات في المدارس والجامعات، وذكرت صحيفة لبنانية أن الطالبة في المدرسة والجامعة لا تفكر إلا بعواطفها، والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة، وإن أكثر من ستين في المئة من الطالبات سقطن في الامتحان وتعود أسباب الفشل إلى أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن، ويقول أليكسي كاريل مقولة رائعة جداً يقول: " عندما تتحرك الغريزة الجنسية لدى الإنسان تفرز نوعاً من المادة التي تتسرب من الدم إلى دماغه فتخدره فلا يعود قادراً على التفكير الصافي".

هذا الاختلاط، وهذا التفلت، وكل شيء فيه امرأة، وكل بضاعة مزينة بامرأة شبه عارية، وكل الإعلانات عن طريق المرأة، هذا ماذا يفعل بالإنسان؟ يفعل إثارة مستمرة، وقد تحدثت من قبل عن بحث أجراه بعض العلماء في بلد عربي مضى عليه أعوام طويلة كيف أنّ الإنسان حينما يُثار بمنظر امرأة مُتفلتة يجري في دمه هرمون الجنس، وهذا الهرمون إذا جرى بشكل مستمر سَبَّب آفات كبيرة جداً تزيد عن عشرين آفة، فكل ما يجري في عالَم التفلت مخالف لمنهج الله عز وجل قال: دعاة الاختلاط لا تسوقهم عقولهم إنما تسوقهم شهواتهم، هناك تقرير آخر عن جرائم الأحداث يقول: إن من أهم أسبابها الاختلاط بين الشباب من الجنسين بصورة كبيرة، وتقرر الحكمة العلمية والعملية للحديث الشريف، مما يُعدُّ إطاراً منهجياً في تحديد مجالات العلاقات الاجتماعية، وإنّ الاختلاط من أعظم آثاره تلاشي الحياء الذي يُعتبر سياجاً لصيانة وعصمة المرأة بوجه خاص، ويؤدي إلى انحرافات سلوكية تُبيح تقليد الغير تحت شعار الحضارة والتحرر، وقد ثبت من خلال فحص كثير من الجرائم الخُلُقية أنّ الاختلاط المُباح هو المسؤول عنها جميعها، وماذا يقول أنصار الاختلاط عن فضائح لا تُعد ولا تُحصى تجري بين من يختلطون وبين من يختلُون بامرأة مُحرَّمة لا يحل لهم أن يلتقوا بها؟

أيها الأخوة: هذا كله لأول مرة ولآخر مرة آتيكم به من هؤلاء الأجانب الذين يُعجب الناس بهم، هذا موقفهم من الاختلاط، وهم حلّلوا فساد مجتمعهم فأرجعوه إلى الاختلاط، ونحن على دربهم سائرون، معنا منهج، ومعنا كتاب وسُنّة، ومعنا وحي الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة – الدرس (١٣٦) :أسباب هدم البيوت٢ – خطر الغزو الفكري من الأجهزة الحديثة التلفاز.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٤-١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام:

في مثل هذه الأوقات العصيبة كنت أذكر أن على المؤمن أن يبحث عن كل إيجابي فيما يجري، فمن التوازن أن تبحث عن الإيجابيات كما تبحث عن السلبيات، لكن أحياناً في مواطن أخرى وفي موضوعات أخرى ينبغي أن تبحث عن السلبيات قبل الإيجابيات والدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى حينما ذكر الخمر قال تعالى:

﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾

[سورة البقرة: الآية ٢١٩]

فهل منافع الخمر التي ذكرها القرآن الكريم تجعل الخمر مباحاً ؟ أبداً هي محرمة بإجماع الأمة، محرمة بالنصوص القطعية، محرمة بأحاديث رسول الله الصحيحة، و مع ذلك القرآن الكريم حينما ذكر الخمر قال:

﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾

[سورة المائدة: الآية ٩٠]

و الاجتناب أشد أنواع التحريم، و تحدث عنها في آية أخرى فقال:

﴿ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾

[سورة البقرة: الآية ٢١٩]

أي أن الشيء و لو تضمن نفعاً مقابل خطر شديد فتحريمه هو الوجه الصحيح، و حينما ترى أن هناك ضعفاً عاماً عند المسلمين، و حينما ترى أن هناك إخفاقاً في تحقيق أهدافهم الشيء الطبيعي و المنطقي أن تبحث عن الخلل، أين الخلل ؟ أنت حينما لا تستطيع تحقيق أهدافك، أو حينما لا تأتي وعود الله عز وجل متوافقة مع الواقع، كم وعد إلهي ؟ وعدنا بالنصر، وعدنا بالسيطرة على الآخرين:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (١٤١)﴾

[سورة النساء: الآية ١٤١]

﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾

[سورة الروم: الآية ٤٧]

حينما لا يأتي الواقع مصدقاً لوعود الله عز وجل إذاً هناك خلل لأن زوال الكون أهون على الله من أن لا يحقق وعوده للمؤمنين، و الوعود ثابتة بآيات كثيرة تزيد عن عشر آيات، فالوعود ثابتة و الواقع لا يأتي مصدقاً لهذه الوعود، إذاً هناك مشكلة لذلك لابد أن تظهر كتب تحت عنوان أين الخلل ؟ فأنا في الدرس الماضي تحدثت عن أحد أكبر أسباب تهديم البيوت و قصرت الدرس على موضوع واحد هو دخول الحمو في غيبة الزوج و الاختلاط، و اليوم الحديث عن شيء آخر، هذا الشيء الآخر هو المصدر الثقافي لكل بيت مسلم، و كلمة ثقافة لا تعني كما تظنون، ثقافة أي مجموع أنماط السلوك و العادات و التقاليد التي يطبقها مجتمع ما، هذا التواصل الإعلامي الشديد بين الشرق والغرب له آثار خطيرة جداً أن هؤلاء الغربيين لهم عادات، لهم تقاليد، لهم تصورات، لهم معتقدات فاسدة، و يغلب على معتقداتهم إنكار الأديان، يغلب على معتقداتهم أنهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون، يغلب على معتقداتهم أن الشهوة عندهم هي كل شيء:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾

[سورة الجاثية: الآية ٢٣]

أي مجتمع لا يؤمن بالآخرة إطلاقاً بنص القرآن الكريم و مجتمع لا يؤمن إلا بالشهوة حصراً بنص القرآن الكريم:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾

[سورة الجاثية: الآية ٢٣]

فمجتمع عقيدته إنكار الأديان و سلوكه تفلت من أي منهج سماوي، هذا المجتمع تُنقل إلينا حياته بأدق تفصيلاتها من خلال الأفلام، العلاقة الزوجية، سلوك الزوج، سلوك الزوجة، تبرج المرأة، تفلت الرجل، يوجد موضوعات في الأسرة الأوربية و الغربية كثيرة جداً هذه تنقل إلينا عبر هذه الشاشة الصغيرة، فلذلك حينما يصبح هذا الجهاز المصدر الثقافي الوحيد لأفراد الأسرة، للأمة، للزوجة، للبنت، للشابة، للشاب مصدره الوحيد، هو وعاء الإنسان و يغذى من هذا المشرب فشيء طبيعي جداً أن تجد ميلاً إلى الشهوات، أن تجد أن الفوز عند هؤلاء الذين يغذون من هذه الأجهزة هو في نيل المال فقط، و الفوز لا في البطولات و لا في التضحيات و لا في إقامة منهج الله عز وجل إنما الفوز بالشهوات، أي من الطُرف في بعض البلاد العربية أن طالب الطب له أربعة أهداف كبرى متمثلة بأربع عينات ــ أي حرف عين ــ هدفه عيادة و عربية و عروس و عيان

أي مريض، الأهداف تصبح المادة فقط مال، بيت فقط، امرأة، تمتع بالحياة، هذه أهداف الناس الآن، من أين جاءت هذه الأهداف ؟ يوجد تغذيتين: يوجد تغذية ضعيفة يتلقاها الطالب في الأسبوع يتلقى درساً أو درسين، و يتلقى كل يوم ساعات طوالاً، التلقي قد يكون غير مباشر أي أنا ليس شرطاً ان ألقي عليك محاضرة، أنا قد أعرض عليك مشهداً محبباً فيه خرق لمنهج الله، قد أعرض عليك مشهداً محبباً فيه جرح لعقيدة المسلم، فأنت حينما ترى جيلاً ضائعاً، ترى جيلاً شهوانياً، ترى جيلاً متفلتاً و سألت عن السبب هذه التغذية تؤدي إلى هذه النتيجة، تماماً كهذا الوعاء الذي نضع فيه الماء، الشيء الذي نضعه في هذا الوعاء نأخذه من صنبوره و الشيء الذي نربي به أولادنا ساعات طويلة كل يوم نستقيه من كلامهم و من تصرفاتهم، هذا الذي يعرض هل ينضبط بمنهج الله ؟ هذا الذي يعرض هل يتوافق مع الأمر و النهي الذي في القرآن الكريم ؟ هذا الذي يعرض هل يتوافق مع القيم التي جاء بها الإسلام ؟ أبداً، قيم أخرى و عقيدة أخرى و منهج آخر، فالشيء الطبيعي أن ترى هوة كبيرة بين الأب و أولاده و بين الأم و أولادها، أو بين الأم و بناتها، هذه الهوة بسبب هذه التغذية، فكما أن الاختلاط أحد أكبر أسباب تهديم البيوت كذلك هذا الذي يتصدر كل بيت و تتعلق به عيون كل أفراد الأسرة و يمضون أوقاتاً لا حدود لها إلى ما بعد منتصف الليل يتابعون ما فيها، هذه ثقافات أمم أخرى، هذه ثقافات أمم لا تعرف الله أبداً، ثقافات أمم لا تؤمن بالآخرة، الدنيا هي كل شيء، هذه ثقافات أمم ليس في حياتها منهج مقدس، منهجها تحقيق النمو الاقتصادي فقط، منهجها بلوغ أعلى درجة من التنمية، لذلك يوجد مشكلة نعانيها في أجيالنا ضعف عقيدتهم، ضعف انتمائهم لأمتهم، انغماسهم في شهوات محرمة في الأصل في قرآننا و في سنة نبينا، فأردت من هذا الدرس أن أضع بين أيديكم مخاطر هذه الأجهزة التي تتصدر كل البيوت و تنعقد عليها عيون أهل البيت و يمضون أوقاتاً طويلة وراءها و هم ينسون أنهم يهدمون بيوتهم بأيديهم، أي أمة أعزها الله بالإسلام، أمة لها تاريخ مشرف، أمة معها منهج الله عز وجل، أمة معها وحي بين أيديها كما نزل، هذه الأمة لماذا أجيالها هكذا ؟ هناك خلل، لعل أخطر شيء ـ دقق ـ في ثقافات الأمم و إذا قلت ثقافات الأمم أعني بها أنماط السلوك عند هؤلاء الأمم، فلان مثقف معه دكتوراه ليس هذا هو المعنى، كلمة ثقافة تعني أنماط السلوك، العادات، و التقاليد، أساليب الحياة، أنماط الزواج، أنماط العلاقات الاجتماعية، ثقافات الأمم أي عاداتها و تقاليدها، هذه كلها تنتقل إلينا عبر هذه الأطباق تنتقل و تعرض، فلذلك أردت في هذا الدرس أن أبين الأخطار الكبيرة التي تعمل على هدم البيوت عقائدياً.

بادئ ذي بدء المسلم يحمل عقيدة دقيقة جداً و صحيحة جداً عن فلسفة الوجود و عن فلسفة الحياة و عن فلسفة الإنسان، فلسفة الوجود فيما يعرض على أجيالنا الصاعدة أن هذا الكون لا يحتاج إلى إله إنما هو تطور ذاتي، ويكفي أن يقرأ أبناؤنا في المدارس و أن يرون في كل حلقة علمية أن الإنسان كان أصله قرداً و أنه تطور و أن نظرية التطور هي النظرية التي تفسر وجود الكون، إذاً هذا شيء يتناقض مع ما في القرآن الكريم، إذاً خطر كبير جداً أن يعتقد الإنسان شيئاً مناقضاً لما في الوحي، لما في القرآن الكريم، فحينما تعرض موضوعات علمية هذه تعرض على أنها ظواهر حيوية بيولوجية، ظواهر فيزيائية كيميائية، ظواهر جيولوجية، أما أن تستمع لكلمة حق أن لهذا الكون إلهاً عظيماً، أن هذا الكون من إبداع الله، أن هذا الكون من خلق الله، نحن درسنا في التعليم الثانوي أن هذا الطفل حينما يولد خلق الله في قلبه ثقباً بين الأذنين الذي كشف هذا الثقب عالم اسمه بوتان، فالطفل في بطن أمه ليس فيه هواء و رئتاه معطلتان لأن دمه يتجدد عن طريق دم أمه، أما حينما يولد ينبغي أن يستنشق الهواء و أن تعمل رئتاه على تصفية الدم، إذاً هذا الثقب لابد من أن يغلق هكذا قال لنا أستاذنا حينما كنا في التعليم الثانوي، قال تأتي جلطة و تسد هذا الثقب، هل يعقل أن تأتي جلطة من عند ذاتها كي تغلق هذا الثقب ؟ و لو لم يغلق لأصبحت حياة هذا الطفل الوليد مستحيلة، أي يد الإله العظيم هي التي ساقت لهذا المولود الصغير هذه الجلطة حتى أغلقت هذا الثقب فانتقلت الدورة إلى الرئتين و تجدد الدم و انتعش الطفل، لي صديق لا يزال حياً يرزق عنده بنت صغيرة قال لي هذه معها داء الزرق أي الثقب لم يغلق و كل عشرة آلاف حالة ولادة تبقى حالة الثقب مفتوح لا تعيش فوق العشر سنوات، أذكر مرة أنها صعدت عشر درجات بربع ساعة لا يوجد قوة دمها أزرق أي دورة الرئتين معطلة لوجود ثقب الدم يختار الطريق الأسرع الأقرب، فكل حياة الإنسان تغدو مستحيلة لو أن هذا الثقب بقي مفتوحاً، الطرح العلمي طرح بعيد عن وجود الله، بعيد عن حكمة الله، بعيد عن رحمة الله، بعيد عن تقدير الله، بعيد عن لطف الله، فلذلك إذا الإنسان ترك أولاده يستقون ثقافتهم مما يعرض لاشيء يعرض يدل على الله إلا حالات قليلة جداً و نادرة أي الاستثناء ليس له حكم، أنا آخذ الخط العريض، آخذ ما يسمى بالأعم الأغلب، فلذلك يكفي أن تتوهم من خلال عرض أن هذا الكون خلق من تلقاء ذاته و أن الإنسان كان أصله قرداً و أنا و الله أحياناً في ساعات الألم أصدق هذه النظيرة معكوسة أنه كان إنساناً فصار قرداً، صار حيواناً، صار وحشاً، و الذي نراه اليوم أي لا يكذب هذه المقولة بل يصدقها، كيف أن الإنسان يمسخ إلى قرد ؟ كائن شهواني فقط لا يعنيه إلا الطعام و الشراب و الجنس فقط، فلعل أكبر شيء خطير فيما يعرض هو إفساد عقائد شباب المسلمين أنا أقول في

الأعم الأغلب ليكون الدرس واقعي و موضوعي، أما الآن أي موسوعة علمية اشتريها مترجمة نظام الموسوعة أن الكون، أن الإنسان بدأ إنساناً متوحشاً، العصر الحجري عصر النبات، هذه المراحل الجيولوجية، هذه خلاف القرآن الكريم، و هذه النظرية نظرية داروين الآن ثبت بطلانها لكن ترويج هذه النظرية لغاية في نفس يعقوب، لماذا تروج ؟ الإنسان كيف يستطيع أن يمارس كل الشهوات ؟ حينما يعتقد أنه لا إله، إذا اعتقد أنه لا إله من السهل أن يفعل كل شيء، فالعقيدة التي تغطي انحرافاً كاملاً هي عقيدة إنكار الأديان، قد يقول أحدنا أمعقول ؟ لا تنظر إلى ما يقوله الناس انظر إلى ما يفعلونه هل تجد في فعل معظم الناس في القارات الخمس ما يؤكد إيمانهم بالله ؟ هل تجد في أفعالهم ما يؤكد خوفهم من الله ؟ هل تجد في أنماط سلوكهم ما يؤكد إيمانهم بالآخرة ؟ لا و الله، العبرة ليس هذا التكذيب اللفظي، أنا ذكرت سابقاً و أعيد لو أنك زرت طبيباً كي تعالج نفسك عنده و في أثناء المعالجة وجدته غير مؤهل كي يعالجك و أنت لطيف و لبق، انتهى من معالجته نقدته الأجرة و شكرته و ابتسمت في وجهه و لم تشتر الدواء الذي وصفه لك لأنك لست قانعاً به، أنت باللسان ما كذبته أنت باللسان احترمته لكن لعدم شراء الدواء الذي وصفه لك أنت كذبت علمه، فالتكذيب العملي أبلغ من التكذيب القولي، فأنت حينما ترى معظم الناس يأكل مالاً حراماً هل تظن أن هذا الإنسان يعتقد بالآخرة ؟ مستحيل، حينما ترى إنساناً يفعل شيئاً محرماً هل تعتقد أن هذا الإنسان مؤمن بالآخرة ؟ فالعبرة لا ما يقوله الإنسان ما يفعله، فعل الناس لا يؤكد إيمانهم بالدار الآخرة، عدم إيمانه باليوم الآخر هو سبب تفلته من منهج الله عز وجل.

أيها الإخوة:

فأخطر شيء أن تستقي عقيدة من صور و من مشاهد و من أنماط سلوك هذه العقيدة أو من موضوع علمي تتناقض من منهج الله و مع وحي الله و مع قرآن الله عز وجل، أنت حينما تعجب بشخصيات لا تؤمن بالله عز وجل الإعجاب بهؤلاء الشخصيات حجاب بينك و بين الحق، من هوي الكفرة حشر معهم و لا ينفعه عمله شيئاً أي أنا حينما ترى المسلمين في عصورهم المزدهرة يعجبون بأصحاب رسول الله، بهؤلاء الأبطال الأعفة المطهرين، لكن حينما تعيش مع شاب معاصر ما الذي يعجبه ؟ لاعب الكرة الفلاني، أحياناً الممثل الفلاني، فالمثل العليا عند أجيال المسلمين السابقة غير المثل العليا عند الأجيال اللاحقة يوجد فرق كبير جداً، فالأول شيء العقيدة قد تكون غير صحيحة، عقيدة دنيوية محضة، عقيدة تؤمن بالإنسان و بشهوات الإنسان و بحريته

في أن يفعل ما يشاء و قد تعطيك نماذج هي عند الله غير مقبولة، هي عند الله هالكة هذه النماذج تكون في أعلى عليين عند من ؟ عند من يستقي ثقافته من هذه الأجهزة.

و أيضاً مثل هذه الأجهزة تثير الشهوات و هذه الخلافات تعمق الخلافات الزوجية، أي الزوج ينصرف إلى غير زوجته، و الزوجة تنصرف إلى غير زوجها، أي يوجد شيء غير طبيعي أن هناك نماذج نادرة تعرض دائماً و هذه النماذج لو أن الإنسان وازن بينها و بين ما عنده زوجاً أو زوجة لو كان البون شاسع جداً هذا وحده يكفي لإعراض نفس الزوج عن زوجته و إعراض نفس الزوجة عن زوجها، إذاً يوجد أخطار ناتجة من إثارة الشهوات، تعظيم أشخاص عقيدتهم فاسدة، سلوكهم غير منضبط ثم إثارة الشهوات التي ينبغي ألا تثار إلا وفق منهج الله عز وجل، الآية:

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٧٤)﴾

[سورة المؤمنون: الآية ٧٤]

الإنسان إن لم يؤمن بالآخرة لابد من أن يبتعد عن منهج الله عز وجل، إذاً عقائدياً قد تفسد عقائد هؤلاء الذين يستقون ثقافتهم من هذه الأعمال التي يشاهدونها و أخلاقياً قد تفسد أخلاقهم من هذه الشهوات التي تثار في هذه الأجهزة، و التاريخ الإسلامي أحياناً تطمس معالمه، قد يشوه، أي هناك الكثير من الأعمال التاريخية التي تشوه حقيقة التاريخ الإسلامي، إذاً كمصدر ثقافي غير منضبط لا يتوافق مع منهج الله و لا مع سنة رسول الله هناك خطر كبير، لذلك النبي عليه الصلاة و السلام قال:

((الزموا أولادكم))

الأب الصالح، الأب الحريص على إيمان أولاده دائماً يراقب المصادر الثقافية التي تغذي ابنه، لا يوجد سلوك إلا أساسه تلقي، هذا الابن من أين يتلقى ؟ أحياناً قصة تفسد حياة الإنسان، و أحياناً صديق متفلت يفسد أخلاق ابنك، إذاً الأب الكامل، الأب المسلم حريص على تغذية ابنه بمبادئ الدين، و قيم الدين، و منهج الله عز وجل، ذكرت مرة أن أحد الأشخاص روى قصة رمزية أعجبتني هذه القصة أنه استقبل ضيفاً وضعه في صدر المنزل و عظمه و بجله و بدأ يستمع له هو و أهله و يصغي له هو و أهله، هذا صاحب البيت بعد حين وجد أن أولاده بدؤوا ينصرفون عنه، كان إذا دخل إلى البيت دخوله عيد، بعد حين هم مقبلون على هذا الضيف الذي تصدر المجلس و هو يحدثهم ويريهم بعض المناظر، و الأب يأتي و يخرج و كأنه ما دخل و لا خرج، ثم اكتشف الأب أن مهمته الوحيدة أن يعمل عملاً شاقاً و يأتيهم بالطعام و انتهى دوره، هم

متعلقون بهذا الضيف الذي تصدر المجلس و تصدر البيت و بدأ يعطي كل ما عنده لأفراد الأسرة عندئذ ضجر صاحب البيت و قال أخرجوا هذا الوحش، أي أنا لا أحب أن أكون مبالغاً لكن أقول لكم هناك خطر كبير جداً جداً جداً من وجود مصدر ثقافي يغذي أفراد الأسرة بعقيدة غير صحيحة و بقيم غير صحيحة و بأنماط سلوك غير صحيحة و هذه تنعكس على أفراد الأسرة سلوكاً منحرفاً، لذلك طوبي لمن وسعته السنة و لن تستهوه البدعة.

بيت يذكر الله فيه و بيت لا يذكر الله فيه كالحي و الميت، كيف الإنسان الحي يعجبك حديثه و يبهرك منظره و تأنس بالقرب منه، و الإنسان الميت تخاف منه، فبيت ميت لا يذكر الله فيه بل بيت فيه ما يناقض منهج الله عز وجل هذا بيت فيه خطر شديد و هو كالقبر فلذلك ما ذكر الله الأمر بالذكر إلا جاء الذكر مقيداً بالكثير:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (٤١)﴾

[سورة الأحزاب: الآية ٤١]

﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾

[سورة الأحزاب: الآية ٣٥]

ذلك أن المنافق لا يذكر الله إلا قليلاً، المنافق يذكر الله ذكراً قليلاً بينما المؤمن يذكر الله ذكراً كثيراً و قد برأ من النفاق من أكثر من ذِكر الله، فنحن حينما نربي أبناءنا على ذكر الله و إقام الصلاة.

إخوانا الكرام:

يمكن أن تصلي الفرض في المسجد و ينبغي و الأولى أن تصلي السنة في البيت لئلا يكون البيت قبراً، ليكون البيت موصولاً بالله عز وجل، يوجد بيت كأنه مسجد أفراد البيت يتلون كتاب الله، يتذاكرون آيات القرآن الكريم و يوجد بيت لا يوجد فيه ذكر إلا للأفلام، أي ذكر لهؤلاء الذين تصدروا المجالس في الحديث عنهم و هم ليسوا أهلاً لذلك.

أرجو الله سبحانه و تعالى أن أوفق في توضيح الفكرة.

لا كل عقيدة تقرؤها بكتاب، أحياناً تقتنع بفكرة استنبطتها من قصة، سيدنا يوسف هذه القصة الطويلة في القرآن بعد أن تقرأها ماذا تستفيد ؟ ما هي العقيدة التي تستقيها من هذه القصة ؟

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١)﴾

[سورة يوسف: الآية ٢١]

الآية الكريمة:

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)﴾
[سورة يوسف: الآية ٤]

معنى ذلك أن هذا الطفل الذي رأى رؤيا أن أمه و أباه و إخوته جميعاً سوف يخضعون له في مستقبل أيامه و كيف أن إخوته أرادوا به كيداً كيف أن إخوته وضعوه في الجب، إذاً قصة تقرؤها فتستنبط منها حقيقة، إذاً ما كل عقيدة تستنبط من كتاب العقيدة، ما كل عقيدة تستنبط من كتاب ديني، قد تستنبط آلاف التصورات العقدية غير الصحيحة من قصة تقرأها أو تشاهدها معنى هذا أنه في خطر على عقيدة المشاهد أحياناً من أن تتسرب إلى عقيدته شعور أن هذا الكون هكذا توالد ذاتياً كان يعزى إلى الطبيعة أو أن تتصور أن هذا السلوك لا شيء عليه سلوك إباحي أو سلوك فيه مجون لا شيء عليه شائع والعلماء تنبهوا إلى هذه الناحية سموها بلوى عامة، الشيء المحرم يقيناً في القرآن الكريم من كثرة ما يشاهده الأبناء في هذه الأجهزة كأنه شيء طبيعي صار، هبط مستوى الانضباط.

والله لو أردت أن أسمي الأشياء بأسمائها وأن أصل إلى أدق ما في الإنسان لوجدتم أن بناء الإنسان يختلف اختلافاً جذرياً حينما تغذي ابنك تغذيةً من هؤلاء الذين يجرون هذه البرامج وبين أن تغذيه تغذيةً إسلاميةً صحيحة.

إخوانا الكرام:

يسأل أخ هل ناسخة السيديات حرام مع العلم أنني لا أنسخ إلا البرامج الدينية والعلمية ؟ الشيء الثابت أن أية أداة كالسكين، اقتناء السكين حرام ؟ لو أن إنساناً ذبح بها طفلاً السكين تستخدم آلاف الاستخدامات المباحة ولها استخدامات أخرى قد تكون مؤذيةً، الأشياء التي تستخدم على أشكال متعددة حرمتها في استخدامها المحرم، فحينما تنسخ أقراصاً دينية لا شيء في ذلك، أما إذا استخدمت هذه الناسخة في غيبة صاحبها في نسخ أقراص أخرى فيها حرمة لا شي تحتاج إلى ضبط.

هذا يقودني الآن إلى فكرة خطيرة جداً وهي أن الضبط من الخارج أصبح مستحيلاً لابد من ضبط من الداخل يعني كل شيء يدعو إلى المعصية أينما ذهبت فبقي الإنسان حينما يربي أبناءه على الانضباط الذاتي هذه الضمانة الوحيدة أما الشيء العام كل شيء يمكن أن يستخدم استخداماً

خطيراً فهذه ننسخ بها أقراص إسلامية لا يوجد مانع لكن لو غفلت فاستخدمت في غيبتك لنسخ أقراص غير صحيحة غير جيدة فصاحبها صار آثماً إذاً لابد من ضبطها، لابد من ضبطها ضبطاً محكماً كي تغدو في خدمة الدعوة.

يبدو أن هذا طفل صغير جزاه الله خيراً يقول أنا في مدرسة ومعلمتنا ليست محجبة فهل يجوز النظر إليها ؟

والله مرة حدثني أخ قال لي: يوجد مدرسة غير منضبطة إطلاقاً فدخلت إلى مدير إعدادية قالت له: فلان ــ ذكرت اسم طالب ــ هو ظنها تشتكي على طالب فقال لها: أفصله فوراً، فقالت له: لا إنه الأولي عندي، أول طالب عندي لكن لا ينظر إلي، فقال لها: هذا طالب له شيخ هو يؤدبه، أي قد تجد في الأطفال ورعاً يلفت النظر، حدثني أخ قال لي: أنا خطيب مسجد في الشام مرة استيقظنا متأخرين و الدنيا شتاء فهيأت الأم شطائر للطعام و قال لابنه: كلها في الطريق هذه، قال له: يا أبت قال عليه الصلاة والسلام: الأكل في الطريق دناءة، أي لا يوجد شيء أجمل من طفل نشأ في طاعة الله، و دائماً الطفل و هو صغير يشكل كما تريد، أي الطفل مادة خام كالعجينة تماماً تشكلها كما تريد، فهؤلاء الآباء الذين يدعون تشكيل أولادهم بهذه الأجهزة قد يتعلم الرقص، قد يتعلم مثلاً شيء فوق الرقص، قد يتعلم سلوكاً مستهجناً عند المسلمين، من أين تعلمه ؟ بالمناسبة مشاهد العنف لها آثار كبيرة جداً، مشاهد العنف أحياناً، مشاهد القتل تترك آثاراً خطيرة جداً في نفس الطفل الصغير فلذلك انتبهوا هذا مصدر ثقافي فقد يعلم العنف، قد يعلم الانحراف، قد يعلم الشذوذ، قد يعلم كل سلوك شائن لا يرضي الله عز وجل.

يقول أنا طالب في المدرسة، إذا طفل صغير جداً ذهب إلى الحج هل يقبل حجه ؟

طبعاً النبي عليه الصلاة و السلام علمنا كيف نربي أبناءنا، يوجد عندنا أحكام شرعية تأديبية و أحكام شرعية تكليفية، إذا ابنك عمره سبع سنوات تأمره بالصلاة و في العشر سنوات تضربه على تركها مع أنه مكلف بالصلاة بالثالثة عشر، مستحيل طفل فجأة يصلي لابد من أن يدرب على الصلاة في سن مبكرة، مستحيل طفل فجأة يصوم يصوم يوم نعم يوم لا، بعد ذلك يوم للظهر، يوم يفطر تسامحه، يوم يصوم تكافؤه، حتى يصبح بسن الثالثة عشر فيصبح الصيام عنده تكليف رسمي، فهذه الأوامر يسموها أوامر تأديبية لا أوامر تشريعية، فكل شخص عنده ابن لو أنه عندك ابنة صغيرة جداً و كان ثيابها سابغة أنت تؤدبها بآداب الإسلام قبل أن تؤمر بارتداء الحجاب،

أنت تؤدبها بآداب الإسلام، هذه النقطة دقيقة جداً، لو لم تكن هذه البنت مكلفة أن تتحجب ينبغي أن يكون ثوبها سابغاً أي كثير يوجد أمهات مسلمات محجبات ابنتها صغيرة أي عمرها أربع سنوات تلبسها ثياباً فاضحة أن هذه بنتاً صغيرة هذه البنت الصغيرة حينما ترتدي هذه الثياب و حينما يبدو معظم جسمها تظن أن هذا هو الصح فإذا كبرت تألف ما ألفت، لذلك ينبغي أن تؤدب فتياتنا بآداب الإسلام، و ينبغي أن يؤدب أبناؤنا الصغار بآداب الإسلام، و الله أنا في الحج حينما أشاهد طفلاً صغيراً يلبس ثياب الإحرام منظر رائع جداً، طفل يطوف، طفل يُقبل الحجر، شيء جميل جداً، و حينما يأتي الأب مع ابنه إلى المسجد أيضاً شيء جميل جداً، يجب أن يكون ابنك معك في المسجد، أنا و الله ممن يشجع وجود الأبناء و لكن طبعاً مع ضبطهم و ليس مع تفلتتهم، فالزموا أولادكم.

هذه نشرة سكان العالم ست مليارات و نصف، تعداد المسلمين مليار و ثلاثمائة مليون، المدخنين في العالم مليار و خمسة عشر مليوناً، أكبر نسبة مدخنين في المسلمين، وأرباح شركات التدخين أرباح فلكية تفوق حد الخيال، ماذا نفعل ؟ اترك الدخان هذا الشيء الذي يجب أن تفعله، وفر هذه النفقة لمؤمن، وفر هذه النفقة لأسرتك، فيوجد أرقام خيالية، نحن في بلدنا أربعمائة مليون ثمن الدخان اليومي، ثمن الدخان الذي يباع في قطرنا أربعمائة مليون كل يوم، بالعام كم مليون ؟ هذا من ثمن طعامنا و شرابنا، و من ثمن أجهزتنا و بيوتنا، و يقتطع من نفقات تربية أولادنا، و نفقات تزويج أبنائنا.

سؤال عام: ما رأيك بحرية المسلم ؟ و متى تبدأ و متى تنتهي ؟ و ما هي الحرية التي إذا طبقها المسلم لا يرتكب بها ذنباً ؟

هذا كلام عام لا معنى له إطلاقاً، المسلم معه منهج إذا طبقه ملزم بهذا المنهج، فالذي سمح الله به سمح الله به، أنت حر فيه، و الذي لم يسمح الله به لم يسمح الله به فأنت مقيد بمنهج الله عز وجل، يرسموا صورة توضيحية كفرس مثلاً مربوط، الحبل طوله خمسين متراً إذاً الفرس معه حرية حركة دائرة قطرها مائة متر أما يوجد حدود ينتهي عندها، فأنا قال لي الله:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾

[سورة الأعراف: الآية ٣١]

هذه منهج، أستطيع أن آكل و أشرب و لكن بدون إسراف أو دون افتخار و مخيلة:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾

[سورة المؤمنون]

بكسب المال مسموح المال من التجارة أو من الإرث أو من الهبة أو من راتب تأخذه مقابل خدمة تؤديها، إما خدمات مأجورة أو تجارة أو زراعة أو صناعة أو إرث أو هبة، يانصيب لا يوجد، فائدة ربوية لا يوجد، سرقة لا يوجد، احتيال لا يوجد، تدليس لا يوجد، فبكل موضوع يوجد أشياء مباحة و يوجد أشياء محرمة، واضحة بكسب المال، بالعلاقة بالنساء، النزهة مسموحة لكن لا يوجد اختلاط، نزهة بمكان عام، أغاني، ونساء كاسيات عاريات هذه ممنوعة كمسلم أنت، احتفال مسموح و لكن لا يوجد احتفال مختلط، عرس مختلط يدخل العريس و يجلس أمام نساء كاسيات عاريات لا يصح، فالسؤال مبهم في كل مجال، مجال النساء، مجال الطعام و الشراب، مجال النشاط الاجتماعي، مجال السفر يوجد منهج دقيق، لذلك هذا الذي يتوهم أن الإسلام عبارة عن صوم و صلاة و حج و زكاة واهم جداً، و الله لا أبالغ الإسلام قريب من خمسمائة ألف بند، إذا تقرأ الفقه بكسب مالك بحركاتك، بنشاطاتك، بتربية أولادك، بعلاقتك بزوجتك، بخروجك، بغض بصرك، بكلامك، بحديثك، يوجد سبعة عشر آفة للسان، هذه غيبة، هذه نميمة، هذه بهتان، هذه كذب، هذه استهزاء، هذه سخرية طبعاً بالبيع و الشراء يوجد مليون حالة فيها حرمة، هذه فيها تدليس، هذه فيها كذب، هذه فيها غش، هذه فيها تحميل شيء لا يحمله هذا الشيء المشترك، فما الحرية ؟ أنا لا يوجد عبارة أعبر فيها عن شعوري تجاه شخص غير منضبط غير أنه دابة فلتانة، هذه حرية شخص دابة فلتانة، يأكل ما يشاء، يتكلم ما يشاء، يفعل ما يشاء، يطلق بصره إلى من يشاء، دابة فلتانة، الإسلام كله انضباط في الكلام و في السلوك، عند الأجانب يقول لك تنتهي حريتك حينما تبدأ حرية الآخرين هذا كلام مطاط، أي أنت اسمع أغاني كما تريد و لكن لا ترفع صوت المذياع بحيث لا تزعج جارك هذه هي، فممكن أن تفعل المعاصي كلها بتعريف الغرب للحرية و لكن لا تؤذي شعور إنسان آخر، أي كنت أرى أشياء في العالم الغربي أي صحن فضاء واضعه شخص طبيب و صانع له زينة غير معقولة أي قماش و مزخرف و أقواس ما هذا ؟ قال لي: جاري اشتكى عليّ منظر الصحن مؤذي إلى شعوره فيجب أن أزين له إياه، اصعد و انظر عندنا إلى قاسيون ماذا بها، أما امرأة تسير شبه عارية هذا غير مؤذي، فكلام الغرب مضحك جداً تنتهي حريتك حينما تبدأ حرية الآخرين، نحن تنتهي حريتنا حينما يأتي النص المحرِم و تبدأ حريتنا حينما يبيح الله لنا شيء، المباح مباح و المحرم محرم هذا الانضباط.

يوجد شيء بالأجهزة بالبيوت تعلم التلقي، الإنسان منفعل و فاعل فإذا كان دائماً يتسمع أولاً ضاع وقت طويل و تلقي، أي لي تعبير لطيف أحياناً عمل ثلاث ساعات يوجد معلقة عسل مخلوطة بقنطار صبر، يوجد فائدة، يوجد موعظة، هذه الموعظة ملعقة عسل مذابة بقنطار صبر كي تدخل هذه المعلقة إلى جوفك يجب أن تشرب قنطار الصبر معها، أي تجد قصة طويلة عريضة ملخصها كلمتين و يوجد بها مشاهد و بها مواقف، مرة كاتب قال: أنه يجوز للأديب أن يصور الرذيلة على نحو نكرهها، أما إذا صورها على نحو نحبها فإن مجتمعاً بأكمله ينهدم بهذا العمل الأدبي، كلام دقيق، أنت ممكن أن تصور إنساناً انحرف فدخل السجن و انتهت حياته، أما حين يدخل السجن أطلعتنا على مشهد رائع بحياته و شيء مغر أنت لم تصور الرذيلة على نحو نكرهها، صورتها على نحو نحبها فأنت أكبر مهدم بالمجتمع، إذا صور الأديب الرذيلة كقصة قبل أن تنقلب إلى عمل إذا صورها كقصة على نحو نكرهها جيد، أما إذا صورها على نحو نحبها فإن مجتمعاً بأكمله يمكن أن ينهار من خلال هذا الأدب.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة – الدرس (١٣٧) :أسباب هدم البيوت٣ – الأثر السلبي للشاشة والتصوير والهاتف.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٤-٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون: بدأت قبل درسين في موضوع اجتماعي ديني كبير هو عوامل هدم البيوت، وحينما أقول هدم البيوت لا أقصد مشكلة تنشأ بين الزوجين، فما من بيت في العالم إلا وفيه مشكلات تنشأ بين الزوجين، لكن في حدها المعقول مقبولة، لكن حينما أقول هدم البيوت يعني انحراف خطير في الزوجة أو في البنت الأمر الذي يوجب الطلاق أحياناً، والأمر الذي يوجب انهيار البيت.

الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى وصف أهل الدنيا:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً (٢٨)﴾

(سورة الكهف)

ومن خلال محورين، المحور الأول الواقع المؤلم الذي يعيشه المسلمون، ومن خلال المنهيات الشرعية، أما الشيء الذي لا يصدق ذاك التوافق العجيب بين كل مشكلة خطيرة تهد البيت وتدمره، وربط هذه المشكلة بالنهي الشرعي.

مرة زرت مدير سجون القطر أهداني كتاباً فجاء بثلاث وستين جريمة كل أصحاب الجرائم عنده في السجن، ومع كل جريمة علق تعليقاً قانونياً لماذا حكم على هذا المجرم بسنوات عشر أو بثلاثين عام، لكن أجمل ما في الكتاب بعد التعليق القانوني هناك تعليق شرعي، ما المخالفة الشرعية التي استوجبت وقوع هذه الجريمة ؟

ومرة ثانية أؤكد لكم أن كل الأخوة الكرام الذي يعملون في حقل الدعوة بحكم أنهم عند معظم الناس مرجع لأسئلة كثيرة، فيتجمع لدى الداعية كم كبير من المشكلات لا يتاح لواحد من الأخوة المؤمنين أن يتجمع لديه، مهما تكن القضية نادرة هناك عشرات القصص والمآسي والبيوت المنهارة، كلها بسبب مخالفات نهى الشارع الحكيم عنها.

الإنسان أحياناً قد لا يقيم قيمة كبيرة لهذا النهي الشرعي، ثم يفاجأ أن مشكلة كبيرة جداً هدمت البيت بسبب دخول شخص إلى البيت نهى الشرع أن يدخله.

فكما تذكرون في الدرس الأول بينت أن الحمو الموت، والدرس ليس مجالاً لحديث قصص كثيرة، والله عندي من قصص الانحرافات الخطيرة التي أدت إلى خيانة وطلاق وانهيار أسرة بسبب دخول الحمو البيت، النبي قال: الحمو الموت، فالتشدد عند رب الأسرة المؤمن لا يمكن أن يسمى تشدداً، هذا التشدد هو ضمان لسلامة هذه الأسرة، وأقول دائماً لكم لوحة حقل ألغام لا يمكن أن تكره واضعها، بل لابد أن تشكره لأن هذه اللوحة لا يمكن أن تكون حداً لحريتك، بل هي ضمان لسلامتك، فمن خلال كم المشكلات الكبير جداً الذي تعانيه أسر المسلمين، وكل داعية شاء أم أبى عنده كم كبير جداً، وكأنه يعيش الواقع بكل جزئياته وتفاصيله بحكم اتصالات هاتفية ورسائل ولقاءات وأسئلة وفتاوى، فعند الداعية صورة ليست مشرقة للمجتمع الإسلامي، لكن هذه الصورة قاتمة سببها أن منهج الله ليس مطبقاً في حياتنا، وكنت أقول دائماً أنك حينما تنطلق من حبك لوجودك ولسلامة وجودك وكماله واستمراره تطبق الشرع.

وكنت أقول دائماً وهذه أسس كبيرة: لا يمكن أن يكون في الإسلام حرمان ولكن فيه تنظيم، لأنه ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها.

صدقوا أيها الأخوة: أن أسراً أنا لا أقول جرائم وقعت هناك جرائم وقعت لو سألتم المراجع المعنية يعطونكم عشرات بل مئات من الجرائم التي وقعت في بيوتات المسلمين بسبب دخول الحمو، طبعاً الدخول فيه خلوة، والخلوة تنتهي بالخيانة، وتنتهي إما بجريمة أو طلاق، والأولاد يشردون!

فإذا تشدد الزوج المؤمن ليس أمره فرطاً، أمره منضبط، المؤمن تضبطه منظومة قيم، ويتساهل في مليون موضوع إلا في المنهيات الشرعية لا يتساهل أبداً، يوجد منظومة قيم ومنظومة أوامر ونواهي هذه ثوابت ليست خاضعة للمناقشة.

مشكلة الناس حينما فهموا الدين صلاة وصيام وحج وزكاة ولم يفهموه قواعد اجتماعية منضبطة فهذا البيت بيت المسلم من أجل أن يبقى بيتاً عزيزاً ومتماسكاً وفيه المودة والرحمة وفيه الحب والتربية والاتصال بالله، كالحي والميت، بيت يذكر فيه اسم الله....ونحن في درس سابق تحدثنا عن دخول من لا يسمح له الشرع أن يدخل إلى البيت في غيبة الزوج، وتحدثنا عن الاختلاط، لو كنت باحث اجتماعي وأخذت ملفات المشكلات من المحاكم الشرعية أو من مخافر الشرطة أو من مكاتب الأمن الجنائي لذهلت أنه مامن مشكلة على وجه الأرض إلا بسبب خروج عن منهج الله، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب جهل بهذا المنهج، فالأصل أن تعلم منهج الله.

الدرس الثاني تحدثت فيه عن الشاشة، لا أستطيع أن أعطي أمر لكن أقول لك المخاطر وأنت افعل ما تشاء، إذا في ضبط نعمة كبيرة، أما مادة متفجرة وقربت منها ناراً فالتفجير حاصل لا محالة، هذا كلام من بديهيات الحياة، الله عز وجل أودع في الإنسان هذه الطاقة، وهذه الطاقة لا تتحرك إلا إذا استثيرت، فإنسان يضع نفسه تحت تأثير خطير جداً حتى تتحرك هذه الغريزة التي أوعها الله في الإنسان لهدف نبيل من أجل الزواج وإنجاب الأولاد، ومن أجل أن تكون أسرة تسعد بأفرادها لذلك قلت:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾

(سورة القصص)

وذكرت بالدرس الماضي أن هناك شيء خطير من فضل الله إدراكي له واضح جداً، الإنسان حينما يتحرك كيف يتحرك ؟ وفق تصورات، اسأل هذا اللص لماذا دخل إلى البيت ؟ لأنه توهم أن أخذ المال عن طريق السرقة سهل جداً وسوف يتمتع بهذا المال وتحل به مشكلاته، ولن يلقى القبض عليه، هكذا رأى ففعل، ما من فعل سيئ إلا ورائه رؤية غير صحيحة، من أين يبدأ الاحتياط والوقاية ؟ تبدأ الوقاية بتصحيح الرؤية، كيف تصحح ؟ بمعرفة منهج الله.

لذلك ليس من نافلة القول أن نأتي إلى درس علم، ليس من استهلاك الوقت أن نحضر درس علم، من استثمار الوقت وكما وصف الإمام علي كرم الله وجهه بأن العلم حارس: " يا بني العلم خير من المال لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال "

ألا تجد إنسان عاش حياة مديدة لا يوجد عنده مشكلة لا بمخفر ولا بقصر عدل ولا بدعوة وسمعته في الأوج، بيته طاهر أولاده تربيتهم عالية، بناته لهم تربية عالية، هذا بفضل تطبيق المنهج الإلهي، فأريد أن أضيف فكرة لعلي لم أشرحها جيداً في الدرس الماضي، الفكرة مادام السلوك منعكس لرؤية فهذه الرؤية من أين تأتي ؟ من مغذيات ثقافية، حينما أرتاد المساجد التغذية هي تغذية قرآن وسنة ويجوز ولا يجوز وحرام ومباح وجنة ونار وبطولة وآخرة ودنيا هذا حرام وهذا حلال هذه التغذية، أما لما أغذي نفسي وأولادي وزوجتي وأخواتي وبناتي تغذية تنطلق من العلمانية، أي عدم العلمان بالأديان بأن لهذا الكون خالقاً، أن هذه الحياة الدنيا بعدها حياة أبدية، أن الإنسان مخلوق لا لشهوة يستمتع بها بل مخلوق لعمل صالح يفعله كي يصل إلى الجنة، المنطلقات تختلف اختلاف كبير، أنت حينما تسمح لأولادك وبناتك أن يشاهدوا أعمال فنية تنطلق من إنكار الدين أو إنكار القيم ما الذي يحصل ؟ الكاتب قد يضفي على هذه الشخصية أعلى الصفات

الإيجابية، أنا دراستي أدب عربي، وموضوع المسرحية جزء من دراساتنا المعمقة، فكاتب القصة حينما يضفي على شخصية القصة البطولة ثم تدخل لبيته فترى فيه باراً، جناح لشرب الخمر، فهذا الذي يشاهد ينظر أن هذا بطل أنقذ إخوانه بأعلى منصب، إنسان يحب الخير للمجتمع ! لكن عنده بار في البيت، أنت لا تعلم خطورة هذا، أصبح الخمر شيء من لوازم البطولة وحينما يعرض لك شيخ القرية أو شيخ الحي إنسان أفقه محدود تفكيره ضيق هيأته لا ترضي بيته غير منتظم أنت لم تتكلم بكلمة ضد الدين، لكن أعطيت نموذجين نموذج محبب شخص متألق لامع ذكي محبوب حوله أتباع كثر لكنه يشرب الخمر، وزوجته تستقبل أصدقاء زوجها في غيبته، والأمر طبيعي جداً يقول روح رياضية، لا مشكلة، فما الذي حصل لهذا الطفل أو الشابة التي تتابع هذا العمل ؟ الذي حصل أن هذه المعصية الكبيرة التي نهى عنها الشرع من خلال هذا العمل الفني ليست معصية، شيء طبيعي جداً مألوف، وأن استقبال المرأة صديق زوجها في غيبة زوجها ويبقى صديق الزوج مع الزوجة بمفردهما في البيت شيء طبيعي جداً، نحن معقدين، وهذه الكلمات تقولها الشابات، إذا وُجدت شابة مؤمنة هذه معقدة، وشاب أراد أن يستقيم يقال عنه معقد، أما كل الجدر والحصون والموانع التي تمنع انهيار الأسرة هذه هدمت، فالانهيار حاصل.

صدقوا أيها الأخوة: أحياناً أستمع إلى قصة أبكي، المعصية واضحة جداً دمرت أسرة، المرأة طلقت الأولاد شردوا شيء طبيعي جداً، السبب مخالفة بسيطة السماح لدخول إنسان في غيبة الزوج مثلاً، هذه أشياء أنا لا أقول بسيطة، وليس كلما دخل إنسان في غيبة الزوج أصبح هناك خيانة لا أقصد هذا، لكن صار خطر، الأسرة عرضت كيانها للانهيار، فسلسلة هذه الدروس أول درس تحدثت عن دخول الحمو إلى البيت في غيبة الزوج وعن الاختلاط والموازنة وما إلى ذلك، وتحدثت في درس ثاني عن الشاشة كيف تعرض قيم دعك من الإثارة موضوع ثاني تطرح قيم، قلت لكم دائماً مسموح بالأدب أن تصور الرذيلة لكن على نحو نشمئز منه ونحتقرها ونكرهها ولا نحتملها، إن وصفت الرذيلة هكذا لا مشكلة أما الذي يقع عكس ذلك الرذيلة تصور بطريقة محببة وتغري متابع هذا المسلسل أن يفعلها، وهنا المشكلة فلو أن الأب على وعي شديد والأم كذلك هذا الطفل أو الشاب أو الشابة هل تدري أنك تعطيهم مغذيات تتناقض مع الدين ؟ هل تدري أن هذه الشاشة تعطيهم مغذيات ثقافية تتناقض مع القيم الإسلامية ؟ نحن معنا منهج وحي قرآن سنة، نحن أتباع سيد الأنبياء، تجد الحواجز الضخمة في الدين منهارة في هذه التغذيات الثقافية، فأنت لا تتصور قضية سهلة، إذا في انضباط الحمد لله نعمة كبيرة، أما من دون ضبط لا يمكن أن لا

يكون هناك آثار لا تحمد عقباها، هذا الدرس الماضي لوجود نقطة أتمنى أن تكون واضحة لديكم، كل واحد منا حسب عقيدته وتغذيته الدينية أنت مسلم ناشئ في بلد مسلم من أب وأم مسلمين وأنت تحضر خطب جمعة من عمرك، فالقناعات الإسلامية من خلال خطب الجمعة وأستاذ الديانة بالمدرسة وأمك وأبوك الدينين تعطيك مجموعة تصورات ومجموعة قيم، هذه أسميها خط دفاع، لن يستطيع أحد أن يخترق هذه الخطبة، ماذا يفعل العمل الفني أحياناً ؟ يتسلل من بين هذه الخطوط الدفاعية دون أن تشعر، أضرب لكم مثل: لو ألقيت محاضرة على مجموعة شباب رائعة بالأدلة والشواهد والصور والمآسي عن أخطار السرعة الزائدة، لو أن أحد هؤلاء الشباب يركب مركبة وشاهد حادث مروع تسلل إلى قناعاته وغيرها، وكم من توبة عقدت إثر مصيبة نزلت ؟ فالعمل الثقافي الفني يتسلل في ما بين خطوط دفاع الإنسان ويعطيه تصور آخر، لذلك إذا أردت أن تكون عالم نفس وأن تحلل كل انحراف المجتمع سببه تغذية سيئة.

الأب الذي يحرص على زوجته وأولاده وبناته، كل بطولته أن يعمل بتغذية صحيحة ولا يسمح بتغذية منحرفة، فحينما تراقب أصدقاء ابنك من هم ؟ وترافق المجلات الذي يقرأها ابنك، وتراقب الأمسيات التي يقضيها ابنك مع من ؟ الحديث هذا شيء مهم جداً، لا يوجد سلوك دون تصور، ولا تصور دون تغذية، درس العلم تغذية شرعية، عمل فني تغذية من نوع ثاني، ممكن لعمل فني تتسلل القيم المناقضة للدين والأفكار المناقضة للدين دون أن تشعر هذا يفسر كيف الجيل المجموع الأكثر منه رافض للقيم الإسلامية ليس رفض لساني، الإنسان ذكي لا يوجد من يتكلم ليثير حوله مشكلات، لكن رفض حقيقي رفض الانضباط وغض البصر وضبط اللسان ومطالعة أشياء.....

فأنا أرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الدرس في خدمة الإخوة الكرام: راقب التغذية الثقافية التي يغذى بها ابنك لو سألت قضاة عن أشياء لا تصدق سببها تغذية ثقافية سيئة، أحياناً في حالات سرقة السارق ليس فقيراً لكن رأى فيلماً من أفلام العنف والسطو شيء مدهش، أراد أن يقلد، طفل ذبح أخاه الصغير لأنه رأى جريمة بمسلسل كيف صغيراً ذبح أخاه ! لا تستهين برؤية الطفل إنه يتعلم، الطفل لا يملك ميزان، ما مشكلتنا ؟ الطفل يتعلم بالصورة فقط، أحضر عشر علماء كبار من علماء المسلمين ويحدثوا الناس عن عظمة هذا الدين، يأتي طفل يرى صورة إنسان دين لكنه قاسي القلب ورث الهيئة وكلامه قاسي، ويرى صورة إنسان لطيف جداً ومحسن قدم له هدية وهو أكبر فاسق، الطفل يتعلم بالصورة، هذه أخطر كلمة أقولها في هذا الدرس الطفل لا يتعلم بالفكرة

بل بالصورة فأنت اعرض عليه صورة إنسان له مظهر ديني لكنه سيئ، واعرض عليه صورة إنسان له مظهر محبب لكنه ذو فكر غير ديني، يتعلق بالإنسان الثاني.

أقول هذه الكلمة لأخوتنا الكرام: ابنك يتعلم بالصورة فقط، حتى هذه الأعمال الخاصة بالصغار فيها توجيه إلحادي إباحي فيلم كرتون هذا الكرتون فيه توجيه إباحي إلحادي دون أن تشعر. السطو والمطبات تجد الطفل يحبها، درّست ثلاثين سنة تقريباً، مرة رأيت طرف من الطلاب تتكرر في كل شعبة، نفسها أسمعها يوجد قاسم مشترك ثم علمت أن هناك مسرحية عرضت عن مدرسة وعن معلمة وطلاب مشاكسين ومطبات ومقالب تركت أثر هذه المسرحية في العالم الإسلامي يفوق حد الخيال، لأن العمل الفني محبب وفيه إتقان وشيء يمتع الحس والبصر والسمع، العمل الفني محبب، الإنسان العظيم يستخدم الفن الأدبي في نشر الحق، والبلاغة في إيصال الحق للآخرين.

كنت مرة في استانبول أطلعوني على عمل كرتوني حول محمد الفاتح بكيت خمس مرات ! تصور لو كان عمل فني عن شاب صغير فتح مدينة استعصت على الفتح قرون، والنبي أخبر عنه وأثنى عليه، والله ما ملكت دموعي، والعمل الفني كرتوني ليس حقيقي، فتصور لو كانت كل المغذيات إسلامية لوجدت جيل يهد الجبال، لكن عندما يلحق الإنسان شهوته يصبح كالخرقة.

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ (٥٤)﴾

(سورة الزخرف)

إذا تبع الإنسان الشهوة يصبح جبان جداً، أناني وصولي انبطاحي وبصفات لا تحتمل، فعندما تكون التغذية غير إسلامية شهوانية إلحادية لا تؤمن بالأديان إطلاقاً، تصور إذا عرض شيء وثائقي أن في الإنسان الحجري يعيش بالكهوف هذه خلاف القرآن، الله عز وجل بدأ البشرية بنبي عظيم قال: " آدم ومن دونه تحت لوائي ولا فخر " الله عز وجل بدأ البشرية بأعظم إنسان وختمها بأعظم إنسان، فكل ما تراه في الموسوعات العلمية وفي الأعمال الفنية التاريخية غير صحيح يتناقض مع القرآن، أقول كان الله في عون طالبنا، يدخل أستاذ الطبيعيات يقول له الإنسان أصله قرد، يدخل أستاذ الديانة يقول على موضوع سيدنا آدم هنا آدم هنا قرد، يضيع الطالب، القضية الذي نعاني منها سلوك منحرف بسبب تغذية خطأ.

فأنا أقول دقق في المصادر الثقافية التي يغذى بها أولادك وأهلك في البيت، يكاد يكون السلوك المستنبط من الأعمال الفنية هو السائد في المجتمع، سمعت أنه كان في مسلسل من أراد أن يعمل

مخالفة بالبناء أثناء المسلسل، الطرقات صار فيها منع تجول، من يريد تعمير غرفة بملحق يقوم بهذا وقت المسلسل لعدم وجود أحد ينتبه له، ما قولك بهكذا أمة ؟ مضطر أن أقول هذا الكلام لأن القضية خطيرة، لا تسأل ماذا أفعل ؟ أنبهك، ممكن أن تنهار أسرة وتتفاجأ بخبر عن ابنك لا سمح الله ولا قدر يهد الجبال، ممكن أن تتفاجأ بخبر من أهلك يهد الحبال، لوجود التغذية غير المعقولة، فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الأمر واضح لديكم.

نحتاج إلى بيت مسلم ونحن الآن بمحنة كبيرة ومعرضون إلى امتحان صعب من الله عز وجل، لا يوجد عندنا سلاح غير الاستقامة وأن تكون بيوتنا كلها مسلمة.

أنا أخاطب الآباء عد للمليار قبل أن تسمح لأولادك بتغذية ليست إسلامية، سأقول لك كلمتين: الإنسان عنده عقيدة وسلوك هذا الإنسان، العقيدة أحد حالتين إما إيمان بالله أو عدم الإيمان به، وعدم الإيمان بالله لها أشكال كثيرة يقول هذا علماني، البنت سبور كلام لطيف، فلان منفتح مرن أي غير مؤمن هذا العقيدة، السلوك لا شيء حرام كل شيء إباحي، تجد مؤمن بالله مؤمن بالدنيا فقط، وبالدنيا الأقوياء كل الحلول تأتي من الغرب أو منضبط أو إباحي، كلمتي دائماً: كم تجد في المجتمع من مدل ونحل واتجاهات ومذاهب ونزعات وطوائف وأديان وأجناس وأعصار البشر رجلان، لا يزيدون عنهما، إنسان عرف الله، فانضبط بمنهجه وأحسن إلى خلقه فسعد في الدنيا والآخرة، وإنسان غفل عن الله فتفلت من منهج الله وأساء إلى خلق الله فشقي في الدنيا والآخرة ولن تجد إنسان ثالث، فهذا كلام مؤلم لأنه يسبب مشكلة بالبيت لكن دائماً لوحة حقل ألغام يجب أن تعدها ضماناً لسلامتك، وليست حداً لحريتك.

موضوع ثاني: هذا الهاتف الذي هو من نعم الله العظمى قد يكون أحد أسباب خراب البيوت، أنا لا أنطلق من كلام نظري والله بكل كلمة أقولها عندي مائة قصة، يوجد من يعاكس الفتيات في المنازل عشوائياً يدق أي رقم فإذا لقى تجاوب كلام، هذا الكلام لابد من أن ينتهي بلقاء بالنهاية بعد شهر أو شهرين أو ثلاثة.

مرة كنت بالعمرة ونزلت بفندق قريب من الحرم أمام المصعد يوجد لوحة قصص أيها النزيل استعر قصة وأرجعها، كنت وحدي استعرت قصة وأرجعتها، الأب مدرس والبيت محافظ بالتعبير الاجتماعي وفتاة طالبة ومحشومة لأقصى حد، بدأ باتصال هاتفي ورفضت مرتين وثلاثة ثم سلَمت ثم أجابت ثم انتهى الأمر بالسجن محكومة ثلاثين سنة ! لأن هذا الذي بدأ معها بمكالمة

استطاع أن يصل لها بالنهاية ويصورها ويبتزها بالأموال، وإذا رفضت يهددها بالصور، ثم علموا أهلها ثم بساعة من ساعات فورانها قتلته.

فأحياناً تبدأ مشكلة من هاتف، فالأب والأم ينبغي أن يكون الهاتف مراقباً مراقبة شديدة، أو توجيه كلمة خطأ تقطع المكالمة فوراً، أما تسأل وتجيب عندي مئات القصص، أقول لكم بالبداية لا يوجد كلمة أقولها إلا عندي مئات القصص والله من محبتي لكم وحرصي على قوة وسلامة بيوتكم أقول هذا الكلام، أحياناً ينهار البيت من هاتف، فإذا في مشكلة يجب أن يراقب الهاتف إلى أقصى درجة.

عرضوا علي إخوان أشرطة لمكالمات غير معقولة أبداً، طبعاً انتهت فوراً بالطلاق، روقب الخط وانتهت بالطلاق، وتمثيل كله يمثل أبعدنا وإياكم عن هذه القصص والمآسي الخطيرة، فالهاتف يجب أن يراقب، ماذا يعني أنت مؤمن ؟ تعرف هذا البيت منضبط بالشرع من يدخل ومن يخرج وكل الحركات والسكنات وفق منهج الله، أما أشياء مسيبة طبعاً يجب أن يكون هناك توجيه من الوالد والوالدة للشباب والشابات بأصول استخدام الهاتف، الإنسان يتكلم أنا فلان، إذا ما حكى تغلق السماعة، يوجد مشكلة اقطع الخط أو راقب أو سجل، عندما يكون انضباط أغلب الظن لا يوجد ما يضر، الهاتف أحد أسباب انهيار البيوت.

أجمل كلمة الشريف من يهرب من أسباب الخطيئة قال: ما بلغ من دهائك ياعمر ؟ قال: مادخلت مدخلاً إلا أحسنت الخروج منه، قال: لست بداهية، أما أنا والله مادخلت مدخلاً أحتاج أن أخرج منه.

أحياناً تسمع على الهاتف كلام السلام عليكم فلان يتكلم، يبدأ بالسلام، علموا أولادكم وأهلكم الانضباط على الهاتف.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً (٣٢)﴾

(سورة الأحزاب)

عندنا بند آخر: قصة قرأتها في موقع معلوماتي مدرسة محترمة جداً في نهاية العام الدراسي طلبت منها بعض تلميذاتها صورة تذكارية مدرسة موجهة محافظة موجهة توجيه ديني في بلد إسلامي في الحجاز الصورة طبع منها عدد بعدد الطالبات، طالبة معها الصورة لها أخ منحرف أخذها منها مسحها على سكنر ودخلها بموقع في برنامج للصور يغير كل شيء فجعل رأسها على جسم آخر من دون ثياب، وعرضها بالإنترنت.

جاءوا الطالبات في اليوم الثاني هل رأيتم المعلمة ! ؟ كادت تموت من صورة أنا أنبهكم هذه صورة تذكارية، الشر تعمم اليوم يا إخوان، لم يعد كقبل، حياتنا أصبحت خلاط ؟ ما يعني خلاط ؟ خلاط الفواكه، عندنا أنينة بقين وقطعة لحم ضاني لكن هناك من وضع لحم خنزير وخمر ودار الخلاط التواصل الإعلامي العالم أصبح قرية صغيرة ثم بيت ثم غرفة الآن والله كل مأساة أطّلع عليها والله تنهد لها الجبال وكلها بسبب مخالفة بسيطة فهذه الصور الحقيقة في برامج للتصوير العقل لا يصدقها، مشهد قد يكون كله غير صحيح لكن بتوقيت خطير جداً وزع بأعلى درجة من النقمة على العالم الغربي، هذه النقمة امتصت بهذا الشريط، ممكن أشخاص رؤوسهم غير أجسامهم، ممكن في تقنية عالية يحرك شفتاه وفق النص، والنص ببرنامج ثاني يأخذ نبرة صاحبه، النص يدخل لبرنامج كمبيوتري يتغير النص يصبح النبرة نبرة الأصلي، فيأتي إنسان يتكلم نص يؤخذ على برنامج يتغير النبرة كنبرة صاحب الصورة ! وتتحرك شفتاه وفق الحروف تجده يلقي كلمة يكاد يخرج الإنسان فيها من جلده، تفضل شريط فيديو، الآن لا يمكن أن يؤخذ في القضاء لا شريط فيديو ولا صورة، لأن التقنية بالصورة بالتقليد والصوت بلغت حد الخيال، فأن يكون التصوير بهذه السهولة هذه أختك أو ابنتك تذكارية يجب أن تنتبه، يكون المر بتشدد كبير وبأيدي أمينة وبطرق مضمونة بالمائة مليون وإلا في مشكلة كبيرة، ولاسيما الشر يتعمم.

أكثر مشكلة تواجه الخطبة توقفت يريدون شريط الفيديو، لن الزوج معه شريط فيه كل أقرباء المخطوبة، حل المشكلة، يعطيهم إياه يكون نسخ نسخة أخرى عنده، والله يوجد مخاطر بحياتنا إذا غير منتبه يروح بها طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة.

بشكل عام التصوير خطر انتبهوا، والهاتف خطر، والشاشة خطرة، ودخول الأقارب خطرة، والاختلاط خطر.

في غير بلاد أخطار ثانية السائقين والخدم نحن الحمد لله لا يوجد عندنا هذه نقطة بعيدين عنها، أما السائق والخادمة أحد أكبر أخطار البيوت.

ألا تعرف أبعاد الحديث الشريف:

((سَمِعْتُ عَبْدَاللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ))

(صحيح البخاري)

إلا عندما تقرأ هذه القصص، قلت لكم من قبل أن الشيطان حينما يأتي الإنسان يوسوس له بالكفر، إن رآه على إيمان يوسوس له بالشرك، إن رآه على توحيد يوسوس له بالبدع، إن رآه على سنة يوسوس له بالكبائر، إن رآه على طاعة يوسوس له بالصغائر، إن رآه على ورع لم يعد يوجد غير ورقتين رابحتين يوسوس له بالتحريش بين المؤمنين.....

صدقوني أيها الأخوة: ما من مشكلة تنشأ بين المسلمين إلا بسبب تحريش الشيطان بينهما، فإن كان هناك تسامح ووعي وإدراك بقيت معه ورقة أخيرة المباحات، يعتني بالمباحات عناية ينفق وقته كله في تزيين البيت، البيت حاجة أساسية، وكلما تزين البيت أكثر تصبح مغادرته أصعب، فكلما أرى شيء شاطح من باب الدعابة أقول الله يعينكم على الموت والله صعب! مغادرة هذه العناية والترتيبات شيء صعب، فعندما يبالغ الإنسان بالدنيا عنده قلق عميق أنا هل أغادر البيت ؟ هل سأموت قريباً أم بعيداً ؟ ينشأ مشكلة، فإذا كان الشيء بسيط ولاحظ عندما تكون دنيا الإنسان عريضة يصبح جبان ويخاف، أما إذا إنسان حياته خشنة تجد عنده شجاعة وشعور متوازن من هنا قال عليه الصلاة والسلام: اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم، الإنسان إذا ألف بعض الخشونة في الحياة لا يخضع لا لضغط ولا لإغراء ولا يساوم على مبادئه، أما حينما يعيش حياة تفوق حد الخيال وهدد بقطع هذه الحياة....

ما أساليب الأقوياء مع الضعفاء بالعالم ؟ الإنسان أعطوه حياة خيالية، فأي خطأ يرتكبه يهدد بهذه الحياة، هو متمسك بها، من هو الذي يضحي بكل شيء ؟ لا يوجد شيء يخاف عليه أساساً، فالمبالغة في التزيين والأناقة والرفاه هذا يبعدك عن المبادئ الصحيحة، الإمام الغزالي رحمه الله يقول: من ألف حياة عالية ثم هدد بها أمامه إما أن يمالئ السلطان أو أن يأكل الحرام.

إذا اهتم الإنسان بالمباحات اهتمام غير طبيعي فصار عنده مكسب كبير يخاف عليه عنده حالتين إما أن يمالئ السلطان أو أن يأكل الحرام، هذه بعض الأخطار التي يمكن أن تسبب انهداماً للبيوت.

إخواننا الكرام: درهم وقاية خير من قنطار علاج، البطولة أن لا تقع مشكلة، والأقل بطولة إذا وقعت أن تعالجها، لكن من هو العاقل جداً ؟ هو الذي يحيط حياته بأسوار شرعية بحيث لا يحتاج إلى أن يفاجأ بخبر مؤلم، ويوجد أخبار والله تهد لها الجبال وكلها بسبب مخالفة منهج الله عز وجل، ويمكن أن أعقب تعقيباً من نوع عود على بدء: ما من مشكلة في العالم الإسلامي وفي العالم كله إلا بسبب خروج عن منهج الله، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل، والجهل

أعدى أعداء الإنسان ويفعل الجاهل بنفسه مالا يستطيع عدوه أن يفعله به، والحمد لله رب العالمين.

سؤال: هل وضع المرأة زينتها حرام إذا خرجت من بيتها ؟

الجواب: المرأة إذا خرجت متعطرة لعنتها الملائكة حتى تعود.

سؤال: أخ كريم تزوج وعقد عقده على فتاة ثم اكتشف أنها لا تصلح له ولا يصلح لها وخلى بها، فماذا عليه ؟

الجواب: عليه المهر، إذا ما خلى بها عليه نصف المهر.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة – الخطبة ٠٧٤٨ : خ١ –أحاديث تحرم مخالطة الأخ بزوجة أخيه ، خ٢ – محقرات الذنوب.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠–٠٦–٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الاولى

أيها الإخوة الكرام... موضوعٌ من موضوعات الفقه، ولكن قبل أن أطرحه لابد من مقدِّمة.
أيها الإخوة... خالق السماوات والأرض، العليم الخبير، الذي خلق الإنسان، هذا الخالق العظيم إذا شرِّع تشريعاً، هذا التشريع ينبغي أن نعلم أن في مخالفته دماراً، وفي مخالفته خسارةً، وفي مخالفته شقاءً، وقد يمتدُّ إلى الأبد، فالتشريع الوضعي شيء والتشريع الإلهي شيءٌ آخر.
التشريع الوضعي قد يمنع مثلاً بَيْع الهاتف، فيأتي إنسان ويعقد عقداً صورياً مع إنسان، ثم يفكُّ هذا العقد، ويكون الهاتف من نصيب الشاري، ويثبِّت هذا في محكمة البداية، وينتقل هذا الهاتف من شخصٍ إلى آخر، مخالفاً أصل القانون الوضعي، ولا يحدث شيء، لأنه تشريعٌ أرضي. أما حينما يخالف الإنسان تشريع الخالق فإن دماراً سينتظره، وشقاءً سيحيق به، وهلاكاً قد يمتد إلى الآخرة.

أضرب على هذا مثلاً: لو أن محطة وقود فيها مكان لإعلانٍ واحد، قد نكتب في هذا المكان آلاف الإعلانات، أما الإعلان الذي يقول: ممنوع التدخين، هذا إعلانٌ متعلق بمصير هذه المحطة، فلو أن سائقاً تهاون في تنفيذه لأحرق المحطة كلّها، أما هناك آلاف الإعلانات يمكن أن توضع في هذا المكان، أما هذا إعلان مصيري.

حينما تقرأ القرآن الكريم، أو تقرأ سنة النبي عليه أتم الصلاة والتسليم، يجب أن تشعر أن هذا تشريع الخالق، أن هذا بيان المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، الذي يقوله النبي عليه الصلاة والسلام ليس مِن خبرته، ولا من ثقافته، ولا من تجربته، ولا من خواطره، إنه وحيٌ يوحى من عند الله عز وجل.

أيها الإخوة... النبي عليه الصلاة والسلام حينما أمر الرماة أن يبقوا في مواضعهم، في معركة أحد، وخالفوا أمره، لعل في مخالفة أمره سبباً لعدم إحراز النصر الحاسم في أحد، لعل في مخالفة أمر النبي هو سببٌ في عدم إحراز النصر الحاسم ومع ذلك صلىِّ عليهم، صلى عليهم وقد عصوا أمره، ماذا قال علماء الشريعة ؟ قالوا: إنهم عصوا أمراً تنظيمياً، ولم يعصوا أمراً تشريعياً. وفرقٌ كبير بين الأمر التنظيمي وبين الأمر التشريعي، الأمر التشريعي الخير كلُّه فيه، والشر كله في مخالفته.

أيها الإخوة... بعض ضباط الأمن الجنائي كلما وقعت أيديهم على جريمة يتساءلون: فتِّش عن المرأة، لو قسنا هذا الكلام على نحوٍ آخر، أية مشكلةٍ على وجه الأرض، من آدم إلى يوم القيامة، أيَّةُ مشكلة على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة بسبب خروجٍ عن منهج الله، إذاً فتِّش عن المعصية.

وقع تحت يدي كتاب لرجلٍ عمل في حقل الأمن الجنائي، في الكتاب ثلاثٌ وستون جريمة وقعت في بلدنا، والجُناة مودَعون في السجن، أجمل ما في كل الكتاب أن كل جريمة حينما تنتهي، يحللها تحليلَين ؛ تحليلاً شرعياً وتحليلاً قانونياً، ففي التحليل الشرعي يقول: لولا أن ارتكبت هذه المعصية لما وقعت هذه الجريمة، ما مِن جريمةٍ إلا ووراءها معصية ارتكبت.

أيها الإخوة الكرام... سُقْت هذه المقدمة تمهيداً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، في صحيح البخاري، عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إياكم والدخول على النساء، قيل: يا رسول الله: أفرأيت الحمو ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: الحمو الموت))

(من مختصر تفسير ابن كثير)

هكذا، هذا كلام المعصوم..

أيها الإخوة... اسمحوا لي أن أحدِّثكم حديثاً شخصياً، في عمر الدعوة المتواضع في هذا المسجد، والله الذي لا إله إلا هو، تناهى إلى سمعي أكثر من بضع مئات من القضايا الخطيرة في البيوت سببها عدم تطبيق هذا الحديث، بضع مئات، بل إن الأسابيع الأربعة الأخيرة انتهى إلى علمي عن وقوع فواحش، فواحش في البيوت المفروض أن يكون هؤلاء الذين ارتكبوها أبعد الناس عنها، لأنهم خالفوا منهج رسول الله، وكانت خلوةٌ بين الزوجة وبين أحد أحمائها، فوقعت الفاحشة، في هذه الأسابيع الأربعة انتهى إلى علمي أربعة فواحش ارتكبت في بيوتات المسلمين، وقعت الفاحشة لأن الزوج تساهل أن يزور أحد أقربائه بيته في غيبته، وكان الذي وقع.

إذاً يجب أن نعلم علم اليقين أن النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

إياكم أيها الإخوة والدخول على النساء، إيَّاكم تفيد التحذير، تفيد التحذير الشديد، تفيد تنبيه المخاطب على محذورٍ ينبغي أن يتحرَّز عنه، العلماء قالوا: كما أنه لا ينبغي أن تدخلوا على النساء، لا ينبغي أن تسمحوا للنساء بالدخول عليكم في البيوت، النساء الأجنبيات، ومن باب أولى إذا كان الدخول محرَّماً، فمنع الخلوة بالمرأة الأجنبية من باب أولى، وهذا حكم فقهيٌ ثابت، قاعدة أصولية ثابتة، إذا كان الدخول على النساء محرَّماً، فمن باب أولى الخلوة بهن.

أيها الإخوة... سأل أحد الأنصار قال: يا رسول الله أفرأيت الحمو. من هو الحمو ؟ الحمو أخ الزوج وما أشبهه من أقارب ؛ كابن العم، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

((لا يخلون رجلٌ بامرأة فإن الشيطان ثالثهما))

(من الدر المنثور في التفسير بالمأثور)

قال رجل: كائناً من كان، مؤمناً أو غير مؤمن..

((لا يخلون رجل...))

تنكير شمول..

((بامرأةٍ))

تنكير شمول..

((.... فإن ثالثهما الشيطان))

الحمو جمعه أحماء، قيل: هم أقارب زوج المرأة ؛ كأبيه، وعمه، وأخيه، وابن أخيه، وابن عمه، ونحوهم، هؤلاء هم الأحماء، والأختان أقارب زوجة الرجل، والأصهار، كلمة الأصهار تقع على النوعين، الأحماء أقارب زوج المرأة، والأختان أقارب زوجة الرجل، وقال بعض العلماء: حمو المرأة والد زوجها، وحمو الرجل والد زوجته.

أيها الإخوة الكرام... الإمام النووي رحمه الله تعالى يقول: الأحماء أقارب الزوج عدا آبائه وأبنائه، لأنهن من المحارم، فمن ذلك مثلاً: الأخ، وابن الأخ، والعم، وابن العم، وابن الأخت، ونحوهم، مما يحلُّ للزوجة أن تقترن بهم لو لم تكن متزوِّجة، هذه بعض التفاصيل التي وردت في شرح الحديث.

لماذا الحمو الموت ؟ قال: لأنه جرت العادة أن يخلو الأخ بامرأة أخيه، تساهلاً، والناس لا يعلِّقون كبير أهمية على ذلك، وقد يوجدان في بيتٍ وحدهما، بيت فيه أخٌ متزوِّج، والأخ المتزوج في عمله، وفيه أخٌ آخر عنده إجازة فهو في البيت، وذهبت الأم لقضاء بعض حاجاتها خارج البيت، ما الذي حصل ؟ بقي أخٌ وزوجة أخيه في البيت وحدهما، هذا الذي يتحدَّث عنه النبي عليه الصلاة والسلام.

جرت العادة أن يخلو الأخ بامرأة أخيه تساهلاً، فشبَّه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بالموت، وبالطبع الخلوة بالأجنبي من باب أولى، رأى بعض العلماء ولم يصوِّب أكثر علماء رأيهم: أن هذا

المنع يشمل أبا الزوج، بعض العلماء يرى أن أبا الزوج لا ينبغي أن يخلو بزوجة ابنه، هي من محارمه، يجلس معها، وينظر إليها، أما أن يخلو بها، هذا رأي بعض العلماء.

أما الحمو الموت، المقصود الخلوة بالحمو، لأنها قد تؤدّي إلى هلاك الدين إن وقعت المعصية، وهلاك الدين كالموت، أو إلى الموت إن وقعت المعصية ووجب الرجمُ، تطبيقاً للحكم الشرعي، إذا وقعت المعصية وجب الرجم، فأدّى ذلك إلى الموت الحقيقي سببه الخلوة، ومعظم النار من مستصغر الشرر، المؤمن الحق وقّافٌ عند حدود الله، المؤمن الحق لا يجتهد فيما فيه نقصٌ قطعي، المؤمن الحق لا ينظر إلى الأمر من زاوية أخرى: من أجل أن تكون الألفة ينبغي أن نختلط، ينبغي أن نجلس معاً، ينبغي أن نأكل معاً، لو لم تصل الخلوة إلى الفاحشة، هناك أضرارٌ كبيرةٌ جداً قبل الفاحشة، لو لم تصل الخلوة بالمُخْتَلَيْن إلى الفاحشة هناك أضرارٌ كبيرة قد يقعون بها، ولو لم يصلوا بها إلى الفاحشة.

أيها الإخوة... معنى قول النبي: الحمو الموت، أي الخلوة بالحمو قد تؤدِّي إلى هلاك الدين، وهلاك الدين موت وأي موتٍ، أما إن وقعت المعصية، فقد تؤدِّي المعصية إلى وجوب الرجم بحسب الحكم الشرعي، أو إلى هلاك المرأة بفراق زوجها، وكسر المرأة طلاقها، زوجٌ لا يحتمل الذي حدث فيطلق امرأته.

والله الذي لا إله إلا هو، قلت لكم في بداية هذه الخطبة: والله بضع عشرات، أو قريب من مئة قصة في عمر الدعوة المتواضع، وقعت الفاحشة فيما بين الحمو وزوجة الأخ، بعض هذه الوقائع في مدينة الشمال انتهت بجريمة قتل، بعضها انتهى بالطلاق، بعضها انتهى بأن يقول واحد لأستاذه في مدرسةٍ خاصة قال: أخي عنده ثلاثة أولاد من كل أخٍ ولد.

لأن النبي منع ذلك، الشيء العجيب أن الإنسان حينما يمنع شيئاً، قد لا يتضرر المرء من مخالفته، تشريعٌ وضعي، أما إذا منع الربُّ شيئاً، معنى ذلك أن هناك خطراً جسيماً من مخالفته، لأنه من عند الخبير، بتعبير آخر: العلاقة بين الطاعة ونتائجها علاقةٌ علمية، أي علاقة سبب بنتيجة، أما العلاقة بين المعصية ونتائجها علاقة علمية، علاقة سبب بنتيجة، أي لو أن الأب قال لابنه، وللغرفة بابان: اخرج من هذا الباب اليميني. فخرج من اليسار، فضربه، ليس هناك من علاقة بين الضرب وبين الخروج، باب مصمم للخروج، فخرج من باب نهى عنه الأب، فضربه الأب، ليس هناك علاقةٌ علمية بين الضرب وبين الخروج من هذا الباب، إلا أن هناك أمراً

تنظيمياً عند الأب. أما حينما يقترب الطفل من المدفأة، ويضع يده عليها وهي مشتعلة، فتحترق يده، نقول: هناك علاقة علمية بين الأمر وبين النتيجة.

يجب أن نعلم علم اليقين أن هناك علاقة علمية قطعيةً بين الطاعة ونتائجها، وبين المعصية ونتائجها، وأن الذي يقوله النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

إذاً: الموت هلاك الدين، أو الموت هو الرجم، أو الموت تطليق الزوجة. قال بعض العلماء: خلوة الرجل بامرأة أخيه نُزِّلَت في هذا الحديث منزلة الموت، والعرب بلسانها، وكان عليه الصلاة والسلام أفصح العرب، والقرآن الكريم نزل بلسانٍ عربيٍ مُبين، العرب في لغتها تصف الشيء المكروه بالموت، نقول: الحرب الموت، أي أن الحرب سببٌ للموت.

الإمام النووي رحمه الله تعالى يقول: الخلوة بقريب الزوج أشدُّ خطراً من غيره، والشرُّ يتوقع منه أكثر، والفتنة به أَمْكَن، السبب: لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة بها من غير إنكارٍ، بخلاف الأجنبي، لا أحد ينكر أن يجلس الرجل مع زوجة أخيه، وقد يخلو بها في البيت، وبينهما حديث، ومُزاح، وتعليقات، وبينهما دفع باليد، وبينهما شيءٌ آخر، هذا يحصل، لذلك الإمام النووي يقول: لأن الخلوة، خلوة المرأة بأحد أحمائها أشد خطراً من خلوتها بأجنبي، لأن الأجنبي لا يستطيع الدخول إلى البيت، ولأن دخول الأجنبي إلى البيت ينكره المجتمع كلُّه.

وبعض العلماء قال: الخلوة بالأحماء مؤديةٌ إلى الفتنة والهلاك في الدين.

وبعض يقول: الخلوة بالأحماء يشبه الموت في الاستقباح، وفي المفسدة، وهو محرمٌ معلوم التحريم، بالغٌ في الزجر، السبب: لتسامح الناس به من جهة الزوج ومن جهة الزوجة، حتى كأنه ليس بأجنبي، من أهل البيت.

ومرة ثالثة: والله، تناهى إلى سمعي قصصٌ مؤلمة جداً ممن حول بعض إخواننا، عن أخطاء نشبت في البيوت، بعضها انتهى فيما قرأت إلى جريمة، وبعضها انتهى إلى طلاق، وبعضها انتهى إلى فضيحة، وبعضها انتهى إلى اختلاط الأنساب، ولو لم ينتهي هذا الاختلاط بفاحشة هناك مضار كثيرة تقترب من الفاحشة، ولكنها ليست فاحشة.

عن عبد الله بن عمر بن العاص، أن نفراً من بني هاشم دخلوا على أسماء بنت عميس، فدخل أبو بكرٍ وكانت تحته، أي كانت زوجته، وكانت تحته يومئذٍ، فرآهم فكره ذلك.

هذه فطرة، هذه الفطرة، إياكم والدخول على النساء، أنت في البيت وحدك، جاءت إحدى قريبات زوجتك من طرف المدينة، إن كنت حريصاً على دخولها إلى البيت، اخرج أنت، قل: ادخلي وانتظري، وإن كان طريقها قريباً، قل: ليست زوجتي هنا، هذا هو الشرع، أنت سددت المُشكلة من أصلها، كلمة لبعض الأنبياء: الشريف ليس الذي يهرب من الخطيئة، ولكن الشريف هو الذي يهرب من أسباب الخطيئة، وهذا أكبر أسبابها ؛ الخلوة بقريبة الزوج.

أيها الإخوة... الآية الكريمة بالمناسبة قال تعالى يصف أصحاب نبيه الكرام قال:

﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾

(سورة الرعد: من آية " ٣٦ ")

فطرتهم السليمة تطابقت مع التشريع..

﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾

(سورة الرعد: من آية " ٣٦ ")

فسيدنا الصديق كره ذلك، فذكر ذلك إلى رسول صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله لم أر إلا خيراً، فقال عليه الصلاة والسلام:

((إن الله برَّأها من ذلك، ثم قام وجمع أصحابه، وخطب فيهم وقال: لا يدخلن رجلٌ بعد يومي هذا على مغيبة...))

من هي المُغِيبة ؟ الذي غاب زوجها، هو في البلد في محله التجاري، ليس معنى أنه مسافر في البلد، في محله التجاري في بيت أخيه، إلى جوار البيت، أية امرأةٍ ليس زوجها معها هي مُغيبة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((لا يدخلن رجلٌ بعد يومي هذا على مغيبة، إلا معه رجلٌ أو رجلان))

العلماء قالوا: قد يكون في رجال صالحون لكشف، أو لمشكلة، هي في غرفتها أغلقت الباب، هذا موضوع له تفسير آخر، على كل

((لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة...))

وفي حديثٍ آخر:

((ألا لا يبيتن رجلٌ عند امرأةٍ إلا أن يكون ناكحاً أو ذو محرم))

والمحرم من حرم عليه نكاحها على التأبيد ؛ أخوها، أبوها، ابنها، ابن ابنها، ابن ابنتها. ويقول عليه الصلاة والسلام، في الحديث الذي ذكرته قبل قليل:

((لا يخلون رجلٌ بامرأة فإن الشيطان ثالثهما))

(من الدر المنثور في التفسير بالمأثور)

وفي حديثٍ خامس:

((لا يدخل رجل على امرأة ولا يسافر معها إلا ومعها ذو محرم))

لأن العلماء قالوا: السفر خلوة، والله سمعت عن إنسان لا أدري كيف وافق على هذا، أرسل زوجته من جدة إلى دمشق مع صديقين له في سيارة، ليس معهما زوجتاهما، في سيارة، فهذا تساهل، وهذا جهل بأحكام الشرع، والعوام تقول: مثل أخي، لا، هذا ليس أخوكِ، مثل بنتي، مثل أمي، كله كلام فارغ، هناك قواعد.

أيها الإخوة الكرام... هذا حديثٌ دقيق جداً، لو طبقه المسلمون حق التطبيق لأغلقت عليهم مصائب لا تعدُّ ولا تحصى، يجب أن نعلم علم اليقين أن النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، قصة وردت في بعض الكُتب، نذكرها لنستأنس بها قال: " إن راهباً من بني إسرائيل، أتاه أناس بجاريةٍ بها علةٌ ليداويها، فأبى قبولها، فما زالوا بها حتى قبلها، يعالجها، فأتاه الشيطان فوسوس له مقاربتها، فوقع عليها، فحملت، فوسوس له: الآن تفتضح، فقتلها، وقال لأهلها: ماتت، فألقى الشيطان في قلب أهلها أنه قتلها، فأخذوه وحصروه، فقال له الشيطان: اسجد لي تنجو. فسجد، فانظر إلى حيلةٍ كيف اضطر إلى الكفر لأنه خلا بجارية".

قصةٌ يستأنس بها، وليست قصة سفّاح اليَمَن عنكم ببعيد، ستاً وثلاثين فتاة خلا بهن، واغتصبهن، وباع أعضاؤهن في أقطارٍ عِدَّة، ولا تزال محكمته الآن جارية في اليمن، الجرائم الكبرى التي نسمع بها أساسها الخلوة بأجنبي.

أيها الإخوة... تعليقٌ لطيف: الإنسان حينما ينظر إلى زوجة أبيه، إذا كانت في سِنِّه، هو في العشرين، وهي في العشرين، أبوه متقدم في السن، الشاب حينما ينظر إلى زوجة أبيه، هذه النظرة قطعاً ليست كنظرته إلى أمه التي ولدته، إذاً هناك محارم نسب، هذه المحارم في النسب تختلف بعض الشيء عن محارم التأبيد.

أيها الإخوة... ورد في كنز العمّال:

((لا تدخلوا على النساء ولو كن كنائن، قالوا: يا رسول الله أفرأيت الحمو ؟ قال: الحمو الموت))

وعن أبي عبد الرحمن السَلَميّ قال عمر بن الخطاب رضي لله عنه: لا يدخل رجل على مغيبة. فقال بعضهم: إن أخاً لي، أو ابن عمٍ لي، خرج غازياً، وأوصاني أن أدخل على أهله، فضربه بالدرة، فقال: إذاً كذا، لا تدخل، وقم على الباب وقل: لكم حاجة ؟ أتريدون شيئاً ؟ هذا شيء لطيف جداً، فلو إنسان أوصاك بأهله، وهذا شيء يقع، فمن على الباب قل: أتريدون حاجة ؟ أما أن تدخل إلى بيت، ويغلق الباب، وقد وصاك صديقك أن تتفقد أهلك في غيبتك، هذا ليس وارداً إطلاقاً.

أيها الإخوة الأكارم... حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن مَلَك الموت قد تخطّانا إلى غيرنا، وسيتخطّى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيّس مَن دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز مــن أتبع نفسه هواها، وتمنّى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

***

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام... أَلِفَ الناس إن لم يطلبوا العلم الشرعي، ألف الناس أن هناك كبائر ؛ قتل، سرقة، زنا، خمر، وهناك أنماط سلوكية لا تعدُّ ولا تحصى، هي عند الناس صغائر، ولكن ماذا نفعل بقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار))

(من الدر المنثور: عن " ابن عباس ")

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إياكم ومحقرات الذنوب...))

(من الجامع لأحكام القرآن)

الذنب الذي تراه لا قيمة له ؛ كأن تصافح، تجلس مع مَن لا تحل لك، تنظر، تملأ عينيك، تلقي بعض الطُرَف، تجلس مع مَن تشاء، تذهب إلى أي مكان تشاء، دون ضغط، هو بحسب توهّمه ترك الكبائر، ولكن هذه الصغائر إذا أصررت عليها وتراكمت، أصبحت كالكبائر، تماماً كما لو كنت تمشي في طريق عريض جداً وعن يمينه وادٍ سحيق، لو حرفت المِقْوَد نصف سنتيمتر فقط

وثبّته، في النهاية أنت في الوادي، أما الكبير تحرفه تسعين درجة فجأة، هذه الكبير، أما الصغير نصف سنتيمتر، ولكن ثبات، في النهاية إلى اليمين ثم إلى الوادي.

((إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قومٍ نزلوا بطن وادٍ فجاء ذا بعودٍ، وجاء ذا بعودٍ، حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقّرات الذنوب متى يؤخذ بها تهلك صاحبها))

(أخرجه أحمد بسندٍ حسن)

وفي حديثٍ آخر رواه ابن حبان وصححه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب))

هذه مشكلة المسلمين، لو نظرت إلى حي فيه مئة بيت، أغلب الظن، ولله الحمد، ليس في هذه البيوت خيانة، ولا في قتل، ولا في شرب خمر، ولا في زنا، ولا في سرقة، ولكن آلاف المخالفات التي تبدو عند الناس من محقّرات الذنوب، هذه المحقرات تحجُبك عن الله، لو أن بيتاً فيه مئة جهاز كهربائي، وقَطَعت التيار متراً بين شطريه أو ميليمتر قطع التيار، فهذا الذي يحجب عن الله بذنبٍ يراه حقيراً، مشكلته كبيرة جداً، لو حجب عن الله بكبيرة، نقول: هذه الكبيرة تستوجب الحجب عن الله، أما أن تحجب عن الله بصغيرة، بإمكانك أن تتجاوزها، بإمكانك أن تنتصر على نفسك بها ؟!! لذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((إياكم ومحقرات الذنوب))

(من الجامع لأحكام القرآن)

ثم إن الشيطان، كما قلت لكم من قبل، يغري الإنسان بالكفر، فإن رآه على الإيمانٍ يغريه بالشرك، فإن رآه على توحيدٍ يغريه بالبدعة، فإن رآه على سنةٍ يغريه بالكبيرة، فإن رآه على استقامةٍ يغريه بالصغيرة، فإن رآه على ورعٍ يغريه بالتحريش بين المؤمنين، ثم يغريه بمحقّرات الذنوب، ثم يغريه بالمُباحات، آخر سهم للشيطان وآخر ورقة رابحة عنده المباحات، يستغرق بها إلى درجة أنها تنهي وقته كله.

أيها الإخوة الكرام... بادروا بالأعمال الصالحة، لأن الإنسان حينما لا يبادر بها ينتظره أشياء كثيرة ؛ قد ينتظره فقرٌ ماحق، غنىً مطغٍ، أو فقرٍ ماحق، أو خرفٌ مُفَنِّد، أو مرضٌ مفسد، أو موت مجهز، أو الدجال، فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر.

أيها الإخوة... لا تقولوا: الأستاذ شدد، ضيِّق، هذا هو الشرع، التساهل له أخطار كبيرة، هذه عقيدتي، وهذا منهجي، التشدد هنا ضروري جداً، وما من تساهل إلا وراءه أخطار كبيرة، فلعل أحدكم يقول: نحن نختلط، وما عندنا مشكلة، هذه هي نفسها مشكلة، الإنسان قد يحجب عن الله دون أن يشعر، يصلي صلاةً فارغةً، يقرأ القرآن فلا يتأثّر، يذكر الله فلا يتأثّر، ما الدليل ؟ معناها أنه محجوب، لم يحجب بكبائر، إنما حجب بصغائر، فهذا الذي حجب عن الله بالصغائر يعني هو يعيش كالناس تماماً، يقهر كما يقهرون، ويتشاءم كما يتشاءمون، وييأس كما ييأسون، ويضجر كما يضجرون، ويفكر بشيء غير معقول كما يفكرون، لأنه محجوب، ما دام محجوب قطعت عنه أنوار النبوة بتطبيق السنة، قطعت عنه نتائج القُرب من الله عز وجل.

فيا أيها الإخوة الكرام... ليس هذا تشدداً، فلو واحد جاء إلى مهندس، قال له: أريد أن أبني بيتًا، قال له: تحتاج إلى خمسة أطنان من الحديد ثمانية مليمترات محلزن، قال له: يا مهندس كريم، حن دخلنا قليل جداً، الخبز قليل، فيكفي طنين، هذه هندسة، بناء سيقف، في معايير الإسمنت والحديد ما في حل وسط، هذه قضية عِلم.

كذلك في أمور الشرع ما في حل وسط، لابد من تطبيق الشرع تطبيقاً تاماً، إذا الإنسان ما طبق، لينتظر النتائج، قال: عظني ولا تطل ورد عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أن أعرابياً جاءه فقال: عظني ولا تطل، قال له:

((قل آمنت بالله ثم استقم))

قال: أريد أخف من ذلك، قال:

((إذاً فاستعد للبلاء))

والحمد لله رب العالمين

الباب السابع : وسائل إصلاح البيوت

١. – البيت المسلم١ (وسائل إصلاح البيوت١)

٢. – البيت المسلم١ (وسائل إصلاح البيوت٢)

خطبة الجمعة – الخطبة ٠٩٤٨ : البيت المسلم١ (وسائل إصلاح البيوت١).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٤-١٢-٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

وسائل إصلاح البيوت ١ :

أيها الإخوة الكرام، موضوع دقيق يحتاج إلى عدة خطب، هذا الموضوع هو أن هذه الأمة مؤلفة في الدرجة الأولى من بيوت، فإذا صلحت البيوت صلحت الأمة، وقد يكون البيت المسلم أخطر موضوع يعالج، لأنه إذا فسد البيت فسد المجتمع، وتخلّف، وإذا صلح البيت صلح المجتمع وتفوّق.

بادئ ذي بدء، الله عز وجل جعل البيت نعمة من نعمه الكبيرة، قال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً ﴾

(سورة النحل: ٨٠)

البيت نعمة، أي بيت صغيرًا كان أو كبيرًا، مِلكًا أو إيجارًا، معك مفتاح بيت تأوي إليه، ترتاح فيه، تؤدي فرائضك فيه، فأنت بخير، قال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً ﴾

(سورة النحل: ٨٠)

يقول ابن كثير، رحمه الله: يذكر الله تعالى عباده بتمام نعمته عليهم بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن، يأوون إليها، ويستترون بها، وينتفعون بها من سائر الوجوه.

أيها الإخوة الكرام، شيء آخر، يقول الله عز وجل:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

(سورة الأحزاب: ٣٣)

فالبيت ستر للمرأة، وصون لها، وحفظ لها، ومن عقوبات الله عز وجل، ما نص عليه في قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾

(سورة الحشر: ٢)

وقال تعالى:

﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

(سورة الحشر: ٢)

إذاً البيت نعمة، بل هو نعمة كبيرة، إذا صلح البيت صلح المجتمع، وإذا فسد البيت فسد المجتمع، أي نظام في الأرض يدعم البيت، ويدعم الأسرة، ويحفظها، ويصونها نظام رائع، يقترب من وحي السماء، وأي نظام في الأرض يفرق أطراف البيت، ويشتت جمع البيت، ويفسد البيت هو نظام يقترب من نظام الشيطان.

أيها الإخوة الكرام، البيت أساس المجتمع.

أولاً: الله عز وجل يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

(سورة التحريم: ٦)

أنت ملزم بنص هذه الآية، وكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، أنت ملزم أن تقي نفسك وأهلك نار جهنم باجتناب المعاصي، والمعاصي لا تجتنب إلا بالتنوير والتعليم، فيجب أن يكون البيت منوراً بهدي الله عز وجل، مطبقاً لشريعة الله عز وجل، مصوناً بحفظ الله عز وجل.

ثمة حديث أيها الإخوة الكرام يضع كل رب أسرة أمام مسؤوليته:

عن أنس بن مالك، رضي الله عنه،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته))

[حديث حسن، أخرجه النسائي وابن حبان]

هذا الذي يتزوج زوجة، وينجب منها أولاداً، ولا يبالي بهذا البيت، بأخلاق البيت، بانضباط البيت، بما فيه من منكرات، بما فيه من معاصٍ وآثام، هذا ليس أباً جديراً بالاحترام.

أيها الإخوة الكرام، البيت مكان لحفظ النفس، والسلامة من الشرور، وكفها عن الناس، وهو الملجأ الشرعي عند الفتنة، قال صلى الله عليه وسلم:

((طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته))

[حديث حسن الإسناد، رواه الطبراني]

وورد في بعض الآثار: أن المؤمن جنته داره.

لو أن المؤمن سعى جاهداً ليجعل من بيته جنة، بمعنى أنه أقام في البيت علاقات الود، أقام في البيت علاقات الرحمة، أقام في البيت العبادات، أقام في البيت الصلوات، أقام في البيت الذكر، هذا السلوك، أيها الإخوة الكرام، يجعل البيت جنة، أنا حينما أقول: البيت، فلا أتحدث عن مساحته أبداً، ولا عن موقعه، ولا عن نوع فرشه، ولا عن تزييناته، أتحدث عن بيت يأوي الإنسان إليه.

أيها الإخوة الكرام:

((طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته))

[حديث حسن الإسناد، رواه الطبراني]

وجاء في بعض الأحاديث:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال:

((عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، في خمس، من فعل منهن واحدة كان ضامناً على الله عز وجل: من عاد مريضاً، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازياً في سبيل الله، أو دخل على إمام يريد بذلك تعزيزه وتوقيره، أو قعد في بيته فسلِم وسلِم الناس منه))

[حديث رواه أحمد في مسنده، ورجاله رجال الصحيح إلا واحداً]

أحياناً في زمن الفتنة أن تقبع في بيتك هذا حسم للشر، ورد في الأثر:

سلامة الرجل من الفتنة، أن يلزم بيته.

١) حسن اختيار الزوجة :

أيها الإخوة الكرام، محور الموضوع وسائل إصلاح البيوت، أول وسيلة، وقد تستغربون من هذه الوسيلة، وقد لا يكون في الظاهر من علاقة بينها وبين البيت.

النصيحة الأولى لحفظ البيت ولصلاحه ولتماسكه ولتفوقه: حسن اختيار الزوجة:

امرأة شكت إلى النبي عليه الصلاة والسلام زوجها:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت:

تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع له ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت عائشة: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾

(سورة المجادلة: الآية ١)

[حديث صحيح الإسناد، أخرجه الحاكم في مستدركه]

هذه المرأة التي شكت إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وقد سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، بينت أن الزوج يكسب الرزق، وأن المرأة تربي الأولاد.

إذاً حينما تكون على رأس البيت امرأة صالحة تعرف الله عز وجل، وتعرف خطورة دورها في الحياة، وتعرف أن أعلى شهادة تحملها هي أولادها، وتعلم أنها إذا أعطت المجتمع عناصر نظيفة منضبطة معطاءة كان لها عند الله أجر كبير، كيف لا وقد ورد في الأثر: أول من يمسك بحلق

الجنة أنا، فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت: مَن هذه يا جبريل؟ قال: هي امرأة مات زوجها، وترك لها أولاداً، فأبت الزواج من أجلهم.

هذه التي ربت أولادها تربية إيمانية أخلاقيةً دينية عاليةً، تنازع رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول الجنة.

أيها الإخوة الكرام، قال تعالى:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(سورة النور: ٣٢)

إذاً الوسيلة الأولى لصلاح البيت حسن اختيار الزوجة، وأول عمل ينجح فيه الإنسان أن يحسن اختيار زوجته، فالزوجة الصالحة هي حسنة الدنيا، فقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى:

﴿ ومنهم من يقول رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

(سورة البقرة: ٢٠١)

قال: المرأة الصالحة حسنة الدنيا، التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا غبت عنها حفظتك، وإذا أمرتها أطاعتك.

ستيرة عفيفة، تصون زوجها وتربي أولادها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

((تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظْفَر بذات الدين تَرِبَتْ يداك))

[حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

((الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة))

[حديث صحيح، أخرجه مسلم]

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وبدناً على البلاء صابراً، وزوجةً لا تبغيه خوناً في نفسها ولا ماله))

[حديث رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال:

((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهياً شديداً، ويقول: تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة))

[حديث رواه أحمد في مسنده بإسناد حسن]

إذاً البطولة ألا تؤخذ بجمال من دون دين، ألا تؤخذ بحسب من دون دين، ألا تؤخذ بمال من دون دين، البطولة أن ترجح دين الزوجة على كل المرغبات الأخرى.

ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام جعل المرأة الصالحة أحد أسباب سعادة الدنيا، وجعل المرأة السيئة أحد أسباب شقاء الدنيا، فإما أن تسعد بها، وإما أن تشقى بها، فبذلك أيها الإخوة الكرام في قضايا الحياة قضايا جانبية عرضية، لا تؤثر على جوهر حياتك، ولكن في الحياة أشياء مصيرية تتعلق بسعادتك أو شقائك.

٢) حسن اختيار الزوج :

الآن الخطاب إلى ولي أمر الفتاة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

((إِذا خَطَبَ إِليكم من تَرضَوْن دينه وخُلُقَه فزوجّوه، إلا أن تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض))

[حديث حسن، أخرجه الترمذي]

أيها الإخوة الكرام، الرجل الصالح مع المرأة الصالحة يبنيان بيتاً صالحاً، لأن البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا.

٣) إصلاح الزوجة السيئة :

لو أن إنساناً لم يكن يعنى بأمر الدين، وتزوج بصفات ليست كما جاءت عن سيد المرسلين، زوجته سيئة، ماذا يفعل؟ إن لم يكن اختيارك حسناً فعليك أن تصلح زوجتك، هذا يحتاج إلى نفس طويل، يحتاج إلى موعظة، يحتاج إلى إحسان، يحتاج إلى أن تعلمها، أن تهذبها، أن تجلس معها وقتاً طويلاً، أن تلقي عليها الأحكام والمواعظ، أن تلقي عليها الحكم، أن تسمعها دروس العلم، أن تأخذ بيدها إلى الله، فلذلك قال تعالى:

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾

(سورة الأنبياء: ٩٠)

وقد قال بعض المفسرين: كانت عاقراً فولدت، وقال بعضهم: كان في لسانها طول، فأصلحها الله عز وجل.

إذاً هذا الذي ييأس من صلاح زوجته لا يعرف طبيعة النفس الإنسانية، النفس الإنسانية مؤهلة كي تتصلح، وكي تعود إلى جادة الصواب.

أيها الإخوة الكرام، اعتنِ بعبادة الزوجة، اعتنِ بصلاتها، اعتنِ بتلاوتها للقرآن، اعتنِ بأذكارها، اعتنِ بقيامها، اعتنِ بتلاوتها لكتاب الله عز وجل، حثها على الصدقة، احملها أن تدفع مالاً من

مالها الخاص تقرباً إلى الله عز وجل، ادفع لها الكتب الإسلامية المفيدة كي تقرأها، اجعل البيت منتدى فكرياً لا مكان طعام وشراب ونوم، أسمعها الأشرطة المفيدة العلمية والإيمانية، اختر لها صاحبات مؤمنات يرقين بها إلى سلم الإيمان، ادرأ الشر عنها، سد منافذ الفساد عليها بإبعادها عن قرينات السوء، وأماكن السوء، إذاً إما أن تحسن اختيار الزوجة، وإما أن تصلح الزوجة السيئة، هذه أول نصيحة في صلاح الدنيا.

٤) إحياء البيوت بذكر الله :

أيها الإخوة الكرام: اجعلوا البيوت أمكنةً لذكر الله:

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قال:

((مَثَلُ البَيْتِ الذي يُذكَرُ اللهُ فيه، والبيت الذي لا يذكرُ الله فيه، مَثَلُ الحيِّ والميّت))

[حديث صحيح، أخرجه مسلم]

بيت كالميت، ليس فيه ذكر الله، وبيت فيه الحياة، لأن فيه ذكر الله عز وجل.

أيها الإخوة الكرام، الذكر بالقلب، والذكر باللسان، والذكر بإقامة الصلوات، والذكر بتلاوة القرآن، والذكر بمذاكرة العلم الشرعي، والذكر بقراءة الكتب المفيدة.

أيها الإخوة الكرام، لا تنسوا هذا المثل، بين بيت فيه ذكر الله، وبيت لا يذكر الله فيه، كالحي والميت، فكيف إذا كان في البيت مزامير الشيطان، والأغنيات الماجنة، والمشاهدات التي لا ترضي الله عز وجل؟ كيف إذا كان فيه الاختلاط المحرم، والغيبة، والنميمة، وفساد ذات البين؟

٥) إعمار البيوت بالصلاة :

اجعلوا بيوتكم قبلة، والمقصود أن يتخذ البيت مكاناً للعبادة، قال تعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة يونس: ٨٧)

قال ابن عباس: أمروا أن يتخذوها مساجد.

وقال بعض المفسرين: لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه، وضيقوا عليهم أمروا بكثرة الصلاة، كما قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

(سورة البقرة: ١٥٣)

عن حذيفة رضي الله عنه، قال:

((كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبَه أمر صلى))

[حديث أخرجه أبو داود بإسناد ضعيف]

إذاً اجعلوا بيوتكم قبلة، أي: أدوا الصلوات النافلة فيها، والسنة أن تصلي الفرائض في المسجد، والسنن والنوافل في البيت، لئلا يكون البيت قبراً، وكان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يحرصون على الصلاة في البيوت في غير الفريضة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إِذا قضى أحدُكم الصلاة في مسجده، فَلْيَجْعَلْ لبيته نصيباً من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيراً))

[من حديث صحيح، أخرجه مسلم]

عن عتبان بن مالك رضي الله عنه، قال:

((يا رسولَ الله، إن السُّيولَ تحولُ بيني وبين مسجدِ قومي، فأُحِبُّ أن تأتيني في مكان من بيتي أتّخِذُه مسجداً، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: سنفعل، فلما دخل النبيُّ صلى الله عليه وسلم قال: أين تريد؟ فأشار إلى ناحية من البيت، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فصففْنا خلفَه، فصلّى بنا ركعتين))

[حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

كان الصحابة الكرام يحبون أن يؤدوا الصلوات، ولا سيما السنن والنافلة في بيوتهم، لئلا تكون بيوتهم قبوراً.

٦) التربية الإيمانية لأهل البيت :

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل، فإذا أوتر قال: قومي فأوتري يا عائشة))

[حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

وكان أصحاب البيت يدعو بعضهم بعضاً إلى أداء العبادات:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء))

[حديث صحيح، أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد]

وترغيب النساء بالصدقة يزيد في إيمانهن، ولقد حث النبي عليه الصلاة والسلام النساء على الصدقة بقوله:

((يا مَعْشَرَ النساء، تَصَدَّقْنَ، ولو من حُلِيِّكُنَّ، فإنكنَّ أَكثرُ أهلِ جهنم يومَ القيامة))

[من حديث صحيح، أخرجه الترمذي]

٧) الأذكار المتعلقة بالبيوت :

مثلاً أذكار دخول البيت :

عن جابر بن عبد اللّه رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((إذا دخل الرجلُ مَنزِلَه فذكر اللّه عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مَبيتَ لكم ولا عَشاءَ، وإن ذكر اللّه عند دُخوله، ولم يذكره عند عشائه، يقولُ: أدركتم العَشاء، ولا مَبيتَ لكم، وإذا لم يذكر اللّه عند طعامه قال: أدركتم المبيتَ والعَشاءَ))

[حديث صحيح، أخرجه مسلم وأبو داود]

يدخل الإنسان إلى البيت لا يسلم يجلس إلى الطعام، لا يسمي، لا يبدأ باسم الله، يقول الشيطان لإخوانه: أدركتم المبيت والعشاء معاً في هذا البيت، ترى الخصومات والصياح والقسوة والعنف، هذا كله من فعل الشيطان.

مثال آخر:أذكار الخروج من البيت:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إذا خرج الرَّجُلُ من بيته، فقال: بسم الله، توكلتُ على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له حينئذ: هُدِيتَ، وكُفِيتَ، ووُقِيتَ، فَيَتَنَحَّى له الشيطانُ، فيقول شيطانٌ آخرُ: كيف لك برجلٍ قد هُدِيَ، وكُفيَ، ووُقِيَ؟))

[حديث أخرجه أبو داود بإسناد صحيح]

إذا خرجت من بيتك قل:

بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

عن شُريح بن هانئ قال:

((سألتُ عائشةَ: بأي شيء كان يَبْدَأُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك))

[من حديث صحيح، أخرجه مسلم]

٨) قراءة سورة البقرة في البيت :

مواصلة قراءة سورة البقرة في البيت لطرد الشيطان منه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

((لا تجعلوا بيوتكم مقابرَ، إن الشيطان يَفِرُّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة))

[حديث صحيح، أخرجه مسلم]

٩) تعليم أهل البيت أمر دينهم :

لا بد من أن يقوم رب الأسرة بتعليم أهل البيت أمر دينهم، تنفيذاً لأمره تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

(سورة التحريم: ٦)

هذه الآية أصل في تعليم أهل البيت، وتربيتهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ومن بعض ما قاله المفسرون حول هذه الآية:

قال قتادة: يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله، يأمرهم به، ويساعدهم عليه.

وقال الضحاك: حق على المسلم أن يعلم أهل بيته من قرابته وإمائه ما فرض الله عليهم، وما نهاهم عنه.

وقال الإمام علي رضي الله عنه: علموهم وأدِّبوهم.

فلا بد من تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب، وكان عليه الصلاة والسلام يحث على تعليم الإماء، وهن أرقاء، فما بالك بالأولاد وهم أحرار.

بعض الرجال ممن يتولون أمر بيوتهم يغفلون عن تعليم أهليهم ما ينبغي أن يعلموهم، فحينما تغفل عن تعليم أهل البيت تتفجر مشكلات لا تستطيع حلها، لأنها ناتجة عن الجهل، لو تلافيت الأمر، وعلمتهم قبل أن يجهلوا، وعلمتهم قبل أن ينحرفوا لكان التعليم استثماراً للوقت، وليس هدراً للوقت، هذا الذي يقول: ليس عندي وقت، هذا جواب غير مقبول، لأنك حينما تعلم يرتاح بالك، وتقر عينك، وربنا عز وجل قال:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾

(سورة الفرقان: ٧٤)

ما معنى قرة العين؟ أن ترى الذي تحبه على طاعة الله، أن ترى الذي تحبه مطيعاً لله، وقد أودع الله في الإنسان محبة أولاده، فإن رآهم على طاعة الله قرت عينه.

١٠) اقتناء الكتب الإسلامية :

اجعل في البيت نواةً لمكتبة إسلامية، هذا بيت لا بد أن تكون فيه ثقافة إسلامية، لابد من كتاب تفسير، لا بد من كتاب حديث، لا بد من كتاب سيرة، لا بد من كتاب فقه، لا بد من كتب متنوعة تختارها بعناية بالغة، تسأل أهل العلم عن أفضل كتاب في التفسير، عن أفضل كتاب في الحديث، عن أفضل كتاب في الفقه، في السيرة، تجعل هذه المكتبة نواة لمطالعة أولادك، ولزوجتك، ولإخوانك.

فهذا كله مما يعمق الثقافة الإيمانية في البيت، وبالتالي ربما حمل أفراد الأسرة على أن يتبعوا ما في هذه الكتب من توجيهات.

شيء آخر أيها الإخوة الكرام، يمكن أن تعتني أيضاً بمكتبة سمعية في البيت، أشرطة لعلماء تثق بعلمهم، وبحكمتهم، وبحسن توجيههم.

أما أن يكون البيت كما قلت قبلاً مكاناً للطعام والشراب والنوم فهذا فندق للخصومات والمشاحنات، والنكد والكلام القاسي، والبغضاء، هذا كله لا يرضي الله عز وجل.

وأخيراً :

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

* * *

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الولد الصالح هو قرة العين :

أيها الإخوة الكرام: حينما يقول سيد الأنام:

((إن من أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه))

[حديث صحيح، أخرجه الحاكم في مستدركه]

يعني لك حركة في الحياة واسعة جداً، قد تصبح أكبر تاجر، أو أكبر صناعي، أو أكبر اقتصادي، أو أكبر مدرس في الجامعة، وقد تبلغ قمم النجاح في مناحي الحياة كلها، ولكن حينما تعلم أن أفضل كسبك على الإطلاق، أن يكون أولادك في أعلى مستوى إيماني وخلقي وتربوي، هذا مما يجعل الإنسان في سعادة لا توصف، وهذا معنى قرة العين التي ذكرها الله في القرآن الكريم:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾

(سورة الفرقان: ٧٤)

إذاً أيها الإخوة الكرام: حينما تبذل وقتاً ثميناً في تربية أهل البيت، وفي إصلاح شأنهم، وفي تقريبهم من الله، وفي إبعادهم عن مواطن الفساد فأنت أب ناجح، وأنت أب تستحق الإكبار والتكريم، أما حينما يدع الإنسان أهله متفلتين شاردين عن طاعة الله عز وجل، فهذا إنسان لا يستحق أي احترام، لأنه كان مسؤولاً.

وقد ورد في بعض الآثار أن الفتاة التي انحرفت بسبب إهمال تربيتها تقول لرب العزة يوم القيامة: يا رب، لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي، لأنه كان سبباً في فسادي.

فالأب حينما يهمل بيته، وحينما يسمح للملهيات والمفسدات أن تدخل البيت، وحينما يسمح للجيران غير الصالحين أن يختلطوا مع أهل بيته، وحينما يسمح لأطراف البيت بالذهاب حيثما شاؤوا دون ضبط، ودون مراقبة، ودون تحقيق، فهذا أب شرد هو عن الله عز وجل، وشردت معه أسرته، فاستحق سوء العقاب في الدنيا والآخرة.

هذا الفساد الذي ترونه في الطرقات، هؤلاء الفتيات الكاسيات العاريات، أليس لهن آباء؟ أليس لهن إخوة؟ أين هم؟ كيف سمح الآباء لبناتهم بهذه المظاهر الفاضحة؟ هناك مسؤولية كبيرة تترتب على الآباء، هذا كلام موجه للآباء أولاً، وموجه لمن يعقد العزم على الزواج ثانياً.

أول شيء في نجاح الأسرة: اختر امرأة صالحة، هذه المرأة الصالحة قوام البيت الصالح، والبيت الصالح قوام المجتمع الصالح.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٩٤٩ : البيت المسلم٢ (وسائل إصلاح البيوت٢).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٤-١٢-٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

وسائل إصلاح البيوت ٢ :

أيها الإخوة الكرام، نتابع الموضوع حول البيت المسلم، وقد ذكرت في الخطبة السابقة أن الأمة بمجموعها تتألف من بيوت، فإن صلحت البيوت صلحت الأمة، وذكرت نصائح عشر لصلاح البيت المسلم، وهاأنذا أتابع هذا الموضوع.

١١) دعوة الصالحين لزيارة البيت :

انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ﴾

(سورة نوح: الآية ٢٨)

أيها الإخوة الكرام، يتضح من هذه الآية أنه ينبغي ألا تصاحب إلا مؤمناً، وينبغي ألا يأكل طعامك إلا تقي، إذاً حينما تدعو الصالحين، ممن تثق بعلمهم، ممن تثق بورعهم، ممن تثق بصحة توجيههم، فتستمع إلى ما في هذا الدين العظيم من حقائق، من عقائد، من بطولات، من نماذج، وحينما تنقل الصوت إلى أهل بيتك فيستمعون معك يكون هذا البيت مباركًا.

أيها الإخوة، هذا الذي يضفي على البيت ما يسميه الناس بالنور، بيت منوّر، بيت مبارك بيت تتلى فيه آيات القرآن الكريم، بيت تشرح فيه حقائق الدين، بيت يدخله الأخيار الأطهار من طلاب العلم.

فيا أيها الإخوة، حينما يؤم البيت أهل العلم والأخيار، وطلاب العلم والأطهار، فالله سبحانه وتعالى يبارك أهل هذا البيت، هذه نصيحة تأتي ضمن ما ينبغي أن نفعله في بيوتنا.

١٢) تعلّم الأحكام الشرعية للبيوت :

من هذه الأحكام الشرعية:

١- تخصيص مكان للصلاة :

أن يكون في البيت مكان للصلاة، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((أفضلَ صلاةِ المرءِ في بيته، إلا المكتوبةَ))

[من حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

وقد ورد في الأثر أن: تطوع الرجل في بيته، يزيد عن تطوعه عند الناس.

يعني إذا صليت صلاة نافلة، هي في بيتك يزيد ثوابها على صلاة التطوع بين الناس، كفضل صلاة الرجل في جماعة على صلاته وحده، فالفريضة إذا صليتها في جماعة يرتفع أجرها، والنافلة إذا صليتها في بيتك يرتفع أجرها.

أول حكم متعلق في البيت أن تصلي فيه النوافل أنت وأهلك.

٢- إمامة صاحب البيت في بيته :

من الأحكام الشرعية في البيت ألا يؤم غير صاحب البيت في بيته، فصاحب البيت أولى أن يصلي بمن في البيت، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((لا يُؤمَّنَّ الرِّجُلُ الرِّجُلَ في سُلطانِهِ، ولا يقعدْ في بيته على تَكْرِمَتِهِ إلا بإذنه))

[من حديث صحيح، أخرجه مسلم]

كمثال: مكتب لصاحب البيت، ووراء المكتب كرسي، ينبغي ألا تجلس في مكان صاحب البيت، هذا من آداب النبوة التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- الاستئذان :

من أحكام البيوت الاستئذان، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (*)فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

(سورة النور٢٧-٢٨)

لو أن إنساناً اتصل اتصالاً هاتفياً ليزور صديقاً له، أو أخاً له، فكان هذا الصديق أو الأخ على موعد مهم، فاعتذر، لماذا الغضب؟ والله عز وجل يقول:

﴿ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ﴾

(سورة النور: الآية ٢٨)

الآية تقول: إذا وصلت إلى البيت، ولم يؤذن لك فارجع، فكيف إذا اتصلت هاتفياً، وأنت في البيت؟ إذاً من أدب دخول البيوت أن تكون بعد استئذان لأصحابها، فلعل هناك مشكلة، لعل هناك مرضاً، لعل هناك حاجةً، لعل هناك موعداً مهماً.

٤- عدم الاستئذان في بعض الأماكن :

من أحكام البيوت: جواز دخول البيوت التي ليس فيها أحد بغير استئذان، إذا كان للداخل فيها متاع، كالبيت المعد للضيافة، تدخل أنت إلى الفندق من دون استئذان، لأن هذا الفندق قد أعد لضيافة المسافرين، قال تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾

(سورة النور: الآية ٢٩)

٥- الأكل بلا حرج في بعض البيوت :

من آداب البيوت عدم التحرج في الأكل من بيوت الأقرباء والأصدقاء، وما ملك المرء مفاتيحه من بيوت الأقرباء والأصدقاء، إذا كانوا لا يكرهون ذلك، قال تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آَبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً ﴾

(سورة النور: الآية ٦١)

يعني قد يكون صاحب البيت في أسعد حالاته حينما تأكل من بيته، إذاً الامتناع عن الأكل في بيوت الأقرباء والأصدقاء والإخوة الكرام، هذا نوع من الجفاء.

٦- استئذان الأطفال على الأبوين :

من آداب البيوت أيها الإخوة، أن تأمر الأطفال بعدم اقتحام غرف نوم الأبوين بغير استئذان في أوقات النوم المعتادة، قبل صلاة الفجر، ووقت القيلولة، وبعد صلاة العشاء، خشية أن تقع أعينهم على ما لا يناسب، ولو رأوا شيئاً عرضاً في غير هذه الأوقات فيغتفر، لأنهم من الطوافين الذين يشق منعهم، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(سورة النور: الآية ٥٨)

٧- تحريم الاطلاع على البيوت :

هذا أيضاً من أدب البيوت، تحريم الاطلاع على بيوت الآخرين بغير إذنهم، قال عليه الصلاة والسلام:

((من اطّلع في بيت قوم بغير إذنهم ، فَفَقَؤوا عينه، فلا دِيَةَ له ولا قصاص))

[من حديث صحيح، أخرجه النسائي]

القصد أنه محرم أشد التحريم أن تنظر إلى بيوت الآخرين.

٨- عدم إخراج المرأة المطلقة :

شيء آخر، يقول الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً ﴾

(سورة الطلاق: الآية ١)

أي عدم إخراج المرأة المطلقة طلاقاً رجعياً من البيت، هذا أيضاً من أحكام البيوت الشرعية.

٩- عدم البيات وحيداً في البيت :

أيها الإخوة، ألا يبيت المرء وحيداً في البيت، هذا من توجيه النبي عليه الصلاة والسلام:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((نهى عن الوحدة أن يبيت الرجل وحده، أو يسافر وحده))

[حديث أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح]

هذا النهي أيها الإخوة، من أجل ألا يستوحش الإنسان، من أجل أن يتقي عدواً أو لصاً أو مرضاً مفاجئاً، فالأولى ألا يبيت المرء وحده في البيت، وألا يسافر وحده.

١٠- عدم النوم على سطح بلا سور :

ومن توجيه النبي عليه الصلاة والسلام ألا ينام على ظهر بيت ليس له سور، حتى لا يسقط فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ بَاتَ على ظهر بيت ليس عليه حِجار، فقد برئت منه الذّمّةُ))

[حديث صحيح، أخرجه أبو داود]

ويقاس على هذا كل شيء يمكن أن يؤدي إلى خطر، أن يكون التيار عالياً، والأشرطة مكشوفة، يصاب الطفل بصعقة مميتة من قبل التيار، أي شيء يقاس على أن ينام الإنسان على سطح بلا سور فيقع فقد عصى أبا القاسم.

١٣) نقاش أمور الأسرة في البيت :

أيها الإخوة، من وسائل صلاح البيوت،الاجتماعات التي تناقش فيها أمور الأسرة، ففي الاجتماع يستمع الأب إلى وجهات نظر أولاده، يستمع الأب إلى وجهات نظر بناته، يستمع الأب إلى وجهة نظر زوجته، وقد يستمع الأولاد إلى رأي أبيهم، أما أن تبرم الأمور بعيداً عن المشاورة، بعيداً عن مجلس العائلة، بعيداً عن اجتماع على مستوى الأسرة، فهذا ما يفكك البيوت، فمن الأصول المتبعة أن تعقد في البيت اجتماعات تتداول فيها شؤون الأسرة، ويدلي كل واحد منهم برأيه، فتلاقي الآراء قد يهدي إلى الصواب، وأحياناً تعقد في البيت اجتماعات لتداول شؤون الحي، لإصلاح ذات البين، لحل مشكلات الأسرة الموسعة، لحل مشكلات الأزواج، لحل مشكلات اقتصادية، أو تعليمية، أو صحية، أو اجتماعية، حينما يكون البيت مصدر خير، حينما تعقد فيه لقاءات هدفها إصلاح ذات البين، حينما تعقد فيه لقاءات

هدفها نشر العلم، حينما تعقد فيها لقاءات هدفها التعاون على البر والتقوى، هذا أيضاً أحد عوامل صلاح البيوت.

١٤) إخفاء خلافات الأبوين عن الأولاد :

فكم من أب يأمر ابنه ألا يكلم أمه، وكم من أم تأمر ابنتها ألا تكلم أباها!

أيها الإخوة، ينبغي أن ندقق في أن هذه الخلافات الزوجية إذا انتقلت إلى الأولاد كان لها أثر سلبي بالغ السوء.

١٥) عدم إدخال العصاة إلى البيت :

المتفلت الذي لا ينضبط لا بشرع ولا بمبدأ، ولا بقيمة ولا بآخرة، ولا بخوف من الله،يتكلم كيفما يشاء، ويغري أهل البيت بالمعاصي والآثام، ويدعوهم إلى التفلت، فإذا احتجوا بأن الأب لا يوافق يدعوهم إلى نبذ هذا التسلط، فقد يأتي إنسان إلى بيت، والبيت في أفضل حالة له، هذا الإنسان يفسد العلاقات، وقد ورد في الأثر: ليس من من فرّق.

فكم من جارة سيئة تفسد على الزوجة علاقتها بزوجها، وكم من جار سوء يفسد على الزوج علاقته بزوجته، وكم من شاب يفسد على الشاب علاقته بأبيه، فينبغي ألا يسمح بدخول إنسان أو إنسانة هدفها إفساد ذات البين، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله ﴾

(سورة الحجرات: ١٠)

ويقول عليه الصلاة والسلام،يحذرنا من فساد ذات البين يقول:

((البغضاء هي الحالقة، ليس حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين))

[من حديث رواه البزار بإسناد جيد]

وقال عليه الصلاة والسلام:

((ومثل الجليس السوء، كمثل صاحب الكير، إِن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه))

[من حديث صحيح، أخرجه أبو داود]

وقال أيضاً:

((من أفسد امرأة على زوجها فليس منا))

[من حديث صحيح، أخرجه أبو داود]

١٦) جلوس الأب مع أسرته :

أن تكون موجوداً في البيت كلما استطعت، أمر مهم جداً، وجود ولي الأمر في بيته يضبط الأمور، يمكنه من الإشراف على التربية، وإصلاح الأحوال في المراقبة، والمتابعة، وعند المؤمنين الأصل أن تكون في بيتك، والأصل في المرأة أن تكون في بيتها، تخرج لأمر ضروري، أما عند معظم الناس فالأصل أن تخرج من البيت، الأصل أن تمضي الوقت خارج البيت، لك أن تخرج من البيت لهدف نبيل، أن تمشي في إصلاح ذات بين، أن تمشي في تعليم علم، أما أن يكون الهدف هو الخروج من البيت دائماً، فهذا يضعف تماسك الأسرة، ويضعف

تربية الأولاد، وقد يكون له آثار كبيرة جداً على مستقبلهم، وتحصيلهم، وأخلاقهم، وقيمهم، واستقامتهم.

١٧) مراقبة أحوال الأسرة :

من هم أصدقاء أولادك؟

هل سبق أن قابلتهم، أو تعرفت عليهم؟

ماذا يجلب أولادك معهم من خارج البيت؟ إلى أين تذهب ابنتك، ومع من؟

هذه أشياء لا يعفى منها أب ولا أم، وكثيراً ما تخرج البنت تحت غطاء كاذب، وتقع الفاحشة، وكثيراً ما يخرج الابن تحت غطاء كاذب، حينما يرى الأب والأم لا يحققون، ولا يدققون، ولا يسألون، ولا يستفسرون، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته))

[حديث حسن، أخرجه النسائي وابن حبان]

ولكن، أيها الإخوة الكرام، يجب أن تكون المراقبة بشكل خفي، وبأسلوب ذكي:

الإسلام يرفض أجواء الإرهاب، الإسلام يرفض أن يحس الأولاد بعدم الثقة من أوليائهم، ينبغي أن يراعى العقاب بما يتناسب مع سن الطفل، ففي سن تضاحكه، وفي سن تؤدبه، وفي سن تراقبه، وفي سن تنصحه، فقضية النصح والعقاب يجب أن تراعى فيها أعمار الصغار، فهناك أحياناً تدقيق من قبل الأهل لا يحتمل، هذا له مفهوم عكسي، ينبغي أن نبتعد عنه أيضاً، نحن لسنا في شركة، وليس الأب ملكاً موكلاً بتنزيل كل الأخطاء، ينبغي أن يراقب، وأن يدقق، لكن بأسلوب ذكي وخفي، من دون أن يشعر أولاده بعدم الثقة، بالمقابل هناك آباء لا يتدخلون إطلاقاً بشؤون أولادهم، إلى درجة أن هذا الابن أو تلك البنت تفسد وتنحرف، لأنها مغطاة من قبل ثقة ساذجة من قبل الأب، هذه الثقة الساذجة تجعلها تتحرك كما تشاء.

١٨) الاهتمام بالأطفال :

يجب على الأب أن يقرئ أولاده القرآن، يشرح لهم شرحاً مبسطاً معاني الآيات، يقدم لهم المكافآت لحفظه، الصغار يتعلمون آداب الإسلام، ويتعلمون أذكار الأكل، والنوم، والعطاس، والسلام، والاستئذان، ويسرد عليهم بعض القصص، هذا كله مما يؤلف قلوب الصغار في البيت.

١٩) اختيار أصدقاء الأولاد :

أن يخرج أولادك مع كل من دب وهب، هذه مشكلة كبيرة، قد يرجع ومعه قصص ماجنة، قد يرجع ومعه ألفاظ بذيئة جداً، فينبغي أن تعتني باختيار أصدقاء أولادك كما تعتني بأولادك، هناك لعب مسلية، هذه تملأ فراغ الطفل، الأب أحياناً لا يقنع بهذه الألعاب، ألعاب هادفة بريئة مبرمجة، وقد تكون إسلامية، هذه تملأ فراغ الطفل، وهذا الطفل إن لم تشغله بالخير شغلك بالشر، وكان عليه الصلاة والسلام يمازح أهل بيته، كان يداعبهم، كان يلاعبهم، فالأب حينما يهبط إلى مستوى أولاده ينجح، وقد ورد في الأثر: من كان له صبي فليتصابَ له.

الأب حينما ينزل إلى مستوى أولاده فيمازحهم، ويضاحكهم، ويلعب معهم يؤلف قلوبهم وهذا هو الأب الذكي:

عن يعلى العامري رضي الله عنه:

((أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى طعام دعوا إليه، فإذا حسين مع الصبيان يلعب، فاستقل أمام القوم ثم بسط يده فطفق الصبي يفر هاهنا مرة، وهاهنا مرة، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت قفاه، ثم قنع رأسه فوضع فاه على فيه فقبله، وقال: حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط))

[حديث حسن لغيره، أخرجه الترمذي وابن ماجة والحاكم]

هكذا كان عليه الصلاة والسلام مع أولاده ومع أحفاده.

٢٠) تنظيم أوقات النوم والأكل :

بيوت كثيرة فيها فوضى، كل فرد من أفراد الأسرة يدخل إلى البيت، يأكل كما يتمنى بلا نظام، بلا مواعيد، بلا التئام مع باقي الأسرة، الأكل والنوم والسهر والاستيقاظ مفتوح، فهذا بيت كان

أمره فرطاً، أما الأب والأم، فيجب أن يكونا حازمين في تنظيم أوقات الطعام، وأوقات النوم في البيت، فنظام أوقات الطعام والنوم في البيت من أدق الأشياء التي تنتظم بها الأسرة.

أيها الإخوة الكرام، هناك نصائح كثيرة، وقد تصل إلى أربعين نصيحة، نتابعها في خطبة قادمة إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لكم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين.

* * *

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

زلزال تسونامي :

أيها الإخوة الكرام، هذا الزلزال الذي حدث في جنوبي شرق آسيا أدى إلى تزحزح جزر كثيرة جداً، قريباً من ثلاثين متراً، لكن الذي لا يصدق أن قوة هذا الزلزال وهذا الطوفان من أمواج البحر تساوي قوة مليون قنبلة ذرية، أخذت هذه المعلومات من مواقع معلوماتية دقيقة جداً ورصينة.

هذه الهزة لم يسبق لها مثيل من ثلاثمئة عام، لكن الأوبئة والأمراض الناتجة عن الجثث في المياه قد تميت قدر الذي أماتته حتى الآن، فحتى الآن مئة وخمسة وعشرون ألف قتيل أيها الإخوة.

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

(سورة البروج: الآية ١٢)

تحليلات علمية لحادثة تسونامي :

من التحليلات العلمية التي لا تتناقض مع التحليلات التوحيدية، أن هذه الزلازل كانت نتيجة لحركة ألواح الغلاف الصخري للأرض، هذه الحركة إما أن تكون متباعدة، أو مصطدمة، أو

منزلقة، فالحمم التي في باطن الأرض تتحرك نحو الأعلى، فإن تحركت نحو الأعلى تباعدت هذه الألواح، والألواح قدَّرَها العلماء باثني عشر لوحاً، أستراليا كلها لوح، جنوب شرق آسيا لوح آخر، الألواح تتباعد أو تصطدم أو تنزلق، ففي ارتفاع الحمم من الأسفل نحو الأعلى تتباعد، وفي نزولها نحو الأسفل تتقارب وتصطدم، هذه الألواح، تطفو فوق طبقة لدنة منصهرة عالية اللزوجة، عالية الحرارة، وحينما تدور الأرض حول محورها تؤدي إلى انزلاق هذه الألواح فوق هذه الطبقة اللزجة، والذي حصل: أن لوحين كبيرين: اللوح الأسترالي واللوح الأورانسي تصادما، فشكلا هذه القوة التي لم يسبق لها مثيل من ثلاثمئة عام.

الضحايا من البشر فقط :

أيها الإخوة الكرام، الشيء الذي لا يصدق، والأخبار سمعتها اليوم صباحاً أنه لم يعثر على جثة حيوان واحد، مقابل مئة وعشرين ألف جثة إنسان، لأن الحيوانات مزودة بحاسة تشعرها بالخطر قبل خمس عشرة دقيقة، ففرت الحيوانات، وحتى الآن لم يعثر على جثة حيوان واحد، لأن الحيوان غير مكلف بهذه المعالجة، فالإنسان يدعي العبقرية والعلم والذكاء والتقدم، ويؤله نفسه في هذا العصر، هذا فعل من؟

ثلاثة آلاف وستمئة إنسان قتلوا في الحادي عشر من أيلول، قامت الدنيا، ولم تقعد، وجيرت هذه النكبة للعرب والمسلمين، فكانت حرب الأفغان، وحرب العراق، والحصار الاقتصادي، والقتل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (*)يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

(سورة الحج ١-٢)

هذه الأمواج أيها الإخوة، سارت بسرعة ألف كيلو متر، واستغرق سيرها من مركز الزلزال إلى شواطئ الهند، وشواطئ إندونيسيا ساعة، الموجة قادرة على أن تحمل صخرة وزنها عشرين طناً.

درس إلهي لجميع البشر :

أيها الإخوة الكرام، هذا درس إلهي، يوم قال صانعو سفينة تايتانيك: إن القدر لا يستطيع إغراق هذه السفينة، غرقت في أول رحلة، اصطدمت بجبل جليدي، فانشطرت شطرين، قال أحد القساوسة وقتها: إن غرق هذه السفينة درس من السماء إلى الأرض، وهذا الذي حصل أيها

الإخوة الكرام، درس من الله للبشر كلهم، هؤلاء المتألهون، هؤلاء الذين يتجبرون، هؤلاء الذين يكيلون الصاع مليون صاع لمن مسهم، هؤلاء رأوا كيف أن الله عز وجل بحركة واحدة، بتصادم بين لوحين من ألواح الغلاف الأرضي الصخري كان هذا الذي حصل، وربما كانت الخسائر أكبر بكثير.

أيها الإخوة الكرام، يقاس الزلزال بمقياس رختر، وهذا المقياس مقسم إلى تسع درجات، نحن في العادة تمر بنا هزات أرضية بدرجة أو درجتين، هذه الدرجة أو الدرجتان ربما تشبه انفجار مئة وثمانين كيلو من مادة (تي إن تي)، أما الدرجة الثالثة فتساوي عشرين مليون طن من (تي إن تي)، على مقياس رختر، وقال بعض علماء الجيولوجيا: لولا هذه الهزات الأرضية التي تحدث لانفجرت الأرض كقنبلة نووية هائلة، هذا نوع من أنواع التنفيس، تنفيس الطاقة الزائدة التي في داخل القشرة الأرضية، ومع ذلك الزلزال جند من جنود الله عز وجل هو عقاب للمذنبين، وابتلاء للصالحين، وإنذار للناجين، لا يتناقض التفسير العلمي المحض مع التفسير التوحيدي، لكن الناس كما قال الله عز وجل:

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾

(سورة الزمر: الآية ٤٥)

يعني إذا عزوت هذا الزلزال إلى حكمة إلهية، وإلى درس إلهي تشمئز قلوب الكافرين، أما إذا اكتفيت بتفسيره تفسيراً أرضياً شركياً يرتاح له أولئك الناس.

أيها الإخوة الكرام، الفسق والفجور في جنوب شرق آسيا يفوق حد الخيال، وهذه المنتجعات الجميلة هي أرقى منتجعات في العالم، فلا يتناقض التفسير التوحيدي مع التفسير العلمي، بل يتكاملان، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾

(سورة هود: الآية ١١٧)

لكن الله عز وجل يعاقب بعض المسيئين، ويكافئ بعض المحسنين، أما الحساب الأخير والرصيد الكامل:

﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

(سورة آل عمران: الآية ١٨٥)

الحكمة والعبرة من هذا الحدث :

قد يسأل سائل: هناك بلاد فيها من الفسق والفجور كما في هذه البلاد، لمَ لم تصب؟ الجواب: الله عز وجل لحكمة بالغة يعاقب بعض المسيئين ردعاً للباقين، ويكافئ بعض المحسنين تشجيعاً

للباقين، فالذي نجا، أو البلاد التي نجت، أو البلاد التي لم تصب بسوء، ليس معنى هذا أنها مستقيمة، قد تكون في حالة تشبه حالة الذين هلكوا، لكن هذا يعد ردعاً لهؤلاء الناجين.

أيها الإخوة الكرام، مرة ثانية، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (*)يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

(سورة الحج ١-٢)

أيها الإخوة الكرام، إذا قلنا هناك حكمة من هذا الزلزال، كلمة حكمة هي ألطف كلمة، وأوسع كلمة، وأشمل كلمة، المستقيم يعد له ابتلاءً، والمذنب يعد له عقابًا، والناجي يعد له إنذارًا، هذا أدق كلام يقال، إنه درس من السماء للأرض، إنه درس للمتجبرين، ودرس للطغاة، ودرس للمتألهين، ودرس للمستكبرين.

في موقع معلوماتي أيها الإخوة الكرام، عرضوا قصصاً تزيد على الثلاثين قصة عن بعض الذين نجوا، وقد وصفوا ماذا حل بهم، شيء لا يصدق، موجة عاتية تدخل إلى الفندق، تأخذ كل من فيه، الأبواب تقتلع من أماكنها، الشرف تنهار، تأخذهم إلى وسط البحر، الذين نجوا قلائل جداً، في إندونيسيا ستة عشر ألف جزيرة، فالموج يكتسح الجزيرة، وينتقل إلى طرفها الآخر.

فيا أيها الإخوة المؤمنون، ينبغي أن نتعظ، ينبغي أن نصطلح مع الله، ينبغي أن نتوب إليه، ينبغي أن نرجع إليه، فالذين نجوا يجب أن تكون هذه الأحداث عبرة لهم، قال تعالى:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

(سورة البروج: الآية ١٢)

والحمد لله رب العالمين

الباب الثامن : المرأة في الإسلام

٠١ – المرأة في الإسلام١ (المساواة بين الذكور والإناث)

٠٢ - المرأة في الإسلام٢ (وليس الذكر كالأنثى)

٠٣ - شهادة المرأة في الإسلام

٠٤ - ندوة حول اتفاقية مكافحة أشكال التمييز ضد المرأة

خطبة الجمعة – الخطبة ٠٥٣٩ : المرأة في الإسلام١ (المساواة بين الذكور والإناث).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٩-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، موضوع الخطبة السابقة عن الظالم لنفسه، فأمة النبي صلى الله عليه وسلم حيال هذا التراث النبوي، وحيال الكتاب الذي أورثه الله لهذه الأمة أصناف ثلاثة ؛ ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات. تحدثت في الأسبوع الماضي عن الظالم لنفسه ووعدتكم في الأسبوع الحالي أن أتحدث عن المقتصد، وعن السابق بالخيرات ولكن موضوعات أحياناً تقفز إلى ساحة الاهتمام فجأة ينبغي أن نعالجها، فسأرجئ الحديث عن المقتصد، وعن السابق بالخيرات إلى خطبة أخرى إن شاء الله تعالى والحديث اليوم عن المرأة في الإسلام.

أيها الإخوة الكرام، المرأة في الإسلام مساوية للرجل تماماً في نقاط كثيرة تزيد عن عشر حالات، فالمرأة من حيث هي إنسان مساوية للرجل تماماً، فلاها مشاعره، ولها أحواله، ولها خصائصه، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

[سورة النساء]

يا أيها الناس: تعني الرجال والنساء.

فالمشاعر التي يشعر بها الرجل تشعر بها المرأة، والقيم التي يسمو إليها الرجل تسمو إليها المرأة، والبطولة التي يحققها الرجل تحققها المرأة، فالرجل والمرأة من نفس واحدة.

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١)﴾

[سورة النساء]

المرأة من حيث هي إنسان مشابهة للرجل تماماً، لقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود وأحمد والترمذي:

((إنما النساء شقائق الرجال))

ولقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ؟))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد ومالك]

والمولود ذكراً كان أو أنثى.

أية نظرة إلى المرأة على أنها من طبيعة أخرى، على أنها دون الرجل من حيث أنه إنسان هي نظرة جاهلية، لا يقرها الإسلام ولا يقبلها بل جاء ليحاربها.

شيء آخر أيها الإخوة، كما أن الرجل يستقيم المرأة تستقيم، وكما أن الرجل ينحرف تنحرف المرأة. يؤمن وتؤمن، يكفر وتكفر، يعصي وتعصي، يطيع وتطيع، يسمو وتسمو، يرقى وترقى. قال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)﴾

[سورة الشمس]

والنفس ذكراً كان أو أنثى.

فألهمها فجورها وتقواها: أي مركب في فطرة الإنسان ذكراً كان أو أنثى أنها تعرف طريق فجورها، وطريق تقواها، وأنها إذا اتقت أو إذا فجرت تعلم بفطرتها أنها اتقت أو فجرت. هذا هو الإسلام من منابعه، هذا هو الإسلام من مصادره، العبرة لا بالواقع الذي يعيشه المسلمون، ولكن بالمبادئ السامية التي جاء بها الكتاب والسنة.

أيها الإخوة الكرام، ثم إن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾

[سورة الشمس]

وهذه الآية تعني الرجال والنساء معاً.

من أحيى نفساً فكأنما أحيى الناس جميعاً، ومن قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً.

أيها الإخوة الكرام، إنها مساوية للرجل من حيث إنسانيتها، ومساوية للرجل تماماً من حيث إمكانها أن ترقى، وأن تسمو، وأن تتفوق، وأن تكون من اللاتي يشار إليهن بالبنان. شيء آخر: مساوية له في التشريف والكرامة.

أذكركم ؛ بأن قانون حمورابي الذي يدرسونه في كليات الحقوق إحدى بنود هذا القانون أنه من قتل بنتاً لرجل كان عليه أن يسلم بنته لذاك الرجل ليقتلها.. ما ذنبها ؟ ما ذنب ابنة القاتل لتقتل مكان المقتولة ؟.

سئل عليه الصلاة والسلام:

((أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ: وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ))

[متفق عليه]

وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)﴾

[سورة التكوير]

وقد قال الله عز وجل:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)﴾

[سورة البقرة]

وفقهاء الشريعة الإسلامية يقررون أن الرجل يُقتل بقتل المرأة، فكرامتها من كرامته، وكرامته من كرامتها.

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)﴾

[سورة التكوير]

مساوية له في إنسانيتها، مساوية له في سموه وسموها، مساوية له في كرامته وكرامتها، في التشريف، بل إن الإسلام العظيم جعل الذين يرمون المحصنات الغافلات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء جعل قصاصهم أن يُجلدوا ثمانين جلدة، وألا تُقبل لهم شهادة أبداً، حتى لو تابوا لابد من أن يُجلدوا ثمانين جلدة، عقاب الدنيا لا يسقط بالتوبة، لذلك ورد في الأثر:

((قذف محصنة يهدم عمل مئة سنة))

أيها الإخوة الكرام، مساواتها في إنسانيته، ومساواتها في سموه، ومساواتها في كرامته بل إن المرأة مساوية للرجل في أنها مكلفة بأركان الإيمان، ومكلفة بكل التكاليف الشرعية التي كلف الله بها الرجل. الأدلة من كتاب الله:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ

وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (٣٥) ﴾

[سورة الأحزاب]

لو أن الله سبحانه وتعالى قال: إن المسلمين، والمؤمنين والقانتين والصادقين والصابرين والخاشعين إلى آخر الآية لكانت هذه الآية تشمل الرجال والنساء، ولكن الله أراد أن يؤكد، وأن يبين، وأن يزيل اللبس من أن المرأة كالرجل مساوية له تماماً في التكاليف الشرعية، وفي أركان الإيمان، وفي أركان الإسلام.

دليل آخر:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)﴾

[سورة النحل]

دليل ثالث:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

[سورة آل عمران]

أيها الإخوة الكرام، بل إن المرأة مخلوق مستقل من حيث مسؤوليته عن عمله، وهي مكلفة استقلالاً عن الرجل بتكاليف الشرعية، مكلفة بشكل مستقل عن الرجل بتكاليف الشريعة..

((والمرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيتها))

[متفق عليه]

أيها الإخوة الكرام، أوضح شاهد امرأة فرعون، قال عليه الصلاة والسلام:

((كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلّا أربع آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ))

آسية زوجة رجل ادعى الألوهية، وأذلّ أتباعه، قتّل أبناءهم واستحيى نساءهم، ولم يستطع بكل جبروته أن يحمل امرأته على أن تعبده كما يعبده كل الناس، قالت:

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(١١)﴾

[سورة التحريم]

معنى ذلك أن المرأة مستقلة استقلالاً تاماً في أنها مكلفة بأركان الإيمان وأركان الإسلام، والتكاليف الشرعية، وتُحاسب وحدها عن تقصيرها وأية امرأة تقول: إن زوجي يريد ذلك. هذه حجة عند الله غير مقبولة.

أيها الإخوة الكرام، قال تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (٨) ﴾

[سورة الزلزلة]

والمرأة أيضاً مساوية للرجل في التربية والتهذيب، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾

[سورة التحريم]

قو أنفسكم وأهليكم، والأهل في القرآن الكريم الزوجة والأولاد.

وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي:

((ما نحل والد ولده من نحلة أفضل من أدب حسن))

والولد: ذكر كان أو أنثى.

يروي ابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه:

((ما من مسلم له بنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه، أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة))

هذه بشارة لكم جميعاً.. أي رجل له بنتان إذا أحسن إليهما ورباهما التربية الإسلامية الصحيحة، واعتنى بهما، وأحسن إليهما فله الجنة.

وفي حديث آخر:

((من كانت له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات))

هذا شيء دقيق. من كانت أخته عنده، وأحسن إليها وأكرمها ودلها على الله فله الجنة. قد تبقى البنت بلا زواج، تصبح عانساً مصيرها عند أخيها، هذا الحديث الشريف يبين أن الذي يرعى أخته ويحسن إليها ويربيها التربية الصحيحة ويدلها على الله فله الجنة.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، أَوِ ابْنَتَانِ، أَوْ أُخْتَانِ، فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ، وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ))

[أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه]

وفي رواية تضاف إلى هذا الحديث:

((فأدبهن، وأحسن إليهن، وزوجهن فله الجنة))

أيها الإخوة الكرام، والمرأة مساوية للرجل تماماً في العلم والواجب العيني، وفي العلم الكفائي، فإذا كانت مكلفة بأركان الإيمان، وأركان الإسلام، وبأحكام الشريعة، ولا يكون هذا إلا بالعلم، لذلك قال تعالى:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً (١١٤) ﴾

[سورة طه]

تقرأ هذه الآية الفتاة ويقرأها الفتى، تقرأ هذه الآية المرأة ويقرأها الرجل. وطلب العلم فريضة على كل مسلم أي على كل شخص مسلم ذكراً كان أو أنثى.

أيها الإخوة الكرام، عن عبد الله بن قيس قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ فَعَلَّمَهَا، فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا، وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَآمَنَ بِي فَلَهُ أَجْرَانِ، وَأَيُّمَا مَمْلُوكٍ أَدَّى حَقَّ مَوَالِيهِ، وَحَقَّ رَبِّهِ فَلَهُ أَجْرَانِ))

[متفق عليه]

وقال عروة بن الزبير يصف خالته السيدة عائشة رضي الله عنها قال: **(ما رأيت أحداً أعلم بفقه، ولا بطب، ولا بشعر من عائشة رضي الله عنها).**

وكثيرة جداً الأحاديث التي روتها أمهات المؤمنين، وكثيرة جداً تلك الأقوال المنسوبة إليهن في التفسير، وفقه الحديث، وكثيرات جداً النساء اللواتي حفظن كتاب الله، أو حفظن كثيره.

أيها الإخوة الكرام، والمرأة مساوية للرجل في وجوب تمسكها بالأخلاق الباطنة والظاهرة والباطنة من طهارة القلب، وسلامة القصد، والظاهرة أخلاق اللسان وأخلاق الجوارح. قال تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (١١٠)﴾

[سورة الكهف]

ذكراً كان أو أنثى.

وقد قال بعض الأقوام: في كل مشكلة فتش عن المرأة. أما الإسلام يقول: في كل مشكلة فتش عن المعصية ؛ لأنه ما من مشكلة على وجه الأرض إلا بسبب خروج عن منهج الله، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل، والجهل أعدى أعداء الإنسان.

إحدى زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم، أدركتها الغيرة التي هي من خصائص النساء، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية أنها قصيرة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((لقد قلت كلمة لو مُزجت بمياه البحر لأنتنته))

[أخرجه الترمذي وأبو داود وأحمد]

كم هي كرامة المرأة غالية في الإسلام، وصفت بأنها قصيرة، فقال عليه الصلاة والسلام لمن قالت هذه الكلمة:

((لقد قلت كلمة لو مُزجت بمياه البحر لأنتنته))

أيها الإخوة الكرام، المرأة مسؤولة عن قلبها من حيث الإيمان أو النفاق، والإخلاص والرياء، مسؤولة عن لسانها من حيث الصدق والكذب، ومسؤولة عن أعضائها من حيث الطاعة والمعصية، مساوية للرجل في وجوب طهارة القلب وسلامة القصد، وفي وجوب ضبط اللسان وضبط الجوارح.

أيها الإخوة الكرام، والمرأة مساوية للرجل في وجوب تحقيق الكليات الست التي جاء الإسلام من أجلها، فالإسلام يقوم على كليات ست، من اعتدى على إحداهن فله في نص القرآن الكريم عقوبة محددة هي الحد الذي جاء به القرآن الكريم وفصلته السنة.

فالشريعة كما تعلمون مصلحة كلها، ورحمة كلها، وعدل كلها، وأية قضية خرجت من العدل إلى الجور، ومن المصلحة إلى المفسدة، ومن الرحمة إلى القسوة فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل.

أيها الإخوة الكرام، الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، والأمن، فمن اعتدى على إحدى هذه الكليات فله جزاء مقرر في كتاب الله، واضح في سنة رسول الله، ذكراً كان أم أنثى، هذا الحد يصيب الذكور كما يصيب الإناث.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨)﴾

[سورة المائدة]

شارب الخمر ينبغي أن يُجلد ثمانين جلدة ذكراً كان أم أنثى.

العرض ؛ من اعتدى على أعراض الآخرين فعقوبته الجلد أو الرجم:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾

[سورة النور]

والعدوان على النفس:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)﴾

[سورة البقرة]

والقصاص يصيب الرجال كما يصيب النساء، والأمن لمن يحارب الله ورسوله ويسعى في الأرض فساداً، إما أن يقتل، وإما أن تقطع أيديه وأرجله من خلاف.

أيها الإخوة الكرام، حتى إن الإسلام ساوى بين الرجل والمرأة في الدعوة إلى الله، ينبغي أن تنقل ما تعلمته إلى أخواتها، وعليها أن تنشر هذا الدين لقول الله تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾

[سورة العصر]

السيدة خديجة حينما جاء النبي الوحي، وجاء إليها وقال لها: خشيت على نفسي، ماذا قالت ؟ قالت: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الدهر.

ما معنى ذلك ؟ أنها كانت مع النبي في دعوته.

وأول امرأة شهيدة قُتلت في الإسلام: سمية وزوجها ياسر قتلا دفاعاً عن عقيدتهما، وعن تمسكهما بهذا الدين القويم، فالمرأة أيضاً تدعو إلى الله، وتنشر هذا الدين في الحقل الذي يناسبها، وفي الحدود التي يسمح لها به.

أيها الإخوة، والمرأة مساوية للرجل في الميراث، قال تعالى:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً (٧)﴾

[سورة النساء]

مساوية له في الميراث، وأما أن للذكر مثل حظ الأنثيين فله تفصيل رائع سيكون في خطبة قادمة إن شاء الله.

ثم إن المرأة مساوية للرجل تماماً في الأقارير (أي جمع إقرار)، والعقود والتصرفات. يعني بإمكانها أن تشتري، وأن تبيع، وأن تقرّ بيعاً أو شراءً، فالتبر، والصدقة، والدين، والوقف، والبيع، والشراء والكفالة، والوكالة، هذه كلها المرأة مساوية للرجل، ساوته في الأقارير والعقود والتصرفات، وساوته في الميراث، وساوته في وجوب الدعوة إلى الله، وساوته في وجوب طلب العلم، لأنها مكلفة بأركان الإيمان وأركان الإسلام، وأحكام الشريعة، ومساوية له في وجوب تطهير قلبها وقصدها ولسانها وجوارحها، ومساوية له في العلم والواجب العيني والكفائي، ومساوية له في التربية والتهذيب، ومساوية له في الإيمان بالله والتكاليف الشرعية، ومساوية له في الكرامة، ومساوية له في الخلقة، والمساواة الكاملة في الإنسانية.

هذه نصوص الكتاب والسنة، التي تبين أن المرأة إنسان بكل ما في هذه الكلمة من معنى، وأنها مساوية له. أما إذا قال الله تعالى:

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

[سورة آل عمران الآية ٣٦]

فهناك اختلاف بين الجنسين اختلاف يُعد في حق كل منهما كمال وأي كمال.

أيها الإخوة الكرام حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني..

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة الكرام، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[أخرجه الترمذي وابن ماجه والدارمي]

((وما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم يغلبن كل كريم ويغلبهن لئيم))

وفي زيادة:

((وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً))

[ابن عساكر عن علي، انظر الجامع الصغير]

وقال عليه الصلاة والسلام موجهاً الخطاب إلى النساء، قال لإحداهن:

((اعلمي أيتها المرأة، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[أخرجه البيهقي عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

كان عليه الصلاة والسلام إذا دخل بيته كان بسّاماً ضحاكاً، وقد وصف النساء فقال: إنهن المؤنسات الغاليات، هذا هو الدين، هذا هو الشرع الحنيف الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، الإسلام ينبغي أن نعرفه من أصوله، لا ينبغي أن نعرفه من خلال واقع المسلمين الذي ربما لم يكن وفق منهج الله، الإسلام ينبغي أن نعرفه من ينابيعه، لا من روافده التي رفدته من الثقافات الغربية التي شوهت معالمه.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾

[سورة المائدة الآية ٣]

الإكمال نوعي، والإتمام عددي، فكل القضايا التي نحن بأمس الحاجة إليها، عالجها معالجة كاملة وأدرجها في منهجه القويم، وفي كتابه الكريم. ما علينا إلا أن ندرس، وأن نتعلم، وأن نطلب العلم. ومن ضيق الأفق، ومن سذاجة الإنسان أن يتهم شيئاً دون أن يعرفه ودون أن يتعمق في فهمه، ودون أن يسلك السبيل القويم في معرفته ودون أن يأخذه من ينابيعه الأصيلة، إذا أردت أن تعرف الإسلام فهذا هو القرآن وهذه هي سنة النبي العدنان، إذا أردت أن تعرف الإسلام فاعرفه من خلال أصحاب رسول الله الذين اتبعوه بإحسان ووعي وفهم، قال تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ(١٠٨)﴾

[سورة يوسف]

لا ينبغي أن تحكم على الإسلام قبل أن تفهمه،لا ينبغي أن تتهمه قبل أن تتعمق في دراسته، اطلب العلم فطلب العلم فريضة على كل مسلم وما من شيء يسمو بك إلا العلم. إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم.

أيها الإخوة الكرام، وحضور خطبة الجمعة كما ذكرت في الأسبوع الماضي هي الحد الأدنى من التعلم، إن حضرت خطبة، وفهمت آية أو حديثاً، أو حكماً أو موضوعاً، أو موقفاً وتمثله، ونقلته

لمن تحب فقد حققت الأدنى من عبادة التعلم، وما حضور خطبة الجمعة إلا عبادة هدفها نشر العلم بشكل دوري.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة – الخطبة ٠٥٤٠ : المرأة في الإسلام٢ (وليس الذكر كالأنثى).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٩-١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في الأسبوع الماضي كان موضوع الخطبة المساواة بين الذكور والإناث في ضوء الكتاب والسنة، وقد بينت لكم أن المرأة كالرجل تماماً من حيث إنسانيتها، ومن حيث خلقها، ومن حيث كرامتها، ومن حيث أنها مكلفة بالتكاليف الشرعية كما هو الرجل مكلف، ومن حيث وجود تربيتها، وتعليمها، وتحليها بالأخلاق الفاضلة، ومن حيث العقوبات والمسؤوليات، ومن حيث العقود والتصرفات. كل هذا بينته في الخطبة السابقة، ووعدتكم إن شاء الله تعالى أن أعالج موضوع الاختلاف بين الذكر والأنثى. قال تعالى:

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

[سورة آل عمران]

هي مساوية للرجل من حيث التكليف والتشريف والمسؤولية، لكن بنيتها الجسمية والعقلية، والانفعالية تختلف عن بنية الرجل، لا اختلاف نقص، ولكن اختلاف تكامل، هي تكمله وهو يكملها. هذا الاختلاف الذي بين الزوجين يجعل كل منهما سكناً للآخر، هذا الاختلاف الذي بين الزوجين يجعل كلاً منهما يكمل نقصه في الآخر، هذا الاختلاف الذي بين الزوجين هو سرٌّ المودة والرحمة التي جعلها الله بين الزوجين.

أيها الإخوة الكرام:

إن تحدثنا عن الفروق بين الذكر والأنثى انطلاقاً، أو بين الرجل والمرأة مآلاً، إن تحدثنا عن هذه الفروق فإنما أبين الفرق بين الجنسين لا بين الفردين، فربما فاقت امرأة الرجل لحكمة أرادها الله، وربما فاق الرجل المرأة في اختصاصها. الحديث الآن عن الفرق بين الجنسين، لا بين ذكر وأنثى فردين.

أيها الإخوة الكرام:

من الثابت أن هناك فروقاً جسمية واضحةً بارزةً بين المرأة والرجل هذه الفروق خُلقت لتتناسب مع الوظيفة التي أناطها الله بالرجل، والتي أناطها الله بالمرأة، ولو ربطت بين تلك الفروق، وبين

الوظيفة التي أرادها الله للرجل أو الفروق التي تتميز بها المرأة، والتي أراد الله لها أن تكون لوجدت الحكمة التي ما بعدها حكمة، ولوجدت الرحمة التي ما بعدها رحمة.

أيها الإخوة الكرام:

قال العلماء: هناك فروق جسمية في المرأة تتناسب مع وظيفتها التي أعدها الله لها، فيها غدد ليست موجودة عن الرجل، هذه الغدد تُعدها لخصائص الأنوثة، فمن نعومة الملمس، إلى عذوبة الحديث، إلى غلبة الحياء، إلى كثرة الخجل، إلى ضعف التحمل. قال تعالى:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾

[سورة الروم]

هذا الضعف وهذه الصفاة التي تجذب الرجل هي التي تجعلها سكناً لها إذاً الخصائص الجسمية التي خصها الله بها كمال في حقها، وجذب للرجل ليسكن إليها.

أيها الإخوة الكرام:

محبتها للزينة والتجمل أيضاً من خصائص المرأة التي فُطرت عليها. والحديث عن الفروق الجسمية كثيرة جداً، لكنني اقتطفت من هذه الفروق هذه العبارات الموجزات.

ثم إنه أيها الإخوة هناك فروق نفسية بين المرأة وبين الرجل، فعاطفة المرأة أقوى من عاطفة الرجل، من هنا كان حنوها على أولادها، وعلى أبويها وإخوتها أكثر من حنو الرجل، وأكثر ظهوراً ووضوحاً وإثارة عاطفتها أسرع من إثارة عاطفة الرجل، ودرجة تأثرها العاطفي أشد من تأثر الرجل. إن هذا متفق مع وظيفتها الأولى في تربية الأولاد والحنو عليهم وتغذيتهم بالعواطف الفاضلة مع اللبن. ألم تأت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتقل له: يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهل وجمال ومال، فلما كبرت سني، ونفر بطني، وتفرق أهلي، وذهب مالي قال: أنت علي كظهر أمي. ولي منه أولاد إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا.

أناط الله تربية الأولاد بالمرأة، فجعلها الله أكثر عاطفة، عاطفة المرأة أقوى من عاطفة الرجل، من أجل أن تحنو على أولادها، من أجل أن تحنو على زوجها وعلى والديها، إثارة عاطفتها

أسرع من إثارة عاطفة الرجل، درجة التأثر العاطفي أقوى من درجة تأثر الرجل، هذا متفق مع وظيفتها في تربية الأولاد، والحنو عليهم وتغذيتهم بالعواطف الفاضلة.

شيء آخر في نفسيتها: إن إرادة المرأة أقل تماسكاً من إرادة الرجل ما أكثر ما تريد المرأة، وما أكثر ما تنسى ما تريد، وما أكثر مما تعرض عما تريد، وما أسرع ما يتغير مرادها، وما أسرع ما تتراجع عن مرادها. إذاً إرادة المرأة أقل تماسكاً، وتصميماً، وثبوتاً من إرادة الرجل، ما الحكمة في ذلك ؟ الحكمة في ذلك أن هذه الإرادة غير المتماسكة تتناسب مع وظيفتها في الحياة، فإن صلتها بزوجها صلة التابع للمتبوع، والمطِيع للمُطاع، ولو كانت لها إرادة الرجل الثابتة الحازمة التي لا تتبدل ولا تتغير ولا تتراجع لتصادم الزوجان وأدى هذا إلى فراقهما. هناك فرق في إرادة المرأة وفرق في عاطفتها، وهذان الفرقان يتوافقان مع مهمتها في الحياة كزوجة وأمٍ، ومربية أولاد.

أيها الإخوة الكرام، حينما أذكر هذه الفروق بين المرأة والرجل لا أقصد الفرق بين رجل بذاته، وامرأة بذاتها، فقد تجد امرأة قلبها كالصخر، وقد تجد رجلاً عاطفته متأججة. الحديث عن الفروق بين جنس النساء مع جنس الرجال.

أيها الإخوة الكرام:

إذا كانت لهذه القاعدة استثناءات، وهذه من حكمة الله البالغة، الاستثناء من أجل أن تعرف قيمة الأصل، الشيء المألوف قد لا يُلتفت إليه، الشيء الذي ليس له استثناءات قد لا ننتبه إليه. أنا أذكركم بمثل لا علاقة له بالموضوع إطلاقاً، ولكن بعض أنواع البقر يصيبها مرض يخرجها عن تذليلها تصبح متوحشة، فتقتل الرجال، عندئذ يُضطر صاحبها إلى أن ينهي حياتها، ويخسر ثمنها الباهظ، هذا الاستثناء من أجل أن تعرف ما معنى أنها مذللة،

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾

إن رأيت في الحياة استثناءً هذا الاستثناء هدفه تعريفي، وهدفه تربوي، فمن أجل أن تعرف قيمة الأصل، وقيمة التصميم، وقيمة هذا الفرق، لابد لهذا الفرق من استثناءات، الاستثناء هدفه التعريف، وبيان نعمة الله وفضله على عباده.

أيها الإخوة الكرام، ولعل ضعف تماسك إرادتها من أجل أن تكون صلتها بأولادها صلة العطف والحب والرفق، فالأولاد تغلب على عقولهم العواطف، والأطفال تغلب عليهم نزواتهم، فلو أن

للمرأة إرادة صلبة لا تتزحزح لا تستطيع أن تواجه أولادها بعاطفة ضعيفة وإرادة حازمة، لذلك تجد المرأة أقرب إلى أولادها من الأب، لأنها سريعة الاستجابة، كثيرة التقلب تميل مع أولادها حيث يميلون، لذلك تجد العطف، والانسجام، والصلة بين الأولاد وأمهم أشد من الصلة بين الأولاد وآبائهم.

أيها الإخوة الكرام، شيء آخر في الفروق النفسية بين جنس النساء وجنس الرجال: شجاعة المرأة أقل من شجاعة الرجل، فعادة المرأة أن ترود الطريق الذي طُرق سابقاً، وأن تسير في الطريق وراء الرجل، وأن تأتي من الأعمال ما تعرف، وما سُبقت إليه، والحكمة ظاهرة في هذا، فهي بنت أو زوجة، والتشريع أن تكون القوامة للرجل، قال تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

[سورة النساء]

فمن أجل أن تكون القوامة للرجل لذلك جعل إقدام المرأة أقل من إقدام الرجل. هو الذي يقتحم، هو الذي يرود الطرق، هو الذي يبحث عن المجهول، هو الذي يبتكر، هي معه تعينه، لكنها تسير وراءه، هي أكبر داعم له من دون أن تملك قدرته على الاقتحام.

أيها الإخوة الكرام، أود أن أشير في هذا الموضوع إلى حقيقة دقيقة هي ؛ أنه ما زاد في قوة عاطفتها، ونقص من قدراتها النفسية، والعقلية، إنه كمال بحقها، بل منتهى الكمال، وما زاد في قوة إدراك الرجل، وإرادته، وشجاعته ونقص من قوة عاطفته هو كمال فيه. لعلي إن ضربت مثلاً تتوضح الحقيقة: سيارتان ؛ إحداهما معدة لنقل الركاب، والثانية معدة لنقل البضائع، فالمساحة التي تزيد في السيارة المعدة لنقل البضائع والمساحة التي تقل من أجل الركاب كمال في هذه المركبة، أما التي أُعدت من لنقل الركاب، فالمساحة التي تُوضع للركاب أكثر بكثير من المساحة التي توضع للبضاعة، وهذا في هذه المركبة كمال فيها. فالنقص نقص كمال لا نقص ضعف، فلذلك كلمة نقص إذا عزيت إلى المرأة فهو الكمال بعينه. ما زاد من قوة عاطفتها، وانفعالها، واهتمامها بأولادها، وحنوها عليهم، وما نقص من اهتمامها بالقضايا العامة، وعدم تماسك إرادتها، وعدم اقتحامها الأخطار كالرجل، هذا كمال في حقها، هذا كمال وذاك كمال، وهذا التفاوت بين الرجل والمرأة هو الذي يسبب السكنى، ويسبب الميل، لأن كل طرف من الرجل والمرأة يجد في الطرف الآخر كمالاً وسداً لنقصه.

أيها الإخوة الكرام، هناك فروق دينية بين المرأة والرجل، تحدثت عن الفروق الجسمية بإيجاز شديد لأنها واضحة صارخة لا تحتاج إلى معالجة، وتحدثت عن الفروق النفسية من حيث العاطفة، ومن حيث الإرادة، ومن حيث اقتحام الأخطار، وبينت الفرق بين الجنسين، بقيت الفروق الدينية. فالله سبحانه وتعالى أناط بالرجل المسؤولية الأدبية الأخلاقية عن أسرته، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾

[سورة التحريم]

أيها الإخوة الكرام، أحد المفسرين يقول: قوا أنفسكم وأهليكم ناراً: أي احملوهم على ترك المعاصي وفعل الطاعات، إن حملت زوجتك على ترك المعصية، وفعل الطاعة فقد وقيتها النار. وقال مفسر آخر: قوا أنفسكم وأهليكم: الأهلين تشمل الزوجة أو الزوجات، والولد والأولاد. يعني مجمل الأسرة زوجة وأولاداً تنطوي تحت كلمة قوا أنفسكم وأهليكم.

أيها الإخوة الكرام، سأل عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى هذه الآية: قو أنفسكم وأهليكم ناراً، فقال عليه الصلاة والسلام: **أن تنهاهن عن ما نهى الله، وأن تأمرهن بما أمر الله،** فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار. هذا معنى الآية، وكل مؤمن مأمور بنص هذه الآية أن يقي أهله وأولاده النار، بحملهم على الطاعات، ونهيهم عن فعل المعاصي والمنكرات. لذلك يقول الإمام علي كرم الله وجهه: **علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم**. قص بأنفسكم أولادكم، لأن الولد بضعة من الوالد. لذلك استنبط الفقهاء أن على الرجل أن يطلب العلم، وأن يتعلم ما ينبغي أن يُعلم بالضرورة من أجل أن يعلم أهله وأولاده.. كيف يعلمهم ؟ كيف يقي زوجته وأولاده النار ؟ إن لم يأمرهم بأمر الله، وينهاهم عما نهى الله عنه، لذلك ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض، ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ما لا تتم السنة إلا به فهو سنة، فإذا أمرك الله أن تقي أهلك النار بأن تعرفهم أمر الله ونهيه، وأن تحملهم على طاعة الله وترك معصيته، فهذا يقتضي أن تعرف الأمر والنهي أنت، ويقتضي أن تطبق أنت. ففي هذا الأمر الذي أمرنا الله به من وقاية أهلنا النار أمر ضمني مستنبط أن تطلب العلم أنت أيها الزوج، أن تعرف أمر الله ونهيه، وأن تحمل أهلك على طاعة الله وعلى ترك معصيته، من أجل أن تحقق هذه الآية. وفي الحديث الشريف:

((رحم الله رجلاً قال: يا أهلاه صلاتكم – منصوب على الإغراء، يعني الزموا صلاتكم – يا أهلاه صلاتكم، صيامكم، زكاتكم، مساكنكم، أيتامكم، جيرانكم، لعل الله يجمعكم معه في الجنة))
لعل الله يجمع الأهل مع الرجل في الجنة، إذا أمرهم فأتمروا، وإذا نهاهم فانتهوا.

هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾

أصل في هذا الباب، مسؤولية الآباء كبيرة جداً، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

[أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد]

الحديث أثبت للرجل أنه يقوت أبناءه، يطعمهم، يكسب لهم المال ليشتري لهم الرزق فيأكلوا، لكنه ضيعهم ؛ لأنه ما عرفهم بربهم، ولا عرفهم بأمر ربهم، ولا بنهيه، ولا حملهم على طاعة ربهم، وعلى ترك معصيته. لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

أيها الإخوة الكرام،

في الأمور الدينية أناط الله بالرجل المسؤولية الأدبية والأخلاقية والدينية عن أسرته، وهناك فرق آخر هو أن الله سبحانه وتعالى أناط بالرجل مسؤولية الإنفاق على الزوجة والأولاد، لذلك قالوا: طلب الرزق فريضة بعد الفريضة. يعني بعد أن تؤدي الفرائض، الفريضة الثانية بعد أداء الفرائض أن تطلب الرزق، وأن تكسب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمسك يد ابن مسعود مرة فرآها خشنة من عمله الشاق، فرفعها وقال لأصحابه، إن هذه اليد يحبها الله ورسوله.

وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: **إنما أُنزل هذا القرآن ليعمل به،** هناك من يتخذ قراءته عملاً ولا يعمل به، إنما أنزل هذا القرآن ليعمل به، فإن اتخذت قراءته عملاً ولم تعمل به فقد خسرت خسارة كبيرة، لأنه ما آمن بالقرآن من استحل محارمه، ولأنه رب تال للقرآن والقرآن يلعنه.

أيها الإخوة الكرام، مسؤولية الإنفاق على الزوجة والأولاد من طعام وشراب وكساء ومأوى على قدر المكنة والسعة، مسؤولية أساسية، لذلك يمكن أن يكون طلب الرزق عبادة من أجل العبادات. إذا كانت لك حرفة مشروعة في الأصل، وسلكت بها الطرق المشروعة، وابتغيت منها كفاية

نفسك وأهلك، وابتغيت منها الإنفاق على الفقراء، وابتغيت منها خدمة المسلمين، ولم تشغلك عن فريضة، أو عن واجب، انقلبت هذه الحرفة إلى عبادة، بل إن الفقهاء يقولون: إن المباحات إذا رافقتها النوايا الصالحات انقلبت إلى عبادات.

يقول الله عز وجل:

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً(٧)﴾

[سورة الطلاق]

وفي آية أخرى:

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة البقرة]

هذا هو الفرق الديني بني المرأة والرجل، أناط الله ــ في نطاق الأسرة ــ بالرجل المسؤولية الأدبية والدينية والأخلاقية، وأناط به الإنفاق على الزوجة والولد.

إذاً كسب الرزق من أجل أن تنفق على أهلك هذا من العبادة.

أيها الإخوة الكرام، لأن الرجل هو الذي يطلب الزواج، وهو الذي يدفع المهر، وهو الذي يؤمن المسكن، ولأن الرجل أنيطت به قوامة الأسرة، هو القيم له درجة القيادة، ولأن الرجل هو الذي ينفق على هذه الأسرة، ولأن الرجل أقوى إرادة، وأكثر تعقلاً، وأبصر بالعواقب، لذلك أنيط به وحده نقض الزوجية. نقض الزوجية لا تكون إلا عن طريق الرجل.

أيها الإخوة الكرام، الأسرة مركب لابد له من قائد، والأم التي تقوي مركز زوجها أمام أولادها لصالحها، لأنه إذا ضعفت مكانة الزوج تضعضعت كيان الأسرة وتفلت الأبناء من رقابة الأب، ومن الانصياع له، فالمرأة العاقلة هي التي تقوي مكانة الأب وتدعمها، من أجل أن تكون لهذه الأسرة قيادة حكيمة،وإرادة حازمة، ودفع نحو الطريق السليم.

أيها الإخوة الكرام، لا يخفى عليكم أيضاً أن هناك فرقاً بين الذكور والإناث في العبادات في الصلاة، في الصيام، في الحج، هذه معروفة لكم جميعاً، وهناك فرق أقره الدين وهو الإقرار في البيوت، الأصل في المرأة أن تقرّ في بيتها، قال تعالى:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾

[سورة الأحزاب]

فإذا خرجتن لضرورة:

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

[سورة الأحزاب]

هكذا جاء السياق، أي ينبغي أن لا تؤذي من في الطريق بمفاتنها:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

[سورة الأحزاب]

أيها الإخوة الكرام، الموضوع طويل، لكن أخذ القليل خير من تكره الكثير. كما أن المرأة مساوية للرجل في التكليف، وفي التشريف، وفي المسؤولية، وقد جعلها الله راعيةً في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيتها، كذلك هناك فرق بين المرأة والرجل ينبغي أن لا نتجاهله، إن هذا الفرق هو من الحكمة بمكان، إن هذا الفرق هو الذي يؤكد الوظيفة المقدسة التي أنيطت بالمرأة، إن هذا الفرق هو الذي يجعل الرجل ينجذب إلى المرأة هو الذي يجعلها سكناً له، هو الذي يوفق بينهما، هو الذي يجعل كل طرف من الزوجين يكمل نقصه في الطرف الآخر، فالشيئان المفترقان يتطابقان، لكن الشيئين المتشابهين لا ينطبقان.

أيها الإخوة الكرام، ألصق شيء بحياة الرجل عمله وزوجته، فإذا أحسن أحدكم أن يختار أو لم يحسن، إصلاح الزوجة مفتوح بابه طوال العمر، فإذا أصلحت نفسك، وطلبت من الله أن يصلح لك زوجك، فالله جل جلاله ــ في الأعم الأغلب ــ يستجيب لهذا الدعاء المخلص، فيجعل من زوجتك قرةً عين لك، بل إن الله سبحانه وتعالى يبين أن الإنسان إذا أحسن اختيار زوجته، وإذا عرفها بربها، وحملها على طاعة الله ورسوله يكافئه في الدنيا قبل الآخرة، ما هي هذه المكافأة ؟ تصبح الزوجة، والأولاد قرةَ عين للزوج، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً (٧٤)﴾

[سورة الفرقان]

أيها الإخوة الكرام، هذا الكلام، وتلك النصوص، وهذه الحقائق هي مقتبسة من منهج الله عز وجل، من الخالق، قال تعالى:

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) ﴾

[سورة فاطر]

من هي الجهة الخبيرة بطبيعة الحياة الزوجية، من هي الجهة التي صممت، والتي رتبت، والتي أعطت كل جنس خصائصه الجسمية والعقلية، والنفسية، والاجتماعية، ومن جعل كل جنس يكمل الجنس الآخر ؟ إنه الله.

لذلك مهما تاهت البشرية ومهما بحثت، ومهما تخبطت، لابد من أن تعود إلى كتاب الله، إلى المنهج القويم، وإلى الصراط المستقيم، لابد من أن تعود إلى تعليمات الصانع، لابد من أن تعود إلى خبرة الخبير، إلى العليم، إلى الذي خلق فسوى.

أيها الإخوة الكرام، أكاد أقول، وأنا واثق مما أقول: أنه ما من مشكلة على وجه الأرض صغيرة أو كبيرة، ضيقة أو واسعة، فردية أو جماعية، في شتى بقاع الأرض، ما من مشكلة إلا بسبب خروج عن منهج الله، وما من خروج عن منهج الله جل جلاله، إلا بسبب الجهل، يمكن أن نقول: أن أكبر عدو لهذا الدين ليس الذين يريدون أن يقوضه، ولكن أكبر عدو لهذا الدين هو الجهل. إن جهلت بالدين فأنت أعدى أعداء الدين، يجب أن نعرف ديننا، يجب أن نعرف منهجنا، يجب أن نطلب العلم.

أيها الإخوة الكرام، الذي يؤكد في الإنسان إنسانيته طلب العلم.

أيها الإخوة الكرام حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني..

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة الكرام، تتميماً لهذا البحث أنقل لكم رأي بعض العلماء في الفرق الدقيق المادي والجسمي بين المرأة والرجل، يقول هذا العالم الطبيب بعد دراسة طويلة أثبتها في كتب معتمدة: إن قامة المرأة في جميع الأجناس أقصر من قامة الرجل، بل إن معدل الفرق عند تمام النمو عشرة سنتيمترات، كذلك الوزن ؛ هيكل المرأة العظمي، أخف من هيكل الرجل العظمي وتركيب هيكلها يجعلها أقل قدرة على الحركة والانتقال، وعضلاتها أضعف من عضلات الرجل بمقدار الثلث، لكنها تفضله بنسيجها الخلوي الذي يحوي كثيراً من الأوعية الدموية والأعصاب الحساسة، ونسيجها الخلوي يسمح لها باختزان طبقة دهنية، وبفضل هذه الطبقة الدهنية تكون استدارة الشكل.

مخ الرجل يزيد عن مخ المرأة بمائة غرام، ونسبة مخ الرجل إلى جسمه واحد من أربعين، ونسبة مخ المرة إلى جسمها واحد من أربع وأربعين، مخها أقل ثنيات، وتلافيفها أقل نظاماً، أما القسم السنجابي القسم الإدراكي في المخ فهو أقل مساحة، لكن مراكز الإحساس والإثارة والتهيج أشد فاعلية بكثير من مراكز الرجل، وتنفس المرأة، صدرها ورئتاها أقل سعة من صدر الرجل ورئتيه، لكن تنفسها أسرع من تنفسه، وقلبها أصغر من قلبه، لكن نبضها أسرع من نبضه.

هذه الفروق الدقيقة من حيث، القلب، والتنفس، ومراكز الإحساس والدماغ، ومن حيث الهيكل العظمي، ومن حيث القامة، ومن حيث الوزن، هناك تصميم من عند حكيم عليم، هذا التصميم هو الذي يجعل المرأة ــ كما قلت في مطلع الخطبة ــ محببةً إلى الرجل وقد جعلها الله سكناً، قال تعالى ــ وقبل أن أذكر هذه الآية أذكركم بآيتين اثنتين:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾

[سورة الشورى الآية ٢٩]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾

[سورة فصلت الآية ٣٧]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾

[سورة الروم الآية ٢٣]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾

[سورة الروم]

هذه المودة والرحمة بين الزوجين هي من خلق الله عز وجل، وهي الأصل في العلاقة الزوجية، فإذا فقدت فهناك خلل خطير، هناك خروج عن تصميم الله عز وجل، هناك خروج عن سنة الله في خلقه، لذلك ما من زواج يُبنى على طاعة الله، ولو افتقر إلى معظم مقومات نجاحه إلا ويتولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين، وخلق المودة والرحمة بينهما، وما من زواج يُبنى على معصية الله ولو توافرت له كل أسباب النجاح إلا ويتولى الشيطان التفريق بينهما، فإذا رأيت في البيت مشكلة إن رأيت في البيت خللاً، إن رأيت في العلاقة الزوجية نفوراً فاتهم نفسك قبل أن تتهم الآخرين، اتهم نفسك بالتقصير، اتهم نفسك بعدم القيام بالواجبات التي أرادها الله منك، وكان الإمام الشعراني يقول: أنا أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي.

أيها الإخوة الكرام، مادام في العمر بقية، ومادام هناك فسحة أمام الإنسان فعليه أن يصلح ذاته، وعليه أن يصلح أقرب الناس إليه زوجته، وعليه أن يقي أولاده من النار بتربيتهم، ونصحهم،

وتوجيههم وحضهم على طلب العلم، وهذه المساجد ما بنيت، وما رفعت، إلا ليذكر اسم الله فيها، ليذكر أمره ونهيه، ليذكر حلاله وحرامه، لتذكر مواعظه، ليذكر وعده ووعيده، هذه المساجد كما قال الله عز وجل:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾

[سورة النور]

أذكركم ــ أيها الإخوة ــ بأن كلمة رجل في القرآن ــ في الأعم الأغلب ــ لا تعني الذكر، تعني البطل.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)﴾

[سورة النور]

أيها الإخوة الكرام، إذا انطلقت من بيتك إلى المسجد فاعلم أنك في ضيافة الله، سوف تزداد علماً، وسوف تزداد قرباً، وسوف تزداد اطمئناناً، وسوف تزداد يقيناً، قال عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاث مرارٍ نكتت نكتة سوداء في قلبه، ثم يكون الران، ثم تلا النبي قوله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾))

((مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ مِرَارٍ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ))

[أخرجه الترمذي أحمد وابن ماجه]

أيها الإخوة الكرام، طلب العلم فريضة على كل مسلم، وهل كالمسجد يُطلب فيه العلم ؟ هناك علم ممتع، وأي علم ممتع، وهناك علم ممتع نافع، لكن العلم بالله، وعلم أمره ونهيه علم ممتع نافع مسعد في الدنيا والآخرة. هناك علوم تنتهي عند الموت، أما علوم الدين تبدأ منذ طلب العلم، وتستمر معك إلى أبد الآبدين، العلم الديني هو العلم الحقيقي، ما كل ذكي عاقل الذي يعرف الله، ويعرف سرّ وجوده، وغاية وجوده هو العاقل.

مرّ عليه الصلاة السلام مع أصحابه برجل مجنون، قال لأصحابه وقد سألهم سؤال العارف: من هذا ؟، قالوا هذا مجنون، قال: هذا مبتلى المجنون من عصى الله.

دخل إلى المسجد، رأى نسابة، سألهم سؤال العارف: قال من هذا ؟ قالوا: هذا نسَّابة، قال: وما نسابه ؟، قالوا: يعرف أنساب العرف. فقال عليه الصلاة والسلام:

((ذاك علم لا ينفع من تعلمه، ولا يضر من جهله.))

لذلك كان عليه الصلاة والسلام يدعو ويقول:

((اللهم إني أعوذ بك علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن عين لا تدمع، ومن أذن لا تسمع ومن نفس لا تشبع، وأعوذ بك من هؤلاء الأربع.))

والحمد لله رب العالمين

التفسير المختصر – سورة البقرة (٠٢) – الدرس (٨-٩) : تفسير الآية ٢٨٢ ، شهادة المرأة في الإسلام

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-٠٤-٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

وبعد ؛ فهذه الدروس القصيرة تتجه أحياناً إلى شرح آية قرآنية، أو إلى شرح حديث شريف، أو إلى معالجة موضوع إسلامي، ففي آيات سورة البقرة الأخيرة في آية الدين بالذات قوله تعالى:

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾

(سورة البقرة(٢٨٢))

إنّ أعداء المسلمين يأخذون على الإسلام مأخذاً هو أن المرأة في الإسلام ليست مساوية للرجل في الشهادة، فشهادتها نصف شهادة الرجل.

والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى في آياتٍ قرآنيةٍ كثيرة بين وأكد أن المرأة مساوية للرجل تماماً في التكليف وفي التشريف وفي المسؤولية، في التكليف مكلفةٌ بأركان الإيمان، ومكلفة بأركان الإسلام، ومسؤولة عمن استرعاها الله عز وجل، عن رعاية بيت زوجها وأولادها، وفي الآخرة تدخل الجنة كالرجل.

لكن الله سبحانه وتعالى خلق الرجل ببنية جسميةٍ وبنيةٍ نفسيةٍ وبنية عقليةٍ تختلف عما خلق المرأة، وهذا يؤكده:

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

(سورة: آل عمران: الآية: ٣٦)

ويؤكد المعنى الأول:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾

(سورة الأعراف: الآية: ١٨٩)

فمن جهةٍ، المرأةُ تساوي الرجل في التكليف وفي التشريف وفي المسؤولية، ومن جهة أخرى خلق الله المرأة ببنيةٍ جسميةٍ وبنيةٍ نفسيةٍ وبنيةٍ عقليةٍ تختلف عن الرجل وتكون ملبيةً لزوجها، ألم تقل المرأة التي قابلت النبي صلى الله عليه وسلم وشكت إليه وسمع الله شكواها من فوق سبع سماوات.

قالت: يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة، ذات أهلٍ ومالٍ وجمال، فلما كبرت سني، ونثر بطني، وذهب مالي، وتفرق أهلي، قال: أنتِ عليّ كظهر أمي، ولي منه أولاد، إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتم إليّ جاعوا.

فإذا فهم بعض المسلمين، أن المرأة أقل من الرجل في عقلها أو في دينها فهذا فهم جاهلي، لأن الله سبحانه وتعالى حينما–دققوا في هذا الكلام – **حينما زاد في قوة إدراك الرجل وأنقص من انفعاله وعاطفته فهذا كمالٌ في حقه، وحينما أنقص من قوة إدراك المرأة، وزاد في انفعالها ومشاعرها الرقيقة فهذا كمالٌ فيها**، والمجموع واحد في كلا الطرفين، إذا أعطينا قوة الإدراك مع شدة الانفعال مئة درجة، فالمرأة لها مئة درجة في قوة الإدراك وفي قوة الانفعال، والرجل له مئة درجة في إدراكه وفي انفعاله، لكن إدراك الرجل زاد ليحقق رسالته في الحياة، وإدراك المرأة واهتمامها بالقضايا العامة قَلّ، ولكن زاد بالمقابل في اهتمامها بأولادها، وانفعالها الشديد وعاطفتها الرقيقة.

إذاً الزيادة في قوة إدراك الرجل كمالٌ فيه، ونقص الإدراك في المرأة كمالٌ فيها، وزيادة الانفعال والعطف والعاطفة في المرأة كمال فيها، ونقص العاطفة والانفعال في الرجل كمال فيه، لكن الرجل والمرأة مع التفاوت الشديد بينهما فهما متكاملان، وصفات كلٍ منهما شرط لازم كافٍ لنجاح العلاقة الزوجية.

الأمثلة ؛ سيارة سياحية مهمتها أن تنقل إنساناً مع أهله و أولاده إلى مكان جميل، ومحركها بقوة عشرين حصاناً، وفرشها أنيق، أبوابها رقيقة صوت محركها يكاد يكون معدومًا.

لكن "التركس" هذا الذي من أجل أن يهدم بناء، قوة محركه مئة وعشرون حصان، يمشي على سلاسل، له ركائز، وشفرات، ومجارف، وشوكات، فالتركس كل خصائصه كمالٌ فيه، والسيارة السياحية كل خصائصها كمالٌ فيها.

هذا طيب ! فما هو الفساد في الأرض ؟ أن نذهب إلى نزهةٍ بالتركس، أو أن نهدم بناء بسيارة سياحية، هذا الغلط، حينما نضع المرأة مكان الرجل وقعنا في الفساد، أو حينما نضع الرجل مكان المرأة وقعنا في الفساد، لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء.
وقد قال أحد علماء النفس: المرأة حينما نافست الرجل في الحياة العامة، خسرت مرتين ؛

خسرت المنافسة وخسرت أنوثتها، وأجمل ما في المرأة أنوثتها وحياؤُها، فإذا انطلقت للحياة العامة وخالطت الرجال، خسرت السباق مع الرجال وخسرت أنوثتها.

إذا قلنا للطيار: اجلس في كبين الطائرة مكان القيادة، وقال: هذا تقيد لحريتي، هذا مكان ضيق، وهو يعلم أنَّ أرواح الركاب كلهم برقبته، وهذا مكان القيادة، فلا بد أن يجلس في مكان القيادة. فيا أيها الإخوة ؛ ما زاد في قوة إدراك الرجل، ونقص في شدة انفعاله كمالٌ فيه، وما نقص في قوة إدراك المرأة وعدم اهتمامها بالقضايا العامة، وما زاد في قوة انفعالها وعاطفتها كمالٌ فيها. فالنقص كمال... والزيادة كمال...

مثل من الأمثلة، المركبة التي تعد لنقل البضائع، مساحة مكان الشحن مكان البضائع، هذا يزيد كثيراً على حساب كبين الركاب، كمالٌ فيها أما سيارة البولمان السياحية لنقل الركاب، أكبر مساحة للركاب وأقل مساحة للبضائع، فالزيادة هنا كمال والنقص كمال، والأمر كذلك هنا، لأن الله عز وجل يقول:

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦) ﴾

(سورة النجم: الآية: ٤٥-٤٦)

حينما ينطق إنسان ليقول: إنّ الرجل أعلى من المرأة، فهو جاهلي عنصري متخلف، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (٣٥)﴾

(سورة الأحزاب: الآية: ٣٥)

تماماً:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

(سورة النحل: الآية: ٩٧)

وفي آية أخرى:

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

إذاً المرأة لها مهمةٌ خطيرةٌ أنيطت بها، والرجل له مهمةٌ خطيرةٌ أنيطت به، وصفات الرجل الجسمية والعقلية والنفسية كمال فيه، وصفات المرأة النفسية والجسمية والعقلية كمالٌ فيها، والمجموع ثابت عند الطرفين، فإذا أعطينا علامات لقوة الإدراك، ولقوة الانفعال، المجموع ثابت

عند الطرفين، والمرأة والرجل متكاملان صفات كلٍ منهما لا تغني أحدهما عن الآخر، من أجل حسن تربية الأولاد، وما نقَصَ في عقلها كمالٌ فيها، وما زاد في عقله كمال فيه، وما نقص في عاطفته كمال فيه، وما زاد في انفعالها كمال فيها، وما نقص من إدراكها كمال فيها، وليس في الإمكان أبدع مما كان، وهذا خلق الرحمن، أما حينما نبدِّل ونحوِّر ونضع المرأة مكان الرجل، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً))

(رواه البخاري عن أبي بكرة)

لأنّ إمكانياتها الانفعالية الرقيقة لا تسمح لها أن تحكم بالإعدام على مجرم، واللهُ عز وجل قال:

﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾

(سورة النور: الآية: ٢)

انفعالها ورقتها وأنوثتها، لا تسمح لها أن تصدر هذه الأحكام، وهذا يحتاج هذا إلى رجل، كما أن الرجل لا يستطيع أن يرعى الأطفال، يحتاج إلى عطف، وإلى بال طويل، ورحمة ومحبة، لذلك كمال الرجل صفاته التي فُطر عليها، وكمال المرأة صفاتها التي فُطرت عليها، فأي فريةٍ يفتري بها أعداء المسلمين من أن المرأة شهادتها نصف شهادة الرجل هذا كمالٌ فيها، كما أن الأمية في النبي كمال فيه، والأمية فينا نقص، أما عند النبي لماذا هي كمال، لأنه يوحى إليه، حتى لا يسأله أصحابه كل يوم وكل ساعة، هذا الحديث يا رسول الله من عندك ؟ من ثقافتك أم من الوحي ؟ لذلك مُنع النبي عن ثقافة الأرض، وعن كل معلومات الأرض، وكان كلامه كله وحيًا من السماء، فلذلك موضوع الإدراك الدقيق لدور المرأة والرجل شيء مهم، والأحاديث كثيرة في هذا الموضوع، نسوق إليكم بعضها.

" **اعلمي أيتها المرأة وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله** "، فهي إذًا مجاهدة، ويتوجه النبيُّ إلى الرجال فيقول:

((أكرموا النساء فوالله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم ويغلبهنّ لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً.))

ينطلق المؤمن من احترام زوجته، امرأة مشاعرها كمشاعره، تحب كما يحب، تبغض كما يبغض، تسمو كما يسمو، تنحط كما ينحط تغضب كما يغضب، وهذا يؤكده قوله تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(سورة البقرة: الآية: ٢٢٨)

أما حينما قال الله عز وجل:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

(سورة النساء: الآية: ٣٤)

هذه قوامة إدارة وتنظيم، لا قوامة سيطرة واستفزاز، بينك وبينها درجة واحدة، لا ما بينك وبينها كما بين قائد الجيش والمجند، لا، ولكن بين رتبتين فقط، رتبة واحدة بينك وبينها.

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

(سورة البقرة: الآية: ٢٢٨)

هي درجة القوامة، لأنه هو المنفق.

فأن ينطلق المسلم من فهمه لحقيقة دور الرجل والمرأة خيرٌ له و أصحّ،وأنْ يعلم أيضًا أنَّ المرأة لها مكان لا ينبغي أن تتجاوزه:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

إذا قلنا:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: الآية: ٣٣)

تذكروا أن يقال للطيار وهو في غرفته الصغيرة، وأمامه الأجهزة المعقدة، اثبُت في هذا المكان، يقول لك هذا مكان صغير ضيّق، وهذا تضييق لحريتي، نقول له، أرْواح الركاب كلها في رقبتك، هذا مكانك الطبيعي، فالمرأة حينما تخرج من البيت، من دون سبب قاهر وتضيع أولادها، تخلت عن مهمتها الأساسية التي أناطها الله بها، فلذلك أعظم عمل يقوم به الإنسان، أن يربي عناصر طيبة يدفعها إلى المجتمع، لذلك فشهادة المرأة ليست هذه الورقة التي تعلقها في البيت، تقول لك: أنا مهندسة، شهادتها أولادها، حسن تربيتهم، أخلاقهم، عاداتهم تقاليدهم، ثقافتهم، خبرتهم، هذه شهادتها، فلذلك إذا قال أحدهم: إن الإسلام ما أنصف المرأة، وأنّه أعطاها دون ما تستحق، والدليل شهادتها نصف شهادة الرجُل، نرد عليه ونقول: إن هذا كمالٌ فيها، وهي والرجل متكاملان، وأن هذه الزيادة محض كمال، وأن ذلك النقص محض كمال، وهذا العضو الذي في الصدور، في الأضلاع، كمالها بأنها منحنية، ولو أنها مستقيمة لخرجت من البطن وكانت كالأعواد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ))

(رواه البخاري)

يعني أنت لا ترضى عن زوجة فيلسوفة في قضايا العالم الثالث والرابع والخامس، والبيت مهمل، لا فيه تنظيف، ولا طبخ، ولا شي مما يُعدُّ من مهنة المنزل، أنت تريد أن تأتي، والبيت نظيف، وهي متزينة، والطبخ جاهز، والأولاد مرتبون، هذا الذي يرفع من قيمتها في نظرك، فلذلك هذا الضلع عَنْ سَمُرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ وَإِنَّكَ إِنْ تُرِدْ إِقَامَةَ الضِّلْعِ تَكْسِرْهَا فَدَارِهَا تَعِشْ بِهَا))

(رواه أحمد)

وملخص الملخص دَارِهَا تَعِشْ بِهَا، الزوجة دارها تعش بها وهذه سنة الله في خلقه، وما أصدق مقالة رسول الله صلى الله عليه و سلم وصيَّةً للزوج:

((لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))

(رواه مسلم عن أبي هريرة)

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة النساء: الآية: ١٩)

قال المفسرون: المعاشرة بالمعروف ليست أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل أن تحتمل الأذى منها.

والحمد لله رب العالمين

ندوات مصورة – سوريا – ندوات مختلفة : ندوة حول اتفاقية مكافحة أشكال التمييز ضد المرأة – سيداو

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-٠١-٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

الخلفية التي سبقت مؤتمرات السكان :

أيها الأخوة الكرام ، هناك خلفية لهذه المؤتمرات التي سبقت تلك المعاهدة ، الخلفية تقول : إن النمو السكاني في العالم الثالث ولا سيما عند المسلمين يعد خطراً يهدد الأمن الغربي ، يريدوننا ألا ننجب لذلك جعلوا عقود الزواج أنواعاً ثلاثة بين رجلين أو امرأتين أو رجل وامرأة ، وسمحوا بالإجهاض الآمن وهناك اتفاقيات عُقدت في القاهرة في مؤتمر القاهرة ومؤتمر بكين ولا يمكن لدولة إسلامية أن تطبقه ، هذا شيء مستحيل ، لكن أريد أن أختصر .

أقدم لكم صورة عما آلت إليه الأمور عندهم ، هم يرغبون أن يكون وضعنا كوضعهم .

شاب أحب فتاة فاستأذن والده في الزواج منها قال له : لا يا بني إنها أختك وأمك لا تدري ، ثم أعجبته فتاة ثانية ، فاستأذن والده ، قال : لا يا بني ، إنها أختك أيضاً ، وأمك لا تدري ، أعجبته فتاة ثالثة ، فقال : لا يا بني ، إنها أختك أيضاً ، وأمك لا تدري ، هذا الشاب ضجر فأخبر والدته، قالت له : خذ أين شئت ، فأنت لست ابنه ، وهو لا يدري .

بنود المعاهدة واتفاقيات مؤتمرات السكان لا يمكن لأي دولة إسلامية أن تقبلها :

صدقوا أن بنود المعاهدة واتفاقيات مؤتمرات السكان لا يمكن لدولة إسلامية أن تقبلها ، وحينما تحفظنا عن معظم المواد معظم الدول الإسلامية تحفظت أيضاً ولكن المشكلة التي ينبغي أن تكون واضحة أن هناك فرقاً كبيراً بين حقيقة هذا الدين العظيم وبين الممارسات الخاطئة الشنيعة لبعض المسلمين ، لذلك قصة ثانية :

شاب أحب فتاة في أمريكا فاستأذن والده في الزواج منها فهدده الأب بالتبرؤ منه وحرمانه من الميراث ، بعد شهر خطر في بال هذا الشاب أن يدعوها إلى الإسلام فإن أسلمت يتزوجها ، استشار والده قال لا مانع إن أسلمت أوافق ، أعطاها عشرة كتب باللغة الإنكليزية عن الإسلام وبيّن لها أنها إذا أسلمت يتزوجها ويرضى الأب عن ذلك ، ذكية جداً هي طلبت منه إجازة أربعة أشهر كي تقرأ الكتب بعيدة عن ضغوطاته ، وهذه الأشهر الأربعة مرت عليه كأربع سنوات ،

وفي اليوم المحدد اتصل بها فسمع الخبر الذي صعق له قالت لقد أسلمت فاختل توازنه من الفرح لكنها قالت ولكنني لن أتزوجك لأنك بحسب ما قرأت في هذه الكتب لست مسلماً .

الفرق الكبير بين حقيقة هذا الدين وبين الممارسات الخاطئة لبعض المسلمين :

شيء مؤلم جداً أن هناك ممارسات خاطئة عند المسلمين لا علاقة لها بالإسلام إطلاقاً ، كنت في ألمانيا وذكرت هذا المثل طبيب يحمل أعلى شهادة في العالم معه بورد وأجرى ألفي عملية ناجحة لكن مظهره يرتدي ثوباً أبيضاً ويضع سماعة قلب في أذنيه وفي جيبه ميزان حرارة ويضع النظارة ، جئنا بمجرم أُمّي لا يقرأ ولا يكتب ألبسناه ثوباً أبيضاً ووضع النظارة وميزان الحرارة وسماعة القلب ، هل يعد هذا الثاني طبيباً ؟ إذا كنتم تعدون هذا الثاني طبيباً نعد المسلم الذي يبالغ في إهانة المرأة وفي أكل حقوقها طبيباً أو مسلماً .

هذه المشكلة ، أكبر مشكلة أن أعداءنا يفهمون الإسلام من خلال ممارسات خاطئة يفعلها المسلمون .

كمال الخلق يدل على كمال التصرف :

بادئ ذي بدء أريد أن أقدم لمقدمة قد تعجبون من أنه لا علاقة لها إطلاقاً بالموضوع ، الله عز وجل يقول :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (٢٢)﴾

(سورة الروم)

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٣٧)﴾

(سورة فصلت)

الآن دققوا :

﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (٢١)﴾

(سورة الروم)

أيها الأخوة الكرام ، بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب إلى الأرض أربع سنوات ضوئية ، ما معنى أربع سنوات ضوئية ؟ العملية سهلة جداً الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر كم يقطع بالدقيقة ؟ ضرب ستين ، كم يقطع بالساعة ؟ أيضاً ضرب ستين ، كم يقطع في اليوم ؟ ضرب أربع وعشرين ، كم يقطع في السنة ؟ ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين ، كم يقطع في أربع سنوات ؟ هذا الرقم الكبير لو قسمناه على مئة لو في طريق إلى هذا النجم ومعنا مركبة بسرعة مئة كم ساعة ؟ لو قسمنا الناتج على أربع وعشرين كم يوم ؟ لو قسمنا الناتج على ثلاثمئة

وخمسة وستين كم سنة ؟ من أجل أن نصل إلى أقرب نجم ملتهب عن الأرض يبعد أربع سنوات نحتاج إلى خمسين مليون عام .

متى نصل إلى نجم القطب ؟ بعده عنا أربعة آلاف سنة ضوئية ، المرأة المسلسلة مليونا سنة ضوئية ، متى نصل إلى مجرة اكتشفت حديثاً بعدها عنا أربع وعشرين مليار سنة:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

(سورة الواقعة)

هناك قاعدة كمال الخلق يدل على كمال التصرف .

الإسلام منهج قويم فيه حفظ لحقوق المرأة :

هذا الإله العظيم أيعقل أن يكون في منهجه القويم هضم لحقوق المرأة ، هذا الإله العظيم هو الذي خلق الذكر والأنثى :

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١)وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢)وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣)إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤)فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)﴾

(سورة الليل)

هذا الإله العظيم الذي قال :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ (٢١)﴾

(سورة الروم)

المرأة إنسان كالرجل تماماً مساوية للرجل تماماً في التكليف ، مكلفة كما هو مكلف وفي التشريف مشرفة كما هو مشرف ، وفي المسؤولية مسؤولة كما هو مسؤول ، هذه المرأة التي خلقها الله عز وجل كي تتكامل مع الرجل ، كي تكون سكناً له يكمل نقصه بها ، وكي يكون سكناً لها تكمل نقصها به ، هذه المرأة أيعقل أن يكون في منهج الله ما يهضم حقوقها ؟ أضرب لكم مثلاً كثيراً ضئيلاً ، مرة أصلح مركبتي عند أخ في قطعة في المركبة ألقاها أرضاً قال هذه ليس لها لزوم ، قلت له أنا لا أستطيع أن أناقشك لكن شركة في ألمانيا عندها خمسة آلاف مهندس لست أفهم من هؤلاء أرجعها .

استنباط إله عظيم أنزل هذا القرآن الكريم أيعقل أن يكون في حقوق المرأة هضم في هذا الإسلام العظيم .

المساواة التامة بين المرأة و الرجل :

فلذلك أيها الأخوة ، بادئ ذي بدء يقول الله عز وجل :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (٢٢٨)﴾

(سورة البقرة)

مساواة تامة ، درجة القيادة فقط كيف في طيار ومساعد كلاهما مهندسان ، كلاهما خبيران ، كلاهما قادران على أن يقودا الطائرة لكن عند الأزمات الكلمة الأولى للطيار ، هذه درجة القيادة ، يعني بالحياة المعاصرة الفرق بين الزوجة والزوج بين لواء أركان حرب ولواء ، لكن ليس الفرق بين مجند ولواء ، درجة واحدة الآية واضحة تماماً :

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (٢٢٨)﴾

(سورة البقرة)

كل ما نعانيه من مشكلات بسبب الجهل ، والجهل أعدى أعداء الإنسان ، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به .

علينا ألا نعيد النظر بالإسلام بل نعيد النظر في تقييم المسلمين :

حتى إن المفسرين حينما فسروا قوله تعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ (١٩)﴾

(سورة النساء)

من أروع ما قرأت عن هذه الآية ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها ، بل أن تحتمل الأذى منها ، وبطولة الزوج أن يكون محسناً .

إلهنا وربنا يقول :

﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ (٦)﴾

(سورة الطلاق)

الإتمار فعل مشاركة ، تأمرها وتأمرك ، تنصحها وتنصحك ، تشير عليها وتشير عليك ، هذا قرآننا ، إذا قلت إسلام ما الإسلام ؟ القرآن ، ما الإسلام ؟ السنة ، ما الإسلام ؟ السيرة ، ما الإسلام ؟ فعل الصحابة ، ما الإسلام ؟ فع التابعين ، ما الإسلام ؟ فعل العلماء الربانيين ، هذا هو الإسلام .

أما كل إنسان ولد من أب وأم مسلم وكان جاهلاً منحرفاً ضالاً مضلاً نعده مسلماً ونأخذ على الإسلام ؟ يعني الآن إذا إنسان ما معه شهادة طب أبداً وكتب لوحة الدكتور فلان وبدأ يؤذي الناس في جهله هل نلغي كلية الطب ؟ ما لها علاقة الكلية ، الكلية رائعة نحاسب هذا ، لا نعيد النظر في الإسلام نعيد النظر في تقييم المسلمين فقط .

مساواة المرأة مع الرجل في التكليف و التشريف و المسؤولية :

أيها الأخوة الكرام :

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى (١٩٥)﴾

(سورة آل عمران)

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

(سورة النحل الآية : ٩٧)

هذا الكلام في القرآن مفاده أن المرأة مساوية للرجل تماماً في التكليف وفي التشريف وفي المسؤولية .

الفروق بين المرأة و الرجل هي كمال مطلق للمهمة التي أناطها الله بكل منهما :

أما حينما نقرأ قوله تعالى :

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى (٣٦)﴾

(سورة آل عمران)

درسنا في الجامعة في كلية التربية كتاب لعالم نفس كبير اسمه فياجيه والله لو قرأتم هذا الكتاب ، ما من عنوان يصدق عليه كهذه الآية : وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى . في فروق في خصائص فكرية ونفسية واجتماعية وجسمية للمرأة هي كمال مطلق للمهمة التي أناطها الله بها ، وفي خصائص فكرية ونفسية واجتماعية وجسمية للرجل هي كمال مطلق للمهمة التي أناطه الله بها .

أيها الأخوة الكرام ، هل في الإسلام درجة أعلى من الجهاد ؟ الجهاد ذروة سنام الإسلام كيف يقول سيد الأنام : اعلمي أيتها المرأة و أعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله .

توجيه النبي صلى الله عليه وسلم في إكرام النساء :

شيء آخر النبي صلى الله عليه وسلم (هذا هو الإسلام الأحاديث والآيات)قال :

((أكرموا النساء ، فوالله ما أكرمهن إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم))

[ابن عساكر عن علي بسند فيه مقال كبير]

وفي زيادة يغلبن كل كريم ، ويغلبهن لئيم ، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً .

هذا توجيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وصف النساء :

((فإنهن المؤنسات الغاليات))

[الحاكم والطبراني عن عقبة بن عامر بسند ضعيف]

كان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً ، كان عليه الصلاة والسلام يقف للسيدة فاطمة حينما ولدت ضمها وشمها وقال : ريحانة أشمها وعلى الله رزقها .

مرتبة تربية الأولاد لا تعدلها مرتبة في مجتمع المسلمين :

بل إنه يقول دققوا :

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا ، فإذا بامرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي ، قلت من هذه يا جبريل ؟ قال : هي امرأة مات زوجها ، وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلها))

[ورد في الأثر]

مرتبة تربية الأولاد لا تعدلها مرتبة في مجتمع المسلمين فلذلك أنا أقول الآن أولادنا هم الورقة الوحيدة الرابحة في حياتنا بل لم يبقَ في أيدينا من ورقة رابحة إلا أولادنا هم المستقبل .

الرفق بالنساء :

أيها الأخوة الكرام :

((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

إنما النساء شقائق الرجال ، كان زوجاً ناجحاً ، السيدة عائشة سألت سيد الخلق وحبيب الحق ، سألته كيف حبك لي ؟ فأجابها كعقدة الحبل ، فأصبح هذا رمزاً بينهما ، كانت تسأله من حين لأخر كيف العقدة ، فيقول على حالها .

أيعقل أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم : الحمد لله ، على ماذا ؟ الذي رزقني حب عائشة .

هذا الإسلام ، هذا الود ، المحبة ، الوفاء ، فتح مكة ودعته بيوتات مكة كي يبيت عندها قال : انصبوا لي بيتاً عند بيت خديجة . وركز لواء النصر أمام قبرها ليعلم العالم كله أن هذه المرأة التي في القبر شريكته في النصر .

أيها الأخوة ، كان عليه الصلاة والسلام :

((فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ))

[البخاري عَنْ الْأَسْوَدِ]

كان يكنس داره ، ويرفو ثوبه ، ويحلب شاته ، وكان في مهنة أهله ، ويقول دققوا : من كانت له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة .

برعاية بنات ثلاث تجب للأب الجنة بل إن الذي يدافع عن أهله يعد شهيداً ، هل بعد هذا الوفاء من وفاء ، هل بعد هذا الاحترام من احترام ، معنا كنوز والله أيها الأخوة ، معنا كنوز يفرضون علينا حقوق الإنسان تارة وحقوق المرأة تارة وحقوق الطفل تارة .

أم سلمة أشارت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد الخلق وحبيب الحق في الحديبية نفذ مشورتها ونجحت مشورتها .

إشادة القرآن الكريم بامرأة فرعون و غيرها :

أيها الأخوة الكرام ، القرآن الكريم أشاد بامرأة فرعون :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ (١١)﴾

(سورة التحريم)

كانت تحت جبار من جبابرة الأرض بكل جبروته لم يستطع أن يحملها على الكفر أو على الإيمان به .

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)﴾

(سورة التحريم)

ماشطة بنت فرعون ،

((و هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا ، فَقَالَتْ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ : أَبِي ؟ قَالَتْ : لَا ، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ ، قَالَتْ : أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ ، قَالَتْ :

نَعَمْ ، فَأَخْبَرَتْهُ ، فَدَعَاهَا ، فَقَالَ : يَا فُلَانَةُ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلَادُهَا فِيهَا ، قَالَتْ لَهُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، قَالَ : وَمَا حَاجَتُكِ ؟ قَالَتْ أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا ، قَالَ : ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنْ الْحَقِّ ، قَالَ : فَأَمَرَ بِأَوْلَادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا ، إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ ، قَالَ : يَا أُمَّهْ اقْتَحِمِي ، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ ، فَاقْتَحَمَتْ))

[أحمد عن عبد الله بن عباس]

النبي عليه الصلاة والسلام في أثناء العروج :

((لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ مَرَّتْ بِهِ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ))

قال يا جبريل ما هذه الرائحة ؟ قال هذه رائحة ماشطة بنت فرعون .

نماذج عن المرأة في الإسلام :

بطولات في الإسلام ، معقول أيها الأخوة ، النبي صلى الله عليه وسلم هو سيد الأنبياء والمرسلين سيد ولد آدم سيد الخلق حبيب الحق يخطب امرأة فتعتذر ، أتيح لها أن تكون السيدة الأولى ، أي فتاة في الأرض لا تتمنى أن تكون السيدة الأولى في مجتمعها ، اعتذرت فلما سألها قالت عندي خمسة أولاد أخاف إن قمت بحقك أن أقصر بحقهن وأخاف إن قمت بحقهن أن أقصر بحقك .

هذا نموذج من المرأة بالإسلام ، والله يا أيها الأخوة ، في قصص وفي مواقف وفي مشاهد في هذا الدين العظيم يجب أن نعلمهم حقوق المرأة .

شيء آخر إلهنا وربنا ومولانا سمع شكوى امرأة من فوق سبع سماوات ، كان عمر إذا كان يركب دابته ورآها ينزل عن دابته احتراماً لها ، فلما سئل لما تفعل هذا ؟ قال كيف لا أتأدب أمامها وقد سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات .

امرأة القاضي شريح مثال المرأة الصالحة :

أيها الأخوة ، القاضي شريح ، لقيه صديقه الفضيل ، قال له : يا شريح كيف حالك في بيتك ؟ قال : والله منذ عشرين عاماً لم أجد ما يعكر صفائي ، قال وكيف ذلك ؟ قال تزوجت من أسرة صالحة ، فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحاً وكمالاً ، يعني صلاحاً في دينها ، وكمالاً في

خلقها، فصليت ركعتين شكراً لله على نعمة الزوجة الصالحة ، فلما سلمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي وتسلم بسلامي وتشكر شكري ، فلما خلا البيت من الأهل والأحباب دنوت منها فقالت لي على رسلك يا أبا أمية ، ثم قامت فخطبت ، قالت : أما بعد فيا أبا أمية إنني امرأة غريبة لا أدري ماذا تحب ، ولا ما تكره ، فقل لي ما تحب حتى آتيه ، وما تكره حتى أجتنبه ، ويا أبا أمية لقد كان لك من نساء قومك من هي كفء لك ، وكان لي من رجال قومي من هو كفء ولكن كنت لك زوجة على كتاب الله وسنة رسوله ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فاتق الله فيّ ، وامتثل قوله تعالى :

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ (٢٢٩)﴾

(سورة البقرة الآية : ٢٢٩)

ثم قعدت ، قال ، فألجأتني إلى أن أخطب وهو لا ينوي أن يخطب في هذا الوقت ، قال وقفت وقلت : أما بعد فقد قلت كلاماً إن تصدق فيه وتثبت عليه يكن لك ذخراً وأجراً وإن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا وكذا ، وأكره كذا وكذا وما وجدت من حسنة فانشريها ، وما وجدت من سيئة فاستريها .

من طبق منهج الله في بيته عاش في سعادة كبيرة :

يقول عليه الصلاة والسلام يمدح المرأة الستيرة التي تحفظ سر زوجها ، يمدح المرأة الودود :

((تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ))

[النسائي ، و أبو داود عن معقل بن يسار]

الستيرة التي إن نظرت إليها ، وتحفظك إذا غبت عنها ، وتطيعك إن أمرتها . والله أيها الأخوة ، في بيوتات في المسلمين والله جنة في الأرض من تطبيق منهج الله .

قالت كيف أزور أهلي وأهلك ؟ قال نزورهم غباً مع انقطاع بين الحين والحين لئلا يملون ، وفي الحديث الشريف زر غباً تزدد حباً ، قالت فما من الجيران تحب أن أسمح لهن بدخول بيتي ومن تكره ، قال بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم غير ذلك ، قال وعدت إلى البيت في أحد الأيام بعد عام من زواجي فإذا أم زوجتي عندنا ، رحبت بها أجمل ترحيب وكانت قد علمت من ابنتها أنها في أهنأ حال ، قالت يا أبا أمية كيف وجدت زوجتك ؟ قلت والله هي خير زوجة ، قالت يا أبا أمية ما أوتي الرجال شيئاً أسوأ من المرأة المدللة فوق الحدود ، فهذب ما شئت أن تهذب وأدب ما شئت أن تؤدب ، ثم التفتت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة .

أيها الأخوة الكرام ، النبي صلى الله عليه وسلم توسط إلى امرأة أن تعود لزوجها دققوا قالت أتأمرني ؟ قال لا إنما أنا شفيع . ما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يضع مكانته الدينية في حرية المرأة في علاقتها مع زوجها .

أعظم ما في العلاقة الزوجية في الإسلام المودة والرحمة :

شيء آخر أرجو الله عز وجل أن نعرف حقيقة هذا الدين ، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً .

أعظم ما في العلاقة الزوجية في الإسلام دققوا أن الله بين الزوجين كل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر ، وكل طرف يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر ، الله بين الزوجين ومن آياته الدالة على عظمته :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا (٢١)﴾

(سورة الروم)

السكنى الرجل يكمل نقصه العاطفي بزوجته والزوجة تكمل نقصها القيادي بزوجها:

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (٢١)﴾

(سورة الروم)

هذه المودة والرحمة من خلق الله عز وجل .

كلما يتقدم العلم يقترب من الدين :

نحن لسنا بحاجة إلى اتفاقيات وإلى حقوق امرأة ولكن بحاجة إلى أن نفهم هذا الإسلام العظيم وعندئذ نستغني عن كل هذه الاتفاقيات ، وأنا أتمنى أن يكون هناك وعي كبير لإسلامنا أولاً حتى لا نشعر بأن نستورد أنظمة أرضية ، مثلاً كلما تقدم العلم يقترب من الدين ، الاتحاد السوفيتي قبل أن ينهار ماذا حرم ؟ حرم الخمر ، الآن في دعوة في أمريكا لعدم الاختلاط افتحوها في الانترنيت دعوة كبيرة جداً لجعل جامعات للذكور وجامعات للإناث ، كلما تفاقمت الأمور شعرنا بحاجة إلى أن نعود إلى هذا الدين العظيم ، لعلي أطلت عليكم وشكراً لإصغائكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

اختلاف الغرب عنا في عاداتهم و تقاليدهم :

وردتني بعض الأوراق من بعض الأخوة يلتمسون من شيخنا الجليل الشيخ أسامة الرفاعي أن يتفضل في الحديث في هذا الموضوع أرجو من أستاذنا الجليل أن يتفضل إلى المنصة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين وصلِّ اللهم وبارك على سيدنا محمد وصحبه أجمعين .

وبعد أيها الأخوة ، باختصار أريد أن أتحدث في ثلاث نقاط على عجل ، النقطة الأولى أنني حينما صدر المرسوم الجمهوري دخول سوريا اتفاقية مكافحة أشكال التمييز ضد المرأة ، قرأت هذه الاتفاقية كلها مادة مادة وبنداً بنداً ودققت فيها كلمة كلمة وشعوري عندما قرأت كل هذا أن الأساتذة الكرام الذين قاموا بوضع هذه التحفظات فإنهم من المتفقهين وإضافة إلى ذلك فهموا حق الفهم حضارة بلادنا فجمعوا علمهم إلى جانب ثقافتهم .

خمسة عشر تحفظاً من ثلاث مواد من أصل ثلاثين مادة ، هذه التحفظات كلها لا تخرج عن موضوعين اثنين إما أن تنافي الشريعة الإسلامية التي تفضل الدكتور راتب حفظه الله تعالى وإما أن تنافي ....

وهذه المصطلحات لا أدري لما لم تحدد معانيها ؟ لما لم تعرف هذه المصطلحات وكل مصطلح منها يختلف اختلافاً جذرياً ، فهم الأمم المتحدة وشعوب الغرب عن مفاهيمنا ومفاهيم شعوبنا بعاداتها وتقاليدها وتراثها وقيمها ، فكان ينبغي أن تعرف هذه المصطلحات وأن يعلم لدى الجميع أن هذا المصطلح تعريفه كذا وكذا وقد اتفقت عليه ، وقد فصلت تفصيلاً واسعاً على المنبر من خلال أكثر من ستين خطبة حول المرأة ، مررت في هذه الخطب على كثير من قضايا الأمم المتحدة التي تتدخل بها في شؤوننا وخاصة في قضية المرأة .

مصطلحات مؤتمر" أشكال التمييز ضد المرأة " و هي مصطلحات تختلف عن مصطلحاتنا :

١ ـ العنوان : مكافحة أشكال التمييز ضد المرأة :

من هذه المصطلحات على سبيل المثال لا على سبيل الحصر أولاً العنوان مكافحة أشكال التمييز ضد المرأة ، كلمة التمييز هل تعلمون أيها الأخوة أن الغرب كله يعتبر من التميز ضد المرأة أن يشرع في قوانين الدولة أن يكون ميراث المرأة نصف ميراث الرجل وهل يتدخلون في هذا ويكافحونه ، هذا تميز في نظرهم .

٢ ـ شهادة المرأة في بعض القضايا :

وشهادة المرأة في بعض القضايا في القانون الإسلامي وفي بعض القضايا تكون شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل ، أليس هذا تمييزاً في نظر الغرب ؟ طبعاً .

٣ ـ قضية القوامة :

وقضية القوامة الذي تفضل عنها الدكتور راتب ، قضية القوامة عندنا أن يكون للمركب قيادة أن يكون لبيت الزوجية قيادة بمعنى يوجد له إدارة ، مدير هذا المركب رجل فقط وليس أكثر من ذلك، هذا في نظر الغرب من التمييز ، فكيف هذا المصطلح إذا اختلفت الدول مع بعضها حين تطبيق هذه الاتفاقية وحين تطبيق عنوانها أولاً فمن هو المرجع ؟ هل المرجع دول الغرب والأمم المتحدة أم المرجع دولنا وشعوبنا وثقافتنا وأمتنا وتاريخنا ؟

٤ ـ قضية المساواة :

من هذه المصطلحات قضية المساواة التي تتكرر كثيراً في هذه الاتفاقية ، لا تفاهم بيننا وبين الغرب في تعريف هذا المصطلح ، فالمساواة عندهم مساواة تماثل ، وفي الإسلام المساواة مساواة تكامل ، عندهم مساواة تماثل ، وتحاول الأمم المتحدة أن تفرضه على الدول كلها وموجود في التوصيات والمؤتمرات الدولية التي تقام ، وهذا المفهوم هو مفهوم يهودي ليس له أصل في الثقافة النصرانية وليس له أصل في ثقافة الغرب كله ، إنما حقيقته ثقافة يهودية نابعة من حركة يهودية اسمها حركة التمركز حول الأنثى ومن قرأ قانون هذه الحركة وجد تعريف وحقائق هذه الحركة التمركز حول الأنثى .

أيها الأخوة ، التماثل يعني أنه لا يفرق بين المرأة والرجل أبداً إلا في شيء واحد هو الجهاز التناسلي ، وما سوى ذلك لا فرق أبداً بين الرجل والمرأة لا في النواحي البيولوجية ولا السيكولوجية ولا الفيزيولوجية ولا شيء ، وتحدث عن شيء من ذلك فضيلة الدكتور راتب ، بينما في الإسلام فروق كبيرة جداً وهذه الفروق يقرها العلم الحديث وعلى هذا الكلام وثائق كثيرة جداً أن العلم الحديث بل العلوم الحديثة تقرّ هذه الفروق بين الرجل والمرأة .

في شريعة الإسلام المرأة مع الرجل يتكاملان ولا يتماثلان :

بناء على ذلك إن الأمم المتحدة تحاول أن تفرض في كل المؤتمرات التي تتعلق بالمرأة أن ترى أن هناك تماثل بين المرأة والرجل فينبغي أن تكون الوظائف التي يقوم بها الرجل هي الوظائف التي تقوم بها المرأة ، والوظائف التي تقوم بها المرأة هي الوظائف التي يقوم بها الرجل ، وهذا لا ترضى به شعوبنا ولا أمتنا ولا تاريخنا ولا حضارتنا أبداً ، المرأة مع الرجل يتكاملان ولا يتماثلان ، يعني هذا الكلام في شريعة الإسلام أن المرأة لها حقوق وعليها واجبات ينبغي أن تقوم بها جميعاً ولا يشاركها الرجل في شيء منها ولا يزاحمها عليه ، وأن الرجل له حقوق وعليه واجبات لا تزاحمه المرأة فيها ولا ينبغي أن يتخلى هو عنها .

إذاً لا بد أن يقوم كل بواجباته فيتكاملان معاً ، أما أن يزاحم الرجل المرأة في وظيفتها ويخلي مكانه الذي أقامه الله فيه ، أو تزاحم المرأة الرجل في وظيفته التي يقوم بها وتخلي مكانها ، فهذا خلل اجتماعي كبير بل وخل في الأمة كلها .

٥ ــ الحرية :

أيضاً من المصطلحات التي لم تعرف بهذه الاتفاقية وهذا خلل كبير في الاتفاقية ، كلمة الحرية ، وكلمة الحرية تتكرر كثيراً ، وكلكم يعلم هذا وعنده الأمثلة كثيراً ولكن أريد أن أتكلم عن الحرية في مصطلحات الغرب ومصطلحات الأمم المتحدة خصوصاً ولا أتكلم عن الحرية بكل ولكن أتكلم عن الحرية بصدد المرأة .

مفهوم حرية المرأة عند الغرب و هذا مفهوم يختلف مع عاداتنا و تقاليدنا :

الحرية أيها الأخوة كما نصت مقررات وتوصيات الأمم المتحدة كلها وأكثرها أن حرية المرأة يجب أن تحترم في جسدها ، أن تكون المرأة حرة في جسدها يعني المرأة متزوجة أو عازبة هي حرية تتصرف في جسدها فتتمتع بمن تشاء وتمتع من تشاء بالكيفية التي تشاء ، وهذا أمر مقرر بتوصيات الأمم المتحدة وأن المرأة أيضاً حرة في الوقت التي تريده في تحديد السن التي تمارس فيه الجنس يعني ولو كانت ثلاثة عشر عاماً ، أربعة عشر ، أو أقل من ذلك لها الحق أن تمارس الجنس في أي سن تشاء ، أما نحن يحرمون علينا الزواج المبكر ويحاربونه حرباً ، كل المؤتمرات تحارب الزواج المبكر وتضخم الآثار القوية التي تترتب عليه ، فالزواج المبكر فوائده أكثر بكثير من مضاره بل فيه من الفوائد ما ليس في الزواج المتأخر ولا أريد أن أخوض في هذا التفصيل اسألوا الأطباء المتخصصين يحدثوكم عن فوائد الزواج المبكر كيف تدفع الأمراض الخطرة جداً عن المرأة التي تلحق بها في سن متأخرة .

من الحرية عندهم أن تتمتع المرأة بجسدها كما تشاء ولو كانت متزوجة ، وأن تحدد السن الذي تشاء لممارسة الجنس ، وأيضاً من الحرية أن تتصرف في غشاء البكارة ويصرون على أن غشاء البكارة من حق البنت متى شاءت أن تزيله ومع من شاءت لا ينبغي أن يعترض عليها لا في القانون ولا في المجتمع ، ومنذ فترة قريبة احتفلت الأمم المتحدة في مركز الأسرة بمرور واحد وخمسين سنة على إنشاء مركز الأسرة وبهذه المناسبة قدمت لجنة من الخبراء تقريراً مفصلاً حول هذه المواضيع ليصبح قانوناً واتفاقية تلتزم بها كل الدول وأكدوا بهذا على الأمور الثلاثة الذي ذكرتها .

- حرية المرأة في الجنس .
- حرية المرأة في اختيار الوقت التي تشاء لممارسة الجنس .
- حرية المرأة في غشاء البكارة .

هذا مفهوم الحرية عندهم وفي الاتفاقية لم يحدد أي تعريف لمعنى الحرية ، فإذا حصل خلاف في يوم ما حول دولة من الدول والأمم المتحدة حول تطبيق مصطلح الحرية فمن هو المرجع ؟ إذا كان المرجع الأمم المتحدة فهي أكبر طامة تواجه الأمة الإسلامية ، وإذا كان المرجع نحن فنحن الآن الدول الإسلامية تقريباً لا قيمة لها في نظر الأمم المتحدة ولا قيمة لها في نظر الغرب ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الأذى الملحق بالأمة الإسلامية جراء هذه الأمور الموجودة في هذه الاتفاقية :

أيها الأخوة ، أنا لا أقول أننا ينبغي أن نتدخل في إعادة النظر في هذه الاتفاقية من فراغ وإنما أقول هذا لأن المادة ٢٦ من هذه الاتفاقية تقول بالحرف الواحد : يحق لأية دولة طرف أن تطلب إعادة النظر في هذه الاتفاقية بعد أن تقدم إشعار فقهياً للأمين العام للأمم المتحدة ، وأنا أرجو وأتمنى من الأستاذ الدكتور رياض داودي أن يجيبني على هذا السؤال هل يحق لأمتنا إذا وجدت هذا الخلل الفاضح في هذه الاتفاقية أنها لم تعرف المصطلحات ، هل يحق لأمتنا أن تعترض على صياغة هذه الاتفاقية ومن جملة الصياغة تعريف هذه المصطلحات ؟ بناء على المادة ٢٦ من هذه الاتفاقية ؟

ثم بعد ذلك أحب أن أسمع الجواب على هذا ، إذا كان لم يكن من حق هذه الأمة أن تعترض على هذه الاتفاقية فأين نذهب في أنفسنا ؟ ماذا يساعدنا القانون في أن نتخلص من هذا البلاء الذي حلّ بنا من هذه الاتفاقية خاصة إذا رفعت التحفظات لا سمح الله ؟ وإذا كان يحق لنا أن نعترض على هذه الاتفاقية بحسب هذه المادة ٢٦ فما هو الطريق القانوني الذي ينبغي أن تسلكه الأمة كلها؟ الأمة كلها يؤذيها أشد الإيذاء مثل هذه الأمور الموجودة في هذه الاتفاقية .

الضغط الشديد من جمعيات المجتمع المدني قائم على الحكومة لرفع هذه التحفظات يتطلب:

١ ــ علينا إصدار قرار سياسي بعدم رفع هذه التحفظات :

النقطة الأخيرة الذي أريد أن أتعرض لها ، الآن يوجد حراك ناشط وقوي في المجتمع وخاصة في بعض جمعيات المجتمع المدني للضغط على الحكومات أن ترفع هذه التحفظات ، وهذه التحفظات كما ذكرت لكم كلها نابعة إما بأنها تنافي الشريعة الإسلامية وإما لأنها تنافي السيادة الوطنية ، فهذا الضغط الشديد من بعض جمعيات المجتمع المدني قائم على الحكومة لرفع هذه التحفظات ، ويجتمعون لذلك في المؤتمرات والندوات وتكتب في الصحف والمجلات ووسائل الإعلام وتساعد على نشر هذه الأمور ، أنا ما أظن أبداً أن حكومتنا تعنى بإصدار قرار سياسي لرفع هذه التحفظات ، لما ؟ لأن سوريا والحمد لله تقوده صراعاً مريراً ضد الغرب وضد استخدام الغرب واليهود للأمم المتحدة فلا يعقل أن دولة تقود هذا الصراع المرير ضد الغرب ومفاهيم الغرب ثم تستسلم وتقبل برفع التحفظات هذه واحدة .

٢ ــ الهيئة السورية لشؤون الأسرة أن يكون لها موقف مسبق من هذا الموضوع :

أيضاً السيدة منى غانم التي كانت رئيسة الهيئة السورية لشؤون الأسرة ذكرت لبعض الأصدقاء أن الهيئة السورية ليس لها موقف مسبق ، وإنما تطرح هذا الموضوع لمجرد النقاش وليس لها موقف مسبق وهذا تُشكر عليه الهيئة السورية وأتمنى أن تتابع في كل الأمور التي تتعلق بالمرأة بنفس الاتجاه أن لا يكون لها موقف مسبق وأن تطرح المواضيع للنقاش وبعد ذلك يمكن أن ترفع اقتراحات الجهات التي تتخذ المرأة .

٣ ــ على الأمم المتحدة أن تلاحق هذا الموضوع بشدة :

ثم أمر ثالث أحد رجالات الأمم المتحدة ذو مركز مرموق في مؤسسة من مؤسسات الأمم المتحدة يخبرني فيقول : إنه لا شأن للأمم المتحدة بأن تلاحق بحدّة وبشدة قضية رفع التحفظات ، نحن نطلب رفع التحفظات كل فترة نتكلم كلمة ولكن الأمم المتحدة بكل مؤسساتها لا تلاحق هذا الموضوع بشدة ، إذا كان سوريا كما يبدو لنا كدولة لا تعنى بإصدار قرار سياسي و الهيئة

السورية لشؤون الأسرة ليس لها موقف مسبق من هذا الموضوع ، والأمم المتحدة لا تلاحق هذا الموضوع بشدة وبحدة فمن وراء هذا الانحراف والضغط والشدة في وسائل الإعلام في كل صباح ومساء ؟ نحن نحب الحوار ولا نكره الحوار ونحب أن ندخل في حوار حر نحفظ به ديننا ونحفظ فيه كرامتنا ووجود أمتنا ، وسمعت مؤخراً أن بعضهم طرح في مؤتمر من المؤتمرات أنه ينبغي أن نرفع التحفظات لا على هذه الاتفاقية بل على كل الاتفاقيات حتى ندخل الساحة الأموية العالمية ، وأنا أتعجب من هذا الكلام هل ندخل الساحة العالمية ونحن نرفع أيدينا استسلاماً أم نرفع رؤوسنا عزاً وكرامة ؟ ينبغي أن ندخل الساحة الأموية ونحن نعتز بثقافتنا وحضارتنا وتاريخنا وإن لم نكن كذلك ضاعت هويتنا .

الحوار الحر سبيلنا للوصول إلى نتيجة نتفق عليها جميعاً :

أيها الأخوة ، موضوع رفع التحفظات عن اتفاقية مكافحة أشكال التمييز ضد المرأة ينبغي أن نتجرد كل التجرد وأدعو كل من يحمل لواء هذه الحركة ، حركة رفع التحفظات عن هذه الاتفاقية أدعوه لتقوى الله عز وجل ولحوار حر حتى نصل إلى نتيجة نتفق عليها جميعاً ويكون لنا إن شاء الله رأي واحد ولا يكون بين أبناء هذه الأمة وهذا الشعب خلاف بأي شكل من الأشكال إن شاء الله ، وأسأل الله أن يوفق المسؤولين في هذه القضية وفي غير هذه القضية لما يحب و يرضاه .

* * *

أية اتفاقية دولية تتعارض مع الشريعة الإسلامية مرفوضة :

أيها الأخوة الكرام ، كنا في مجلس إسلامي أعلى مجتمعين والقصر طلب المفتي العام فذهب إليه وعاد وأنبأنا هذه الرسالة قال : أية اتفاقية تتعارض مع الشريعة الإسلامية مرفوضة جملة وتفصيلاً .

رسالة أرسلت بمجلس إسلامي أعلى وأنا أحد أعضائه وأستاذنا الجليل عضو كبير فيه وكنت غائباً في ذلك اليوم ، أية اتفاقية دولية تتعارض مع الشريعة الإسلامية مرفوضة جملة وتفصيلاً وهذا موقف الدولة .

آخر شيء أحد أصدقائي مقيم في نيو جرسي تزوج امرأة أمريكية ، أول يوم جلست معه ، ثاني يوم تزينت إلى أين ؟ قالت له موعد مع رفيقي ، قال ما رفيقك ؟ قالت له مثله مثلك ، ثالث يوم رفيق ثانٍ ، رابع يوم رفيق ثالث ، خامس يوم معه بالعدل تمشي ، فطلقها وتزوج امرأة من دمشق مؤمنة ، قال لي هي نائمة أقول لها الله يخلي لي إياكِ حتى لا أُطَمعها أنت كلك لي .

أسئلة المستمعين عن :

هناك بعض الأسئلة أرجو أن يتفضل الدكتور محمد راتب النابلسي بالإجابة عليها .
بسم الله الرحمن الرحيم ،الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

١ ــ عمل المرأة :

س : ما رأيك في عمل المرأة ؟

ج : إذا كان العمل يتناسب مع خصائص المرأة ووفق الضوابط الشرعية فلا شيء فيه .

٢ ــ عقاب الزوج العنيف ضد امرأته :

س : ما هو عقاب الزوج العنيف ضد امرأته بالكلمات العنيفة ؟

ج : والله عندي من هذا السؤال آلاف الأسئلة ، والله هناك أخطاء من الأزواج والزوجات لا يعلمها إلا الله ، والله ينبغي أن تكون بيوتات المسلمين جنة ، هي الآن جحيم ، لأنه :

((مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر ، وإسناده حسن]

خطأ كبير من أحد الطرفين يجعل البيت جحيماً لا يطاق ، إذا ما في أولاد والزوج لا يحتمل لا مانع أما عند وجود الأولاد ، تربية الأولاد بطولة من المرأة وما كل بيت يبنى على التفاهم والحب أحياناً يبنى على المصلحة فالتي تربي أولادها مع زوج عنيف جداً لها عند الله مقام كبير وقد ذكرت قبل قليل :

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا ، فإذا بامرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي))

[ورد في الأثر]

والله هناك عشرات الألوف من النساء يعانين ما يعانين من أزواجهن لكن بقاءهن في البيت من أجل الأولاد .

٣ ـ اجتماع علماء الأمة الإسلامية لسن اتفاقيات تواجه الاتفاقيات الأخرى :

س : لماذا لا يجتمع علماء الأمة الإسلامية أو منظمة المؤتمر الإسلامي لسن اتفاقيات تواجه الاتفاقيات ؟

ج : أقول لكم حقيقة مبشرة أنا دعيت إلى مؤتمر السكان في إندونيسيا في جزيرة بالي ، دعوا قادة العالم الإسلامي لهذا المؤتمر لماذا ؟ لأنهم أيقنوا أن هذه الاتفاقيات لا يمكن أن تطبق من قبل الحكومات ، فأرادوا أن يقنعونا نحن بتطبيق هذه الاتفاقيات ، طلعت توصيات ونحن ساهمنا في هذه التوصيات إعطاء الدولة كامل الحرية في الحفاظ على ثقافتها وعلى طبيعتها الخاصة ، الأمر ليس كما كان في تطور غريب في هذا الموضوع وأنا كنت في هذا المؤتمر .

٤ ـ التحامل على المرأة :

س : هناك بعض رجال الدين المسلمين يتحاملون على المرأة بحجة أمن الفتنة فما رأيكم ؟

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ (١٥٩)﴾

(سورة آل عمران)

سيد الخلق وحبيب الحق سيد ولد آدم ، أوحي إليه معه قرآن جميل الصورة فصيح اللسان كأن الآية تقول له أنت أنت بالذات :

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ (١٥٩)﴾

(سورة آل عمران)

إذا إنسان ما معه وحي ولا في قرآن ولا في فصاحة ولا في بيان وغلاظة لماذا هذه الغلاظة ، طبعاً شيء غير مقبول هذا .

٥ ـ الزواج بفتاة أجنبية مسلمة :

س : هل يجوز للشاب أن يتزوج من فتاة أجنبية مسلمة ؟

ج : يجوز طبعاً ما في إشكال . ما في حكم عام التعميم من العمى .

٦ ـ التصفيق :

س : ما رأيك بالتصفيق بعد الانتهاء ؟

ج : كنت في أمريكا لا يصفقون لكن يكبرون .

٧ ـ الحديث عن الصبر و الرحمة و الظلم :

س : عندما تتكلم عن الصبر والرحمة والأجر أبكي من كل قلبي وعندما أسمع عن الظلم أقهر أكثر ولكم جزيل الشكر .

ج : والله أيها الأخوة لا يمكن أن نشم رائحة النصر إذا كان بعضنا يظلم بعضاً ، بالمناسبة فاتتي فكرة مهمة جداً ، الخيرية المطلقة أن تكون في البيت أخلاقياً ، الدليل :

((خَيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[أخرجه الترمذي عن عائشة]

كنت أوضح هذه الفكرة بمثل ، نحن في فحص القيادة يرجعوه إلى الخلف بطريق ضيق ملتوٍ هذا أصعب شيء بالقيادة فإذا نجح ينجح في كل شيء ، ضمن البيت ما في رقابة خارج البيت بالتعبير المعاصر بيزنيس فالإنسان يتلطف يبتسم يتكلم كلاماً لطيفاً أما في البيت يأخذ حريته الكاملة فمقياس الخيرية المطلقة في البيت ، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم :

((خَيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[أخرجه الترمذي عن عائشة]

هذه الخيرية المطلقة .

٨ ـ الاختلاط :

س : ما الحكم في الاختلاط ؟

ج : والله كنت في أستراليا وفي أثناء وداعي في المطار رئيس الجالية بكى وقال بلغ أخوانا في الشام أن مزابل الشام خير من جنات أستراليا ، قلت له لماذا ؟ قال لأن في الشام ابنك كما تتمنى في الأعم الأغلب أما نحن بالمئة خمسين ترى حلقة بأذنه اليمين لها معنى سيئ جداً أو باليسار معنى أسوأ أو بالاثنتين و أسوأ و أسوأ أو ملحد ، كنت مرة في أمريكا ألقيت محاضرة بلوس أنجلس وأنا في طريقي إلى الغرفة استوقفتني امرأة محجبة وبكت هي أخت صديقي في الشام قلت لها خير إن شاء الله ، قالت ابني ملحد وابنتي راقصة ، وانهارت بالبكاء .

حدثني أخ باستراليا قال لي المتزمت الرجعي الذي داخل في الحائط إذا رأى ابنته مساءً تتزين فقط ينبهها ألا تحمل فقط ، وصلوا إلى هذا فنحن والله لو تابعناهم لكنا مثلهم وانتهينا إلى ما انتهوا به ، لكن نحن الحمد لله في عندنا روادع ، في عندنا وحي من السماء ، في عندنا أسرة متماسكة، أنا أتمنى إذا واحد سافر إلى الخارج يكشف السلبيات وليس فقط الإيجابيات ، وإذا جالس في بلده يحكي الإيجابيات وليس فقط السلبيات ، لا نعرف قيمة بلدنا حتى نغادر في عندنا مشاكل عديدة ولكن عندنا ميزات كبيرة جداً أحد هذه الميزات تماسك الأسرة .

والحمد لله رب العالمين

الباب التاسع : الحجاب

٠١ – وقرن في بيوتكن

٠٢ - ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى

٠٣ - حجاب المرأة

٠٤ - الحجاب

٠٥ - فتنة النساء١ - ثياب المرأة

٠٦ - فتنة النساء٢ - خصائص ملابس النساء

٠٧ - لباس المرأة وزينتها.

٠٨ - الكبائر٢ (تشبه النساء بالرجال)

التفسير المطول - سورة الأحزاب ٠٣٣ - الدرس (٠٨-١٨): تفسير الآية ٣٣ ، وقرن في بيوتكن

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩١-١١-١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تذكير وتقرير لحُكم القدوة الخاص:

أيها الأخوة الأكارم، مع الدرس الثامن من سورة الأحزاب، الآيات التي فُسِّرَت في الدرس الماضي محورها أن كل إنسانٍ جعله الله في مكانٍ عليٍّ ؛ إن في أسرته، أو في عمله، أو في دعوته، له أجرٌ مضاعف إذا أحسن، وله عقابٌ مضاعف إذا أساء، ويمكن أن نقول: إن القدوة له عند الله حسابٌ خاص، فإذا أحسن فله أجره، وأجر من اقتدى به، وإذا أساء فعليه وزره، ووزر من تبعه إلى يوم القيامة، لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء))

[مسلم عن جابر]

وسيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه، كان إذا أراد إنفاذ أمرٍ جمع أهله وخاصتّه، وقال: **<< إني قد أمرت الناس بكذا ونهيتهم عن كذا، والناس طير إن رأوكم وقعتم وقعوا ـ الناس يقلِّدونكم، أنتم المقرَّبون إليَّ، أنتم أهلي وخاصتّي، أنتم الحاشية، أنتم عَلِيّة القوم ـ والناس كالطير إن رأوكم وقعتم وقعوا، وايم الله لا أوتين بواحدٍ وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة لمكانه مني >>.**

قال كُتّاب السيرة: فصارت القرابة من عمر مصيبة، أي مصيبةٌ كبيرة أن تلوذَ بعمر، لأنك إذا أسأت فلك العقاب مضاعف، هذا محور الدرس الماضي..

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآَخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ (٣٠) ﴾

(سورة الأحزاب)

أي إذا طلبتُنّ منه طلباتٍ دنيويّة، سمّاها الله عزّ وجل فاحشة لعِظَم مقام النبي..

﴿ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ (٣٠) ﴾

هذا عقاب القدوة..

﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا(٣١)﴾

ثمّ يقول الله عزّ وجل:

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا(٣٢)﴾

هذه الآيات التي فُسِّرَت في الدرس الماضي.

أما آيات اليوم تبدأ بقوله تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

وقفات متأنية هادفة عند الآية:

والحقيقة أنه لابدّ من وقفةٍ متأنية عند هذه الآية، لأنها أصلٌ في وظيفة المرأة، قبل أن نبدأ بشرح هذه الآية..

١ – دور المرأة بين تيه الفلسفة الوضعية ونور الإسلام:

أيها الأخوة الأكارم، للمرأة دورٌ خطيرٌ في الحياة، ولدور المرأة فلسفةٌ خاصّةٌ في أي فكرٍ، أو أيّ نظامٍ، أو أيّ اتجاه، ولكن المسلم يستقي عقيدته من كتاب الله، ويستقي منهجه من كتاب الله، فأيّ مبدأ، أيّ مذهب وضعي، أيّ فكرٍ وضعي، أيّ نظامٍ وضعي، له أن يُفَلْسِفَ دور المرأة ما يشاء، ولكن البطولة، أو لكن المُعَوّل عليه هو النظام الإلهي، نظام خالق الكون، أنت بإمكانك أن تكتُب مبادئ، وتقول: المرأة يجب أن تعمل كذا وكذا وكَذا، هذا كلامك، وهو شيء جميل.

﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾

(سورة التوبة: من الآية ٣٠)

هذه كلمة تقولها بفمك، لكن يا ترى هل هي مطابقةٌ للواقع ؟ هل هي مؤديّةٌ إلى نتائج عمليّة إيجابيّة، أم هي مدمِّرة ؟ أيّ إنسان بإمكانه أن يقبع في غرفةٍ، وأن يكتب مبادئ، ويقول لك: أنا أرى أن تكون المرأة في الموقع الفلاني، أو الموقع الفلاني، وأن تفعل كذا، وأن تخرج كذا، وأن

تعمل كذا، هذا شيءٌ يمكن أن يقوله كل إنسان، ولكن هذا الكلام يبقى كلام بشر، إن أصاب في جهةٍ يسيرة أخطأ في جهاتٍ كثيرة، وإن دغدغ عواطف فئةٍ من الناس فقد فجّر مشاعر فئاتٍ كثيرة، ولكن المعوّل عليه في موضوعٍ خطير كموضوع المرأة هو خالق الكون الذي خلقها، خالق الكون الذي أنزل هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو المعوّل عليه، لذلك من خلال هذه الآية سوف يتّضح حُكم الإسلام في المرأة، الذي يُستَقَى من كتاب الله، ويُستقى من تفسير كتاب الله، أي من سنّة رسول الله، لأن السنّة في حقيقتها تبيينٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلّم لما أُنزِل إلينا.

٢ – الفلاح في تطبيق تعليمات الخالق:

إذا اشتريتَ آلةً غالية الثمن، عظيمة الفائدة، معقّدة التركيب، ووقعت في إشكالٍ في استعمالها، لا ترجع إلى جارك الخَبّاز، مع أن الخبّاز يقوم بدور خطير في المجتمع، يقدِّم لنا الخُبز لكن لا شأن له بهذه الآلة، لا ترجع إلى صديقك المعلِّم، مع أن المعلِّم يقوم بأمر خطير في حياتنا، ولكن تقول له: أنت لا تعرف، لا شأن لك بهذا، هذه الآلة المعقّدة التي تعلّق على عملها فوائد جَمّة، والتي دفعت ثمنها مبلغاً طائلاً، لا ترجع في أمر تشغيلها، وأمر إصلاحها، وأمر ملابسات عملها إلا إلى صانعها، هكذا تفعل أنت، بل إن الآلة المعقّدة التي تحرص على أداء وظيفتها، لو جاءك إنسان يحمل دكتوراه بالفلسفة ــ جارك مثلاً ــ لا تلقي له بالاً على عِظَمِ اختصاصه، تقول له ببساطة: هذا ليس من اختصاصك، أنت لا تعرف، هذه آلة ثمنها ثلاثون مليونا، لها شركة صانعة، ولها مهندسون، ولها نشرات، ولا أستطيع أن أَمُدَّ يدي إلى أجزائها إلا بمعرفة الخبراء.

٣ – المرأة نصف المجتمع البشري:

فلذلك هذه المرأة التي لها دورٌ خطيرٌ خطير في المجتمع البشري، أولاً: من حيث الحجم نصف البشر من النساء، نصف المجتمع، وثانياً: ليس نصفاً فقط عدديّاً، بل نصفاً مكمِّلاً للنصف الأول، لا تقوم حياة النصف الأول إلا بالتعاون مع النصف الثاني، وطبيعة المرأة محبَّبةٌ للرجال هكذا قال الله عزّ وجل:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ ﴾

(سورة آل عمران: من الآية ١٤)

ويقول علماء النفس: إن أقوى دافعٍ في الجنس البشري، وإن أعمق دافعٍ في الجنس البشري هو الدافع الجنسي، إذا عددناه بعد دافع الطعام والشراب، إذاً صِنْفٌ من البشر يشغل نصف العدد، وله

دورٌ خطير ينبغي أن نتعرَّف إلى حقيقته، وإلى وظيفته، وإلى مهمَّته، لا من زيدٍ أو عُبَيْد، لا من فلان أو عِلان بل ؛ من خالق الأكوان.

مرَّةً ثانية: المعوَّل عليه ليس أن تقرأ كتاباً عن المرأة للعالم الفلاني، والفيلسوف الفلاني، والمفكِّر الفلاني، وليس أن تقرأ مبادئ وضعها بنو البشر تدغدغ بها عواطف بعض البشر، لا، لكن العبرة أن تعرف موقف الإسلام، وهو دين الله عزّ وجل، المستقى من كتاب الله من المرأة، هذه مقدِّمة.

لكن قبل كل شيء، ما دامت الشهوة التي أودعها الله في الرجال متعلِّقَةً بالنساء، فيمكن أن أطرح عليكم المثل التالي، والمثل يوضِّح، والله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ضرب أمثلةً كثيرة:

٤ – شهوة المرأة كالوقود السائل:

هذا السائل الذي يتفجَّر في السيارة ــ الوقود " **البنزين** " ــ هذا سائل أودع فيه قوَّةٌ انفجاريَّة، هل يمكن أن تضع الماء مكانه فتسير المركبة ؟ لا، فأنت تريد سائلاً فيه قوة انفجار، إذا أعطيته النار انفجر، واشتعل، وشكّل ضغطاً، إذاً: هذا السائل الذي أُودعَتْ فيه قوَّة الاحتراق الشديد، وبالتالي قوة الانفجار، هذا السائل ــ دقِّق معي ــ إذا وضِعَ في مستودعاته المحكمة، وسال في الأنابيب المُحكمة، ووصل إلى مكان الاحتراق الذي أُعِدَّ له، وجاءته الشرارة في المكان المناسب وفي الوقت المناسب اشتعل، وما دام مكان الاشتعال محصوراً، وشكّل قوَّةً دافعة، وهذه القوة رُتِّبَت على شكل متسلسل، بحيث ينشأ عن اندفاع المكابس التي صُمِّمَت على شكل متسلسل قوة دوران مستمرَّة، أنت تركب هذه المركبة، وإلى جانبك زوجتك، وفي المقعد الخلفي أولادك، وفي الصندوق حاجاتك وطعامك وشرابك، وتركب هذه المركبة بقوة الانفجار وقوة الاحتراق، فإذا هي تنقلك إلى أمكنةٍ جميلة تمضي بها أجمل الأوقات، فقوة الانفجار نافعةٌ أم مدمِّرة ؟ إنها قوة نافعة.

وحينما صمَّم الله ــ إن صحَّ التعبير ــ وحينما خلق الله، وحينما فطر الله حبَّ النساء في الرجال، وجعل طبيعة المرأة ؛ بقوامها، وشكلها، وطبيعتها، وأنوثتها محبَّبةً للرجال، كان أصل التصميم أن تكون هذه الشهوة قوَّةً دافعةً إلى الله، لذلك بالشهوات نرقى إلى الله، نرقى إلى الله صابرين تارةً، ونرقى إلى الله شاكرين تارةً أخرى، بالشهوات التي أودعها الله فينا نرقى إلى ربِّ الأرض والسماوات.

٥ – المرأة صمِّمت لتكون أُمًّا:

حينما صُمِّمَت المرأة صُمِّمَت لتكون أمّاً تربي أولادها، وليس في حياة الأولاد شيءٌ يفوق عظمة الأم، في حياتهم طبعاً، قلب الأم لا يوصف، هي إنسانٌ تعيش لغيرها، إنها الأم، تعيش لأولادها ؛

تشقى ليسعدوا، تجوع ليشبعوا، تخاف ليطمئنوا، تموت ليحيوا، هي الأم، حينما صُمِّمت المرأة صُمِّمت لتكون أماً، أو لتكون زوجةً تملأ قلب زوجها سعادةً، تملأ البيت جمالاً، ورِقّةً، وتألُّقاً بخدمتها لزوجها ولأولادها.

٦ – ماذا لو سار الوقودُ السائل في غير مساره الصحيح ؟

ولكن هذا الوقود السائل لو صببناه على المركبة في غير المكان الصحيح، وجئنا بعود ثقاب وأشعلناه ماذا يحدث ؟ تحترق المركبة، وتقتل من فيها، إذاً هي قوةٌ محرِّكةٌ نافعةٌ إذا وضِعَت في مكانها الصحيح، وسارت في مسارها الصحيح، وانفجرت في مكانها الصحيح، وبالمقابل فهي قوّةٌ مدمِّرةٌ إذا وضِعَت خارج مكانها الصحيح، وتحرّكت في غير الطريق الصحيح، وانفجرت في غير المكان الصحيح، هذا ملخّص الدرس..

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ

١ – المرأة نقطة ضعف الرجل:

إذا خرجت المرأة سافرةً، فاتنةً، تعرض ما أودع الله فيها من مفاتن لترضي زوجها أصلاً، وتكون مسعدةً له، إذا أظهرت هذه المفاتن للناس جميعاً، اشتعلت الفتن واستعرت، وضاع المجتمع، وانحرف الشباب، وتحسَّر الرجال، ودُمِّرَ المجتمع، فلذلك موضوع المرأة موضوعٌ خطيرٌ خطير، إذاً المأخذ الأشد على دين الإنسان، أو المأخذ الأكبر أهميَّةً على دين الإنسان موضوع المرأة، يكفي أن يطلق الإنسان بصره فيما حرَّم الله عليه، أين صلاته ؟ صار الطريق إلى الله غير سالك، يكفي أن يستمتع بامرأةٍ لا تَحِلُّ له ؛ إن بالنظر، أو بالكلام، أو بما شاكل ذلك، صار الطريق إلى الله غير سالك.

٢ – المرأة إما قوة نافعة أو قوة مدمرة:

فلذلك أيها الأخوة... يجب أن نعلِّق أهميَّةً كبيرةً جِداً جداً جداً على موضوع المرأة، وعلى دورها في الحياة، وعلى وظيفتها الخطيرة التي خُلِقَت لها، فكما أن الوقود السائل وهو غالي الثمن الآن، ولاسيما هذه الأيّام، وقودٌ نافعٌ يعطيك حركة نافعة، ففي الوقت نفسه هو مادّةٌ خطرة، لو وُضعَت في مكان غير محكم وجاءتها شرارة ربّما أحرقت بناءً، وربّما أطاحت بآلاف الأرواح، والمرأة كذلك إما أنها قوةٌ نافعةٌ للمجتمع ؛ وإما أنها قوةٌ مدمِّرة.

موقف الإسلام من المرأة:

المرأة مساوية للرجل تكليفًا وتشريفًا:

الآن إلى الآيات، وقبل أن نصل إلى الآيات، فما موقف الإسلام من المرأة ؟ إن المرأة مساويةٌ للرجل تماماً من حيث التكليف، ومن حيث التشريف، هي مكلَّفَةٌ كالرجل، ومشرَّفةٌ عند الله كالرجل، ولا أدلّ على ذلك من أن الله أمرها بالصلاة كما أمر الرجال، وأمرها بالصوم، وأمرها بالزكاة، وأمرها بالحَجِّ، وأمرها بالإنفاق، وأمرها بطلب العلم، وكلّفها بكل ما كلّف الرجل..

الأدلة على مساواة المرأة للرجل في التشريف والتكريم:

الآية الأولى:

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾

(سورة آل عمران: من الآية ١٩٥)

الآية الثانية:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

(سورة النحل: من الآية ٩٧)

المرأة الصالحة أفضل من ألف رجل عاص:

المرأة مساويةٌ تماماً للرجل من حيث التكليف، ولكن إذا وضعت امرأةٌ مؤمنةٌ مطيعةٌ لله ورسوله وزوجها، في كفّة، ووضعَ مئة ألف رجلٍ عاصٍ لله عزّ وجل في كفّة، هذه المرأة هي عند الله وعند الناس أرجح من كل هؤلاء الرجال.

والله إنّ كل امرأة صالحة وهبت حياتها لزوجها وأولادها، وكانت قدوةً لبناتها، وكانت رحمةً مهداةً لأسرتها، تفضل عند الله مائة ألف ألْف رجلٍ تائهٍ شاردٍ ضالٍ مُضِل.

إذاً ففي التكليف المرأة مساويةٌ للرجل تماماً.

والمرأة مساويةٌ للرجل تماماً في التشريف..

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) ﴾

لا أعتقد أن يكون أي شك في أن المرأة مكرّمةٌ تماماً كالرجل، ومشرّفةٌ تماماً كالرجل، ومساويةٌ له في التكاليف كلّها.

هكذا كانت المرأة في العصور الوسطى:

طبعاً عدا بعض التكاليف من حيث الحيض والنِفاس، لها تكاليف خاصّة، أما المرأة في العصور الوسطى كانت تُباع مع أثاث المنزل، يرثها الابن البكر مع إرث أبيه، نعم كانت تورث، والحديث عن تَخَلُّف المرأة في العصور الوسطى لدى غير المسلمين حديثٌ يطول، ولا نحبُّ أن نعكّر صفاءنا بهذه الأحاديث، على كلٍ كانت المرأة في العصور الوسطى تُعامل كالبهائم، وتُباع وتُشترى، وتنتقل بالإرث من إنسان إلى إنسان، بينما الإسلام كرّمها، ورفع شأنها، وأعطاها حقّها، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟!

وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى

قال تعالى:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾

(سورة آل عمران: من الآية ٣٦)

هذا شيءٌ ثانٍ، فمثلاً للتوضيح: آلة تراكس ــ مجرفة ــ بقوة مئتي حصان، تقوم بعمل جبَّار، وسيارة سياحيَّة لطيفة هذه لها وظيفة، وهذا التراكس له وظيفة، إذا أردت أن تذهب إلى نزهة بالتراكس فأنت إنسان أحمق، وإذا أردت أن تهدم بناء بسيارة سياحيَّة فأنت أيضاً أحمق، هذه لها قيمتها، وهذا له قيمته، هذه لها دورها، وهذا له دوره، هذه لها إمكاناتها، وهذا له إمكاناته، فكل شيء له مكانة، الآلتان جيّدتان جداً نافعتان جداً، لكن لكل آلةٍ وظيفة، إذا قلت: هذه كهذه في كل شيء، هذا منتهى الحمق والغباء، فللرجل دورٌ لا تستطيع المرأة أن تقوم به، وللمرأة دورٌ لا يستطيع الرجل أن يقوم به، من هنا قال تعالى:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾

(سورة آل عمران: من الآية ٣٦)

الفروق الدقيقة بين الرجل والمرأة:

حينما كنّا في الجامعة، كان عندنا كتاب ألّفه رجل فرنسي، وهو عالِم كبير، وهذا الكتاب لدقّته ولشهرته أصبح يُدَرَّس في معظم جامعات العالَم، فيه فصلٌ خطير لا أزال أذكره، الفروق الدقيقة جداً بين الذكور والإناث، إذا قرأت هذا الفصل الطويل يقشعرُّ جلدك، تشعر أن الخالق حينما خَلَقَ الأنثى صمَّمها تصميماً خاصاً لتكون زوجةً ؛ مشاعرها، طريقة تفكيرها، طريقة انفعالها، طريقة تعاملها مع الآخرين، قدراتها الخاصّة، ذاكرتها، متفوِّقة في الذاكرة، في حفظها، وهي دون الرجل في المحاكمة العقليَّة، رقّة مشاعرها مع قوة أعصابها، فلا مجال في هذا الدرس في الإفاضة في الفروق الدقيقة التي أثبتها العلماء ــ علماء النفس ــ في الفرق بين الذكر والأنثى، لكن هذه الفروق إذا قرأتها كلّها، وفهمتها كلّها، وحفظتها كلّها، وضغطتها بكلمةٍ واحدة، هي قول الله عزّ وجل:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾

(سورة آل عمران: من الآية ٣٦)

الرجل له دور والمرأة لها دور ــ هذه ليست طرفة ولكن حقيقة ــ سمعت أن في مصر قبل عشرةِ أعوام أو أكثر أثير هذا الموضوع على المستوى العام، فعُقِدت ندوات، وكُتِبَت مقالات، وأُلِّفَت نشرات، وأُلقيت محاضرات، إلى أن استقرَّ الأمر بندوةٍ كبيرةٍ جداً عُقِدت في مدرَّجٍ كبير، وحضر هذه الندوة مُفَكِّرون، ومصلحون، وعلماء، وعلماء دين، وتحاوروا، وتناقشوا في شأن المرأة ومساواتها بالرجل، وكان بين الحضور رجل ذكي جاء ببضعة فئران، ووضعها في كيس، وأطلقها في أثناء المحاضرة، وظهر الفرق الدقيق بين الرجال والنساء..

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى ﴾

(سورة آل عمران: من الآية ٣٦)

بلا كلام، فهذه أبلغ من كل المحاضرات.

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى ﴾

دور المرأة من خلال السنّة النبوية المطهرة:

عندنا شيءٌ آخر، هو أنك إذا قرأت القرآن، وقرأت السنة النبويّة المطهّرة، تشعر أن المرأة لها دور خطير، وهي أن تكون زوجةً بادئ ذي بَدْء، لذلك:

الحديث الأول:

((إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ))

[من مسند أحمد عن عبد الرحمن بن عوف]

الحديث الثاني:

((لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا))

[من مسند أحمد عن عبد الرحمن بن عوف]

هذا توجيه النبي عليه الصلاة والسلام..

الحديث الثالث:

((أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة))

[فيض القدير شرح الجامع الصغير]

أي أنها لازمت بيتها، واعتنت بأولادها وبزوجها، رعايةً، وتوجيهاً، وتربيةً، وأداء مهمّات،

((فهي معي في الجنّة))

ومن أدق الأحاديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

الحديث الرابع:

((أول من يمسك بحِلَق الجنّة أنا ــ أي أول إنسان يمسك حلقة باب الجنّة ليدخل هو رسول الله صلى الله عليه وسلّم ــ أول من يمسك بحلق الجنّة أنا فإذا امرأةٌ تنازعني تريد أن تدخل الجنّة

قبلي ــ غير معقول، من هذه المرأة ــ قلت: يا جبريل من هذه المرأة ؟ قال: يا رسول الله هي امرأةٌ مات زوجها وترك لها أولاداً فأبت أن تتزوج من أجلهم))

((أنا أول من يفتح باب الجنة، إلا أنه تأتي امرأة تبادرني، فأقول لها: ما لك ؟ ومن أنت ؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي))

[مجمع الزوائد: عن أبي هريرة]

امرأةٌ في ريعان الشباب، توفي زوجها، وترك لها خمسة أولاد، وقعت في صراع ؛ إما أن تتزوج، وهذا من حقِّها لتنال حظّ نفسها من الحياة، وإما أن تقف نفسها على تربية هؤلاء الأولاد الخمسة، فإذا آثرت تربية أولادها الخمسة، تدخل الجنّة قبل رسول الله..

((أول من يمسك بحلق الجنّة أنا، فإذا امرأةٌ تنازعني تريد أن تدخل الجنّة قبلي، قلت: من هذه يا جبريل ؟ قال: هي امرأةٌ مات زوجها، وترك لها أولاداً، فأبت الزواج من أجلهم))

الحديث الخامس:

وحينما جاءت امرأة إلى النبي عليه الصلاة والسلام، قالت: يا رسول الله ذهب الرجال بكل شيء، الجهاد لهم، والاستشهاد لهم، والجنّة لهم، ماذا بقي لنا نحن ؟ أجاب النبي إجابةً شافية، وإليكم الحديث الشريف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله ــ يعدل الجهاد في سبيل الله ــ))

[أخرجه ابن عساكر وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

إذا خرج الرجل من البيت ليعمل، إذا كان مطمئنّ البال ؛ بيته فيه زوجة عاقلة، حانية، دقيقة، نظيفة، تُتْقِنُ عملها، تربي أولادها، هو مطمئن في عمله، وأنا أؤكِّد لكم أن إنتاج هذا الرجل سيتضاعف ؛ إن في المعمل، أو في التجارة، أو في الزراعة، أو في القيادة، أو في أي مكان، إذا خرجت من البيت، وبالك مطمئنٌ من جهة زوجتك ؛ عفيفةٌ، حصينةٌ، فقيهةٌ، تعلِّم أولادك، تربيهم، ترعى شؤون بيتها، يضاعف إنتاجك في العمل، وإذا خرجت إلى العمل تشوّشت على أولادك، وضاع أولادك، وكانت عنصر فسادٍ في العمل أحياناً وفي أغلب الأحيان، فلذلك:

((اعلمي أيها المرأة، وأعلمي مَن دونك من النساء أن حسن تبعُّل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

ولكن لو عرف النساء دورهنّ الخطير، وأجرهنّ الكبير لما رأيت امرأةً تعصي زوجها، ولما رأيت امرأةً تحاول أن تُنافس الرجل.

الأمومة هو الدافع الأول في المرأة:

حينما كنا في الجامعة، قال لنا أستاذٌ جليل في علم النَفْس: المرأة حينما نافست الرجل في العمل خسرت شيئين، ماذا خسرت ؟ شيئين، خسرت السباق، وخسرت أنوثتها.

أردت من هذا الكلام أن أصل إلى أن المرأة إذا عزفت عن الزواج، وكلّما جاء خاطبٌ رفضته، وأرادت أن تعمل كالرجال، حتى في أقدس الأعمال، حتى في أشرف الأعمال، حتى في الدعوة إلى الله، إذا تُركت، وعزفت عما خُلِقَت له، وأرادت أن تنافس الرجال حتى في أشرف الأعمال، فقد سلكت طريق الرهبانيّة، ولا رهبانيّة في الإسلام.

أما إذا جمعت بين العملين الشريفين فلا مانع، لأن دافع الأمومة يُعدُّ أقوى دافعٍ في الجنس البشري، معنى أقوى دافع أي أن الإنسان أحياناً يجعلونه بحاجة إلى ثلاثة دوافع في وقتٍ واحد، يجوع ثلاثة أيام، يُحْرَم من حاجاته الأساسيّة كلِّها دفعةً واحدة، ثم يوضع أمام حاجاته كلِّها، فإلى أي شيءٍ يتّجه أولاً ؟ الشيء الأول الذي يتجه إليه هو الحاجة الأولى لدى الإنسان، علماء النفس يرون أن حاجة الأمومة هي الحاجة الأولى في الجنس البشري.

فلو امرأةٌ قرأت الفلسفة، وتعلّمت، وارتقت في مناصب رفيعة، وفاتها قطار الزواج، رُبَّما بعد حينٍ من الزمن إذا رأت امرأةً تحمل وليدها ذابت نفسها ذوبانا لتكون

مكانها، ولا تحمل كل الشهادات التي تحملها، ليس معنى هذا أن تبتعد المرأة عن العلم، لا، فليس هذا قصدي، ولكن دافع الأمومة هو الأقوى ما من فتاةٍ على وجه الأرض إذا كانت عاقلةً، وقد تلقّت التوجيه الصحيح، إلا وتتمنّى أن تكون في المكان الصحيح ؛ أماً لأولاد، أو زوجةً لرجل أخلاقي يملأ حياتها شُغْلاً، أما التي تعزف عن الزواج، وكلّما جاءها خاطبٌ تردُّه لتنافس الرجال حتى في أقدس الأعمال، فقد خالفت منهج الله، وخالفت سُنّة رسوله، واتجهت نحو الرهبانيّة، وأقول لكم: ولا رهبانيّة في الإسلام.

حوار هادئ حول قوله تعالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ

أما معنى قوله تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

١ ـ وهمٌ مدفوع وشبهة مرفوعة:

قد يقول قائل: يا أخي هذه الآية ليست للنساء عامة، بل هذه لنساء النبي، والله معك حق، والدليل:

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

٢ – مِن باب أولى:

فقد يأتي من يقول: يا أخي هذه الآية موجَّهة إلى نساء النبي فقط، نقول لك: هناك قاعدة أصوليّة، هذه القاعدة الأصوليّة عَبِّر عنها العلماء بكلمة من باب أولى، أي إذا نهانا الله عن أن نقول: أفٍ لأمهاتنا ولآبائنا فضربهما من باب أولى، إذا كانت كلمة أف قد نهانا الله عن قولها، والله عن الضرب ما نهانا بل نهانا فقط عن كلمة أف، هذا حمق، هذا إنسان يجب أن يوضَع في مشفى المجانين، إذا كانت كلمة أف قد نُهينا عنها فالضرب من باب أولى، وإذا قيل لامرأةٍ في أعلى مستوى من الإيمان، وأعلى مستوى من العفاف والتقى والورع:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

فلأن يكون هذا الأمر موجَّهاً إلى عامَّة النساء من باب أولى، إذا قلت للطالب المتفوِّق: يا طالب ادرس، فلأن يكون هذا الأمر موجَّهاً للطلاب الكُسالى من باب أولى، فمن يقول: إن هذا الأمر قد وُجِّهَ إلى نساء النبي فقط، نقول: إذا وجّه الأمر إلى نساء النبي وهنَّ في أكمل حال، وهن نساء النبي، وهن العفيفات المُحصنات الطاهرات التائبات العابدات السائحات، فمن باب أولى أن يوجَّه الأمر بالتبعيّة إلى نساء المؤمنين.

٣ – معنى الآية:

المعنى الأول:

ومعنى:

﴿ وَقَرْنَ (٣٣) ﴾

قرنَ فعل أمر، ماضيه وقَرَ، مضارعة يَقِرُ، وقر يقر بمعنى ثَقُلَ واستقرَّ..

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

٤ – الأصل بقاءُ المرأة في بيتها:

فالأصل في المرأة أن تكون في بيتها، هذا هو الأصل، ولا تعني الآية أنها ممنوعةٌ من الخروج، لكن تخرج للضرورة..

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ(٢٣) ﴾

(سورة القصص)

هذه الضرورة، والضرورة تقدَّر بقدرها، أيضاً قاعدة أصوليّة، الأصل في المرأة أن تكون في بيتها، الأصل، أي هي مستقرّة..

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

مستقرّة في البيت، بيتها مملكتها، بيتها قَلعتها، بيتها غرفة العمليات بالنسبة إليها، بيتها عرشها..

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

الأصل أن تكون في البيت، هذا معنى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

كأن هناك إيماءة لطيفة إلى أن الأصل أن تكوني في البيت.

الأصل وجود كل إنسان في مكانه المناسب اجتماعيا وعلميا:

مثلاً: موظّف تأتيه الساعة التاسعة والربع، والله غير موجود، خير إن شاء الله، تجئ في اليوم الثاني في العاشرة إلا ربعاً، والله ما جاء، وفي اليوم الثالث تجئ إليه الساعة الحادية عشرة، والله لم يأت بعد، وفي اليوم الرابع يوم يجئ إليه الساعة الثانية عشرة، الآن ذهب، تجئ إليه الساعة الثامنة، والله لم يأت بعد، هذا ليس موظّفاً، يمكن أن يغيب في الأسبوع يوماً، ساعة، لأمر ضروري، أمّا ألا تجده إطلاقاً في الدوام فهذا ليس موظفاً،ـــ لأن الأصل في الموظّف أنه وراء طاولته بالأساس، هذا الأصل، والأصل في الطبيب أنه في عيادته، قال لك: من الخامسة إلى السابعة، أول مرَّة لم تجده، والثانية كذلك، هذا غير معقول، الأصل في الطبيب أنه في عيادته، والأصل في المحامي أنه في مكتبه، والأصل في التاجر في متجره، والأصل في العامل في

معمله، والأصل في الفلاح في حقله، والأصل في المرأة في بيتها، هذا الأصل، هذا مكانها الطبيعي، هذا حقل عملها، هذه مملكتها، بهذا يظهر عزُّها، وتظهر أنوثتها، وتظهر براعتها، ويظهر دورها الخطير، لذلك النبي الكريم قال: تتمة الحديث:

((من صفات المرأة الصالحة أنك إذا نظرت ــ قد سمعت منكم إليها، وقد سمعت سرته، الحقيقة لا توجد كلمة إليها، فالرواية ليست فيها إليها، فهناك رواية ــ سرّتك))

معنى هذا إذا نظرت إليها وإلى غرفة النوم، وإلى غرفة المطبخ، وإلى لباس أطفالها، قد تُسَرُّ منها لا إذا نظرت إليها فقط ؛ بل إلى كل شيءٍ في البيت، فعندما اغفل النبي الكريم في رواية ثانية كلمة إليها، فقد وسَّع معنى النظر، إذا نظرت إلى البيت، إلى ترتيبه، إلى نظافته، إلى ثياب أولادها، إلى هيئة أولادها وإلى نظافتهم ــ وإذا نظرت سرّتك ــ هذا الأصل، فلذلك قال ربنا عزّ وجل:

﴿ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ ﴾

(سورة الطلاق: من الآية ١)

بيت الزوج للمرأة بنص القرآن: لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ

هناك استنباطٌ رائع من هذه الآية، أن البيت الذي دفع الزوج ثمنه عداً ونقداً، وسُجِّل في السجلات الرسميَّة باسمه، هو في القرآن لها، غريب، دافع الثمن الزوج، وفي السجلات العقاريَّة للزوج، ولو استصدرت بياناً عقارياً لكن باسم الزوج، وهذا البيت في القرآن للزوجة، بمعنى أن البيت يثبّتُ ذاتها، ويُؤكِّد شخصيَّتها..

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

هذا المعنى الأول.

المعنى الثاني:

وهناك معنى آخر يستنبط: أنها مستقلّةٌ به، ولو لم تكن مستقلّة به لما نُسِبَ إليها فقط..

المعنى الثالث:

أنّ أيّ زوجٍ أخرج زوجته من بيتها أو من بيته على حدِّ زعمه، أصغر مشكلةٍ، والزوجة عند أهلها تتفاقم، وتتفاقم حتى تنتهي بالطلاق، قد تنتهي بالطلاق، وأكبر مشكلةٍ إذا بقيت الزوجة في بيت زوجها، تتلاشى وتتلاشى حتى تنتهي بالوفاق، فلذلك هذا قانون..

﴿ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ ﴾

(سورة الطلاق: من الآية ١)

يا معشر الأزواج إياكم أن تُخرجوا زوجاتكم من البيوت !!!

هذه نصيحتي لكل الأزواج والزوجات: إيّاك أيها الزوج أن تخرجها من بيتك ؛ مهما كنت غضوباً، ومهما بلغ بك الغضب، وإياكِ أيتها الزوجة أن تذهبي إلى بيت أهلك لتغيظي زوجكِ، فإن أصغر مشكلةٍ وأنتِ عند أهلكِ تتنامى، وتتعاظم حتى تنتهي إلى الطلاق، وإن بقيت في بيت الزوجية فإن أكبر مشكلةٍ تتصاغر، وتتلاشى حتى تنتهي إلى الوفاق، وهذا توجيهٌ إلهي.

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢) ﴾

(سورة النساء)

النبي عليه الصلاة والسلام حينما جاءته السيدة صفيّة رضي الله عنها وأرضاها، أتته بالطعام إلى المسجد، علّمنا ما ينبغي أن نفعله مع النساء، فخرج معها إلى البيت، والقصّة كانت موضوع درس الأحد السابق، فلمّا مرَّ أنصاريان ورأيا النبي عليه الصلاة والسلام مع إحدى زوجاته، استحيا وأسرعا، فقال عليه الصلاة والسلام:

((عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، قَالا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، فَخَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا، أَوْ قَالَ: شَرًّا))

[سنن أبي داود عن صفية]

إذاً: الأصل في المرأة أنها في البيت، فهذا الطيار إذا قال لك: أنا مللت من هذا المكان يا أخي، هذا المكان ضيّق، وأنا ضاقت نفسي، أريد أن أجلس مع الركّاب، أريد أن أتحادث معهم، أنت عندك ثلاثمائة راكب أمانة في رقبتك، وهذا مكانك الطبيعي، مكانك الطبيعي وراء مقود الطائرة حيث الأجهزة والعدّادات، فما هذا الذي تقوله: أن تأتي إلينا ؟ هذه التي تقول: البيت تضيق به، البيت تضيق نفسها به، فهذا هو المكان الطبيعي للمرأة.

لا بد للمرأة من إشعاع ومصدر علمي:

لكن إما أن تكون المرأةُ جاهلة فترى القعود في بيتٍ شيء يجنّن، أو أنها لابدّ من أن تكون عالمة، تقرأ القرآن، تقرأ السنّة، تقرأ السيرة، وتعلّم أولادها، وتكون مصدر إشعاع لأولادها، أما الجهل مع الانحباس فهو شيءٌ لا يحتمل، إذاً لابدّ من أن تعلّمها أمر دينها، لابدّ من تُحَفِّظها القرآن، ولابد من أن تعلِّمها سنّة النبي العدنان، لابدّ من أن تطلعها على تاريخ الصحابيّات الجليلات، لابدّ من أن تعلّمها أصول التربية والتعليم، لابدّ من أن تُلِمّ بمبادئ أساسيّة في الحياة. حينما يكون للإنسان مصدر علمي، أو منهل علمي، أو مورد علمي، واستمتاع علمي، تعيش المرأة عندئذٍ حياة أُخرى، تصبح زوجةً ورفيقة، فالزوج عندما يجد زوجته حافظة للقرآن الكريم، تفهم آيات الأحكام، تفهم الأحاديث، يتناقش معها، انتقلت في نظرهِ من زوجة لها وظيفة معيَّنة إلى صديقة أيضاً، وإلى زميلة، وإلى رفيقة، وإلى ما شاكل ذلك.

صورٌ من عظماء النساء عبر التاريخ الإسلامي:

أيها الأخوة الأكارم، التاريخ الإسلامي طافحٌ بالقصص التي تتحدّث عن نساء بلغن مستوى رفيعاً جداً من العظمة.

الصورة الأولى:

امرأةٌ أنصاريَّة توفي في معركة أُحُد أبوها وأخوها وزوجها وابنها ــ لا أعتقد بالمليون حالة تجد حالة مشابهة ــ أبوها وأخوها وزوجها وابنها، وقد نُمِيَ إليها أن النبي عليه الصلاة والسلام قد قُتِل، فخرجت من بيتها تسأل عن رسول الله، علمت أن أباها قد قُتل، وأن ابنها قد قتل، وأن أخاها قد قُتِلْ، وأن زوجها قد قُتِل، وتقول هذه المرأة المُلْتَاعة: ما فعل رسول الله ؟ ولم تطمئن حتّى رأته بعينها، فلمّا رأته بعينها، قالت: يا رسول الله كل مصيبةٍ بعدك جلل ــ أي حقيرة ــ ما دمت سليماً، وما دمت معافىً، فأية مصيبةٍ هي حقيرةٌ أمام مصيبتك، هذه امرأة !! نعم هذه امرأة، حقاً. ارتقى بها الإسلام والإيمان.

الصورة الثانية:

نساءٌ صحابيات قبل أن يخرج أزواجهنّ إلى العمل يقلن له: يا فلان، اتقِ الله فينا، نصبر على الجوع، ولا نصبر على الحرام.

الصورة الثالثة:

لما خطب القاضي شريح امرأة من أسرةٍ صالحة، ودخل عليها ليلة الزفاف وجد كمالاً وصلاحاً، فقام وصلّى ركعتين شكراً لله على نعمة الزوجة الصالحة، فلمّا سلّمت من صلاتي ــ هكذا يقول ــ وجدت زوجتي تصلي بصلاتي، وتسلِّم بسلامي، وتشكر شكري، فلمّا دنوت منها قالت لي: على رسلك ــ انتظر وطوِّل بالك ــ على رسلك يا أبا أميَّة، ثمَّ قامت فخطبت، وقالت: أما بعدُ ؛ يا أبا أميَّة، إنني امرأةٌ غريبة لا أعرف ما تحبُّ وما تكره، فقل لي ما تحبُّ حتى آتيه، وما تكره حتى أجتنبه، ويا أبا أميَّة، لقد كان لك من نساء قومك من هي كفء لك، وكان لي من رجال قومي من هو كفء لي، ولكن كنت لك زوجةً على كتاب الله وسنّة رسوله، فاتقِ الله فيَّ، وامتثل قوله تعالى:

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾

(سورة البقرة: من الآية ٢٢٩)

ثمَّ قعدت، قال: فألجأتني إلى أن أخطب، وليس الآن وقت خطبة، فوقفت وقلت: أما بعدُ ؛ فقد قلت كلاماً إن تصدقي فيه، وتثبتي عليه يكن لكِ ذخراً وأجراً، وإن تدعيه يكن حجّةً عليكِ، أُحبُّ كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما وجدتِ من حسنةٍ فانشريها، وما وجدتِ من سيئةٍ فاستريها.

والنبي عليه الصلاة والسلام كان يثني على المرأة المؤمنة يصفها بأنّها ستِّيرة، والمرأة الفاسقة الفاجرة التي لا يحبُّها رسول الله هي التي تذكر مساوئ زوجها، قال عليه الصلاة والسلام:

((إني أكره المرأة ــ يكرهها النبي ــ تخرج من بيتها تشتكي على زوجها))

[ورد في الأثر]

تقول المرأة اليوم: زوجي جُن وكسّر، هكذا تتكلّم عليه في بيت أهلها: هذا جن، وفعل كذا، هذه امرأةٌ لا يحبُّها رسول الله، التي تشتكي على زوجها، أو التي تنشر مساوئ زوجها ــ قالت: كيف نزور أهلي وأهلك ؟ قال شُريح: نزورهم غبّاً مع انقطاعٍ بين الحينِ والحين، لئلا يملّونا ــ وفي الحديث الشريف:

((زر غِبّاً تزدد حبّاً))

[الطبراني عن عبد الله بن عمرو]

قالت: فمن من الجيران تحبّ أن أسمح لهنّ بدخولِ بيتك، ومن تكره ؟ قال: بنو فلان قومٌ صالحون، وبنو فلان قومٌ غير ذلك، قال: ومضى عليّ عامٌ جئت إلى البيت فإذا أم زوجتي عندنا ــ حماته غابته سنة ــ فلمّا دخلت رحّبتُ بها أجمل ترحيب، قالت لي: كيف وجدت زوجتك يا

أبا أميّة ؟ قلت: والله هي خير زوجة، قالت: يا أبا أميّة ما أوتي الرجال شراً من المرأة المدلّلة فوق الحدود، فأدِّب ما شئت أن تؤدِّب وهذِّب ما شئت أن تهذِّب، ثم التفتت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة.

المرأة المؤمنة بطلة، كما قلت قبل قليل: والله لو وُضِعَت امرأةٌ مؤمنةٌ في كفّة، ووضعِ في الكفّة الثانية مائة ألف رجل، ترجح عليهم جميعاً، لأن المرأة مساويةٌ للرجل في التكليف وفي التشريف تماماً..

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

الأصل أن تقبع في بيتها، وإذا خرجت فللضرورة، والضرورة تقدَّر بقدرها، والنبي عليه الصلاة والسلام رأى نساءً يَزُرْنَ المقابر، فأن تزور المرأة المقابر عمل يُرضى في الدين للموعظة والعبرة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((فَارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ))

[من سنن ابن ماجة عن علي]

ما دام هناك فتنة، وثيابها غير فضفاضة، وكلامها بصوت عالٍ، ما دام هناك فتنة،

((فَارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ))

صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في دارها:

أيها الأخوة الأكارم، الأصل كما قال النبي الكريم:

((صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في دارها))

[أبو داود عن ابن مسعود]

ما الفرق بين الدار والبيت ؟ الدار لها فناء، أما البيت فهي غرفة مسقوفة، فإذا صلّت في فناء الدار، أو صلّت في غرفة مسقوفة فأيهما أفضل بالنسبة لها ؟ قال:

((صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في دارها، وصلاة المرأة في قعر بيتها خيرٌ من صلاتها في بيتها))

((صَلاةُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلاتِهَا فِي حُجْرَتِهَا، وَصَلاتُهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلاتِهَا فِي بَيْتِهَا))

[سنن أبي داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ]

هناك غرفة على الطريق وغرفة داخليّة، فإذا صلّت في غرفةٍ داخلّية فهذا خير، ولما سُئلت السيدة فاطمة رضي الله عنها: ما خير ما تفعله المرأة ؟ قالت: ألاّ تَرى وألاّ تُرى، يعني ألا ترى الرجال ولا يراها الرجال.

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(٣٠)وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾

(سورة النور)

هذه توجيهات الخالق، المُعَوَّل عليه أن تعرف ماذا يريد الله عزّ وجل ؛ من زواجك، ومن بيتك، ومن أسرتك.

في الدرس القادم إن شاء الله تعالى إن أحيانا إلى ذلك الوقت..

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

هذا درس اليوم..

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) ﴾

والحمد لله رب العالمين

التفسير المطول - سورة الأحزاب ٠٣٣ - الدرس (٠٩-١٨): تفسير الآية ٣٣ ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩١-١١-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الأكارم، مع الدرس التاسع من سورة الأحزاب، في الدرس الماضي وصلنا إلى قوله تعالى:

﴿ وَقَرْنَ (٣٣) ﴾

(سورة الأحزاب)

طبعاً:

﴿ وَقَرْنَ ﴾

معطوفة على قوله تعالى:

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) ﴾

مستويات الرجل والمرأة:

١ - مساواة المرأة مع الرجل في التكليف والتشريف:

في الدرس الماضي بَيِّنْتُ لكم بشكلٍ مُفَصَّل أن المرأة مساويةٌ للرجل في شيئين ؛ في التكليف وفي التشريف.

٢ - للمرأة خصائص وللرجل خصائص:

وفي الوقت نفسه، المرأة لها خصائص، والرجل له خصائص، هذا مستنبط من قوله تعالى:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى ﴾

(سورة آل عمران: من آية " ٣٦ ")

٣ – للمرأة وظيفة وللرجل وظيفة:

للمرأة وظيفة، وللرجل وظيفة، فكان محور الدرس الماضي أن الله سبحانه وتعالى حينما خلق الذكر والأنثى، وضع للذكر والأنثى منهجاً.

٤ – من لوازم المرأة القرار في البيت:

من لوازم منهج الأنثى أن يَقْرَرْنَ في بيوتهن.

معنى وأحكام: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ

معنى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

١ – معنى قَرْن لغةً:

فعل أمر مضارع يَقِرُّ، ماضيه وَقَرَ بمعنى ثقل واستقر.

٢ – معنى قَرْن شرعا:

الأصل في مكان استقرار المرأة بيتها،

((وأيِّما امرأةٍ قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة))

[فيض القدير شرح الجامع الصغير]

٣ – من نتائج قرار المرأة في البيت:

والمرأة التي تهز سرير ابنها بيمناها تهزُّ العالم بيسراها، لأنه كلما كانت اللبنة الأولى، وهي الأسرة ؛ صحيةً، متوازنةً، منتظمةً، مستقيمةً كان الإنتاج خارج البيت مُضاعفاً، فنجاح الرجل في عمله، أساسه نجاحه في بيته، إنتاج الرجل أساسه راحة قلبه من طرف بيته.

لذلك حينما أمر الله سبحانه وتعالى الإناث، أو نساء النبي خاصة، والنساء عامة أن يقررن في بيوتهن، فلأن البيت هو مكان تربية الأولاد، هو مكان العناية باللبنة الأولى ألا وهي الأسرة، وهذا تم شرحه في الدرس الماضي.

وليس معنى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

٤ – جواز خروج المرأة من البيت للحاجة والضرورة:

ألاّ تخرج المرأة إطلاقاً من البيت، أي من رحم أمها إلى الدنيا، ومن بيت أبيها إلى دار زوجها.
أمّا مَن قال: " **تخرج من دار زوجها إلى القبر** "، فهذه مقولةٌ فيها مُبالغة، ليس معنى قوله تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

أنّ المرأة ممنوعةٌ أن تخرج من البيت إطلاقاً، هناك ضروراتٌ أباحها الشرع، وهناك خروج من البيت أجازه الشرع، والضرورة تقدَّر بقدرها، ولا أدلّ على ذلك من قول ابنتي سيدنا شعيب:

﴿ قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ(٢٣) ﴾

(سورة القصص)

أي أن هناك ضرورة، على كلٍ هذا تم شرحه في الدرس الماضي:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (٣٣) ﴾

البيت هو المكان الطبيعي الفطري للمرأة:

كما أن مكان العمل هو مكان العامل، وكما أن الدائرة هي المكان الطبيعي للموظف، وكما أن العيادة هي المكان الطبيعي للطبيب، وكما أن المكتب هو المكان الطبيعي للمحامي، وكما أن المَتْجَر هو المكان الطبيعي للتاجر، وكما أن الحقل هو المكان الطبيعي للمُزارع، كذلك البيت، الخلية الأولى، اللبنة الأولى هو المكان الطبيعي للمرأة، وحينما يُرْزَقُ الرجلُ امرأة صالحةً تحفظه إذا غاب عنها، تطيعه إذا أمرها، تسره إذا نظر إليها فقد حاز الخير الكثير، هذا تم في الدرس الماضي.

لكن حينما تخرج المرأة من بيتها لتزور أباها أو لتزور أمها، أو حينما تخرج من بيتها لضرورة؛ كأن يكون قد توفي زوجها وأولادها صغار، فخرجت من بيتها لتشتري بعض حاجاتها، وليس لها

أخٌ يقضي لها هذه الحاجة، ولا ابنٌ في سنٍ مؤهَلّه أن يقضي لها هذه الحاجة، حينما تخرج المرأة لواجبٍ، أو لمباحٍ، أو لمندوبٍ شرعي، فهي عندئذٍ تخرج من بيتها لسببٍ أقرَّه الشرع، وسمح به.

والآن إذا خرجت:

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى (٣٣) ﴾

من ضوابط خروج المرأة: وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى

الأصل أن تستقري في البيت، أيتها المرأة المسلمة، الأصل بيتكِ، بيت زوجكِ، بيت أولادكِ، الأصل أن تربي أولادكِ تربيةً صالحة ينتفعون بها وينفعون الناس مِن بعدُ، هذا هو الأصل، فإذا خرجتِ من البيت لضرورةٍ أو لسببٍ أقر به الشرع فإيَّاك أن تتبرجي، هذا محور الدرس اليوم.

١ – معنى التبرج لغةً:

ما معنى بَرَجَ في اللغة ؟ معنى بَرَجَ في المُعْجَم ظهر وارتفع، والبُرْج أعلى مكان في البناء، البرج أعلى مكان وأظهر مكان في البناء، والبروج، بروج السماء التي تحدث عنها القرآن فقال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ(١) ﴾

(سورة البروج)

هي بُرج الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، والأرض في دورتها حول الشمس تمرُّ باثني عشر بُرْجَاً، في كل فصلٍ تمر بثلاثة بروج، فحينما قال الله عزَّ وجل:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ(١) ﴾

أي هذه المجموعات الظاهرة المتألِّقة، البَيِّنَة، التي يراها سُكّان الأرض وهم في دورتهم حول الشمس.

إذاً: بَرَجَ بمعنى ظهر وارتفع، والبُرْج أعلى مكانٍ في البناء، والبروج مجموعاتٌ من النجوم عظيمة تُرى في كل فصلٍ في أثناء دورة الأرض حول الشمس، هذه بَرَجَ، هذه صيغة فَعَلَ، فهي بمعنى ارتفع وظهر، أما تَبَرَّجَ، فعلى وزن تَفَعَّلَ، وزن تَفَعَّلَ يفيد التكرار مثل، تَجَرَّعَ الكأس جُرْعَةً بعد جرعة، تجرع الكأس أي شرب الكأس على جُرُعَات.

٢ – معنى التبرج شرعًا:

فمعنى قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ (٣٣) ﴾

بالمعنى الدقيق: ولا تُظْهِرْنُ مفاتنكن، أي أن الله سبحانه وتعالى أكرم المرأة فأسبغ عليها شيئاً من الجمال، بعض الجمال، أو أكثر الجمال، هذا الجمال حينما أسبغه الله عليها جعله سبباً لسعادة زوجها بها، جعل هذا الجمال ليسْكُنُ زوجها إليها، فإذا استخدم هذا الجمال لغير ما خلق له، لغير زوجها، للأجانب، لمن في الطريق فقد أضلت المسعى، فالله سبحانه وتعالى أراد أن تكون هذه المرأة شيئاً مصوناً، بعيداً عن وحول الطريق، بعيداً عمّا تقع عليه العيون، فحينما سمح لها أن تخرج لعلةٍ شرعيةٍ، لسببٍ شرعيٍ، لعذرٍ شرعيٍ، لضرورةٍ شرعيةٍ، حينما سمح لها أن تخرج، أمرها أو نهاها عن أن تتبرج، والتبرج إظهار ما يجب إخفاؤه عن الأجانب، إظهار ما يجب إخفاؤه في الطريق.

يجب إخفاؤه في الطريق ؛ ولكن يجب التبرُّج في البيت، وإذا خرجت

﴿ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾

عثرت على نصٍ رائعٍ للسيدة عائشة رضي الله عنها، قيل لها: " **يا أم المؤمنين، ما تقولين في الخِضَاب وفي الصباغ، وفي التمائم، وفي القرطين، وفي الخلخال، وفي خاتم الذهب، وفي رقاق الثياب ؟** ".

مرة ثانية.. يا أم المؤمنين، ما تقولين في الخضاب وفي الصباغ، وفي التمائم، وفي القرطين، وفي الخلخال، وخاتم الذهب، ورقاق الثياب ؟ فقالت: **<< يا معشر النساء قِصّتُكُنّ قصة امرأةٍ واحدةٍ، أحل الله لَكُنّ الزينة غير متبرجاتٍ لمن لا يحلُ لَكُن >>.**

وجوب التبرُّج في البيت:

إذاً: يجب على المرأة أن تتزين لزوجها، ويجب عليها في الوقت نفسه أن تُخفي هذه الزينة عن غير زوجها، فإذا فهمت المرأة المسلمة أن النهي عن التبرج يعني نهياً عن التبرج مطلقاً فهذا فهمٌ أعرج، إنها أمرت أن تتزين لزوجها لتحفظه من أن يَخْطِفَ بصره، أمرها الشرع أن تتزين لزوجها لتكون سكناً له كما أراد الله عزّ وجل، أمرها الشرع أن تتزين لزوجها لتُعينه على طاعة

الله عزّ وجل، أمرها الشرع أن تتزين لزوجها لئلا تحدثه نفسه الضعيفة أن ينظر إلى غيرها. لكن إذا خرجت المرأة من البيت لعلةٍ شرعيةٍ، لضرورةٍ شرعية، لعذرٍ شرعي:

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾

أي أيتها النساء المؤمنات لا تظهرن ما منح الله لكُنّ من جمالٍ لغير أزواجكُن.

من معاني التبرج:

نعود إلى الآية، بعضهم قال: لا تُظهرن ما يُستَدْعَى به شهوة الرجل، أيْ أنّ أيّ شيءٍ أظهرنه استدعى به شهوة الرجل فهذا محرِّم، هذا مقياس دقيق، دعونا من التفاصيل، ودعونا من الخِلافيات، أي شيءٍ يلفت نظر الرجال ممنوعٌ أن تظهره المرأة.

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

(سورة النور: من الآية ٣١)

ظهر عن غير قصدٍ منها، كأن تكون طويلة القامة، ماذا تفعل بطولها ؟ كأن تكون ممتلئة الجسم، كأن ترتدي ثوباً أسود اللون، هذا اللون أي لونٍ إذا اختارته بعنايةٍ قد يكون لوناً دقيقاً، ماذا تفعل بطولها أو بامتلاء جسمها، أو بلون معطفها ؟ هذا الذي ليس بإمكانها ألاّ تظهره..

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

ولم يقل الله عزّ وجل: إلا ما أظهرن منها، إلا ما ظَهَرَ عن غير قصدٍ، وعن غير إرادةٍ، وعن غير مشيئةٍ، إذاً: أي شيءٍ يلفت النظر إليها ممنوعٌ أن تظهره، وقد يكون أجمل ما في المرأة وجهها، إذاً:

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

(سورة النور: من الآية ٣١)

بإمكانها أن تظهره أو ألا تظهره، بإمكانها أن ترخي عليه حجاباً، بإمكانها أن تضرب بخمارها من رأسها على صدرها مروراً بوجهها، بإمكانها كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: **<<كن محرماتٍ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان الركبان إذا مرّوا بنا أو حاذونا أسدلت إحدانا جلبابها على وجها >>**، بهذه العبارة.

على كلٍ سأريكم من خلال ما ورد في التفاسير كيف كانت المرأة في الجاهلية تتبرج.

صورة التبرُّج في الجاهلية:

١ – الفروع:

قال الإمام مجاهد: " **كانت المرأة تخرج تمشي بين الرجال** "، أن تمشي بين الرجال نوعٌ من أنواع التبرُّج، ألم يقل الله عزَّ وجل في قصة سيدنا شعيب:

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ(٢٣) ﴾

(سورة القصص)

أي أنّ مزاحمة الرجال، وأن تسير المرأة بين الرجال هذا من التبرُّج، هذا ما قاله الإمام مجاهد.

٢ – الصورة الثانية:

وقال قتادة: " **كانت لهُنَّ مِشْيَةَ تكسرٍ وتَغَنُّج** "، لذلك:

﴿ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾

(سورة النور: من الآية ٣١)

هناك جمال الحركة، وهناك جمال الصوت، وهناك جمال اللون، وهناك جمال القَوام.

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) ﴾

المرأة منهيةٌ عن أن تتكسَّرَ في صوتها كي تلف النظر إليها، ومنهيةٌ عن أن تتحرك حركةٌ تلفت النظر..

﴿ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾

(سورة النور: من الآية ٣١)

ومنهيةٌ عن أن تخضه بالقول..

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) ﴾

فلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ

ومنهيةٌ أيضاً أن تظهر من أعضائها، ومن خطوط جسمها، ومن ملامحها، ومن شكلها، ومن لونها، ما يلفت النظر إليها، كلام واضح كالشمس، من قوامها، ومن خطوط جسمها، ومن حجم

أعضائها، ومن لَونِهَا، ومن شكلها، ومن ملامح وجهها، ما يلفت النظر إليها، فالتبرج إظهار ما يجب إخفاؤه، إظهار كل زينةٍ طبيعيةٍ منحها الله للمرأة أو غير طبيعية.

وقال ابن حيان: " **كانت تُلقي الخمار على رأسها ولا تشده، فتظهر قلائدها وقرطها، ويظهر قرطُها وعنقها، هذا التبرج الذي كان في الجاهلية الأولى** ".

وقال ابن كثير: " **ربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها، وأقرطة أذنيها** ".

الجاهلية الأولى والجاهلية الثانية:

هذا الوصف الذي ورد في كتب التفاسير عن تبرج الجاهلية الأولى، وسبحان الله ! لحكمةٍ أرادها الله عزّ وصف هذه الجاهلية بأنها جاهليةٌ أولى، ومن وصف الجاهلية بأنها أولى يستنبط أن هناك جاهليةٍ ثانية، ربما كانت أشد من الأولى، نساءٌ كما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((كاسيات عاريات))

إما لأن الثوب شفاف يشفُّ عما تحته، أو لأنه ضيق يصف حجم أعضائها، فهن كاسيات لكنهن عاريات، مائلاتٌ مميلات، فالعنوهن لأنهن ملعونات..

((سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى السُّرُوجِ كَأَشْبَاهِ الرِّجَالِ، يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، عَلَى رُءُوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ، الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ، لَوْ كَانَتْ وَرَاءَكُمْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَخَدَمْنَ نِسَاؤُكُمْ نِسَاءَهُمْ، كَمَا يَخْدِمْنَكُمْ نِسَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ))

[مسند أحمد عن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو]

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((إياكم وخضراء الدمن ! قيل: يا نبي الله، وما خضراء الدمن ؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء))

(مسند الشهاب عن أبي سعيد)

إذاً:

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ (٣٣) ﴾

لا تظهرن الفتنة أو الجمال الذي أودعه الله فيكُنّ، هذا الجمال يجب أن يظهر للزوج، وأن يختفي عمن سواه، أما إذا فسقت المرأة، وفجرت قُلبَت الآية، فكل جمالها في الطريق، وكل جمالها للأجانب، وكل أنوثتها ولطفها، ورِقّتها لغير زوجها، وكل ما يستوحشُ منه لزوجها، هذا من الخروج عن منهج الله عزّ وجل.

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى (٣٣) ﴾

بعضهم قال: إن للحشمة جمالاً، وإن للتبذُّل ولكشف الأعضاء جمالاً، لكن الإنسان كلما ارتقى يعجب بجمال الحشمة لا بجمال التبذُّل، كلما ارتقى ذوق الإنسان يعجبه في المرأة حياؤها وحشمتها، هكذا ورد في القرآن الكريم حينما قال الله عزّ وجل:

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ(٢٣)فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ(٢٤)فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

(سورة القصص)

ما الذي لفت نظرها في سيدنا موسى ؟ قوته، وأمانته، عفته، فما نظر إليها، بل أطرق في الأرض، فلما أراد أن يذهب إلى بيت أبيها قال: سيري خلفي، ودليني على الطريق، وما الذي أعجبه فيها ؟ حياؤها، ومن علامات قيام الساعة أنهُ ينزع الحياء من

وجوه النساء ــ وقحةً تُحِدُّ النظر إليك ــ وتُرفعُ النخوة من رؤوس الرجال، وتُنزع الرحمة من قلوب الأمراء ــ لا حياء في وجوه النساء، ولا نخوة في رؤوس الرجال، ولا رحمة في قلوب الأمراء.

إياكم والدياثة !!!

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((الديوث لا يدخل الجنة، قيل: من هو الديوث يا رسول الله ؟ قال: الذي يرضى الفاحشة في أهله، ولا يغار على عرضه))

((ثَلاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ))

(مسند أحمد عَنْ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عُمَرَ)

فالذي لا يغار على عرضه أو يرضى الفاحشة في أهله فهو ديوث، الإنسان له فطرة، حدثني أحدهم مرّة أنه قرأ في مجلةٍ عن امرأةٍ تعمل في التمثيل، ليست مسلمةً، سئلت عن شعورها وهي تبدي للناس محاسنها ؟ قالت: "**إنه شعور الخزي والعار، وهذا شعور كل أنثى تعرض مفاتنها على الناس، إن الحب يجب أن يبقى بين الزوجين وفي غرفٍ مغلقة** ".

هذا التخطيط الإلهي، وهذه هي الفطرة، فلذلك عندك النقل، وعندك العقل، وعندك الفطرة، فإذا خالفت النقل، أو خالفت العقل، أو خالفت الفطرة، فقد ضل الإنسان سواء السبيل، فالعقل يأمره بذلك، والفطرة تأمره بذلك، والنقل يأمره بذلك، والذوق الرفيع يأمره بذلك.

ما هي الجاهلية التي وصفت في القرآن الكريم ؟

وبعد فلدينا سؤالٌ دقيق: ما هي الجاهلية التي وصفت في القرآن الكريم ؟

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى (٣٣) ﴾

النوع الأول: الجهل بحقائق الدين:

الجاهلية استخدمت في القرآن الكريم بتعريفين، مرةً:

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ(١٣٨) ﴾

(سورة الأعراف)

لا تعرفون حقيقة الألوهية ؟ لا تعرفون من ربكم ؟ ولا من إلهكم، ولا من خالقكم، لا تعرفون حقائق التوحيد، لا تعرفون عظمة الله عزّ وجل.

إذاً: الجاهلية هنا بمعنى الجهل بحقائق الإيمان.

النوع الثاني: الانحراف عن منهج الله:

ومرة ثانية جاء الوصف على لسان سيدنا يوسف حينما قال:

﴿ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٣٣) ﴾

(سورة الأعراف)

فالجاهلية في القرآن ؛ إما جهلٌ بحقائق الدين، أو انحرافٌ عن منهج الدين، فالإنسان إذا كان مسلماً وخالف منهج الله عزّ وجل فهو جاهلي، والإنسان إذا كان أخلاقياً، وما عرف منهج الله عزّ وجل فهو جاهلي، يدلنا على ذلك مقالة النبي عليه الصلاة والسلام لأحد أصحابه في ساعة ضعفٍ، وقد تشادّ مع صحابي آخر، وكان أسود اللون، فقال هذا الصحابي لذاك العبد الأسود: " **يا ابن السوداء** "، فما كان من نبيّنا عليه الصلاة والسلام إلا أن قال له:

((إنك امرؤٌ فيك جاهلية))

[متفق عليه عن الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ]

أراد هذا الصحابي أن يكفر عن ذنبه، فوضع خدَّه على الأرض، ولم يرض إلا أن يطأ خده هذا الذي عيره بسواد لونه.

ففي صحيح مسلم عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلامِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَذَكَرَ أَنَّهُ سَابَّ رَجُلا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ، قَالَ: فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ))

[متفق عليه عن الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ]

إذاً: الجاهلية أن تجهل، والجاهلية أن تنحرف، إذاً ليست الجاهلية فترةً زمنيةً، ولكنها حالةً اجتماعية.

الجاهلية الأولى أحياناً أهون من الجاهلية المعاصرة:

١ – مع امرئ القيس:

قد نكون نحن الآن في جاهليةٍ جهلاء، لأن عنترة العبسي عاش في الجاهلية وقال:

وَأَغَضُّ طَرفي ما بَدَت لي جارَتي حَتّى يُواري جارَتي مَأواها

***

فهذا الشاعر الجاهلي الذي عاش في عصر الجاهلية غض بصره عن جارته، فإذا كان إطلاق البصر، والتلصُّص على عورات المسلمين من سمات هذا العصر، فنحن في جاهليةٍ جَهْلاء.

٢ –أم سلمة وقصتها مع الرجل المشرك:

إنّ أم سلمة فيما أذكر أرادت أن تلحق بزوجها في المدينة، فركبت ناقتها، بعد أن بقيت عاماً أو أكثر أثر مشادّةٍ بين أهل زوجها وأهلها حول ابنها سلمة، وحينما رَقّ قومها وقوم زوجها لها، وسمحوا لها أن تنطلق إلى زوجها في المدينة، ركبت ناقتها، شاهدها أحد المشركين، وكَبُرَ عليه

أن تسافر وحدها إلى المدينة، فرافقها، ولها وصفٌ دقيّق لا يُصَدَّق، كلما أرادت أن تستريح أناخ جملها، وابتعد عنها كثيراً، وتركها تستريح، فإذا حان وقت المسير عاد إليها، وغض بصره، وأركبها الجمل، وقاده اثني عشر يوماً إلى المدينة دون أن يراها، هذا في الجاهلية وقد كان مشركاً.

الجاهلية حالة مَرَضية وليست فترةً زمنيةً:

فلذلك الجاهلية ليست فترةً زمنيةً ؛ بل هي حالةٌ مرضية، قد تكون في أي عصر، فحينما ينطلق الناس نحو شهواتهم، وحينما تخرج النساء كاسيات عاريات مائلاتٌ مميلات، فنحن في جاهلية، وحينما يختلط الرجال بالنساء، وينشأ عن هذا الاختلاط الفتن، وخراب البيوت، ومشكلات الأُسَر، هذا أيضاً من الجاهلية، فلذلك الموضوع خطيرٌ جداً، فأنت كمسلم هناك منهج رسمه الله لك، فإما أن تعرفه فأنت إذاً مؤمن ومسلم ؛ وإما أن تجهله فأنت جاهلي، الآن عرفته، إما أن تسير عليه فأنت مسلم ومؤمن ؛ وإما أن تخالفه فأنت جاهلي، كما قال عليه الصلاة والسلام: لأحد أصحابه:

((إنك امرؤٌ فيك جاهلية))

[البيهقي في شعب الإيمان عن أبي أمامة]

ولك أن تقول لكل إنسان يجهل حقائق التوحيد، يجهل حقائق القرآن، يفتخر بجهله: إنك امرؤٌ فيك جاهلية، وكل إنسانٍ يعرف بعض الحقائق ويحيدُ عنها، " **إنك امرؤٌ فيك جاهلية** "، هذا هو الجهل، إذا: إما أنّ الجاهلية من جهل الحقائق، وإما أن الجاهلية من عدم تطبيق الحقائق، إذاً:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى (٣٣) ﴾

ليست هذه الآية خاصة بنساء النبي فانتبهوا !!!

هذا نهي، ومرة ثانية أقول لكم: إنّ مَن يتوهم أن هذه الآية تختص بها نساء النبي، فقد وقع في وهمٍ كبير، لأن الله عزّ وجل إذا أمر نساء النبي وهن المُحْصَنَات، العفيفات، الطاهرات، التقيّات، القانتات، إذا أمرهن ألا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، فلأن يكون الأمر موجهاً إلى عامة النساء المؤمنات من باب أولى.

يا أيتها المسلمة إيّاك أن تؤذي الشباب !!!

والمرأة المؤمنة لا تقول مثلاً: أنا حينما أسير في الطريق لا يجرؤ أحدٌ أن يخاطبني بكلمة، نقول لها: أيتها الأخت الكريمة إذا كان في مظهركِ ما يلفت النظر إليكِ فقد آذيتِ المسلمين، وأنتِ لا تدرين، إذا كان في مظهرك ما يؤذي الشباب، أو يؤذي العُزاب، أو يؤذي المتزوجين فقد ساهمتِ في خراب البيوت، وأنت لا تدرين، وأنتِ في أعلى درجات الإباء والعِزّة، إن مظهركِ هذا يؤذي المسلمين، يؤذي الشباب، يؤذي المحرومين، يؤذي من ليس له زوجة، فما هذا القول بأنكِ شريفة!! وبأنكِ عزيزة، وبأنكِ صارمة، وبأنكِ شديدة، إن هذا المظهر الذي يلفت النظر إليكِ فيه أذىً وأي أذىً، إنكِ إن نظر إليكِ شابٌ وتحَسَّر، أو نظر إليكِ متزوجٌ وتألّم فقد ساهمتِ في خراب بيته وأنت لا تدرين، فالمرأة المؤمنة لا تؤذي الناس بشكلها، ولا بقوامها، ولا بزينتها.

ومرةً ثانية: الزينة الطبيعية التي أودعها الله في المرأة، والزينة المجلوبة التي تصنعها بأيديها، سواء بسواء، فلا هذه ولا تلك، لذلك العورة قد تظهر لا بلونها ؛ ولكن بحجمها من خلال ضيق الثياب، وقد تظهر بلونها من خلال رِقّةِ الثياب، فالثياب الرقيقة والضيقة هذه لا يمكن أن تكون مباحةً في الإسلام، فكل ما يبدي مفاتن المرأة منهيةٌ أن تظهره.

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ (٣٣) ﴾

لا تظهرن، البارجة غير القارب، البُرج أعلى ما في البناء، البروج نجومٌ عظيمة.

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ (٣٣) ﴾

أي تبرج المرأة الجاهلة التي لا تعرف قيمتها، لا تعرف وظيفتها في المجتمع، لا تعرف دورها الخطير، لا تعرف لمن هذا الجمال، لا تحمل المرأة لوحةً حمراء، لوحتها سوداء، هي لزوجها فقط لا لعامة الناس، هذه التي تعطي مِن أنوثتها، ومن حركاتها، ومن صوتها، ومن جمالها، لكل مَن ينظر إليها، هذه ليست امرأةٌ خاصةٌ لزوجها ؛ بل هي عامة، إذاً:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ (٣٣) ﴾

مِن طرق عدم التبرج: إقامة الصلاة على وجهها:

لعل الله سبحانه وتعالى حينما بدأ بأن يقررن في بيوتهن، وألاّ يتبرّجن، أراد أن يبين لهن الطريق، إنكن إن أقمتن الصلاة، فبالصلاة وبالقرب من الله عزّ وجل، وبشعور المرأة بأنها قريبةٌ من الله عزّ وجل، بأن الله يحبها، وبأن الله يرضى عنها، حينما لا تؤذي عباد الله المؤمنين، لعلها بهذا القُرب تستعين على أن تنفذ أمر الله عزّ وجل.

الإنسان دائماً عنده في حياته عوض، مثلاً: يقولون: إن عملية البيع لا تتم إلا بحالة نفسية، عملية الشراء وعملية البيع لا تتمان إلا بحالة نفسية، فأنت كمشترٍ لا يمكن أن تشتري هذا الكتاب إلا إذا رأيته أثمن من مالك، من ثمنه، قال لك ثمنُه: عشرون ليرة، ما لم تر أن قيمة الكتاب أثمن من عشرين لا ينعقد البيع، والبائع لا يمكن أن يبيع الكتاب إلا إذا شعر أن ثمنه أغلى منه.

فهذه المرأة التي تقبل أن تتحجب، وأن تطبق شرع الله عزّ وجل، وأن تستقر في البيت، وأن تبتعد عن كل زينةٍ تلفت النظر، ما الذي يعينها على ذلك ؟ أن تتصل بالله عزّ وجل، إذا ذاقت حلاوة القُرب، إذا ذاقت معنى أن يرضى خالق الكون عنها، إذا ذاقت أن الله يحبها، ويحب أمثالها، وأن الله راضٍ عنها، إذا ذاقت هذه المرأة طعم القُرْب طبقت أمر الله بقَضِّهِ وقضيضه، من أَلِفِهِ إلى يائِهِ.

إذاً:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ (٣٣) ﴾

الآية دقيقة جداً، أي تبرجن في بيوتكن، فإذا خرجتن من بيوتكن لعذرٍ شرعي فلا تبرجن في الطريق، لأن هذا الجمال لأزواجكن لا لعامة الناس..

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (٣٣) ﴾

معنى إتيان الزكاة :

قال بعض العلماء: وآتين الزكاة هنا بمعنى تصدّقن الصدقة النافلة، فالمرأة لا تخلو أن يكون لها مال، فلابدّ من أن تتصدق من مالها على الفقراء والمساكين، على امرأةٍ ضعيفةْ، على امرأةٍ أرملةٍ، على امرأةٍ مسكينةٍ، على طفلٍ يتيم، هذا معنى الزكاة، باعتبار المرأة إذا ملكت النصاب عليها الزكاة قولاً واحداً، تجب عليها الزكاة، لكن يغلب على المرأة أن تكون نفقتها على زوجها، فإذا أُمِرَت بالزكاة فأغلب الظن أن هذه الآية موجهة إلى الصدقة النافلة..

﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (٣٣) ﴾

وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَه

هذا من عطف العام على الخاص، أي أن المرأة المسلمة لا تخرج عن منهج الله أبداً، لا تحيد عن شرع الله أبداً ؛ لا في حركتها، ولا في صوتها، ولا في مظهرها، ولا في ثيابها، ولا في طاعة زوجها، ولا في رعاية أولادها.

((انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله ــ أي يعدل الجهاد في سبيل الله))

[أخرجه ابن عساكر وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (٣٣) ﴾

في كل شيء، حتى في علاقتها بزوجها، حتى في تربيتها لأولادها، حتى في علاقتها بأهلها.

﴿ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (٣٣) ﴾

حتى في خروجها، حتى في ثيابها، حتى في حِجابها، حتى في ترك العطر في الطريق، حتى في عدم الخروج من البيت من دون إذن الزوج، على المرأة المسلمة أن تتقصّى أوامر الله عزّ وجل، وأوامر النبي عليه الصلاة والسلام فيما يَخُصُّها، وهذه الآية:

﴿ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (٣٣) ﴾

هذه من عطف العام على الخاص.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) ﴾

إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً

١ – ما هو البيت في هذه الآية ؟

نجد في هذه الآية معنى دقيقاً جداً وجليلاً، هو أنّ كلمة (البيت) جاءت في الآية معرفة، إذا قلت: البيت أي الكعبة، البيت الحرام، في الأرض بيتٌ واحد، هو البيت الحرام، هذه (ألْ) هي (ألْ) العهدية، تكون أنت في دائرة فيها مئتا موظف، وفيها مدير، فكلّما قلت: المدير مثلاً حضر أو غاب، والمدير أصدر قرارا، كلمة المدير بهذه الدائرة تعني مدير هذه الدائرة، هذه (أل) للعهد، ولأن بيت الله الحرام بيتٌ واحدٌ في الأرض، لذلك ورد ذكره معرفٌ بـــ (أل) العهدية.

٢ – من هم أهل البيت في هذه الآية ؟

أما هنا فشيءٌ جديد، أهل بيت النبي نساؤه، هم أهل البيت، إذاً: بيت النبي شيءٌ مقدس جداً، وجاءت الكلمة أيضاً لمنزلته، لأن الناس لو رأوا النبي في أعلى درجة، ولم يروا نساءه في المستوى اللاّئق بهن تتزلزل نفوسهم، يختل توازنهم، فليس من المعقول أن تفصل إنساناً عن بيته، هذه زوجته لِمَ لا تكون على وضعٍ مقبول، هؤلاء أولاده، هؤلاء بناته، فإذا دعا الإنسان إلى الله عزّ وجل فلينتبه إلى البيت، لأن خللاً في البيت يضعف الدعوة إلى الله عزّ وجل، فإذاً ربنا عزّ وجل في عليائه، خالق السماوات والأرض قال:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ (٣٣) ﴾

٣ – التبرّج والانحراف رجس:

التفلّت من أوامر الشرع، إظهار الزينة، أن يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، هذا رِجس أي نَجَس.

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ (٣٢) ﴾

هذا نَجَس رِجس.

إظهار الزينة لغير الزوج هذا رجس، فربنا عزّ وجل كي ينفرنا من هذا الانحراف سماه نَجَساً، فأن تَظهر المرأة فاتنةً، أو أن تعرض مفاتنها على الناس، أو أن تتساهل في حجابها، أو ألا تكون دقيقةً في إخفاء زينتها، إن هذا العمل سماه الله في القرآن الكريم: رجساً.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ (٣٣) ﴾

أي أنّ الله عزّ وجل تولّى في عليائه تطهير أهل بيت النبي وتأديبهن، وفي معنى آخر: أن هذا البيت بيت النبي مقدس جداً، لو لم يكن في مستوى الرسالة لاضطرب الناس، لشك الناس في هذه الدعوة، فالمرأة التي تلوذ بالنبي إذا انحرفت سببت للأتباع اضطراباً، وزلزلةً، وقلقاً، وشكاً، وطعناً، فلذلك أهل بيت النبي يجب أن يكونوا في المستوى اللائق بالنبي، لذا تولى الله بنفسه تأديبهن.

٤ – استنباط لطيف يهم الداعية على الله:

وقياساً على هذا إنك إن أردت أن تدعو إلى الله عزّ وجل فالناس يرقبون بيتك، يتبعون أهل بيتك، يتبعون بناتك، يتبعون أولادك، هل هذا الذي تدعونا إليه مطبقٌ في بيتك ؟ أم أن الدعوة ارتزاق ؟ هل هذا الذي تدعونا إليه مطبَقٌ في حياتك الخاصة ؟ لأن الناس لو رأوا خلافاً ومسافةً بين ما هو كائن وما يجب أن يكون تزلزلوا، واضطربوا.

إذاً:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) ﴾

قصة وعبرة:

كتبت امرأةٌ قصةً قصيرةً تقول فيها: مرضت مرضاً شديداً بعد خلع ضرسٍ، قاسيت منه آلاماً مبرحة حرمتني طعم النوم والأكل شهراً كاملاً، إذ لم يكن يكفّ وقعُ الألم لحظةً ليلاً أو نهاراً، وزاد الورم حتى كاد خَدِّي ينفجر، وامتد إلى عنقي ورأسي، وأغلق جَفْنَيْ عينَيّ، فحار في أمري الجرّاحون والأطباء، وعجز الطب وعز الدواء، وقُطع الأمل بتاتاً من الشفاء، وإذا بيد الله الكريمة تمتد وتمسح المرض والورم، وتمحو على مهلٍ الجرح وتصرف الورم، فوقف الأطباء مدهوشين من هذه المعجزة، وقالوا خاشعين: حقاً إن الله القدير الرحيم يحيي العظام وهي رميم، فعاينت تفاهةَ الخلَق، وعجْزَ من ادعى العلم، وأدركت أن الخالق سبحانه أبر وأرحم بعبده من كل إنسان.
قالت: وفي أثناء مرضي عادتني سيدةٌ فاضلة، وقالت لي مجاملة: إنكِ لا تستحقين كل هذا العذاب، أنت السيدة المؤمنة المُصلِّيَة الحاجة لبيت الله الحرام، فماذا اقترفتِ من آثام حتى تُعاقبي بهذه الآلام ؟!

قالت: فصرخت قائلةً: لا تقولي ذلك، فإن الله لا يظلم الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، إنني آثمة أستحق كل هذا العذاب، هذا الفم الذي أدَّبه الله بالمرض والألم كان يُصبَغ، وكان لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، وهذا الوجه الوارم كان يتجمّلُ بالمساحيق، وهذا الجسم الطريح كان يتبرّج بالثوب الأنيق، وهذه الهامة المتألمة المتأججة بنار الحمى كانت لا تحجب بالنقاب كما أمر الله، وهي الآن تحجب قهراً باللفائف الطبية، لم اختمر بخمار الاحتشام فخمرَني

الله بخمار الآلام، جَمّلْتُ فمي ووجهي بالأصباغ والأدهان، فصفعهما الله صفعة العذاب والهوان. هي أديبة أيضاً كما يبدو.

قالت: إنكِ لم تفعلي إلا ما يفعله غيركِ ؛ بل وأقل مما يفعله غيركِ، فكل النساء يتبرجن، ويتجملن أكثر منكِ، وهاهُن يرتعن في بحبوحة الصحة، ويرفُلْنَ في حُلَلِ السعادة!

فقلت: هذا من فضل ربي عليّ، وحبه لي، ورحمته بي، فإذا أحب الله عبداً ابتلاه، وطهّره بعذابه وربّاه، ثم إذا أراد ساق له العافية ونَجّاه، ففاز بجزاء الصبر، وحظي بفضيلة الشكر، وسعد بالتوبة والطهر، فشكراً لله على هذا الدرس النافع، وهذا الألم الشافي الناجع، وهذا العقاب المؤدِّب الرادع، وهذا المرض المُهَذِّب اللاذع، إن الله سبحانه وتعالى يأمرني بعمله، بفعله بهذا المرض، بعد أن أمرني بكتابه، إن لم أستجب لكتابه استجبتُ لفعله، فكيف لا أشكره على هذه العناية ؟ وكيف لا أطيع من يرعاني هذه الرعاية ؟ وهكذا شُفيت من مرضي ضعيفة الجسم قوية الإرادة، ضعيفة الهوى قوية الصبر، وفهمت

ما قاله الله لي بهذا المرض، وما سكبه بقلبي بلا ألفاظ، وما صوره لعيني فرآه عقلي جلياً وضاحاً.

فهمت كيف يجب أن يُحاط رأسي ووجهي بالخمار، كما مثله الله لي، وأن يدعو فمي ولساني بالشكر خوفاً وطمعاً، فكنت بعد مرضي غير ما كنت قبله، وكانت أعظم نعمةٍ علي أن جعلتني أقهر هوى نفسي وصبرت يومي، وأصبحت أغنى وأقنى من أمسي.

هذا درس، فهذا الوجه، هذا الجمال الذي منحه الله للمرأة، إن لم يحجب بالنقاب ربما حُجِبَ باللفائف الطبية.

والله سمعتُ عن امرأةٍ متبذلة تعادي كل امرأةٍ تضع الحجاب، تعاديها وتكيدُ لها، وتوقع بها الأذى، أصاب رأسها مرضٌ عُضال، فاضطرت لحلق شعرها كله، وأشار عليها الطبيب أن تضع الحجاب ليتسرّع شفاء المرض، فتوسلت إليه أن تضع الباروكة قال: لا، لا، الحجاب ضروري، فالباروكة تؤذي الجلد، فرأتها امرأةٌ وقد تنقّبت بالحجاب، لم تصدق، ولكنه ليس حجاب الإيمان، ولكن حجاب المرض.

إذا آذت المرأة عباد الله بشكلها، وزينتها، وحركتها، وصوتها، إن كانت مؤمنةً، وإن كان فيها بقيةٌ من يقينٍ وعقيدة، ربما ساق الله لها من الآلام ما يردعها، وهذه قصةٌ واقعية، هذه المرأة التي أصابها مرضٌ شديد، وحينما تابت إلى الله عزّ وجل عاد إليها شفاؤها وثقتها بالله عزّ وجل.

في الدرس القادم أرجو الله سبحانه وتعالى أن نفسر قوله تعالى:

﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ(٣٥)﴾

إلى آخر الآيات.

والحمد لله رب العالمين

التفسير المطول – سورة الأحزاب ٠٣٣ – الدرس (١٥–١٨): تفسير الآيات ٥٩ – ٦٣ (حجاب المرأة) .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢–٠١–٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية التالية هي أول آيةٍ نزلت في الحجاب:

وصلنا في الدرس الماضي في سورة الأحزاب إلى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا(٥٩)﴾

(سورة الأحزاب)

أيها الأخوة الأكارم، هذه أول آيةٍ نزلت في الحجاب، الحجاب نزل على ثلاث مراحل ؛ المرحلة الأولى أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بسترِ العورات، والمرحلة الثانية أمر الله سبحانه وتعلى المؤمنات بالحجاب ــ وفي سورة النور جاءت الآيات تبيّن كمال الحجاب ــ نحن الآن في سورة الأحزاب، فالله سبحانه وتعالى يخاطب النبي، وحينما يقول الله عزّ وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ (٥٩) ﴾

لأنهن القدوة، وما لم تكن للمؤمنين قدوة فلن يفلحوا، أزواج النبي عليه الصلاة والسلام، وبنات النبي عليه الصلاة والسلام يجب أن يكن قدوةً لنساء المؤمنين، والنبي كما تعلمون له مهمتان ؛ مهمة التبليغ، ومهمة القدوة، فالتبليغ وحده لا يكفي إن لم تكن القدوة الحسنة، والسيرة الصالحة، والمثل الأعلى، والأسوة التي يتأسّى بها المؤمنون.

الدعوة إلى الله تقوم على القدوة والبيان:

قد يقول قائل: إن هذه الآيات نزلت في نساء النبي وبنات النبي فما بال بقية النساء ؟ فإذا كانت نساء النبي وهن المطهرات عن السفاح، والمحرّمات على المؤمنين بالنكاح، وهن اللاتي وصفن بالقرآن الكريم بأنهن أمهات المؤمنين، إذا أمرن بالحجاب فنساء المؤمنين من باب أولى، وهذه قاعدة أصولية، ولكن الله سبحانه وتعالى دفعاً لهذا القيل والقال، ودفعاً لهذا الالتباس نصّ في هذه الآية على أن الأمر بالحجاب عامٌ مطلق، فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ (٥٩) ﴾

بقوله تعالى:

﴿ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ (٥٩) ﴾

أية شبهةٍ متعلقةٍ بأن هذه الآية نزلت في نساء النبي تُرَدُّ بهذا النص الدقيق، على كلٍ لو أن الآيات نزلت في حق نساء النبي وفي حق بنات النبي فقط، فلأن يَشْمَلْنَ عامة المؤمنات من باب أولى، هذه قاعدة، وقاعدة أخرى: أنه دائماً خصوص السبب لا يلغي عموم اللفظ.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ (٥٩) ﴾

سيدنا عمر كما تعلمون كان إذا أمر الناس بأمرٍ جمع أهله وخاصته وقال: " **إني قد أمرت الناس بكذا، ونهيتهم عن كذا، والناس كالطير إن رأوكم وقعتم وقعوا، وأيم الله لأوتين بواحدٍ وقع فيما نهيت الناس عنه، إلا ضاعفت له العقوبة لمكانه مني** ".

هذا أثر القدوة، وقد بينت لكم من قبل أن الله سبحانه وتعالى تولى بنفسه تطهير أهل بيت النبي، لِعِظَمِ خطورة أهل بيت النبي في حقل الدعوة، فالدعوة إلى الله تقوم على القدوة وعلى البيان، البيان تولاّه النبي ؛ لكن القدوة يجب أن تكون في شخصه، وفي أهل بيته، وفي نسائه، وفي بناته.

الإدناء هو التقريب وفي هذه الآية مُضَمَّنٌ لمعنى الإرخاء والإسدال بــ (على):

الحقيقة موضوع الدين لا يتعلق برأي زيدٍ أو عُبيد، الإنسان أحياناً يتمنى أن يكون الحكم هكذا، أو يتمنى أن يكون الحكم هكذا، الحقيقة نحن مع الدين ليس لنا رأيٌ شخصيٌ أبداً، وما قيمة الرأي الشخصي في منهج الله عزّ وجل ؟! ما قيمة الرأي الشخصي في منهج الله ؟! فنحن نتقصى الحكم الشرعي في هذا الموضوع، وما أجمع عليه العلماء الأجلاّء، وما ورد في كتب التفسير، وما جاء به الصحابة الكرام، على كلٍ نبدأ بتفسير هذه الآية كلمةً كلمة، قال الله عزّ وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ (٥٩) ﴾

الإدناء هو التقريب، فلان دنا من فلان، أي اقترب منه، أدناه قَرَّبَهُ، دنا لازم، أما أدنى مُتَعَدٍّ، فالإدناء إذاً هو التقريب، لكن أدنيت هذا الشيء إلى هذا الشيء، فالإدناء يتعلّق بكلمة (إلى)، أما إذا تعلق بكلمة (على) فهو في معنى الإرخاء والإسدال، الفكرة دقيقة إذا قصدنا الإدناء أي التقريب فالإدناء يتعلق بــ (إلى)، أدنيت هذا الكتاب إلى هذه الطاولة، أما إذا عَدَّيْتُ الإدناء بــ (على) فضُمِّنَ معنى الإرخاء والإسدال، لأن أرخيته على، وأسدلت على، فلذلك ما دام فعل الإدناء هنا متعدياً بــ (على) فهو يفيد الإرخاء ويفيد الإسدال، هذا أول استنباطٍ لغويٍ من هذه الآية،

فالإدناء هو التقريب، والإدناء هنا في هذه الآية مُضَمَّنٌ لمعنى الإرخاء والإسدال بـــ (على) لأنه تعدى بـــ (على).

ويقال: إذا زَلّ الثوب عن وجه المرأة، إذا زل أي انزلق الثوب عن وجه المرأة يقال لها: أدنِ ثوبكِ على وجهكِ، ما دام أدنِ ثوبك على وجهكِ أي أرخِ ثوبكِ على وجهكِ، هذا كله مستفاد من كلمة على، لأن أدنى إلى وأسدل على، أي أرخيه وأسدليه.

المقصود بالجلباب أي رداءٌ فَضْفَاضٌ واسعٌ يستر بدن المرأة كله:

إذاً:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ (٥٩) ﴾

الإدناء هنا بمعنى الإرخاء والإسدال، لماذا ؟ لأن نساء الجاهلية كُنَّ يضعن على رؤوسِهِنَّ الخُمُر، ويسدلنها ــ أي يرخينها ــ إلى وراء ظهورهن، الأمر بالعكس، جاء الأمر أن يدنين عليهن من جلابيبهن، المعنى الثاني:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ (٥٩) ﴾

معنى الجلباب، الجلابيب جمع جلباب، والجلباب هو الثوب الذي تستتر به المرأة، أو تستر به المرأة بدنها كله من فوق ثيابها التي تستر عورتها، فهناك ثوبٌ يستر أعضاء المرأة، وهناك ثوبٌ يستر زينة المرأة، وأما الجلباب فهو الذي يستر بدن المرأة كله، الجلباب فيما أجمع عليه العلماء: الثوب الذي تضعه المرأة فوق ثيابها، إذا كانت ثيابها تستر أعضاءها وأماكن الزينة فيها، فإن الجلباب رداءٌ فَضْفَاضٌ واسعٌ يستر بدن المرأة كله، من فرقها إلى قدمها، هذا معنى قوله عزَّ وجل:

﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ (٥٩) ﴾

الإمام الطبري في تفسيره، روى عن ابن سيرين أنه قال:**سألت عبيدة السلماني عن هذه الآية، فرفع ملحفةً كانت عليه فتقنع بها، وغطى بها رأسه كله حتى بلغ الحاجبين، وغطى وجهه وأخرج عينه اليسرى من شِقِّ وجهه الأيسر. وروى مثل ذلك ابن عباسٍ رضي الله عنه.**

هذا تفسير العلماء لهذه الآية، مرةً ثانية أقول لكم: لا قيمة للرأي الشخصي في هذا الموضوع، هذا دين، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

من أوجه التفسير لهذه الآية أن المرأة إذا بالغت في التحجُّب والتَصوُّن قطعت كل طمعٍ فيها:

أخرج عبد الرزاق وجماعةٍ عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية:

﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ (٥٩) ﴾

خرج نساءٌ من الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان، من أكسيةٍ سودٍ يلبسنها، أي فهم الناس في عهد النبي هذه الآية ستر الوجه والرأس معاً، أما قول الله عزَّ وجل

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ (٥٩) ﴾

من أوجه التفاسير لهذه الآية ما نقله ابن حبان أن الله عزَّ وجل حينما قال:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ (٥٩) ﴾

أن يعرفن بالعفة والتَصوُّن، فلا يتعرض لهن الفُسَّاقُ ولا الفُجَّار وهذه قاعدة وهي: أن المرأة إذا بالغت في التحجُّب والتَصوُّن قطعت كل طمعٍ فيها، فإذا قال الله عزَّ وجل:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ (٥٩) ﴾

أي أن يعرفن بالعفة والتصون، ما دامت هذه المرأة لا يرى منها شيء، إذاً ؛ إنها تعلن للناس أنها عفيفةٌ، أنها حصانٌ، أنها مُعْرِضَةٌ عن كل رغبةٍ فيها إلا الذي أباحه الله لها.

هذه الآية من آيات الأحكام وهذه الآيات دقيقةٌ جداً:

طبعاً هذه الآية من آيات الأحكام، وآيات الأحكام دقيقةٌ جداً، وتُدَرَّس هذه الآيات في كتبٍ مستقلة، ومن أرقى كتب آيات الأحكام جاءت هذه الحقائق في كتاب: تفسير آيات الأحكام.

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ (٥٩) ﴾

متى تؤذى المرأة ؟ الجواب: إذا ظهرت مفاتنها، متى تؤذى المرأة ؟ إذا أبدت ما يجب أن تخفيه، حينما تبدي المرأة ما يجب أن تخفيه إنها تعلن بشكلٍ أو بآخر أنها ترغب في الرجال، أما إذا سَتَرَت ما أمر الله به أن يُستر، فهي تعلن أيضاً أنها عفيفةٌ حَصَان، فلذلك قول الله عزَّ وجل:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ (٥٩) ﴾

يعرفن أنّهُنَّ عفيفاتٌ طاهرات، وأنهن لا يبغين إلا ما أمر الله عزَّ وجل:

﴿ فَلَا يُؤْذَيْنَ (٥٩) ﴾

الآن هناك آراءٌ لبعض العلماء في هذه الآية ؛ ابن عباسٍ رضي الله عنهما يقول: **أمر الله نساء المؤمنين أن يُغَطِّيَن رؤوسهن ووجوهَهنّ**، بالنص الدقيق، أما معنى قول الله عزّ وجل:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ (٥٩) ﴾

أي هذا هو الحد الأدنى، أي إذا تحجبت المرأة فهذا هو الحد الأدنى في إيمانها وليس الحد الأقصى، الحد الأقصى عِلمها، الحد الأقصى أعمالها الطيّبة، الحد الأقصى خدمتها لزوجها، الحد الأقصى رعايتها لأولادها، أما ألا تؤذي عباد الله في الطريق فهذا هو الحد الأدنى، أي هذا أقل شيء يُعْرَفْنَ به صالحاتٍ عفيفاتٍ طاهرات، مع أن الصلاح والعفاف والطهر أكبر من الحجاب ؛ نفسٌ طيبةٌ، نفسٌ مطواعةٌ، نفسٌ متواضعة، نفسٌ منصفةٌ، تخدم زوجها ابتغاء مرضاة الله، هناك صفاتٌ تعلو بالمرأة عن الحجاب، ولكن الحجاب هو الحد الأدنى، هذه هويتها، ما دامت قد أخفت زينتها عن الأجانب فهي تعلن أنها مسلمة، أنها عبدةٌ من عباد الله، أنها تأتمر بما أمر الله وتنتهي عما نهى الله.

إذا ترك الحجاب إنكاراً لفرضيته فهذا كفرٌ وإذا ترك تقليداً للأجانب فهذا فسقٌ وفجور:

الحقيقة قد يكون إيمان الرجل في قلبه، لكن المرأة إيمانها ظاهر وباطن معاً، إيمانها في حجابها، فإذا بَرَزَتْ للرجال من دون حرج، واختلطت مع الرجال فكأنها تتخلى عن هويتها، وكأنها تتخلى عن شخصيتها المسلمة، وكأنها تُعْلِن أنها لا تأتمر بأمر الله.

القرآن الكريم أمر بستر العورات، ثم أمر بالحجاب، ثم أمر بغض البصر، وعدم إبداء الزينة إلا لرجالٍ جاء ذكرهن في سورة النور، الأمر بستر العورات أولاً، ثم الأمر بحجاب النساء المؤمنات ثانياً، ثم الأمر بغض البصر وعدم إبداء الزينة للأجانب ثالثاً، فكأن هذه الآية جاءت في الوسط، وكأن الله سبحانه وتعالى دَرَّجَ أحكام الحجاب بحسب الظروف وبحسب تطور الدعوة الإسلامية.

الملاحظة الدقيقة أن المرأة التي تترك الحجاب إنكاراً له، إنكاراً لفرضيّتِهِ فقد كفرت، وإذا تركته تقليداً للأجانب فقد فسقت وعصت، لكن المرأة المؤمنة تعتقد بوجوبه وتلتزمه، إذا ترك الحجاب إنكاراً لفرضيته فهذا كفرٌ، وإذا ترك الحجاب تقليداً للأجانب فهذا فسقٌ وفجور، أما حينما تطبق المرأة أمر الله عزّ وجل وتحتجب فهذا هو الحد الأدنى في إيمانها، فلذلك هناك حالة من الحالات وأنا أقول عنها ــ هي حالة مرضية أحياناً ــ هي: أن المرأة إذا تخلت عن حجابها أرادت التعويض، أي بالغت بأشياء كثيرة، هذه المبالغة لإحساسها بالخلل، ولإحساسها بالنقص في

شخصيتها، فإذا بالغت في أشياء شكلية من أمور الدين وهي قد خرجت سافرة، فهذه المبالغة نوعٌ من أنواع التعويض الذي يرمم الخلل الذي أحدثه ترك الحجاب في شخصيتها.

الحقيقة كما قلت لكم سابقاً: إن المؤمنين يخاطبون دائماً بفروع الدين ؛ بينما الكفار وعامة الناس يخاطبون بأصول الدين، أنت أيها الإنسان، وأنتِ أيتها الإنسانة، ما دمتِ قد آمنتِ بالله خالقاً، ومربياً، ومسيراً، وما دمتِ قد أعلنتِ عن عبوديتكِ لله عزّ وجل، فالحد الأدنى من عبوديتكِ لله عزّ وجل أن تأتمري بأمر الله عز وجل، فلا تؤذَين ولا تؤذِين، فحينما تبرز المرأة مفاتنها للناس في الطريق، ماذا فعلت ؟ آذت عباد الله بكل أصنافهم، وحينما تؤذيهم يؤذونها، فهناك أذى متبادل، إنها تؤذي عباد الله بمفاتنها، ويؤذونها بتعليقاتهم، وبتصرُّفاتهم، وبالتحرشات التي يفعلونها معها.

السياسة الشرعية و التكليف الشرعي:

إذاً:

﴿ فَلَا يُؤْذَيْنَ (٥٩) ﴾

لا تؤذي ولا تؤْذَى، لكن المرأة التي ليست مؤمنةً لو عاشت في مجتمع مؤمن إنها تؤمر بالحجاب، لا لأنها مكلفةٌ به ؛ بل لأن السياسة الشرعية تقتضي ذلك، ففي المجتمع المسلم لا نسمح لامرأةٍ كافرةٍ أن تبرز مفاتنها للناس، فنؤذي شباب المسلمين، إذاً حينما تؤمر المرأة المؤمنة بالحجاب هذا أمر تكليف، وحينما تؤمر الكافرة بالحجاب فهذا أمر من نوع السياسة الشرعية، أي أن أولي الأمر المؤمنين يرون أنه صوناً للمجتمع المسلم لا ينبغي لامرأةٍ كافرة أن تبرز مفاتنها للناس، وأي مجتمعٍ يطبق الإسلام تطبيقاً دقيقاً يفرض على كل الأجنبيّات، وعلى كل النساء غير المسلمات اللاتي في البلد، أن يأخذن بالحجاب من باب السياسة الشرعية لا من باب التكليف الشرعي.

فهناك تكليف، إذاً هناك أمر تكليفي، وهناك أمر سياسي، صوناً للمجتمع المسلم لا نسمح لامرأةٍ كافرةٍ في المجتمع المسلم أن تبرز، وأن تفتن، وأن تصرف الناس عما خلقوا له من معرفة الله عزّ وجل وطاعته.

شيءٌ آخر، لو أمرنا فتاةً في سن العاشرة بالحجاب في سنٍ مبكرةٍ، فهذا ليس أمراً تكليفياً بل اسمه أمرٌ تأديبي، كيف أن الطفل الصغير يؤمر بالصيام ؟ هل يعقل أن يدع الصيام إلى أن يبلغ، فإذا بلغ أمر به ؟! قد لا يطيقه، لا بدّ من أن يؤمر به تأديباً، حتى إذا بلغ سن التكليف رأى نفسه مُرتاحاً في الصيام، كذلك الفتاة الصغيرة يجب أن تؤمر بالحجاب لا على أنها مكلفةٌ به ؛ بل على أن هذا أمرٌ تأديبيٌ يجب أن تألَفهُ الفتاة الصغيرة، حتى إذا أصبحت مشتهاةً كان الحجاب بالنسبة

إليها شيئاً عادياً، هذا توجيهٌ للآباء، أي أن الطفلة الصغيرة إذا تعلمت قواعد الأدب، وإذا تعلّمت أصول التعامل، وإذا تعلمت أن تستر ما ينبغي أن يستر، حينما تكبر وهي في سنٍ صغيرة فهذا من باب التأدب من آداب الإسلام.

أقوال العلماء في الحجاب:

أقوال العلماء في الحجاب

أكثر العلماء في هذه الآية يتحدثون عن ما فهموه منها، فابن الجوزي يقول: يغطون رؤوسهن ووجوهَهُنّ.

أبو حيان يقول: أمر الحجاب شاملٌ لجميع النساء، ولجميع بدن المرأة، وينبغي أن يُغَطّي الحجاب وجهها.

أبو السعود يقول: يغطين بها وجوههن وأبدانهن إذا برزن لداعيةٍ من الدواعي. أي إذا خرجن في الطريق لأمرٍ مشروع.

والسُدِّي يقول: تغطي المرأة إحدى عينيها.

هذه بعض أقوال العلماء في شأن هذه الآية، لكن اتفق العلماء على أن للحجاب الشرعي ستة شروط:

١ ـ الشرط الأول أن يكون الحجاب ساتراً لجميع بدن المرأة:

الشرط الأول: أن يكون الحجاب ساتراً لجميع بدن المرأة، أي أن تستر عضواً وأن تبرز عضواً أن تقول: هذا عورة، وهذا ليس بعورة، إتباعاً للهوى، أو إرضاءً للمجتمع، أو إرضاءً للزوج تستر شيئاً وتخفي شيئاً، تبرز شيئاً، هذا شيء ليس من صفات المرأة المسلمة، الحجاب يجب أن يكون ساتراً لجميع بدن المرأة.

٢ ـ الشرط الثاني أن يكون الحجاب كثيفاً غير رقيق:

الشيء الآخر: أن يكون الحجاب كثيفاً غير رقيق، فالنبي عليه الصلاة والسلام حينما وصف النساء الكاسيات العاريات، فكيف نفهم هذا الحديث ؟ كيف أنها كاسيةٌ عارية ؟ أي هو عليها ثوب ولكنه يشفُّ عما تحته، الثياب الرقيقة ليست من الحجاب في شيء، فأحياناً تغطي المرأة وجهها بحجابٍ رقيقٍ جداً، هذا الحجاب الرقيق يخفي العيوب ويبرز المفاتن، فالشيء الشفّاف الرقيق جداً

هذا ليس حجاباً قولاً واحداً، أول شرط أن يكون ساتراً لجميع بدن المرأة، والشرط الثاني أن يكون الحجاب كثيفاً غير رقيق.

٣ ـ الشرط الثالث ألا يكون الحجاب زينةً في نفسه:

الشرط الثالث: ألا يكون الحجاب زينةً في نفسه، أي أن المِعْطَف الملوّن، المزركش، المطرّز، ألوان فاقعة، ألوان وهّاجة، ألوان برّاقة، هذا إذا كان الثوب الخارجي زينةً في نفسه فهذا مما نهى عنه العلماء، لأنه ماذا يحدث ؟ يلتفت الناس إلى ثوبها أولاً ثم إليها ثانياً، كأنها تلفت النظر إليها، فهناك نساءٌ يضعن على رؤوسهن شيء مطرّز، وشيء محبوك، وفيه ألوان، فالألوان والتطريز الذي على الحجاب هذا يُلفت النظر إلى الحجاب أولاً، فإذا نظر الرجل إلى الحجاب تابع النظر إلى صاحبة الحجاب، فالثوب يجب أن يستر كل بدن المرأة أولاً، وأن يكون كثيفاً غير رقيقٍ ثانياً، وألا يكون زينةً في نفسه، والدليل قول الله عزّ وجل:

﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾

(سورة النور: من آية " ٣١ ")

الزينة التي يمكن للمرأة أن تظهرها أو أن لا تظهرها يجب أن لا تظهرها، إذا كان شيء ضمن إمكان المرأة، أما الشيء الذي يبدو من دون إرادتها كأن تكون طويلة مثلاً فطولها ليس في إمكانها إخفاؤه، لذلك قال الله عزّ وجل:

﴿ إلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾

(سورة النور: من آية " ٣١ ")

أما الشيء الذي يمكن أن تخفيه المرأة يجب أن يُخْفَى، لو أن الله عزّ وجل قال: إلا ما أظهرن منها، صار أظهرن شيئاً وأخفين شيئاً، أما:

﴿ إلا مَا ظَهَرَ ﴾

(سورة النور: من آية " ٣١ ")

ظهر تعني قوامها، تعني طولها، تعني امتلاؤها، أما الوجه بإمكانها أن تظهره وبإمكانها أن تخفيه، إذاً الآية الكريمة:

﴿ إلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾

(سورة النور: من آية " ٣١ ")

ولم يقل الله عزّ وجل: إلا ما أظهرن منها:

﴿ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾

(سورة النور: من آية " ٣١ ")

الشرط الأول: أن يكون ساتراً لجميع بدن المرأة، والشرط الثاني أن يكون كثيفاً غير رقيق، فالثياب الرقيقة تشفُ عما تحتها، وهذه ليست حجاباً ؛ بل هي فتنةً كما يقال.

النبي عليه الصلاة والسلام حينما حدثنا عن آخر الزمان، عن نساءٍ كاسياتٍ عاريات، مائلاتٍ مميلات، على رؤوسهن كأسنمة البخت، فالعنوهن لأنهن ملعونات.

٤ ــ الشرط الرابع أن يكون الحجاب فضفاضاً غير ضيّق:

الصفة الأولى في هذه المرأة أن ثيابها رقيقة، وألا يكون الثوب كما قلت: زينةً في نفسه، أن يكون فضفاضاً غير ضيّق، لأن الثوب يشف عن العورة بحالتين ؛ إذا كان رقيقاً يشف عن لون العورة، وإذا كان ضيقاً يشف عن حجمها، فأي ثوبٍ يشف عن حجم العضو أو عن لونه فهذا ليس حجاباً وليس ثوباً شرعياً، ولا ينبغي للمرأة أن ترتديه في الطريق، فالثياب الضيقة في حد ذاتها ثياب محرمة، لأنها تصف خطوط جسم المرأة، أما الثياب الفضفاضة لماذا أمر الشارع بها ؟ لأنها تخفي ملامح الجسم، وتخفي خطوطه الخارجية، فأن يكون الحجاب غير رقيق، ألا يكون زينةً في نفسه، أن يكون فضفاضاً ليس ضيقاً.

٥ ــ الشرط الخامس ألا يكون الثوب مُعَطّرَاً:

الشرط الخامس: ألا يكون الثوب مُعَطّرَاً لقول النبي عليه الصلاة السلام:

((أيما امرأة استعطرت، فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية))

[سنن النسائي عن أبي موسى الأشعري]

كل أنواع العطور النسائية التي تستعمل في الطريق، هذه تصف النساء بأنهن زانيات، لأنها بهذا العِطر تريد لفت النظر إليها، تريد أن ينقاد إليها الشباب، والرجال، وهذا درجة في المعصية كبيرة جداً.

٦ ــ الشرط السادس ألا يكون الثوب فيه تشبُّهٌ بالرجال:

الشرط السادس: ألا يكون الثوب ثوباً فيه تشبُّه بالرجال، ثوب المرأة إذا كان مشبهاً لثوب الرجل فأيضاً محرَّم، فإذا ارتدى الرجال السروال لا ينبغي للنساء أن يفعلن ذلك لأنه تشبهٌ بالرجال.

الحجاب الذي فرضه الله على المرأة ليس حرماناً لكنه تكريمٌ وتشريف:

إذاً لا ثوباً ضيقاً، ولا ثوباً رقيقاً، ولا ثوباً مُنْحَسِراً، وليس زينةً في نفسه، وليس معطراً، ولا يشبه ثوب الرجال، ستة شروطٍ لثياب المرأة المسلمة، فثياب المرأة المسلمة متعلقة في دينها، لأنها قد جعلها الله سكناً لزوجها، فحينما تبرز مفاتنها لغير زوجها فقد تجاوزت حدود الله عزّ وجل، وقد خرجت عن طاعته، وأفسدت وفسدت، وآذت وأوذيت.

يجب أن تعلم المرأة علم اليقين أن الحجاب الذي فرضه الله عليها ليس تضييقاً ولا حرماناً ؛ ولكنه تكريمٌ وتشريف، هناك نقطة مهمة جداً ربنا عزّ وجل قال:

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(٢٤) ﴾

(سورة سبأ)

في هذه الآية دقةٌ في النظم بالغة، هو أن الهدى جاء قبله على ــ على هدى ــ وأن الضلال جاء قبله ــ في ــ فما حكمة أن يأتي الهدى مسبوقاً بــ (على) في أكثر آيات القرآن:

﴿ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾

(سورة البقرة: من آية " ٥ ")

هؤلاء في ضلالٍ مبين، ما حكمة أن يأتي الهدى مسبوقاً بــ (على)، وأن يأتي الضلال مسبوقاً بــ (في) ؟ الحقيقة توجد حكمة بالغة هي:

أن الهدى يرفعك لأن على تفيد الاستعلاء، الهدى يرفعك المعنى الأول، وأنت أعظم من الهدى، المهتدي أعظم من الهدى، الهدى يرفعك يرفع شأنك، يرفع مقامك عند الناس وعند الله، يجعل خطّك البياني صاعداً صعوداً مستمراً، هذا الهدى:

﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى(١٢٣)وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(١٢٤) ﴾

(سورة طه)

النفس المؤمنة طليقة بينما النفس الكافرة مقيدة وأسيرة:

الهدى يرفعك، وأنت فوق الهدى، بمعنى أن الإنسان إذا اهتدى إلى الله فهو مُكَرَّمٌ عند الله تكريماً عظيماً، لقولهم فاعل الخير خيرٌ من الخير، وفاعل الشر شرٌ من الشر.

أي أنك إذا عرفت الله واهتديت إليه، الهدى رفعك إلى مقامٍ عَلِيّ:

﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا(٥٧) ﴾

(سورة مريم)

الهدى حررك من العبودية لغير الله عزّ وجل، الهدى أشعرك بالطمأنينة، الهدى أشعرك بالتوازن، الهدى أشعرك بالثقة بالله عزّ وجل، الهدى نفى عنك القلق، نفى عنك الخوف، نفى عنك الحزن، نفى عنك الضياع، نفى عنك اختلال التوازن، وهذه كلها أمراض، إذاً جاء الهدى مسبوقاً بـــ (على).

أما في، هذا الإنسان إذا عصى الله عزّ وجل يبدو للناس أنه حرٌ طليق، ولكنه دخل في دوامة العقاب، فيرتكب خطأً فيصبح أسير خطئه:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) ﴾

(سورة المدثر)

النفس المؤمنة طليقة ؛ بينما النفس الكافرة مقيدة، حبيسة، أسيرة، أسيرة ذنبها، وانحرافها، وخطئها، إذاً:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ (٥٩) ﴾

معنى يدنين عليهن، أي يرخين عليهن:

﴿ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ (٥٩) ﴾

هذا الثوب الواسع الفضفاض الذي يستر المرأة كلها.

بعض المعاني المستفادة من آية الحجاب الأولى:

قال تعالى:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى (٥٩) ﴾

هذا هو الحد الأدنى في المرأة المسلمة، هذه هويتها الظاهرة، لكن هويتها الباطنة ؛ علمها، وفقهها، وإخلاصها لزوجها، وحَدَبُهَا على أطفالها، ذلك أدنى أن يعرفن بالصلاح، وبالعِفّة، وبالطهر:

﴿ فَلَا يُؤْذَيْنَ (٥٩) ﴾

من قبل الفُسّاق، وكأن الله عزّ وجل أشار بهذه الآية إلى أن أية امرأةٍ تبرز مفاتنها للناس كأنها تنتظر أن يوقع الأذى بها، كأنها تدعو الناس إلى أن يؤذوها، تدعو الشباب إلى أن يسمعوها

الكلمات المقذعة، تدعو الرجال إلى أن يرمقوها بنظرةٍ شهوانية، يحرجونها، ما دامت قد سَفَرَت وأظهرت ما يجب أن تخفيه فكأنما تدعو الناس إلى إيذائها.

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا (٥٩) ﴾

لما سلف:

﴿ رَحِيمًا (٥٩) ﴾

بكم في شأن هذه الآية، هذه بعض المعاني المستفادة من آية الحجاب الأولى.

أعيد عليكم مرةً ثانية من باب التوضيح والترسيخ شروط الحجاب: ألا ينحسر الثوب عن بعض أعضاء المرأة، وأن يكون كثيفاً، وأن يكون فضفاضاً، وألا يكون زينةً في نفسه، وألا يكون معطراً، وألا يكون مشبهاً بثياب الرجال، ستة شروطٍ يجب أن تأخذ بها المرأة المسلمة.

كلما كانت المرأة مرموقة في عين زوجها كلما كانت أرضى لله عز وجل:

أما إذا لبست ما يروق لها لزوجها فهذا شيءٌ لا علاقة له بالحجاب ؛ بالعكس إنما قد أمرت به في بيتها، لأن المرأة كلما كانت في عين زوجها مرموقةً أكثر، كانت أرضى لله عزّ وجل، لأنها تسهم في إحصانه، وفي أن يكون أغَضّ للبصر، طبعاً المؤمن لا بدّ من أن يغض بصره، لكن إذا كانت له زوجةٌ على ما يريد فإن هذا أغض لبصره، إذاً تُسْهم في طاعة زوجها لله عزّ وجل، فأن ترتدي ما تشتهي في البيت هذا بحث آخر، هذا ليس خاضعاً للدرس، الدرس متعلق إذا خرجت المرأة من بيتها لشأن شرعيٍ لا ينبغي أن تظهر بثيابٍ تؤذي بها المسلمين، فالآية تتحدث عن خروج المرأة من بيتها، إذا خرجت من بيتها فعليها أن تأتمر بأمر الله عزّ وجل المتعلق بثيابها.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩) ﴾

الشيء الدقيق في الدرس أن الإنسان يجب أن يأمر بناته الصغيرات اللواتي لم يبلغن بعد بالحجاب المُخَفّف، لأن هذا الأمر أمر تأديبي وليس أمراً تشريعاً، كما لو أن الأب أمر أولاده الصغار بالصيام، هذا أمر تأديبي ليتأدّبوا بآداب الإسلام وليس أمراً تكليفياً، والمرأة غير المسلمة لا يحق لها في المجتمع المسلم أن ترتدي ما تشاء، فتفسد شباب المسلمين، لذلك يأمرها أولو الأمر بالحجاب، لا على أنها مكلفةٌ به ؛ بل على أنه أمرٌ من أمر السياسية الشرعية التي أعطيت لأولي الأمر كي يصونوا بها مصالح المسلمين ويأخذوا بأيدي المسلمين إلى طريق سعادتهم.

المنافقون دائماً يريدون السوء بالمؤمنين:

ثم يقول الله عزّ وجل:

﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا(٦٠)﴾

الحقيقة أن المنافقين دائماً يريدون السوء بالمؤمنين، فقد سألني أخ مرة سؤالاً: أيعقل:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾

(سورة النور: من آية "١٩")

لم يفعل شيئاً، لم يتكلم ولا كلمة، فكيف لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة ؟

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ ﴾

(سورة النور: من آية "١٩")

ماذا فعل ؟ ما ارتكب معصيةً، لكنه يحب أن تشيع الفاحشة ؟

الجواب هو: إن الذي يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا هو حتماً في موقع المنافقين، وحتماً ليس مؤمناً، وحتماً في موقع الكفار، فلو أنه مؤمنٌ لما تمنى ذلك، والنفاق الأكبر كما تعلمون أساسه أنه كافر لكن مصالحه متعلقةٌ بالمؤمنين، لذلك سايرهم في بعض أمورهم، وهذا ما يفهم من حديث رسول الله:

((إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب.))

[رياض الصالحين: " متفق عليه " عن عبد الله بن مسعود]

أي هو في الأصل ليس مؤمناً، هو في الأصل كافر، وفي الأصل منافق، لكن تعلقت مصالحه بالمسلمين، فسايرهم وداراهم، هذا الذي يصف الإنسان بأنه منافق.

لا يستقيم إيمانٍ عبدٍ حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه:

إذاً:

﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ (٦٠) ﴾

أي من يتتبع عورة أخيه المسلم فضحه الله في عقر داره، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن:

((قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة.))

[رواه الطبراني عن حذيفة]

لا يستقيم إيمانٍ عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، أن يطلق لسانه فيما نهى الله عنه، أن يخوض في أعراض المسلمين من دون تحقق، من دون تثبُّت، من دون يقين، من دون دليل، أن يروِّج بعض الآراء، أن يروِّج بعض القصص، أن يشهِّر ببعض المؤمنين من أجل أن يلفت النظر إليه، أو أن يمتع الحاضرين بقصةٍ يعرفها قال: هذا عند الله أمر عظيم.

من صفات المؤمن أنه لا ينقل حديثاً إلا بعد التثبُّت والتأكد:

قال تعالى:

﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ (٦٠) ﴾

المرجفون الذين يشيعون الأخبار السيئة، فأنت كمؤمن ليس لك أن تشيع الأخبار السيئة، الخبر السيئ اجعله في نطاقٍ ضيق، نشر الخبر السيئ يضعف العزيمة، يوهن القوى، يسيء الظن بالمؤمنين، وقد يكون هذا الخبر السيئ عارياً عن الصحة، قد يكون إشاعةً، وقد يكون افتراءً، وقد يكون كذباً، فمن صفات المؤمن أنه لا ينقل حديثاً إلا بعد التثبُّت، لقول الله عزَّ وجل:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ(٦) ﴾

(سورة الحجرات)

طبعاً هذه الآية تهديد:

﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا(٦١)﴾

أي أينما وجدوا:

﴿ أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)﴾

الفتنة كما قلت لكم أشد من القتل، فأن تلقي فتنة، أن تلقي شبهة، أن تشوِّه سمعة إنسان، أن تشوه سمعة امرأة مؤمنة، أن تغري زوجها بتطليقها، أن تضعف الثقة بين الإنسان وأخيه، أن تفسد الناس على علمائهم، أن تقطع ما أمر الله به أن يوصل، هذا كله من صفات المنافقين والكفار، فالمؤمن لا ينبغي له أن يفعل هذا أبداً.

من عَدَّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت:

قال تعالى:

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) ﴾

الحقيقة من عَدَّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت.

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) ﴾

هناك ساعتان ؛ الساعة الأولى ساعة نهاية الإنسان، والإنسان أحياناً ينتهي أجله على أتفه سبب، وفي أسرع وقت، بينما هو قائم فارق الحياة، بينما هو نائم فارق الحياة، بينما هو يبني فارق الحياة، بينما هو مسافر فارق الحياة، فساعة كل إنسان لا يعلمها إلا الله سبحانه، والمؤمن العاقل يحتاط لهذا الأمر قبل وقوعه ويستعد لها، فإذا جاءت كان مستعداً لها.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٠٠١) :الحجاب - أحاديث - إني...- الصحابي نعيم بن مسعود

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٤-١٢-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام كنا قد علمنا فيه السابق بفضل الله وتوفيقه موضوعات كثيرة وصلنا في هذه الموضوعات إلى موضوع التبرج، التبرج: إظهار ما يجب إخفاؤه، إظهار محاسن المرأة التي أمر الله بإخفائها، الآية القرآنية التي تتحدث عن التبرج قوله تعالى:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٣٣)﴾

(سورة الأحزاب: الآية ٣٣)

في هذه الآية أسئلة كثيرة، أول شيء: حينما يذكر الله عزَّ وجلَّ شيئاً في كتابه الكريم، فمعنى ذلك أن هذا الشيء أساسي في سلامة المرء وسعادته في الدنيا والآخرة، لا يظن أحد الناس أنه إذا الله عزَّ وجلَّ ذكر آية في القرآن الكريم فيها توجيه اجتماعي أن هذه الآية من الثانويات ما دام الله عزَّ وجلَّ قال: وقرن في بيوتكن، معنى ذلك أن بقاء المرأة في بيتها نظام اجتماعي أمثل تنتظم به الحياة ويسعد به الرجال وتسعد به النساء ويسعد به الناس في الدنيا والآخرة، المرأة إذا خرجت من بيتها وخالطت الرجال سببت فساداً كبيراً، لأن المرأة محببة إلى الرجال، هذه فطرة:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ (١٤)﴾

(سورة آل عمران: الآية ١٤)

كيف أن البارود يشتعل بالنار، من خصائصه.. من خصائص هذه المادة اشتعاله السريع بالنار، فإذا منعت النار عن البارود فهذا مبنيٍ على علمٍ كبير، ربنا عزَّ وجلَّ قال: وقرن في بيوتكن، فلمّا خرجتا ابنتا سيدنا شعيب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لسقي الغنم:\

(سورة القصص: من الآية ٢٣)

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِير﴾

يعني لم يخرجن إلا لسببٍ قاهر، أما من غير سبب قاهر، فينبغي أن تبقى المرأة في بيتها، وليس معنى ذلك أن تبقى جاهلة، بعض الجهلة يقرنّ بين بقاء المرأة في بيتها وبين الجهل، يجب أن

تبقى في بيتها وهي في قمة الفهم والتأدُّب بأخلاق الإسلام والتفقه في الدين وفهم كتاب الله واتباع سنة رسول الله، فربنا عزَّ وجلَّ يقول

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

ليس هنالك حاجة لمزيدٍ من التفصيل لأنَّ كلّكم تعرفون ذلك.

لو إن امرأةً متبرجةً تعمل في مكانٍ يراها الرجال كلّ يوم وكل ساعة، الرجال على أنواع.. بعضهم كالذئب بعضهم كالثعلب بعضهم مريض النفس بعضهم يشتهي ما ليس عنده، أي أنّ هذا شيء طبيعي أن يتقرّب الرجال إليها، فإذا تقرب الرجال إليها شعرت بقيمتها وبخطورة جمالها في الحياة، لذلك فتجدها مستعلية على زوجها في البيت، فتفسد علاقتها مع زوجها، وتفسد علاقة الأزواج مع زوجاتهم، وتحتل مكان رجل في العمل لو عيّن مكانها لتزوج.. إذاً فهي قد عطّلت مكاناً لرجل وعطلت زواجاً لأنثى، ورزقها مضمون على أبيها أو زوجها، هذا نظام الإسلام.. فربنا عزَّ وجلَّ حينما قال: وقرن في بيوتكن أي النظام الأمثل: أن تتفرّغ المرأة لرعاية زوجها وأولادها، وأن تكون عالمةً بأمر دينها وبحقوق زوجها..

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾

السؤال الدقيق: لماذا قرَن الله عز وجل بين أمرهِ الشريف العظيم

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

وبين أمره الآخر وكلمة: ولا.. أو نهيه الآخر:

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

إذاً لماذا قرنهم مع بعضهم؟.. الأصل أن تبقى المرأة في البيت.

يا بنيتي يا فاطمة هكذا قال عليه الصلاة والسلام: ما خير ما تفعله المرأة ؟

قالت: الآ تُرى وألآ تَرى. ألآ ترى، وألآ ترى، صلاة المرأة في دارها خير من صلاتها في مسجدها، وصلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في دارها، الدار مجمل الغرف مع الساحة السماوية، مع الفناء.. أما البيت: الغرفة – وصلاتها في قعر بيتها خير من صلاتها في بيتها _إذاً

في غرفتين، غرفة مطلة على الفناء، فناء الدار، وغرفة داخلية _ لأن المرأة كلّها فتنة، صوتها فتنة، حركتها، مشيتها.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

ما علاقة النهي الثاني: فإذا خرجتنّ لأمر ضروري.. لا تبرجنَ.. فإذا قلنا لأحد: لا تأكل كما يأكل النهم، فهل نحن ننهاه عن الأكل ؟ لا.. لا تأكل كما يأكل النهم، لا تقوموا لي كما يقوم الأعاجم، الأعاجم يقومون تعظيما لملوكهم، أما إذا قام الصحابة الكرام لنبيّهم فهذا التعظيم ليس لذاته بل لحقيقته العظمى، إذاً النهي ليس نهياً مطلقاً.

ولا تبرجن: المرأة لا بد من أن تتبرّج لزوجها، فإذا تركت التبرج لزوجها أثمت، لأنها إذا تبرّجت لزوجها كان تبرُّجها لزوجها أغضّ لبصره وأحصن لنفسه، لكن المرأة غير المسلمة تتبرج لغير زوجها، للأجانب، في الطرقات تظهر مفاتنها لمن ليس له علاقة بها، تبرز مفاتنها لمن لا يجوز له أن يرى مفاتنها، تبرز مفاتنها فتفسد علاقة الأزواج بزوجاتهم، أو تفسد علاقة الشباب بربّهم، أو تفسد علاقة المجتمع بعضه ببعض.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾

يعني هذه الفتنة، هذا الجمال الذي منحه الله للمرأة، حينما منحه من أجل أن يكون عوناً لها على أن يحبها زوجها من أجل الوفاق الزوجي، يعني المرأة محببة، لو أنها تقوم بتربية الأولاد، وتقوم بالوضع وبالحمل وبالرضاع وبالخدمة وبالطبخ وليس لها شكل مقبول لم تستقم الحياة الزوجية، لكن الله سبحانه وتعالى جعل لها هذا الشكل المحبب وقال:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)﴾

(سورة آل عمران: آية " ١٤ ")

من أجل أن تكون ألألفة بينهما.. وقد قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾

(سورة الروم: آية: "٢١ ")

هذه مودة تأتي من أنها محببة للرجل، هذا الشيء الذي منحها الله إيّاه لعلة واضحة إذا استخدمت في غير ما خلقت له فقد فسدت وأفسدت.

﴿ بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

.. في الجاهلية كانت النساء تتبرّج، لا بقصد إرضاء أزواجهنّ، بل بقصد إظهار مفاتنهنّ، لذلك هذه الآية أصل في تفرغ المرأة لزوجها، وفي صونها لنفسها، وأثمن ما تملك المرأة شرفها وعرضها وعفافها، فإذا عرضت هذا الشيء الثمين لأنظار الناس كلّهم فقد أثارت حولها الذئاب،.. الجوهرة المكنونة توضع في علبة مخملية وفي صندوق، أما الشيء التافه الذي لا قيمة له تراه ملقيا في الطريق.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

ومن كلمة الأولى يفهم أنّ هناك جاهلية أمرّ وأدهى سوف تأتي في آخر الزمان.

يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما.

(سورة الأحزاب: آية "٥٩ ")

أكثر المفسرين فسّروا هذه الآية: أنّ الجلباب يجب أن يستر جسد المرأة كله من رأسها إلى أخمصها، هذا هو الجلباب، وسمح أن تبقى عين واحدة مكشوفة كي ترى طريقها.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٥٩)﴾

(سورة الأحزاب: آية "٥٩ ")

والآن أنظر إلى امرأة لا يرى الناس وجهها لا يستطيع أحد مهما بلغ فسقه أن يسمعها كلمة لا تليق في الطريق، ولا أن يتحرّش بها ولا أن يصف شكلها، ولا أن يتكلّم كلاماً يؤذيها، لأنّه لا يراها، فإذا بَدَى الوجه وهو موطن الفتنة في المرأة كانت التعليقات، إن كان فاتناً علّق الناس تعليقاً خاصاً، فإن لم يعلّقوا أضمروا في نفوسهم ما لا تحمد عُقباه، وإن نظروا وإن كان في الوجه دمامة تكلّموا بكلمات تعقِّد هذه المرأة، لذلك ربنا عزّ وجلّ قال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٥٩)﴾

(سورة الأحزاب: آية "٥٩ ")

معنى المرأة التي تظهر مفاتنها قد تؤذي وقد تؤذى، تؤذي بإثارة الشهوات، وقد تؤذى ببعض الكلمات التي تجرح شعورها إن بقي عندها شعور.

على كلٍ.. الآية الثانية:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آَبَائِهِنَّ أَوْ آَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾

(سورة النور: آية " ٣١ ")

المفسرون قالوا: الذي يظهر من زينة المرأة، طولها.. هل تستطيع أن تخفي طولها ؟، كونها ممتلئة الجسم أم نحيلة، هذا شيء لا تستطيع أن تخفيه، لذلك الآية الكريمة تقول: ولا يبدين

﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ ﴾

أما الوجه.. لو أنّ الوجه مستثنى من هذه الآية فتأتي الآية: إلا ما أظهرن.. أي بيدها أن تظهره أو أن لا تظهره، أمّا قوله تعالى: إلا ما ظهر وليس: إلا ما أظهرن منها.. الوجه إلا ما أظهرن، والمعصم إلا ما أظهرن، والرقبة إلا ما أظهرن، كل هذه الأعضاء يمكن ستره إلا ما ظهر من دون قصد ومن دون إرادة ومن دون إمكان إلا ما ظهر منها قالوا: طولها.. وقالوا: ثيابها.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾

الجيب فتحة الصدر، يضربن بخمرهنّ.. والخمار الرداء الذي تختمر به المرأة، والخمر تستر عقل الإنسان.. والخمار يستر المرأة، ولتضرب خمارها من رأسها على جيبها مرورا بوجهها..

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾

وإلى آخر الآية.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: يا أسماء إنِّ المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح لها أن يرى منها. أي أنّ إذا بلغت المرأة سنّ البلوغ لا ينبغي أن يراها الأجنبيّ، لأنها إذا رآها زرعت الشهوة في قلب من يراها.

ويقول عليه الصلاة والسلام: إنّ المرأة إذا أقبلت، أقبلت ومعها شيطان، وإذا أدبرت أدبرت ومعها شيطان.

أي أنّك لو رأيتها مقبلة بزينتها حرّكت الشهوة، وإذا رأيتها مدبرة حرّكت الشهوة.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام: ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء.

ويقول عليه الصلاة والسلام: صنفان من أهل النار لم أرهم، رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر، ونساء كاسيات عاريات.

أي أن شفّ الثوب عن لون الجلد فهذا ليس بثوب، إنها بهذه الثياب كاسية عارية،أي أنّ القماش الرقيق الذي يظهر ملامح الجسد.. هذا يدخل في هذا الحديث، كاسية عارية.. والثياب الثخينة، إذا كانت ضيّقه فوصفت حجم العضو، كاسية عارية.. كاسيات عاريات مائلات مميلات، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليشم من مسافة كذا وكذا،

فكيف أفهم أنّ امرأة مؤمنة تظهر مفاتنها للأجنبي ؟ لا.. الإيمان بقلبها كبير، لا تدع الصلاة..أي أنّ غطاء رأسها تحمله معها في حقيبتها، لكن أن تقول: مضطرة !! هذا كلام مرفوض.. لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، أب سأل بناته لماذا أنتنّ متحجبات ؟ فأجابت كل فتاة بكلمة حسب مستواها.. قالت إحداهن: لأن الله أمر بذلك. قال: جيد. وقالت أخرى: لأنني بهذا أرضي الله عزّ وجلّ. وقالت ثالثة: أنا متحجبة لئلا أؤذي عباد الله.

إذا كان شاباً في مقتبل حياته، أي ملتهب إذا رأى فتاتاً وكان منظرها مثيراً لشهوته، فماذا يفعل بنفسه ؟ وهو جاهل ليس له مجلس علم يعلمه غضّ البصر، ليس له معلّماً يعلمه الدين الصحيح ليس له تعلُّق بالآخرة، فلا بدّ من أن يفسق، وينحرف ويبتغي وراء ذلك كما قال الله عزّ وجلّ.

ولو قيل أنها شريفة لم يستطع الحديث معها ولا تكلّم أساساً وتمشي ونظرها بالأرض!. لكن: قد زرعت الفتنة بنفسه، فإذا لبست المرأة لباس حديث وفق أحدث الموضات معنى ذلك أنّها تدعو الناس إلى النظر إليها، تدعو الناس إلى التهامها بعيونهم، وتقول: إنها شريفة !! أين شرفها ؟! لو أنها شريفة لحجبت مفاتنها عن الذئاب، أقول: الذئاب بالذات.. لحجبت مفاتنها عن الذئاب. مثال مضحك: إذا ركب أحدكم سيارةً عامةً تجد أبوابها منزوعة، لها وضع خاص هي لأنّها عامة، أمّا السيارة الخاصة تلاقيها منتظمة. كذلك عندما تظهر المرأة مفاتنها أصبحت عمومي ولم تصبح خصوصي، أي مستهلكة من الجميع، يستمتع بها الجميع، ولا شأن لها عند الله عزّ وجلّ. أما هذه المرأة التي خلقها الله لتكون لزوجها عند إذٍ يرزقها الله بهاءً إلى أمدٍ طويل، سبحان الله المرأة التي تصون نفسها.. تجدها بالخمسينات مشرقة، والتي يراها الأجنبيّ صباحاً ومساءً.. فتجدها وهي في عمرٍ مبكرٍ يذهب رونقها ويذهب جمالها لأنها استهلكت،.. استهلكت وأهلكت.

وعن موسى بن يسار رضي الله عنه قال: مرَّت بأبي هريرة امرأة وريحها تعصف، _ الآن أين ما مشيت، على بعد ثلاث أمتار تشم ريحة المرأة، فالناس تدفع على العطورات مبالغ طائلة، النساء في الطريق إذا الواحد ليس منتبه يشعر برائحة نسائية.. فينظر.. طبعا أهل الدنيا _ فسيّدنا أبي هريرة مرِّ بامرأة وريحها تعصف، فقال لها: أين تريدين يا أمة ؟. قالت: إلى المسجد. فقال: وتتطيبين !. قالت: نعم. قال: فأرجعي فاغتسلي. _أي أنّه إذا خرجت المرأة متعطِّرة خرجت زانية _ قال: فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: لا يقبل الله صلاة من امرأة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل.

أي أنّ الموضوع حساس ودقيق وكل منا يعرف أبعاده ويعرف أنه كم من طلاق تم بسبب الاختلاط، كم من شقاء وقع في بيت بسبب التبرُّج، كم من انحراف وقع من زوج أو من زوجة بسبب الاختلاط، تعرض علي في هذا المسجد مشاكل كثيرة، أشياء لا تذكر..

رجل متغيّب عن زوجته، وقد دخلت إلى بيت الجار في غيبته، طبعا في إهمال للشرع، هذا الشرع إذا طبقته كان وقاية لك من المشكلات ومن المفاجئات ومن الأمور التي لا تحتملها، فإذا طبّقته ولم تكن عالماً بمضار الاختلاط نجوت،.. جاء رجل إليّ والله في هذا المسجد قصة حدثت منذ ثماني سنوات، بعد ما انتهاء خطبة الجمعة قال لي: والله زوجتي وجدتها تخونني مع رجل، وعندي منها خمسة أولاد.

قلت له: فما السبب ؟.... قال لي: هذا جارنا.. القصة قالها لي من أولها.. قال لي والله قد دخل هذا الجار للبيت ليزورني، فقلت لها: يا أم فلان تعالي أحضري لنا القهوة فجارنا مثل أخاكي. فهذا جاهل بما يكون من من عواقب الاختلاط، فالإنسان الذي يحب نفسه، يحب أن يقضي عمره كلّه مع زوجته في هدوء ودعة واطمئنان إلى أخلاقها وإلى استقامتها ووفائها، لا يعرِّض نفسه إلى المهالك بسبب جهله بالدين.

شخصٌ آخر دعى زوجته إلى العمل خارج المنزل بوظيفة حساسة لها علاقة بضرائب معينة، فجاءتها الهدايا، وجاءتها الأموال، اشترت بيت آخر، غابت عن البيت، استعلت على زوجها، فشعر انّه كما قيل بالمثل _ على نفسها جنت براقش _ ثمّ تركته بعد إذٍ.. فمن هو أمامها؟! هو معجب بها وبقيمتها وبدخلها ولكن على نفسها جنت براقش.. أحدهم نفخ قربة وتعلّق بها بالنهر،

وفي منتصف الطريق فرغ هوائها فغرق.. فقال له بعضهم: (يداك أوكتا، وفوك نفخ.)، أنت نفختها وأنت ربطتها، ربك لم يرد ذلك !!، (يداك أوكتا) يعني ربطتا (وفوك نفخ).

هذا من صنعك.

اسمع أيام إنه: لازم تظهري على أخواتي كلّهم من دون شيء هؤلاء أخواتي، ما هذا ؟ هل هذا الكلام آية أم حديث ؟!! من أين جئت بهذا ؟! جهل.. أيام الأهل يشترطوا على الزوج إن ابنتهم تختلط مع إخوة زوجها، شرط قد شرطوه.. ويقولون له: لا تعمل لنا تفرقه بالعائلة نحن قد تربينا معاً، شيء جميل.. فما هذه العادات !!.

صنف آخر من الناس.. أين فلانة فإنني قد قمت بتربيتها، قد أصبحت زوجة، لا يجوز أن تحجبها عني فأنا الذي ربيتها.. فما هذا الكلام !! كلام جهل وتجد مضاعفات وانحرافات وغمز ولمز، ويفاجئوا بعضهم بأوضاع غير سليمة ويشتكوا من بعضهم ويخونوا بعضهم وتحدث العداوة بينهم، هذه كلها منافذ الشيطان، فإذا أردت أن تحيى سليما من هذه المشكلات فطبّق كتاب الله. الآن إذا قام شخص بشراء آلة، اشترى سيارة فيوجد معها نشرة، السيارات الحديثة معها نشرة بالعربي.. قرأتها بكاملها بلغت حوالي الستين أو السبعين صفحة، وفيها متى يجب أن تضع الزيت، كيف تمسح الزجاج.. فإن مسحته من دون ماء فيتجرّح مثلا، لازم تفحصها من أسفلها كل فترة لكي تعزلها بالزفت وإلا يتآكل الهيكل، فقد وجدت أشياء ضرورية جدا، من الجهة التي على درايةً عالية وتعطيك النصائح الصحيحة لصيانة السيارة؟.. المعمل.. أما إذا كانت سألت من ليس له علاقة بهذه المصلحة إطلاقا يعطيك نصائح غير صحيحة، لا تديرها فترة بالصباح.. تحمّيها.. فلا يوجد وقت فقائل ذلك لا يفهم.

فعندما يتلقى الإنسان نصائح بأمور حياته من جهات غير خبيرة..فسوف يدفع الثمن، أما إذا كان تلقى النصيحة من الخبير:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾

(سورة الملك: آية " ١٤ ")

نحن من خلقه.. نحن خلقناه، وهذا الكتاب: القرآن الكريم.. هو دستورنا في الحياة.. فإن لم تطبّقه تخاف من دفع الثمن.

كنت أقول دائما: إذا الإنسان لمسَ مدفأة فاحترقت يده، العلاقة بين لمسها واحتراق اليد.. هذه علاقة سبب بنتيجة.. أي فهي علاقة علميّة، أما إذا كان الأب اشترى درّاجة لأبنه لنجاحه في الفحص.. فهذه علاقة حكميّة.. أي أنّ الأب قال له: إن نجحت فسأشتري لك درّاجة، هذه علاقة ليست بالضرورة.. علاقة قد وضعها الأب.. فعندما نجح الابن نجح جاء له بالدراجة.

علاقة المعصية بنتائجها علاقة علميّة.. أي أنّ كل معصية يوجد فيها بذور نتائجها، من غير أن يتدخّل الله، نفس المعصية فيها،.. تيار ثلاثة آلاف فولت _ خطر الموت _ فهل لا يوجد خطر إن مسكه أحد ؟ يأتي المسؤول يكتبه ضبط ويخالفه بالموت !! لا.. فسيموت من نفسه منه، من دون تدخّل الدولة، إذا واحد مسك تيار ذو فولت عالي وخالف هذه اللوحة الّتي رسمت عليها.. جمجمة وعضمتين.. فإنّه سيتفحّم على الفور فلا توجد حاجة أن يكتبه مخالفة ويحال على القضاء ويجعله فحماً بالقضاء، فلا حاجة لذلك فمسك التيار نفسه يجعل صاحبه فحماً على الفور.

يجب أن تفهم الدين بهذا الشكل، الاختلاط يسبب خراب البيوت، التبرُّج يسبب فساد العلاقة بين كلّ الأزواج، كل معصية لله عزَّ وجلّ تتسبب في فساد الحياة، من دون أن يتدخّل الله لا يعاقب أحد،فهو سبحانه وتعالى قد قام بعمل نظام دقيق فإن خالفت فستقع، الآن إذا واحد حرّك المقود على اليمين فجأة ويمينه ويوجد وادي هل توجد حاجة لأحد لأن يدفعه في الوادي ؟!.لا.. سيقع من نفسه بالوادي هذا التحريك للمقود بحدّ ذاته توجد فيه بزور الوقوع في الوادي.. هكذا الشرع، لذلك أوامر الشرع ليست قيوداً للإنسان ولكنها ضمان لسلامته.

لا أقول لكم من باب المبالغة: إذا أحبَّ الإنسان نفسه يستقيم على أمر الله، يحب أن يعيش حياة هادئة مع زوجته.. يقول لك: والله عشت معها خمسة وأربعين سنة ما رأيت منها شيئاً أكرهه، معنى ذلك انّك قد حصّنتها وحصّنت نفسك، أما المفاجئات لا يعلمها إلا الله،.. فأنا لا أريد أن أخوض في هذه الموضوعات كثيراً لأنني سمعت قصصاً والله يقشعر منها البدن بسبب الاختلاط. قال أحدهم لأستاذ في المدرسة: أخي عنده ست أولاد من كل أخ واحد.. فله مني واحد ومن أخوه الثاني واحد ومنه واحد.. اختلاط، يقول هذا مثل أخي، لا ! (الحمو الموت.) الذي حرّمه الله فهو حرام، سبحان الله تجد عائلات في قمة الجهل.. الجهل ما له قمة.. بل في حضيض الجهل، أي إذا كان أراد الشاب أن يطبّق الشرع يقيموا عليه النكير، لماذا ؟ يقولون: من أين جاء بهذا الدين!؟ هذا قرآن كريم.. وحديث رسول الله، فهل لا يعجبكم كلام الله عزَّ وجلّ:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٣٣)﴾

(سورة الأحزاب: آية " ٣٣ ")

وقال تعالى كذلك:

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آَبَائِهِنَّ أَوْ آَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾

(سورة النور: آية " ٣١ ")

معدودين سبعة لا يوجد غيرهنّ أمّا هذا أبن عمها.. فمن أبن عمها ؟ بالآية لم يرد ذكره، يقولوا: يا أخي هكذا نحن..هكذا تربينا، وكذلك لم يرد بالآية أبن خالتها وأخوا الزوجة، وخال زوجها، فبذلك يخالفون الشرع.. فتقع المشاكل.

والآن إلى بعض الأحاديث الشريفة التي درجنا قبل رمضان على شرحها بفضل الله وتوفيقه.. يمكن أن يكون الحق مر أو الحق قاسي على بعض الناس، ولكن هذا هو الحق.. إن نحن قلنا أن النسب النظامية للكلسترول بالدم بهذا القدر، فإذا كان عندك نسبةً أعلى، تقول: أنا لا أشعر بشيء،لا.. يجب عليك أن تعلم أنّك مصاباً بحالة مرضية، فإذا الواحد انحرف عن الشرع هذه حالة مرضية والعلاج حتميّ، فإما أن يعالج نفسه قبل أن يعالجه الله عزّ وجلّ.. حتمية المعالجة.. رحمة الله عزّ وجلّ تقتضي أن يعالج كلّ العباد، يقول لك:لم يحدث شيء معنا، نحنا نخالف لم يحدث لنا شيء، هذا الكلام فيه جهل كذلك.. توجد أمراض دورة حضانتها ثلاثين سنة، وبعض الأمراض حضانتها عشر سنوات، وأمراض خمس سنوات.

إذا وضع أحد للأساسات بدلاً من سبع أكياس خمس أكياس فقط، لا.. لم يحدث شيء، بالضبط لم يحدث شيء.. لا بل انتبه فهذا الطابق الخامس أصبح في خطر.. هذا الحديث، صدق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.. لما سيدنا حنظلة كان يبكي في الطريق ورآه سيّدنا الصديق وقال له: ما لك يا حنظلة تبكي؟. قال: نافق حنظله. فقال له: لما يا أخي ؟. قال: نكون مع رسول الله ونحن والجنّة

كهاتين، فإذا عافسنا الأهل ننسى.، قال له: أنا كذلك يا أخي، انطلق بنا إلى رسول الله.، عند النبي الكريم قالا له ما قالا، فقال عليه الصلاة والسلام:

أما نحن معاشر الأنبياء فتنام أعيننا ولا تنام قلوبنا، وأما أنتم يا أخي فساعةً وساعة، لو بقيتم على الحال الذي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة ولزارتكم في بيوتكم.

الإنسان كلّ ما ارتقى إيمانه تشفّ نفسه، يصبح يرى ما لا يراه الناس. الآن إذا شعر أحد بنزول المطر.. يجوز واحد من أهل الدنيا، مطر قالوا اليوم في مطر.. اعرف لنا كم ميللي نازلة اليوم يأتي في نفسه المطر نزلت ومقدارها، وكان يجب أن لا تمطر لأنّ عنده شيء تاركه من دون تغطية مثلاً.. عنده أكياس من الإسمنت من دون ما يغطيهم.. هذا تفكيره ؛ أمّا المؤمن يرى المطر تنزل.. يراها رحمة من الله عزّ وجلّ يرى يد الله تنزلها، يرى استجابة الله لعباده،.. يخطر في باله معاني قد يبكي منها، كل هذه المعاني لا تخطر في بال الكافر أبدا.

عندما يأكل المؤمن الفاكهة يرى الّذي خلقها بهذا القوام بهذا الشكل بهذه الرائحة بهذا الطعم بهذا السعر بهذه الكمية بهذه الغزارة.. تراب في بستان يزرع فيه أشجار من الأجاص والتّفاح والخوخ والمشمش، أثمار متفاوتة في الأشكال والألوان والطعوم، هذه حامضة وهذه كثيرة الحلاوة، هذه هلامية هذه قاسية، هذه لها قشرة هذه ليس لها قشرة، هذه شكلها كمثرىّ هذه مربّعة الشكل، هذه شكلها كروي هذه شكلها دائري، هذه كبيرة هذه صغيرة،..يرى رحمة الله عزّ وجلّ، لذلك المؤمن يرى ما لا يراه الناس، لو كبر إيمانه أكثر يحس أن هذه المخلوقات تسبِّح الله عزّ وجلّ.

إذا إنسان رأى زهرة، والله تجد أنّه قد اقشعرّ بدنه، كائن جميل الله خلقه تسبح بحمد الله، يتجنب أن يدعس على زهرة في الطريق، وإذا ارتقى المؤمن أكثر.. فيشعر كأنها تخاطبه ويخاطبها. واحد صالح بقي بالطعام حبّة من الأرز في الصحن فأكلها قال: سمعتها تقول ربي لا تزرني فردا وألحقني بالصالحين.، الله خلقها هكذا من أجلك أيها الإنسان لما تتركها هكذا هملا ؟.. خلقت من أجلك.. فكلّ ما شفت نفس الإنسان يرى ويسمع ما لا يراه الناس وما لا يسمعون.. أمّا الأنبياء: أعرف حجرا بمكة كان يسلِّم عليّ.

دخل على بستان اللهمّ صلّي عليه فرأى جملاً فلما رآه حنّ.. بكي الجمل.. فتقدّم منه ومسح ظفريه وقال: من صاحب هذا الجمل ؟. فقالوا: فتى من الأنصار. فقال: أدعوه إليّ فلما جاءوا به، قال: أيها الفتى.. ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إيّاها، فإنه شكى إليّ أنّك تجيعه

وتذئبه.

فإنه شكى إلي أنك تجيعه وتذئبه.. لا تنكر على العلماء الكبار، لا تنكر على العارفين بالله أحوالهم.. شفافية نفوسهم.. وكشوفاتهم قل: الله أعلم. فهذا القول: يا سارية الجبل الجبل ؟ هل أنت في مستوى سيّدنا عمر ؟.. وقال سارية: أسمع صوت أمير المؤمنين يحذّرني الجبل.، قال: يا سارية الجبل الجبل. فإذا سمع أحد هذه الحادثة من عالم.. دكتور في الجامعة.. يقول: هذه حقيقة علمية..كم نحن مخدّرين، دخل عندنا دكتور ونحن بالجامعة فقال لنا: هذه الحادثة اسمها التخاطر النفسي.

النفس لا تزال كائن مجهول لها شعاع، توجد حوادث سجّلها العلماء.. امرأة بإيطاليا ابنها في باريس، رأت وهي في المطبخ أن ابنها قد داسته سيارة، بعينها رأته.. هذه اسمها أحلام اليقظة.. بعد أربعة أيام جاء ابنها في نعش مع تقرير موته بنفس الدقيقة..هذه حادثة علميّة ثابتة اسمها _ التخاطر النفسي _ صعب تفسيرها لكنها واقعة، عندما يقولها دكتور بالجامعة فعند إذٍ تصبح حادثة.. يا سارية الجبل الجبل) صحيحة.. وإذا لم يقولها الدكتور فهي غير صحيحة.، هذا هو الجهل.. فأنت لازم إذا وجدت شيء بالعلم يوافق الدين تقبله وليس إذ كان الدين يوافق العلم تقبل الدين، الأصل هو الدين، الأصل ما جاء به كتاب الله.

بعض العلماء قالوا: الحقائق نوعان.. حقائق تنحدر إلينا عن طريق الوحي للأنبياء، وحقائق نكشفها عن طريق التجربة، مصدرها واحد..، ربنا عز وجل قال:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)﴾

(سورة النحل: آية " ٦٨، ٦٩ ")

العسل فيه شفاء للناس.. هذا كلام الله، حقيقة ثابتة قطعيّة.. يجوز أن يكون العلماء الآن قد كشفوا للعسل مليون فائدة، وألّفوا عنه الكتب.. هذا العلم جاءنا عن طريق التجربة، وكلمة: فيه شفاء للناس. هذا عن طريق الوحي،.. العلم الذي جاءنا عن طريق التجربة علم ناقص أحياناً يعتريه الشك والخطأ والنسيان، وأما العلم الذي جاءنا عن طريق الوحي، فكامل مكمّل.

أي إنّك إذا مسكت مذياع ونزعت منه صمّام، فتوقف الصوت.. قلت: هذا من أجل الصوت، قد يكون على طريق الصوت الصمام.. من أجل شيء آخر، أما إذا كان قال لك مخترع الجهاز: هذا

الصمام من أجل ثلاثين فائدة.. هي كذا وكذا وكذا، هذا علم كامل من مخترع الجهاز، أمّا أنت إذا نزعت صمام ورأيت آثار نزعه.. غاب الصوت. قلت: هذا من أجل الصوت، فهذا خطأ، هذا علم ناقص.. قد يكون هذا على طريق الصوت.. أما هو مهمته تصفية الصوت لا إحداث الصوت. العلم التجريبي علم له قيمته لكن يظلّ ناقص، أما علم الأنبياء كامل.. عندما قال ربنا:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٣٣)﴾

(سورة الأحزاب آية " ٣٣ ")

الآن العلماء الأجانب يقترحون إنشاء جامعات للفتيات وجامعات للذكور، في أمريكا نفسها، سبعة وعشرين ألف لقيط في الحدائق وجدوهم ملقون، فيه بلاد نصف سكانها لقطاء.. نصف سكانها، الآن عند الأجانب بدافع علمي بحت يقترحون أن تكون جامعات للفتيات وجامعات للذكور.

والآن إلى قصة لصحابيٍ جليل رضي الله عنه وأرضاه

فقد قام بعمل كبير جداً.. هذه القصة مفادها أن المؤمن يجب أن يكون ذكياً، والله المؤمنين كلهم مكرمين، ولكن فيه مؤمن محدود.. وفيه مؤمن متّقد الذكاء، هذا المتّقد الذكاء.. فالله يجري على يده خيراً كثيراً.

قال: نعيم بن مسعود فتى يقظ الفؤاد المعيّ الذكاء خرّاج _ يفوت هون يطلع من هون.. أي أنّه برم باللغة العامية _ لا تعوقه معضلة ولا تعجزه مشكلة، يمثّل ابن الصحراء من كل ما حباه الله من صحّة الحدث وسرعة البديهة وشدّة الدهاء، لكنه كان صاحب صبوة..

أي له ميول وخدين متعة، كان ينشدهما أكثر ما ينشدهما عند يهود يثرب _ هذا طبعا قبل أن يسلم _ فكان كل ما تاقت نفسه لقينة أو غفى سمعه لوتر شد رحاله إلى منازل قومه بنجد، ويمّم وجهه شطر المدينة حيث يبذل المال ليهودها بسخاء ليبذلوا له المتعة بسخاء أكثر، ومن هنا كان نعيم بن مسعود كثير التردد على يثرب، وثيق الصلة بمن فيها من اليهود وبخاصة بني قريظة. ولما أكرم الله الإنسانية برسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان نعيم بن مسعود مرخي لنفسه العنان، _ لسه على كيفه ماشي _ فأعرض عن هذا الدين الجديد أشدّ الإعراض خوفاً من أن يحول هذا الدين بينه وبين متَعه ولذّاته،_أيام تجد شخص ليس له خلاف مع الدين عقائدي.. خلافه ليس أيدلوجي مع الدين، خلاف تضارب مصالح.. فهو له بعض من الشهوات مستمتع بها وخائف من

أنّه إذا تدين ينحرم منها، يقول لك: لأ ما بدي يا أخي أنا بكير يا حوينتي أنا بكير علي هذا سيدنا نعيم كان من هذا القبيل، ثم ما لبس أن وجد نفسه.. وجد نفسه مسوقاً إلى الانضمام إلى خصوم الإسلام، أنضمّ إلى الخصوم.. كان على الحياد فانضم إلى الخصوم.. مدفوعاً دفعاً إلى إشهار السيف في وجه المسلمين.

لكنّ نعيم بن مسعود فتح لنفسه يوم غزوة الأحزاب صفحة جديدة في تاريخ الدعوة الإسلامية وخط في هذه الصفحة قصة من روائع قصص مكايد الحروب، الحقيقة مذهلة.. قصة مثيرة جداً، قصة ما يزال يرويها التاريخ بكثير من الانبهار بفصولها المحكمة، والإعجاب ببطلها الأريب اللبيب.

فقبيل غزوة الأحزاب بقليل هبّت طائفة من يهود بني النضير في يثرب، وطفق زعماؤهم يحزّبون الأحزاب لحرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والقضاء على دينه،فقدموا على قريش من بني النضيروحرضوهم على قتال المسلمين، وعاهدوهم على الانضمام إليهم عند وصولهم إلى المدينة، وضربوا لذلك موعداً لا يخلفونه، ثم تركوهم وانطلقوا إلى غطفان في نجد فأثاروهم ضد الإسلام ونبيّه، ودعوهم إلى استئصال الدين الجديد من جذوره، وأسرّوا إليهم بما تمّ بينهم وبين قريش،_ أي أن وفداً من بني النضير ذهبوا إلى قريش وحرضوهم على قتال المسلمين، لكن ليس قتال استئصال.. بل حرب إبادة، إنهاء الإسلام كله _ وانطلقوا بعدها إلى غطفان وحرّضوهم كذلك، وعاهدوهم على ما عاهدوهم عليه وآذنوهم بالموعد المتّفق عليه.

خرجت قريش من مكة بقضّدها وقضيدها.. كما يقولون..، وخيلها ورجلها، بقيادة زعيمها سفيان بن حرب متجهةً شطر المدينة كما خرجت غطفان من نجد بعدّتها وعديدها بقيادة عيينة بن حصين الغطفاني، وكان في طليعة رجال غطفان بطل قصتنا نعيم بن مسعود،

خرج مع الأحزاب ليحارب رسول الله، كان في القمّة، فلما بلغ الرسول صلوات الله عليه نبأ خروجهم، جمع أصحابه الكرام وشاورهم في الأمر، فقرّ قرارهم على أن يحفروا خندقاً حول المدينة ليصدّوا عنها هذا الزحف غير المقدس _ طبعا _ الكبير الذي لا طاقة لها به، وليقف الخندق في وجه الجيش الكثيف الغازي،.. هذا كله معروف لديكم.

وما كاد الجيشان الزاحفان من مكة ونجد يقتربان من مشارف المدينة حتى مضى زعماء يهود بني النضير _ انتبهوا دقيقاً _ إلى زعماء يهود بني قريظة القاطنين في المدينة _ الآن مؤامرة

ثالثة._ زعماء بني النضير ذهبوا إلى زعماء بني قريظة وهم يسكنون في المدينة نفسها، وجعلوا يحرضونهم على الدخول في حرب النبيّ، ويحضونهم على مؤازرة الجيشين القادمين من مكة ونجد فقال لهم زعماء بني قريظة: لقد دعوتمونا إلى ما نحبّ ونبغي،ولكنّكم تعلمون أننا بيننا وبين محمداً ميثاقاً _أي في عهد بيننا _ على أن نسالمه ونوادعه لقاء أن نعيش في المدينة آمنين مطمئنّين، وأنتم تدرون أن مداد ميثاقنا معه لم يجفّ بعد _ أي فالحبر طري _ ونحن نخشى إذا انتصر محمد في هذه الحرب أن يبطش بنا بطشةً جبارةً، وأن يستأصلنا من المدينة استئصالا جزاء غدرنا به _ فهي عمليّة خطرة جداً _لكن زعماء بني النضير مازالوا يغرونهم بنقض العهد ويزيّنون لهم الغدر بمحمد صلّى الله عليه وسلّم ويؤكّدون لهم بأن الدائرة ستدور عليه في هذه المرّة لا محالة _أي يعني لا تغلطوا _ ويشدون عزمهم بقدوم الجيشين الكبيرين، فما لبث يهود بني قريظة أن لانوا لهم ونقضوا عهدهم مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ومزّقوا الصحيفة التي بينهم وبينه، وأعلنوا انضمامهم إلى الأحزاب في حربهم _ لكنّ النبي الكريم حفر الخندق تجاه الجيش الغازي أما قريظة في ظهره يسكنون فوقع الخبر على المسلمين وقوع الصاعقة، حاصرت جيوش الأحزاب المدينة وقطعت عن أهلها الميرة والقوت، _ أصبحت محاصرة _ وشعر النبي صلوات الله عليه أنه وقع بين فكّي عدوّين ؛ قريش وغطفان وبني قريظة وبني النضير، فقريش وغطفان معسكرون قبالة المسلمين من خارج المدينة وبنوا قريظة متربّصون متأهّبون خلف المسلمون في داخل المدينة، ثم إن المنافقين الذين في قلوبهم مرض أخذوا يكشفون عن مخبّئات نفوسهم ويقولون: كان محمد يعدنا بأن نملك كنوز كسرى وقيصر، وها نحن اليوم لا يأمن الواحد منا على نفسه أن يذهب إلى بيت الخلاء لقضاء حاجته،كنا نريد أن نصل لقيصر وكسرى الآن نريد أن نقضي حاجتنا لكن لا نستطيع _ ثم طفقوا ينفضّون عن النبيّ جماعة إثر جماعة بحجة الخوف على نسائهم وأولادهم وبيوتهم من هجمة يشنها عليهم بني قريظة إذا نشب القتال حتى لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى بضع مئات من المؤمنين الصادقين، _ أعتقد هذه النقطة أخطر نقطة مر بها المسلمون _ وفي ذات ليلة من ليالي الحصار الذي دام قريباً من عشرين يوماً، لجأ النبيّ صلوات الله وسلامه عليه إلى ربّه، وجعل يدعوه دعاء المضطر ويقول:

اللهمّ إنّي أنشدك عهدك ووعدك، اللهمّ إني أنشدك عهدك ووعدك..في ذلك تعليم لنا إذا الإنسان وقع في مأزق حرج وكبير وتقطّعت به الآمال يلتجئ لله عزّ وجلّ، فهذا الّذي حدث بحسب الظاهر وبحسب التفكير العادي انتهى الإسلام.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام ؛ لا شك أن المسلم، أي مسلم، يتمنى أن ينصر الله المسلمين، بل يتمنى تمنياً شديداً، لأن من أشد حالات الفرح أن تستمع إلى أخبار طيبة عن نصر المسلم، ولكن كما هي سيرة السلف الصالح، إذا وقع المسلمون في مأزق، ووجدوا أن عدواً متربصاً بهم، لا بد من أن يصطلحوا مع الله ولا بد من أن يعيدوا حساباتهم، وأن يراجعوا أمورهم، وقد وجدت أن شيئين خطيرين يقع بهما معظم المسلمين، قضية المرأة، وقضية المال، فحتى نستحق نصر الله عز وجل، وحتى يلقي الله في قلوب أعدائنا الرهبة، ويعطينا الله قوة وعزيمة نواجه بها أعداءنا لا بد من أن نكون مع الله.

﴿ وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾

(سورة المائدة: ١٢)

بشرط:

﴿ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾

(سورة المائدة: ١٢)

معية الله مشروطة، وكما ترون ما من بلد من بلاد المسلمين إلا و يعاني ما يعاني، من عدو شرس، متغطرس حقود، قاسي القلب، بطّاش وحش، فماذا ينجينا من عذاب الله ؟ هذا نوع من عذاب الله، ينجينا أن نكون مع الله، وأن نستقيم على أمر الله، وقد عم الفساد في الأرض، وهذا شيء طبيعي، أما أن يعم بين المسلمين، ومعهم كتاب، ومنهج، ودين عظيم، هنا المشكلة. أيها الأخوة الكرام ؛ لنبدأ بالمرأة، الله عز وجل قال:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(سورة آل عمران: ١٤)

والدنيا كلها متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة، فأن يحب الرجل المرأة شيء مركب في أعمق أعماقه، ومركب في جبلته، ولكن هذا الحب، وهذا الاستحسان مقنن في الإسلام، فالله عز وجل ما حرمنا، ولكن سمح لنا أن نمارس هذه الشهوات التي أودعها الله فينا في قنوات نظيفة، ومن هذه

القنوات الزواج، ولا شك أننا والحمد لله بنعم كبيرة إذا قسنا بلادنا مع بلاد الأجانب، فنحن حالة جيدة بالقياس إليهم، وفي حالة سيئة بالقياس إلى منهج ربنا.

أول نقطة ؛ أكثر النسوة يندبن حظهن، بأن الرجال قد ذهبوا بكل الأجر، إنّهم يحضرون الجمعة والجماعات، وهم يجاهدون في سبيل الله، فقال عليه الصلاة والسلام لامرأة:

((انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله))

[كنز العمال عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

أضيف إلى هذا شيئاً هو أن ثياب المرأة جزء لا يتجزأ من دينها، بل إن ثياب المرأة كل سم مربع منه متعلق بدينها، فالمرأة متميزة عن الرجل في أن ثيابها عبادة، هي إما أن تساهم في إعفاف الشباب فتستر مفاتنها، إلا لمن أن يحل له أن ينظر إليها، وإما أن تسهم في تحطيم الشباب، فماذا تفعل ؟ تدعي أنها شريفة، لكن مفاتنها ظاهرة، والشباب متحرقون إلى الزواج، وهذه امرأة تمشي أمامهم، ولا يستطيعون أن يكلموها، وهي تنشر مفاتنها بين الشباب، فالمرأة متميزة على الرجل بعبادة قد لا تنتبه إليها، حينما ترتدي ثياباً سابغةً كثيفةً وفضفاضةً، وتخفي مفاتنها عمن لا يحل له أن ينظر إليها، فتعصم الشباب من الفتنة.

أيها الأخوة الكرام ؛ هناك نقطة دقيقة، لو جئنا برجل ووضعناه في غرفة، وأغلقنا الباب، ولا يرى شيئاً من ألوان الطعام، لا صورة، ولا فكرة، ولا مقالة، وبعد أيام يجوع، ويكاد يموت جوعاً، لأن دافع الطعام داخلي فلو لم يقرأ كلمة عن الطعام، أو لم ينظر إلى طعام، أو لم يسمع بطعام يجوع، ولذلك في حالات الضرورة سمح للمضطر أن يأكل لحم الخنزير لئلا يموت، والضرورة تقدر بقدرها، وسمح للرجل إذا كاد يموت بغصة أن يتجرع جرعة خمر كي تمر اللقمة إلى معدته، إذاً عندنا أكل عند الضرورة.

ولكن الدافع الجنسي تأثيره من الخارج لا من الداخل، ولذلك قد يعيش شاب في بيئة صالحة، بيئة نظيفة، ليس فيها مثيرات، وليس فيها نساء كاسيات عاريات، ولا مجلات ولا محطات تنقل الدعارة من أطراف الدنيا، وبإمكان شاب تائب مؤمن أن يعيش حياةً هادئة نظيفة خالية من كل ضغط.

فأول نقطة ؛ الدافع الجنسي ليس من الداخل بل هو من الخارج يأتي على أثر إثارة، كامرأة سافرة، أو متفلتة، أو متبرجة، ولذلك ربنا عز وجل يقول:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾

(سورة النور: ٢)

بدأ بالزانية، لأنها هي السبب، فكل مساحة من ثياب المرأة متعقلة بدينها، وكل مساحة ؛ من نوع الثياب، ومن لونها، ومن حجمها، ومن اتساعها متعلق بدينها، وهي بهذا تعبد ربها بثيابها، ولا أقول إلا الواقع، فالرجل أسهل له أن يرتدي ثياباً خفيفة في الصيف، ولكن المرأة ليس مسموحاً لها أن ترتدي ثياباً خفيفةً، فهي أكثر راحةً، ولكنها أشد فتنةً، إذاً ثياب المرأة جزء من دينها، بل إن كل سم مربع من ثياب المرأة متعلق بدينها، ومن عبادة المرأة لربها ثيابها، إنها تسهم بشكل أو بآخر في إعفاف الشباب، إذاً المرأة التي ترتدي ثياباً فضفاضةً سابغةً صفيقةً ؛ أي سميكة، ولو كان الوقت حاراً لها عند الله أجر لا يوصف، لأنها ساهمت في نظافة المجتمع المسلم، بينما المرأة التي ترتدي ثياباً فاضحة، وتدعي أنها مستقيمة وشريفة، وهي كذابة، إنها بمفاتنها تثير غرائز الشباب، وقد تدفع بعضهم لممارسة شيء لا يرضي الله عز وجل إذاً جزء من دين المرأة ثيابها. وأضعكم مع طائفة من أحاديث رسول الله صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ في هذا الموضوع، يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو سعيد الخدري

((أن النبي صلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ قال: إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ *))

(رواه مسلم)

ومعي قصص بحكم عملي في الدعوة إلى الله الذي شرفني به، طبعاً يقع تحت سمعي قصص كثيرةٌ مما يلوذ بإخواننا، فتجد شابًا دُمِّر بسبب فتاة، وانتهى، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح

((عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

(رواه البخاري)

وعن ابن عباس رَضِيَ اللّهُ عَنهُ يقول عليه الصلاة والسلام:

((لم يكفر من كفر ممن مضى إلا من قبل النساء، وكفر من بقي من قبل النساء.))

وعن معاذ بن جبل يقول:

((ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وستبلون بفتنة السراء، وأخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء، إذا تسورن الذهب والفضة، ولبسن رباض الشامي، وعصب اليمن، فأتعبن الغني، وكلفن الفقير مالا يجد.))

((وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ قَالَ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ قَالَ أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَتَمْكُثُ اللَّيَالِي مَا تُصَلِّي وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ*))

(رواه مسلم)

((وقد سألت السيدة فاطمة أباها صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما خير ما تفعله المرأة فقال عليه الصلاة والسلام: ليس للنساء خير لهن من ألا يراهن الرجال، ولا يرين الرجال))

(ذكره القرطبي في تفسيره عند الآية:٤ من سورة العلق)

هذه أحاديث صحيحة تبين أن هناك خطراً كبيراً يهدد سلامة المؤمن، وإيمانه، وسلامته وسعادته في الدنيا والآخرة يأتي من قبل المرأة، ولذلك سداً لذريعة كل فساد أمر المؤمنون بغض البصر.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

(سورة النور: ٣٠)

ولا أقبل، ولا تقبلون أنتم رجلاً يتصف بالإيمان ويطلق بصره في النساء، بل إن غض البصر مدرسة.

﴿النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة، فمن تركها من خوف الله أثابه إيمانا يجد حلاوته في قلبه".﴾

[أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة]

إنها سهم مسموم، يعني يسمم الحياة كلها، أيْ يسمم حياة الزوج، وحياة الأعَزَبِ، وحياة الطالب، وحياة التاجر، وكم من شركة انهارت بسبب امرأة، وكم من طالب رسب في صفه بسبب فتاة، واللهِ الذي أسمعه يكاد لا يصدق، وأذكر لكم ما وصل إلى سمعي من بعض أخوتنا، ممن يلوذ بهم، أو ما قرأته في بعض الكتب التي تتحدث عن قضايا المجتمع، ويقول عليه الصلاة والسلام

((صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مائلات رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا))

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ)

ومن أحاديث أشراط الساعة:

((عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى السُّرُوجِ كَأَشْبَاهِ الرِّجَالِ يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ عَلَى رُءُوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ لَوْ كَانَتْ وَرَاءَكُمْ أُمَّةٌ مِنْ الْأُمَمِ لَخَدَمْنَ نِسَاؤُكُمْ نِسَاءَهُمْ كَمَا يَخْدِمْنَكُمْ نِسَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ))

(رواه أحمد)

إذاً نحن إن أردنا أن ينصرنا الله عز وجل، وأن يرحمنا، وأن ينجينا من أعدائنا، وأن يلقي في قلوب أعدائنا الخوف منا، نحتاج إلى أن نضبط أمورنا، وقد آن الأوان أن أصارحكم، فأنا أعرف طالب علم من رواد المساجد، غير مقبول إطلاقاً أن تكون زوجته غير محتشمة، وغير مقبول إطلاقاً أن تكون ابنته سافرة، ألا ترون في الطريق منظر امرأة محجبة حجابًا كاملاً وابنتُها إلى جانبها بأحدث الأزياء، فلِمَ لا تربِّى هذه الفتاة ؟ كنت أقول لكم دائماً: هؤلاء الفتيات الكاسيات العاريات اللواتي يظهرن مفاتنهن لكل غاد ورائح أليس لهن آباء ؟ أو أمهات ؟ أو أزواج ؟ وأخوات ؟ وأبناء ؟ إلى الله نشكو ما نحن فيه.

أيها الأخوة ؛ أول شيء، من أبواب سد الذرائع، مثل كلمة السيد المسيح: ليس الشريف هو الذي يهرب من الخطيئة، ولكن الشريف هو الذي يهرب من أسباب الخطيئة.

وهنا نقطة مهمة كأن هذه الشهوة صخرة متربعة مستقرة في قمة جبل، فإن أردت أن تدفعها نحو المنحدر لا تستقر إلا بالوادي.

ولعل ٩٥% من حالات الزنى ما أراد الشاب أن يزني، ولم ترد هي أن يزنى بها، ولكن لأنها تساهلت بالإجراءات الوقائية التي شرعها الإسلام فوصلت إلى نهاية الفاحشة، وأول شيء غض البصر.

وما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيرًا منه في دينه ودنياه، ومن غض بصره عن محارم الله أورثه الله حلاوةً في قلبه إلى يوم يلقاه.

ويقول أحدُكم: هذا خيال، فأنا لا أنظر إلى امرأة حقيقة، أنا أنظر إلى صورتها على الشاشة مثلاً، فأنا أضعك أمام هذا المثال، لو كنت في شرفة، وعلى هذه الشرفة مغسلة ومرآة، ووقفت تغسل يديك، فإذا زوجة جارك خرجت إلى الشرفة بثياب فاضحة، وأنت لم تنظر إليها مباشرةً، ولكن نظرت إلى المرآة فرأيتها كما هي، فهل يباح لك أن تنظر في المرآة إليها، وما الفرق ؟ لا فرق إطلاقاً بين أن تنظر إلى جسمها مباشرةً وبين أن تنظر إلى خيالها في المرآة، فالفتنة حاصلة في كلا الحالين، ولذلك فأول إجراء غض البصر، ومن صفات المؤمن أنه عفيف، من غض بصره عن محارم الله أورثه الله حلاوة في قلبه إلى يوم يلقاه.

والشيء الثاني ؛ والله أيها الأخوة كل بند من هذه البنود، معي عنه مائة قصة، ولكن المجال لا يتسع، فالخلوة بالأجنبية، وقد جاءتني رسالة امرأة محجبة وتحضر مجالس علم، ولها زوج دينه متوسط، وله قريب يعزه كثيراً، قال لها إذا جاء ابن عمي فهو كأخي أدخليه في غيبتي، وبذلك أعطاها أمرًا، وانتهى الأمر إلى مالا يحمد عقباه، إلى خيانة زوجية، من خلوة رجل وامرأة في بيت واحد، لذلك:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

(سورة النور: ٢١)

الخلوة بالأجنبية خطوة من خطوات الشيطان، وإطلاق البصر خطوة من خطوات الشيطان.

﴿ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

(سورة النور: ٢١)

والشيطان كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث الحسن بن علي

((إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ *))

[متفق عليه]

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ))

[رواه الترمذي بتمامه عن ابن عمر]

قد تطرق الباب أخت زوجتك، وزوجتك ليست في البيت، وقد أتت من طرف المدينة، وخجلت منها فأدخلتها، فأنت خرجت عن مظلة الله عز وجل، فأدخلها واخرج من البيت، إن كنت إنسانياً لطيفاً فاخرج من البيت، أما أن تخلو بامرأة لا تحل لك، ولو كانت ابنة عمك أو ابنة خالتك، أو ابنة عمتك، أو أخت زوجتك، ولو كانت من الأقارب غير المحارم.

((فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ إِيّاكُمْ وَالدّخُولَ عَلَى النّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ قَالَ الْحَمْوُ الْمَوْتُ))

[متفق عليه]

الحمو أخو الزوج، أو أخت الزوجة، فأخو الزوج، وأخت الزوجة لهما من الطرف الآخر ألف سبيل وسبيل، في بيت واحد، وقد يكون فيه دعابة، ومزاح، والبيت صغير، ومرافقه محدودة، والمرأة من المطبخ إلى الحمام، وترتدي ثياب البيت، ومن أشد أنواع الفتن أن يختلط الرجل بزوجة أخيه، أو أن تختلط المرأة بأخِ زوجها، والله أيها الأخوة قصص من هذا المسجد، لا أقول من أخوتنا الملازمين، لا، ممن حولهم قصص كثيرة جداً انتهت بالفاحشة بين المرأة وحميها، أو بين الرجل وحميه.

وشي آخر ؛ زنى العينين علاجه غض البصر، وزنى اليدين علاجه

(إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ))

(رواه النسائي عن أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ)

وقد سمعت قصةً والله راقت لي، وزيرة نفط زارت بلداً إسلاميًّا، ووزير النفط في هذا البلد دعا كبار موظفيه لاستقبالها في المطار، ويبدو أن أحد كبار موظفيه متمسك بالدين تماماً، فلما نزلت من الطائرة ليصافحها كبار المستقبلين، هذا الموظف المستقيم الملتزم اعتذر على أن يصافحها فانزعجت انزعاجاً لا حدود له، والوزير هناك انزعج أيضاً وقال له: هل تأكلك لو صافحتها ؟ لقد سوّدتَ وجهنا، هكذا قال له على طعام الغداء، فسألت وزير النفط: هذا الذي لم يصافحني أين هو ؟ طبعاً هو عندما لم يصافحها طرده من الوليمة، وقال: لا تأتِ اليوم، فقال له: لا بأس، فسألت عنه، فقال لها لعله اعتذر، قالت: أريد أن أراه، فاضطر الوزير إلى أن يسأل عنه، وأن يدعوه، ولو كانت الدعوة متأخرةً، قالت له لمَ لم تصافحني ؟ قال لأنني متمسك بديني، وديني يأمرني ألا أصافح النساء، فقالت له: لو أن المسلمين مثلك لكنا تحت حكمكم، وهي من دولة عظيمة، فالمؤمن ملتزم.

ومرة سئلت من قبل أخت، كنت ألقي محاضرة في أمريكا، قالت لي: لِمَ لا نصافح الرجال ؟ وهذا شيء محرج بالنسبة إلينا، فلمَ هذا الحكم الشرعي ؟ فقلت لها وقتها: إن الملكة في بريطانيا لا يصافحها إلا سبعة رجال بحسب القانون البريطاني لعلو مقامها، وعندنا المرأة ملكة، لا يصافحها إلا سبعة رجال بحسب القانون القرآني.

وقد حدثني أخ فقال لي: والله كنت مسافرًا في عمل أشتري حاجات لمعمل ضخم من ألمانيا، دخلت على المدير العام فإذا عنده امرأة مديرة مكتبه، أو سكرتيرة، فقال لي: والله نصفها الأعلى عارٍ كله، فأنا غضضت بصري غضاً حازماً، فدخلتْ وأبلغته، هذا إنسان غريب، طبعاً هو أعجب بعفته،فأخذ تسهيلات في الدفع، وأسعارًا منخفضة، وأخذ كمية قليلة، في حين أن إنسانًا قبله من بلد آخر ملأ عينيه من محاسنها، فأخذ أسعارًا أعلى، فحتى المرأة تحترم العفيف، وتحتقر الذي يملأ عينيه من محاسنها.

فهذا الذي يصافح ابنة عمه، وابنة خاله، وابنة عمته، وابنة خالته ، وأخت زوجته، هذا يخالف منهج رسول الله عليه الصلاة والسلام قال:

((إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ *))

(رواه النسائي عن أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ)

بل إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له))

[رواه الطبراني: عن معقل بن يسار]

((وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنْ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ *))

[أخرجه مسلم]

وقال في الحديث الصحيح

((إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ *))

(رواه النسائي عن أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ)

وفي حديث آخر:

((لا أمس أيدي النساء))

[رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف

((وعَنْ عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ عَنْ بَيْعَةِ النِّسَاءِ قَالَتْ مَا مَسَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ امْرَأَةً قَطُّ إِلَّا أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهَا فَإِذَا أَخَذَ عَلَيْهَا فَأَعْطَتْهُ قَالَ اذْهَبِي فَقَدْ بَايَعْتُكِ *))

(رواه مسلم)

هذه واحدة، أيضاً أن تسمح لزوجتك أن تصافح من تشاء، كيف ؟ ولِمَ تصافحه ؟ وكيف التقت به أساسًا، وكيف نظر إليها.

إذاً الذريعة الثانية؛: عدم مصافحة المرأة الأجنبية، والأولى: عدم الخلوة بالمرأة الأجنبية، والأولى الأولى: غض البصر عنها.

والآن سفر المرأة من غير محرم، ففي رحلة طويلة كنت أركب الطائرة وورائي امرأة مسافرة من بلد بعيد من أقصى الغرب إلى دمشق تركب وحدها، وقد ركب إلى جانبها رجل، وأنا أسمع حديثهما، والله شيء عجيب، الحديث وصل إلى علاقات حميمة، وإلى علاقتها بزوجها ، وهي تضحك وتتفاصح أمامه، ويتدخل في شؤونها، والمرأة في السفر وحدها مغرية، هناك من يسمِعها كلمات معسولة، ومَن يسألها عن أحوالها، وعن زوجها، وعن علاقتها به، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((لَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ))

[رواه البخاري عن ابن عمر]

ولو أرادت أن تحج، يعني من أبشع ما سمعت أنه من هناك يعقد زواجاً صورياً على امرأة من أجل أن تحج معه، وهذا والله لعب بدين الله.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا حُرْمَةٌ *))

[رواه البخاري عن أبي هريرة]

فالطائرة قد تتعطل، وقد يضطر الركاب النوم في الفندق، تنام في غرفة وحدها، وهناك من يطمع بها، وهناك مشكلات كثيرة، وقد سمعت قصة إنسانٍ مقيمٍ في دول الخليج، وعاد إلى بلده مصر، وتزوج امرأة عقد قرانه عليها، وسافر إلى بلد العمل، ووعدها أن يستقدمها بعد أن تجهز نفسها، ويبدو أنها وصلت إلى المطار بعد أشهر، وهي غير محجبة، وهناك من أنبأها أنه عنده اجتماع خطير، وأنا سأقودك إلى البيت، فصدقت، وقد زنى بها أناس كثيرون، لأنها من دون محرم، والقصة طويلة وشائكة.

وعلى كلٍ، فهناك أخطار كبيرة من سفر المرأة وحدها، والنبي الكريم وهو مشرع يقول

((لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا حُرْمَةٌ *))

[رواه البخاري عن أبي هريرة]

وهذا المحرم يجب أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً ذكراً، أبوها، أو ابنها، أو زوجها، أو أخوها، هكذا، وهم من محارمها الذين يحلُّ لهم أن يروها.

ومن لوازم غض البصر أنه لا يجوز أن ينظر الرجل إلى عورة الرجل والفخذ عورة، كما أنه لا يجوز أن تنظر المرأة إلى عورة المرأة وهناك عورة للمرأة على المرأة، وكل عضو لا يجوز النظر إليه لا يجوز مسه أيضاً، وهذا شيء ثابت.

والدياثة: نعوذ بالله منها قلّمَا نجدها في بلادنا، ولكن

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ الْخَمْرِ وَالْعَاقُّ وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ *))

(رواه أحمد)

فهو يمشي مع زوجته في أبهى زينة، وهو مرتاح، زوجتي فلانة، كلما التقى بصديق يعرّفه بها، وسهراته مختلطة كلها، وهذا الذي لا يغار على عرضه، زوجته بكل فتنتها وزينتها تبدو أمام أصدقائه، بكل جمالها ورشاقتها، وتبدو أمام أقربائه غير المحارم، فهذا لا يغار على عرضه، وهي تخرج إلى الشرفة بثياب رقيقة شفافة، وليس عنده مشكلة أبداً، فهذا الذي لا يغار على عرضه ديوث، وبها وصفه النبي عليه الصلاة والسلام.

قرأت قصةً لأخ كريم ألف كتابًا عن جرائم وقعت، والمجرمون مودعون في سجن عدرا، ٦٣ جريمة، إحدى هذه الجرائم ضحيّتُها امرأة في أول أيام عرسها تتزين، وغير منضبطة أمام الجيران، ويبدو أن جاراً لها شديد الشدق كما يقولون اقتحم البيت، وفعل بها الفاحشة، طبعاً طلقت من زوجها، وانتهت حياتها الزوجية.

فهي امرأة لا تبالي أن تظهر على الشرفات بثياب غير محتشمة، فهذه المرأة تدعو الناس إليها، وهناك لسان حال ولسان مقال، وقد تكون ساكتة، لكن ثياب المرأة دعوة للرجال، فكلما كانت الثياب فاضحة فكأنها تدعو الرجال إلى أن يتحرشوا بها، ولذلك من أدق الآيات الكريمة قوله تعالى:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾

(سورة الأحزاب: ٥٩)

وأنا أتحدى أن امرأة ترتدي ثياباً محتشمةً كاملة وتستر وجهها فلا يمكن لشاب ولا لإنسان في كل حياتها أن يسمعها كلمة واحدة، لأنه لا يرى منها شيئاً، ولا يرى خطوط جسمها، إذ ثيابها فضفاضة وسابغة إلى الأرض، ووجهها مستور، ولا يمكن لإنسان مهما كان صفيقاً، أو بذيئاً، ومهما كان زير نساء لا يمكن أن يسمعها كلمة واحدة، فالمرأة المحجبة ملكة، لها هيبة، وكلهم

يعاملونها باحترام، أما حينما ترتدي ثياباً فاضحة فإنها تسمع في الطريق ألف تعليق وتعليق، ومنها تعليقات بذيئة، وتعليقات مهينة، وجارحة، ولا تحتمل لأن بثيابها الفاضحة تدعو الرجال إليها.

والآن ما يجري في بعض البلاد الإسلامية وهي عادة غير متفشية عندنا أن تركب مع السائق دائما، إذ يستقدمون سائقين من بلاد بعيدة من شرقي آسيا، وهذا في دول الخليج، وكأن السائق من أهل البيت، فالبنات والنساء يركبن معه ويضحكن، هذا أيضاً من نوع الخلوة بالأجنبي، و المصعد خلوة، والشاب الورع لا يركب مع فتاة وحدها في مصعد، و السيارة خلوة، وهذه عليها تعليقات طويلة، وخاصة السيارة بشكل إيماني.

والآن خروج المرأة من بيتها من دون حاجة، وهي غير محتشمة ولا ملتزمة بآداب الإسلام ألم يقل الله عز وجل:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾

(سورة الأحزاب: ٣٣)

فامرأة تشتري حاجات من السوق فأسمعها البائع كلمات معسولة، فاستلطفت هذه الكلمات، ولم تسمعها من زوجها، وقدم لها هدية، فابتسمت له، وانتهى الأمر بالفاحشة، وسببها خروج غير ضروري.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾

(سورة الأحزاب: ٣٢)

ووقت هذا الدرس مع ما يجري في الأرض المحتلة، فلا بد أن نعود إلى الله حتى يلقي المهابة في قلوب أعدائنا، ولا بد أن نعود إلى الله حتى نستحق أن ينصرنا الله على أعدائنا، وأحد أكبر المعاصي الآن موضوع النساء.

وفيما روى الطبراني:

((إنما النساء عورة وإن المرأة لتخرج من بيتها وما بها من بأس فيستشرفها الشيطان فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبتيه، وإن المرأة لتلبس ثيابها فيقال: أين تريدين ؟ فتقول: أعود مريضا أو أشهد جنازة أو أصلي في مسجد، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده في بيتها.))

وأقول ذلك للتي تخرج غير محتشمة، أما المرأة التي تخرج لدرس علم وهي محتشمة وثيابها فضفاضة، وسابغة، ووجهها مستور، فهذه لا علاقة لها بهذا الحديث.

وإن شاء الله في درس قادم أتحدث عن خمس صفات لثياب المرأة، وأول صفة استيعاب صفات جميع البدن، والصفة الثانية ألاّ يكون زينة في نفسه، والصفة الثالثة أن يكون صفيقاً لا يشف، والصفة الرابعة أن يكون فضفاضاً غير ضيق، والصفة الخامسة ألا يشبه ثياب الرجال، ولا واحدة مطبقة، ألا يشبه لباس الكافرات، وألا يكون لباس شهرة، وإن شاء الله في درس قادم نتحدث عن صفات المرأة، وهذه خطوة عملية كي ننتصر على أعدائنا، نبدأ ببيوتنا، وبنسائنا، وبناتنا، وكل واحد مسؤول عن رعيته، فالأب مسؤول عن ابنته، أما أنه هو بوادي وهي بوادٍ، فما هذا المسلم ؟ يقول: واللهِ أنا أنصحها، ولكن لا ترضى ابنتي، فهذا كلام لا يقال إطلاقاً، إذْ معك سلطة عليها، تنفق عليها، فترغبها، وتخوفها، وتسترضيها أحياناً، وتكرمها، فالمرأة ليست صعبة المراس، بل سهلة المراس، ولكن تحتاج إلى حكمة، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الانتفاضة في الأرض المحتلة سببًا لرجوع المسلمين إلى دينهم، وما منا واحد إلا ويتمنى النصر، والنصر بيد الله عز وجل، ولا بد لنستحقّ عند الله النصر، أنْ نستحقه بالتزامنا وتطبيقنا، فموضوع المرأة والمال موضوعان خطيران جداً من موضوعات حياتنا.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة – الدرس (١٢٩) :فتنة النساء٢ – خصائص ملابس النساء.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-١٠-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام ؛ أعوذ بالله أن أقع وإياكم في المبالغة، ولكنني واللهِ متأكد أنه مِن أكبر أخطار المسلم التي تصرفه عن الله، وتحجبه عنه ، والتي تسبب فتور عباداته، وإعراضه، هو المرأة، ولذلك فثياب المرأة جزء من دينها، بل إن كل سنتيمتر مربع من ثيابها متعلق بدينها.

أيها الأخوة الكرام ؛ لو أن محطة وقود فيها مكان لإعلان واحد، و نكتب في هذا الإعلان مليون حكمة، فلو اخترنا من مليون إعلان إعلانًا واحدًا " التدخين ممنوع "، لأن الدخان المشتعل قد يحرق هذه المحطة كلها، وقد يتلفها، فحينما اخترنا من بين مليون إعلان إعلانًا واحدًا فمعناه شيء خطير، وشيء مصيري.

وحينما نجد في كتاب الله، هذا القرآن الذي تعبَّدَنا الله بتلاوته إلى يوم القيامة، وحينما نجد في كتاب الله آياتٍ كثيرةً متعلقةً في حجاب المرأة وسترها، وإخفاء زينتها، وحشمتها، وأدبها، وحيائها، فمعنى ذلك أن هذا العصر الذي تفلتت فيه المرأة، ولبست ما تشتهي، وأبرزت من مفاتنها ما تريد، فشغلت الناس جميعاً صغيرهم وكبيرهم، متزوجهم وغير متزوجهم، ومعنى ذلك المرأة الواحدة قد يفوق خطرها ألف مِدفَع، ونحن كنا مستعمرين قديماً، لكنه استعمار واضح، جندي فرنسي، لابد أن نقاومه، أما الآن فهناك غزو فكري، غزا العالم الثالث، فأحال كل بيت ملهى، وأحال كل بيت مكانًا تُنتَهك فيه حرمات الله عز وجل، فانصرف الناس عن دين الله، فهناك من ترك الصلاة وهو في الستين، واتبع ما تبثه الفضائيات، وأقول لكم هذا الكلام وأرجو الله عز وجل أن تكون الموضوعات التي أختارها موضوعات أساسية، ومصيرية وحاسمة، ومتعلقة بمستقبل إيماننا، ذكرت لكم في الدرس الماضي أحاديث كثيرة كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام حذرنا من المرأة فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في المرأة.

اتقوا الخمر والنساء.

فأكبر ما يصرفك عن الله المرأة، ويمكن لأخ أنْ يكون بأعلى درجة من الإيمان، وبأعلى درجة من الإقبال والورع، والسعادة، وهو يعمل في محل كل مَن يدخله مِن النساء الكاسيات العاريات، فلا يمكن إلاّ أنْ تتبدل نفسه فيعرض، ويكون على وجهه غمامة، مِنْ إطلاق البصر، فالوجه فيه ضياء مِنْ غض البصر.

فيا أيها الإخوة ؛ والله لا أبالغ إذا قلت: إن من أكبر الصوارف التي تصرف المؤمنين في آخر الزمان عن ربهم، وتوقعهم في الإحباط، توقعهم في التقصير وتوقعهم في الحجاب هو هذا البصر، الذي أمرنا أن نغضه.

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

(سورة النور: ٣٠)

ألا تريدون أن تكون لنا عبادة نمارسها في اليوم مئات المرات، بل آلاف المرات، كلما غضضت بصرك عن امرأة لا تحل لك أورثك الله حلاوة في قلبك إلى يوم القيامة، وكل شيء محفوظ عند الله عز وجل.

زوجة طلبت من صحابي شيئاً من الدنيا، قال: اعلمِي يا أمة الله أن في الجنة من الحور العين ما لو أطلت إحداهن على الأرض لغلب نور وجهها الشمس والقمر، فلئن أضحي بك من أجلهن، أفضل ألف مرة من أن أضحي بهن من أجلك.

أيها الإخوة، الآية التي سأبدأ بها موضوع هذا الدرس، وعدتكم أن يكون هذا الدرس في شروط لباس المرأة، وأنا والله متأكد أن كل هذه الشروط غير مطبقة، وأن سبب الفساد تفلت نساء المسلمين من هذه الشروط، طبعاً في الأعم الأغلب، يقول الله عز وجل:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آَبَائِهِنَّ أَوْ آَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِالنِّسَاءِ﴾ ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾

(سورة النور: ٣١)

أول شيء في هذه الآية أن المرأة مأمورة بصريح هذه الآية أن تستر زينتها كلها، وألا تظهر منها شيئاً أمام الأجانب، وهذا أمر الله عز وجل في القرآن الكريم

(("ولا يبدين زينتهن))

كل شيء زينها الله به ينبغي ألا تبديه للأجنبي، وكل زينة زينها الله بها لتكون محبوبةً عند زوجها، ولتكون مرغوبةً، ومطلوبةً، ومرجوةً، هذه الزينة إنما صممت من أجل الوفاق الزوجي،

والحب بين الزوجين، ومتانة العلاقة بينهما، لا من أجل أن تكون هذه الزينة لكل الناس، وإذا كانت لكل الناس دخلنا في فساد عريض، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾

(سورة آل عمران: ١٤)

فالله عز وجل زين حبِّب المرأة في قلوب الرجال، فلو أن امرأة بالعمل ترتدي أجمل الثياب، وتتحرك حركات لطيفة، وتتكلم كلام لطيفاً رقيقاً فهذه تفتن كل الموظفين، والوضع اختلف، فقد يكون أحد الموظفين عنده زوجة وقد أنجبت له خمسة أولاد، وهي تعاني من نقص في صحتها، فانصرف هذا الرجل إلى هذه الفتاة التي تبدو أمامه حسناء عن زوجته ، فأول فتنة يقع فيها المسلمون الاختلاط، الاختلاط مع إبداء الزينة، وهذا كلام حقيقي، وكلام واقعي، لكن الحق مر، والناس لهم كلمات مضحكة مثل " أختي إن شاء الله"، لا ليست مثل أختك، من قال لك إنها مثل أختك ، قرأت كلمة البارحة أعجبتني، مدرس وطالبة، مدير وسكرتيرة، رجل يعمل في الدعوة وامرأة، وطالبة علم، لو جئت بمائة حالة، إنهما رجل وامرأة في النهاية، ولذلك حينما يخلو رجل بامرأة يأتي الشيطان فيزينها له.

((لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان.))

[رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني]

وهناك أشياء في الإسلام بديهية، لكن لأن مخالفتها عريضة جداً فنؤكد عليها، والله عز وجل أراد أن يميز المرأة المسلمة عن نساء الجاهلية ونساء المشركات، كما بين ابن كثير في تفسيره. فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبدي زينتها لمن لا يحل النظر إليها.

وهذه حقيقة، فالوجه من الزينة، بل كل الحسن مجموع في الوجه ، والأعضاء من الزينة

((ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها "))

والطول زينة، وهذا الطول ليس بإمكانها أن تخفيه، والامتلاء زينة، وليس بإمكانها أن تخفي امتلاءها

((ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر " ولم يقل إلا ما أظهرن منها، فإلا ما أظهرن موضوع ثانٍ، والموضوع كله اختلف، أما " إلا ما ظهر منها "))

دون أن تستطيع إخفاءه، كلون ثيابها، وطولها، وامتلائها.

وفي الآية كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى تصريح لوجوب ستر العنق والصدر، وذلك لقوله تعالى:

((" وليضربن بخمرهن على جيوبهن "))

غطاء الرأس، كانت نساء الجاهلية يضربنه إلى خلف الظهر، فيبدو العنق والوجه والأذنان، جاء الأمر أن يضرب هذا الجلباب على الصدر مروراً بالوجه، فهذا الخمار كما قال الله عز وجل "

((وليضربن بخمرهن على جيوبهن "))

والجيب هو الصدر، وهذا الخمار ستر الوجه والعنق والأذنين والصدر، وهذه الآية، قرآن، قرآن يتلا إلى يوم القيامة، كلام خالق الأكوان، ذكر القرطبي في أمور الدين لا يوجد رأي شخصي.

((إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.))

وبالدين لا توجد أهواء، ولا واقع مر، فالواقع المر يجب أن يغير قال القرطبي: إن النساء كن في الجاهلية إذا غطين رؤوسهن بالأخمرة وهي المقانع، أسدلنها من وراء الظهر كما يصنع النبط، فيبقى النحر والعنق والأذنان لا يسترهما شيء، فأمر الله تعالى بأن يضرب الخمار على الجيوب، والجيوب ؛ هي الصدور، وهذه واحدة، إذاً خمار الرأس كان يضرب إلى الظهر، ويبقى الوجه والعنق والأذنان مكشوفة فجاء الأمر

((" وليضربن بخمرهن على جيوبهن))

" تستر الوجه، والعنق، والصدر وفي آية ثانية:

((" ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن "))

إذاً الأرجل زينة، وزينة الأرجل، حتى الكعب، يدل على أن النساء يجب عليهن أن يسترن أرجلهن أيضاً، وهذا نص على أن الرجلين والساقين مما يخفى، ولا يحل إبداؤه، وأنا لا أنقل لكم من عندي شيئاً، فلا يوجد إنسان بإمكانه أن يكون مشرعاً، بل أنقل لكم ما في بعض كتب التفسير الراقية القرطبي كتاب تفسير كبير جداً، وابن كثير، حول آيات الحجاب.

ويشهد لهذا من السنة حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهما قال: قال عليه الصلاة والسلام: مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ

((: فَكَيْفَ يَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ قَالَ يُرْخِينَ شِبْرًا، فَقَالَتْ إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ قَالَ فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.))

[رواه الترمذي]

إذاً المرأة مستثناة من حديث جرالإزار، إذْ يجب أن يكون الجلباب سابغاً، وفي الحديث رخصة للنساء في جر الإزار لأنه يكون أستر لهن.

وقال البيهقي: وفي هذا دليل على وجوب ستر قدميها، ومن خالف هذا فقال: إن القدمين ليستا بعورة، فإنه ليس معه دليل.

هذا ما جاء في القرطبي وفي ابن كثير، حول ضرب الخمار على الصدر، وحول عدم إظهار الرجلين بكل مساحاتهما، ثم إن الله عز وجل في موضوع آخر يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٥٩)﴾

(سورة الأحزاب: ٥٩)

والله أيها الإخوة لو لم يكن في الكتاب إلا هذه الآية لكفت، بربكم لو أن امرأةً تستر كل مفاتنها، أقول كل مفاتنها، ولا يرى منها شيء ، هل يمكن لشاب أن يُسمِعها كلمة واحدة، مستحيل

((ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين"))

أما الروعة بكلمة أدنى.

إذا رأيت في الطريق شباباً يرتدون ثياب الفتوة، فماذا تظن ؟ تظنهم طلاب مدرسة، يا ترى أن يرتدي الشاب هذه البذلة الخضراء هل هذا دليل يقيني على أنه طالب مدرسة، أم دليل ضعيف جداً، بل هو أدنى دليل.

فالمسلمة لا يكفي أن تستر مفاتنها فتكون مؤمنة فقط، فهناك حقوق الزوج، وهناك تربية الأولاد، ومعرفة الله، وأداء فرائضها وحسن رعايتها لزوجها، وأولادها، وطاعتها لربها، وخشيته، وهناك أشياء كثيرة، أدنى ما يشير إلى أنها مسلمة، أنها مستورة " ذلك

((أدنى أن يعرفن".))

أنا حينما أرى شابًا يرتدي بذلة خضراء، أقول: هذا طالب، أما قد يكون مطرودًا من كل مدارس القطر، وقد يكون آخذ أصفار بكل المواد ، لكن أقل دليل يشير إلى أنه طالب هذا الثوب.

فهناك نساء يتوهمن أنهن لمجرد أن ترتدي إحداهن ثياباً سابغةً ساترةً هي مسلمة كبيرة، لا، بقي عليها أن تعرف الله، وأن تؤدي الفرائض، وأن ترعى حق زوجها، وأن ترعى حق أولادها، وأن تقبل على الله، فهناك واجبات كثيرة تنتظرها، لكن أدنى ما يشير إلى أنها مسلمة حجابها، فإن لم تكن محجبة، فالحد الأدنى غير متوافر، إذاً إيمانها بقلبها فهذا كلام مضحك، وتصلي، وهي مصدر فتنة لكل من يراها في الطريق.

ولذلك فالآن عندنا شيء آخر في الحجاب، أن ترتدي الجلباب وهي ترتدي ثيابًا عادية، ولا بد من أن ترتدي فوق الثياب جلباباً نسميه معطفًا الآن في بلادنا، أو عباءة في بلاد الخليج، وهو ثوب يغطي ثيابها، وهذا الثوب فضفاض، ويخفي كل خطوط جسمها، وهناك معاطف ضيقة، على قدر جسم المرأة، وهذه المعاطف لا تعد جلباباً، فالجلباب هو الثوب الساتر الخارجي، وهناك ثياب من قطعتين، وهذه غير شرعية، ولا بد من ثوب ساتر فضفاض، والأكمل أن يغطي رأسها مع جسمها، وفي بعض توجد البلاد في تقاليد معينة، وعلى كلٍ فلا بد من ثوب ساتر هو الجلباب، ولا بدّ أن تكون المرأة المسلمة مجلببةً ومنقبةً، وهذا هو الحق ولا أريد أن أحرج أحدًا، ولكن هذا هو الكمال، فأنت ينبغي لك أن تصل إلى هذا المستوى، أو أن تضع هذا الكمال نصب عينيك.

وبعض العلماء يقول: ينبغي للمرأة إذا خرجت من دارها أن تستر بدنها كاملاً، وأن تلبس العباءة، أو الجلباب كما جاء ذلك في الآيتين السابقتين، وذلك أستر لها، وأبعد عن أن يصف حجم رأسها وأكتافها وهذا أمر يطلبه المشرع الحكيم

((ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين"))

وأنا أتحدى أن تستمع امرأة تستر كل مفاتنها وفق الشريعة الإسلامية، ترتدي الجلباب، وتضرب خمارها على صدرها، ولا تضرب بأرجلها حتى لا يعلم ما تخفي من زينتها، فلو طبقت هذه الآيات الثلاث، فلا يمكن أن يتحرش بها شاب على الإطلاق، لأنه لا يرى منها شيئاً، وسبحان الله فالحجاب له ميزات سلبية، فقد تكون فتاة في أعلى درجات الإيمان والقرب من الله، لكن الله عز وجل ما وهبها شكلاً جاذبًا للنظر، فالحجاب يسترها، ويمنع عنها التعليقات المؤذية، فإن كانت على جانب من الجمال يمنع عنها التعليقات، وإذا كانت على جانب آخر من عدم الجمال يمنع عنها التعليقات، فهي ملكة، فالمرأة إذا التحفت بالجلباب عرفت بأنها من الحرائر، ومن العفائف المحصنات الطيبات، فلا يؤذيهن الفساق بما لا يليق من الكلام، وكلما كشفت المرأة عن بعض مفاتنها، ونحن عندنا في اللغة لسان الحال ولسان المقال، فقد تقول امرأة: تعال وانظر إلي، بلسان

مقالها، وهذا قلّما تفعله امرأة، إلا الفاجرات، أما ملايين النسوة يدعون الرجال إلى النظر إليهن، وأن يملأ الرجال أعينهن من محاسنهن عن طريق التكشف فقط، فتكشيف المرأة عن بعض مفاتنها دعوة صريحة بلسان الحال للرجال أن يتحرشوا بها.

وهناك نقطة ثانية دقيقة،

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْرِمَاتٌ فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ))

[أخرج أبو داود]

وعن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عنه وعَنها قالت: كنا نغطي وجوهنا من الرجال، وكنا نتمشط قبل ذلك بالإحرام.

وهذه الأدلة التي يجب أن تكون واضحة عند الإخوة الأكارم، الآن الشرط الثاني، أول شرط

((أن يستوعب الثوب كل الجسم))

والشرط الثاني

((ألا يكون زينة في نفسه،))

وهذا الشرط الثاني قال تعالى:

((ولا يبدين زينتهن "))

وهذا يشمل الثياب الظاهرة، فإذا كانت هذه الثياب الظاهرة بألوان زاهية، ونقوش رائعة، وزخرفات جميلة صار الثوب زينة، وقد أُمِرتْ أن تخفي زينتها، فإذا كان ثوبها زينة، إذْ بعض أغطية الرأس في بعض البلاد الإسلامية نوعٌ من الحرير بألوان جميلة، متناسبة، فغطاء الرأس يجذب النظر بشكل صارخ، فالشرط الثاني ألا يكون الثوب في حد ذاته زينةً.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

(سورة الأحزاب: ٣٣)

وقد ورد عن النبي صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

((ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ))

أي فإنهم من الهالكين

((رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَعَصَى إِمَامَهُ وَمَاتَ عَاصِيًا وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ فَمَاتَ وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ وَثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ رَجُلٌ نَازَعَ اللَّهَ

عَزَّ وَجَلّ رِدَاءَهُ فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءُ وَإِزَارَهُ الْعِزَّةُ وَرَجُلٌ شَكَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ))

[رواه أحمد عن فضالة بن عبيد]

تعريف التبرج أن تبدي المرأة من زينتها، ومحاسنها ما يجب عليها ستره مما تستدعي به شهوة الرجل.

وقد ذكرت نقطة دقيقة، هي أن شهوة الطعام تبدأ من الداخل، فلو وضعت إنساناً بغرفة، ولم ير طعاماً، ولا شم رائحته، ولا رأى منظره ، ولا صورته، ولا سمع حديثًا عنه، ومع ذلك فإنه يجوع، أما شهوة الجنس فعلى عكس ذلك، إذ لم يكن هناك إثارة خارجية فلا يشتهي، إذا كان هناك حجاب كامل فالله عز وجل قال:

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾

(سورة النور)

فلا نقطف ثمار الحجاب، إلا إذا طبَّقَه جميع النسوة، و نحن مأمورون أن نغض البصر، وهن مأموراتٌ أن يتحجبن، أما لو حدث تفلت من هذا الأمر، فنحن نطيع الله، ولكن لا نقطف ثمار الحجاب، لأنّ ثمار الحجاب تُقطَف كاملة حينما تطبقه جميع الأخوات المؤمنات، وفي أمثلة واقعية؛ إذا حَّج المسلمُ بيت الله الحرام، ففي الأعمِّ الأغلب يجد النساء هناك يتحجبن حجاباً كاملاً، فالإنسان قد لا يأتيه خاطر نسائي في الشهر مرة، فهذا الخاطر يغيب عنه كلياً، لأنه لا توجد إثارة، والشهوة تبدأ في الإثارة الخارجية، فإذا تحجبت النسوة، وغض المؤمن بصره فهذان إجراءان وقائيان.

والنبي عليه الصلاة والسلام، قرن التبرج بالشرك والزنا والسرقة، فالنبي حينما بايع النساء، بايعهن على أن لا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن، ولا يزنين

((فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ جَاءَتْ أُمَيْمَةُ بِنْتُ رُقَيْقَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُبَايِعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ أُبَايِعُكِ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقِي وَلَا تَزْنِي وَلَا تَقْتُلِي وَلَدَكِ وَلَا تَأْتِي بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ يَدَيْكِ وَرِجْلَيْكِ وَلَا تَنُوحِي وَلَا تَبَرَّجِي تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى *))

[رواه أحمد]

والعطف يقتضي المشاركة، والموازنة، فالمبايعة كانت على ألا تشرك، وألا تسرق، وألا تزني، وألا تقتل، وألا تأتي ببهتان تفتريه وألا تنوح على الميت، وألا تتبرج تبرج الجاهلية الأولى.

والشرط الثاني

((: ألا يكون الثوب زينةً في نفسه.))

والشرط الثالث

((: أن يكون صفيقاً ؛))

أي ثخيناً لا يشف، فالثياب الرقيقة ليست حجاباً، لأنها تشف عن لون البشرة، وبالمناسبة حتى أكون دقيقًا معكم، كل هذا الكلام لا علاقة له بما ترتديه المرأة أمام زوجها، فمباح لها أن ترتدي كل الثياب المحرمة، وليس بين الزوج وزوجته أي مانع أن ترتدي له ما تشاء، والأفضل أن ترتدي له أجمل الثياب، ولو كانت هذه الثياب غير محتشمة، وهذا الأفضل، وما يقال في البيت لا يقال في الطريق، لأن النبي قال

((مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ *))

(رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود)

كيف يكون الزواج أغض للبصر ؟ إذا بدت المرأة بأبهى زينة أمام زوجها، ولو ظهرت أعضاؤها أو مفاتنها فلا مانع، وبالعكس، فهذا الأولى، فما ترتديه المرأة أمام زوجها لا علاقة له بهذا الدرس إطلاقاً.

أن يكون صفيقاً لا يشف ؛ أي ثخينًا، لأن التستر لا يتحقق إلا به، وأما الشفاف فإنه يزيد المرأة فتنة وزينةً.

((عَنْ أُمِّ عَلْقَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ دَخَلَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى حَفْصَةَ خِمَارٌ رَقِيقٌ فَشَقَّتْهُ عَائِشَةُ وَكَسَتْهَا خِمَارًا كَثِيفًا *))

(رواه مالك في الموطّا)

وفي رواية سعيد بن منصور، قالت عائشة

((أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور، ثم دعت بخمار فكستها إياها *))

(رواه سعيد بن منصور في سننه)

وهذه إشارة إلى من تسترت بثوب شفاف فإنه لم يستر، وإنها لم تتستر، ولم تأتمر بقوله تعالى

((وليضربن بخمرهن على جيوبهن ".))

والمشكلة الآن هناك ثياب صفيقة ضيقة، وكأنَّ المرأة عارية، ولا يخطر في بال أحد وصفٌ أبلغُ من وصف النبي "كاسيات عاريات" هي عارية تماماً، لكنها مكسوِّة بثياب ضيقة، ولأن الغرض

من الثوب إنما هو رفع الفتنة، ولا يحصل هذا إلا بالثوب الفضفاض الواسع، أما الضيق فإنه ستر لون البشرة لكنه وصف حجم الجسم، أو بعضه.

أيها الإخوة ؛ إنّ فهمكم كفاية، والأمر واضح، هذه الثياب الضيقة التي ترتديها النساء المسلمات محرمة أشد التحريم، وليس غريباً أن ترى امرأةً تبرز كل مفاتنها، أما الغريب أن امرأة ترتدي بنطالا وتضع على رأسها غطاء رقيقًا، أمسلمة هي ؟ فما قيمة هذه القماشة التي على رأسك أمام هذه الثياب الضيقة التي وصفت كل جسمك ؟ فعلاً إنّها مفارقة غريبة ، فالأولى أن يكون هذا واضحًا عندكم، يعني فتاة من بيت مسلم أن يسمح لها أبوها أن ترتدي بنطالاً، ولا أقول ضيقًا، فالبنطال فيه تشبه بالرجال، أن تسير ببنطال وعلى رأسها خمار، على أنها هي مسلمة، لا هذا كلام غير مقبول أبداً.

الشرط الخامس

((ألا يكون مبخراً مطيباً،))

لأنه كما قال عليه الصلاة والسلام: أَيُّمَا

((امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ *))

(رواه النسائي عن أبي موسى الأشعري)

زانية، كم هن نساء المسلمين بعيدات عن أحكام الشرع، بل إن الشريعة السمحاء شددت على من وضعت طيباً بأن تغتسل كغسل الجنابة إن أرادت الخروج ولو إلى المسجد، والمرأة التي استعطرت يجب عليها أن تغتسل غسل الجنابة.

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ لِيُوجَدَ رِيحُهَا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهَا صَلَاةٌ حَتَّى تَغْتَسِلَ اغْتِسَالَهَا مِنْ الْجَنَابَةِ))

[رواه النسائي]

((وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ لَقِيَ امْرَأَةً مُتَطَيِّبَةً تُرِيدُ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: يَا أَمَةَ الْجَبَّارِ أَيْنَ تُرِيدِينَ ؟ قَالَتْ: الْمَسْجِدَ، قَالَ: وَلَهُ تَطَيَّبْتِ ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ لَمْ تُقْبَلْ لَهَا صَلَاةٌ حَتَّى تَغْتَسِلَ *))

[رواه النسائي]

إذاً عطر النساء له لون فقط تحت الحجاب، وعطر الرجال له رائحة فقط من دون لون.

الشرط السادس

((: من الفطرة التي شرعها الله لعباده أن يحافظ الرجل على رجولته، والأنثى على أنوثتها.))

والآن المرأة لها شيئان ؛ فيها جمال، وفيها أنوثة، الأنوثة غير الجمال، فلما تتكشف المرأة، وتخالط الرجال، وتحد النظر إليهم وتتكلم بصوت مرتفع، تبقى جميلة لكن فقدت أنوثتها، وأجمل ما في المرأة أنوثتها، فلذلك مما يذهب أنوثة المرأة تشبُّهها بالرجال، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ

((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ *))

(رواه البخاري)

والرجل الذي يتشبه بالمرأة فهو مخنث، وقد لعنه رسول الله والمرأة المتشبه بالرجل مسترجلة، وفي حديث آخر

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِالرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ وَلَا مَنْ تَشَبَّهَ بِالنِّسَاءِ مِنْ الرِّجَالِ *))

(رواه أحمد)

وقال عليه الصلاة والسلام

((ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ وَالدَّيُّوثُ وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى))

[رواه النسائي عن ابن عمر]

هؤلاء الثلاثة لا يدخلون الجنة.

الشرط السابع: ألا ترتدي المرأة ثياباً تشبه ثياب الكافرات، فأنتِ مؤمنة متميزة، فثياب الكافرات يجب أن تبتعد النساء عنه.

((وعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ *))

(أخرجه أبو داود)

قال عليه الصلاة والسلام:

((كل نفس تحشر على هواها فمن هوي الكفرة فهو مع الكفرة ولا ينفعه عمله شيئا))

[أخرجه الطبراني في الأوسط عن جابر]

الشرط الثامن

((ألا تكون ثياب شهرة))

صرعة حديثة، وهذه صرعات الأزياء الحديثة لا تليق بالمرأة المسلمة أن ترتديها، فهناك ثمانية شروط ينبغي لنا أن تنتظم ثياب المرأة، وثياب المرأة جزء من دينها، وهو جزء لا يتجزأ، بل إنها عبادة تختص بالنساء، وإن هذه المرأة المسلمة التي منحها الله جمالاً لتسهم في إعفاف الشباب، حينما تتحجب تسهم في إعفاف الشباب، إذاً هي عبادة، وبهذه العبادة تميزت بها النساء عن الرجال، وعندها عبادة كاملة هي أن تسهم في إعفاف الشباب، تستر هذه الزينة التي أكرمها الله بها، والتي جعلها لزوجها ولمحارمها، عن أعين الرجال الذئاب.

وأرجو الله سبحانه وتعالى أن تترجم هذه الحقائق، وهذه النصوص وهذه التوجيهات إلى واقع، ومناسبة هذا الدرس أن الله لا ينصرنا على أعدائنا إلا إذا أقمنا شرعه، وأحكام دينه، والإنسان مسؤول عن بيته وعن نفسه، فإذا أقمت الإسلام في بيتك، وفي عملك فقد أدَيتَ الذي عليك.

ومرة أحد خلفاء بني أمية أراد أن يخطب قبل صلاة العيد، فأمسك به أحد التابعين، وقال له: هذا لم يفعله النبي، فلم ينصع لنصيحته، فصعد المنبر، فقال أحدهم: أمّا هذا فقد أدّى الذي عليه. وأنت حينما تقيم الإسلام في بيتك وفي عملك أديت الذي عليك، ولا تؤاخذ إلا عن هاتين المملكتين اللتين ملّكك الله إياهما

والحمد لله رب العالمين

الفقه الاسلامي – العبادات التعاملية – الحلال والحرام – الدرس ٠٥-٢٢ : لباس المرأة وزينتها.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٤-١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المرأة جعلها الله محببةً و أودع في فطرتها حبّ التزين :

أيها الأخوة الكرام: مع الدرس الخامس من سلسلة دروس: "الحلال والحرام في الإسلام"، ولازلنا في موضوع اللباس والزينة، وقد أنهينا في الدرس الماضي بفضل الله عز وجل ما يتعلق من اللباس بالرجال، وننتقل اليوم إلى ما يتعلق من اللباس بالنساء.

أيها الأخوة الكرام: لاشك أن ألصق شيء بدين المرأة لباسها، لأن لباسها على قدر دينها، فكلما كان لباسها سابغاً كان دينها متيناً، و النبي صلى الله عليه و سلم حينما حرم الذهب من خلال السنة النبوية لقول الله عز وجل:

﴿وما ينطق عن الهوى*إن هو إلا وحيٌ يوحى﴾

[سورة النجم: الآية ٣ ــ ٤]

حينما حرم الذهب والحرير على المؤمنين أحلّ للنساء المؤمنات التزين بالحرير والذهب، ذلك أن وظيفة المرأة تختلف عن وظيفة الرجل، المرأة جعلها الله محببةً، و أودع في فطرتها حب التزين. لاحظ طفلاً صغيراً قد يمسك بقضيب ويركبه كأنه فارس، انظر إلى طفلة صغيرة تمسك الوسادة وتضمها إلى صدرها، وتربت عليها وكأنها أم لها، هذا مُركب في أصل الفطرة، فجلت حكمة الله عز وجل، الطفل الصغير قبل أن يعي دوره في الحياة يقلد الفرسان، والبنت الصغيرة قبل أن تعي دورها في الحياة تقلد الأمهات، فهذا مركب في أصل الفطرة.

عناية المرأة بهيئتها و زينتها جزء من دينها :

لذلك مركب في أصل الفطرة عند المرأة حب التزين، وهذه الخصيصة تتناسب مع كونها سكناً للرجل، لقوله تعالى:

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾

[سورة الروم: الآية ٢١]

بل إن المرأة التي تتزين لزوجها تفعل هذا بدافع من دينها، لأنها كلما تزينت، وبدت بشكل مقبول ومرغوب، كان زوجها أبعد عن الحرام، وهذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام حينما أمر الشباب بالزواج لأنه أغض للبصر.

المرأة التي تهمل زينتها حتى تحمل زوجها على التطلع لغيرها، هذه امرأة عاصية ولو صلت قيام الليل، هذه امرأة عاصية ولو حفظت القرآن.

كانت الصحابية الجليلة تقول لزوجها، ألك بي حاجة؟ فإن قال: نعم، كان ما أراد، وإن قال: لا، ذهبت إلى مُصَلاها وصلت ليلها.

فجزء من دين المرأة أن تعتني بهيئتها وزينتها، وقد رُكب هذا في طبعها، لكن انطلاقاً من أن طبيعة الحياة الدنيا طبيعة ابتلاءٍ، فهذا التزين موضوع في أصل فطرة المرأة، فإما أن يكون هذا التزين للزوج فهو الطاعة والعبادة، وإما أن يكون هذا التزين لغير الزوج فهو المعصية والفجور.

حبّ التزين مركب في طبيعة المرأة وهذا كمال فيها :

النساء المؤمنات يتزين لأزواجهن، بل إن المرأة تخشى أن ترتدي ثوباً جديداً لا يكون زوجها هو أول من يراه، إذاً أردتُ من هذه المقدمة إلى أن أصل إلى أن حب التزين مركب في طبيعة المرأة، لأن هذا كمال فيها، وإذا بالغ الزوج في التزيُّن فهذا نقص فيه.

المؤمن يتجمل، ويرتدي ثياباً نظيفةً، وجميلةً، ويتعطر، ويرجل شعره، لكن إذا بالغ في ذلك فقد انحرف عن فطرته، وعن مهمته.

لذلك تعلق النساء بالحلي، بالذهب، بالماس، باللؤلؤ، هذا تعلق في أصل فطرة النساء، وقد يكون إكرامهن بهذا.

أحياناً الزوج لا يقنع بهذا، لكن هذا متعلق بها لا بك، فكما أنك لا تقنع بهذه اللعبة التي تملأ نفس ابنتك أو ابنك، إن هذه اللعبة جزءاً من حياتها، فالعبرة لا على ما تحب أنت وتشتهي بل على ما يحب الأهل ويشتهون.

إذاً تقتضي أنوثة المرأة أن تتزين لزوجها، وهي كما قلت قبل قليل: هي سكنٌ لزوجها، فلذلك سمح الشرع لها أن تستعمل الذهب والحرير كي تتزين لزوجها لأنها سكن له، تؤنسه، وتنسيه متاعب اليوم.

التزين والتعطر والتأنق والتجمل للزوج جزءٌ من دين المرأة :

أخواننا الكرام: بالمناسبة بيت المؤمن جنة، لا لأنه واسع، ولا لأنه كبير، ولا لأنه فخم، بل لأن فيه طاعة الله عز وجل، إلا أن الانحراف من أين يبدأ؟ حينما تتزين المرأة لغير زوجها، لذلك في الحديث الشريف:

((أيما امرأة استعطرت فمرت على قومٍ ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عينٍ زانية))

[النسائي و الحاكم و أحمد عن أبي موسى الأشعري]

إذاً التزين، والتعطر، والتأنق، والتجمل للزوج جزءٌ من دين المرأة، والتزين، والتعطر، والتأنق، والتجمل لغير الزوج، ربما أوردها إلى النار لأنها زانية، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾

[سورة النور: الآية ٣١]

وقس على هذا أشياء كثيرة.

المرأة التي تبرز مفاتنها في الطريق إنما هي معتديةٌ على المسلمين :

المرأة المؤمنة الطاهرة العفيفة لا يبدو منها للرجال إلا ما لا تستطيع إخفاءه؛ كطولها، أو امتلاء جسمها، أو لون ثيابها فقط، لا يبدو منها للرجال إلا الذي لا أتستطيع إخفاءه، لقوله تعالى:

﴿ ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾

[سورة النور: الآية ٣١]

عن غير قصدٍ أو إرادةٍ. طولها ليس بإمكانها أن تخفيه، امتلاء جسمها ليس بإمكانها أن تخفيه، لون ثيابها ليس بإمكانها أن تخفيه، لقوله تعالى:

﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾

[سورة النور:الآية ٣١]

إذاً التبذل، والتكشف، وارتداء الثياب الضيقة، والرقيقة، هذا كله من المعاصي الكبرى في حياة المرأة، لأنها تعتدي على المسلمين، تعتدي عليهم بلفت نظرهم إليها، والشعور بالحرمان ممن لم يتزوج، والشعور بالندم ممن تزوج على غير هذه الشاكلة، فالمرأة التي تبرز مفاتنها في الطريق إنما هي معتديةٌ على المسلمين اعتداء.

من تبرز مفاتنها للناس تدعوهم بلسان الحال لا بلسان المقال :

لكن النساء يقُلن غير هذا، تقول امرأة: إني امرأة شريفة، لو أنك شريفة كما تدعين لما آذيت المسلمين، ولما خربت بيوتهم كما يكون أحياناً، ولما دعوت الناس إليك بلسان الحال لا بلسان المقال، أيما امرأة تبرز مفاتنها إنما تدعو الرجال إليها بلسان حالها لا بلسان مقالها، لقوله تعالى:

﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾

[سورة النور: الآية ٣١]

أولاً: من المحرمات، أنا حينما أقول من المحرمات الشيء المحرم شيء كبير جداً، وليس هذا من عند أي إنسان، هذا من عند النبي عليه الصلاة والسلام، حرم الإسلام على المرأة أن تلبس من الثياب ما يصف، أو يشف عما تحته، أو ما يحدد أجزاء البدن، أو ما يبرز خطوطه، فالقضية متعلقة بالدين. النساء يعتقدن أن هذا متعلق بالصرعات الحديثة، دين المرأة فوق كل شيء.

الحكمة من جمع شيئين متناقضين في وصف النبي للنساء :

اسمعوا في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مميلاتٌ مائلاتٌ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا))

[مسلم عن أبي هريرة]

هل خطر في بالكم لماذا جمع النبي هذين الصنفين معاً؟

((قوم معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مميلاتٌ مائلاتٌ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا))

لماذا جمع بين هذين الصنفين؟ لأن الذي يستبد كيف يستبد بالناس؟ عن طريق إطلاق الشهوات، الإنسان إذا اتبع الشهوة أصبح ضعيفاً، أصبح كالخرقة، يخاف من كل شيء، ويخنع لكل قوي، فمن لوازم المستبدين أنهم يطلقون الشهوات من دون ضابطٍ لها إطلاقاً، طبعاً هذا الوصف قلّما يلتفت الناس إليه، وصفٌ من دلائل النبـــوة

[كاسيات عاريات]

شيئان متناقضان، أحدهما ينقض الآخر، فكيف جمع النبي بينهما؟ هل بإمكانك أن تقول: هذا الحرم مظلمٌ ومنير في آنٍ واحد؟ مستحيل. إن قلت مظلماً نقضت وجود النور فيه، وإن قلت منيراً نقضت وجود الظلام فيه. فهناك شيئان متعاكسان وهناك شيئان متناقضان، أي أن أحدهما ينقض وجود الآخر فكيف قال النبي: كاسيات عاريات؟

((صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ))

إن كانت كاسية كيف تكون عارية؟ وإن كانت عارية كيف تكون كاسية؟

ما كان أحدٌ يعرف كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى آخر الزمان وكأنه رأى بعينه ما يرتدي النساء، إنها ترتدي لكن هذا الذي ترتديه لا يستر شيئاً، إما أن يشف لرقته عن لون بشرتها، أو أنه يصف حجم أعضائها فكأنها عارية، وهذا من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام.

لذلك المرأة التي يحبها الله ورسوله لا يبدو شيئاً من جسمها أبداً، ثيابها صفيقة –سميكة–، وسابغة، وفضفاضة، الثياب الفضفاضة هذه ثياب المؤمنات لا يبدو شيءٌ من خطوط جسمها. إذاً:

((...ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مميلاتٌ مائلاتٌ))

أي هؤلاء النساء بهذا الزي الفاضح، وهذه الثياب المتبذلة، يدعون الرجال إليهن بلسان الحال، مائلات إلى الرجال، مميلات للرجال، على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، الأسنمة جمع سنام، بعض أنواع الجمال لها سنام عظيم، فهذا الذين يفعلونه بشعورهن يزداد طولها عشرة سنتمتراً:

((....رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا))

من تشبه من الرجال بالمرأة أو تشبهت المرأة به فقد وقع تحت لعنة النبي :

هذا الدرس دقيق، كل واحد من أخواننا الكرام له زوجة، له ابنة، يجب أن يلاحظ ماذا تلبس في الطريق، هل ترتدي ثياباً تصف حجم أعضائها؟ هل ترتدي ثياباً تحدد معالم جسمها؟ إن كانت تفعل هذا فقد وقعت في أشد أنواع الحرام، ينبغي أن يأمرها، وأن ينهاها، وأن يتابع خروج زوجته وبناته بنفسه، فهذا جزءٌ من دينه، وجزءٌ من إقامة الإسلام في البيت.

والنبي عليه الصلاة والسلام ذكر في أحاديث كثيرة أنه من المحظور على المرأة أن تلبس لبس الرجل، فالبنطال الآن من ثياب الرجال، فإذا لبست النساء هذا النوع من الثياب فقد وقعن فيما نهى عنه النبي عليه الصلاة السلام، وهذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال))

[البخاري عن عبد الله بن عباس]

قال العلماء يدخل في التشبه الكلام، إذا إنسان تكلم وقلد المرأة في كلامها، في ترقيق صوته، أو في حركات وجهه، أو في انحناء جسمه، أو إن قلدت المرأة الرجل في صوته الجهوري، وفي نظراته القاسية الحادة، فالمرأة التي تقلد الرجل في الكلام، أو في الحركة، أو في المشية، أو في اللباس، أو أن الرجل الذي يقلد المرأة في الكلام، أو في الحركة، أو في المشية، أو في اللباس، فقد وقع تحت لعنة النبي عليه الصلاة والسلام، هذا هو الدين، الدين كيف ترتدي ثيابك؟ كيف يخرج أهلك وبناتك؟ هذا جزء من الدين.

أجمل ما في الشاب رجولته وأجمل ما في المرأة أنوثتها :

ما معنى الفساد؟ لو قلنا: إن هذا الماء فاسد لا سمح الله، ما معنى ماء فاسد؟ أي أخرجناه عن طبيعته، الماء لا لون له، ولا طعم له، ولا رائحة، فإذا رأينا لهذا الماء لوناً أو رائحةً أو طعماً نقول: إن هذا الماء فاسد، إذاً الله جلّ جلاله خلق المرأة على طبيعة معينة، وعلى فطرة معينة، وعلى جِبِلَةٍ معينة، فحينما ندفعها إلى الخروج عن جِبِلتها، وعن طبيعتها، وعن فطرتها، ماذا فعلنا بها؟ أفسدناها.

فإذا دفعناها إلى مجتمع الرجال، إلى أن تختلط بهم، وتتعامل معهم، وأن تكون بينهم طوال النهار، ماذا فعنا بها؟ أفسدنا طبيعتها.

كانت تبدو صاحبة حياءٍ فإذا بها تتواقح، المرأة إذا خرجت عن أنوثتها خرجت عن أجمل ما فيها، فالمرأة ينبغي ألا تسترجل، والرجل ينبغي ألا يتخنث.

ذكرت سابقاً بأن إنساناً أرسل ابنه إلى بلاد الغرب ليتابع تحصيله العالي، بعد سنوات عدة جاءته رسالة من ابنه أنه قد تزوج، ويدعو أباه لزيارته في بيت الزوجية، أبوه رجل من أصحاب المكانة الاجتماعية في بلده، عندما ذهب إلى ابنه وجده الزوجة وليس الزوج –زواج شاذ–، فلما وجد ابنه

هكذا وقع مغشياً عليه، وقد أصابته أزمة قلبية، شيء لا يحتمل أن يتخنث الشاب، الشاب أجمل ما فيه رجولته، فتوته، جرأته، وأجمل ما في المرأة حياؤها، قال تعالى:

﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء ﴾

[سورة القصص:الآية ٢٥]

لفت نظر سيدنا موسى في بنت سيدنا شعيب حياءها، والفتاتان بنتا سيدنا شعيب ما الذي لفت نظرهما في سيدنا موسى؟ قوته وأمانته، فقال تعالى:

﴿ قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾

[سورة القصص:الآية ٢٦]

لذلك من الأحكام الفرعية أن الرجال نُهوا عن أن يلبسوا المعصفر – ثياب ألوانها فاقعة وفيها ورود أشجار– هذه الثياب المعصفرة ذات الألوان الفاقعة هذا مما نهي عنه الرجال أن يلبسوه.

ضبط نوع الثياب من دون إسراف ولا مخيلةٍ :

الآن نريد الذي يضبط نوع اللباس، الضابط ألا يكون الثوب ثوب شهرة ولا ثوباً مهجوراً، فكل ثوبٍ يتمّشى مع أحدث صرعات الأزياء هذا ثوب شهرة، الإنسان إذا لبسه يغلب عليه الاستعلاء، والزهو، والكبر.

قاعدة أساسية لك أن تأكل، أن تشرب، وأن ترتدي الثياب، وأن تذهب، وأن تنام، وأن تفعل من دون إسراف ولا مخيلةٍ، المباحات يجب أن تمارسها من دون مزلق، من دون إسرافٍ، ومن دون مخيلةٍ أي كبرٍ، فقال الله تعالى في ذلك:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾

[سورة لقمان: الآية ١٨]

طبعاً يجب الآن مراعاة الدقة، الإسراف في التعامل مع هذه الأشياء، الإسراف أقرب للناحية المادية، أما الاختيال فأقرب إلى الناحية النفسية، من دون إسراف في إنفاقها، ومن دون مخيلةٍ في الكبر أو الزهو بها. ويقول عليه الصلاة والسلام:

((من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة))

[أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمر]

أحياناً يلبس الإنسان، و يتجمل، ويقف أمام المرآة، يتفحص شكله، هندامه، أناقته، ثيابه، ألوان ثيابه، تعجبه نفسه، فإذا خرج من البيت رأى نفسه فوق الناس، هذا هو الخيلاء.

الإسراف أن تكثر من استهلاك هذه الألبسة إلى درجة غير معقولة، فاللباس ينبغي ألا يكون فيه إسراف ولا مخيلة، وفي الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من لبس ثوب شهرةٍ ألبسه الله ثوب مذلةٍ يوم القيامة))

[أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة وعن ابن عمر]

رجل سأل سيدنا عبد الله بن عمر، قال: ماذا ألبس من الثياب؟ فقال هذا الصحابي الجليل: ما لا يزدريك فيه السفهاء، ولا يعبك فيه الحكماء، الثياب المبتذلة المهجورة التي لا يعقل أن يلبسها المؤمن، لماذا نهى النبي عنها؟ لأن السفهاء يزدرونك بهذه الثياب، يقيّمونك من ثيابك فقط، والألبسة الشهيرة المتطورة التي توافق أحدث ما في المجلات، هذا الثوب ثوب شهرة يعيبك فيه الحكماء لتجاوزه حدّ الاعتدال.

تحريم الغلو في الزينة عن طريق تغيير خلق الله عز وجل :

الآن عندنا موضوع الغلو في الزينة عن طريق تغيير خلق الله عز وجل، فالنبي عليه الصلاة والسلام حرم الوشم، وتحديد الأسنان، الوشم محرم أيها الأخوة، إنسان موشوم طبعاً يرسمون على الجلد رسوماً معينة؛ حيوانات، وأدوات، وأشكال هندسية، وهذا اللون يبقى مع الإنسان حتى الموت، الوشم محرم في الإسلام لأنه ينضوي تحت قوله تعالى:

﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾

[سورة النساء: الآية ١١٩]

بعض النساء في الصين يلبسن أحذية معدنية كي تبقى أقدامهم صغيرة، وهذا مما يؤذيهن، يوجد كثير من الأعمال تقوم بها الشعوب تغير خلق الله عز وجل، هذا محرم في الإسلام:

((لَعَنَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الواشمة والمستوشمة - الواشمة التي تقوم بفعل الوشم، والمستوشمة التي تطلب الوشم - والواشرة والمستوشرة - الواشرة: هي التي تقطع من أسنانها الطويلة أو تبرد من أسنانها هذه الواشرة أي التي تفعل فعل الوشر، والمستوشرة التي تطلب تحديد أسنانها-))

[متَفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ]

وحرم النبي صلى الله عليه وسلم التفلج، والتفلج أن تباعد بين الأسنان، قال:

((لعن المتفلجات للحسن))

[البخاري عن عبد الله بن مسعود]

ويبدو أن كل عصر له أذواق خاصة، فحينما يكون ذوق الرجال للأسنان المتباعدة، تأتي النساء ويبردن أسنانهن لتبدو الأسنان متباعدة وهذا تغيير بخلق الله، وهذا من فعل الشيطان.

طبعاً بعض العلماء ألحق بهذا التغيير جراحات التجميل، إذا كانت جراحات التجميل لإزالة عيبٍ خلقي يسبب لصاحبه الإحراج فهذا مما أجازه العلماء، أما إذا كانت جراحات التجميل من أجل أن تلفت المرأة النظر – الآن تتم عمليات جراحية في بلاد الغرب شيء غريب جداً، لا يعقل هذه العمليات الجراحية التي تفعلها المرأة أو الرجل من أجل التجمل، ومن أجل أن تبدو المرأة في سنٍ أقل من سنها– فهذا محرم، أما إذا كان هناك عيب خلقي يسبب لصاحبه أزمة نفسية، فالعملية الجراحية مقبولة عند العلماء.

على المرأة ألا تغير خلق الله وألا تفعل شيئاً يؤذيها :

وأيضاً لعن النبي صلى الله عليه وسلم النامصة والمتنمصة، هناك بعض الأفعال تفعلها المرأة كي تبدو في نظر الناس جميلةً، لكن كما قلت قبل قليل: إذا كان في هذا تغيير في خلق الله فهذا محرم.

سمح للمرأة أن تحف حاجبيها، الحف شيء والنمصُ شيءٌ آخر.

على كلٍّ تتأكد حرمة النمص حينما كان النمص شعاراً للنساءِ البغايا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الجاهلية.

في الجاهلية كانت النساء البغايا ينمصن حواجبهن، فطبعاً هذا تشبه المرأة بامرأة خليعة بغية، النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنهُ وقال:

((لعن الله النامصة والمتنمصة))

[متفقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ]

أي التي تطلب أن ينتف شعر حاجبيها، لكن حف الحواجب ورد فيه إجازةٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينبغي أن نقف قليلاً – شؤون المرأة لا نريد أن ندخل في تفاصيلها، الأخوة الداعيات أولى بهذا الموضوع منا–، لكن المبدأ الأساسي ألا تغير المرأة خلق الله وألا تفعل شيئاً يؤذيها.

الإرضاع هو خلق الله عز وجل وعدم الإرضاع تغيير لخلق الله :

المرأة التي لا ترضع ابنها حفاظاً على –كما تتوهم– أناقتها، وعلى جمالها، هذه ماذا تفعل؟ تغير خلق الله. وأنتم تعلمون من دروس سابقة أن الإرضاع غير الطبيعي يسبب قصوراً عقلياً، هذا شيء قطعي، الآن هذا البحث فُرغ من قطعيته، الإرضاع غير الطبيعي يسبب قصوراً عقلياً، والإرضاع غير الطبيعي يسبب أمراضاً للقلب والأوعية مزمنة، والإرضاع غير الطبيعي يسبب

أمراضاً في الكليتين، والإرضاع غير الطبيعي يسبب اضطرابات نفسية، فالمرأة التي لا تريد أن ترضع أولادها حفاظاً على رشاقتها، أو على شكلها، هذه ماذا تفعل؟ تغير خلق الله عز وجل، فنحن القصد أن تحافظ على خلق الله. ماذا أراد الله من المرأة؟ أن ترضع وليدها قال تعالى:

﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾

[سورة البقرة:الآية ٢٣٣]

الإرضاع هو خلق الله عز وجل، وعدم الإرضاع تغيير لخلق الله، لذلك العقاب جاهز، أعلى نسبة لسرطانات الثدي في النساء اللواتي لا يرضعن أولادهن، وأقل نسبة لسرطانات الثدي عند النساء اللاتي يرضعن أولادهن.

ليس هناك من حرجٍ أن يصبغ الإنسان شعر رأسه إذا أراد تطبيقاً للسنة :

النبي عليه الصلاة والسلام سمح للرجل أن يغير لون شعره إذا علاه الشيب، هذا مسموح، لكن إذا كان متقدماً في السن كثيراً لا ينبغي أن يستعمل اللون الأسود، صبغ الشعر باللون الأسود يليق بأصحاب السن المعتدلة، أما الذي تقدم في السن كثيراً فينبغي أن يصبغ شعره بِلَونٍ آخر، وإذا أبقاه على حاله فلا مانع، أي مسموح للرجل أن يغير لون شعر رأسه، لكن إذا خطب امرأةً وكان يخضب شعره ينبغي أن يعلمها أنه يخضب وإلا غشها، هذا من الأحكام الشرعية .

النبي عليه الصلاة والسلام جيء له بوالد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فلما وقف بين يدي النبي كان رأسه كأنه الثغامة بياضاً، فقال:

((غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد))

[مسلم عن جابر بن عبد الله]

وقال صلى الله عليه وسلم:

((إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

إذاً ليس هناك من حرجٍ أن يصبغ الإنسان شعر رأسه إذا أراد تطبيقاً للسنة.

الأسرة مؤسسة أوكل الله قيادتها إلى الرجل :

مرة ثانية أريد أن أذكر أخوتنا الكرام بأن لباس المرأة جزءٌ خطيرٌ من دينها.

إننا لم نذكر هذه الموضوعات وتلك التفصيلات إلا كي ينتبه الرجل إلى المظهر الذي تخرج فيه امرأته في الطريق، وينبغي أن يراعي ثياب بناته حينما يخرجون، المرأة المؤمنة لا تلهث وراء صرعات العصر، هذا اللهث لا يليق بامرأة مسلمة، أي ينبغي أن تكون الثياب فضفاضة سابغةً سميكةً ساترةً هذا الذي يرضي الله عز وجل، عندما يقول الرجل: ليس لي علاقة هي حرة، فإنه ليس رجلاً وليس قيمَ البيت، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿الرجال قوامون على النساء﴾

[سورة النساء:الآية ٣٤]

الأسرة مؤسسة، أوكل الله إليك قيادتها، لكن متى تكون قيماً على امرأتك؟ الآية واضحة قال تعالى:

﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾

[سورة النساء: الآية ٣٤]

فإذا كنت أفضل منها علماً، وأفضل منها ورعاً، وأنفقت عليها، وكنت كريماً، ملكت زِمامَ الأمر، وملكت قوامة البيت، فالقوامة هي شرط من شروط الزواج الناجح، والزوج بيده أن يحدد النمط الذي ينبغي أن تخرج به امرأته إلى الطريق، إن المفهوم الشائع أن زوجتي شريفة، وطاهرة، وعفيفة، لكنها تحب أن تلبس كما يلبس الناس، هذا كلام مرفوض في الدين، هذا افتراء على الدين، المؤمن ينبغي أن يتبع سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وهذه سنة النبي، ولا تنسوا أن الوعيد شديد، كيف توصل العلماء إلى حرمة هذا؟ هناك أحاديث كثيرة النبي لم يقل محرم بل قال:

((...لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا))

[مسلم عن أبي هريرة]

فالنبي الكريم حينما بين ووضح أن هذه المرأة الكاسية العارية المائلة المميلة لا تدخل الجنة ولا تجد ريحها معنى ذلك أن هذا اللباس محرم.

عبارات توجب التحريم :

العلماء أدرجوا عدة عبارات إذا وردت في السنة فهي محرمة " ليس منا ":

((ليس منا من خبب امرأة على زوجها))

[الطبراني عن ابن عباس]

((ليس منا من تشبه بغيرنا))

بالأجانب.

[الترمذي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده]

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

[مسند الشهاب للقضاعي عن عائشة]

((ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية))

[أبو داود عن جبير بن مطعم]

دققوا "ليس منا" هذه توجب التحريم، "لعن الله" توجب التحريم، و"غضب الله عليه" توجب التحريم، "لا يدخل الجنة" توجب التحريم. فهناك عند العلماء مقاييس دقيقة، هذا الحديث يستنبط منه أنه من يفعل كذا وكذا فقد وقع في الحرام، والحرام شيءٌ خطير، الحرام مهلك أيها الأخوة.

عدم التساهل بلباس الفتيات الصغيرات :

شيء آخر: الملاحظ أن البنت الصغيرة يتساهل في ثيابها، وكل أهلها يزعمون بأنها لا تزال صغيرة، لكن هذه إذا لم تؤدبها بآداب الإسلام عندما تكبر لا تستطيع أن تحملها على التخلق والتأدب بآداب الإسلام، لوجود حكم تكليفي، وحكم تأديبي، ابنك الصغير مثلاً تلزمه أن يصوم إلى الظهيرة، أو كل يومين يوم، هل هذا أمر تكليفي؟ لا هذا أمر تأديبي، لكن إذا بلغ السن التي ينبغي أن يصوم بها وجد نفسه مؤهلاً لهذه الفريضة، لذلك ولو أن البنت صغيرة جداً يجب أن تنشأ على الآداب الإسلامية، فإذا نشأت وهي صغيرة على الآداب الإسلامية في اللباس، هذه النشأةُ تنمو معها شيئاً فشيئاً، أما إذا أهملنا الفتاة الصغيرة وبدت معالم جسمها لكل من في البيت وهي صغيرة هذه حينما تكبر لا نستطيع أن نحملها على طاعة الله، والتأدب بآداب المسلمين.

سؤال عن حكم العطور التي يخالطها الكحول :

ورد سؤال: العطور التي يخالطها الكحول هل هي محرمة؟

الأولى أن يستعمل الإنسان العطور الزيتية، هذه بإجماع العلماء لاشيء فيها، العطور التي يخالطها الكحول عند المتشددين محرمة، وعند المعتدلين قالوا: هذه نجاسة حكمية معفو عنها، وحينما تزول من الجلد تزول نجاستها.

فالإنسان الأولى أن يستخدم العطور الزيتية، وإذا استخدم العطور الكحولية فعند المعتدلين لا يرون بها بأساً لأنها نجاسة حكمية وليست حقيقية، ولأنها نجاسة معفو عنها، ولأنها إذا تبخرت زالت نجاستها، والحل الوسط أنك إذا كنت على وشك الصلاة ينبغي ألا تستعملها –العطور الكحولية – أما العطور الزيتية فلك أن تستعملها قبل الصلاة، هذا هو الرأي المعتدل.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٨٤٠ : خ١ - الكبائر٢ : تشبه النساء بالرجال، خ٢- حوار فيه حلّ للمشكلات العقدية التي تشغل المسلمين .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٦-٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

النصر على أعدائنا يكون بتحرر حياتنا من المنكرات و إعداد القوة :

أيها الأخوة الكرام، في خطبتين سابقتين تحدثت عن الكبائر، واليوم أتحدث عن إحدى هذه الكبائر، ولعلها من أكبر الكبائر، أما علاقتها بما يجري حولنا من أحداث فواضحة وضوح الشمس، كلنا يتطلع إلى أن ينصرنا الله على أعدائنا.

أعداؤنا أيها الأخوة في التقييم العسكري ثالث قوة ضاربة في العالم، وكلنا يتطلع أن ننتصر عليهم، والمعركة كما ترون تتنامى وتتعاظم، وما أصعب أن ينتصروا، وما أسعدنا إذا انتصرنا، ولكن نصر الله عز وجل- وهذه حقيقة مسلم بها مقطوع بها بحسب النصوص الصحيحة- لا يتنزل إلا على من يستحقه، فنحن مهمتنا الأولى أن نعد لأعدائنا ما استطعنا من قوة، وأن نؤهل أنفسنا كي نستقبل نصر الله لنا.

التأهيل الأول أن نعد لأعدائنا ما استطعنا من جميع أنواع القوى، والقسم الثاني أن نحرر حياتنا من كل المنكرات والمعاصي.

والمعاصي أيها الأخوة كثيرة جداً، ولكن شيئين يستقطبان هذه المعاصي كلها، أحدهما كسب المال والثاني النساء، فكسب المال له موضوعات طويلة ومتنوعة يعالج في وقت آخر إن شاء الله، لكن العلاقة بالنساء، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))

[مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ]

المرأة المسترجلة من أكبر الكبائر :

الكبيرة التي أدرجت مع الكبائر، بل إن بعضهم قال: هي من أكبر الكبائر، المرأة المسترجلة، ذلك أن الله سبحانه وتعالى أودع في قلب كل رجل محبة الطرف الآخر هي كما قال الله عز وجل:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة آل عمران: ١٤]

فقد أودع الله في نفس كل رجل محبة الناس، لكن الله جل جلاله ما أودع في الإنسان شهوةً إلا وجعل لها قناةً نظيفةً تسري خلالها، فلا حرمان في الإسلام، ولكن في الإسلام تنظيماً، فهذه الشهوة التي أودعها الله في الإسلام قناتها النظيفة الزواج، وسائل صيانتها غض البصر، حجاب المرأة، حينما نعيش مجتمعاً متفلتاً تبدو فيه المرأة بكل مفاتنها، وترتدي ثياباً فاضحةً، فإن فتنةً كبيرة جداً تسري في ثنايا هذا المجتمع، وعندئذ هذه المعاصي على تنوعها بدءاً من إطلاق البصر، وانتهاءً بالفاحشة، هذه المعاصي هي التي تعيق أن نرى من الله ما نريد، فلذلك أيها الأخوة، فيما أرى أن الغرب يسعى جاهداً ليحارب المسلمين بالمرأة، تستغل المرأة لتكون فتنةً طاغيةً، لذلك فيما أخبر عنه النبي عليه الصلاة والسلام أن الله عز وجل أطلعه عما سيكون في آخر الزمان، وهذا الحديث من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام:

((النِّسَاءِ الْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ الْمَائِلَاتِ الْمُمِيلَاتِ))

[مسلم عن أبي هريرة]

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهَاتِ بِالرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهِينَ بِالنِّسَاءِ مِنْ الرِّجَالِ))

[البخاري عن ابن عباس]

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

((لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُخَنَّثِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَقَالَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ قَالَ فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُلَانًا وَأَخْرَجَ عُمَرُ فُلَانًا))

[البخاري عن ابن عباس]

والمترجلات من النساء اللاتي يتشبهن بالرجال في زيهن وهيئتهن، فأما في العلم والرأي المحمود فلا شيء في ذلك.

أحاديث صحيحة متعلقة بتشبه المرأة بالرجال :

أيها الأخوة الكرام، أسوق لكم بعضاً من الأحاديث الصحيحة المتعلقة بتشبه المرأة بالرجال: عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالدَّيُّوثُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى))

[النسائي عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ]

وفي رواية الإمام أحمد لا يدخلون الجنة، وهناك تعليق على هذا الحديث والمرأة المترجلة هي المتشبهة بالرجال، فهؤلاء الفتيات اللواتي يمشين في الأسواق أليس لهن آباء؟ أليس لهن أزواج؟ أليس لهن أخوة؟ أين الرجال؟ كيف يسمح هؤلاء أب كان أو أخ أو ابن لهذه المرأة أن تخرج بهذا الزي، وبهذه الثياب الفاضحة الضيقة، وبهذه الثياب الرقيقة.

إن فتنة بني إسرائيل كانت بالنساء، ويوجد أحاديث كثيرة كان عليه الصلاة والسلام يحذرنا فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))

[مسلم أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ]

أيها الأخوة الكرام، في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

[سورة النساء: ٣٢]

لعل من أسباب نزول هذه الآية أن المرأة أحياناً تتمنى أن تكون رجلاً فتتشبه بالرجال، والرجل أحياناً يتمنى أن يكون أقرب إلى الجنس الثاني فيتشبه بالنساء، فهذا نهي شديد ذلك لأن لكل من المرأة والرجل مكان في الجنة إذا اتقى الله فيما أقامه، لكل من المرأة والرجل مكان في الجنة إذا اتقى الله فيما أقامه، قال تعالى:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾

[سورة النساء: ٣٢]

ألم يقل عليه الصلاة والسلام لامرأة تمنت أن يفرض عليهن الجهاد قال لها:

((اعلمِي أيتها المرأة، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[ابن عساكر وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾

[سورة النساء: ٣٢]

كنت مرة في محاضرة وجه إلي هذا السؤال: هل هناك من عبادة خاصة بالنساء؟

قلت: نعم إنها عبادة إعفاف الشباب، هذه من أعظم العبادات، ذلك أن الرجل قد يرتدي ثياباً رقيقة في الصيف يتخفف من ثيابه الثقيلة، وقد يرتدي ثياباً يرتاح بها، لكن المرأة لها عبادة خاصة، إنها عبادة إعفاف الشباب، لابد من أن ترتدي ثياباً فضفاضة، ولا بد من أن ترتدي ثياباً لا تشف عن لون بشرتها، فهذه الثياب بشكل مجمل حجاب المرأة عبادتها التي أناطها الله بها.

مظاهر تشبه النساء بالرجال :

١ ــ الثياب :

أيها الأخوة الكرام:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾

[سورة النساء: ٣٢]

هذه آية دقيقة جداً، فكل من الرجل والمرأة مؤهل أن يصل إلى أعلى مقام في الجنة إذا هو عبد الله فيما أقامه، إذا عبد الله فيما أقامه يصل إلى أعلى مراتب الجنة، فلذلك لا داعي أن تتمنى المرأة أن تكون كالرجل فتسترجل، ولا داعي أن يتمنى الرجل أن يكون قريباً من جنس النساء، فيقضي وقتاً طويلاً في تزيين نفسه، وفي التعطر، وما إلى ذلك.

أيها الأخوة الكرام، من مظاهر تشبه النساء بالرجال أولاً الثياب، فأي ثوب يرتديه الرجل إذا قلدته المرأة أدرجت تحت هذه الأحاديث التي فيها اللعن وفيها الغضب، فلبس ثياب خاصة بالرجال، لبس ثياب تصف حجم أعضائها، هذا من تشبه المرأة بالرجل، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل))

[أحمد وأبو داود عن أبي هريرة]

وفي حديث آخر عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: قِيلَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

((إِنَّ امْرَأَةً تَلْبَسُ النَّعْلَ فَقَالَتْ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَةَ مِنْ النِّسَاءِ))

[أبو داود عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ]

أي التي تتشبه بالرجال. هذا نوع من أنواع التشبه؛ أن ترتدي المرأة ثياباً عرفت للرجال، وفهمك كاف للتعبير عن تفاصيل هذا الكلام.

٢ ــ عدم الالتزام بالحجاب الشرعي و إظهار زينتها :

ثانياً عدم الالتزام بالحجاب الشرعي، والحجاب الشرعي يجب أن يستر المرأة، أن يستر كل أعضائها بثياب من حيث اللون، ومن حيث الاتساع، ومن حيث الشفافية، سماكة الثوب جزء من دين المرأة، واتساع الثوب جزء من دين المرأة، ولون الثوب جزء من دين المرأة، بل إن كل مساحة مهما دقت في ثياب المرأة تعد جزءاً من دينها، لأنها بهذا تعبد الله فيما أقامها، تسهم في إعفاف الشباب، أما هذه التي يبدو كل شيء منها في الطريق، فهذه تنطبق عليها كل هذه الأحاديث التي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام، ولأن النبي يقول: " لعن الله" فلعنة المرأة أدرجت هذه المعصية مع الكبائر، ومن ذلك أيضاً إظهار الزينة التي ينبغي أن تكون خافية.

٣ ــ كثرة خروجها من البيت من غير حاجة :

من تشبه المرأة بالرجل كثرة خروجها من البيت من غير حاجة، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٣]

أن تقر المرأة في بيتها، وقد توهم بعضهم أن هذه الآية موجهة إلى نساء النبي، إذا كانت نساء النبي وهن العفيفات الطاهرات قد أمرن أن يقررن في بيوتهن، فلأن تكون نساء المؤمنين ملزمات بتطبيق هذا الأمر من باب أولى، أي إذا قلنا للأول في صفه: اجتهد، فهذا الأمر ينسحب على كل طلاب الصف، لأن الأول مطالب أن يجتهد فكيف بالمقصر؟

أيها الأخوة الكرام، هذه المرأة الخراجة الولاجة التي تمضي معظم أوقاتها في الطريق وفي الأسواق، تخرج بسبب وبلا سبب، لحاجة ولغير حاجة، قال تعالى:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٣]

لكن إذا خرجتن لحاجة أساسية، قال تعالى:

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

[سورة الأحزاب: ٣٣]

المرأة يمكن أن تخرج من البيت لسبب معقول، أما أن تكون ولاجة خراجة فهذا ليس من شأن المرأة، هذا من شأن الرجل.

٤ ــ مزاحمة الرجال :

شيء آخر أيها الأخوة الكرام، من مظاهر تشبه النساء بالرجال مزاحمة الرجال، والمخالطة في الأسواق والأماكن العامة، في أي مكان مزدحم، في أي مناسبة ترى المرأة تزاحم الرجل كتفاً بكتف، وصدراً ببطن، وهكذا مزاحمة الرجال في شؤونهم، هذا من صفات تشبه المرأة بالرجل. بعضهم قال المترجلة التي تتشبه بالرجل في الحركة والكلام والمخالطة ونحو ذلك.

الأنوثة في المرأة :

أيها الأخوة الكرام، علماء النفس يشيرون إلى صفة في الأنثى دقيقة جداً، هي الأنوثة، وقد عبر القرآن عنها بالحياء، قال تعالى:

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾

[سورة القصص: ٢٥]

فما الذي لفت نظر هذا النبي الكريم في بنت سيدنا شعيب؟ حياؤها.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾

[سورة القصص: ٢٥]

وما الذي لفت نظر بنت سيدنا شعيب في سيدنا موسى؟ قوته وأمانته عفافه، قال تعالى:

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

[سورة القصص: ٢٦]

بل إن من علامات قيام الساعة أن تنزع المروءة من رؤوس الرجال، وأن يذهب الحياء من وجوه النساء، وأن تنزع الرحمة من قلوب الأمراء، فلا مروءة في رأس الرجل، ولا حياء في وجه المرأة، ولا رحمة في قلب الأمير.

٥ ــ رفع الصوت بالكلام و مجادلة الرجال :

من مظاهر تشبه النساء بالرجال رفع الصوت بالكلام، ومجادلة الرجال، صوتها يعلو على صوته في الطريق، وفي أي مكان آخر، وفي البيت صوتها الذي يعلو، فإذا ارتفع صوتها فقدت أنوثتها، بقيت امرأة لكنها فقدت أنوثتها، والذي يلفت نظر الرجل في المرأة حياءها وأدبها وخفض صوتها.

٦ ــ تقليد الرجل في المشية و في الحركات :

أيها الأخوة الكرام، ومن مظاهر تشبه المرأة بالرجل تقليد الرجل في المشية والحركات، قد تجد امرأة تمشي واثقة من نفسها، تمشي وكأنها رجل، مثل هذه المشية التي تشبه مشية الرجال هذا نوع من أنواع تشبه المرأة بالرجال، تمشي مشية الرجل بقوة وجلد وتظهر الصلابة والخشونة، بل ويصل بها الحد إلى أن تتدرب في بعض النوادي على المصارعة.

٧ ــ الخشونة في التعامل :

ومن مظاهر تشبه النساء بالرجال الخشونة في التعامل، فهي عنيدة فظة الخلق مستبدة برأيها لا تقدر ولا تحترم أحداً، وهذه الصفات مذمومة بحق الرجل فكيف بحق المرأة؟

٨ ــ ترك الزينة :

وهناك شيء قد يلفت النظر نص عليه العلماء من مظاهر تشبه النساء بالرجال ترك الزينة، كأن المرأة مأمورة أن تتزين، أن تعرب عن أنوثتها، طبعاً لمحارمها، لزوجها، فهناك امرأة تترك الزينة كلياً، وترفع صوتها على زوجها، وخشنة في المعاملة، عنيدة، قاسية لا تلين، فظة، هذه الصفات مذمومة بالرجال فكيف بالنساء؟

٩ ــ نبذ قوامة الزوج :

أيها الأخوة، ومن مظاهر تشبه النساء بالرجال نبذ قوامة الزوج، هذه التي لا ترى حرمةً لزوجها، لا تطيع أمره، لا تحترمه أمام أولاده، هي امرأة خالفت منهج النبي عليه الصلاة والسلام، فنبذ قوامة الزوج أو رعاية الولي نوع من أنواع تشبه المرأة بالرجال، لا تقبل أمراً، ولا تخضع لأحد، لا لأبيها، ولا لزوجها، ولا لإخوتها، وأنا لا أتكلم من فراغ أيها الأخوة، أنا لخصت هذه النواحي في أسئلة كبيرة ومشكلات كثيرة، طلب مني أن أعالجها، وجدت امرأة لا تنصاع لأحد.

١٠ ــ أن تسافر من دون محرم :

ومن مظاهر تشبه النساء بالرجال أن تسافر من دون محرم، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ))

[البخاري عن ابن عمر]

شيء مألوف جداً أن تجد امرأة تنتقل من قارة إلى قارة، ومن بلد إلى بلد، من دون محرم، والسفر خلوة كما نص عليه الفقهاء.

١١ ــ قلة الحياء :

أيها الأخوة الكرام، ومن مظاهر تشبه المرأة بالرجل قلة الحياء، فالمرأة المسترجلة نزعت الحياء من شخصيتها، ومن أخلاقها، أصبحت كالشجرة بلا لحاء، مصيرها إلى العطب وإلى الموت سريعاً، فالمرأة المسترجلة تتكلم في كل موضع، وقد يكون الموضوع يقتضي أن تستحي أن تقول فيه، تتكلم في كل موضوع، وتتحدث مع كل الناس، وتذهب إلى كل مكان بلا حياء وبلا خلق، ففي الحديث الصحيح عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ))

[البخاري عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ]

أسباب تشبه النساء بالرجال :

أيها الأخوة الكرام، لو أردنا أن نعود إلى أسباب هذه الظواهر، أول سبب نقص الإيمان وقلة الخوف من الله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

ضعف الإيمان وراء كل معصية فتاة نشأت في بيت فيه ضعف في الإيمان، ثم التربية السيئة، فالإنسان ابن بيئته، فإذا كانت البيئة التي نشأت فيها الفتاة صالحةً كانت فتاةً أخلاقية، وإذا كانت البيئة التي نشأت فيها الفتاة سيئة، الأم تتطاول على الأب، البيت سائب لا انضباط فيه، ولا محاسبة، مثل هذا البيت ليس تربةً صالحةً لفتاة تتأدب بآداب الإسلام.

أيها الأخوة، ومن أسباب هذا التشبه الغزو الثقافي الذي جاءنا عن طريق الصحون، نموذج المرأة الغربية امرأة مسترجلة، امرأة قوية هي أقوى من زوجها، أقوى بكثير، لا تصبر على زوج سنتين، فهذا الغزو الثقافي الذي يأتي المسلمين من خلال هذه الصحون، من خلال الأعمال الفنية هذا يغرس في أعماق الفتيات نموذجاً للمرأة القوية المسترجلة التي لا تخضع لزوج، وتتأبى عليه، وهي المسيطرة، أحد أسباب المرأة المسترجلة هو تقليد الأجانب.

أيها الأخوة الكرام، والتقليد الأعمى حينما تؤخذ المرأة بصرعات الأزياء، وحينما تؤخذ المرأة بحديث الصديقات السيئات، فهذا سبب آخر من أسباب استرجال المرأة، ثم إن رفيقات السوء أكبر خطر على الفتاة، الأب المؤمن يعلم علم اليقين من تصاحب ابنته، الإنسان كائن اجتماعي، لكن يعلم علم اليقين من تصاحب ابنته لذلك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً))

[متفق عليه عن أَبِي بُرْدَةَ بْنَ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

قل لي من تصاحب أقل لك من أنت، أول مهمة من مهمات الآباء أن يعرفن من تصاحب بناتهن من الرفيقات، وهناك ضعف نفسي عند بعض الفتيات تحب أن تظهر بمظهر يلفت النظر، هذا إتمام نقص في شخصيتها، فحينما تربى الفتاة تربية إيمانية، التربية الإيمانية تعطي الفتاة قوة الشخصية، تعطي الفتاة قيمتها في المجتمع المسلم، تعطي الفتاة قيمتها عند الله عز وجل، فحينما يكون هناك نقص في شخصية المرأة هذا الذي يدعوها أحياناً إلى أن تلفت النظر، أما الشيء الذي يعد هو الفيصل فالقدوة السيئة، الأم المسترجلة تنشئ بناتها على أن يتشبهن بالرجال لذلك قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا الْآيَةَ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

كمثل البهيمة لا تلد إلا البهيمة.

أيها الأخوة الكرام، وآخر شيء من أسباب هذا الاسترجال والتشبه بالرجال انعدام الغيرة من زوجها أو وليها، فالزوج يمشي مع زوجته وهي كاسية عارية وهو مرتاح جداً، وهو يصلي الجمعة أحياناً، زوج لا يغار على زوجته والغيرة من الإيمان، أتعجبون من غيرة سعد، والله إنني لأشد غيرة منه كما قال عليه الصلاة والسلام، فالزوج الذي لا يغار على زوجته ولا على بناته هذا في إيمانه إشكال:

((ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالدَّيُّوثُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى))

[النسائي عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ]

وسائل فعالة في معالجة تشبه المرأة بالرجل :

أيها الأخوة، لابد من التربية الإيمانية، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ))

[الترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ]

لك الجنة، الجنة هدف كل إنسان ومن أثمانها أن تربي ابنتك تربيةً إيمانية، من أحد أكبر أسباب دخول الجنة أن تربي بناتك تربيةً إسلامية ثم القدوة الحسنة، حينما تكون الأم قدوةً لبناتها في حجابها، في أدبها مع زوجها، في رعايتها لبناتها، الأم أيضاً يمكن أن تكون هي المحور في تربية البنات وإلزام البنت أو المرأة بالحجاب الشرعي الذي نص عليه الفقهاء، ألا يظهر من مفاتنها شيء، وعدم السماح للمرأة بالخروج من دون حاجة، هذه أيها الأخوة بعض الوسائل المجدية في معالجة هذه الظاهرة الخطيرة.

أيها الأخوة الكرام، يقول الله عز وجل:

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[سورة النحل: ٩٧]

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[سورة غافر: ٤٠]

أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، و زنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، و اعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، و سيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، و تمنى على الله الأماني.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

حوار فيه حلّ للمشكلات العقدية التي تشغل المسلمين :

أيها الأخوة الكرام، أسوق لكم حواراً وجدت فيه حلاً لمعظم المشكلات العقدية التي تشغل المسلمين، في بعض العصور السابقة ظهرت فكرة خلق القرآن، وتبنى هذه الفكرة أحد خلفاء بني العباس، وأدخل كل من أنكر هذا السجن، وكانت فتنةً كبيرة جداً، كيف حلت؟ حلت بحوار جرى بين عالم جليل وبين خلفية المسلمين، أسوق لكم طرفاً من الحوار.

أدخل على الواثق شيخ من أهل الفقه والحديث من الثغر الشامي- من بلاد الشام- مقيداً، حسن الشيبة، فسلم غير هائب، ودعا فأوجز، فرأيت الحياء منه في حماليق عيني الواثق، فقال له أمير المؤمنين: يا شيخ أجب أحمد بن أبي دؤاد عما يسألك، أحمد بن أبي دؤاد يتزعم فكرة خلق القرآن، وهذا الشيخ جاء مقيداً. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين أحمد يصغر، ويضعف عند المناظرة، فرأيت الواثق وقد صار مكان الرحمة غضباً عليّ، فقال: أبو عبد الله يصغر ويضعف عند مناظرتك؟ فقال: أيها الأمير هون عليك أتأذن لي في كلامه؟ فقال الواثق: قد أذنت لك، أقبل الشيخ على أحمد فقال: يا أحمد إلام دعوت الناس؟ قال أحمد: إلى القول بخلق القرآن، فقال له الشيخ: مقالتك هذه التي دعوت الناس إليها من القول بخلق القرآن أداخلة في الدين فلا يكون الدين تاماً إلا بالقول بها؟ قال: نعم، قال الشيخ: فرسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إليها أم تركهم؟ قال: لا ما دعا الناس إليها.

فقال: يعلمها أم لا يعلمها؟ قال: يعلمها، قال: فلمَ دعوت إلى ما لم يدعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأمسك، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين هذه واحدة، ثم قال الشيخ: أخبرني يا أحمد، قال الله تعالى في كتابه العزيز: اليوم أكملت لكم دينكم، فقلت أنت: الدين لا يكون تاماً إلا بمقالتك بخلق القرآن، فالله تعالى عز وجل الصادق في تمامه وكماله أم أنت الصادق في نقصانه؟ فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين هذه الثانية، ثم قال بعد ساعة: أخبرني يا أحمد الله عز وجل حينما قال: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، فمقالتك هذه التي دعوت الناس إليها فيما بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأمة هل بلغها إلى الأمة أم لا؟ فأمسك، قال الشيخ: يا أمير المؤمنين هذه الثالثة. ثم قال بعد ساعة: خبرني يا أحمد لما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتك التي دعوت الناس إليها وسعه أن أمسك عنها أم لا؟ قال: بل وسعه ذلك، فقال الشيخ: وكذلك لأبي بكر اتسع ألا يقولها للناس وكذلك لعمر وكذلك لعثمان وكذلك لعلي رحمهم الله تعالى؟ قال: نعم، فصرف الشيخ وجهه إلى الواثق، وقال يا أمير المؤمنين: إذا لم يسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه فلا وسع الله علينا.

فقال الواثق: نعم لا وسع الله علينا، إذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه فلا وسع الله علينا، ثم قال الواثق: اقطعوا قيوده فلما فكت جاذب عليها – أخذها – فقال الواثق: دعوه ثم قال: يا شيخ لم جاذبت عليها؟ قال: لأني عقدت في نيتي أن أجاذب عليها

فإذا أخذتها أوصيت أن تجعل بين يدي و كفني، ثم أقول: يا رب سل عبدك لم قيدني ظلماً وارتاع بي أهلي؟ فبكى الواثق والشيخ وكل من حضر، ثم قال: يا شيخ اجعلني في حل – سامحني- فقال: يا أمير المؤمنين ما خرجت من منزلي حتى جعلت في حل إعظاماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقرابتك منه، فتهلل وجه الواثق وسر. ثم قال: أقم عندي آنس بك. فقال له: مكاني في الثغر أنفع- كان العلماء مجاهدين- وأنا شيخ كبير ولي حاجة هناك أن ألقى الله في ساحة المعركة. فقال: سل ما بدا لك. قال: يأذن لي أمير المؤمنين في رجوعي إلى الموقع الذي أخرجني منه هذا الظالم. فقال: أذنت لك وأمر له بجائزة فلم يقبلها.

أيها الأخوة الكرام، أرأيتم إلى طبيعة هذه المناظرة بمثل هذه المناظرة تحل أكثر المشكلات العقدية فيما بين المسلمين التي جعلت بأسهم بينهم، لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا ضال))

[ابن ماجه عن العرباض]

فحينما قال الله عز وجل:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾

[سورة المائدة: ٣]

قال العلماء: الإكمال نوعي، والإتمام عددي، فعدد القضايا التي عالجها الإسلام تام عدداً، وطريقة المعالجة كاملة نوعاً، وأي إنسان إلى يوم القيامة يضيف على الدين شيئاً هو يتهمه بالنقص، وأي إنسان يحذف من الدين شيئاً يتهمه بالزيادة.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾

[سورة المائدة: ٣]

والحمد لله رب العالمين

الباب العاشر : الآداب العامة للزوجين

٠١ – قواعد اجتماعية تسهم في نجاح الحياة الزوجية

٠٢ - آداب التعامل بين الرجل والمرأة

٠٣ - حول ضرورة الزواج

٠٤ - واجبات المرأة تجاه ديمومة الزواج

٠٥ - العلاقات الزوجية

٠٦ - الضوابط التي يجب أن تراعى في الرياضة

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة – الدرس (١٣٨) :قواعد اجتماعية تسهم في نجاح الحياة الزوجية.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٥-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

بيوت المسلمين ليست كما ينبغي أن تكون:

أيها الإخوة الكرام، موضوع هذا الدرس يتعلق بالحياة الأُسرية، فبيوتات المسلمين ليست كما ينبغي أن تكون، أقصد ليست فيها السعادة التي وعد الله بها المؤمنين، وليس بين الزوجين تلك المودة والرحمة التي وردت في نص القرآن الكريم، ولا بين الزوجين المسلمين ما نقل إلينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان بينه وبين زوجاته من الودّ الطيب.

أول نقطة: حينما تصلح العلاقة الزوجية، ويكون البيت عشاً هادئاً سعيداً هذا ينعكس على الأولاد والعمل والزوجة، والذي يقطف ثمار هذا الود الذي وصفه الله عز وجل في القرآن الكريم:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

(سورة الروم)

سبب اختيار الموضوع:

لعلكم تسألون: ما المنطلق الذي أنطلق به في هذا الدرس ؟ شكاوى عبر الهاتف، وعبر لقاءات شخصية لا تعد ولا تحصى، من أن هذا البيت مع أن الزوج ينتمي إلى مسجد، وهو من طلاب العلم، ومحسوب على المسلمين المؤمنين، ومع أن الزوجة تخاف الله عز وجل، ومع أن هوية الزوجين هوية إيمانية، لكن لا تجد بينهما هذه المودة التي ذكرها الله في القرآن الكريم، لو أردنا أن نطبق قوانين الود العامة قال تعالى:

﴿فَنَسُوا حَظّاً مِمّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

(سورة المائدة)

مادام هناك تقصير في طاعة الله عز وجل فالناتج الطبيعي لهذا التقصير عدم الود بين الزوجين، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام في أكثر من حديث الشريف كما ورد في الأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول:

((... والذي نفسي بيده ما تواد اثنان فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما))

[أحمد بسند صحيح]

لو تصورنا أن مؤمنين أخوين زوجين كلاهما على طاعة الله، وملتزمان أمام الله، ومطبقان لكتاب الله والسنة، نظرياً أصولياً قاعدياً مستحيل أن ينشأ بينهما خلاف ! إلا ما كان طفيفاً جداً في وجهات النظر، لكن هذا يدوم ساعة، أما الاختلاف العميق الذي نراه في البيوت فها هو الخطر. واللهِ من كثرة ما يأتيني عبر الهاتف، ولقاءات شخصية من شكاوى من الزوجات أو من الأولاد هذا الذي حملني أن أخصص هذا الدرس للسعادة الزوجية.

ما الذي يحصل ؟ حينما كان في الخطبة كانت جنته وناره، يتصل بها، ويتكلم معها ساعات طويلة، ما باله بعد الزواج ؟ تفتر هذه العلاقة شيئاً فشيئاً إلى أن ينصرف كل واحد منهما عن الآخر، وقد لا يحتمل أحدهما أن يجلس مع الآخر، ما الذي حصل ؟

الحقيقة أن البارحة زارني أخ دعاني لحضور عقد قرانه، قال لي: انصحني، قلت: واللهِ النصيحة معقدة، لن تسعد بزواجك إلا إذا سعدتَ أنت بالله، إلا إذا عرفته، وأطعته، واتصلت به، وسعدت بقربه.

الآن إذا أخذت بيدها إلى الله، فعرفت ربها، وأطاعته، وسعدت بقربه الآن تسعدك، لأنها تتقرب إلى الله بإسعادك، وأنت تتقرب إلى الله بإسعادها، لأنك تخشى الله أن تظلمها ، ولأنها تخشى الله أن تظلمك.

تصور زوجين كل منهما يخشى الآخر أن يظلم الطرف الآخر، وكل منهما يتقرب إلى الله بإسعاد الطرف الآخر، ما هذا الزواج ؟ لماذا هناك ثغرة ؟ في بداية الزواج شعلة، ثم تخبو شيئاً فشيئاً، ثم تنطفئ ؟ أليس من الممكن أن تستمر هذه الشعلة ؟ أنا الذي يصل إلى سمعي أن أسراً قليلة جداً بينهما ود وتراحم مستمر.

قواعد شرعية تسهم في السعادة الزوجية:

١ – تطبيق الزوجين لمنهج الله:

أيها الإخوة، أبدأ بالنواحي الشرعية، كلما طبق الإنسان منهج الله عز وجل في شأن زواجه، وفي شأن علاقته بزوجته كان الود أكثر، فتوجيهات النبي عليه الصلاة والسلام واضحة. مثلاً قال للمرأة:

((انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل الجهاد))

(الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطي)

تصور الجهاد وهو ذروة سنام الإسلام، أعلى درجة في الإسلام أن تكون مجاهداً، وهذه المرأة التي تحسن رعاية زوجها، وأولادها هي في مرتبة المجاهد في سبيل الله، لكن بالتعبير الدارج لا يوجد امرأة تأخذ بهذا الكلام، لكن هذا كلام سيد الأنام، كلام حبيب الله، كلام سيد الخلق، وحبيب الحق، ومع ذلك هناك تقصير، والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((أكرموا النساء، فو الله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم، ويغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً))

(ورد في الأثر)

٢ – المعاشرة بالمعروف:

لو قرأت القرآن الكريم:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(سورة النساء)

ليست المعاشرة بالمعروف كما قال بعض المفسرين أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل أن تحتمل الأذى منها، هذه المعاشرة بالمعروف، امرأة اشتكت لي زوجها القاسي قلت لها: صديقة النساء آسيا امرأة فرعون جعلها الله تحت طاغية جبار كافر، بل من أكفر كفار الأرض لماذا ؟ لتكون قدوة لأية زوجة شاءت حكمة الله أن يكون زوجها قاسيًا أو ظالمًا، لأن لديها أولادًا فعليها أن تصبر، فلو قرأت القرآن الكريم لوجدت فيه من القصص ومن العبر ما لا ينتهي مثلاً:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

(سورة البقرة)

أحياناً يسخر الإنسان من أهل زوجته، فإذا تكلمت امرأته كلمة في حق أهله أقام الدنيا، ولم يقعدها، لما هذا التميز ؟ كما أن أهلك تدافع عنهم، وتلتمس توقيرهم واحترامهم هي كذلك، فهذا المفهوم من بعض أحاديث رسول الله: أن عاملوا الناس كما تحب أن يعاملوك، هذا مقياس من أروع المقاييس، الشيء الذي يزعجك من زوجتك ينبغي ألا تفعله مع أهلها، الشيء الذي تأخذه عليها ينبغي ألا تفعله معها، هذه مقدمة.

طبعاً طاعة الله، الاتصال بالله أن يمتلئ القلب رحمة بالزوجة، هذا كله أسباب شرعية كافية لدوام الحب بين الزوجين.

قواعد اجتماعية تسهم في السعادة الزوجية:

لكن هناك توجيهات اجتماعية نفسية إن صح التعبير لو طبقناها لقطفنا ثماراً يانعة من العلاقة الزوجية، أنا سأشرح بعضها.

١ – السلام عند دخول البيت وتفقد الزوجة:

فمثلاً: عند عودتك إلى المنزل وهذه نصيحة، إنْ كان الزوج في عمله عند عودته إلى المنزل ابحث عن الزوجة، وسلم عليها بطريقة أو بأخرى، هناك مَن يدخل إلى البيت لشأن من شؤونه، وينسى أن في البيت زوجة، بعد حين تكتشف أنه في البيت ! هذه نصيحة لا تكلف شيئًا، لمجرد أن تدخل إلى البيت ابحث عنها، وسلم عليها، هي مركز ثقل في البيت، هي الأولى في البيت، أنت إذا دخلت لتقابل إنسانًا مهمًّا لا تهتم بالأثاث، تهتم أن تنظر إليه، وأن تسلم عليه بادئ ذي بدء، فحينما تعود إلى البيت، ويكون أول عمل لك أن تبحث عنها في البيت، وتسلم عليها بطريقة أو بأخرى، فهذه نقطة بسيطة جداً لكن لها معنى كبير.

أحياناً يقول الإنسان: لا تؤاخذني، كلمة قالها، لكن لها معنى كبير، إنسان يقول: أخطأت في حقك، سامحني، تنسيك كل الغضب، كل غضبك يتلاشى بكلمة واحدة، كلمة الحق مسعدة.

((إن الرجل ليتكلم الكلمة لا يرى بها بأسا يهوي بها سبعين خريفا في النار))

(الترمذي)

لا يلقي لها بالاً، لو أن الرجل يتكلم بكلمة طيبة يعلو بها إلى أعلى عليين، فلو قال لك أحد: هذا الفتور الذي بيني وبين أهلي، هذا الجفاء والانصراف كل منهما ينصرف عن الآخر، ما علاجه ؟ أنا أؤكد لكم أن سعادة كل واحد فيكم ببيته لها أثر كبير جداً في عمله، ولها أثر كبير عندها وعند الأولاد، هناك أولاد ينشؤون نشأة كاملة، أو نشأة صحيحة، أحد أكبر أسبابها حسن العلاقة بين الأب والأم، أما الأولاد إذا نشؤوا على خصام مستمر بين الأب والأم فلهم مستقبل لا يرضي أحدًا، مآله إلى التمزق، هذا أبوهم، وهذه أمهم، وخلافات مستمرة بينهما.

فأول ملاحظة: عند عودتك إلى البيت ابحث عنها أولاً، وسلم عليها، إشعاراً لها أنها أثمن ما في البيت، وأنها مركز الثقل في البيت.

٢ – التماس العذر:

كما قلت قبل قليل: في أيام الخطبة قد تزيد المكالمة عن ست ساعات، لكن بعد حين لا ينطق في البيت بكلمة ! متعب، لكن ليس كل شيء ينبغي أن يكون مزاجياً، أحياناً المرأة لا تقدر عمل الزوج، يكون عمله شاقًا، وفيه متاعب، وعقبات، وضغوط، وعليه دفع كثير، والدخل قليل، وهناك مشكلة في محله التجاري، وقضية مع التموين، وقضية مع الاستيراد، مثلاً، هو موظف، قضية مع موظف فوقه، عليه تضييق، فأحياناً يأتي الزوج مثقلا بالهموم، هذه الهموم التي أثقلته تحمله على أن يصمت، هي ليس عندها مشكلة، مرتاحة، تجده يكثر الصمت، فتنزعج.

التمس لأخيك عذراً، والزوج أولى أن يلتمَس له عذر، والزوجة أولى أن يلتمس لها عذر، لكن لا مانع، اسألها عن يومها بدقة، ماذا فعلت ؟ من زارك ؟ من اتصل بك ؟ هل هناك مشكلة عانيتِ منها ؟ فرضاً، هل هناك من مشكلة أزعجتك ؟ فالسؤال عن أحوال الشخص دليل مودة.

أحياناً تلتقي بإنسان فتقول له: كيف الصحة ؟ يقول: الحمد لله، العمل جيد ؟ الحمد لله، الأهل والأولاد بخير ؟ ابنك نجح ؟ ابنك الذي تزوج كيف حالته الزوجية ؟ هذه الأسئلة تجعل مودة كبيرة بينك وبين الشخص، معنى هذا أنك مهتم به كثيراً، بزوجته، بأولاده، بمستقبل أولاده، بزواج أولاده، بعمله التجاري، فحينما تكثر من السؤال مع الطرف الآخر هذا يمتّن العلاقة بينك وبينه، والزوجة في هذا أولى، فلو أنك دخلت إلى البيت، وبدأت دخولك بالسلام عليها، ثم ثنيت بسؤالها عن أحوالها، وعما جرى معها في اليوم، هذا أيضاً من باب المودة.

٣ – الإنصات إلى الزوجة:

الحقيقة أن هذا الكلام أوجهه لكم ولنفسي، لست أنا مطبقاً له كله، حتى أكون معكم دقيقًا، حاول أن تنصت لها كثيراً، الإنصات أدب، أحياناً تحدثه زوجته وهو يقرأ الجريدة، أو يتابع على الكومبيوتر، أو يفتح كتاباً، ثم تملّ، من أصول المناقشة أن يصغي لها عندما تتحدث معه، هذه أيضاً تمتن العلاقة بين الزوجين، أن تحسن الإصغاء إليها، وأن تنظر إليها، وأن تدع ما بيدك، فحاول أن تنصت إليها وأن تسألها.

طبعاً هذا الدرس مجموعة قواعد بسيطة جداً لا تكلف شيئاً، لكن يمكن أن تسهم مادام ليس هناك أشياء كبيرة، مادام الزوجان مؤمنين طاهرين عفيفين مستقيمين ملتزمين، هذا الحديث لخاصة الخاصة، لزوجين يعرفان الله، ويخافانه، ويحبانه، ويسعيان لطاعته، فقد ينقضهما بعض الأشياء اللطيفة، النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال له بعض أصحابه:

((أن رجلاً كان عندَ النبيّ صلى اللّه عليه وسلم، فمرّ رجلٌ فقال: يا رسول اللّه، إني لأحبُّ هذا، فقال له النبيّ صلى اللّه عليه وسلم: هل أعْلَمْتَهُ ؟ قال: لا، قال: أعْلِمْهُ، فلحقه فقال: إني أُحبك في اللّه، قال: أحبّك الذي أحببتني له))

(الأذكار النووية للإمام النووي)

٤ – التصريح بالحب والمودة:

فإذا كنت مقدّرًا شخصًا لمَ لا تعبر عن تقديرك ؟ إن كنت تحب شخصاً لمَ لا تعبر عن حبك ؟ ما الذي يمنعك ؟ ما الذي يمنعك أن تقول لها: إنني أحبك ؟ كانت السيدة عائشة تسأله: كيف حبك لي، ومتأكدة أنه يحبها، لكن ما مستوى محبته لها ؟ كيف حبك لي: قال:

((كعقدة الحبل، قالت: فكنت أقول له: كيف العقدة، فيقول: على حالها))

(تذكرة الموضوعات)

كان النبي الكريم زوجًا ناجحًا من الطراز الأول، وقد تسأل: هل من المعقول أن ينجح إنسان في بيته، وهو يقود أكبر دعوة إلى الله ؟ يمكن، نحن من تقصيرنا إذا نجح أحدنا خارج البيت يخطئ داخل البيت، وقد تجد إنسانًا ناجح جداً داخل البيت وليس له عمل خارج البيت، من السهل جداً أنْ تنجح بأحد الحقلين، لكن النبي الكريم نجح في كل الحقول، نبي مرسل يقود دعوة إلى الله، حارب

قريش ثلاث حروب، يدير أمة، وفي بيته يقال له: كيف حبك لي ؟ يقول: كعقدة الحبل، وتسأله من حين لآخر: كيف العقدة ؟ يقول: على حالها.

إذاً قل لها: إنني أحبك، وأنت أغلى إنسان في حياتي، وقد أكرمني الله بك، وسعدت بقربك، لاحظ أنك لطيف جداً مع الآخرين، يأتي الضيف فترحب به أحلى ترحيب، تتواضع له، وتبش له، وتبتسم له، وتحلف عليه أن يأكل، ويرتاح، فإذا دخلت إليها لا تجد منك هذه المودة فتتألم، وهي أولى بمودتك، وأنا أحاول في هذا الدرس أشياء بسيطة جداً.

أقول مرة ثانية: إذا وجدت مخالفات شرعية كبيرة مهما طبقت من هذه النصائح فلن تجدي، إذا وجدت مخالفات شرعية كبيرة وتقصير في طاعة الله وعدم التزام، عين شاردة، أو متابعة لأعمال سخيفة على الشاشة، كل هذا خيانة زوجية، وأعمال منحطة، إذا وجد اهتمام بهذا الشأن الذي لا يرضي الله فهناك مشكلة لا تحل، وحينما تكون التغذية إسلامية فأنت قدوتك النبي الكريم، وأصحابه الكرام.

رجل تزوج امرأة بأمريكا، وهو يجلس معها، فذهبت، ولبست ثيابها، فسألها: إلى أين ؟ قالت: عندي موعد مع صديقي ! شيء طبيعي جداً، لم يتحمل، صبر في اليوم الثاني موعد ثانٍ، اليوم الثالث موعد ثالث، اليوم الرابع له فجلس معها ! هي تمشي بالعدل، فطلقها، تزوج امرأة مسلمة صالحة، وهي نائمة يقول: الله يحفظ لي، أنت كلك لي، حتى لا يطمعها، عندما جلس مع الأمريكية وجدها من الطراز الأول.

المخالفات الشرعية مانعة من الوفاق الزوجي:

إذا كان هناك مخالفات شرعية فلا تجد الود ولا المحبة، وأنا أقول دائماً في عقود القران: ما من زواج يبنى على طاعة الله ولو افتقر إلى معظم مقومات نجاحه إلا ويتولى الله التوفيق بين الزوجين، وما من زواج يبنى على معصية الله ولو توافرت له كل أسباب نجاحه إلا ويتولى الشيطان التفريق بينهما، عرس كلّف ملايين بفندق، وهي على المائدة قال لها: أنت طالق، طالق، طالق، طلقها يوم العرس ! لأن الشيطان يدخل بينهما، أما المؤمنون فالله بينهما، يقولون: فلان شيطاني، وفلان رحماني، الزوج الرحماني رحيم لطيف حكيم، في قلبه شفقة، يخاف الله، والزوجة الرحمانية أيضاً تخاف الله، وتعطف على زوجها، أروع ما في الآية الكريمة:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

(سورة الروم)

المودة واضحة، الرحمة ؟ المودة سلوك يعبر به عن الحب، والابتسامة مودة، لكنها منطلقة من محبة في القلب، والهدية مودة، أما الرحمة فقد تنقطع أسباب المنفعة بين الزوجين، كزوج مريض تخدمه زوجته سنوات طويلة، قد تمرض الزوجة فلا ينتفع بها كزوجة إطلاقاً، لكن يحفظ عهدها، ويرعى شأنها إلى أمد طويل، فهذا الزواج هو مبني على المودة والرحمة معاً، أو على كليهما، أما إذا فَقَد أحدهما كان الآخر، لو فقدت المودة كانت الرحمة، لذلك قالوا: زوّج ابنتك للمؤمن، إن أحبها أكرمها، فرضاً ــ لا سمح الله ولا قدر ــ وإن لم يحبها لم يظلمها، كلمة: إنني أحبك، أنت أغلى مَن في حياتي، أكرمني الله بك، مَن أنا لولاك ؟ فرضاً، هذا كلام طيب، هو واقعي، الإنسان مفتقر لزوجة شئت أم أبيت، إذا سافرت زوجته لأمرٍ قاهر، أو سافر هو يعرف قيمتها تماماً في كل شيء.

٥ – شكر الزوجة عمل زوجها وشكر الزوج عمل زوجته:

ملاحظة أخرى، اشكر لها عندما تؤدي عملاً، الطبخ طيب معتنى به جداً، ينبغي أن تذكر ذلك.

﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾

(سورة البقرة)

البيت نظافته درجة أولى، شيء يلفت النظر، ينبغي أن تذكر هذا، البيت مرتب، وفي الحديث الشريف رواية:

((إن نظرت سرتك))

وليس إليها، والمقصود إذا نظرت إلى المطبخ سرتك، إن نظرت إلى غرفة النوم سرتك مرتبة، إن نظرت إلى أولادك ثيابهم نظيفة سرتك، إن نظرت لمائدتك سرتك، هناك تنظيم على المائدة، إن نظرت إليها سرتك، أو إن نظرت سرتك، اشكرها حينما تؤدي عملاً طيباً، إن دخلنا البيت نبحث عنها، ونسلم عليها أولاً، وإن تكلمت نصغِ إليها، وإن لم تتكلم نسألها عن شؤونها وأحوالها، وإن أبدت عملاً طيباً نشكرها على عملها، ومن حين لآخر عليك أن تقول: إنك تحبها، مرتين في اليوم، وليس بالسنة مرة، نصيحة بعض علماء النفس مرة في اليوم، ذكرها بفضلها. مرة زارني أخ يزمع أن يطلق زوجته، فأنا في الحقيقة استدرجته، وقلت له: هل تخونك ؟ قال: أعوذ بالله ! ما هذا الكلام ؟ ! ارتعب من أعماقه، هل هي قذرة ؟ قال: لا والله، إنها نظيفة يا

أستاذ، أريد أن أستدرجه ليذكر ميزاتها دون أن يشعر، تخونك ؟ أعوذ بالله، عفيفة جداً طاهرة، قذرة ؟ لا والله نظيفة جداً، طبخها ممتاز، فهو خجل، وجد أنه ذكر عن عفتها، وعن نظافتها، فذهب.

والله مرة شهد الله، وأنا أعدها من آيات الله الدالة على عظمته في درس من دروس الفجر، كالعادة أعطي من رياض الصالحين، أفتح الكتاب لا على التعيين، بالعادة أمشي بالتسلسل، أحد الأيام لا أدري ما السبب فتحته لا على التعيين، جاء الموضوع عن الزواج، أنا شعرت نفسي أن هناك مددًا إلهيًا عجيبًا، معاني دقيقة جداً بشكل رائع، درس بالتعبير العامي غير عادي، أنا لا أعرف ما الذي حدث، أولاً: اخترت حديثًا اختيارًا عشوائيًا، وكان الشرح عميقًا جداً، يبدو أن هناك عاطفة صادقة، خرجت من الجامع، فوجدت رجلا يقف، فضمني وقبّلني، قال: أنا اليوم كنت سأطلق زوجتي، وعلى إثر الدرس ألغيت الطلاق ! فالله عز وجل ألهمني، أنا شعرت بمدد عجيب من الله عز وجل، معاني دقيقة، وعاطفة صادقة، وشرح دقيق، فلما خرجت عرفت السبب، كان هناك رجل على وشك أن يطلق زوجته، فهذا الدرس منعه من طلاقها.

عندما تعد المرأة الطعام امدح طهوها، أيضاً هذه ملاحظة، القمصان كلها مكوية ونظيفة، والمطبخ درجة أولى، البيت مرتب، والأولاد مرتبون، ونائمون في وقت معين، يكتبون وظائفهم، وتابعتهم، يجب أن تمدح عملها، ثم إذا قدمت لك طعاماً طيباً ينبغي أن تمدح طعامها.

٦ – تزين المرأة لزوجها:

الآن أكثر الأزواج يشكون أن زوجته لا تتزين له، تهتم بزيارة أو باستقبال، أو بشيء، لكن لو تزينت لك هل تذكر ذلك أنت ؟ ولا كلمة، أحياناً تتزين، تتجمل، تعتني، ترتدي ثيابًا جديدة، تزين وجهها، ولا كأنه يوجد شيء، فعلى الإنسان أن يكون منتبهاً، هناك اهتمام بالمظهر، ينبغي أن تثني على اهتمامها بمظهرها، هذا تشجيع لها، وأنا أرى في هذه الأيام بالذات اهتمام الزوجة بمظهرها وقوامها وثيابها جزءًا كبيرًا من عبادتها، لأنها بهذا تحصن زوجها، أما إذا أهملت، ولبست لباس المطبخ، بها روائح الأكل، وشعرها مضطرب بقوة، هي زوجة مخلصة، لكن لم تعد زوجة تسعد زوجها أو تحصنه من أن ينتظر لغيرها، فعناية الزوجة بمظهرها وأناقتها وقوامها، أقول قوامها لأنه أحياناً لا يكون عناية بالقوام أصبح مشكلة كبيرة، إهمال لقوامها لم تعد مقبولة عنده، تجده يبحث عن غيرها، هذا الإنسان غير الملتزم يبحث عن وسائل متعة أخرى ينصرف

عنها، فعناية المرأة بمظهرها وقوامها وأشيائها التي تحببها لزوجها جزء من دينها، بل إن الصحابيات الجليلات كن يستأذن أزواجهن قبل النوم: ألك بي حاجة ؟ إن كان له بها حاجة فأداء حاجته فوق كل عباداتها ! إن قال: لا، تنصرف إلى قيام الليل.

هناك نقطة دقيقة، البيت غير المرتب مزعج جداً، وهناك أزواج قد يكون عندهم أشغال فوق التصور، لكن أي شيء يخلعونه يدعونه في مكانه، فالبيت مضطرب، لا يكفيها الوقت لتهتم بتنظيم البيت كله، تجد في البيت فوضى، يقول هنا: دع أشياءك في مكانها الصحيح، ولا تنتظر أن تقوم هي بذلك، إذا وضع إنسان حاجاته في أماكنها خفف عبئًا كبيرًا عن الزوجة، أما أربعة أولاد، وأبوهم، والكل يسبب الفوضى، وهي لا تستطيع تنظيم ذلك لعدم كفاية الوقت ! يكون رد الفعل إهمالا شديدًا، تجد البيت مخيفاً.

والله دخلت بيتًا غير معقول أبداً، الحذاء على الطاولة، رأيت شيئًا لا يصدق، سبعة أولاد لم يربوا تربية جيدة، والأب مهمل معهم، والزوجة ملّت، فهذه مشكلة، لكن دع أشياءك في مكانها الصحيح، ولا تنتظر أن تقوم هي بذلك، إذا وضع كل إنسان حاجاته في أماكنها خفف عبئًا كبيرًا عن الزوجة.

٧ – مساعدة الزوجة في حال التعب والمرض:

ملاحظة أخرى، إذا بدت يوماً متعبة أو مشغولة فاعرض عليها مساعدتك بتأدية بعض الأعمال، أحياناً ترتيب غرفة، إعداد العشاء مثلاً، والحقيقة أن هناك تقصيرًا من الأزواج جميعاً، أما لو أنك من حين لآخر ساعدتها ببعض الأعمال فهذا شيء لا ينسى، وكان عليه الصلاة والسلام في خدمة أهله، أحياناً يكون في البيت أماكن تحتاج ليد قوية، وجهد كبير، فإن قمت في بعض الأحيان بمساعدتها في البيت فهذا يعمق المودة بينكما.

٨ – مصاحبة الزوجة إلى نزهة شرعية:

أخرجها للتنزه معك ولو لوقت قصير من حين لآخر، الرجل يخرج من البيت، يتنشط، يلتقي بأصدقاء، يركب سيارة، يدخل معملا، أو متجرًا، عنده احتكاك، هي في البيت جالسة، أول يوم، ثاني يوم، سابع يوم، أول جمعة، ثاني جمعة، ثالث جمعة، ثم تنفجر، هي روح أيضاً، فأحياناً النزهة المتواضعة ـــ أنا لا أقول: نزهة غالية جداً ـــ في أيام الزهر خذها إلى الغوطة فرضاً، أو

تأكلون خارج البيت، هذه النزهة من حين لآخر تعطي قوة دفع في الأسرة كبيرة جداً، والآن في ضغوط الحياة الشديدة جداً أنا أعرف إخوانًا كثيرين موضوع نزهة لا يدخل في حساباتهم إطلاقاً كل حياتهم، في البيت زوجة، في هذا البيت، في الغرفة، في المطبخ، أول سنة، ثاني سنة، ثالث سنة، رابع سنة، ثم تضجر، وقد قيل: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلّت عميت، فالأولاد والمرأة يتنشطون، أنا أقول: نزهة إسلامية، لا يوجد فيها اختلاط، أو غناء أو مطاعم، بمكان طبيعي جميل بعيد عن الناس، معك أكلك، ولو كان مكانًا قريبًا.

والله مرة أخ من إخواننا قال: زوجتي تضجر كثيراً، ولا تريد أن تبقى معي، وتحب أن تجلس مع إخوتي، شيء لا يصدق، لم تكن هكذا، فسألته، قال: من أربع سنوات لم أصحبها إلى نزهة ! فنصحته أن يأخذها إلى نزهة طويلة، وإلى مكان بعيد، فحلّت المشكلة نهائياً، إذاً هناك حاجة للتنزه أحياناً، وفي هذه الأيام ضغوط العمل، بيوت غير صحية، بيت طابق مثل العلبة، حلت فيه ضجر.

والله أعرف أشخاصًا يقولون: تناولنا العشاء بالجبل، هناك أماكن بعيدة نائية لا ازدحام فيها، كلها ربع ساعة مثلاً يمكن أن تأتي نوعًا من النشاط، النزهة جزء من حياة الأسرة السعيدة، أنا ما أدعوك أن تتكلف، بل بأقلّ حد ممكن.

هناك كثير من الأزواج، وهو في عمله يخبر زوجته مرة أو مرتين، هل من شيء غير طبيعي ؟ يلزمك شيء، تريدين شيئًا ؟ ماذا تفعلين ؟ فرضاً، هذه تسبب ودًا كبيرًا، وأنت في عملك لا تنسَ زوجتك، اتصل بها من حين لآخر لتسألها عن أحوالها، أو لتشاركها شيئاً ما.

٩- إخبار الزوج زوجتَه عن تأخره:

إذا كنت ستتأخر فاتصل بها لتخبرها، والله هناك كبير يمكن أن يكون عندك موعد عشاء سيمتد إلى الواحدة، وهي تنتظر، لم تأكل بعد، هذا شيء يحطم الأعصاب، إذا اتصلت أنك متأخر، وكان الأمر طاهرًا فهذا شيء، وإن كانت أشياء طفيفة جداً.

أنا بدأت بالدرس أن الأمور الكبيرة مطبقة، زوجان مؤمنان ملتزمان يحبان الله عز وجل يطيعانه، أما في الأمور الصغيرة فهناك تقصير، العلاقة تفتر .

١٠ – سؤال الزوج زوجته قبل خروجه من البيت:

قبل أن تخرج من البيت قل لها: هل تريدين شيئاً تأتيها به ؟ أيضاً هذا كلام لطيف.

١١ – منح الزوج زوجته عشرين دقيقة للانتباه الكامل:

امنحها عشرين دقيقة من وقتك تنتبه إليها بكليتك من دون أن تكون على عجلة من أمرك، ولو باليوم عشرون دقيقة تنتبه لحديثها، دون أن تكون مشغولاً بشيء، هذا مما يمتن العلاقة بينك وبينها.

١٢ – تقبل عذرها:

تقبّل بهدوء تأخرها عن الاستعداد للخروج، قد تتأخر في نزهة، تبدأ بمشكلة، كلام قاس، النزهة كلها تعطلت، فالإنسان بقدر الإمكان يطبق هذه التعليمات.

١٣ – التعاطف معها عند الشعور بالضيق:

أيضاً تعاطف مع مشاعرها عندما تشعر بالضيق، كلمة: والله معك حق حسنة.

مرة أحد القضاة جاءه متخاصمان، فأول خصم حكى كلامًا مقنعًا، قال: والله معك حق، تكلم الآخر وقال له: معك حق، وكانت زوجته تجلس خلف الستار، فقالت له: ما هذا الحكم يا فلان ؟ قال: والله معك حق !

أحياناً هي معها حق، وأنت معك حق، هي مرهقة جداً تجلس وأنت جئت محطماً، الحياة صعبة جداً، الآن الذي يستطيع أن يؤمن مصروفه ليس قضية سهلة، المتطلبات كبيرة جداً، والأعمال غير ميسورة، وفرص عمل غير موجودة، والنفقات كبيرة، فالزوج معه حق أحياناً وهي معها حق، فإذا عبرت عن ألمها فتعاطفْ معها، وشاركها آلامها.

١٣ – المفاجأة بالهدية:

أيضاً فاجِئها بهدية صغيرة من وقت لآخر، ليست العبرة بقيمة الهدية ولكن بمعناها بهدية صغيرة من وقت لآخر باقة ورد شيء بسيط من حاجاتها كهدية.

إن كانت مريضة فاسألها عن حالها وتطور مرضها، وذكرها بموعد الدواء هذا اهتمام كبير بها، وإذا جرحت مشاعرها فاعتذر لها، والاعتذار مناسب جداً، أنني أخطأت وسامحيني، إذا ذكرت كلمة قاسية وجرحت بها مشاعرها فاعتذر.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون في بعض القواعد التي شرحتها لكم عوناً على أن تكون المودة والرحمة بين الزوجين.

القاعدة العامة في التعامل بين الزوجين:

والقاعدة العامة أيها الإخوة، يجب على الزوج أن يخطو نصف الطريق، والزوجة نصف الطريق، لكن لا يوجد إنسان مهمل مقصر سيئ، وينتظر من الطرف الآخر أن يأتي إليه، هذه مشكلة المشاكل، خطوة منك وخطوة منها تلتقيان في وسط الطريق، أما إذا لم تقدم شيئًا، وتنتظر منها كل شيء فهذا مستحيل، لا تقدمِين شيئاً، وتنتظرين منه كل شيء، هذا غير صحيح.
أرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الدرس سبب في إشاعة المودة والرحمة بين الزوجين، وأنا والله مثلكم أستمع لهذه النصائح، وسأطبقها إن شاء الله، لعلي أنا أيضاً مقصر، والإنسان في بيته يأخذ حريته أحياناً، لكن هذه لها مضاعفات غير جيدة، والحمد لله رب العالمين.

سؤال:

تقول زوجة: إنها تطبق تسعين بالمئة مما تقول يا سيدي، ولكنني مللت الكلام، أريد أن تؤكد حبك لي بأن تشتري لي، وتأخذني إلى النزهات، غير أنني من ذوي الدخل المحدود، فما العمل ؟

نصيحة لسائل:

والله أن تصبر امرأة على دخل زوجها المحدود هذه مجاهدة في سبيل الله، الصحابية كانت تقول: اتقِ الله فينا، نصبر على الجوع، ولا نصبر على الحرام، وكم من امرأة ضغطت على زوجها فأكل المال الحرام.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾

(سورة التغابن)

إذا ضغطت المرأة على زوجها ضغطاً يومياً من أجل أن يلبي حاجاتها حتى أكل الحرام كانت أكبر عدوة له، لأنها سبب دخوله النار.

لذلك الشرع وضع حدًا قاسمًا، أطعمها مما تأكل، وألبسها مما تلبس، أنت مؤاخذ ألف مرة حين تتغدى بمطاعم، شبعان، والبيت لا شيء فيه، أنت آثم والله.

والله أعرف أناسًا ما أكلوا أكلة في مطعم، أو بدعوة إلا جاءوا بمثلها إلى البيت، يأكل المؤمن بشهوة أهله، بيت المسلم كل الأكل بالبيت، قد يدعى الإنسان لطعام نفيس، يشتهي أهله بهذا الطعام، يصنعه لهم في اليوم التالي، هذا المؤمن، أطعمها مما تأكل، لكن هناك أناس كثيرون يأكلون مما يشتهون مع أصدقائهم، والبيت لا شيء فيه، هذا شيء خلاف الشرع، أما أطعمها مما تأكل، وألبسها مما تلبس.

سؤال ثان:

هل صحيح أنه لا يجب على المرأة غسل أغراض زوجها ؟

جواب:

والله هذا الكلام لا أصل له في الدين، السيدة فاطمة شكت لأبيها تعبها من خدمة البيت، فماذا قال لها ؟ هل قال لها: لا يحق عليك أن تخدمي علياً ! لا، لأن الزواج مشاركة.

قال تلك المرأة: إن زوجي تزوجني، وأنا شابة ذات أهل ومال، فلما كبرت سني، ونثر بطني، وتفرق أهلي، وذهب بالي قال: أنت علي كظهر أمي، ولي منه أولاد، إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا، هو يأتي بالشراب والطعام والرزق، وأنا أخدم في البيت، هذا شيء طبيعي.

كلام اسمعه من حين لآخر، أن الزوجة غير مكلفة إطلاقاً، لا تنظف، ولا تغسل، ولا تكوي، ولا تطبخ، مهمتها فقط للفراش، هذا كلام غير واقعي، ولم يفعله الصحابة إطلاقاً، والنبي لم يوجه هذا التوجيه، لماذا ليس في عقد الزواج أن عليها أن تطبخ، وتغسل، أصبح عقد خدمة ! صوناً لكرامتها ومكانتها ولأصالتها لا يمكن أن يكتب في عقد الزواج الخدمة، هذا عقد مقدس، عقد شريكين أقدس عقد في الحياة، لكن ما عليه أصحاب النبي أن الزوجة تخدم زوجها في البيت،

وهو يأتي بالرزق، أما أنها ليست مكلفة بشيء فهذا كلام لا أصل له، وفيه مبالغة وتطرف في طرحه.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة – الدرس (٠٢٣) :آداب التعامل بين الرجل والمرأة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩١-١١-٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون... حديث اليوم: عن أم المؤمنين صفية بنت حُيَيّ رضي الله عنها، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلّم معتكفاً في رمضان فأتيته أزوره ليلاً ــ المتكلمة السيدة صفية ــ فحدثته، ثم قمت لأنقلب إلى بيتي فقام معي ليردني إلى البيت، فمرّ رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي عليه الصلاة والسلام أسرعا، فقال عليه الصلاة والسلام:

((على رسلكما ــ أي انتظرا ــ هذه صفية بنت حُيَيّ زوجتي))

ــ فقالا: سبحان الله يا رسول الله !!

ــ فقال عليه الصلاة والسلام

" **((. إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً أو شيئاً))**

(رواه البخاري ومسلم)

هذا الحديث تعرفونه جميعاً، وأنا كثيراً ما أسترشد به، ولكن لي وقفة تحليلية أستنبط منه بفضل الله تعالى أحكاماً كثيرة.

قبل أن أشرع في شرح الحديث، بادئ ذي بدء النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((الزكاة في الأربعة: الحنطة والشعير والتمر والزبيب))

(من الجامع الصغير: عن " ابن عمر ")

نص الحديث يوحي أنه لا زكاة فيما سوى هذه المحاصيل

((الزكاة في الأربعة: الحنطة والشعير والتمر والزبيب))

الآن، في سؤال: الإنسان الذي يملك مزرعة حمضيّات، وضمنها بمليون، ليس عليه زكاة ؟ والذي عنده مزرعة كرز، أو مزرعة تفاح، والذي عنده أعشاش عسل بكميات تجارية كبيرة، ألا تجب عليه الزكاة ؟ كيف نوفق بين نص الحديث وبين الأحكام الفقهية ؟ مَن يعرف الجواب ؟ الجواب الفقهي أن الفقهاء قالوا: لا تجب الزكاة في عينها بل في علتها، علتها أنها محصولٌ أساسي، محصولٌ ذو قيمةٍ كبيرة، إذاً من هذا يستنبط أن كلام النبي عليه الصلاة والسلام واسع الدلالة، هو ضرب مثلاً وذكر شيئاً، ويستنبط من هذا الشيء أشياء ن فتجب الزكاة لا في هذه

المحاصيل الأربع، بل في علتها، وعلتها أنها محصول يدر على صاحبه دخلاً كبيراً، فالعلة واحدة في محصول الحمضيات، محصول العنب، التفاح، محصول القمح والشعير.

هذا ينقلنا إلى حديثٍ آخر، حينما قال عليه الصلاة والسلام:

((.والله ما آمن بي))

فقال أصحاب النبي عليهم رضوان الله: خاب وخسر ــ مَن هو ؟

قال:

((.من بات شبعان وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم))

(من الجامع الصغير: عن " أنس ")

وقد يقول قائل: أنا لا أعلم. نقول له: مَن لم يتفقد شؤون المسلمين فليس منهم، لكن فقط الجائع ؟ هل الجوع مثل الطعام والشراب ؟ إذا كان هناك حاجة إلى مأوى، حاجة إلى مسكن، حاجة إلى ملبس، حاجة إلى عمل. فأحياناً نعبر عن شدة الحاجة إلى هذا الشيء بالجوع، فنقول: فلان جائع إلى طلب العلم، مثلاً، فالنبي عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((والله ما آمن بي))

فقال أصحاب النبي عليهم رضوان الله: خاب وخسر ــ مَن هو ؟ قال:

(("من بات شبعان وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم))

(من الجامع الصغير: عن " أنس ")

فإذا قسنا هذا الحديث الثاني على الحديث الأول، بأن المقصود ليس الشيء ذاته بل المقصود علته، إذاً حينما تجد جارك المسلم في حاجةٍ ماسةٍ إلى أي شيء، وأنت يتوافر عندك هذا الشيء، وحرمته منه، فو الله ما آمنت، فو الله ما آمنت، فو الله ما آمنت.

أردت من هذين الحديثين أن أنقلكما نقلةً خفيفة، من نص الحديث إلى مضمونه، من ظاهر كلماته إلى فحواها، من المنطوق إلى المفهوم، فحينما قال الله عز وجل:

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾

(سورة الإسراء: من آية " ٢٣ ")

المنطوق ؛ منطوق هذه الآية نهيٌ عن أن تقول كلمة (أف) لأمك ولأبيك، لكن المفهوم أن كل تصرفٍ فيه إيذاءٌ للوالدين منهيٌ عنه، أن تشد نظرك إليه كقولك (أف)، أن تغلق الباب، أن تغلق سماعة الهاتف مثلاً، أن تحدَّ النظر إليهما، هذا كله مما يفهم من قوله تعالى:

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (٢٣)﴾

من هذه الأحاديث حديث:

((الزكاة في الأربعة: الحنطة والشعير والتمر والزبيب "))

(من الجامع الصغير: عن " ابن عمر ")

والعلماء قالوا: لا تجب في عينها بل في علّتها، وحديث النبي عليه الصلاة والسلام:

((والله ما آمن، والله ما آمن، والله ما آمن من بات شبعان وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم))

مفهوم هذا الحديث أوسع بكثيرٍ جداً من مدلوله المحدود، أوسع من منطوقه، مفهوم هذا الحديث ؛ إذا كان أخوك المسلم بحاجةٍ إلى شيءٍ، وأنت يتوافر هذا الشيء لديك، ومنعته عنه، فلست مؤمناً، فلست مؤمناً، فلست مؤمناً.

لذلك حينما اخترت هذا الحديث، الذي تعرفونه جميعاً، وأنا كثيراً ما أردده، أردت أن نتوسع في فهم معناه، عن أم المؤمنين صفية بنت حُيَيّ رضي الله عنها قالت

((: كان النبي صلى الله عليه وسلم معتكفاً في المسجد في رمضان فأتيته أزوره ليلاً ــ وفي بعض الروايات: أتيت أجلب له طعاماً ــ فحدثته، ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليردني إلى البيت))

الاستنباط الأول: لا ينبغي أن تتحرك المرأة وحدها، فيجب أن تكون معها، والدليل: حينما خرجت بنتا سيدنا شعيب ولقيهما سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وقال:

﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾

(سورة القصص: من آية " ٢٣ ")

أي نحن لا نزاحم الرجال، هذا استنباط أيضاً، امرأة تدخل في ازدحام، تدخل في مركبة الازدحام لا يحتمل، والله لأن تمشي على قدميها ولأن تتعب أفضل عند الله ألف مرة من أن تدخل بين الرجال في مركبةٍ عامة..

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣)﴾

يعني علة وجودنا هنا أن أبانا شيخ كبير، ولولا أن أبانا شيخٌ كبير لما كان من المعقول أن تجدنا في الطريق.

فيستنبط من هذا الحديث الاعتكاف في رمضان، يستنبط وفاء الزوجة، خدمة الزوجة للزوج، يستنبط صون الزوجة من أن تكون وحدها في الطريق، من أن تتحرك في ساعةٍ متأخرةٍ من الليل، من أن تنطلق وهي شابة وحدها إلى بيت أهلها.

فقالت السيدة صفية بنت حيي رضي الله عنها وهي أم المؤمنين

((فقام معي ليردّني، فمرَّ رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا.))

وهذا من أدب أصحاب رسول الله، أي:

((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))

(من الأذكار النووية: عن " أبي هريرة ")

من هذه التي معه ؟ دائماً في أسئلة فيها فضول، في أسئلة حشرية، كم المهر ؟ ماذا قدم لها في العُرس ؟ ماذا ألبسها من الذهب؟ كم دخلك أنت ؟ كم تتقاضى على هذه الوظيفة ؟ هذا البيت اشتريته، أم هو مستأجر ؟ أسئلةٌ كثيرةٌ، كم ربحتم هذا العام ؟ أنت ليس لك علاقة بذلك. هو حر، يريد أن يعرف كم تربح، وأين تسهر، وهذا البيت ما وضعه، ووبكم استأجرته، ومتى استأجرته، ولماذا أنت فيه، وهل اشتريته ؟؟

((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))

(من الأذكار النووية: عن " أبي هريرة ")

و..

((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس))

(من الجامع الصغير: عن " أنس")

فهذان الصحابيان الأنصاريان حينما رأيا النبي عليه الصلاة والسلام أسرعا، فقال عليه الصلاة والسلام:

((على رسلكما ــ أي تمهّلا ــ إنها ــ هناك روايات كثيرة ــ إنها صفية بنت حُيَيّ زوجتي، وإنها أمكم صفية))

فقال

((سبحان الله يا رسول الله))

أي أنهما ذابا من الخجل. أي اتهمك يا رسول الله، معاذ الله !! ــ فقال عليه الصلاة والسلام:

((إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يخرج في قلوبكما شراً ــ أو قال ــ شيئاً))

(رواه البخاري ومسلم)

إذا أردنا أن نطبق هذا الحديث على القاعدة السابقة، أن كلام النبي عليه الصلاة والسلام له مفهومٌ وله منطوق، له معنى محدود بنص الحديث وله معنى واسع، فكيف نستنبط من هذا الحديث أحكاماً فقهيةً أخرى ؟ من عنده جواب ؟

شخص أعطاك مثلاً مبلغاً من المال قال لك: اشتري به لي هذه الحاجات، بعدما اشتريتها له وأنت في أعلى درجات الأمانة، قال لك: كم الثمن ؟ قلت له: طلعنا خلاص. لا يشك في أمانتك، لكن يا ترى كم الأسعار ؟ كم ثمن هذه الحاجة ؟ أنت أوقعت الشك في قلبه، أنت بريء، هنا النقطة الدقيقة أنك قد تكون في أعلى درجات النزاهة، وفي أعلى درجات الأمانة، وفي أعلى درجات الطُهر، وفي أعلى درجات الإخلاص، ومع ذلك ليس هذا هو المقصود، المقصود انطباع الناس عنك، فلو سلكت امرأةٌ عفيفةٌ سلوكاً يجر لها التهمة، واتهمها الناس بالفاحشة، لو إنها بريئة؛ جلبت لنفسها متاعب لا تحصى، إذاً ليس المقصود أن تكون بريئة أو غير بريئة، المقصود أن تَجُبَّ المغيبة عن نفسها، وهذا ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام:

((.رحم الله عبداً جب المغيبة عن نفسه))

لذلك، البطولة إذا أردت أن تتحرك، أو أن تتصرف، أو أن تسلك سلوكاً معيناً، دقق، هذا السلوك كم تفسير له ؟ إن كان له تفسير واحد هذا من أرقى أنواع السلوك، لا يستطيع خصومك، ولا أعداؤك، ولا حُسَّادك أن يجرِّحوا فيك. أما السلوك الذي يحتمل له تفسيران، يجب أن تبادر إلى توضيح التفسير الثاني.

يعني إنسان له محل تجاري بسوق مغلق، واضطر إلى أن يسافر في اليوم الثاني باكراً، ويحتاج إلى دفتر من هذا المحل، وجاء إلى السوق ليلاً، وفي للسوق حارس، ينبغي أن يوضح لهذا الحارس الذي لا علاقة له بهذا الموضوع: أنني جئت لآخذ هذا الدفتر من المحل فأنا في الغد مسافر، لأنه لو دخل دكانه ليلاً وله شريك، فهذا الدخول في الليل يثير الشبهات.

فأي عملٍ يمكن أن يفسَّر تفسيراً آخر، كأن تكون في محل تجاري، ودخلت عليك امرأة، فاستقبلتها استقبالاً حاراً، ولك أخ بالطرف الثاني قل له: هذه أختي. وإلا يسيء الظن بك، فإذا في استقبال غير استقبال الإنسانة العادية فلابد من التوضيح، وقد قيل: البيان يطرد الشيطان.

فدائماً المؤمن ليس شاكاً في نفسه بل هو يعرف نفسه علم اليقين، يعلم طهارته، ونبله، لكن المشكلة ما يأخذ الناس عنك من انطباعات، فلو سلكت سلوكاً شائناً، أو سلوكاً صحيحاً لكن يفسِّر تفسيراً آخر، يعني أنت كلّفت أخو زوجتك بغيابك بالسفر أن يأتي إلى البيت ليتفقد أحوال أختك ــ زوجتك ــ ولك جيران، فإذا أعلمتهم أنني كلفت أخا زوجتي أن يتفقد أخته، هذا من الضروري، لأنهم إذا رأوا رجلاً لا يعرفونه دخل إلى بيتك في سفرك، ماذا يقولون؟ لو أنهم أخلاقيون لوقعوا

في شك، لو أنهم غير أخلاقيين للاكتك الألسنة، ففي كل حركةٍ، في كل سكنةٍ، في كل تصرف بيّن الحساب، بيّن من هذا الذي تحدثه سراً، بيّن من هذه التي رحبت بها، كلما بيَّنت أبعدت عن نفسك التُهَم، ومَن وضع نفسه موضع التهمة واتهمه الناس، فلا يلومن إلا نفسه.

أنت جالس عند صديقك بالمحل التجاري، ووراء الطاولة، ودرج الغلّة مفتوح، ويلزمك صرف مائة ليرة، يمكن تضع المائة ليرة ثم تأخذ ما يقابلها، قد يراك أحدهم تأخذ من الدرج مبلغاً من المال، استئذنه: أتسمح لي أن أصرف مائة ليرة، أنت بريء مائة في المائة، ألف بالمائة، لكن حينما تفتح درج المال وتأخذ من هذا الدرج، ويراك إنسان أخذت ولم يرك قد وضعت، فأنت وضعت نفسك موضع التهمة، تريد أن تتصل بالهاتف قل له: أتسمح لي، لعل هي مخابرة خارجية، تصير، أريد أن أخبر فلان، أنت دقيت طلعوا ثمانية أو تسعة أرقام بدلاً من ستة، أنت الرقم ما ظبت فأعدته مرة ثانية، فظنها مخابرة خارجية، قل له: سأخبر فلان في الحي الفلاني.

((فدائماً وأبداً حينما تطبِّق سنة النبي عليه الصلاة والسلام))

((على رسلكما هذه زوجتي فلانة.))

وانتهى الأمر، كن واضحاً، هذا ابني، هذا الشيء اشتريته أنا. أحياناً تدخل على محل تجاري ومعك بضاعة ليست من بضاعة هذا المحل، حينما تريد أن تأخذها وتخرج، يقال لك: إلى أين آخذها، ما دفعت ثمنها ؟ هذه ليست من هنا، فتجبه: هذه أنا اشتريتها، فإذا دخلت قل: هذه ليس من عندك. هذا يحدث.

أحياناً تدخل على محل ومعك بضاعة من نوع بضاعة المحل، فإذا حملتها وخرجت، وكان لك هيبة، واستحيا صاحب المحل التجاري أن يقول لك: لم تدفع ثمنها، وهذه ليست من عنده. دائماً فكر: هل موقفي له تفسير آخر ؟ هل أنا متهم بهذا التفسير ؟

فهذه صفية التي حدَّث النبي عنها فقال:

((هذه صفية بنت حُيَيّ زوجتي))

قالوا: سبحان الله يا رسول الله !! النبي عليه الصلاة والسلام يعلم علم اليقين أنه أنقى من ماء الثلج، ويعلم علم اليقين أنه أطهر من الملائكة، ويعلم علم اليقين أنه معصوم، ومع ذلك خاف على أصحابه.

وأنت أيضاً أيها الأخ، لك معاش محدود، جاءك مبلغ من مال من طريق الإرث، غيَّرت مصروفك، وغيرت، فظن الناس أن لك دخلاً غير مشروع، فبيّن: أنا والله الله عزّ وجل أكرمني

بمبلغ من المال ورثته عن فلان، فإذا غيرت فرش البيت، أو أي شيء سيسألون: من أين أتى به هذا معاشه محدود ؟ دائماً بيّن، البيان يطرد الشيطان، ولاسيما ومع الشركاء، ولاسيما مع الأقرباء.

قال: هذه صفية بنت حيي، كان النبي عليه الصلاة والسلام يرحم ضعفها، ويقوم لها مقام الأب الحنون والولد البار، والزوج الكريم، كانت معه في حجة الوداع، وقد علم أنها لم تطف طواف الإفاضة، وكانت في الحيض، فكاد يؤخِّر المسلمين جميعاً من أجل طوافها، تكريماً لها، وعطفاً عليها.

وقد تطاول عليها بعض نسائه، وتِهْنَ عليها بشرفهن ونسبهن، فعلّمها عليه الصلاة والسلام أنه إذا تطاول عليها أحد من زوجاته أن تقول له

((أبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد))

((. قال لها هكذا قولي لهن، وهي بنت حيي بن أخطب. فحينما تتيه عليها ضُرّاتها كان عليه الصلاة والسلام يعلمها أن تقول لهن: قولي لهن))

((أبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد.))

مرةً في مرض وفاته صلى الله عليه وسلم، كانت صفية تعاني من ألمٍ شديد لما ألمَّ بالنبي، فقالت له ببراءةٍ وبحبٍ وبإخلاصٍ: لو أن الذي تشكو منه كان بي يا رسول الله. أي أتمنى أن يكون هذا الوجع بي وليس بك، ضرّاتها سمعن قولها، فتغامزن عليها، فعليه الصلاة والسلام،

((أمرهن أن يتمضمضن من قولهن فيها))

أي تكلمتن كلاماً فأغسلوا فمكم منه.

والكلمة التي قلتها البارحة حينما قالت السيدة عائشة: إنها قصيرة، فقال:

((يا عائشة لقد قلت كلمةٍ لو مزجت بمياه البحر لأفسدته))

إذاً هذه زوجة النبي عليه الصلاة والسلام.

الشيء الآخر الذي يستنبط: أن النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن التجسس ونهى عن التحسس.

((إياكم وسوء الظن فإنه أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا))

(من مختصر تفسير ابن كثير)

فالتجسس تتبع الأخبار السيّئة، والتحسس تتبع الأخبار الطيبة، وأنت يجب أن تنصرف عن تتبع الأخبار كلها

((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس))

و..

((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".))

الآن نريد أن نأخذ أمثلة مما يشير إليه هذا الحديث الشريف، أي أن النبي الكريم ما أراد من هذين الصحابيين الجليلين الأنصاريين أن يقعا في سوء ظن، فأوقفهما، وأخبرهما بأنها زوجته، لكن هل هناك موقف يدعو للتهمة، وقد تكون أنت بريئاً جداً يفيدنا فيه هذا الحديث ؟

((الخلوة بامرأةٍ أجنبية.))

أي إذا دخلت على بيت وليس فيه الزوج، ودخلت إلى غرفة الضيوف وقيل لك: انتظره هنا، وليس في البيت إلا أنت وهي، وأنت أطهر من ماء السماء وأنقى من الثلج، لو نجوت من فتنة الخلوة لا تنجو من سوء الظن بك، فلذلك مما يستنبط من هذا الحديث الشريف الذي قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام

((على رسلكما هذه زوجتي صفيَّة بنت حيي))

أنه لا يجوز أن تخلو بامرأةٍ أجنبيِّة، طبعاً لا يجوز لأنه لا يجوز، لأن النبي عليه الصلاة والسلام نهاك عن أن تخلو بامرأةٍ أجنبية.

فلو أنت في البيت وحدك، طرق الباب، جاءت أخت زوجتك، أنت في المهاجرين وهي قد أتت من الميدان، تفضلي والله غير موجودة، تفضلي، وأنت أنقى من ماء السماء، وأنت أنقى من ماء الثلج، إذا قلت لها: تفضلي، وبقيت في البيت وهي أخت زوجتك ؛ لا تحل لك، ولا أن تنظر إليها، ولا أن تجلس معها، ولا أن تكلمها فضلاً عن أن تخلو بها، فإذا قلت: والله استحييت، فإذا كان الأمر ضروري فقل: تفضلي واخرج أنت من البيت، ما في مانع، رأساً قال لها: تفضلي وأنا سأخرج، هذا استنباط.. النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((. إياكم والدخول على النساء))

(من الجامع الصغير: عن " عقبة بن عامر ")

والمقصود من هذا الحديث الخلوة بهن، وأكرر بشكلٍ دقيق: إذا نجوت من فتنة الخلوة بها لا تنجو من سوء الظن بك، و..

((رحم الله عبداً جبَّ المغيبة عن نفسه))

يقابلها بالمصعد. وقف المصعد وفيه امرأة وحدها، الأكمل لأنك مؤمن أن لا تخلو بها في المصعد، إن نجوت من الفتنة لا تنجو من سوء الظن، هذا يستنبط من على رسلكم

((هذه زوجتي ..))

((" وضِّح.))

والحقيقة الشيء الذي يلفت النظر: أنه إذا خلوت بامرأةٍ من أحمائك، أي أخت زوجتك، هذه الخلوة مألوفة عند الناس أن هذه أخت زوجته، وابنة حماه، والمألوف عند الناس ما فيها شيء، فقال عليه الصلاة والسلام

((الحمو الموت))

وسأريكم الحديث، قال عليه الصلاة والسلام:

((إياكم والدخول على النساء. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحَمْوَ ؟ ــ أي بنت حماي ــ فقال: الحمو الموت "))

(من الجامع الصغير: عن " عقبة بن عامر ")

والفاحشة التي وقعت في هذه البلدة بسبب التهاون بهذا الحكم، وقعت الفاحشة بين الأحماء بسبب التهاون بهذا الحكم.

وفي حديثٍ آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

((إياك والخلوة بالنساء، والذي نفسي بيده ما خلا رجلاً بامرأةٍ إلا ودخل الشيطان بينهما، ولأن يزحم رجلٌ خنزيراً متلطخاً بطينٍ أو حمأةٍ خيرٍ له من أن يزحم بمنكبه امرأةً لا تحل له))

(من كنز العمال: عن " أبي أمامة ")

أعيد عليكم نصِّ الحديث:

((إياك والخلوة بالنساء، والذي نفسي بيده ما خلا رجلاً بامرأةٍ إلا ودخل الشيطان بينهما، ولأن يزحم رجلٌ خنزيراً متلطخاً بطينٍ أو حمأةٍ خيرٍ له من أن يزحم بمنكبه امرأةً لا تحل له))

(من كنز العمال: عن " أبي أمامة ")

مركز ضعف الرجل المرأة والمال، فإذا تحصَّن من أن يأكل مالاً حراماً، ومن أن يلتقي بامرأة لا تحل له، فقد تحصَّن من كل الجوانب، وأساساً خصوم الإنسان لا يستطيعون أن يصلوا إليه إلا من هذين البندين ؛ المرأة والمال.

في كتب الفقهاء من باب نظر الرجل إلى المرأة قولهم: يجوز نظر الطبيب إلى ما يحتاج إليه من المرأة الأجنبيِّة وقت علاجها، بشرط أن يكون معها زوجٌ أو ذو محرم، وبشرط ألا تكون ثمَّة امرأةٌ طبيبةٌ تحسن من العلاج ما يحسنه الرجل، مادام هناك طبيبة بمستوى الطبيب فالأولى الطبيبة، والأولى أن يكون الزوج مع زوجته، أو معها ابنها، أو أخوها، أو أبوها حينما يخلو بها الطبيب.

فيما يبدو أن العلاقات المالية تحتاج إلى توضيح، بيِّن الحساب، بين التفاصيل، هذه ثمن المواد،

وهذه الأجرة، طلب منك رقم كبير، يا ترى أنت ببالك الأجرة ألف فظهر أنها بثلاثة آلاف الأجرة، المواد سألت عنها فرأيتها رخيصة جداً، وهنا غالية كثيراً، بين المواد والأجرة، بين التكاليف، أما كل حساب تأخذه خفيةً ولو كنت مُحِقّاً به، وما بينت، ربما يسبب هذا أن تتهم في أمانتك، فيبدو أن الإنسان في أكثر الحالات التي ينطبق عليها هذا الحديث ؛ العلاقات المالية، والعلاقات الاجتماعية، فإذا كنت منزّهاً، وهذه المشكلة.

درسنا اليوم نحن فيه لا نتحدث عن إنسان يعصي، ولا عن إنسان يعتدي على عرض الآخرين، ولا على إنسان يأكل أموال الناس أبداً، ليس هذا موضوع الدرس، موضوع الدرس المؤمن المستقيم، النظيف، المخلص، التقي، النقي، هذا إذا لم يبيّن جرّ لنفسه سوء الظن، مَن أنت؟ فالنبي عليه الصلاة والسلام الذي هو فوق الشبهات، وفوق التُهَم، وفوق الظن، وهو في أعلى عليين، وهو ذو الخلق العظيم، وهو العفيف، وهو الشريف، وهو ذو النسب، ومع ذلك قال لهما:

((هذه زوجتي "))

فالإنسان أحياناً يكون معه زوجته ويحدثها، فليسلك سلوك النبي، في ظروف الإنسان دخل هذا ابني مثلاً، هذه ابنتي مثلاً، وضِّح في العلاقات النسائية وفي العلاقات المالية، كل شيء وضحه، طبعاً لو كان ممكن تأكل مال حرام فهذه مشكلة، لكنني أنا أتحدث عن المؤمنين، أنا أتحدث عن المستقيمين، أنا أتحدث عن الأنقياء، عن الأتقياء هؤلاء مكلّفون أن يفعلوا ما فعل النبي عليه الصلاة والسلام.

فمثلاً أنا كلّفني صاحب العمل أشتري المواد الأولية، سأضيف له على الفاتورة عطلتي، لكن سأدخلها مع المواد، لا، اكتب ثمن المواد واكتب أجرة جلب هذه المواد، لو سأل ووجد السعر أقل اتهمك بقلة الأمانة، أنت أضفت الأجرة، تضيفها مع الفاتورة ببند مستقل، ولا تضيفها مع المواد، كن صريح، ما عجبه لا يعجه، فالرزق على الله عزّ وجل، أنا سأعطل يوم لتأمين حاجاتك، أنا يومي بمائة ليرة، أنا سأأمّن لك أفضل الحاجات بأرخص الأسعار. اتفق معه، كلما كنت صريحاً وواضحاً، أي اعمل تحت ضوء النهار ولا تعمل في الظلام ؛ لا خفيةً، ولا مواربا، ولا هارباً، ولا معتماً، ولا ضبابياً، بل كن صريحاً واضحاً.

((إياكم وسوء الظن فإنه أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا))

(من مختصر تفسير ابن كثير)

والتحسس تتبع الأخبار الطيبة، لكن لا شأن لك بها، والتجسس تتبع الأخبار السيئة، ومن كمال الإنسان عدم تتبعه للأخبار الطيبة وللأخبار السيئة في وقتٍ واحد.

أحياناً يكون الطريق مزدحم بالنساء في وقت العصر، ويكون الطريق كله يبيعون حاجات النساء، فإذا سرت من هذا الطريق، أيضاً جلبت لنفسك سوء ظنٍ بك، إذا كنت مضطراً أن تصل إلى أحد محلات هذا الطريق خذه عرضاً ولا تمشِ به طولاً، أيضاً تبرئةً لسمعتك، فهناك أماكن مشبوهة، ذات مرة واحد قال لشخص في بائع أحذية ممتاز في مدخل سينما، قال له: والله أستغني عن ألف حذاء ولا أدخل هذا المدخل أمام طلابي. فإذا دخل، هو دخل يشتري حذاء لكن ماذا يقول طلابه لو رأوه ؟

يعني مثلاً دائماً هذه النقطة مهمة جداً، وأتمنى على الله سبحانه وتعالى أن ينظر الإنسان في هذا الموضوع جليلاً، لأن أكثر التهم، والأراجيل، والأقوال السيئة، ما في إنسان ما له خصوم، ما في إنسان ما له حسَّاد، ما في إنسان ما له أعداء، ودائماً أعداء الدين يسلطون الأضواء الكاشفة على المؤمن، فإذا زلّت قدمه، إذا وقع في غلطٍ طفيف، نشروا هذا الخطأ، وكبَّروه، وروَّجوه، وأرجفوا به، حتى يشوهوا سمعة المؤمنين، لذلك الله عزّ وجل قال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(سورة النور: من آية " ١٩ ")

يعني يحب أن تشيع الفاحشة، فأنت ممكن تمنع خصومك وحسَّادك وأعداءك من أن ينالوا منك بتطبيق السنة، وممكن تتساهل قليلاً، فتتهم بتهمٍ أنت غنيٌّ عنها.

((إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم))

كل إنسان معه قرين من الشيطان، ففي ساعة غفلة يأتي الشيطان ويوسوس له، هذا الذي ينصحك أنظر ماذا يفعل !! فأنت إذا نصحت الناس كن دقيق جداً، كن ورع جداً، كن فوق الشبهات حتى لا تخلق عند المستمع اختلال توازن، فأصعب شيء بالحياة أن يختل عندك المثل الأعلى، اهتزاز المثل الأعلى من أصعب مِحَن الإنسان، تكون أنت ظانن بهذا الإنسان خير، ويهتز هذا المثل، هو قد لا يهتز لكن يهتز لو أن هذا المثل ما طبَّق سنة رسول الله.

وأعيد وأكرر: أكثر ما نحتاج إلى هذا الحديث في النواحي المالية، وفي النواحي النسائية، ومادمت قانعاً بهذا الدخل، ومادمت تأخذ حقك الثابت، لا تستحي بحقك، سجله وأبلغه وأعطيه، أما الحسابات غير الواضحة، غير الدقيقة، المعمَّاة، المغطّاة، سيدي طلعنا خلاص، ماشي الحال، خير

إن شاء الله هذا كله كلام عام، هو دافع لك ثمن الحاجة قل له: هذه كلفت هكذا، فيها حاجات كذا، واضح، كن واضحاً ونم على ريش النعام ــ كما يقولون ــ

أكثر نقطة أتمنى على الإخوان الكرام أن يعقلونها في هذا الحديث: أن كلام النبي عليه الصلاة والسلام فيه إشارات، وفيه دلائل واسعة جداً، فأنت ليس من العقل، ولا من الحكمة أن تفهم الحديث فهماً محدوداً، أي إذا قال لك:

((واللهِ ما آمن، والله ما آمن، والله ما آمن. من بات شبعان وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم))

معنى ذلك أنه أي إنسان مسلم بحاجة إلى الشيء، وهذا الشيء متوافر لديك، يجب أن تبذله له، لتكون مؤمناً، أما أن تَقْصُرَهُ على الطعام فقط !! أعرف أباً عنده بيوت كثيرة، وابنه يتضور، يتلوّى على غرفةٍ يسكنها، فو الله ما آمن، لو صلّى هذا الأب، بيوت فارغة وابنه من صلبه، لو أنه صلى وصام وزعم أنه مسلم.

((واللهِ ما آمن، والله ما آمن، والله ما آمن. من بات شبعان وجاره إلى جانبه جائع)

فهمنا هذا الحديث فهماً موسعاً، كما فهمنا أن الزكاة تجب في الشعير والقمح والزبيب والتمر، والعلماء قالوا: تجب في علتها لا في عينها، فأي محصول زراعي في عليه زكاة، وأي إنسان بحاجة لشيء في عليه زكاة، وأي شبهة يمكن أن تنسحب عليك وضِّحها وبينها، ولا تنسوا هذا القول الدقيق: البيان يطرد الشيطان.

في إنسان طبعه سكوتي، وهذا السكوتي يُتّهم كثيراً، حركاته كلها بدون توضيح، تصرفاته كلها بدون توضيح، فمثل هذا الإنسان تأتيه متاعب كثيرة جداً من سكوته، في موطن السكوت سكوت شيطان، وفي موطن التكلم تكلم شيطان، فالحكيم مَن يحسن الكلام في موطن الكلام، والسكوت في موطن السكوت.

والشيء الثاني: أي موضوع الخلوة بالمرأة الأجنبية موضوع له علاقة ماسّة بهذا الحديث، فإذا نجوت من فتنة الخلوة، لا تنجو من فتنة سوء الظن، والحمو.

((الحمو الموت))

أي لا نسمح للزوجة أن تلتقي مع إخوة زوجها، ولا للزوج أن يلتقي مع إخوة زوجته، لأن طبيعة القرابة تسبب، أو تتيح للإنسان التكلُّم، والنظر، والمزاح، وكما قال النبي

((الحمو الموت.))

والإنسان بعد ذلك يقول لك: والله أستحي، مع النساء الأجنبيات إذا كان موقفك هكذا قاسي أو جاف أكمل، امرأة فإذا ابتسمت لها، وإذا سألتها عن صحتها، وعن أهلها، صار في حديث، صار في مشاعر مشتركة وأنت لا تملك قلبك، هنا ما في لباقة، اللباقة معه الرجال، لكن المرأة الأجنبية لا تحل لك، سؤال وجواب، ما في كلمة أروع من كلمة سيدنا موسى..

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾

(سورة القصص: من آية " ٢٥ ")

قبل ذلك، لما رأى امرأتين تزودان ماذا يقول لهما ؟..

﴿مَا خَطْبُكُمَا ﴾

(سورة القصص: من آية " ٢٣ ")

لو درست اللغة العربية كلها، أو أية لغة، ما وجدت كلمةً أشد إيجازاً، وأشد جديةً، وأشد وضوحاً، وأشد اختصاراً وإيجازاً من هذه الكلمة، من الآنستين مثلاً ؟ صار في..

﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾

هي لما جاءت قالت:

﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ ﴾

انظر لدقة الآية..

﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

لماذا لم تقسِّم الكلام ؟ والله إن أبي يدعوك، فيقول هو: خير إن شاء الله، ما المناسبة؟ ما أتاحت له أن يسألها وأن يجيبها..

﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

هذا الكلام للنساء إذا اشترين من البائعين لا يجب أن يقلن: راعينا، وجيرانك، وزبائنك، وقلبك قاسي علينا، هذا لا يجوز..

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً (٣٢)﴾

(سورة الأحزاب)

فهذا الكلام اللطيف، وتكسر الكلمات، والاسترحام، والاستعطاف بين رجل وامرأةٍ أجنبية هذه فتنة كبيرة جداً، فالمؤمن ما في عنده كلام لين زائد، وكذلك ليس جفص، يتكلم كلام معروف لا يعني شيئاً من كلامه.

فموضوع العلاقات المالية، والعلاقات مع النساء، والخلوة بالمرأة الأجنبية، والحمو، هذه كلها حالات تنسحب على قول النبي عليه الصلاة والسلام، ولا تنسوا أن هذا الحديث يستنبط منه الاعتكاف، وخدمة الزوجة، ورعاية الزوجة، وعدم السؤال عما لا يعني، فمرَّ أنصاريان، فلما رأيا النبي أسرعا، والنبي وضَّح وبيَّن، وهو يعلم أنه معصومٌ ونقيٌ، لكن لئلا يتيح للشيطان أن يأتي هذين الصحابيين فيلقي فيهما شيئاً عن النبي عليه الصلاة والسلام، و.. " رحم الله عبداً جبَّ

المغيبة عن نفسه ".. والبيان يطرد الشيطان. وهذا الحديث له نص وله فحوى، فحواه أن توسِّعه على كل شيء.

يعني ملخّص الدرس: إياك أن تسلك سلوكاً له تفسيران، التفسير الأول طيب، أما التفسير الثاني سيئ، فأعداؤك، وخصومك، وحسادك يختارون التفسير الثاني، فإذا كنت بطلاً لا تسمح لأعمالك، وأفعالك، وتصرُّفاتك أن تفسَّر غير التفسير الذي هو واقع فعلاً، وطبعاً فهمكم كفاية. ضربت مثل واثنين وثلاثة وخمسة، لكن أنت ممكن أن تطبق الحديث على آلاف الحالات.

قلت لكم هذه النقطة: أنت تريد أن تصرف مائة ليرة من عند صديقك قل له: اصرفها لي، ولا تفتح الدرج لوحدك، قال لك: اجلس في المحل، وهذا المحل يمكن يكون له شريك سيئ الظن فلا ترضى، دائماً ممكن يسيئوا الظن فيك ؟ إذا ممكن لا ترضى، ابقى أنقى من ماء السماء، وقلنا لكم كلمة: ليست العبرة أن تكون أنت نقياً، ليست هنا المشكلة، الحديث عن المؤمنين، العبرة ألا تؤخذ عنك فكرة سيئة، لأن أنت رأس مالك سمعتك، هذا هو عرض الإنسان، عرض الإنسان موضع المدح والذم فيه، فإذا هو تساهل في هذه النقطة، سبب للمسلم، أنا والله لا أبالغ آلاف القصص سمعتها لا أصل لها، لكن سببها أن أخاً كريماً تصرف تصرفاً من دون دقة، فخصومه وأعداؤه فهموا الجانب الآخر، فروجوا بين الناس. أنا الآن لو أردت أن آتي بقصص كثيرة جداً، ولكن اخترت ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام، دائماً كن في الدرجة الأولى من النزاهة والنقاء

والحمد لله رب العالمين

الفقه الاسلامي – العلاقات الأسرية – الزواج – الدرس (٠٨ – ١٧) : حول ضرورة الزواج .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-١١-٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أيها الإخوة المؤمنون ، مع الدرس الأول من سلسلة دروسٍ تعالج موضوع الزواج ، ذلك أن مشكلةً كبيرةً يعاني منها المسلمون ، ألا وهي انصراف الشباب عن الزواج لأسبابٍ كثيرة .
من هذه الأسباب أسباب مادية ، وهناك أسبابٌ أخرى ، وما من بيتٍ من بيوتات المسلمين إلا وفيه فتياتٌ طاهراتٌ مؤمناتٌ عفيفات ينتظرن ما كتب الله لهن من زواج ، فهناك مشكلة لا يخلو بيت من بيوت المسلمين منها ، صعوبات وعقبات ، تفلُّت أحياناً ، وإرجاء تأخير في سن الزواج أحياناً أخرى ، هذه كلها تقلق الآباء والأمهات ، نريد أن نرى هدي القرآن الكريم ، وهدي السنة المطهرة في هذا الموضوع .

دعوة الإسلام إلى الزواج

وصيةٌ قالتها امرأةٌ ، تقول في هذه الوصية : " يا بنيتي ، لو أن الوصية تركت لفضل أدبٍ تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرةٌ للغافل ومعونةٌ للعاقل ، ولو أن المرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها ، أو لشدة حاجتهما إليها ، لكنت أغنى الناس عنها ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خُلق الرجال".
هذه سنه الله في خلقه ، المرأة خلقت للرجل ، والرجل خلق للمرأة ، وكما قال الله عزّ وجل :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾

[سورة الشورى]

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾

[سورة فصلت الآية : ٣٧]

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم الآية : ٢١]

ما من شابٍ من دون استثناء إلا ويتطلع إلى زوجةٍ مؤمنةٍ ، تسره إن نظر إليها وتحفظه إن غاب عنها ، وتطيعه إن أمرها .

وما من فتاةٍ طاهرةٍ عفيفةٍ مؤمنةٍ إلا وترجو الله سبحانه وتعالى أن يجعل زوجها زوجاً مؤمناً ، رجلاً كريماً عفيفاً ، هذه حاجةٌ أساسية عند الرجال وعند النساء ، فلماذا نجد الطرق المؤدية إلى الزواج مغلقة أو ضيقة ؟

أيها الإخوة الكرام ، الإنسان خلقه الله عزّ وجل ، وزوّده بتعليمات ، هذه التعليمات هي الشرع الحكيم .

حكم الشرع في الزواج

قبل كل شيء نريد أن نرى حكم الشرع في الزواج ، وحكم الشرع في التبتُّل (الانقطاع عن الزواج) ، ولعل هذين الموضوعين تعرفون أكثر تفاصيلهما من دروسٍ وخطبٍ سابقة ، ولكن لا بدّ من هذين الموضوعين كتمهيدٍ لموضوعٍ دقيقٍ جداً ربما نضع فيه اليد على موطن الجُرح . ما العقبات التي تقف أمام زواج الشباب بالفتيات ؟ وهل هذه العقبات يمكن أن تذلل أو لا يمكن ؟ وكيف تذلل ؟ فلا يخلو رواد المساجد من أن يكون أحدهم شاباً يتطلع إلى زوجةٍ مؤمنة ، أو أن يكون أباً يتمنى على الله عزّ وجل ، أن يهبه زوجاً لابنته مؤمناً ، يحفظها ويرعاها ، ويكرمها ويحفظ لها دينها .

لذلك الزواج من سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، وأريد أن يكون هذا واضحاً أمامكم جميعاً ، فأنا أعجب أشد العجب من شابٍ في سن الزواج ، وبإمكانه أن يتزوج ، وعنده البيت ، ويتأخّر ، قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم :

﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾

[سورة النساء الآية : ٣]

حينما بوّب صحيحه الإمام البخاري جعل هذه الآية في صدر باب النكاح ، أو باب الترغيب في النكاح ، وقال ابن حجر العسقلاني الذي شرح صحيح الإمام البخاري : " إنها صيغة الأمر " ، وأقل درجات الأمر ، يقتضي الندب ، أقل

درجات الأمر الندب ، فثبت الترغيب في الزواج :

﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾

كلكم يعلم أن الأمر الشرعي يقتضي الوجوب ، والأمر يقتضي الإباحة ، والأمر يقتضي الندب ، وهناك أمرٌ ينصرف إلى التهديد .

فأما أمر التهديد فنحو قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

[سورة الكهف الآية : ٢٩]

وأمر الإباحة :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾

[سورة البقرة الآية : ١٨٧]

وأمر الندب :

﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾

وأمر الوجوب :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾

[سورة البقرة]

ويقول عليه الصلاة والسلام كما يروي عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، قال لنا النبي صلى الله عليه وسلّم :

((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))

[أخرجه البخاري]

أي أن من بلغ سن الزواج فعليه أن يتزوج ، هذا توجيه النبي عليه الصلاة والسلام ، وإني أرجو الله سبحانه وتعالى أن يفكر كل أبٍ تفكيراً جدياً بتزويج أولاده وبناته ، وأن يفكر كل شابٍ تفكيراً جاداً في البحث عن زوجةٍ ، وعن مستلزمات هذا الزواج .

لبعض العلماء رأيٌ دقيق ، هو أن الزواج واجب ، والواجب يقترب من الفرض ذلك أن التحرُّز من الزنا فرض ، وما لا يتوصل إلى الفرض إلا بشيءٍ فهو فرض ، أي أن هذا الشيء الثاني يرتقي إلى مرتبة الفرض ، وهذا رأي بعض العلماء ، وعلى كلٍ ، الرأي الفقهي المعتمد الذي عليه أكثر الفقهاء أن من تاقت نفسه إلى الزواج ، وخشي على نفسه العنت ، فالزواج في حقه فرض عين ، وهذا الزواج مقدمٌ على فريضة الحج .

والإسلام في الآيات الكريمة أيضاً ، رغب في الزواج ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ﴾

[سورة الرعد الآية : ٣٨]

يقول الإمام القرطبي في هذه الآية : هذه الآية تدل على الترغيب في النكاح والحضِّ عليه ، وتنهى عن التبتُّل ، وهو ترك النكاح ، وهذه سنة المرسلين ".

ليس هذا فيه خلاف إطلاقاً ، لكن الحديث عن العقبات التي سوف نأتي عليها إن شاء الله تعالى .
وقد روى الإمام الترمذي ، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال :

((أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ : الْحَيَاءُ ، وَالتَّعَطُّرُ ، وَالسِّوَاكُ ، وَالنِّكَاحُ))

[أخرجه الترمذي]

وروى الإمام ابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال عليه الصلاة والسلام :

((النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي ، فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ، وَتَزَوَّجُوا فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ ، وَمَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَنْكِحْ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَعَلَيْهِ بِالصِّيَامِ ، فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ))

[أخرجه ابن ماجة]

فضل النكاح

أيها الإخوة ، مهما بلغ الإنسان من العلم فلا يستطيع أن يرقى إلى التشريع الإلهي ، هذا التشريع هو الكمال في حقّ الإنسان ، إذاً على الإنسان أن يتطلع إلى هذه السنة التي سنها النبي عليه الصلاة والسلام .
أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال :

((الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))

[أخرجه مسلم]

أي أن أثمن شيءٍ في الدنيا امرأةٌ صالحة ، كما قال النبي :

((تسرك إن نظرت إليها ، وتحفظك إن غبت عنها ، وتطيعك إن أمرتها))

[أخرجه أبو داود عن ابن عباس]

وأخرج الإمام الطبراني عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أن النبي e قال :

((أربعٌ من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة : قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً ، وزوجةً لا تبغيه حوباً في نفسها وماله))

لا تظلمه ، لا تخونه لا في نفسها ، ولا في ماله ، أي أنها حافظةٌ للغيب ، حافظةٌ لمال زوجها .
وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يهتمّ الآباء اهتماماً شديداً بتربية بناتهم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلّم ، في أحاديث كثيرة يقول :

((من جاءته بنتان فأحسن تربيتهما ، حتى يزوجهما أو يموت عنهما ، فأنا كفيله في الجنة))

[ورد في الأثر]

البنت التي تأتيك لعلها سببٌ لك لدخول الجنة ، لكن الشرط أن تحسن تربيتهما ، وأن تختار لها الزوج الصالح .

وروى الإمام الترمذي عن ثوبان رضي الله عنه قال : لَمَّا نَزَلَتْ :

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾

قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : أُنْزِلَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَا أُنْزِلَ لَوْ عَلِمْنَا أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ فَنَتَّخِذَهُ فَقَالَ :

((أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ ، وَقَلْبٌ شَاكِرٌ ، وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ عَلَى إِيمَانِهِ))

[أخرجه الترمذي]

أي أنّ هذا هو أفضلُ كنزٍ تتخذونه ، وهو أفضلُ من الذهب والفضة .

الحقيقة أن هناك زوجة تعين زوجها على دينه ، توقظه في صلاة الفجر ، وقد كانت الصحابية الجليلة تقول لزوجها قبل أن يغادر البيت : << يا فلان ، نحن بك أي نحن نسعد بسعادتك ، ونشقى بشقائك ، إنما نحن بك نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام ، فاتق الله فينا >> ، أيْ إياك أن تكسب مالاً حراماً ، لو عدت إلى البيت بيدين خاليتين نقبل ذلك ، أما إذا عدت بمالٍ حرام فهذا يوردنا المهالك .

ومما يدل على فضل النكاح أيضاً ، ما روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال :

((من رزقه الله امرأةً صالحةً فقد أعانه على شطر دينه))

(الجامع الصغير عن أنس بسند ضعيف)

أحياناً تكون الزوجة عبئاً على زوجها من حيث دينه ، فخروجها لا يرضي الله ، له منها أولاد ، إن فارقها ضيّع الأولاد ، وإن بقيت معه أتعبته ، وأحرجته وأربكته ، وهو دائماً قلقٌ في علاقته مع الله عزّ وجل ، ماذا يفعل ؟ أيطلقها أم أبقيها ؟ ينصحها فلا تنتصح ، يأمرها فلا تأتمر ، يرشدها فلا ترشد ، ماذا يفعل ؟ هذه امرأةٌ لا تعين زوجها على دينه ، لكن المرأة التي تعين زوجها على دينه هذه امرأةٌ قديسة ، ولها عند الله عزّ وجل مقامٌ كبير .

وفي روايةٍ للبيهقي ، قال عليه الصلاة والسلام :

((إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين ، فليتق الله في النصف الباقي))

(الجامع الصغير عن أنس بسند صحيح)

معصية الزنا لها مقدمات

الحقيقة أننا لو درسنا دراسة علمية حالات تفلُّت الإنسان من الدين ، ولا أظن أنني أبالغ إنْ قلت: إن معظم هذه الحالات بسبب النساء ، لذلك وردت أحاديثٍ كثيرة تحذِّر المؤمنين من فتنة النساء ، وقضية النساء قضية لها جانب دقيق جداً ، فهي قضية تتطوَّر ، فالإنسان إن لم يقف عند الحدود في البدايات ، لا يستطيع أن يقف في النهايات ، هذا يؤكِّده قول الله عزِّ وجل :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾

[سورة الإسراء الآية : ٣٢]

الزنا له مقدّمات ، فالذي يتورَّط في المقدمات في الأعم الأغلب يصل إلى النتائج المخزية ، لكن المؤمن يطيع الله عزِّ وجل ، ويبقى بعيداً عن هذه المقدمات .

لذلك هناك معاص لها قوة جذب ، لذلك أمرك الله جلّ جلاله ألاّ تقترب منها .

كنت ضربت على هذا مثلاً دقيقاً : أن خطاً للتوتر العالي شدّته ستة آلاف فولط ، هذا الخط إذا أراد وزير الكهرباء أن يحذِّر الناس منه يضع لوحة بعيدة عنه تقول : " لا تقترب " ، لا تقول : لا تمسِّ التيار ، لو اقترب من التيار أقلّ من ستة أمتار يصبح قطعةً من الفحم التيار ، لأن ستة آلاف فولط تجذب ، مثل هذا التيار الشديد يحذر منه بالعبارة التالية : " لا تقترب من التيار " ، أما إذا قلنا : لا تمس هذا التيار فإنه قبل أن يمسه يحرقه ، فكل معصيةٍ لها قوة جذبٍ ، لذلك جاء التحذير منها بهذه العبارة : [

لاَ تَقْرَبُوا]

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾

[سورة الإسراء الآية : ٣٢]

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾

[سورة البقرة الآية : ١٨٧]

أي لا بد لك من أن تدع بينك وبين حدود الله هامش أمان ، فالخلوة تَخرِقُ هذا الهامش ، وصحبة الأراذل تَخرِقُ هذا الهامش ، وقراءة الأدب الهابط تَخرِقُ هذا الهامش ، والنظر إلى شيءٍ هابط تَخرِقُ هذا الهامش ، فخرق الهامش أصبحت به معرضاً للوقوع في المعصية .

إن هذا تماماً كنهرٍ عميقٍ مخيف له شاطئٌ مائل ، عليه حشائش زلقة ، ثم هناك أرض مستوية جافة ، فالمشي على الأرض المستوية الجافة فيه كل الأمان ، أما المشي على الأرض المائلة الزلقة التي تنتهي بالنهر ، هذا المكان خطر ، لذلك :

((من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه))

هذا معنى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾

[سورة الإسراء الآية : ٣٢]

وهذا معنى :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾

[سورة البقرة الآية : ١٨٧]

وهذا معنى أن كل معصيةٍ لها قوة جذب ، جاء النهي عنها بعبارة : أن لا نقترب منها . يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((... مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ اثْنَيْنِ وَلَجَ الْجَنَّةَ : مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ))

[موطأ مالك]

فاللسان بين اللحيين .

عقد الإمام الغزالي في الإحياء فصولاً مطولةً حول آفات اللسان ، ففي الحديث الطويل عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ :

((ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))

[سنن الترمذي]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[صحيح البخاري]

الغيبة والنميمة والسخرية ، والبذاءة والسب واللعن ، وما إلى ذلك هذه كلها من آفات اللسان ، فاللسان مهلك ، وما بين الرجلين مهلك .

فيقول عليه الصلاة والسلام :

((... مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ اثْنَيْنِ وَلَجَ الْجَنَّةَ : مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ))

[موطأ مالك]

والترغيب الأخير ، ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه ، أنه قال :

((وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ ــ كأنهم عجبوا من هذا ــ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا))

[صحيح مسلم]

هذا حكم الشرع في موضوع الزواج ، فالزواج جزءٌ من الدين ، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((تناكحوا تناسلوا ، فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة))

(ورد في الأثر)

لكن أيها الإخوة ، إياكم أن تظنوا أن النبي عليه الصلاة والسلام يباهي بقية الأمم بالكمِّ مِن أمته ، إطلاقاً ، لا يتباهى إلا بالنوع ، فأمةٌ شاردةٌ ضائعةٌ ، أولادها في الأزقة ، ليسوا متعلمين ، وليسوا مهذبين ، بعيدون عن الدين ، هؤلاء الأولاد لا يُتباهى بهم يوم القيامة ، الأمة التي يتباهى بها النبي يوم القيامة هي أمة الاستجابة التي آمنت ، وأقبلت ، وارتقت .

نهي الإسلام عن الإعراض عن النكاح والأدلة على ذلك

شيءٌ آخر ، من لوازم هذا البحث أن الإسلام نهى عن الإعراض عن النكاح ، حتى لو كان بغرض الاشتغال بنوافل العبادات ، فأنت كونك مؤمناً ينبغي لك أن تعبد الله لا على مزاجك ، ولا على رؤيتك القاصرة ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يُعبَد إلا وفق ما أمر ، فأي اجتهادٍ في عبادته مخالفٍ لنص القرآن الكريم وللسنة المطهرة هو اجتهادٌ مرفوض ، فينبغي لك أن تعبد الله وفق ما أمر ، وقد أمرك بالزواج ، أما أن تتوهم أن عبادة الله من دون زواج تكون أقرب ، أو أكثر قبولاً، فلا ، والنبي عليه الصلاة والسلام قمة البشر في تقواه قال :

((أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ــ ومع ذلك ــ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[متفق عليه]

فالاقتران بامرأة لا يعني أنك أقل مرتبة عند الله مِن الذي لم يقترن ، بالعكس فالزواج يستكمل به الدين فليتق الله في النصف الآخر ، قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾
(سورة المائدة)

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية : << قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية ، في رهطٍ من أصحاب النبي e ، قالوا : نقطع مذاكرنا ، ونترك شهوات الدنيا ، ونسيح في الأرض ، كما يفعل الرهبان ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلّم ، فأرسل إليهم ، فذكر لهم ذلك ، قالوا : نعم ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأنام ، وأنكح النساء ، فمن أخذ بسنتي فهو مني ، ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني))

هذه الآية نزلت بهذه المناسبة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

ينبغي أن تعبد الله وفق المنهج الذي أراده لك ، وفي حديثٍ آخر رواه الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال :

((جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا ــ أي رأوا أن عبادتهم قليلة أمام عبادة النبي e ــ فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ أَحَدُهُم : أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[صحيح البخاري]

وأرقد : رقد ، وركض ، وركد .. ركد أي سكن ، ماءٌ راكد ، رقد نام ، ركض عدا .

وروى الإمام البخاري عن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم رد على عثمان بن مظعون التبتل ، أي رفض منه التبتل ، كلكم يعلم أن أمر النبي سنة ، وأن نهيه

سنة ، وأن سكوته إقرار وهو سنة ، وأن صفته سنة أقواله وأفعاله وإقراره وصفاته ، كلها من السنن .

فما دام هذا الصحابي الجليل أراد التبتل ، وابتعد عن امرأته ، وقالت عنه بذكاءٍ بالغ : إنه صوّامٌ قَوّام ، أي شكت زوجها للنبي e ، بهذه العبارة ، إنه صوّامٌ قوّام ، فالنبي عليه الصلاة والسلام استدعى عثمان بن مظعون وقال : يا عثمان ، أليست لك بي أسوة ؟ أي أن هذا الذي تفعله لا يرضي الله عزّ وجل ، تروي كتب السيرة أنه بعد حينٍ دخلت امرأة عثمان بن مظعون على السيدة عائشة ، وقد رأتها نضرةً عطرة ، فقالت : << كيف حالك ؟ قالت : أصابنا ما أصاب الناس >> .

أي أن عثمان بن مظعون التفت إليها بعد أن تركها ، إذن حينما ردّ النبي صلى الله عليه وسلّم على عثمان ابن مظعون التبتُّل ، هذا الرد كأن النبي عليه الصلاة والسلام نهى به عن التبتل .
وروى الإمام أحمد عن أنسٍ رضي الله عنه قال :

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِالْبَاءَةِ ، وَيَنْهَى عَنِ التَّبَتُّلِ نَهْيًا شَدِيدًا ، وَيَقُولُ : تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[مسند أحمد]

نهى النبي صلى الله عليه وسلم نهياً شديداً ، وقال :

((تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

يقول أحد العلماء تعقيباً على هذا الحديث : " هذا حثٌّ على النكاح شديد ، ووعيدٌ على تركه يقرِّبه إلى الوجوب (النكاح) والتخلِّي عنه ، يقربه إلى التحريم " .

وذكر سعيد بن هشام بن عامر أنه سأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن التبتل فقالت : <<لا تفعل ، أما سمعت قول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ﴾

[سورة الرعد الآية : ٣٨]

فلا تتبتل >> .

وروى الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة عن شداد بن أوس رضي الله عنه ، وكان قد ذهب بصره ، قال :

((زوِّجوني ، فإن رسول الله e أوصاني ألا ألقى الله أعزبَ))

صار الزواج نوعًا من الطاعة لله عزّ وجل .

وعن سيدنا معاذ رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه قال :

((زوجوني ، إني أكره أن ألقى الله أعزبَ))

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنه قال :

((لو لم أعش ، أو لم أكن في الدنيا إلا عشراً لأحببت أن يكون عندي فيهن امرأة))

ولو لعشرة أيام .

وسيدنا عمر له قول مؤثر جداً ، يبدو أنه قد رأى رجل عزف عن الزواج ، ويبدو أنه في مكنته أن يتزوج ، فقال رضي الله عنه :

((ما يمنعك من النكاح إلا عجزٌ أو فجور))

أي أن الذي ينصرف عن النكاح إما يفسِّر هذا بعجزه أو مرضه ، أو يفسر بفجوره .

آخر قول للإمام أحمد بن حنبل ، يقول : " من دعاك إلى غير التزويج ، فقد دعاك إلى غير الإسلام " .

وبالطبع أنا لم أضف إلى معلوماتكم شيئاً جديداً ، كلكم يعلم علم اليقين أن الإسلام دعا إلى الزواج ، وأن الزواج من سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، وأن الإنسان بالزواج يستكمل دينه ، إلا أن الموضوع الذي أردت أن أخوضه في هذه الدروس ليس تقرير هذه الآيات والأحاديث ، فهذه تعرفونها جميعاً ، وما زدت على ثقافتكم شيئاً بتلاوتها على أسماعكم ، إلا أنني أريد ، أو نريد في هذه الدروس أن نضع اليد على الجروح والعقبات ، ما الذي يحول بين الشباب وبين الزواج ؟ هناك أسباب مادية ، وهناك أسباب اجتماعية ، وهناك فقر حقيقي ، وهناك فقر مصطنع.

غلاء المهور والطلبات التعجيزية

الفقر المصطنع ، هذا الذي سوف نحاربه ، فمثلاً غلاء المهور ، أو بيت له صفات معينة ليس في قدرة معظم الناس ، أو عمل له صفات معينة ، فالناس حينما اتجهوا إلى المباهات في الزواج صارت الطلبات خيالية ، أو طلبات كما تسمى تعجيزية ، فالآن والحقيقة قبل سنوات كثيرة الزواج طريق إجباري إلى قضاء هذه الحاجة ، أما الآن مع ضعف الإيمان هناك آلاف السبل لقضاء هذه الحاجة من دون زواج ، وهذا ما تدعوا له المؤسسات غير الإسلامية في العالم ، وقد عُقِد مؤتمر السكان في أكبر بلد إسلامي ليحضّ دول العالم الثالث على تشريعات تبيح العلاقات الجنسية خارج الزواج ، فهذا ما أراده مؤتمر السكان في القاهرة .

فحينما نعقِّد الأمور على المتزوجين ، حينما نضع العقبات أمام الشباب المسلم ، هذا الكلام موجَّه للشباب ، ولآباء الشباب ، ولآباء الفتيات ، وللفتيات ، حينئذ يلجأ الناس إلى الحرام .

عندنا حلاّن ، إما أن يغلق باب الزواج إغلاقًا حُكميًّا ، طبعاً المغالاة في المهور والطلبات التعجيزية ، هذه تحول بين الشباب والزواج ، والشباب مع ضعف إيمانهم ، ومع يقظة الفتن في أي مكان ، في الطريق ، وفي البيت ، وفي أجهزة اللّهو ، مع يقظة هذه الفتن ، وضعف الوازع الديني ، فالانزلاق إلى الزنا محتمل ، بل إن احتماله كبير جداً ، فإما أن نسهِّل سبل الزواج ، أو أن يكون السفاح محل النكاح .

وإذا فسد الإنسان في أخلاقه ، وإذا زلّت قدمه في شأن الزواج ، فآثر السفاح على النكاح ، ينتهي، فالزنا معصية كبيرة ، قال تعالى :

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾

[سورة الفرقان الآيات : ٦٣ – ٦٥]

هذه صفات عباد الرحمن ، ومن هذه الصفات :

﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾

أدق ما في هذه الآية أن الله عزّ وجل لم ينهَ عن الزنا ، بل في هذه الآية نفى الزنا أصلاً ، أي ليس من شأن المؤمن أن يزني ، والعين تزني وزناها النظر ، والأذن تزني وزناها السمع ، واليد تزني ، والفم يزني ، والرجل تزني ، ولا يزنون مطلقاً ، فليس من شأن المؤمن أن يزني ،

فالبديل هو الزواج ، لذلك لا أبالغ إذا قلت : إن من أعظم الأعمال على الإطلاق التزويج ، ولا سيما في زمن الفتنة ، في زمن النساء الكاسيات العاريات ، هذا من دلائل نبوة النبي e ، امرأةٌ كاسيةٌ عارية ، إما بالثياب الرقيقة أو بالضيقة ، كاسيةٌ عارية ، مائلةٌ مميلة ، في زمن النساء الكاسيات العاريات ، في زمن أن الجنس يحتل أكبر مساحة في حياة هذا العصر ، فلو أردت أن تشتري سلعة رخيصة مبتذلة لتلميع الحذاء وجدتَ عليها صورة امرأةٌ شبه عارية ، أليس كذلك ؟ تستخدم المرأة في كل شيء ، وهذا من هوانها على أهل الكفر ، تستخدم كسلعة ، المرأة مقدسة في الإسلام ، المرأة أم ، المرأة زوجة ، المرأة بنت ، المرأة أخت ، لكنها في مجتمعات الكفر سلعةٌ تجارية تباع وتشترى .

ولا أريد أن أذكر في هذا المجلس المقدس ما يجري في شرق آسيا ، فقد أسموها تجارة الرقيق الأبيض ، فقد بلغ عدد المومسات بمئات الألوف ، ويجري هذا في وضح النهار ، وفي الفنادق ، وفي الطرقات ، وفي البيوت ، وحتى في المدن الإسلامية بدأت تتسع دائرة الدعارة ، فهذا كله حينما نعقِّد الزواج ، ونضع العراقيل ، ونضع العقبات ، ما الذي سوف يكون ؟ يحل السفاح محل النكاح ، فالأمر خطير جداً ، فلا يقل الإنسان : أنا لا شأن لي بذلك ، فابنتك ، وابنة أخيك ، وابنة أختك ، وابنة قريبك في مجتمع مترابط ، فإذا ما نهضنا إلى حل هذه المشكلة على قدر المستطاع نقع في الهاوية .

سأضرب لكم بعض الأمثلة :

أنا أتمنى على كل أب أن يجهد ، وأن يفكر ليلاً ونهاراً ، صبحاً ومساءً ، في شأن تزويج أولاده، الذكور والإناث ، فإذا كان همّ الأب الأول تزويج أبنائه الذكور عن طريق تيسير البيوت ، إذا كان الأب ميسوراً ، ما الذي يمنعه أن يوفر لابنته بيتاً ؟ عندئذٍ يأتيه أفضل الشباب خلقاً وديناً ، عقبة البيت أكبر عقبة ، فكل إنسان ييسر زواج شاب مسلم بشابة مسلمة ، فيوفر بيت ، أو يقدم بيتًا ، يتعاون الناسٌ على شراء بيت ، ولا أقول : ما نوع البيت ؟ فنوع البيت انتهى ، غرفة ومرافقها فقط في دمشق ، في طرف دمشق ، خارج دمشق ، الموضوع أخطر من أن نطلب صفات البيت ، فالقضية أصبحت قضية سفاح أو نكاح لا غير ، إما أن يكون السفاح ، وإما أن يكون النكاح ، بالسفاح ينتهي المجتمع ، وبالسفاح انتهت المجتمعات الغربية ، فإذا رأيتم أن هذه المجتمعات قائمة فهي قائمة على أدمغة الأجانب ، فالجنس والمخدرات ، وتبادل الزوجات ، وزنا المحارم ، والشذوذ ، وقد بلغ الشاذّون عشرين مليون شاذ في أمريكا ، حتى في بعض البلدان

أصبح الشذوذ مشروعًا ، لهم حقوق ، كالتعويضات العائلية ، وغيرها من الحقوق الكثيرة ، فإذا ذهب أحدكم إلى أوروبا يعرف كل هذا ، فنحن الآن أمام مشكلة سفاح أو نكاح ، النكاح يحتاج إلى تسهيلات ، ماذا يقول القرآن الكريم ؟

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقّ عَلَيْكَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٢٧]

أنا أوجه كلامي لكل أب أن لا يضع شروطًا صعبة ، فالحلي والماس أَلْغِهَا ، وليكن الذهب ، ففي قرية من قرى غوطة دمشق أنا أكبرها إكباراً شديداً ، بلغني أن وجهاءها اجتمعوا واتفقوا على أن خاتماً بسيطاً وساعةً تكفي كمهر لأي فتاة في هذه القرية .

إخواننا الكرام ، إذا رأى الإنسان المجتمع في فساد كبير :

﴿ وَاتّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصّةً ﴾

[سورة الأنفال الآية : ٢٥]

فتصور أن أحد البيوت يحترق في آخر الحارة ، فإذا كان بينك وبين البيت المحترق عشرة بيوت، إذا لم تخرج وتساهم في إطفاء النار ، لا بدَّ من أن تصل إلى بيتك ، وإذا ساهم المسلمون المؤمنون في حل هذه المشكلة فلا يصل التأثير إلى بيوتات المسلمين .

والعبد الفقير بحكم عملي في الدعوة إلى الله عزَّ وجل تأتيني معلومات دقيقة جداً ، فقد بدأ الفساد ينتشر في بيوت المسلمين ، وبدأنا نسمع عن حالات خيانات زوجية كثيرة ، وعن حالات زنا كثيرة في بيوتات المسلمين ، فالفساد بدأ لوجود المثيرات ، والزواج شيءٌ بعيد ، أو مستحيل ، ولا يوجد بيت ، والطلبات عالية جداً ، فوجد التفلّت ، فلضعف الإيمان ، ولوجود المثيرات ، والطرق مسدودة ، وعقبات كؤود تجد السفاح يحل محل النكاح .

ما أردت من هذه المقدمة أن أثبت لكم أن الإسلام يحض على الزواج ، هذا شيء معروف عندكم ، فأنتم طلاب علم شرعي ، ولكم باعٌ طويل في العلم ، وتعرفون هذا كله ، وما أظن أني أضفت على ثقافتكم الدينية شيئاً ، إلا أنه لا بد من هذه المقدمة كي نصل إلى معالجة العوائق التي تقف أمام هذا الموضوع .

فأول شيء ممكن أن نذكره ، أن إذا كان الله عزّ وجل على يدك أجرى زواج هذا عمل عظيم ، فأذكر أني قرأت في الأثر : " أن من مشى بتزويج رجلٍ بامرأةٍ ، كان له بكل خطوةٍ خطاها ، وبكل كلمةٍ قالها ، عبادة سنةٍ قام ليلها وصام نهارها " .

أما الكلام الذي يقال : " أمشي بجنازة ولا تمشي في زواج " ، فهذا كلام الشيطان ، فأحد أبواب التسهيل ، أنك إن كنت تعرف أسرة محافظة ومسلمة ، وعندها فتيات طاهرات عفيفات ، وتعرف كذلك شاباً يبحث عن زوجة ، فلا مانع أبداً أن تكون وسيطاً بينهما ، فتدلّه على هؤلاء ، سيدنا شعيب ماذا قال لسيدنا موسى ؟

﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾

[سورة القصص الآية : ٢٧]

هذا هو القرآن ، فلا يوجد مانع أبداً إذا كان للإنسان فتاة مناسبة ، يثق بدينها وورعها ، وبصلاتها ، وفِقهها ، ورأى شابًا فقال له : يا بني ، عندي فتاة تناسبك فأخبر أهلك ، وأنا لا ألزمك ، لكن لعل هذا الشاب يكون مناسبًا لهذه الفتاة .

إنّ أول شيء أطلبه منكم أن يكون الإنسان واسطة خير ، بيوتات المسلمين ملآنة بالفتيات في سن الزواج ، وطلاب الزواج قلّة ، فقد يمضى شهر أو شهران وثلاثة أو أربعة أشهر ، ولا يقول لي واحد : أريد أن أتزوج ، وذلك بسبب وجود عقبات كثيرة ، والبيوت ملآنة بالفتيات ، وبالطبع من عنده بنت قد ربّاها تربية عالية فمن غير المعقول أن يفرط فيها فيزوجها شابًا جاهلا ، أو شابًا ليس عنده دين ، أو شابًا بالتعبير الحديث (اسبور) مثلاً ، هذا غير معقول ، هو تعب في تربيتها التربية الدينية ، وعلمها الصلاة والاستقامة ، وعلّمها تلاوة القرآن ، وبعد ذلك لا يليق بفتاة مؤمنة أن يتزوّجها شاب متفلّت ، فتاة تحفظ القرآن ، تصلي قيام الليل ، محجبة حجابًا كاملا، يأخذها شاب فيضيّعها ، فالأب معه حق ، يقول لك : لا أستطيع تزويجها ، وقد حضر أول خاطب ، والثاني ، والثالث ، والرابع ، فهذه الفتاة رُبِّيَت على الدين من أجل أن يأتيها خاطب مؤمن ، فهذا المؤمن لماذا يعزف عن الفتاة المؤمنة ، ويبحث عن شيءٍ زائفٍ ؟!! من تزوج المرأة لجمالها ، المقصود فقط ، لا ، الجمال مطلوب ، لكن ، من تزوجها لجمالها فقط أذله الله ، ومن تزوجها لمالها أفقره الله ، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءةً ، فعليك بذات الدين تربت يداك .

أيها الإخوة الكرام ، والله الذي لا إله إلا هو إخواننا الكرام أقرب الناس ، ونحن أسرة واحدة ، فحينما أعلم أن هذه الفتاة خطبت من شاب مؤمن ، والله أشعر بشعور لا يقدَّر ، فأشعر أن فتاة التقت بفتى ، وهذه الفتى مؤمن وهي مؤمنة ، وأسّسا مشروع بيت إسلامي ، وأقول لكم كلمة : هناك آية قرآنية هي للجهاد ، ليس لها علاقة بالزواج أبداً ، لكن لا أشعر ولا أدري أنني كلما ذكرت موضوع الزواج أذكر هذه الآية :

﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾

[سورة النساء الآية : ١٠٤]

فعندما يبحث الزوج المؤمن عن زوجة ، والبحث عن بيت هو صعب جدًّا ، بل شبه مستحيل ، حتى لو كان بيت أجرة ، أو ملك ، أو بعيد ، أو قريب ، وتأسيس البيت أصعب ، وتأمين ثمن الحلي أصعب وأصعب ، فالشيء صعب ، والمؤمن يجد هذه الصعوبات ، وغير المؤمن يجد هذه الصعوبات ، لكن شتّان بين زواج المؤمن وزواج غير المؤمن ، فالمؤمن يرجو من زواجه أن يؤسس أسرة إسلامية ، هذه الأسرة تكون نموذجًا للبيت المسلم .

فأيها الإخوة ، إن شاء الله في دروس قادمة سوف أصل إلى تفاصيل كثيرة عن العقبات ، وهذا درس واقعي يعاني المسلمون منه ، لأن طرق الزواج أكثرها مغلق .

إنّ الطبقة الغنية جداً لا مشكلة عندها ، لكن نحن نعاني ، شاب ناشئ في طاعة الله ، مثقف ، عنده قوت يومه ، ولكن ليس عنده بيت ، البيت عقبة كبيرة ، والله مَرة دُعيتُ ، شهد الله ، فما شعرت بسعادة تفوق هذه الدعوة ، أحد الأطباء الكرام ، ممَّن يعمل في الأمراض التناسلية والبولية، فقد رأى تفاقم الأمراض التناسلية بشكل مريع ، له في مهنة الطب مثلاً أربعين أو خمسين سنة ، يأتيه في الشهر مريض معه مرض تناسلي ، يقول : الآن في اليوم الواحد يأتيه عشرة مرضى ، كل يوم أمراض تناسلية مخيفة ، كلها من الفاحشة والزنا ، فدعانا إلى بيته ، ودعا بعض الإخوة الدعاة إلى الله عزّ وجل ، ودعا بعض كبار التجار ، وقد سمعت أنهم أسسوا بناء ، ولتوفير الأبنية لهؤلاء المتزوجين ، فهذا عمل طيب جداً ، الآن نحن بحاجة إلى مشاريع خيرية .

سمعت عن أحدهم ببعض قرى دمشق أنه قد أسس أربعة أبنية سكنية ، كل بناء مؤلّف من ستة طوابق ، وكل طابق به ثماني شقق ، ولم يبع هذه البيوت إطلاقاً ، ولكنه أجّرها للشباب بأجرة

معقولة ، فقد حل مشكلة مثلاً مئة أسرة بهذه الطريقة ، الآن القضية قضية وكمثل باللّغة الإنجليزية ، " نكون أو لا نكون "، فالآن زواج أو سفاح .

طبعاً المؤمن موضوع آخر ، أما هؤلاء الشباب الضائعون الشاردون ضعاف الإيمان ، تكون أمامهم عقبات كثيرة في طريق الزواج ، ومغريات كثيرة ، وفتن يقظة ، الحل هو الزواج ، وبالزواج يحصِّن الإنسان ، كما قال النبي الكريم :

((فَإِنّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ))

[متفق عليه عن ابن مسعود]

أرجو الله سبحانه وتعالى بدءاً من أن تكون وسيطاً بين زواج إسلامي ، أو تيسير بيت مثلاً ، وإذا كنت أبًا فيسِّر الأمر ، فكلما طلب الأب طلباً معقداً يكون بذلك قد سدّ باب الزواج ، وهناك آية قرآنية دقيقة جداً :

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾

[سورة النور الآية : ٣٣]

هل تتصور أن على وجه الأرض إنساناً عنده ذرة من الإيمان يكره فتاته على البغاء ؟ مستحيل، لكن ما معنى الآية ، وهي تخاطب المؤمنين ؟ معناها أن الذي يضع العراقيل أمام خطّاب ابنته ، ويطلب شروط معينة ، وأشياء معينة ، كأنه يقوِّي في ابنته الشهوة ، كأنه يقوي في ابنته التفكير بالانحراف ، هذا العضل من الكبائر.

فالموضوع إن شاء الله لم نبدأ فيه ، فهذا الدرس مقدمة ، ففي الدرس القادم إن شاء الله نبحث في العقبات التي يمكن أن تكون عقباتٍ كؤود أمام الزواج ، فعندنا عقبة الفقر ، وعندنا عقبة الفقر المصطنع ، الفقر المصطنع أي المغالاة بالمهور ، والشروط الصعبة ، وكل إنسان يمكنه أن يتزوج زواج بسيط ، أما الزواج الذي يفتخر به فيحتاج إلى ملايين ، فحينما نضع هذه الشروط نكون أفقرنا طلاّب الزواج إفقاراً مصطنعاً .

وإن شاء الله تعالى في درسٍ قادم نزيد هذا الموضوع دراسةً وبحثاً ، لكن أرجو أن يفكر كل شاب في الزواج ، وأختم هذا الدرس بهذا الحديث الذي في الجامع الصغير ، أين يوجد طائفة أحاديث تبدأ بكلمة حق ، حق الأبِ ، حق الابن على أبيه ، حق الزوجة على زوجها ، حق المسلم على المسلم ، لكن هناك حديث واحد أنا لا أشك أن واحداً منكم لو قرأه يقشعر جلده :

((حق المسلم على الله أن يعينه إذا طلب العفاف))

[الجامع الصغير]

ما شكا أحدٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ضيق ذات يده إلاّ قال له : اذهب وتزوَّج .

هذا الكلام عميق جداً ، فكل شاب يبتغي الإحصان ، يبتغي العفاف ، يبتغي أن يبقى في طاعة الله ، يبتغي رضوان الله ، الله عزِّ وجل يعينه بآيةٍ دالةٍ على عظمته ، ووالله عندي عشرات ولا أبالغ ، بل بضع عشرات القصص التي لا تكاد تصدق لغرابتها ، فعندما يعلم ربنا عزِّ وجل من شاب صدقه في الطاعة ، وخوفه من المعصية ، ورغبته في الإحصان والعفاف ييسّر له الأمور بشكل عجيب ، وقد تقولون : لمَ اخترت هذا الموضوع ؟ طبعاً مع شيوع الفساد ، ومع إثارة الفتن، ومع النساء الكاسيات العاريات ، ومع المجلات الخليعة ، ومع الأجهزة الإعلامية التي لا ترضي الله عزِّ وجل ، مع هذه الصحون التي زرعت على أسطح دمشق ، وكل صحن ينبئ بما في هذا البيت من معاصٍ ومخالفات ، مع انتشار هذا الفساد ، الحل الوحيد هو الزواج والإحصان، هذا هو البديل ، البديل ينبغي أن يكون ميسراً ، كل واحد يساهم ، إذا كان في مقدور الأب أن ييسر لابنه بيتًا في أطراف المدينة فقد ساهم وزوج ابنًا ، وعندما زوج ابنه ستر فتاة مع ابنه ، وأمَّن هذه الفتاة المسلمة وأدخل على قلب أبيها السرور ، وأدخل على قلب ابنه السرور ، فهذا عمل عظيم .

وأنا أقول لكم : الذي حج مرة ومرتين ، الذي أدى حجة الفرض ، والله الذي لا إله إلا هو أولى له ألف مرة أن يزوج ابنه من أن يحج حجة النفل ، ألف مرة ، ولا سيما في هذا الزمن ، زمن الفجور .

إذاً ، حق المسلم على الله أن يعينه إذا طلب العفاف ، هذا الكلام لكل الآباء ، آباء الفتيان ، وآباء الفتيات ، والفتيان ، والفتيات ، والحديث يقول :

((من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا))

من كثرة التفكير بالمصاريف والنفقات لا يتزوَّج ، لا بد من الاتكال على الله عزِّ وجل ، والله ييسّر ، لا بد من خطوة جريئة ، أما أن تقول : أنا لا شغل لي بهذا ، فهذا كلام مرفوض ، فطعام الواحد يكفي الاثنين ، وأنت حينما تنوي الزواج الله عزِّ وجل يعينك .

وشيء آخر ، لا يليق بمؤمن له منهج ديني ، ويثقِّف نفسه ثقافة إسلامية ، ويلتزم شرع الله ، أن يبحث في بيوتات غير بيوتات المؤمنين عن زوجة ، هذا البيت بيتٌ يُتلى فيه القرآن ، والفتيات

محجبات ، والأب مسلم ، والأم طاهرة ، مثل هذه البيوت التي تقام فيه شعائر الدين هي أولى بيت أن تطرق بابه .

والحمد لله رب العالمين

الفقه الاسلامي – العلاقات الأسرية – الزواج – الدرس (١٦ – ١٧) : واجبات المرأة تجاه ديمومة الزواج .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠١-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون، مع الدرس التاسع من دروس الزواج الإسلامي، وقد وصلنا في الدرس الماضي إلى الآداب التي على المرأة أن تتأدب بها، وأن تلتزم بها كي تكون سبباً في ديمومة الزواج.

مقدمات إرشادية مهمة

المقدمة الأولى: البطولة في الحفاظ على مكسب الزواج

المعنى الدقيق هو أن الوصول إلى الشيء ليس بطولةً، لكن الحفاظ عليه هو البطولة، فكم من زواجٍ عقد عقده، وبعد حينٍ فسخ، كم من زواجٍ انتهى إلى طلاق، أو إلى عداوةٍ شديدة، فالعبرة بالحفاظ على الشيء.


العبرة بالزواج الحفاظ عليه

وذكرت لكم في درسٍ سابق أن الحق من صفاته الديمومة، وأن الباطل من صفاته الزوال، فإذا كنت مع الحق عقيدةً ومنهجاً، إذا طبقت في زواجك أوامر الحق جلّ جلاله فإنّ هذا الزواج سيستمر، إذا طبقت في تجارتك أوامر الحق والحق من صفاته الديمومة فإنّ هذه التجارة ستزدهر، إذا طبقت في

علاقاتك الاجتماعية أوامر الحق والحق من صفاته الديمومة، فإنّ فهذه العلاقات سوف تنمو وتزداد، لأنك مع تعليمات الصانع، قال تعالى:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

(سورة فاطر)



فنحن مع الآداب التي إذا تأدبت بها المرأة، والتزمت بها كان التزامها بهذه الآداب سبباً في ديمومة الزواج، هل هناك أجمل من أن يقول الزوج: لي مع زوجتي أربعون عاماً أو خمسون عاماً، ونحن على أتمِّ وفاق، نتعاون على تربية الأولاد، نقطف ثمار هذا التفاهم أولاداً صالحين، وهل من شيءٍ يجرح الفؤاد كأن يقول الإنسان: لم أكن مرتاحاً مع زوجتي ولا يوماً واحداً ؟

فيا أيها الإخوة، الآداب التي أمر بها الشرع المرأة المسلمة إذا التزمت بها كان التزامها بها عوناً على ديمومة الزواج، فما من زوجةٍ على وجه الأرض تودُّ أن تطلق، ولا أن ينصرف عنها زوجها، ولا أن تصبح مهملةً، لا هي زوجة، ولا هي مطلقة، لعل أكثر الأسباب تقع من طرف الزوج أو من طرف الزوجة، أي إذا عصى الزوج، أو عصت الزوجة، أو عصيا معاً، فالزواج يصبح جحيماً لا يطاق، الله جلّ جلاله يقول مخاطباً سيدنا آدم والسيدة حواء:

﴿ فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾

(سورة طه)

فلم يقل فتشقيا على حسب قواعد اللُغة، قال علماء التفسير: " إن شقاء الرجل شقاءٌ حكميٌ للمرأة، وإن شقاء المرأة شقاءٌ حكميٌ للرجل، وإن شقاء الأولاد شقاءٌ حكميٌ للوالدين ".

هذه النقطة الأولى.

المقدمة الثانية: قبول الحكم الشرعي وإن خالفه الهوى والواقع

النقطة الثانية التي أضعها بين يدي هذه الدرس، هو أن الإنسان إذا سمع حكماً شرعياً صحيحاً اتفق عليه العلماء فلا ينبغي أن يحكِّم عقله به، كل واحد له وضع في بيته، هذا زوجته محجبة حجابًا كاملا، هذا حجاب غير كامل، هذا حجاب غير مقبول، هذه الزوجة غير محجبة، فلا تجعل وضعك حكم على ما سأقوله الآن، المؤمن يتفهم الحق أولاً، الحكم الشرعي الصحيح، ويحاول أن يقترب منه، إما بالتدريج، وإما طُفرةً واحدة بحسب الحكمة والحال، لكن لا ينبغي أن تقول: هذا غير صحيح، وليس معك حجة ولا دليل، إلا لأنك تفعل هذا الشيء، وتكره أن تكون مكشوفاً أمام الله عزّ وجل، الآن يوجد أمامنا مزلق، إذا كان لأحدكم وضع خاص في بيته، أنا ما تدخلت في أوضاعكم الخاصة، ولكن أذكر لكم الحكم الشرعي، وما ينبغي أن نكون عليه، أما لو كان الإنسان أقلّ تطبيقًا لما سيسمع فلا ينبغي أن يقول: ليس هذا هو الشرع، فأنا آتيك بالدليل من الكتاب والسنة، ولا أملك غير هذا.

فالمؤمن دائماً خاضع للحق، أما الذي يحاول أن يُخضع الحق لمزاجه، أو لما هو عليه فهذا إنسان يغيّر ويبدّل، ولأصل أن تخضع للحق، فإن لم تستطع أن تخضع فوراً فلك أن تقنع زوجتك بالحسنى، باللّطف، بالإحسان، بالهدية، بالحجة، بالزجر، بالإعراض، هذا شأنك، وهذا تابعٌ لحكمتك، ولطبيعة زوجتك، أما أن تحكم على الحكم الشرعي من خلال واقعك فهذا غلط كبير، يجب أن تحكم على واقعك من خلال الحكم الشرعي، الحكم الشرعي هو الأصل، أنا أسير نحوه، ولا أطلب من هذا الحكم الشرعي أن يأتي إلي ليغطي ما أنا عليه، فالقضية أيها الإخوة دقيقة جداً.

١- خروج المرأة بالحجاب الشرعي الكامل


حجاب المرأة حكم الشرع

هناك أفكار شائعة عند المسلمين أن الوضع هكذا، والحجاب هكذا، وهذا ليس عليه من سبيل، وهذا ليس عليه مأخذ، هذا كلام عام، وليس كلاما علميا، فالكلام العلمي هو الحكم الشرعي المؤيد بدليلٍ قطعي من الكتاب والسنّة الصحيحة، هذا حكم الشرع، ولا يستطيع إنسان في الأرض كائناً من كان أن يأتي في الدين بشيءٍ من عنده، فمن أنت ؟ ومن أنا ؟ ومن فلان وفلان، وفلان و فلان ؟ من قال برأيه في هذا الدين فقد أخطأ ولو أصاب، لا رأي في الدين، في الدين حكم شرعي:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

(سورة الأحزاب: آية " ٣٦ ")

إخواننا الكرام، أحياناً يعكس الإنسان المقولة، فيقترح شيئا ليس من الدين، ويحاول أن يأتي بالنصوص التي تدعمه، قوية كانت أو ضعيفة، واهية، مقولة أو غير مقولة، الأصل أن هذا هو رأيه في هذا الموضوع، فهو بهذا يحدث ديناً جديداً، هؤلاء سموا في علم العقيدة: أهل الرأي، أهل الرأي أحدثوا دينا جديدا، بعد أن يقرر هذا الرأي هو الآن يبحث عن الأدلة القوية أو الضعيفة والنصوص.

فنحن بالعكس، لا تنظر إلى واقعك، ولا إلى ما أنت عليه، ولا إلى ما هي عليه زوجتك، بل انظر إلى الحكم الشرعي، واحكم على وضعك من خلال الحكم الشرعي، ولا تحكم على الحكم الشرعي من خلال واقعك، فكل إنسان له قناعاته، وله ظروفه، لكن هذا هو الحكم الشرعي، فأنت حاول بحسب حكمتك، إما تدريجاً، أو طفرةً، إما إقناعاً، أو إجباراً، بحسب الحكمة التي تراها مناسبة، لكن قبل أن أبدأ ينبغي أن تعلم أن الأصل هو الحكم الشرعي، وأنك تابعٌ له.

والخطأ في المنهج خطير جداً، فلو كان عندنا ميزان، فمن الممكن أن تزن كيلوين، وتقول: ثلاثة بالخطأ، تصورت أنها ثلاثة كيلو، قلت: ثلاثة، ويمكن أن تزن اثني كيلو، وتقول: كيلو، هذا شيء يحدث، لكن هذا الخطأ في المفردات بسيط جداً، أما أكبر خطأ أن يكون في الميزان، أوقية تحت كفة الميزان، فتصبح كل الموازين غلطا، فالخطأ في الميزان أخطر مليار مرة من الخطأ في الوزن، فالخطأ في الوزن لا قيمة له، غلطة واحدة أو غلطتان أو ثلاث، ولا يوجد إنسان معصوم عن الخطأ، لكن ما هو الخطأ الخطير ؟ هو الخطأ في المنهج ؟ هو الخطأ في الميزان لا في الوزن، الخطأ في الوزن سهل جداً، إذا حصل خطأً صواب كثير، أما إذا كان الميزان كله خطأ، أو ملعوبا فيه، لو تزن فيه مليون حالة فكلها غلط.

يجب عليك دوماً أن ترتعد فرائصك، ليس من الخطأ في المفردات، ولكن من الخطأ في المنهج، الخطأ في التصور، الخطأ في الموازين، الخطأ في العقيدة، الخطأ في الأحكام، هذا هو الخطأ القاتل، أما الخطأ في المفردات فليس قاتلا، وأوضح مثل الخطأ في الميزان شيء، والخطأ في الوزن شيء آخر، بالوزن أخطأت، يمكن أن تكون الوزنة اثني كيلو، وقلت، كيلو، ويمكن أن تكون متسرعاً، أو في عجلة من أمرك، فالخطأ في الوزن لا يتكرر، لكن الخطأ في الميزان يشقى صاحبه، فهو مستمر.

أردت من هذه المقدمة، أنه إذا سمعنا الآن أحكام الشرع في حجاب المرأة، وفي خروجها، وفي اختلاطها، وفي عملها، لا يمكنك أن تحكم على الموضوع من خلال واقعك، فتظن أنك على حق، وأنت على صواب، وهذه الأحكام غير صحيحة، هذا تفكير ساذج، تفكير غير علمي، تفكير جهلي، هذا هو الحكم الصحيح، ولكن حاول أن تقرب إما تدريجاً أو طفرةً من الحكم الشرعي الصحيح.

عندما قال ربنا عزّ وجل:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

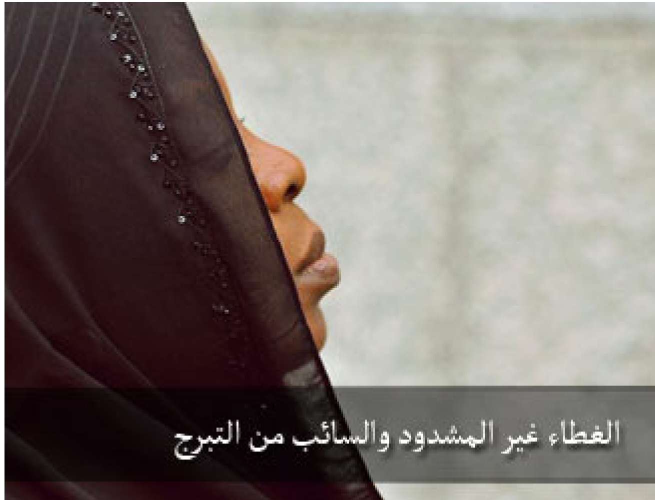
(سورة الأحزاب: آية " ٣٣ ")

نهى الله سبحانه وتعالى عن خروج المرأة متبرجةً، طبعاً حينما أمرها أن تقرّ في البيت ما منعها أن تخرج، لكن سمح لها أن تخرج لحاجة، أما إذا خرجت لحاجة فالخروج لا للخروج، كأن تقول: أصابني الملل، أريد الخروج، هذه عند المرأة ليست واردةً إطلاقاً، فهذا كلام ليس له معنى.

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: آية " ٣٣ ")

ما هو التبرُّج ؟


الغطاء غير المشدود والسائب من التبرج

أما إذا أردتن الخروج من البيت فلا تبرجن، ما هو التبرج ؟ يقول أحد العلماء: " التبرج أن تلقي المرأة الخمار على رأسها، ولا تشده، فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك منها ".

هناك غطاءٌ على رأسها، لكن غير مشدود سائب، هذا الغطاء السائب بدا منه قلائدها وقرطها وعنقها، هذا هو التبرج، صحيح أنّ على رأسها غطاء، لكنه غير محكم، وغير مشدود، يظهر من المرأة الزينة التي ينبغي أن تختفي، قال تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

(سورة الأحزاب: آية " ٣٣ ")

يقول أحد العلماء: " حرم الله تعالى على المرأة المسلمة أن تخرج وخمارها غير مشدودٍ على رأسها، وسُمي هذا الخروج في مثل هذه الصورة تبرج الجاهلية الأولى ".

هذا هو التبرج، أن يبدو من المرأة بعض مفاتنها.

وأمر الله سبحانه وتعالى أن تخرج النساء متحجبات، عندنا نهي عن التبرج، هذا الحكم السلبي، الحكم الإيجابي أمر الله سبحانه وتعالى النساء أن يخرجن متحجباتٍ، لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾

(سورة الأحزاب)

٢ – وجوب تغطية وجه المرأة وأدلة ذلك


بالنسبة للبعض الحجاب يتضمن وجوب تغطية الوجه

ينقل الإمام الطبري عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قوله: " أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجةٍ أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عيناً واحدة ".

ويقول محمد بن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن قول الله عزّ وجل: (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) فغطى وجهه ورأسه، وأبرز عينه اليسرى.

يقول عالمٌ آخر، وهو القاضي أبو السعود في قوله تعالى:

﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾

(سورة النور: آية " ٣١ ")

" في النهي عن إبداء صوت الحلي بعد النهي عن إبداء عينها من المبالغة في الزجر عن إبداء موضعها ما لا يخفى ".

هذا كلام دقيق جداً، كأن يكون في الأرجل خلخال، السوار في المعصم، والخلخال في الرجل، فإذا ضربت المرأة برجلها في المشي سمع صوت خلخالها، إذا كان هناك نهيٌ عن صوت الخلخال فما قولك في النهي عن الخلخال ذاته ؟ وإذا كان هناك نهيٌ عن الخلخال ذاته فما قولك بموضع الخلخال بموضع الزينة ؟ هذا ما يقوله القاضي أبو السعود: " في النهي عن إبداء صوت الحلي بعد النهي عن إبداء عينها من المبالغ في الزجر عن إبداء موضعها ما لا يخفى ".

الصوت منهي عنه، فعين الحلي الخلخال من باب أولى، فموضع الخلخال من باب أولى، فأنت منهي عن الثالثة، أي عن الصوت.

لا أحد يقول: الأستاذ شدد كثيرًا، ليس هذا تشديدا، والمؤمن لا يشد حتى، ولا يحل، هذا هو الحكم الشرعي.

الآن حكمٌ آخر، وهو أن حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس يرى: " أن تغطي المرأة وجهها ورأسها ".

وهكذا قال عامة المفسرين، يقول أبو بكر الجصاص:" في هذه الآية دلالةٌ على أن المرأة مأمورة بستر وجهها عن الأجنبيين، وإظهار الستر والعفاف عند الخروج، لئلا يطمع أهل الريب فيهن ". هذا معنى قول الله تعالى: (وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ).

ويقول العلامة النيسابوري. " كانت النساء في أول الإسلام على عادتهن في الجاهلية، فأمرن بلبس الأردية والملاحف، وستر الرأس والوجوه ".

ويقول القاضي البيضاوي: (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ)، أي يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة ".

روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت:



((كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْرِمَاتٌ، فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ))

[أحمد]

وأخرج الإمام الحاكم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: <<كنا نغطي وجوهنا من الرجال، وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام >>.

يُخْلص من هذا أن ستر الوجه من صلب الدين، وهو الحكم الشرعي الذي هو عليه علماء المسلمين، وإذا كان هناك خلافٌ في هذا، فهناك اتفاقٌ على أن المرأة الشابة فتنتها في وجهها، وينبغي أن تستر وجهها باتفاق العلماء قاطبةً.

هناك من يقول: المرأة تصلي ووجهها مكشوف، ويداها مكشوفتان، إذاً هذه عورة المرأة، الوجه ليس بعورةٍ، وكذلك اليدان، لأنهما تكشفهما في الصلاة، يقول ابن القيم في رد هذه الشبه: " هذا إنما هو في الصلاة لا في النظر، فإن العورة عورتان، عورةٌ في النظر، وعورةٌ في الصلاة،

فالحرة لها أن تصلي مكشوفة الوجه والكفين، وليس لها أن تخرج في الأسواق ومجامع الناس كذلك، والله أعلم".

[كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين]

شبهة والجواب عنها

الآن هناك شبهةً مفادها أن هذا الأمر موجه إلى نساء النبي عليه الصلاة والسلام، والقاعدة الأصولية في فهم النصوص أن أي أمرٍ خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ينسحب بشكلٍ حكميٍ على كل المؤمنين، لأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، والنبي صلى الله عليه وسلم قدوة، فالأمر الموجه إليه ينسحب على أتباعه المؤمنين بشكل قطعي، ولا بد مِن دليل فرعي واضح على أن هذا الشيء خاصٌ بالنبي عليه الصلاة والسلام، فأي أمر عام موجه للنبي عليه الصلاة والسلام ليس فيه دليل على أن هذا الأمر خاصٌ به فالأمر عام، وعلى كل المؤمنين أن يأتمروا به.

يقول أبو بكر الجصاص في تفسير هذه الآية:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾

" هذا الحكم وإن نزل خاصاً في النبي صلى الله عليه وسلّم وأزواجه، فالمعنى عامٌ فيه، وفي غيره، إذا كنا مأمورين بإتباعه والاقتداء به، إلا ما خص الله به نبيه دون أمته ".

فالشيء الخاص بالنبي معه دليل واضح، دليل خصوصيته، لكن إذا لم يوجد دليل خصوصية فالأمر موجه للنبي عليه الصلاة والسلام وموجهٌ حكماً لكل المؤمنين، لذلك الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: آية " ٥٩ ")

لقد روى ابن أبي حاتم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما نزلت هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾

<<خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسيةٌ سودٌ يلبسنها >>، هذا نقل عن تفسير ابن كثير.

الآن.



فاسألوهن من وراء حجاب

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ ﴾

(سورة الأحزاب: آية " ٥٣ ")

قال: يقول القاضي أبو السعود في تفسير هذه الآية: " أي ما ذكر من عدم الدخول بغير إذنٍ، وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول، وسؤال المتاع من وراء حجاب أكثر تطهيراً من الخواطر الشيطانية، فإذا كان سؤال المتاع من وراء الحجاب أكثر تطهيراً من الخواطر الشيطانية فما السبب في استثناء بقية النساء ".

إذا الصحابية الجليلة أم المؤمنين إذا سألتها حاجةً فاسألها من وراء حجاب، لأن ذلك أطهر لقلبك وقلبها، فما القول في امرأةً ليست صحابيةً، وليست أم المؤمنين، ولم تلتق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، المرأة التي هي زوجة رسول الله، وهي حكماً أم المؤمنين، وهي الطاهرة العفيفة الحصان قال الله عزوجل لها:

﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: آية " ٥٣ ")

فما القول في امرأةٍ ليست صحابيةً، وليست أم المؤمنين، وليست في طهارة وعفة وإيمان الصحابيات الجليلات ؟ هذا كلام كالشمس واضح.

٣ – عدم خروج المرأة متعطرة


تتعطر المرأة داخل المنزل وليس خارجه

الأدب التالي لأدب الحجاب: ألا تخرج المرأة متعطرةً، فقد أرشد النبي عليه الصلاة والسلام إلى أن طيب النساء ينبغي أن يظهر لونه، وأن يختفي ريحه، وأن طيب الرجال ينبغي أن يظهر ريحه، ويختفي لونه.

أكمل طيب للرجل ليس له لون، لكن له رائحة، أما طيب النساء ليس له رائحة، لكن له لون، يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:

((طِيبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ))

ونهى النبي عليه الصلاة والسلام أن تخرج المرأة وهي مستعطرة، فقد روى الإمام أبو داود في سننه عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال ــ دققوا، لا تظنوا أن موضوع العطر في الطريق شيء وهو بلوى عامة، فهذا من الكبائر، أي أن المرأة إذا خرجت مستعطرة خرجت زانية، انتبهوا، بناتكم نسائكم، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إِذَا اسْتَعْطَرَتِ الْمَرْأَةُ فَمَرَّتْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ قَوْلًا شَدِيدًا))

وفي روايةٍ عند النسائي:

((فهي زانية))

ويقول شارح هذا الحديث: " سماها النبي زانية مجازاً، لأنها رغّبت الرجال في نفسها، فأقل ما يكون هذا سبباً لرؤيتها ".

فإذا شعر الرجل أن هناك رائحة عطرة يلتفت، ويتساءل: من صاحب هذا الريح العطر ؟ فأقل شيء بالمرأة المتعطرة أنها تلفت النظر إليها، الرائحة تسوق الوجه إلى النظر إلى صاحبة هذا العطر، سماها النبي زانية، طبعاً زانيةً مجازاً، لأنها رغّبت الرجال في نفسها، فأقلّ ما يكون هذا سبباً لرؤيتها، وهي زنا العين، العين تزني وزناها النظر.

يبدو أن امرأة وقعت في خطأ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان لها ريح طيّب، فسألها أبو هريرة فَقَالَ:

يَا أَمَةَ الْجَبَّارِ، جِئْتِ مِنَ الْمَسْجِدِ ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: وَلَهُ تَطَيَّبْتِ ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ حِبِّي أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((لا تُقْبَلُ صَلاةٌ لامْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ لِهَذَا الْمَسْجِدِ حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ غُسْلَهَا مِنَ الْجَنَابَةِ))

فتتطيب، وأن تأتي للمسجد هذا سوء فهم منها، ولو أنها أتت بيت الله عزّ وجل غسلت موضع العطر خارج البيت، ممنوع في نظام الإسلام، لأن العطر يلفت النظر، والنظر يوقع في زنا العين، وهي السبب، لأنها هي التي رغّبت في نفسها.

والنقطة الدقيقة أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما نهى الرجال عن منع النساء من الحضور في المساجد، معنى ذلك أنّ المرأة من حقها أن تأتي إلى المسجد، وبعد قليل ترون أنه يُطلَب أن يكون مكان النساء بعيدا عن الرجال، وأن يكون النساء لهم مدخل خاص، ومكان خاص فيه كل وسائل الراحة، فإذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم الرجال عن منع النساء من الحضور في المساجد، حيث يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح عن ابن عمر الذي رواه الإمام مسلم:

((لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ))

فقد نهى كذلك المرأة إذا استعطرت عن الذهاب إلى المسجد، بالمقابل هذه التي تأتي بيت الله بأكمل ثياب، أو بأكمل حركات، دون أن يكون هناك أي شيء يلفت النظر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ))

[مسلم]

هنا تعليق لطيف: إذا منعت المرأة من الذهاب إلى المسجد لأنها متعطرة فكيف بالمرأة التي تذهب إلى الأسواق، وتشتري حاجاتها من الرجال الأجانب، وهي في أبهى زينة، وهي مستعطرة ؟!

٤ – عدم إظهار الزينة بالصوت

ومن الآداب التي ينبغي على المرأة أن تتأدب بها حفاظاً على زواجها، وعلى سعادتها الزوجية، ألا تظهر زينتها بالصوت، قال تعالى:

﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾

(سورة النور آية " ٣١ ")

أحد المفسرين الأفاضل يعلِّق على هذه الآية يقول: " إنها لمعرفةٌ عميقةٌ بتركيب النفس البشرية، وانفعالاتها، واستجاباتها، فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى في إثارة الشهوات من العيان، وكثيرون تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها أو حليها ".

أحياناً يكون الإنسان في غرفة النوم، إذا دخل إنسان أجنبي فلا ينبغي أن يرى في هذه الغرفة ثياب امرأة، وهذا هو الأكمل، حاجات المرأة تثير الخيال إلى مواضعها.

" فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى في إثارة الشهوات من العيان، وكثيرون تثير شهواتهم حاجات المرأة، أكثر مما تثيرها المرأة نفسها، وسماع وسوسة الحلي، أو شم شذا العطر من بعيد، قد يثير حواس الرجال أكثر مما يثيرهم منظر المرأة نفسها ".

أحياناً يكون الواقع أقل من الخيال، فالخيال يضفي على الواقع أحياناً مبالغات هو بعيدٌ عنها كثيراً.
" وهذه الآية فيها دلالةٌ على أنّ المرأة منهيةٌ عن رفع صوتها بالكلام، بحيث يسمع ذلك الأجانب، إذا كان صوتها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها".

إذا كان صوت الخلخال ممنوعا أن يسمع، فما قولك بصوتها هي، وقد يكون صوتاً فاتناً ؟!! لذلك صوت المرأة عورة ولو أذّنت.

والآن انتبهوا إلى الأحكام الفقهية، المرأة إذا اقتدت بزوجها أو برجل، قد يكون هذا الرجل أباها أو أخاها، هذا شيء مشروع، وسها الإمام عن القعود، أو سها بترك واجب، يقول الرجل المقتدي: سبحان الله ! يذكِّر الإمام، أما أن تقول المرأة في الصلاة: سبحان الله ! فصوتها عورة، قال: لها التصفيق، إذا فعلت هذا، أي نبهت الرجل إلى أن هناك خلل في الصلاة.

روى الإمام ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((التّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ، وَالتّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ))

وهذا مبالغةً في عدم إظهار صوت المرأة، وقد سمعت في بلاد المغرب أن قديماً كان إذا طرق الباب الرجل لا تقول المرأة: مَن الطارق ؟ بل تضرب على الباب ضربات تشير إلى أن نحن وراء الباب، من تريد ؟ لئلا يسمع صوتها.

ويقول ابن قدامة: قال ابن عبد البر: " ليس على النساء أن ترفع صوتها بالتلبية ".

في أثناء الحج أو العمرة كان النساء الجاهلات يرددن الدعاء الذي يدعو به من يقودهن بصوتٍ أعلى من صوت الداعي، وأعلى من كل الرجال، وهذا جهلٌ فاضحٌ بأحكام الحج، ليس على المرأة أن ترفع صوتها بالتلبية، عليها أن تلبي بصوتٍ تسمعها هي فقط، أما رفع الصوت فإن صوتها عورة، أيضاً هذا مما نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام.

" أجمع العلماء على أن السنة في المرأة ألا ترفع صوتها، وإنما عليها أن تسمع نفسها، وبهذا قال عطاء ومالك والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي، وإنما كره لها رفع الصوت مخافة الفتنة، لذلك لا يسنٌّ لها آذانٌ ولا إقامة ".

إنّ المرأة في البيت لا تؤذن ولا تقيم، لأن صوتها عورة، " وإذا سها الإمام عن واجبٍ من واجبات الصلاة، لها التصفيق وله التسبيح "، هذا كلّه ينسجم مع أن صوت المرأة عورة.

٥ – عدمُ اختلاط المرأة بالرجال



ومن الآداب التي ينبغي أن ترعاها المرأة حفاظاً على سعادتها الزوجية، عدم الاختلاط بالرجال، فتمكين النساء من الاختلاط بالرجال أصل كلُّ بليةٍ وشر، لو تتبعت أكثر المشكلات الكبيرة التي سببها المرأة لوجدتَ أن هذه المشكلة بدأت من خلوةٍ أو من اختلاط. هناك أسرتان ذهبتا إلى الساحل ليقضوا أسبوعًا أو أسبوعين، الأسرتان رجعتا إلى الشام، وحصل طلاق بين الأسرتين، فيهما سبعة أولاد فيها، فقد أصبح بينهم اختلاط، الزوج الأول أعجبته زوجة الثاني، والثاني بالعكس، فحينما يختلط الرجال بالنساء تقع المفاسد والشرور، وكما يقول ضباط الأمن الجنائي: في كلِّ جريمةٍ أو مشكلةٍ فتش عن المرأة، وراء كل مشكلّة طبعاً، كما أن وراء كل إنسان موفق في حياته امرأةٌ تعينه على هذا التوفيق، أيضاً وراء كلّ إنسان وقع في مأساة في حياته امرأة أغرته بالانحراف.

وقد وجه النبي عليه الصلاة والسلام النساء أن يمشين في جزءٍ من الطريق مخصوص، أي إذا كان الطريق مزدحماً بالرجال فعلى المرأة أن تمشي في مكان بعيد عن الرجال،

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾

بنتا سيدنا شعيب

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

[سورة القصص]

بنتا سيدنا شعيب ما اختلطتا بالرجال، بقيتا في جانبٍ، والرجال في جانب، قال عليه الصلاة والسلام للنساء:

((اسْتَأْخِرْنَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ، عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ...))

(من سنن أبي داود)

فإذا هناك مجتمع من الرجال، وكان فيه ازدحام فالمرأة المؤمنة الطاهرة العفيفة تجتنب هذا الازدحام قال:

((فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ، حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ))

من شدة اتباعها لسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، والنبي عليه الصلاة والسلام خصص باباً لدخول المسجد، والآن يوجد باب النساء في الحرم المدني.

وفي سنن ابن داود عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((لَوْ تَرَكْنَا هَذَا الْبَابَ لِلنِّسَاءِ))

فلم يدخل سيدنا عبد الله بن عمر من هذا الباب حتى مات، فصارت سنة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هذا الباب للنساء، وفي أكثر المساجد والحمد لله هناك جناح للنساء بباب مستقل، ومرافق مستقلة، بغير اختلاط أبداً، أيضاً من أجل عدم الاختلاط بالرجال، ينبغي أن تكون صفوف النساء منفصلّة عن صفوف الرجال، حتى لو أنها امرأةٌ واحدة.

وروى الإمام أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ لَهُ قَالَ:

((فَأَكَلَ ثُمَّ قَالَ: قُومُوا فَلأُصَلِّيَ لَكُمْ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لَبِثَ فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَفَفْتُ أَنَا وَالْيَتِيمُ وَرَاءَهُ، وَالْعَجُوزُ وَرَاءَنَا، فَصَلَّى لَنَا رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ))


النساء لهن صف خاص بالصلاة

[أحمد]

وقفت زوجته في صف مستقل، فالمرأة إذا حاذت الرجال في الصف فسدت الصلاة، فانظر إلى دقة عدم الاختلاط حتى في الصلاة، ولو أنها قريبة، المرأة لها صف خاص، وكما ذكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سنن ابن ماجة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((خَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا))

في الرجال بالعكس، خيرها أولها، وشرها أخرها، في النساء خيرها أولها، وشرها أخرها، أي خيرها ما كان بعيداً عن الرجال.


تحرص النساء على عدم الاختلاط بالرجال في الحج

وكانت النساء المؤمنات يحرصن على ألا يختلطن بالرجال وقت الطواف، هذا الطواف صدر بظهر، وكتف بكتف، رجال ونساء، هذا بعيداً عن روح الشريعة الإسلامية، فهناك دراسات لكنها لم تنجح حتى الآن، ولكنها نجحت في المسجد النبوي، الآن في المسجد النبوي ليس هناك اختلاط أبداً، بابٌ خاص للنساء، وحيّزٌ خاص للنساء، وجدر مانعة للنساء، وموقفٌ أمام رسول الله للنساء خاص، فالقضية حُلّت حلاً جذرياً في الحرم النبوي الشريف، لكن نرجو الله سبحانه وتعالى أن تحلّ حلاً جذرياً في الحرم المكي حيث لا يزال هناك اختلاط.

وقد روت كتب الحديث أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت:

((تَطُوفُ حَجْرَةً مِنَ الرِّجَالِ لا تُخَالِطُهُمْ))

(من صحيح البخاري)

أي في زاوية بعيدة عن الرجال لا تخالطهم.

الآن هناك نقطة دقيقة جداً، إذا صلّت النساء وراء النبي صلى الله عليه وسلم ، متى كنّ يقمن من المسجد ؟ بعد أن يسلّم، ويذهبن إلى البيت، ففي سنّة العشاء والوتر فالنساء بشكلٍ خاص أعطاهن النبي صلى الله عليه وسلم توجيهاً أن يقمن من الصلاة بعد التسليم فقط، حتى يذهبن إلى بيوتهن، دون أن يختلط الرجال بالنساء.

روى الإمام البخاري عن أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهَا

((أَنَّ النِّسَاءَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ إِذَا سَلَّمْنَ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ قُمْنَ، وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ صَلَّى مِنَ الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ الرِّجَالُ))

الرجال متى يقومون ؟ إذا قام رسول الله، أما النساء فكن يقمن من الصلاة فور التسليم، ويذهبن إلى بيوتهن لئلا يختلطنّ بالرجال.

٦ – عدم سفر المرأة إلا مع ذي مَحْرَم


سفر المرأة لا يكون دون محرم

الموضوع الأخير في آداب المرأة، ألاّ تسافر إلا ومعها ذو محرم، روى الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

أَرْبَعٌ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ قَالَ: يُحَدِّثُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْجَبْنَنِي وَآنَقْنَنِي:

((أَنْ لا تُسَافِرَ امْرَأَةٌ مَسِيرَةَ يَوْمَيْنِ لَيْسَ مَعَهَا زَوْجُهَا، أَوْ ذُو مَحْرَمٍ، وَلا صَوْمَ يَوْمَيْنِ الْفِطْرِ وَالأَضْحَى، وَلا صَلاةَ بَعْدَ صَلاتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ وَبَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَلا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي وَمَسْجِدِ الأَقْصَى))

ويروي الإمام مالك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ مِنْهَا))

وروى الإمام البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، وَلا يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ))

يقول الإمام النووي في شرح هذه الأحاديث، قال البيهقي: "كأنه صلى الله عليه وسلم سئل عن المرأة أن تسافر ثلاثاً بغير محرم ؟ فقال: لا، وسئل عن سفرهما يومين بغير محرم ؟ قال: لا، وسؤل عن سفرها يوماً ؟ قال: لا "، أي لا تسافر مطلقاً إلا مع زوجها، أو مع ذي محرم.

والحديث الآخر:

((لا تحجن امرأةٌ إلا ومعها ذو محرم))

وروي الإمام البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَلا تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، وَخَرَجَتِ امْرَأَتِي حَاجَّةً قَالَ: اذْهَبْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ))

أمره بترك الجهاد، وأن يحج مع امرأته.

والعلماء يقولون: المرأة التي لا تجد محرماً تحج معه ليست مستطيعة للحج، والحج على من استطاع إليه سبيلاً.

أيها الإخوة، عدم الاختلاط بالرجال، وعدم رفع الصوت، وعدم التعطر، وعدم الخروج بغير الزي الإسلامي الذي أمر به الإسلام، هذه كلُّها تدابير احترازية، لو فعلّتها المرأة لضمنت زواجاً سعيداً، وضمنت استقراراً نفسياً، وهي طاعةً لله عزّ وجل.

والحمد لله رب العالمين

محاضرات وندوات خارجية - أمريكا - الرحلة١ - المحاضرة (٠٢ - ١٠) : العلاقات الزوجية.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠١-٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حقائق العلاقات الزوجية :

أيها الأخوة الأكارم ؛ من الموضوعات التي أراها جديرة بأن تطرح في هذا اللقاء موضوع العلاقات الزوجية ، فالإنسان حينما يسعد في بيته ينتج في عمله ، وكلما اصطفى البيت انعكس هذا الصفاء إنتاجاً وتفوقاً وعطاءً ، وحجم الإنسان عند الله بحجم عمله ، فكل شيء يعكر صفاءه ينعكس على عمله وبالتالي ينعكس على سعادته .

الحقيقة الأولى :

باديء ذي بدء أهم فكرة في العلاقات الزوجية الإسلامية أن الله بين الزوجين ، بمعنى أن الزوج المؤمن يعامل زوجته من خلال الله ، ومن خلال الخوف منه ، ومن خلال رجاء رحمته ومن خلال تطبيق منهجه ، يخافه ويرجو رحمته ويطبق منهجه ، الزوج المؤمن يغفر سلبيات زوجته ويتقرب إلى الله بخدمتها ، والزوجة المؤمنة تغفر سلبيات زوجها وتتقرب إلى الله بخدمته ، فإذا كان الله بين الزوجين سعد الزوجان .

العلاقات الأخرى في مجتمع شارد عن الله بعيد ، العلاقة مباشرة الأقوى يسحق الآخر ، ما دام هناك نفع من الزواج فالزواج قائم ، فإذا انقطع النفع سقط الزواج ، فرق كبير بين زواج إسلامي مبني على أن كل طرف يعامل الطرف الآخر من خلال معرفته بالله ، من خلال تطبيق منهجه ، من خلال طلب جنته ، من خلال الخوف من ناره ، أما الطرف الآخر مبني على علاقة مباشرة ، بل إن بعض المنظرين يقول الحضارة الإسلامية كلها مبنية على أن الله بين كل علاقتين.

والحضارة الأخرى مبنية على علاقة مباشرة فالقوي يأكل الضعيف والأعلى يسحق الأسفل ، هذه حقيقة .

الحقيقة الثانية :

هو أنه في الزواج الإسلامي ، هناك مرجعية ، وهذه المرجعية تلغي الغالب والمغلوب ، كتاب الله وسنة رسوله بين الزوجين فإذا تنازعا في شيء ردوه إلى الله ورسوله ، إذا كان هناك تشريع من قبل الله عز وجل ، هذا التشريع هو مرجع وهذا التشريع يلغي الغلبة ، لا يوجد أحد غالب هذا أمر الله عز وجل ، فلذلك الإنسان في ظل هذا النظام الإلهي يسعد بزوجته لأن الله له أمر وله نهي ، فإذا طبقنا أمر الله عز وجل ليس هناك إنسان غُلب وإنسان غَلب ، هذه الحقيقة الثانية . المؤمن له مرجع ، وأساساً المسلم حينما يطبق منهج ربه سبحانه وتعالى يشعر أنه في ظل الله ، يشعر أن الله سبحانه وتعالى معه ، يشعر أن الله متجلي عليه بالبركات والأنوار والخيرات والتوفيق والدعم من الله .

الحقيقة الثالثة :

أنه ما من زواج يبنى على طاعة الله في الجزئيات ولو افتقر إلى مقومات النجاح إلا ويتولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين ، وما من زواج يبنى على معصية الله ولو توافرت له كل أسباب النجاح إلا ويتولى الله التفريق بينهما .

يجب أن تبنى جزئيات العلاقات الزوجية ، جزئيات الحياة الزوجية على طاعة الله عز جل وذكرت هذا كثيراً أن كل إنسان يشعر أنه يطبق تعليمات الخبير يقطف الثمار يانعة ، أضيف إلى هذه الأسس في العلاقة الزوجية المرجعية ، الله بين الزوجين ، بناء تفصيلات الزواج على منهج الله عز وجل .

الحقيقة الرابعة :

الشيء الرابع أنه قال تعالى :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

[سورة النور الآية : ٣٠]

معنى ذلك أن هذه الآية الكريمة التي احتلت مساحة من كتاب الله الذي يتلى إلى يوم القيامة لولا أنها تشير إلى أخطر حقيقة في السعادة الزوجية لما ذكرت .

ما الذي يميز العلاقة الزوجية الإسلامية ؟ أن الزوج المؤمن يقصر طرفه على زوجته فهي ملء عالمه ، والزوجة المؤمنة تقصر طرفها على زوجها فهو ملء عالمها ، فحينما تنفرد الزوجة من

بين النساء بملء عالم الرجل ، وحينما ينفرد الرجل من بين الرجال بملء عالم المرأة يكون الوفاق بينهما .

أما إذا تطلعت إلى غيره وتطلع إلى غيرها ، والإنسان بعقله الباطن يوازن ، هو يوازن وهي توازن وصار شرخ في العلاقات الزوجية ، هذا معنى قول الله عز وجل :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

[سورة النور الآية : ٣٠]

ومن غض بصره عن محارم الله أورثه الله حلاوة في قلبه إلى يوم يلقاه ومن ملء عينيه من الحرام ملأهما الله من جمر جهنم .

الخروج عن منهج الله :

في بعض الجهات التي تعمل في مكافحة الجرائم ، عندها مقولة ابحث عن المرأة في كل جريمة، أنا عدلتها ابحث عن المعصية في كل مشكلة .

الجهل سبب من أسباب الخروج عن منهج الله :

وسأقول هذه الحقيقة ما من مشكلة على وجه الأرض إلا بسبب خروج عن منهج الله ، ابحث ما شئت ، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب جهل به ، والجهل أعدى أعداء الإنسان ، الجاهل يفعل بنفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، يعني مثل بين أيديكم فلاح عنده بيت بلاستيكي زراعة محمية ، وزرع محصول رائج جداً في أيام البرد وغلة البيت مئتان ألف ، اشترى سماد التعليمات كيلو سماد في البرميل لجهله وضع كيليين ، وأصبح فإذا المحصول كله أسود اللون مات ، ضيع مئتان ألف لأنه جاهل .

دائماً وأبداً الجاهل يفعل بنفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، كل منا حريص على سعادته لكن لهذه السعادة أسباب بينها الله عز وجل .

الاختلاط سبب من أسباب الخروج عن منهج الله :

الاختلاط والانفتاح الغير المعقول ، قال أحدهم أنا أسمح للهواء ليدخل إلى غرفتي فيجدد هواءها، أما أن يقتلعني من جذوري هذا ليس هواء منشطاً أبداً ، هذا هواء مدمر ، فالإنسان إذا انفتح انفتاحاً غير معقول واختلط اختلاطاً كثيراً ولم يعبأ بتوجيهات النبي .

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ :

((إِيّاكُمْ وَالدّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : يَا رَسُولَ اللّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ ، قَالَ : الْحَمْوُ الْمَوْتُ))

[أخرجه البخاري ، ومسلم ، والترمذي]

وَإِنّمَا مَعْنَى كَرَاهِيَةِ الدّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ عَلَى نَحْوِ مَا رُوِيَ عَنِ النّبِيِّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ :

((لا يَخْلُوَنّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشّيْطَانُ))

وَمَعْنَى قَوْلِهِ الْحَمْوُ يُقَالُ هُوَ أَخُو الزّوْجِ كَأَنّهُ كَرِهَ لَهُ أَنْ يَخْلُوَ بِهَا .

وهج المعصية :

دائماً وأبداً عندنا معاصي لها وهج ، والمعاصي التي لها وهج لها قوة جذب النهي لا عن مقارفتها بل عن الاقتراب منها .

مثال :

إذا كان يوجد تيار عالي ثمان آلاف فولط ينقل الطاقة من مكان إلى مكان ، وأراد وزير الكهرباء أن يضع تحذير للمواطنين ماذا يقول لهم :

ممنوع مس التيار ؟.

أم ممنوع الاقتراب من التيار ؟.

له حرمة ثمان أمتار ومن دخل إلى هذه الحرمة جذبه التيار وجعله قطعة فحم ، هذا المعنى ذكره الله عز وجل في كتابه الكريم قال تعالى :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾

[سورة البقرة الآية : ١٨٧]

لابد من أن تترك بينك وبينها هامش أمان .

مثال آخر :

كأن نهراً مخيفاً له شاطئ مائل زلق وله شاطئ مستوي جاف ، فأنت لا تنجو إلا إذا سرت على الشاطئ المستوي الجاف ، أما إذا اقتربت من الشاطئ الزلق هذا الشاطئ ألقاك بالماء ، لذلك : بأمور النساء ليس النهي عن الفاحشة بل النهي عن الاقتراب قال تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾

[سورة الإسراء الآية : ٣٢]

لا تقربوا الزنا ، لا تخلون بامرأة ، لا تقربوا الزنا .

حالات جرح العدالة :

لا تصاحب الأراذل ، صحبة الأراذل تجرح العدالة ، قلت حديث رسول الله :

((من عامل الناس ولم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، و وعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته وحرمت مغيبته))

من عاملهم فظلمهم ، ومن حدثهم فكذبهم ، ووعدهم فأخلفهم ، سقطت عدالته إلا أن هناك حالات تجرح العدالة :

١- صحبة الأراذل تجرح العدالة

٢- التنزه في الطرقات يجرح العدالة ،

٣- الحديث عن النساء فيما لا يرضي الله عز وجل يجرح العدالة .

٤- من علا صياحه في البيت يجرح العدالة .

٥- من أكل في الطريق ، من مشى حافياً تجرح عدالته .

٦- من قاد برزوناً تجرح عدالته .

٧- من أطلق لفرسه العنان تجرح عدالته ،

هامش الأمان :

الإنسان حينما يقترب من هامش الأمان للمعصية هذا الهامش قد يجذبه إليها ومن هنا جاء قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾

[سورة البقرة الآية : ١٨٧]

يوجد معاصي لها قوة جذب ، هذه المعاصي يجب أن تدع بينك وبينها هامش آمان ، وهذه النقطة قد يغفل عنها كثيرون وقد يغفل عنها الآباء ، فإذا غفل عنها الآباء وقعوا في شر عملهم ووقع أولادهم في شر عملهم .

أخوانا الكرام ؛ أنت تسير في طريق وجدت لوحة كتب عليها حقل ألغام ، هل تشعر أن هذه اللوحة تقيد حريتك ؟

أوامر الدين ليست تقيداً لحريتك ولكنها ضمان لسلامتك .

مرة ذكرت مثل آخر ، أنت راكب شاحنة وتحمل عشرون طن ، وصلت إلى جسر كتب عليه الحمولة القصوى عشرة طن ، الآن تنظر هل يوجد شرطي مرور ، هل تكتب في حقي مخالفة ، ليس الموضوع موضوع مخالفة الموضوع أكبر من ذلك بكثير ، الموضوع أنك سوف تسقط ، موضوع المخالفة ليس له أهمية إطلاقاً .

النتيجة والعلاقة :

الإنسان لو فهم الدين على أن كل أمر فيه نتائج ، والعلاقة بين الأمر والنتيجة هي علاقة سبب بنتيجة ، والعلاقة بين النهي وسببه هي علاقة أمر بنتيجة ، مثلاً :

أحياناً تقول لابنك اجلس هنا يا بني ، فأراد أن يتحداك جلس في مكان آخر تضربه هل هناك علاقة بين الضرب والجلوس ؟ أبداً ، أربع كراسي وثيرة أنت أردت لحكمة أن يجلس هنا ، جلس هناك ضربته ، نقول العلاقة بين العقاب والسبب علاقة وضعية أنت وضعتها .

في هذه القاعة بابين ، إذا قلنا للناس أخرجوا من هذه الباب ، والذي خرج من ذلك الباب ، ليس هناك علاقة علمية بين المخالفة والنتيجة .

أما إذا كان هناك مدفأة مشتعلة وجاء طفل ووضع يده عليها ، فاحترقت نقول إن هناك علاقة علمية بين وضع اليد على المدفأة وبين احتراق اليد .

حينما تؤمن أن العلاقة بين المعصية ونتائجها ، وبين الطاعة ونتائجها علاقة علمية فقد نجوت ، العلاقة علمية بين الأمر والنهي ونتائجها ، علاقة سبب بنتيجة ، والدين ضمان لسلامتك و ليس قيداً لحريتك ، إذاً لو ربنا عز وجل يحرم الاختلاط و إطلاق البصر هو يضمن لك سعادتك الزوجية و هذا الإنسان الذي يطلق بصره و يشقى في بيته إنسان شقي ، و الحقيقة أنصف شيء في حياة الإنسان زوجته و عمله فإذا كان سعيداً بهما سعد في دنياه إجمالاً و إذا كان شقياً بهما شقي في دنياه إجمالاً .

هناك أربع عناصر بالعلاقة الزوجية ، و هناك عنصر خامس هذا العنصر الخامس هو أن بيت الزوجية مقدس ، فلمجرد أن تخرج المرأة من بيت الزوجية غاضبة أو أن يخرجها زوجها إلى

بيت أهلها غاضبة أي خروج من المرأة من بيت زوجها ما الذي يحصل ؟ أصغر مشكلة تغدو أكبر مشكلة ، فإذا بقيت المرأة في بيت زوجها أكبر مشكلة تغدو أصغر مشكلة ، لأنه إن خرجت صار هناك أطراف عدة و تغذية معينة و تكبير رأس و تحطيم و تحدي كل هذا الزوجات في غنى عنه لذلك قال تعالى:

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً ﴾

[سورة الطلاق الآية : ١]

ليس لها أن تخرج و ليس له أن يخرجها ، فإذا بقيت في بيت الزوجية أكبر مشكلة لابد من أن تتلاشى ، أما إذا خرجت أصغر مشكلة تتفاقم هذه قاعدة ثانية .

القاعدة الثالثة : هو أن هذا البيت مؤسسة ، و ما من مؤسسة على وجه الأرض إلا و تحتاج إلى قائد ، فالله سبحانه و تعالى لحكمة بالغة قال :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً ﴾

[سورة النساء الآية : ٣٤]

هذه آية لا ينتبه لها أحد ، فضل بعضهم على بعض ليس معنى هذا أفضل منك ، معنى ذلك أنها أفضل منه في حالات و في قضايا و هو أفضل منها في قضايا ، ففي شؤون العاطفة و العناية بالبيت و بالأولاد هي أفضل منه ، و في شؤون الرؤيا و القيادة هو أفضل منها فقال فضل بعضكم على بعض و ليس معنى هذا أنه يوجد طرف مفضل ، معنى ذلك أن كل طرف مفضل و فاضل كل طرف ، فالرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و ليس بما فضلهم على النساء كلا ، بل بما فضل بعضكم على بعض ، و بما أنفقوا من أموالهم فالقوامة من الرجل إلا أن هذه القوامة لا تعني أنه كل شيء و هي لا شيء قال تعالى :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[سورة البقرة الآية : ٢٢٨]

أي إذا كان بالمراتب العسكرية هناك لواء فهي ليست جندي بل هي عميد ، رتبة واحدة هذه المرتبة هي مرتبة القيادة ، لا بد من قائد للمركبة .

الشيء الثاني : هذا لا يمنع أن نتشاور ، أي تنصحها و تنصحك ، و تأمرها و تأمرك ، و الحياة حركة إلى منتصف الطريق ، هناك مثل واضح هو :

أنك هنا و أنا هنا لا بد من أن أصل إلى نصف الطريق إليك ، و لا بد من أن تصل إلى نصف الطريق إلي ، بهذه الطريقة يلتقي الأطراف .

ثم ذكرت أيضاً أنه يوجد بين الزوجين خلافات ، أولاً :

وطن نفسك أنه ليس في الأرض زوج تنطبق طباعه و أفكاره و رؤيته على طباع زوجته ، هناك مسافة ، إذاً البطولة لا أن تنعدم المشكلات و لكن أن نقف منها الموقف الكامل ، هذه البطولة ، لذلك لو صار هناك خصومة أو منازعة هناك من تمتد بهم هذه المنازعات أياماً و أسابيع و أشهر و هذا إتلاف للحياة الزوجية ، أما الأكمل أن نجعل أمد النزاع أقصر أمد على الإطلاق .

عبرت عنه بالشكل التالي :

إذا خرجت من البيت تعود و كأن شيئاً لم يكن ، إذا نمنا استيقظنا و كأن شيئاً لم يكن ، فإذا اتفق الزوج و زوجته على أن أي خلاف بينهما يجب أن ينتهي بمرور مرحلة زمنية قصيرة جداً ، مرحلة الخروج و العودة ، أو النوم و الاستيقاظ ، بهذه الطريقة تغدو الحياة سعيدة .

و أحياناً هناك مشكلة قد تزيد العلاقة متانة و قد تزيد الصلة بشاشة ، هذا كله من قبيل رعاية مبادئ الشريعة في العلاقة بين الزوجين .

هناك شيء آخر ذكرته أيضاً :

أن الإنسان أحياناً بعد فترة من الزواج ترتفع الكلفة و يصمت الرجل عن مدح زوجته و تصمت هي عن مدح زوجها و تغدو حياة رتيبة مملة لا معنى لها ، هذا من عدم حكمة الزوج فهذه التي ترعى أولادك ، مرة أحد الأعراب شكا زوجته إلى عمر ، طرق الباب فسمع صياحاً فولى هارباً، سيدنا عمر فتح الباب فرأى الرجل بعيداً ، يا أخا العرب تعال ، لماذا رجعت ؟ قال جئتك أشكو مما أنت منه تشكو ، نفس المشكلة عندك ، قال له : يا أخي هذه الزوجة ترعى أولادنا و تهيئ حاجاتنا فبين له الناحية الجيدة ، و أنا مرة أخ شكا لي زوجته و كان على وشك أن يطلقها ، استدرجته قلت له تخونك فقال لي : معاذ الله ، طاهرة عفيفة ، سألته طبخها سيء ؟ قال لي : لا

و الله طبخها جيد ، غير نظيفة ؟ قال لي لا إنها نظيفة جداً ، و من غير أن يشعر ذكر كل ميزاتها ثم استحيا من نفسه ، فدائماً كن موضوعياً ، لا تتعامى عن ميزاتها و ينبغي أن لا تتعامى عن ميزاتك .

أخوانا الكرام ؛ الزواج نعمة من الله و هو من أكبر النعم ، فمن أساء إلى زوجته أو من أساءت إلى زوجها تكفر هذه النعمة ، و البناء صعب و التخريب سهل ، أي ألف تصرف ذكي و حكيم يشدها إليك و تشدك لها و تصرف واحد أحمق هذا يخرب العلاقة بينكما ، إذاً أيضاً من حكمة الإنسان أن يسعد في بيته ، لذلك قال تعالى :

﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾

[سورة النساء الآية : ١٩]

رجل تزوج امرأة في عصر التابعين يبدو أنها لم تعجبه ، ندم أشد الندم و شعرت عليه بذلك فقالت يا فلان : قد يكون الخير كامناً في الشر ، بقيت هذه الكلمة ترن في ذهنه ثم هام على وجهه عشرين عاماً هكذا القصة ، عاد إلى المدينة فدخل إلى المسجد فرأى درساً يلقيه شاب حوله آلاف مؤلفة ، قال : من هذا ؟ قالوا : هذا أنس بن عامر ، هو عامر ابنه ، قال له : قل لأمك إن في الباب رجلاً يقول لك : قد يكون الخير كامناً في الشر ، قالت : يا بني هو أبوك ، أي الله عز وجل علمنا أن مصلحة الإنسان ، مصلحة الزوجة و الأولاد فوق كل شيء ، فالإنسان حينما يرضى و حينما يقبل بقضاء الله و قدره عندئذ ربنا عز وجل يسبغ على هذا الزواج سعادة ما بعدها سعادة ، هناك شيء آخر لا أزال في الحديث عن عوامل نجاح الزواج لأن كل إنسان بحاجة إلى هذه المعلومات الدقيقة و هذا من توجيه النبي عليه الصلاة و السلام .

شيء آخر : الإنسان عندما ينطلق من رضاه بقضاء الله و قدره ورد في الأثر :

((ما كان الله ليعذب قلباً بشهوة تركها صاحبها في سبيل الله))

إذاً المودة ، المرجعية ، الله بين الزوجين ، عدم إطلاق البصر ، ضبط اللسان ، الاحترام المتبادل ، ثم المعاملة بالمثل ، أي إذاً كنت تتمنى أن تحترم أهلك فاحترم أهلها ، كنت قلت سابقاً: هناك ثلاثة آباء ، أب أنجبك و أب زوجك و أب دلك على الله ، فالذي زوجك أب فإذا عاملت والد زوجتك كأنه أبوك و إذا عاملت أم زوجتك كأنها أم ، و إذا عاملت والد زوجها كأنه أب و أم زوجها كأنها أم صار الوئام ، كما أنك تحرص على إرضاء أمك تحرص على إرضاء أمها ، المؤمن منطقي يعامل الناس كما يحب أن يعاملوه ، أما هو يجب أن تحترم أهله إلى أعلى درجة

و هو يسيء إلى أهلها هذا إنسان عنصري غير موفق و غير منطقي و لا يستحق أن يسعد في زواجه ، إذا كنت أنت منطقياً قال عامل الناس كما تحب أن يعاملوك ، هذه بعض النقاط الدقيقة التي يمكن أن يبنى عليها نجاح الزواج ، و الإنسان إذا كان أخطأ سابقاً في زواجه يجب أن يؤمن بالتصحيح ، ممكن كل شيء أن يتصحح ، كم من زواج بني على فساد و صار هناك شقاق و نفور و كان على وشك الطلاق ثم صح الزوج و اصطلح مع الله و استقام على أمره فإذا هو إنسان آخر يجب أن تؤمن بقوله تعالى :

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾

[سورة الأنبياء الآية : ٩٠]

و أيضاً نقول لك و أصلح الله لك زوجك ، إصلاح الزوج و الزوجة شيء ممكن مائة في المائة، و كل بيت قال تعالى :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾

[سورة طه الآية : ١٣٢]

كل بيت تؤدى فيه الصلوات ، و كل بيت فيه ذكر لله عز وجل ، هذا البيت مبارك ، و ذكرت لكم :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ : لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَشَاءَ ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ ، قَالَ الشَّيْطَانُ : أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ : أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ))

[أخرجه مسلم وأبو داود]

سؤال وجواب :

ينشأ هنا أسئلة دقيقة جداً و الموضوع طبعاً موضوع حيوي لأنه هناك موضوعات غير حيوية و هذا موضوع حيوي و يعني كل إنسان فأنا على استعداد للإجابة عن أي سؤال متعلق بهذه المحاضرة .

أحدهم أحب أن ينصح زوجته فقال لها : إن في خلقي سوءً ، فقالت له : إن أسوأ خلق منك من حاجك إلى سوء الخلق .

يوجد أحياناً حالات : كلمة اعتذار تطفئ الشر ، والعناد في العلاقة الزوجية يفاقم الخلاف .

س : إذا لم يقبل أحد الطرفين المرجعية الإلهية في حل المشكلة فكيف العمل ؟

ج : الجواب سهل ، ابذل جهداً كي تعرف الله عز وجل ، إن عرفته معنى ذلك أنك مقصر في تعريفها بالله ، وصار أنك أنت المخطئ ، إذا كان الزوجة لم تقبل المرجعية الإلهية ، ولم تقبل حكم الله عز وجل ومعنى هذا أنها لا تعرفه والسبب هو أنت ، لذلك أنا لي كلمة دقيقة : لن تسعد بزوجتك إلا في المرحلة الرابعة ، تعرفها بالله ، فتسعد به ، وتعرف حقك ، عندئذ تسعدك .

إذا كان الزوج شارد ، تقول لها عرفيه بالله ، وادفعيه إلى الصلاة وعرفيه بأحكام دينه حتى يسعد بالله فيعرف حقك ويسعدك ، إذا كان هذا الطرف لم يقبل المرجعية الإلهية ، معنى ذلك أن الطرف الآخر مقصر في التعريف ، أنا في دمشق عندي عشرات بل بضع عشرات من الأزواج سبب هدايتهم زوجاتهم وهذا شيء واضح والمرأة إذا تدينت فاقت الرجل أحياناً ، فالمرأة إذا أرادت أن تدفع زوجها إلى طاعة الله هذا الأمر بيدها ولها أجر ، وأجر من فعل فعلها .

س : ما قولكم في شاب والده يدفعه إلى الزواج وهو يخلق الأعذار ؟

ج : والله فرصة لا تعوض ، الأب يتمنى إحصانه وهو يتمنى أن يبقى طليقاً .

س : ما الحكمة والعبرة ، وماذا نتعلم من تطليق رسول الله بعض زوجاته ؟

ج : هذه التي طلقها علمتها ضراتها أنه إذا دخل عليك قولي له أعوذ بالله منك فصدقت ، تفكير صفر ، هذه زوجته وسوف تبلغ الناس عنه ، فبهذا الغباء مستحيل أن تبلغ الناس عنه ، ولما دخل عليها قالت : أعوذ بالله منك ، قال : إلحقي بأهلك ، قضية التبليغ قضية خطيرة جداً ، لأن أسرة النبي جزء من الدعوة ، السيدة عائشة كانت من فقيهات الصحابة ، فهذه الحالة الوحيدة التي طلق النبي زوجته .

س : التكافؤ في الزواج هو من مقومات نجاح الزواج هل هذا الكلام صحيح ؟

ج : بالفقه الإسلامي يوجد باب اسمه الكفاءة الزوجية ، يعني دائماً يجب أن يكون الزوج قريب من مستوى والد الزوجة ، أما إذا كان يوجد تباين كبير جداً ، هذا الزواج لا ينجح ولا يتم ، لو قبل الزوجان مبدئياً ، وإذا كان هناك فارق كبير جداً أسباب النجاح غير موجودة والتكافؤ الزوجي الزوجة وأهلها في مستوى ثقافي عالي جداً ، والزوج في مستوى ثقافي متدني جداً وهو يشعر بعقدة نقص ، فيحتقر العلم وتنشأ مشكلات يومية وأحياناً يكون الغنى فاحش عند أهل الزوجة ، والشاب دخله محدود جداً فمهما جهد في تقديم شيء عندها لا شيء ، لذلك لا بد من التوافق الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والديني ، إلا أن العلماء قالوا طالب العلم وحده كفؤ لأي امرأة ، لأن عنده حكمة وسوف يعلم زوجته ويقدم لها أثمن شيء.

س : ما حكم الإسلام فيما يقوله العوام ، الزواج نصيب ؟

ج : الحقيقة قال الله عز وجل :

﴿ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

[سورة النور الآية : ٢٦]

الله عز وجل له أمر تكليفي وأمر تكويني ، فهل هذه الآية أمر تكويني أم تكليفي ؟ الجواب تكليفي لا تكويني ، لو قلنا تكويني سأقول لكم ما هو الفرق : طريق يوجد لوحة ممنوع المرور وهذا أمر تكليفي ، الطريق سالك ولكن ممنوع ولو خالفنا النظام يوجد مخالفة أو مبلغ من المال تدفعه مقابل هذه المخالفة ، فهذه اللوحة هي أمر تكليفي ، أما إذا وجدت مكعبات إسمنتية ارتفاعها متر وبعرض الطريق هذا الأمر تكويني ، ممنوع أن تمر ولن تستطيع أن تمر ، أما هنا ينبغي أن لا تمر .

يوجد عندنا أمر تكويني وأمر تكليفي ، فكلمة الطيبون للطيبات هل هي أمر تكويني أم تكليفي ؟ هي أمر تكليفي ، يعني ينبغي أن يكون الطيبون للطيبات ، يعني يا عبادي احرصوا على أن يكون الطيبون للطيبات ، لو زوجنا فتاة طيبة طاهرة عفيفة لزوج غني ساقط متفلت ، نكون خالفنا هذه الآية ، فالزواج لا يتم ولا ينجح إلا إذا طبقنا هذه الآية ، إذا لا يوجد نصيب ، يوجد تكليف ولك أن تبحث عن ابنتك عن زوج صالح .

((الزواج رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته))

لكن بعد أن يتم الزواج ولأنه لا يقع شيء في ملك الله إلا بأمر الله ، عندئذ أراده الله ، وبعد أن وقع أراده ، لكن قبل أن يقع ، لا يرتكب الأب حماقة ويلقي بابنته مع أول خاطب ويسيء لها إساءة بالغة ويقول هذا ترتيب سيدك ، لا بل هذا تقصير منك وعدم استقصاء المعلومات الصحيحة ، الزواج قبل أن يقع ليس نصيباً بل هو اختيار وأنت مكلف أن تبحث للفتاة الصالحة عن زوج صالح ، ومكلف أيضاً أن تبحث للزوج الصالح عن الفتاة صالحة .

س : الطلاق هل هو من الحلول الشرعية ؟

ج : هل تعرفون طنجرة الضغط ، هذه الطنجرة لها صمام أمان قطعة بلاستيكية إذا الضغط صعد إلى درجة وقد تنفجر لها صمام يسيخ الصمام ويخرج البخار ، الطلاق صمام أمان وهو أبغض الحلال إلى الله ، والمرأة لا تطلق إلا من ريبة ، وتزوجوا ولا تطلقوا ، كيف ينهى النبي عن الطلاق والله جل جلاله يقول :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾

[سورة البقرة الآية : ٢٣١]

يعني تزوج امرأة لا تحتاج أن تطلقها ، ابحث بحث هادئ ، وأجري دراسة طويلة ، ابحث عن أصل الأسرة وعن بنيتها الثقافية ، وعن دينها وعن علمها ، لابد من بحث متأني وإلا يوجد مشكلة طويلة ، والشيء المعروف أن الإنسان إذا تزوج وأنجب يجب أن يضع حظوظه تحت قدمه مراعاة لأولاده ، أما إذا كانت الدراسة غير جيدة المشكلة كبيرة جداً ليس الأمر أنك اشتريت سيارة وبعتها ، لا صار هناك علاقات حميمة ، صار هناك ولد ، هذا أبوه وهذه أمه ، الطلاق أبغض الحلال إلى الله ويهتز منه عرش الرحمن ، هو حل عند الضرورة القصوى وإذا كان سوف يصبح انفجار وهذه الطنجرة سوف تقتل خمس أشخاص لا نعمل لها صمام أمان وتسيخ .

فإذا أصبح اللقاء مستحيلاً والوضع متفجر ويؤدي إلى انهيار ، الطلاق أولى ولكن هذه الحالات نادرة وليست شائعة .

س : الآية الكريمة قال تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً ﴾

[سورة النساء الآية : ٣٤]

فهل هذه يبرر بأن تكون القوامة للمرأة عندما تكون هي التي تنفق من مالها وعلى زوجها وبيتها؟

ج : لا ، هذا ليس قيداً ، سوف أوضحها بمثل آخر قال تعالى :

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة النور الآية : ٣٣]

هل في الأرض كلها واحد مؤمن والخطاب للمؤمنين يكره ابنته على الزنا شيء غير معقول وغير مقبول ، ما معنى الآية ؟ قال المفسرون : كلما جاء زوج يعجبك وطلبت شروط تعجيزية ، يكون أحدهم عمره خمسة وخمسين عام ويملك بيت وسيارة وتجارة رائجة ودخل كبير وأذواقه عالية جداً ، يريد صهر عمره خمس وعشرون عام بنفس مستواه ، هذا مستحيل ، كما أن بيت أهل امرأتك زوجوك وأنت لا تملك شيء وقبلوا بك ، أنت أيضاً أقبل غيرك ، يوجد آباء يريدون صهراً يفتخروا به ، ويريد صهر ... وكل من يرفض الصهر الشاب الطاهر المؤمن لأسباب غير دينية وأخلاقية قال هذا كأنه يكره ابنته على البغاء .

لذلك يوجد فتاة والدها رفض لها ثلاثين خاطب ، دعت عليه دعوة يقشعر منها الأبدان ، أنت إذا منعتها من الشاب المؤمن كأنك قويت فيها عنصر الانحراف ، ليس هذا الشاهد ، الآن إن أردنا تحصناً ، هذه الكلمة هل هي قيد احترازي ، يعني إن لم يردن تحصناً لك أن تجبرها على البغاء؟ مستحيل ، قال علماء الأصول : هذا قيد وصفي وليس قيد احترازي ، قال تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

[سورة النساء الآية : ٣٤]

فإذا لم ينفقوا لا يعدوا قوامين ؟ لا قوامون وهذا قيد وصفي وليس قيداً احترازياً والمعنى دقيق جداً ، يعني من شأن القوامة الإنفاق وإذا هو لم ينفق يبقى هو القائم على أمر زوجته ، عملياً إذا كان هي أعقل منه وهي تنفق ضعف مركزه ، أما القرار بيده ولكن هو ليس أهل لهذا القرار عندما قبل أن تنفق عليه ، وهي أقوى منه ديناً وعلماً ، مكانته ضعفت أمام زوجته .

مرة كنت في عمرة فزرنا شخص ، تكلم قصة هو في بيته وجالسة امرأته على كرسي بقدمها نكشته على رأسه وقالت له غير القناة فطلقها .

هناك حالات كثيرة أن الزوج ضعف هو غير متدين وهو شهواني ، فلذلك قضية القوامة بما أنفقوا الرجال قوامون على النساء .

س : أيهما أولى تطليق الناشز الميؤوس من صلاحها بعد استنفاذ أبواب الإصلاح أم الصبر عليها و هل يختلف الحكم إذا رزق منها الولد أم لم يرزق ؟

ج : الحقيقة الصبر أولى ، أما إذا جاء الولد فالصبر صار واجباً مراعاة لحق الولد و عندي ألف قصة إذا حصل طلاق الأطفال يتشردون و آلام لا تحتمل وكل إنسان في قلبه رحمة وشاهد مصير أبنائه بعد الطلاق ، لأن لا شيء يعوض عن الأم .

بعد فترة من الزواج وهذا شيء واقعي ، الزوجة لا تهتم بزينتها إلا للضيوف وقد تهمل زوجها وهذا أحد أسباب الشقاق الزوجي ، والزوجة حينما تعتني بمظهرها تنفذ أمر ربها ، وتزيد زوجها حصانة وغض لبصره ، وجزء من دينها أن تعتني بمظهرها أمام زوجها .

أما قد تهمل مظهرها أمام زوجها وقد تعتني بمظهرها أمام الضيوف وهذا من أسباب الشقاق الزوجي .

س : على من تطلق كلمة الناشز ؟

ج : تطلق على من أبت متابعة زوجها ، متابعته في السكنة .

نعيد الفقرات :

١ ــ أن يكون الله بين الزوجين .

٢ ــ أن يكون الشرع هو المرجع ، فلا غالب ولا مغلوب .

٣ ــ أن لا تخرج من بيت زوجها ، وأن لا يخرجها زوجها .

٤ ــ أن تعتني بمظهرها أمام زوجها .

٥ ــ أن لا تطول فترة الخصام ، أن تكون أقصر فترة ممكنة ، خروج وعودة .

٦ ــ أن يعاملها بالمثل ، وأن يحترم أهلها كما تحترم أهله ، و أن يبقي الكلمات اللطيفة والثناء مستمرة طوال الحياة الزوجية .

٧ ــ عدم الاختلاط وإطلاق البصر .

هذه أبرز الصفات المتعلقة بين الزوجين ، إن شاء الله عز وجل يلهمنا الصواب وصلاح ذات البين .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية – دروس حوارية – الدرس (٠٨-٢٨) : الضوابط التي يجب أن تراعى في الرياضة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٤-٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

حقائق مهمة في ممارسة الرياضة :

أولاً : حكم الرياضة في الإسلام .

الحكم العام هو الجواز لأن الأصل في الأشياء الإباحة ، ولا يحرم شيء إلا بدليل قطعي وثابت، بينما العبادات الأصل فيها الحظر ، ولا تشرع عبادة إلا بالدليل القطعي والثابت ، لأن الرياضة من الأشياء ، إذاً الأصل فيها الإباحة .

أما إذا كانت من أجل تقوية الأبدان ، ومقارعة العدوان فإنها ترتفع من مستوى الإباحة إلى مستوى الاستحباب ، بل والندب ، بشرط أن تكون الممارسة بريئة من كل معصية ، وهادفة إلى ما فيه التدريب على تقوية الأبدان ، وتقوية الأرواح ، وهذا أرجح أقوال أهل العلم في الرياضة .

ثانيًا : ضوابط ممارسة الرياضة :

شيء آخر ، ضوابط ممارسة الرياضة ، إسلامنا إسلام الحياة ، إسلامنا دين الفطرة ، إسلامنا مع الحياة بكل تفاصيلها ، ولكن مع الضوابط ، الفرق بين الإسلام والتفلت فرق الضوابط فقط ، فما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها ، إذاً الضوابط في ممارسة الرياضة هذا الكلام لجميع الشباب وللشابات .

تنوعت الرياضة في عصرنا ، ودخَلها كثير من المخالفات الشرعية ، إما في نظام الرياضة ذاتها، أو في كيفية أدائها ، مما استدعى معرفة الضوابط الشرعية في هذه الممارسة .

الضابط الأول : ألا تلهي الرياضة عن واجب شرعي :

أول ضابط شرعي في الرياضة : ألا تلهي الرياضة عن واجب شرعي ، قال تعالى :

﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

[سورة النور : ٣٧]

أول ضابط شرعي في الرياضة ألا تلهي الرياضة عن واجب شرعي .

طبعاً ألا تلهي الرياضة عن واجب شرعي كإقامتها في أوقات الصلاة ، أو ما يقارب أوقات الصلاة لأن هذا لا يجوز بحال وهو من المنكرات الواجب إنكارها لأن اللهو عن الصلاة معصية كبيرة .

الضابط الثاني : مراعاة المقصد الحسن عند مزاولة الرياضة :

الرياضة إما أن تكون وسيلة لإعداد الإنسان ليكون قوياً ليواجه أعداءه ، وهي أرفع صور الرياضة ، تدخل في وسائل نشر الحق ، أو تكون وسيلة لتقوية الأبدان وتنشيطها ، ولاستجمام المباح ، روحوا قلوبكم ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كلت عميت .

لتعين المسلم على القيام بالواجبات المنوطة به في الحياة فينبغي مراعاة المقصد الحسن عند مزاولة الرياضة ، حتى يؤجر المرء ، فإنه قد تقرر عند الفقهاء ــ رحمهم الله عز وجل ــ أن الأمور بمقاصدها ، استدلالاً بقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث المتواتر الجامع المانع :

((إنما الأعمال بالنيات))

[البخاري عن عمر]

هذه قاعدة عظيمة ، يجب أن ترتبط بأحد أهداف المسلم ، إما من أهدافه الكبرى أن ينتشر الحق، أو أن يعيش حياة ببدن قوي يعينه على طاعة الله ، أو أن يستجم استجماماً بريئاً يعينه على متابعة النشاط الديني ، إما أن تتقوى بها الأبدان على مواجهة الأعداء ارتبطت بالجهاد ، أو أن تتقوى الأبدان كي تتفرغ لعبادة الله والقيام بواجبات الخلق ، أو استجمام مباح يعين على متابعة النشاط .

أيها الإخوة الكرام ، سائر ما يتلهى به البطالون من أنواع اللهو وسائل ضروب اللعب مما لا يستعان به على هدف نبيل مضيعة للوقت ، لأن الوقت أثمن شيء في حياة الإنسان .

أول ضابط : ألا تلهي عن ذكر الله .

والثاني : أن ترتبط بمقاصد يؤمن بها الإنسان ، فقد أصبحت الرياضة من الوسائل التي تحقق بها الأهداف .

الضابط الثالث : وجوب ستر العورات والبعد عن مواطن إثارة الغرائز :

هناك لاعب كرة بمصر من كبار لاعبي الكرة اعتزل اللعب ، وقبع في بيته ، كان هناك مباراة دولية ، المسؤولون في وزارة الشباب يحرصون على النجاح في هذه المباراة حرصاً لا حدود له، فذهب وفد من قِبَل وزير الشباب إلى بيت هذا اللاعب ، وطلب منه أن يعود عن قراره باعتزال اللعب ، وأن يدخل في هذه المباراة ، اشترط أن يرتدي بنطالاً طويلاً ، ولأنهم في أمسّ الحاجة إليه وافقوا له ، فلما وافقوا قلّده رياضون كثر ، والآن يمكن أن يمارس اللاعب لعبة كرة القدم ببنطال طويل يستر عورته .

إذاً : وجوب ستر العورات والبعد عن مواطن إثارة الغرائز ، طبعاً بعض ألعاب الكرة يكثر فيها كشف العورات على وجه مثير للفتنة ، وهذا لا يجوز ، ومن الرياضات ما يمارسه النساء فقط ، ويكشفن فيه المواطن التي نهى الشرع عن كشفها ، سواء كان ذلك الكشف بحضرة رجال أو نساء، كل ذلك محظور شرعاً ، وبعض الرياضات تشتمل على ما يثير الغرائز ، كالاختلاط المحرم ، الذي يمكن أن يحدث في أثناء ممارسة الرياضة ، والنصوص الشرعية تؤكد على خطورة اختلاط الرجال بالنساء ، إذاً : فلا يجوز ممارسة هذه الرياضات المشتملة على هذه المحرمات .

الضابط الرابع : عدم اشتمال الرياضة على خطر محقق أو غالب الظن :

لأن الله عز وجل قال :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

[سورة البقرة : ١٩٥]

وقال أيضاً :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾

[سورة النساء: ٢٩]

وقال عليه الصلاة والسلام :

((لا ضرر ، ولا ضرار))

إذاً : أية رياضة تؤدي إلى إيذاء الطرف الآخر ، أو إلى إيذاء اللاعب نفسه فهذه رياضة محرمة، لأن حياة الإنسان ثمينة جداً ، ولأن الله خلقه لجنة عرضها السماوات والأرض ، ومستحيل أن يزهق روحه لسبب تافه .

فإن كانت الرياضة خطرة ، أو يغلب على الظن أنها خطرة ، سواء أكان هذا الأذى والضرر يلحق باللاعب ، أو يلحقه هو بغيره ، فإنها ممنوعة ، لأن مفهوم الرياضة يقوم على أساس التمرين دون إيذاء أو ضرر .

الضابط الخامس : البعد عن المكاسب المحرمة في الرياضة :

إنّ أكثر أنواع سباقات الخيول فيها قمار ، وفيها مراهنة ، والقمار محرم ، لذلك إذا كانت الرياضة وسيلة للقمار بشكل أو بآخر فإنها محرمة .

الضابط السادس : ألا يترتب على إقامة المسابقات الرياضية موالاة أو معاداة :

ألا يترتب على إقامة المسابقات الرياضية موالاة أو معاداة بسبب تلك المسابقة ، المؤمن يوالي عادة المؤمنين ، ولا يوالي أهل الشرك والكفر ، أما حينما ينتقل ولاءه من ولاء للدين إلى ولاء لفريق معين ، وحينما ينتقل براءه من براء من كافر أو مشرك إلى براء من لاعب كرة فكأن هذه الرياضة أصبحت ديناً جديداً .

ذكرت لكم مرة أني كنت في طريقي من مكة المكرمة إلى جدة بسيارة عامة ، ورأيت السائق يكاد يخرج من جلده ، ويتأثر تأثراً لا حدود له ، ويعلو صوته ، لأن الفريق الذي يواليه خسر المباراة ، بدل أن تغضب لله ، بدل أن تغضب إذا انتهكت حرمات الله ، تغضب فقط إذا لم يستطع الفريق الذي تواليه أن يربح المباراة ، قلت لكم : لا يجوز بحال من الأحوال أن تكون الرياضة ديناً ، الرياضة وسيلة لتقوية الأجساد .

الآن مع الأسف الشديد جداً أن نساءنا الطاهرات المحجبات لا يعتنين بصحتهن ، ولا يمارسن الرياضة ، فتجد المرأة في سن مبكرة تترهل ، ويضعف قلبها ، وتضعف مفاصلها ، هناك أمراض كثيرة تتأتى للمرأة ، مع أنها طاهرة ومؤمنة ومحجبة ، لكن ضعف وعيها الصحي ، وضعف ممارستها للرياضة يسبِّب لها ذلك .

ما حكم ممارسة المرأة للرياضة ؟

ما حكم ممارسة المرأة للرياضة ؟ الأصل عموم الأحكام الشرعية للرجال والنساء ، إذا قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾

[سورة النساء: ١٣٥]

يعني يا أيتها المؤمنة كوني قوامة لله ، كما أن الرجل مأمور أن يكون منصفاً المرأة كذلك هي مأمورة أن تكون منصفة ، إذاً : الأصل في الدين أن الأحكام الشرعية تشمل الرجال والنساء ، وقبل قليل قلنا : الأصل في الرياضة الجواز .

الأدلة على جواز ممارسة المرأة للرياضة :

أما ما الدليل على أن المرأة يجوز لها أن تمارس الرياضة : السيدة عائشة رضي الله عنها كانت مع النبي عليه الصلاة والسلام في سفر قالت فسابقته فسبقته فلما حملت اللحم ازداد وزنها سابقته فسبقني فقال

((يا عائشة هذه بتلك))

[أبو داود عن عائشة]

تعادل .

طبعاً النبي مشرع ، سمح لها أن تسابقه ، والسباق من الرياضة ، والحديث صحيح ، لكن بعضهم يقول : إنه مكّنها أن تسبقه تطيباً لقلبها ، وهذا يدل أيضاً على كرم رسول الله ، وعلى حسن معاشرته مع الأهل ، وتطييب قلوبهم ، وكان زوجاً ناجحاً .

فالمرأة أيضاً بحاجة ماسة إلى الرياضة في تنشيط جسمها ، فإن للرياضة أثراً في نشاط البدن وحيويته ، إلا أن المرأة لأنها محببة إلى الرجل ، وما ترك النبي عليه الصلاة والسلام من بعده فتنة أشد من النساء ، لذلك لا بد من بعض التنبيهات :

تنبيهات مهمة في ممارسة المرأة للرياضة :

١ – عبادة المرأة الكبيرة : إعفاف الشباب :

كيف أن الرجل له عبادة يفخر بها ألا وهي الجهاد ، وله عبادة يفخر بها ألا هي حضور الجمع والجماعات ، والمرأة لها عبادة ينبغي أن تتيه بها ، وهي إعفاف الشباب ، حجاب المرأة إعفاف للشباب ، وستر مفاتن المرأة عن الشباب إعفاف له ، وهذه عبادة منوطة بالمرأة ، لذلك كل سنتمتر من ثياب المرأة متعلق بدينها ، وكل نوع قماش من القماش الذي ترتديه المرأة متعلق بدينها ، كل سنتمتر ، وكل نوع ، فلذلك ضوابط المرأة في الرياضة أشد من ضوابط الرجل .

٢ – وجوبُ ابتعاد المرأة عن الرجال في ممارسة الرياضة :

لا بد من البعد عن الرجال في ممارسة الرياضة ، ولا بد من البعد عن مواطن الفتنة ، فإن الفتنة بالنساء عظيمة ، كما صح عن النبي عليه الصلاة والسلام :

((ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء))

[الترمذي وابن ماجه عن أسامة]

لكن يجوز بلا قيد ولا شرط أن تمارس المرأة الرياضة في بيتها ، وثمة بيوت كثيرة فيها يضع الزوج عمودًا في الممر ، هذا العمود له تمرينات لا تعد ولا تحصى ، والإنسان ميسور الحال يضع شريطًا متحركًا ، وهناك بعض الأجهزة ، وبعض الراصورات يمكن أن تمارس المرأة بها الرياضة في البيت .

٣ – ممارسة المرأة الرياضة التي تليق بها :

لكن لا بد أن تمارس المرأةُ الرياضة التي تلحق بها ، فلو فرضنا أنها تمارس رياضة رفع الأثقال ، بعد حين تصبح رجلاً ، لأن طبيعة هذه التدريبات تظهر العضلات ، الله عز وجل جعلها في الأصل انسيابية الخطوط ، أما الرياضي الذي يزهو بعضلاته ، كل عضلة تعد على حدة ، فإذا مارست المرأة رياضة لا تليق بأنوثتها تشبهت بالرجال .

٤ – ستر المرأة والابتعاد عن الاحتكاك بالرجال :

أما أن تمارس المرأة الرياضة خارج بيتها فهذا ممكن ، ولكن مع الحرص الشديد على ستر المرأة أحياناً وأن تبتعد عن الاحتكاك بالرجال ، لو فرضنا أن ناديًا ما فيه إلا نساء فقط ، ممكن ، وبالتالي فقد حبب لها الشرع البقاء في بيتها ، وإن خرجت فينبغي أن تخرج وهي محتشمة ، وغير مبدية للزينة الظاهرة ، وغير متطيبة ، مع عدم الضرب بالأرجل ليعلم ما تخفي من زينتها، وهكذا ربَّانا القرآن الكريم ، كل ذلك من أجل صيانتها عن أن تنتهبها الأعين الزائغة ، قال تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٣]

وقد قال عليه الصلاة والسلام ، وهذا حديث متوازن :

((لا تمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خير لهن))

[أبو داود عن ابن عمر]

إذا كان الزوج عالمًا ، ولديه مكتبة ، وأشرطة ، وكل شيء في البيت ، وإذا كان الدرس في الجامع ، والطريق سالك ، والمرأة محشومة ، ومحجبة فلا مانع في ذهابها ، الأصل ألا يفتن بها أحد ، وألا تفتن أحداً ، وألا تتكشف مفاتنها لغير من يحل لها أن يرى مفاتنها ، فإن أصرت أن تمارس المرأة الرياضة خارج البيت فلا بد أن يكون المكان الذي تمارس فيه المرأة الرياضة خالياً من الرجال ، ومستوراً عن الأعين ، وأن يتأكد أن هذا المكان ليس فيه آلات تصوير خفية .

٥ – احذروا الأعين الخفية (آلات التصوير) !!!

أيها الإخوة الكرام ، هناك حقائق قد لا تصدق ، في بعض غرف القياس في المحلات كاميرات تصوير ، فإذا تعرت المرأة في هذه الغرفة التي تتوهم أنها مستورة فقد تلتقط لها صورة ، و هي شبه عارية ، و قد تبتز بهذه الصورة ، وقد ترسل هذه الصور إلى بلاد قصية .

هناك قصص لا تعد ولا تحصى أَتَرّفع عن ذكرها في هذا المكان الطاهر ، فأنْ تضع المرأة ثيابها في غير بيت زوجها هناك مشكلة ، يمكن أن تضع ثيابها عند أمها ، أو عند أمهاتها ، لكن ما معنى أمهاتها ؟

هناك بيت يشبه بيت أمها ، هو بيت أختها ، صاحبة البيت حريصة على صيانتها وعفافها حرصاً لا حدود له ، بيت عمتها ، هناك بيوت أمهاتها يمكن أن تضع المرأة ثيابها في بيت

زوجها ، أو في بيوت أمهاتها ، أمّا أن تخلع المرأة ثيابها ، وهي ليست متأكدة من خلو المكان من عين خفية ، ومن آلة تصوير خفية فهذه مشكلة كبيرة .

حدثني أخ قال : أقيم عرس في فندق من فئة الخمس نجوم ، التأكيدات أن هذا المكان مستور ، ولن يدخله أحد من الرجال ، وكل من يقوم على خدمة هذا الحفل من النساء ، هذا كلام طيب ، ثم فوجئ بعض أقرباء أصحاب الحفل أنه في مكان آخر الحفل كله مراقب تلفزيونياً ، وأن شاشة كبيرة تظهر عليها كل هؤلاء النساء المتبرجات شبه العرايا ، وأن شباباً خمسة يمتعون أعينهم بمنظر هؤلاء النساء المتكشفات ، سبحان الله !! كلما تقدم الوقت تعرف خطورة قول النبي عليه الصلاة والسلام :

((إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون))

٦ – قيام النساء الموثوقات بمراقبة الأماكن المخصصة لرياضة المرأة :

وعدم كشف ما لا يحل كشفه من العورات ، وألا تظهر المرأة مواضع الفتنة منها ، وألا يكون هناك خلوة في هذا المكان ، وألا تمارس رياضة تتناقض مع طبيعة جسمها كأنثى ، وأن يقوم على هذه الأماكن الرياضية نساء مؤمنات ثقات حازمات دقيقات ذكيات حتى ينتبهوا إلى أي مخالفة .

الموازنة بين التحسينات والضروريات والحاجات :

بالمناسبة ، نحن عندنا في الفقه تحسينات وحاجات وضرورات ، دائماً نضحي بالأقل من أجل الأكثر ، أقلّ شيء تحسينات ، أعلى منه الحاجات ، أعلى منه الضرورات ، فإذا كانت الرياضة تحسيناً لصحة المرأة فسترها حاجة ، نضحي بالتحسين من أجل الحاجة بالضبط .

مثلاً : حينما ترى تفاحة في نجاسة ، مع أنها تفاحة هي للأكل ، لكن المكان الذي فيه التفاحة منعك من أن تأكلها ، فأنا أحياناً أضحي بالتحسين من أجل الحاجة ، وأضحي بالحاجة من أجل الفرض .

حفظ الأعراض مقصد ضروري ، والرياضة لا تخرج عن مقصد تحسيني ، فإذا تعارضت الرياضة مع الضرورة نضحي بالرياضة من أجل الضرورة ، والمؤمن معه منهج دقيق جداً .

أيها الأخوة الكرام ، بهذا أنهينا موضوع الرياضة الذي بقينا فيه عدة دروس ، وانتهى بهذه الضوابط التي ينبغي أن تراعا في ممارسة الرياضة ، والضوابط واضحة جداً ، ومشتقة من أقول النبي عليه الصلاة والسلام ، ومن الآيات ومن مقاصد الشريعة .

والحمد لله رب العالمين

الباب الحادي عشر : أخطاء تقع بها النساء

٠١ – أخطاء تقع بها أكثر النساء١

٠٢ - أخطاء تقع بها أكثر النساء٢

٠٣ - أخطاء تقع بها أكثر النساء ٣

موضوعات إسلامية – موضوعات متفرقة – المحاضرة ٠٣١: أخطاء تقع بها أكثر النساء١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-٠٤-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أخطاء تقع بها أكثر النساء :

١ ـ الذهاب إلى السحرة و المشعوذين :

أيها الأخوة الكرام، الدرس اليوم مُوَجَّهٌ إلى نصف المجتمع الآخر؛ إلى المرأة، فالذي يُعلّم امرأةً يعلّم أُسرةً.

الأم مدرسةٌ إذا أعددْتها أعددْت شعبًا طيّب الأعراق

***



والمقولة أنّه من علّم شابًّا علّم شخصاً واحدًا، ولكن من علّم فتاةً علّم أُسرةً، هناك مخالفات كثيرة جدًّا يقع بها النساء المسلمات، عن جهلٍ أو عن تقصير مِن قِبلِهنّ، أو من قبل أزواجهنّ، وهذه المخالفات مبوّبة ومرتّبة بحسب فروع الدِّين الكبرى، وهذا الذي سأتحدث عنه، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال: قلت لأبي أسامة: حدثكم عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرمٍ به" فما من بنْد إلا وعندي مئات بل بضع مئات من الشواهد على أنّ النّسوة اللواتي يسلكن هذا الطريق، يسْلكْنَ طريقًا مسدودًا، فمثلاً نساءٌ مسلمات، زوجات لِمسلمين يرتادون المساجد، ويطلبون العلم، قد يذهبن إلى السَّحرة والمشعوِذين والكهنة !! وكلّ هؤلاء يرتدون مسوح رجال الدّين، و يدعّي أنّه شيخ يفكّ السِّحْر،

ويقرّب بينها وبين زوجها، ويجلب السعادة لها، هناك من الدجاجلة والمشعْوذين ما لا سبيل إلى حصْره، اكتُشفت امرأة تذهب إليها الفتاة تعِدُها بزوج مقابل ثلاثمئة ألف، عندها مجموعة شبّان ترسل أحد هؤلاء الشبان فيخطبُ هذه الفتاة، أوّلاً ترسله و يخطب، فمعناه أن كلامها صحيح، والمبلغ أخذتهُ وفْق وَعْدٍ صحيح، ثمّ يختلق الشابّ مشكلةً وتُفسخ هذه الخطبة، وتعود الأمور إلى مجاريها، فلابدّ من الوعي، هناك آلاف المشعوذين والدجاجلة، وكلّهم يرتدون مسوح رجال الدّين، فالقرآن الكريم واضح، قال تعالى:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾

[سورة الفلق : ١-٢]

فالله عز وجل أمرنا أن نستعيذ به، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الأعراف : ٢٠١]


قراءة المعوذات وصفة ربانية من خالق الكون

إذًا اذكر الله عز وجل، فذكرهُ يُذهب عنّا الشيطان و شرّه، فالاستعاذة بالله وذِكْر الله عز وجل وسيلتان قرآنيّتان من عند خالق الكون، وربّنا عز وجل وصف الشيطان بأنّه وسواس خنّاس، لمُجرّد أن تستعيذ بالله عز وجل يخنُس وينتهي، أما حينما يلجأ الناس، ولا سيما النِّسْوة إلى دجاجلةٍ فهذا يعني التماس الخير و الفلاح عند غير الله، والله هناك قصص يندى لها الجبين، هناك حالات من الزنا تتِمّ في مثل هذه الأماكن، وهذه الحالات يندى لها الجبين، وأنا لا أتكلّم من فراغ، ولكن من واقع، فأحد الأشخاص الذين أثقُ بهم حدّثني عن قريبه، يرتدي مسوح رجال الدِّين، ويحلّ مشكلات الزوجات، وهو لا يصلّي! ويرتكب الزنا بعشرات النساء من الجاهلات اللواتي يذهبْن إلى هذا الشيخ الكذاب ليفُكّ السِّحر عن ابنتها مثلاً، فحين وقع خلاف بين البنت و بين زوجها، فالحلّ أن تذهب أُمّها إلى ساحر، أو إلى رجلٌ يدعي أنّه رجل دين!

نحن المسلمون ديننا دين علمٍ، ودين أدلّة، قال عليه الصلاة والسلام:

((تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك))

[الذهبي عن العرباض بن سارية]



يجبُ أن تعلموا علم اليقين أنّ النبي عليه الصلاة والسلام لا يؤخّر البيان عن وقته، لو أنّ هناك طريقة لفكّ السِّحْر، وللتأليف بين الزوجين غير هذه الآيات وتلك الأحاديث لذكرها النبي عليه الصلاة والسلام، أما هذا الابتداع في حلّ مشكلات الناس الاجتماعيّة والأُسريّة البعيد عن الله عز وجل فهو دَجَلٌ في دَجَل.

حدّثني أخٌ كريم، قال لي: أعرف امرأة في سنّ متقدمة، تستخدمُ أساليب الخداع والاحتيال من أجل حلّ مشكلات الزوجات، وهذه المرأة ذكيّة جدًّا فتأخذ مبلغاً ضَخماً بنِيّة التوفيق بينها وبين زوجها، تأمرها أن تكون نظيفةً، وأن تعتني بأولادها، وأن تتزيّن لزوجها ! فعلاً تُحَلّ المشكلة بهذا الشكل، فبماذا أمرتها؟ بما يحبّه الزوج، أمرتها بأشياء أمر بها النبي عليه الصلاة والسلام، لكنّها ابْتَزّتْ مالها وأوْهمتها أنّها عن طريق السّحر والجنّ تمكنت من تحقيق الوفاق بينها و بين زوجها، و لو أنّ كلّ امرأة طبّقَت منهج رسول الله وطبّقت السنّة، لأحبّها زوجها، ولأحبّها ربّها، ولألقى حبّها في قلب زوجها، إذًا أوّل مشكلة تقع بها نساء المسلمين، وزوجات المسلمين الذين يرتادون المساجد، أن يذهبن إلى السّحرة والمشعوذِين والكهنة، أنا رأيتُ في مصر العجب العجاب، رأيتُ في معظم مساجدها أولياء مدفونين، والناس يطوفون حولهم كأن قبر أحدهم مقام النبي عليه الصلاة والسلام، ويسألونهم الأولاد والرّزْق، وهذا شركٌ بِعَينه، لا يُسأل إلا الله عز وجل، دقِّقوا أيّها الأخوة، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً ﴾

[سورة الجن : ٢١]



والأبلغ من ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الأعراف : ٢٠١]

قال تعالى:

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾

[سورة الأعراف : ١٨٨]

هذا كلام ربّنا، فسيّد الخلق، وحبيب الحقّ لا يعلم الغيب، ولو أنّه كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير، لا يملك لأمته نفعًا ولا ضرًّا، ولا يملك لنفسه نفعاً و لا ضراً فلأن لا يملك لغيره من باب أولى، أحيانًا يأتيني أخ ويقول لي: أريد عملاً لابني، أقول له: و أنا لم أجد عملاً لابني، فما دمت أضعُفُ عن إيجاد العمل لابني فمن باب أولى أنني لا أستطيع أن أجده لابنك، فهذا منطق سليم.

أدلة تحريم الذهاب إلى السحرة و المشعوذين :

و الآن هاكم الأدلّة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً))

[مسلم عَنْ حفصه رضي الله عنها]

عن أبي هريرة والحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم))

[أحمد والبيهقي والحاكم عَنْ أبي هريرة]

فهذه أكبر مخالفة تقع بها الأخوات المسلمات في شأن حلّ مشكلاتهنّ الزوجيّة، زوجها لا يحبّها، لتقصيرها، أو لأنها تُطيعه في معصية الله عز وجل، والله عز وجل يقول:



﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آَمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة التحريم : ١١]

لحكمةٍ بالغةٍ بالغة شاء لها الله أن تكون صدّيقة النّساء، زوجة أكبر طاغيَةٍ كافر في الأرض، الذي قال: أنا ربّكم الأعلى! وبكلّ جبروته وقوّته لم يستطع أن يحمِل زوجته على الإيمان به، فالمرأة مستقلّة في دينها عن زوجها، ولن يُعفيَها ربّها إذا قالَت: كذا يريد زوجي، لا ! لا طاعة لمخلوق في معصيَة الخالق، هذا منهج الله عز وجل، إذا لم يكن هناك وئام كانت هناك معصية بالبيت، وأشياء لا ترضي الله عز وجل، و إصرار على معصية، وطبعًا من أرضى الناس بسخط الله سخط عليه الله وأسخط عليه الناس، فالمرأة التي ترضي زوجها بسخط الله عز وجل يسخط عليها ربّنا جلّ جلاله، ويُسخِطُ عليها زوجها.

٢ ــ شدّ الشعر ولطم الوجه وتمزّيق الجيب والصراخ بالويل :



و الآن هذه مخالفة ثانية صارخة: عيبٌ ومخالفة خطيرة جدًا حينما تحزن المرأة، وتنوح، وتضرب وجهها، وتشق جيبها، روينا في صحيحي البخاري ومسلم عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم:

((لَيْسَ مِنّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقّ الجُيُوبَ، وَدَعا بِدَعْوَى الجاهِلِيِّةِ" وفي رواية لمسلم "أوْ دَعا أوْ شَقّ))

[متفق عليه عن عبد الله بن مسعود]

والله هناك نساء يخرجن وراء الجنازة بقميص النوم إلى الطريق، يلطمْنَ وُجوههنّ نياحةً على أزواجهنّ، هؤلاء النّسوة لا يعرفن الله أبدًا، المؤمن الصادق يرضى بقضاء الله وقدره، فأيّما امرأة ضربَت وجهها، وشقّتْ جيبْها، وصرخَت بِوَيلها، على أقرب الناس إليها، فقد قامتْ بِعَمل جاهليّ لا يرضي الله عز وجل، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم:

((لَيْسَ مِنّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقّ الجُيُوبَ، وَدَعا بِدَعْوَى الجاهِلِيّةِ" وفي رواية لمسلم "أوْ دَعا أوْ شَقّ))

[متفق عليه عن عبد الله بن مسعود]

والله أعرف رجلاً من علماء دمشق، له ابن أخذ دكتوراه في الطبّ، واختصّ في أمراض القلب، ودخل كليّة الشريعة، وصار في الصفّ الثالث، وحفظ كتاب الله تعالى، و أنهى خدمته الإلزاميّة، وخطب فتاةً مؤمنةً، وعُقِد العقد ثمّ توفّي بِحَادث، ذهبتُ لِتَعزية والده العالم الجليل، والله رأيتُ من والده العجب العُجاب، رأيت تماسكًا ورضاً بقضاء الله وقدره، فهذا هو المؤمن، هناك مصائب كبيرة جدًّا، ومع ذلك فالمؤمن يقبلها من الله عز وجل.

ذات مرّةٍ أحد الأخوة الكرام وَلَدَت زوجتهُ بطريقةٍ استثنائيّة ؛ سحب الولد من بطنها بوساطة آلة، فهذه الآلة أثّرَتْ في دماغ المولود، فصار يضطرب كلّ دقيقة اضطرابًا شديدًا، فأوّل طبيب راجعوه قال: هذا الطّفل مصيره أنّه سيكون أعمى أو مشلولاً أو معتوهاً، الطبيب الثاني قال الكلام نفسه، وكذا الطبيب الثالث، فدخل اليأسُ إلى نفس والده، قلتُ له مرّةً: هذا الإله العظيم الذي تحبّه، و الذي تعبده، و الذي وهبتهُ كلّ ما تملك عندما تقرأ في صلاتك كل يوم مرات و مرات، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ ﴾

[سورة الأنعام : ١٦٢]

هذا هو قراره، فينبغي أن ترضى بقراره و تفوض أمر الطفل إليه، وربّنا عز وجل بعد حين شفى هذا الابن وهو في آخر سنة في الجامعة ومتفوّق، مع أنّ ثلاثة أطبّاء من كبار أطباء دمشق أجمعوا على أنّ هذا الابن ينتهي إلى العمى أو الشلل أو العته، فالذي عند الله غير الذي عند العبد، يجبُ أن ترضى بقضاء الله وقدره، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم:

((لَيْسَ مِنّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقّ الجُيُوبَ، وَدَعا بِدَعْوَى الجاهِلِيّةِ" وفي رواية لمسلم "أوْ دَعا أوْ شَقّ))

[متفق عليه عن عبد الله بن مسعود]

و إليكم الحديث الذي رواه الإمام مسلم، فعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم:

((النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جَرَب))

[مُسْلِمٌ عن أبي مالك الأشعري]

هذه الصارخةُ النائحةُ، وهذه التي تشدّ شعرها، وتلطم وجهها، وتمزّق جيبها، وتصرخ بِوَيلها، هذه لَيْسَت مؤمنةً بالله أبدًا.

المؤمن راض بقضاء الله و قدره :

يروي التاريخ عن صحابيّة جليلة مات طفلها، وكان زوجها أثناء النهار يعمل في بستانه فلمّا رجع مساء سألها عن ابنها قالت: هو في أهدأ حال، وهيِّأتْ له الطعام و تناول عشاءه، وتزيّنَتْ له وقضى حاجته منها، وفي الصباح قالتْ له: لو أنّ الجيران أعارونا عارية ثمّ استردّوها أتغضَب؟ قال: لا. فقالت: هكذا فعل ربّنا بطفلنا ؟ فذهب إلى النبي وأعلمه، فقال: بارك الله لكما في ليلتكما، ورُزق نتيجة هذه الليلة غلامًا أنجب عشرة حفاظ للقرآن الكريم.
هكذا المؤمن يرضى بقضاء الله وقدره.

٣ ـ الدعاء على النفس بالموت :

هناك نساء يجزعن لِضُرّ نزلَ بهنّ فتدعو هذه المرأة على نفسها بالموت، والنبي عليه الصلاة والسلام نهى عن ذلك، فقد ثبت في الصحيح عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بد متمنياً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي))

[مُسْلِمٌ عن أنس]

هناك من يقول: آمين إذا قالت زوجته قصف الله عمري! فلا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم، هذا أيضاً من مخالفات النساء، تجدها لو تعطّلتْ الغسالة تدعو على نفسها بالموت.

٤ ـ الاعتماد على الخادمة في تربية الأولاد :


من الخطأ الاعتماد على الخادمات في تربية الأولاد

ومن المخالفات في العقيدة، طبعًا هذه لَيْسَت في بلادنا، وإنما في بلاد أخرى فكثير من الناس يعتمدون على الخادمة في تربية الأولاد، وهذا خطرٌ كبير، خادمةٌ لَيْسَت مسلمة هي التي تربّي الأولاد، تربّيهم على عقيدة فاسدة وعلى سُلوك فاسد وهنّ يترفّعن عن تربية

أولادهنّ، هذه أيضًا مخالفة كبيرة، لا شيء يعوّض الطفل عن أُمّه.

سوف أضرب مثلاً لا أدري مدى تقبّلكم له، لو أنّ امرأة قامَت الليل، وصلّت وتهجّدَتْ، وبكتْ في الصلاة، وصلّتْ صلوات كثيرة، إلى أن تعِبَتْ، في الساعة السادسة أصابها النعاس، فأوَتْ إلى الفراش، وأمرتْ أولادها بالذهاب إلى المدرسة، أحد أولادها في ثيابه خلل، والثاني وضع السندويشة بين كتبه فأفسدت كتبه، والثالث حذاؤه يحتاج إلى تصليح، هؤلاء الثلاثة لما ذهبوا إلى المدرسة وُبِّخوا! لماذا؟ لأنّ الأم كانتْ نائمة، من أجل صلاتها بالليل!!


لابد للمرأة أن تكون حريصة على صلاة أولادها

و لو أنّ أمّاً صلّتْ الفجر في وقته، وهيّأتْ الطعام لأولادها، وراقبتْ أحذيتهم وألبستهم ومحافظهم وأكلهم، لو أنّها فعلتْ هكذا لكانت أقرب إلى الله من الأولى، لأنّها عبدَت ربّها فيما أقامها، أقامها أُمًّا، وأوّل عبادةٍ لهذه الأمّ أن تُحسن رعاية زوجها وأولادها.

أيها الأخوة، هذا التقصير في حقّ الزوج والأولاد تقصيرٌ خطير لأنّ هويّة هذه المرأة أمٌّ وزوجةٌ، فإذا قصّرتْ فيما أقامها الله به فقد وقعتْ في مخالفة كبيرة.

وأكثر النساء تهتمّ إحداهن بكتابة وظائف أولادها، ولا تهتمّ بأداء صلواتهم، يهمّها الوظائف فتحثهم عليها، و ما شأن الصلوات؟ سيّدنا عمر رضي الله عنه حينما طُعِن وغاب عن الوعي ثمّ أفاق ماذا قال؟ قال: هل صلّى المسلمون الفجر؟ إذاً الدين أولاً.

يدخل الأب إلى البيت مساءً، يسأل زوجته هل تناول الأولاد الطعام؟ هل كتبوا الوظائف؟ ولا يسألها إطلاقًا عن صلاتهم، فهو لا يسأل عن الصلاة، ولكن عن كتابة الوظائف وتناول الطعام، فلذلك عدم العناية بالأولاد والزوج، وإهمال عبادات الأولاد انحرافٌ خطير في تربية الأمّ لأولادها.

٥ ــ تأخير الصلاة عن وقتها :

وتأخير الصلوات عن وقتها هو مما تقع به معظم النساء المسلمات، وهذا أمر خطير حقاً.

٦ ـ ارتداء الملابس الضيقة و المكشوفة أمام المحارم :

طبعًا فيما يتعلّق باللّباس، فكلّكم يعلم أنّ الثوب المحرّم هو الذي يشفّ ويصف أعضاء الجسد و لون البشرة، أو يصف حجم العورة، فأيّ ثوبٍ يكشف أو يحجّم فهذا ثوبٌ محرّمٌ أن ترتديه المرأة إلا لزوجها، لأننا نحن نتوهّم أنّ الأخ يجوز، ولكن الشرع يمنع حتى الأخ أن يرى أخته في ثيابٍ متبذّلة، فثياب الخدمة المنزلية لما تحت الركبة، و أن يستر الصدر، وإلى المرفقين، هذا مما يمكن أن يرى الأخ أخته به، أما أكثر من ذلك فلا يحقّ للأخ أن يرى صدرها أو ذراعها بأكمله، أو ما فوق ركبتها، فهذا كلّه محرّم، ولو أنّه أخوها، فنحن نهمل تنبيه المحارم لآداب الإسلام، لك أن تنظر إليهنّ؛ أمّك وأختك وابنتك، ولكن لا ينبغي أن ترى منهنّ ما يقلّ عن ثياب الخدمة، وثياب الخدمة معروفة ؛ الصّدر مستور، والثياب لما تحت الركبة، والكم إلى المرفق، أما أكثر من ذلك فهذا من حقّ الزوج وحده، لا من حقّ الأب والأخ.

٧ ـ الشرب في آنية الذهب و الفضة :


نهى النبي عن الشرب والأكل بآنية الذهب والفضة

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلّم الشرب في آنية الذّهب والفضّة والأكل في صحافهما فإنّهما للكفرة في الدنيا، ولكم في الآخرة إن شاء الله، العلماء أجازوا الآنية المفضّضة أي المطليّة بالفضّة، أما إن كانت من الفضّة الخالصة فهناك تحريم؛ لأنّ الفضة والذّهب عملةٌ ونقدٌ، فإذا استخدما في الصّناعة فعطلنا هذين المعدنين عن مهمتهما، قال لي مرّة شخصٌ: هناك حنفيّة من الذّهب الخالص في بيت أحد المسلمين يساوي ثمنها ثمن بيت، فإذا الواحد عنده ست حنفيّات، فإنّ هذا ما يعادل ستّة بيوت! لو أسكنتَ شابًّا و عروسه في بيت، واستخدمتَ حنفيّة بيضاء عاديّة كان أولى و أجرك عند الله كبير، فاستخدام آنية الذهب والفضّة منهيّ عنه أيضًا فاحذر.

إنّ هذا الموضوع مهمّ جدًّا و لعل الله ينفع به المسلمين و المسلمات، و يسدد به العمل إلى الصواب، و إن شاء الله نتابع الحديث عنه في درسٍ قادم.

والحمد لله رب العالمين

موضوعات إسلامية – موضوعات متفرقة – المحاضرة ٠٣٢: أخطاء تقع بها أكثر النساء٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-٠٤-٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تماسك الأسرة أساس في سلامة صحة الأولاد النفسية :


قوة الأمة الإسلامية بالأجيال الصاعدة

أيها الأخوة الكرام: بدأنا في الدرس الماضي في موضوع بعض المخالفات التي يرتكبها النساء والمتعلّقة بشُؤون حياتهنّ، وقد بيّنتُ لكم في الدرس الماضي أنّ للمرأة دورًا خطيرًا في الأسرة، ذلك إذا كانتْ تعرف ربّها ومنهجه، انعكَسَتْ معرفتها والتِزامها على أسرتها، واعلموا أن تربية الأولاد من أخطر ما يترتّب على المسلمين؛ لأنّ قوة الأمّة بهذه الأجيال الصاعدة، فإذا فسدَتْ هلكَتْ الأمّة، وكلّ ما من شأنه تقوية هذه الأجيال الصاعدة هو ذُخْرٌ للأمّة ومستقبلها، والأمَل معقود على المرأة، الزوجة، الأمّ، فالأمّ مدرسةٌ إذا أعددْتها أعددت شعباً طيّب الأعراق، والله أيّها الأخوة ولا أُبالغ إنّ هناك من النساء المؤمنات الصادقات الملتزمات، قلامةُ ظفر إحداهنّ تعدل عند الله مئة ألف رجل، هذا إن كانت هذه المرأة تعرف ربّها، وتؤدّي حقّها تّجاه زوجها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة بعد أن سألته:

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله – يعني الجهاد في سبيل الله – فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشارا))

[ابن عساكر وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]


أعلى شهادة تحملها المرأة هي أولادها

والله الذي لا إله إلا هو لو أنّ امرأةً قالت: أنا أحملُ دكتوراه من أرقى جامعات العالم، وأحمل البورد من أمريكا، وأكريجي من فرنسا، و frs من إنجلترا، وكانتْ مهملةً لزوجها

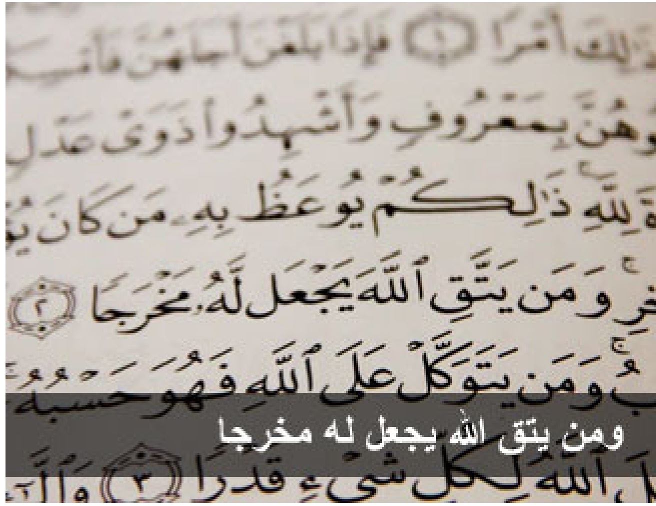
وأولادها، فليس لها عند الله شأن لأنّها لمْ تعبد الله فيما أقامها، أقامها أُمًا وزوجةً، عبادتها الأولى أن تعتني بزوجها وأولادها، بل إنّ أعلى شهادةٍ تحملها المرأة أولادها، إذا دفعَتْ للمجتمع أولادًا عقيدتهم سليمة، وأخلاقهم رصينة، و عاداتهم طيّبة، و في قلوبهم شفقةٌ ورحمة، فهذا أعظم عملٍ تفعله المرأة أن تقدّم للمجتمع عناصر طيّبة، ولعلّ أحدكم يتعامل في حياته اليوميّة مع أناسٍ في قلوبهم رحمة، فهذا من أثر تربية أمّهاتهم، وفي قلوبهم عطْف، وعندهم إنصاف، و أثر تربية الأمّ لا حدود له، ولكن ما قولك في طفلٍ وُجد في الحديقة لقيطاً، هذا الطّفل اللّقيط بماذا يشعر؟ بكراهية للمجتمع، وفي قلبه قَسْوةٌ لا حدود لها، ناقمٌ على المجتمع، ما قولك بمجتمعٍ أربعون بالمئة من أولاده لقَطاء؟ في بعض بلاد الغرب أربعون بالمئة من عدد الأطفال لقطاء



هؤلاء حينما يكبرون يتسلّمون مناصب، قلوبهم خالية من الرحمة لأنّهم لمْ يَستقوها من أُمّهاتهم، فالرحمة أيها الأخوة يستقّيها الطّفل الرضيع مع حليب أمّه، أنا لا أقول أسرة غنية، ولكن أُسرة متماسكة، فقد تسكن في غرفة، وقد يأكلون أخشن الطعام، ولكنها أُسرة متماسكة وفيما بين أفرادها حبّ، و الزوج وفيّ، والزوجة مخلصة، والأولاد نشؤوا على محبّة والديهم، بينهم وُدّ وإخلاص، فأوّل ثمرة يقطفها الزوج من وفاقه مع زوجته، وأوّل ثمرة تقطفها الزوجة من وفاقها مع زوجها أولاد أصحّاء نفسيًا.

أخواننا المعلّمون حينما يرَوْن طفلاً شاذًا، لو تتبّعوا حياته الخاصّة لوجدوا أنّ أمه مُطلّقة مثلاً، أو بين أمّه وأبيه خلافات لا تنتهي، فلذلك تماسك الأسرة أساس في سلامة صحة أولادهم النفسية قد تسكن أُسرة في بيت متواضع جدًا، وقد يكون دخلها قليل جدًا، ومع ذلك فهذه الأسرة متماسكة، وهناك حبّ، و كلام السيّد المسيح رائع: " ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان" السعادة لا تأتي من بيت، ولا من دخْل، ولا من جمال، ولا من مكانة، ولكنّها تأتي من اتّصال بالله عز وجل.

آيات القرآن الكريم لها معنى سياقي و سباقي و لحاقي :



نحن عندنا قانون يغفل عنه الناس، ذلك أنّ آيات القرآن الكريم لها معنى سياقي، ومعنى سباقي، ومعنى لِحاقي، أما لو نزعْتَ هذه الآية من مكانها لكان لها معنًى مستقلّ، فهي وحدها منهج، في سورة الطلاق مثلاً قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾

[سورة الطلاق : ٢]

فمعناها السياقي من يتّقِ الله في تطليق زوجته – وفق السنّة طلّقها طلقةً واحدة، في طُهرٍ ما مسّها فيه– يجعل الله له مخرجًا إلى إرجاعها، لو أنّه أخطأ بإمكانه أن يسترجعها بكلمة، حتى لو مضَت عِدّتها ولم يسترجعها بإمكانه أن يُرجعها بِعَقدٍ جديد، أما حينما يطلّق امرأته تطليقاً بدْعِيًّا ثلاث طلقات دفعة واحدة، و لم يتّق الله في تطليق زوجته، فلمّا لم يتّق الله في تطليق زوجته لم يجعل الله له مخرجًا إلى إرجاعها، هذا المعنى السياقي.

أما لو نزعْتَ الآية من مكانها، الآية تصبحُ منهجاً، فمن يتّق الله في كسب ماله يجعل الله له مخرجًا من إتلاف المال، ومن يتّق الله في تربية أولاده يجعل الله له مخرجًا من عقوق الأولاد، من يتق الله في اختيار زوجته يجعل الله له مخرجًا من الشّقاء الزوجي، من يتق الله في بر الوالدين يجعل الله له مخرجًا من عقوق الأولاد، فهذه الآية يُكتب عليها مجلّدات، في سياقها لها معنى، وحينما تنزع من سياقها لها معنى آخر.

حين نخالف منهج الله نصبح أعداء

وقوله تعالى:

﴿فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

[سورة المائدة : ١٤]

هذا الحديث عن أهل الكتاب، أي لم يُطيعوا الله عز وجل، كأنّ هذه الآية تُشير إلى قانون العداوة والبغضاء، متى نتعادى؟ و متى يبغض بعضنا بعضًا؟ متى تنشبُ الخلافات فيما بيـــننا؟ متى نصبح ممزّقين؟ حينما نخالف جميعًا منهج الله تعالى، هذا قانون، وهذا على مستوى زوجين وأخوين، وعلى مستوي شريكين، وعلى مستوى جارين، حينما يقصّر أحدهما في طاعة الله ينشأ بينهما عداوةٌ وبغضاء لا حدود لها، إذا نظرْت إلى مجتمعٍ شاردٍ عن الله عز وجل، شيءٌ عجيب، في الأسرة الواحدة خلافات، في المدينة الواحدة، في البلد الواحد، وفي القرية، الناس ممزّقون، قال تعالى:

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

[سورة الأنفال : ٤٦]

المرأة في عهد النبي كانت في مستوى زوجها :


إذا صلحت المرأة صلحت الأسرة

إذًا أيها الأخوة الكرام: المرأة حينما تصلحُ تصلُح كلّ أسرتها، وأنا من خلال دعوتي المتواضعة إلى الله تعالى عندي عشرات الأخوة الأكارم، بل مئات، سببُ هدايتهم زوجاتُهم، فمن آيات الله الدالة على عظمته هذه الزوجة، قال تعالى:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾

[سورة فصلت : ٣٧]

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة الروم : ٢٢]

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الروم : ٢١]

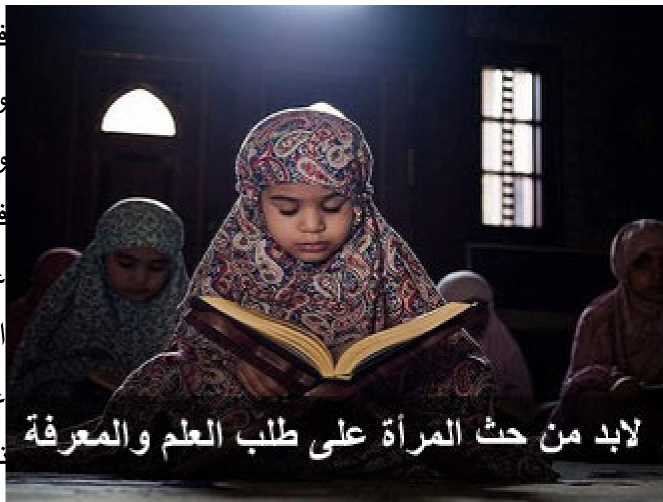
المشكلة أنّ المرأة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام كانت في مستوى زوجها، زوجٌ يريد أن يخرج إلى عمله، تستوقفهُ زوجته وتقول: يا فلان اتّق الله فينا، نصبرُ على الجوع، ولا نصبر على الحرام، نحن بك إن استَقَمْتَ استقَمْنا، وإن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنا، لسان حال المرأة المعاصرة تضغط على زوجها، غيّر الطّقم، وسِّعْ البيت، واشتر لنا كذا وكذا، فالضّغط اليومي لا يُحتمل فإذا بالزوج دون أن يشعر يتجرّأ على أخذ المال الحرام، و يمدّ يده إلى الحرام، ضغطَتْ عليه حتى أوقعته في الحرام، لذلك حينما قال الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾

[سورة التغابن : ١٤]

قال بعض العلماء: هذه عداوَةُ مآل، وليسَت عداوَةَ حال، هو يحبّها وتحبّه ولكن حينما يتردى في النار يوم القيامة يرى أنّ سبب تردّيه في النار زوجته، عندئذ يراها عدوّةً له، عداوة مآل، هي زوجته وهو يحبّها، ولكن حينما ضغطَتْ عليه حتى حملَتْهُ على معصيَةٍ رأى أن سبب هلاكه زوجته.

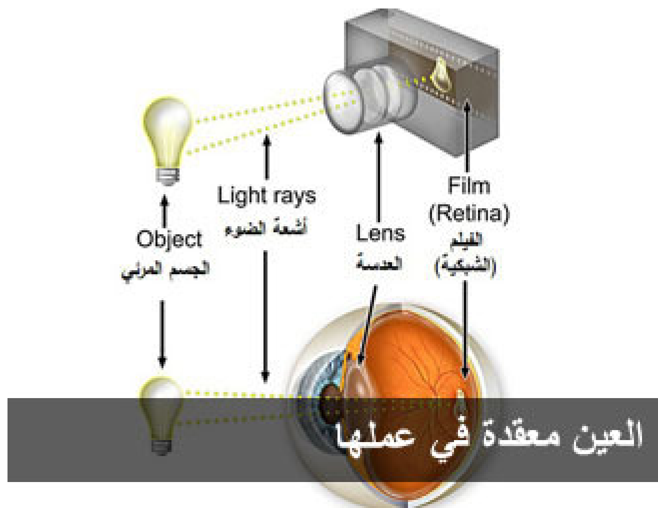
تعليم المرأة وحثّها على طلب العلم ومعرفة الله شيء أساسيّ في حياة المسلمين :



فيا أيها الأخوة: قضيّة تعليم المرأة وتفقيهها، وحثّها على طلب العلم، ومعرفة الله عز وجل شيء أساسيّ جدًا في حياة المسلمين، مرّةً قلتُ لشاب على وشك الزواج، و قد قال لي: انْصحني؟ فقلتُ له: والله النصيحة ثمنها غالٍ جدًا، وتحتاج إلى جهد كبير، قال نعطيك، فقلتُ له: لن تسْعَدَ بِزَوجتك –

تفاجأ – إلا إذا عرّفتها بالله تعالى، وعرّفتها بمنهج الله، وعرّفتها بحقّ الزوج، وسعدتْ بمعرفة الله تعالى، واتّصلَت به، وذاقَتْ طعم القرب منه، عندئذٍ تُسعدك، تُسعدك إذا سعِدَتْ بالله تعالى، أما إن لم تسعد بالله فأنّى لها أن تسعدك، بل تُشقيك، بيوت المسلمين حينما تقوم على الضّغط تغدو قطعة شقاء، صدّقوني أيّها الأخوة ولا أبالغ، مرّةً دخلتُ بيتًا في سفح جبل قاسيون، والبيت متواضع جدًّا، و أرضه ليست مبلطة، الأثاث بساط فقط، لا أعرف بماذا شعرتُ ؟ شعرتُ أنّ هذا البيت قطعة من الجنّة، يبدو أنّ هناك وفاقاً، ووُدّاً، ونظافة، ومحبّة، فبيتٌ صغير مع المحبّة يصبح جنّة، أنا أدعوكم إلى العناية ببُيوتكم، لأنّ الرجل يعاني متاعب خارج البيت، والبيت سكَن له، فإذا وجد ضغطاً بالعمل، ومشاكل لِكَسب المال، وعليه دفع، ولا يوجد قبض، وعليه ديون، هذه كلّها هموم، المفروض أن يأتي الإنسان إلى بيته لِيَستريح.

آلية عمل العين و كيفية المحافظة عليها :



العين معقدة في عملها

حدّثني طبيب عيون، وما كنتُ أعرف هذه الحقيقة، وهو أنّ الأصبغة التي في شبكيّة العين، تُستهلك في النهار، لأنّ أساس العين أن تقوم بنقل الصورة، تماماً كنقل الصورة عبر الفضاء، آلة التصوير في الأستديو عبارة عن عدسة أمامها شخص، هذا الشخص عليه إضاءة شديدة جدًّا، صار هذا الشّخص عاكساً للضّوء فالمصباح منبع للضّوء، أما نحن الآن فنعكس الضّوء، نرى بعضنا بعضًا بالضّوء المنعكس على وُجوهنا، هذا الإنسان الذي يقف أمام آلة التصوير المعدّة لنقل الصورة عبر الفضاء، ماذا يحصل معه؟ ملامح هذا الوجه الذي يعكس ضوء المصابيح يدخل إلى العدسة، ومن العدسة إلى لوحة مَطليّة بمادّة نادرة جدًّا، هذه المادّة إذا جاءها أثر ضوئي أطلقَت إلكتروناً، وكلّما كان الأثر شديدًا كان الإطلاق كثيفاً، فيتشكّل وجه الرّجل على هذه اللّوحة بحسب الإضاءة، قالوا: هناك مدفع إلكتروني يمشي على خطوط يمسحُ هذه الخطوط، ويرمّم هذه اللّوحة، لما رمَّمَها أصبح هذا التيار الذي رمّم هذه اللّوحة التي فقدَت بعض إلكتروناتها من خلال أثر الصورة الضوئي، فهذا التيار المتفاوت الشدّة هو الصورة، تُبثّ عبر الفضاء، وتلتقطها أجهزةٌ معاكسةٌ لآلة التصوير، فترى أنت هذا المذيع مثلاً

على الشاشة بآلة معاكسة، هذه العمليّة معقّدة جدًّا، وأنا بسّطتها جدًّا، لكنّ العين أعقدُ من ذلك، هناك مئة وثلاثون مليون مخروط وعصيّة، هذه لها أصبغة كيماويّة، فإذا جاءها الضّوء فقدَت هذه الأصبغة ألوانها، وينشأ عن فقد هذه الألوان تيار كهربائي ينتقل هذا التيار إلى الدّماغ، وإلى مكان الصورة فيرى الإنسان الأشياء أمامه عن طريق تيار كهربائي، ينتقل من شبكيّة العين إلى مركز الرؤية في الدماغ، المبدأ ذاته على شكل أعقد بكثير، فهذه العصيات والمخاريط مع استهلاك أصبغتها، لابدّ لها من أن ترتاح و أن ترمّم الأصبغة التي فقدتها، فسألت الطبيب اليوم وقلتُ له: كيف نعتني بِعُيوننا؟ و الجواب بعد قليل، قال لي مرّة طبيب يختص بالكلية البوليّة، قلتُ له: كيف نعتني بكليتنا؟ فقال: بشُرب الماء



فالإنسان عليه أن يشرب باليوم اثني عشر كأسًا، عطشان أو غير عطشان هذا موضوع آخر، ولو لم تشعر بالحاجة إلى الماء، هذه أكبر صيانة للكليتين، وبالمناسبة الناس يتوهّمون أنّ القلب خطير جدًّا، ولكنّ الكليتين أخطر، ممكن أن يعيش الإنسان بقلبٍ عليل عشرين سنة أو أكثر، دارهِ تعِشْ به، وأنا أقول طرفة: قلبك وزوجتك ومركبتك دارهن تعش بهن.

فالكليتان لو توقّفتا عن العمل لتوقّفت الحياة، ولا يوجد حلّ، فالكليتان صيانتهما بِشرب الماء، قلت لهذا الطبيب – طبيب العيون-: كيف نصون أعيُننا؟ فقال: بالغذاء، لأنّنا في النهار استهلكنا الأصبغة التي في الشبكيّة، وفي الليل لابدّ من أن ترمّم العين ذاتها، بأن تعود الأصبغة إلى نسبها العالية، و ذكر لي فكرة لطيفة ؛ قال: لو أدخلنا إنسانًا إلى مغارة مظلمة، و الضوء معدوم، و الظلامٌ دامس، فالإنسان مبرمج، ففي ساعات النهار خارج المغارة ترميم أصبغة الشبكيّة قليل، وفي ساعات الليل خارج المغارة ترميم أصبغة الشبكيّة عالٍ جدًّا



فأنت مبرمج، فبعض الهواتف لها برنامج نهاري وليلي، فأنت في النهار لك ضربات قلب معيّنة، و لك ضغط معيّن، ولك طرْح للسكريات معيّن، ولك استهلاك للفيتامينات معيّن، هناك

أكثر من خمسين بندًا، لها وضعُها بالنهار، ووضعها بالليل، ففي الليل تنخفض ضربات القلب، وينخفض ضغط الدمّ، و ينخفض استهلاك السكّر، فهناك برنامج ليلي، وآخر نهاري، وقد عبّروا عنها بساعة الرأس، الإنسان إذا سافر إلى بلد بعيد كأمريكا مثلاً، فهو مبرمج على نهار دمشق، وليل دمشق، فلمّا سافر عشرين ساعة أصبح النهار ليلاً والليل نهاراً، يقضي يومين من دون نوم، لأنّه في الليل تجده مبرمجاً على نهار دمشق فينام، وتكون ضربات قلبه كثيرة، ونشاطه مركّز، ولا ينام، تعاد برمجة الأجهزة بأمريكا مرة ثانية حتى ينام، وكذا عندما يرجع إلى بلده يقضي يومين من دون نوم، لأنّه عندما صار بالشام فهو بالليل، ولكنّه في أمريكا كان بالنهار، والله تجد أشياءَ بالجسم تحار لها العقول لدقّة الخَلْق



فقال: هذه العين، لو وضعنا إنساناً بِمَغارة في وقت الليل يرتفع ترميم الأصبغة، وفي النهار يضعف ترميم الأصبغة، و ما هو أكبر عقاب نعاقب به الإنسان؟ أن نجعل له إضاءة شديدة بالليل، دون أن تضربه، ودون أن تقيده، فقط خمسة آلاف شمعة بالليل، الضوء يُعيق ترميم الأصبغة، لذلك من أشدّ أنواع العقوبات أن تجعل المصباح متألّقاً جدًّا في الليل، قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً ﴾

[سورة النبأ : ١٠-١١]

فالليل يعين على ترميم الأصبغة، فإذا نام شخص والإضاءة عالية فالأصبغة لا ترمّم، هذه الإضاءة العالية تُسهم في ضَعف بصره في وقت مبكِّر، فأنا أنصح، أصحاب البيوت الذين لديهم إضاءة عالية بالليل، الإضاءة ليلاً ينبغي أن تكون إلى أقلّ درجة، كي تترمّم أصبغة العين

فمن أجل الترميم أيضاً تحتاج إلى غذاء معيّن، و هناك فيتامينات، و هناك قاعدة معروفة أنّ الغذاء الجيّد أرخص من الدّواء، فإذا شخص أهمل غذاءه فسيضطرّ إلى أن يمرض، وإذا مرض



فسيدْفع ثمن الدواء غالياً، وقد يكون عشرة أضعاف، فإذا أكلت مثلاً خُضاراً رخيصة، كاللّفت، والفجل، و البصل، و الفليفلة، فهذه كلّها فيتامينات، فأنت إذا أعرضْت عن أكل هذه الخضار، ستضْطرّ لشراء دواء ثمنه ستّمئة أو سبعمئة ليرة، و أعود و أكرر فالكلية صيانتها شرب الماء، والعين صيانتها بالغذاء والنوم الكافي والظلام في الليل، ظلمة الليل، والنوم الكافي، والعناية بالغذاء، وخلال عدّة دروس ذكرتُ لكم أنّ هناك هرماً للغذاء، فأكبر قاعدة الحبوب، وثاني قاعدة الخضار والفواكه، وأقلّها اللّحوم، فالناس إذا كانوا في بحبوحة أكثروا من أكل اللّحوم، فهل تصدّقون أنّ أمراض القلب والأوعية في بلاد الغرب الغنيّة ثمانية أضعاف البلاد الفقيرة، وهناك أشياء بالطبّ دقيقة، فإذا الإنسان ما مضغَ تراجع عظم الفكّ، الآن اشرب عصيراً و كل أكلاً رخواً، فتقل حركةُ الهضم، أعلى نسب بمرض سرطان القولون موجودة باليابان، لأنّ جلّ أكلهم عصير، ومسحوق، ومهروس، ومطبوخ، ومن دون جهد، والحقيقة أنّ بذْل الجهد أساسي لصِحّة الإنسان.

مقارنة بين صحتنا و صحة أجدادنا :


بنية الأجداد أقوى لأنهم ابتعدوا عن الكسل والشدة النفسية

قال لي مرّة طبيب: إن صحّة أجدادنا وقوّة بنْيتهم الجهد العضلي العالي، ومع هذا الجهد راحة نفسيّة عالية جدًّا، أحد أسباب شيوع المرض في هذا العصر أن الجهد العضلي قلّ جداً، إذ تجد في كلّ بيت مريضَين أو ثلاثة، مرّة دعاني هذا إلى أن أقول: هذه وجبة ستوك! عجيب لهذا الأمر فلا يخلو بيت من مريضين أو ثلاثة، ولا توجد بنية قويّة، وهذا يُعزى إلى الكسل العضلي، وإلى الشدّة النفسيّة، أجدادنا والسّلف الصالح كانت لهم راحة نفسيّة، وجهد عضلي عالٍ، فالمركبة الآن مريحة، ولكن تجلبُ أمراض القلب والكبد والكليتين، حدّثني أخ جاء من أمريكا فقال لي: رأيتُ برنامجًا هناك مفادُهُ أنّ ركوب الخيل يدفع عن الإنسان أمراض القلب والكبد والكليتين، وذلك عن طريق الاهتزاز، أما هذا المقعد المريح، والطريق المعبّد، والراحة التامّة فهي أحد مشكلات العصر، فكلامنا كله يدور حول أنّ الليل سكَن، والنهار معاش، وأنّ العناية بالعين تحتاج إلى نوم، وإلى ظلام، وإلى عناية بالغذاء، وهذا قادنا إلى أنّ

البيت المسلم فيه وُدّ، وحبّ، وصحّة نفسيّة، وأنا لا أذكر كلمة عن الغنى والفقر، فقد تكون بأدنى درجة اجتماعيًّا واقتصاديًّا، لكنك بأعلى درجة من السعادة، وقد تكون بأعلى درجة من الشقاء، مع أنك بأعلى درجة من النواحي المالية.

من أخطاء النساء المسلمات أيضاً :

١ ـ عدم العناية بتربية أولادهن :

أيها الأخوة: المرأة لها دورٌ خطير جدًّا في تربية الأولاد، المرأة الجاهلة ماذا تقول لزوجها؟ فلو كانت عقيماً لا تنْجب، والزوج أراد الولد، فرغِبَ أن يتزوّج امرأةً ثانية كي تنجب له أولادًا، تقول له الأولى: إما أن تطلّقني وإما أن تبقى من دون زوجة ثانية، هذه فيها قليل من الدِّين، و لكن قد تقول له امرأة أخرى: اذْهب وازن ولا تتزوّج !! إلى هذه الدرجة، وهذه كلمات تقولها النساء الجاهلات.



من أخطاء النساء المسلمات عدم العناية بتربية أولادهنّ، لا تنتبه لنفسها تخرج أثناء غيبة زوجها من البيت، ويأتي زوجها وعلى مسْمعٍ من ابنتها تقول له إن سألها أين ذهبت: لم أذهب إلى أيّ مكان ! فالبنت ترى أن أمّها تكذب على أبيها، و الطّفل يتشرّب الكذب من أمّه وأبيه، والنبي علّمنا، إذ كان مرة عليه الصلاة والسلام في بيت أحد أصحابه، فقالت الأمّ لابنها: تعال هاكَ، تعال خُذ، وبيدها شيء، فقال عليه الصلاة والسلام: ماذا أردت أن تُعطيه؟ قالت: تمرة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((أما إنّك لو لمْ تفعلي لعُدّتْ عليك كِذبة))

[أبو داود عن عن عبد الله بن عامر]

ذات مرّة حدّثني أخ، و تألّمتُ أشدّ الألم لحَال المسلمين، قال لي: والدتي من بلاد أمريكا الشماليّة، وكانت مع ابنها، أعطتْهُ سكّرة فأكلها، وطلبتْ منه أن يرمي غلاف السكّرة في حاوية تبعد ثلاثمئة متر، فالنظافة تحتاج إلى تربية، وكذا الصّدق والأمانة والحياء، كلّ هذا يحتاج إلى أمّ منتبهة، فإذا

الأمّ كان همّها الزيارات، واللّقاءات، والحديث الفارغ، وأولادها في الطرقات فهؤلاء أولاد أيتام، نحن نفهم اليُتم من لا أب ولا أم له، ولكن اليتيم من يجد أمًّا تخلّت، أو أبًا مشغولاً، هذا هو اليتيم الحقيقيّ.

٢ ــ طلب الطلاق من غير بأس :


طلب المرأة الطلاق من زوجها دون بأس مخالفة

من أخطاء الزوجات طلب الطلاق من غير بأس، وأيّما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس لم ترح رائحة الجنّة، أنا أقول لكم هذه الكلمة الدقيقة، الزواج نعمة، فهناك زوج يكفرُ نعمة الزواج، لأتْفه سبب يقسو على زوجته، لأتفه سبب يُرسلها إلى بيت أهلها، مثل هذا الزوج يكفرُ نعمة الزواج، وهناك زوجة لأتفه سبب تقول: طلِّقني! أنا لستُ مبسوطة عندك، وهناك امرأة تتمنّى زوجًا و لو كان دونها بكثير، مرَّةً وقع تحت يدي كتاب مؤلّفته أديبة من أديبات مصر، الكتاب فيه عشرون أو ثلاثون قصّة، لنِساء تفوّقْن في الدراسة، وفاتهنّ قطار الزواج، فَعِشْنَ آلامًا لا تنتهي، ذلك أنّ توجيه البيت كان غير مهتمّ بالزواج و يهتم بالدراسة فقط!! نحن مع العلم، ولكن حينما يأتي من نرضى دينه وخُلُقه، فيجب أن نزوّجه


العزوف عن الزواج بدعة من بدع المجتمع الإسلامي

والأصل الزواج، فحينما تهملُ المرأة شأن زواجها، وتسعى إلى نيل مرتبة عالية جدًّا، ثمّ تكتشف أنّ كيان المرأة بزِوَاجها، وفي تربية أولادها، وفاتها قطار الزواج، وكانت تحتقر الزواج، وتردّ على الخاطبين بكلمات قاسية، وهي مُعتدّة بدِراستها و بمكانتها الاجتماعيّة، فهذه بعد حينٍ تعضّ على أصابعها ندمًا، لذا يجب أن نوجّه البنات إلى أنّ خيرَ ما يضمن مستقبل المرأة أن يتزوّجها شابّ مؤمن، وإلا فإن العزوف عن الزواج

بدعةٌ من بدَع المجتمع الإسلاميّ، كِبْر، واستعلاء، ورغبة بالتفوّق، وعزوف عن الزواج، ولكن حينما تكتشف هذه المرأة أن كيانها و مستقبلها بِزَوجها وأولادها تندم و لات ساعة مندم، بل إنّ النبي عليه الصلاة والسلام سئل: " من أعظم الناس حقًّا على المرأة ؟ قال: زوجها، قال: فمن أعظم النّاس حقّاً على الرجل؟ قال: أمّه" فأعظم امرأة في حياة الإنسان أمّه، وأعظم إنسان في حياة المرأة زوجها.

٣ ـ نشر ما يدور بينها و بين زوجها :

هناك خطأ من أخطاء الزوجات، وهو أنّه لا سِرّ بينها وبين زوجها كلّ ما بينها وبين زوجها تعرفه أمها و أختها وخالتها وعمّتها، هذا الزوج مفضوحٌ دائمًا، أيّ شيء يفعله تشيعه عنه، تأتي أختها فتعطيها قائمة، هكذا فعل وكذا وكذا... النبي عليه الصلاة والسلام مدَح المرأة المسلمة وقال: " إنّها ستِّيرة" والمرأة غير المسلمة الفاسقة تجدها فضّاحة، أجل: المسلمة ستّيرة، والله مرّة كان هناك إنسان سويًّا فأصبح له لوثة في عقله، هذا أصبح وضعه بالبـــيت خطير، و له زوجة دون العشرين، وبقي بهذه الحال أكثر من سنتين، المفاجأة التي فوجئتُ بها أنّ أهلها لا يعلمون شيئًا، فزوجها أصبح بالبيت مخيفًا، فحِفاظًا على سمعته ومكانته لم تَبُح لهذا لأحد، والله هناك نساء على مستوى عالٍ من الحكمة، لكن أخريات يطلبن الطلاق من غير بأسٍ فهذه نقيصة للمرأة، لأنّها بهذا تكفر نعمة الزوج، ونشْرُ ما يدور بين الزوجين من أحاديث وخلافات وأسرار طبعاً نقيصة كبيرة، أما الشيء الذي لا يقبل هو ما يجري بينها وبين زوجها في المعاشرة الزوجية، وكأنّ شيطانًا قاربَ شيطانةً على عرض الطريق، هذه التي تفشي سرّ ما بينها وبين زوجها في العلاقة الحميمة، فيبدو للآخرين كأنّ زوجها يقاربها على قارعة الطريق، وقد نبّه النبي عليه الصلاة والسلام على عظم هذه المخالفة.

٤ ـ صيام التطوّع من دون إذْن الزوج :

و من المخالفات أيضًا صيام التطوّع من دون إذْن الزوج، فهذه مخالفة تقع بها بعض النساء في شأن العبادات، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يحِلّ لامرأة أن تصوم وزوجها شاهدٌ إلا بإذنه))

[البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

فهذا يتعلق بصيام النّفل وليس الفرض، لأنّ في الفرض لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

عدم التساهل في اختيار الزوج المناسب للفتاة :

أيها الأخوة: التساهل في اختيار الزوج للفتيات من غير المؤمنين الصادقين مشكلة كبيرة، يروون أنّ إنساناً جاءَهُ خاطب لابنته، قال له الأب: يا بني هل عندك بيت؟ قال له: نعم، فقال الأب: أريد أوراقه، أبٌ فطِن للدنيا، فأعطاه أوراق البيت، فقال الأب: ماذا تشتغل؟ قال: عندي معمل، فقال الأب: أريد سجلّه الصناعي فأتى به، ثم قال: هل عندك سيارة؟ قال: نعم، فقال: أريد أوراقها، ما ترك قضيّة إلا و تأكّد منها، فوافق الأب، وأصبح الشاب خاطبًا لابنته، وصار هذا الرجل يدخل بيته، ومرّة زاره بمحله التّجاري فقال للحاضرين: هذا صهري، فأحد الجلوس اندهشَ! لماذا؟ لأنّ ذاك الشاب لم يكن مسلمًا!!! فلما بحث معه الموضوع قال: لقد سألتني عن كلّ شيء إلا عن ديني!! قد تكون القصّة مبالغ بها لكنها تحمل العبرة الكاملة.



مرّةً كنت أمشي ببعض الأسواق، فدعاني أحدهم لدخول متجره، و استشارني في قضيّة، قال لي: هناك شابّ خطب ابنتي، وهو جيّد، شكله مقبول، وله معمل، ووضعه المادّي جيّد جدًّا، ولكن دينه رقيق فماذا أعمل؟ فقلتُ له: أنت تقرأ القرآن؟ فقال: نعم، فقلتُ له: إذا انتهيت من التلاوة ماذا تقول؟ قال: أقول: صدق الله العظيم، فقلتُ له: يقول الله عز وجل:

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُم﴾

[سورة البقرة : ٢٢١]

و انتهت الزيارة و غادرت. ثمّ بلغني أنّه زوّجه ابنته، وبعد سبعة عشر يومًا طُلِّقَتْ! هل نطمعُ بإنسانٍ دُنياه عريضة ودينه رقيق؟ هذه مشكلة كبيرة جدًّا، وهذا توجيه النبي عليه الصلاة والسلام فاسمعوه حيث قال:

((إذا خطبَ إليكُمْ من ترضونَ دينهُ وخلقهُ، فزوِّجوهُ. إلاّ تفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

لأنّ الشاب المؤمن يغنيه الله، أما الشاب الفاسق فمآله إلى الدمار، وهذا الموضوع مهمّ سنُتابع الحديث عنه في درس ثالث وأخير.

والحمد لله رب العالمين

موضوعات إسلامية – موضوعات متفرقة – المحاضرة ٠٣٣ :أخطاء تقع بها أكثر النساء ٣

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-٠٤-١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مخالفة منهج الله سبب مشاكل الإنسان :



أيها الأخوة الكرام، بما أنّ هذا التشريع الإسلامي من عند الله تعالى، إذاً أيّ نهي في هذا التشريع ينبغي من خلاله أن تلاحظ أنّ هناك مشكلاتٍ كبيرة جداً لا تعدّ ولا تُحصى تنتجُ عن عدم تطبيق هذا المنهج، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ))

[الترمذي عن ابن عمر]

لو أجريْتَ إحصاءً لكلّ حالات الزنا في مجتمعٍ ما، لفوجِئْت أنّ تسعين بالمئة ممَّن وقعَ في الزنا، من الرجال أو النساء، لم يكن يخطر في بالهم أن يزنوا، ولكنّ الخلوة جرَّتْ إلى الزنا، فنحن حينما نأخذ كلام رسول الله صلى الله عليه وسلّم، بأنّه حق من الله تعالى، وأنّ هذا الذي أنزل التشريع هو الإله الخبير، الخبير بهذه النفوس، عندئذٍ نطبّق أمر الله عز وجل، أحياناً ولا أُبالغ أيّها الأخوة أنه في الأسبوع الواحد تأتيني مشكلات عدة، وكل مشكلة بِشَكلٍ صارخٍ نشأتْ من مخالفة منهج الله، لأنّ صاحب المشكلة لم يعبأ بما نهى عنه النبي، ووقع فيه، وكلّ طرفٍ يتمنّى ألا تقع، وقد يُسحق حينما تقع، قد يُسحق نفسيًّا، وقد يفكّر أن ينتحر من شدّة الضّغط النفسي، كيف وقعت منه؟ وقعت منه لأنّه لم يأخذ بِتَوجيهات النبي عليه الصلاة والسلام.



أيها الأخوة، عوِّدوا أنفسكم أنّ كلّ مشكلةٍ تظهر أمامكم أرجعوها إلى مخالفة منهج الله، لو طبّقنا كلام الله عز وجل، وطبقنا سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، لا يمكن أن تقع مشكلة، وفي هذا المسجد المتواضع خلال دعوة تقترب من رُبع قرن، مئات بل عشرات المئات من الحالات التي وقعَتْ ودمَّرَتْ الأُسَر وقعت بِسَبب مخالفة منهج الله، قال: أرأيت الحمو؟ قال عليه الصلاة والسلام:

((الحموُ الموت))

[متفق عليه عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ]

فإذا كان هناك اختلاط، وتكشفّ عورات، فالمشكلات حينها تتفجّر في البيوت، والإنسان حريص على ألا يقع في مشكلة، لا أستطيع أن أُفصــّل كثيرًا لكن فهمكم يكفي، ما من مشكلة تسحقُ الأسرة، وتدمّرها، لو أنك أرجعتها إلى أسبابها لوجدْت ذلك بسبب عدم تطبيق منهج الله عز وجل. مرّةً حدّثني أخٌ يرتاد هذا المسجد، قال لي: أنا ارتكبتُ خطأً كبيرًا جداً بحقّ زوجتي، زوجتهُ تشتري من بائع، بِشَكل غير مقصود قالَتْ له: راعنا نحن جيرانك، لماذا قلبك قاسٍ علينا؟ فالله ماذا قال ؟

﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾

[سورة الأحزاب : ٣٢]

هذا البائع فهِمَ شيئًا آخر! سألها عن مكان البيت، وبعد قليل طرق الباب فلمّا فتِحَ الباب وضعَ رجله في الباب، الزوجة لم تقْصِد إطلاقًا أن يأتيَها هذا البائع للبيت، ولكن من أجل أنّها ألانتْ له القول، وخضَعَتْ له بالقول، فطَمِعَ الذي في قلبه مرض. هي ترتدي ثيابها الكاملة، اسْتنجدَتْ بأولادها، اذهبوا إلى أبيكم، وقولوا له: في بيتنا رجل، ومحـــــــلّ زوجها قريب من البيت ذهب أحد أولادها وأخبر أباه، فالزوج أخذه الانفعال فأغلق الباب، وقفله وجاء بالشرطة، وكانتْ الفضيحة، وطلّق امرأته، ودمَّر أولاده، كلّ هذا من أجل قولها: لماذا قلبك قاسٍ علينا؟ راعنا نحن جيرانك، أرأيتم إلى الجهل؟

إنسان آخر اكتشف أنّ هناك خيانة في بيته، السّبب هو جاره، كيف عرف جاره زوجته؟ كان جالسًا مع جاره، فقال لزوجته: تعالي اقْعُدي معنا فهذا مثل أخيك !

ما من مشكلة تدمّر البيت، وتفجع الإنسان إلا بسبب مخالفة لمنهج الله تعالى.

الجهالة تفضي إلى المنازعة :



الذي له نفَس طويل، وقوّة تحليل، وإدراك علمي، ونظرة واقعيّة، يتأمّل أسباب كلّ مشكلة، فمثلاً إنسان جاره نجّار، وعنده غرف نوم، رأى غرفة لطيفة، قال له: هذه أُريدها، فقال له: نعم، سوف أحمّلها لك إلى بيتك- والقصّة قديمة- فأعطاه عشرة آلاف ليرة، ثمّ بعدها عشرة آلاف، وبقي يُعطيه حتى وجد أنّه أعطاه الكثير، فلمّا سأله عن سعرها، وجد أنّ سعرها ضعف ما أعطاه !! لِمَ لمْ تسألهُ عن سعرها من البداية ؟ ماذا قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلّم: " الجهالة تفضي إلى المنازعة". الآن ائْتني بمليون مشكلة تجاريّة أقول لك: إنّ تسعين بالمئة من هذه المشاكل سببها الجهالة، لا يوجد اتّفاق واضح، كم أدفع؟ يقول لك: لا يوجد فرق جيبي وجيبك واحد!! ثمّ بعدها يتنازعان، البضاعة متى تأتي؟ يقول لك: اتْركها على التيسير، كلّ هذا الكلام الضبابي يفجِّر مشكلات، فإذا أردْت ألا تدخل قصر العدل أبدًا، وألا تفقد مالك، وتدخل في خصومات مع الناس، وتريد أن تنام مرتاح البال، وضِّح كلّ شيء.

أحيانا يفاجأ الإنسان أنّ كلامًا يقال على زوجته، والعياذ بالله تعالى، وزوجته طاهرةٌ بريئة، أراد أن يسافر فكلّف ابن حميه أي أخاها أن يتفقّد البيت، وما عرف الجيران أنّه مسافر، وكلّف أخا زوجته أن يأتي إلى البيت ويتفقد أحوالهم، فالجيران عندما يلاحظون دخول شخص إلى بيت جارهم، ولا يعرفون أنه أخو زوجته، ثم جاء في اليوم التالي ومكث ساعة في البيت ثمّ خرج منه، من حقّهم أن يظنّوا ظنّ السوء، فأنا كلّما سمعتُ قصّة أجد في نفسي رغبة لمعرفة السبب، والسبب هو مخالفة شرعيّة.

التقيت مرّة بمدير سُجون القطر، فقدّم لي كتاباً ألّفه هو عن ثلاث وستّين جريمة، أجمل ما في الكتاب، في نهاية كلّ جريمة يكتب: المخالفة الشرعيّة هي التي أدّت إلى هذه الجريمة، بعض هذه المخالفات تبرّج زائد، خروج فتاة في ريعان الشباب، زوجة شابة تخرج إلى الشرفة بثياب النوم دون أن تنتبه أنّ حولها رجالاً، فكان من أحد الرّجال أن دخل عليها عُنْوةً واغتصبها وطلّقها زوجها فورًا في اليوم التالي، السبب هو جهلها، تريد أن تقف على الشّرفة بثياب غير لائقة، فكان من أحدهم أن كانت شهوته عاليَة جدًّا فصار أعمى، واقْتَحَمَ البـــيت وفعل ما فعل، ولمّا علِمَ الزوج طلّق امرأته فورًا، قرأتُ هذا الكتاب في ليلةٍ واحدة، أكثر شيء لفت نظري أنّ كلّ جريمة وراءها معصيَة واضحةٌ لمنهج الله عز وجل.

لكن أُحبّ أن ألفتْ نظركم إلى إحدى هذه الجرائم: أم تحملُ طفلاً مريضاً، وهي تكاد تذوب من الألَم، رأتْها امرأةٌ فقالتْ: أنا طبيبة ما القصّة؟ فلما أخبرتها قالت لها: لربما أصابه التهاب سحايا أو ربو، ثم قالت لها: تعالي معي، فأركبتْها معها في السيارة، وأخذتْها إلى مستشفى خاصّ، قالت: أنا طبيبة في هذا المستشفى، اذهبي وائتني بهذا الدواء فورًا، ذهبتْ أمّه لِتشتري الدواء، ولمّا رجعت لم تجدْ طفلها ولا تلك المرأة!! والطفل بيع في لبنان بعشرة آلاف ليرة، فعلتْ هذا مرّتين أو ثلاثة، ثمّ قبِضَ عليها، وهي مسجونة بعدرا.

انتبهوا أيّها الأخوة، البلد فيها أشكال وألوان من الجرائم والمآسي، فكلّما قرأت عن جريمة، وجدت هناك مواقف شيطانية سيّئة جدًّا، ويجب أن تنتبه، على كلٍّ دقِّقوا في هذا المؤمن كيس فطن حذر، أردتُ أن تكون هذه مقدّمة، ما من مشكلة تواجه المجتمع، وتسحق الأُسرة وتتهدّ لها النفوس، إلا بسبب مخالفةٍ لأمر الله أو أمر النبي عليه الصلاة والسلام.

أخطاء تقع بها أكثر النساء :

١ ــ التعطر في الطريق :

عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((أيما امرأة استعطرت، فخرجت، فمرت على قوم فيجدوا ريحها، فهي زانية))

[رواه الحاكم عن أبي موسى]



كتاب المرأة المسلمة- لفضيلة الدكتور محمد ر

كم امرأة في الطريق تتعطّر وعِطرها صارخ ونفّاذ؟ هكذا قال النبي الكريم:

((أيما امرأة استعطرت، فخرجت، فمرت على قوم فيجدوا ريحها، فهي زانية))

[رواه الحاكم عن أبي موسى]

هذه مخالفة كبيرة جدًّا تقع بها نساء المسلمين.

٢ ــ ركوب المرأة مع السائق الأجنبي والخلوة معه :



ركوب المرأة مع سائق أجنبي وحدها مخالفة

كم جريمة وقعتْ في هذه البلدة بسبب رُكوب امرأة وحدها في وقت غير مناسب مع سائق عمومي، بالسنة الواحدة تقع بضع عشرات الجرائم، سائق معه امرأة شابّة؛ يمكن أن يسرع ويضلّلها حتى يبتعد بها إلى مكان معزول، فهذه مشكلة كبيرة جدًّا، فلذلك ركوب المرأة مع السائق الأجنبي، والخلوة معه، وعدم التحجّب عنه، وكأنّه من محارمها، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللّهُ عَنهُ قال، قال رَسُول اللّهِ صلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم:

((لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها))

[مُتَفَقٌ عليه عن أبي هريرة]

كم امرأة وقعَت في مَطَبّ كبير، خلعَتْ ثيابها في مكان لا ينبغي لها أن تخلعها فيه، الْتُقِطَت لها صورة، وهُدِّدَت بهذه الصورة، وابتزّها صاحب الصورة إلى أن وقعَت في حبائله.

والله قصص كثيرة جدًّا انتهَت بالطلاق، أحدهم اشترى آلة تصوير فيديو، طوبى لِمَن وسِعَته السنّة ولم تسْتهوه البدعة، استخدَمَ هذه الآلة لتصويرهما في علاقته مع امرأته، وهي علاقة مشروعة، طبعًا شيء مخزٍ جداً أن يظهر هذا الفيلم خارج بيت الزوجيّة، ثم إن الزوج استأجر فيلمين أو ثلاثة من محلّ، وبالخطأ وضعَ هذا الفيلم في غلاف فيلم مستأجر ولمّا أعاد الأشرطة لصاحبها، أثناء فحص صاحب المحل أشرطته وجد هذا الفيلم، تأمّله فوجده جديداً في محلّه، فأخذ يؤجّره إلى أن وصل هذا الفيلم إلى أخ الزوج، وافتضح أمر هذين الزوجين واضطرّ أن يبيع بيته ثم انتقل إلى حمص، هذه مشكلة كبيرة جدًّا، طوبى لِمَن وسِعَته السنّة، ولم تسْتهوه البدعة، يبقى المؤمن في راحة، وحرز حريز، وفي حصن حصين، ورافع الرأس دائمًا، عندما يكون مطبِّقًا للسنّة، لا

يخشى لومة لائم، لا يوجد من يهدِّده، ولا أحد يبْتزّ منه المال، ولا من يعرض صورته على الملأ.


كلمة لينة على الهاتف قد تودي إلى المهالك

والله كنت بعُمرة من سنَتَين تقريباً، وجدتُ بالفندق قصة مكتوبة، يقولون فيها: اقرأها وأرجعها غدًا، فلمّا أخذتُها وقرأتها، تأثّرتُ لها تأثُّرًا بليغاً، فتاة بمصر، من عائلة راقيّة، الأب مدرس والبيت إسلامي، جاءَ اتّصال هاتفي طائش، طبعًا بانزعاج شديد أغلقَتْ سمّاعة الهاتف، أُعيد الاتّصال مرّتين أو ثلاثاً ثمّ جاء شابّ انتظرها أمام البيت، وهي في طريقها إلى المدرسة، أسمعها كلمات حلوة، ويبدو أنّه خبير، وتحمّل صدودًا كثيرة منها، وهو مُصِرّ، إلى أن لانَتْ له، بعد أن لانتْ له استدرجها إلى بيت، وقضى حاجته وصوّرها، فصار يؤجّرها، ثمّ هذه الصُوَر وصلَت إلى أهلها، هربَتْ من بيت أهلها والنتيجة أنّها في ساعة من ساعات الحقد قتلتهُ وهي الآن في سجن القاهرة، وكتبتْ هذه القصّة التي أساسها نظرة فابتسامة فسلام فموعد فلقاء، كما قال الشاعر.

أنا أتمنّى من الآباء والأمّهات توجيه بناتهنّ، معاذ الله أن تقع هذه المشكلة في بيت مؤمن لكن الوعي ضروري جدًا، فالإنسان المؤمن يضبط بناته، ويعرّفهنّ بحقائق الرّجال، هناك رجال وُحوش، وذئاب، من كلمة، من نظرة يسقط الإنسان، أحياناً يكون البيت بحاجة إلى ساتر أمام الشّرفة فاجعل هذا السّاتر حائلاً ويساعد في ضبط البيت، أنا أتمنّى على كل إنسان الاعتناء عناية بالغة جدًّا ببناته وأولاده، حتى ينام قرير العين.

٣ ـ كثرة الخروج من البيت والذهاب إلى الأسواق :

كثرة الخروج من البيت والذهاب إلى الأسواق أمر لا يليق بالمرأة المسلمة، والله تعالى يقول:


كثرة الخروج إلى الأسواق لا تليق بالمرأة

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

[سورة الأحزاب : ٣٣]

فالمرأة مكانها الطبيعي في البيت، أما كلما سألتَ عنها يقولون لك: في الطريق، في السوق، عند صديقاتها، فمثل هذه المرأة لا ترضي الله عز وجل لقول الله تعالى:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

[سورة الأحزاب : ٣٣]

طبعًا هناك من يقول: هذه الآية لِنساء النبي عليه الصلاة والسلام، نقول له نحن: إذا كان نساء النبي قد أُمِرْنَ أن يقررْن في البيوت، فنساء المؤمنين من باب أولى، إذا قلت للمجتهد اُدرس، فللمقصّر ينبغي أن تقول له ادرس ألف مرّة.

٤ ـ الاختلاط بالرّجال الأجانب من أقارب المرأة أو أقارب الزوج :

ومن البلاء أيضاً، ويندرج تحت المخالفات الشرعية: الاختلاط بالرّجال الأجانب من أقارب المرأة أو أقارب الزوج، أو غيرهم، والتساهل بالمزاح معهم ومُصافحتهم، وإظهار الزينة أمامهم، وعدم التستّر عندهم، وقد ثبت في الصحيحين عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنه قال:

((إياكم والدخول على النساء" قيل: يا رسول اللّه أفرأيت الحمو؟ قال: "الحمو الموت))

[متفق عليه عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ]

لأنّ هذه إنسانة ممكن أن تتكلّم معها وتتكلم معك، وتبتسم بِوَجهها ويبتسم لك، وتمزح معها وتمزح معك، فهناك إذاً كلام، واختلاط، ثم تكون الكارثة.

٥ ـ عدم اختيار الطبيب المسلم للعلاج :

أيضًا قضيّة ذهاب المرأة إلى الطبيب، يجب أن تختار طبيباً مسلماً ورِعاً يغضّ بصره، لأنّ هناك أطباء لا يعبؤون بهذه القيود، وهناك نساء لا يتستّرن كما ينبغي أمام الطبيب، فقد صارت خلوة، ولا سيما طبيب الأسنان، بكامل زينتها، والطبيب شابّ وهي شابّة، وهناك قُرب شديد بينهما، فهذا أيضًا أحد أسباب الفساد الذي يُصيب نساء المسلمين.

٦ ــ سفر المرأة من دون محرم :



سَفَرَ المرأة من دون محرم، سواءٌ بالسيارة أو بالطائرة، لأنّ النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا معها ذو محرم))

[مسلم عن ابن عمر]

قرأتُ مرّةً قصّة ؛ شخص مقيم ببلد خليجي، وهو أصله من مصر، فذهب إلى مصر وخطب فتاة، واعتمد عليها، وعقد العقْد، وغدت تستعِدّ للعرْس وشراء الحاجات، فبعد أن أصبحَت جاهزة أرسل لها تلكس أنّني أنتظرك يوم كذا، كي تأتي وحدها، فجاء الجواب أنّ موعد إقلاع الطائرة يوم كذا، والساعة الفلانية أكون في مطار أبو ظبي ، هذا التلكس جاء إلى مكتب المدير، يبدو أنّ بعض الموظّفين أعجبه هذا التلكس، ذهب إلى هناك، وقال: لقد أرسلني زوجك كي أستقبلك، وهو مشغول، فأخذها وفعل بها الأفاعيل.

كلّ هذا لأنّها سافرت وحدها، والسفر خلوة، وأنا أقول لكم بشكل أكيد بِحُكم بعض ما يُرفع إليّ من قضايا خلال فترة الدعوة: ما من نهيٍ نبوي إلا وله في ذهني أربع أو خمس قصص يشيبُ لِهَولها الوِلدان، بسبب مخالفة النصّ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا معها ذو محرم))

[مسلم عن ابن عمر]

٧ ــ إهمال غض البصر :

إهمال غضّ البصر كذلك أحد أسباب الفساد، كما أنّ الرجل مأمورٌ بِغَضّ البصر، المرأة كذلك مأمورةٌ بغضّ البصر، قال تعالى:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾

[سورة النور : ٣٠-٣١]

٨ ــ التكشف بين النساء :

ثم إن هذه مسألة جديرة بإثارتها؛ قد يغيبُ عن أذهان الناس أنّ للمرأة عورةً على المرأة، تتوهّم بعض النِّسْوة الجاهلات أنّ هذه امرأة مثلها، لا، فهناك عورةٌ للمرأة على المرأة، فإذا كان هناك تكشّف فقد ينشأ من هذا التكشّف شذوذ، وهو موجود، وسببه التكشّف بين النساء، فهذه نقطة قد تغيب عن أذهان معظم الأُسَر، وقد تلتقي امرأة مسلمةٍ بامرأة فاسقةٍ فاجرة شاردةٍ عن منهج الله، ماذا تفعل هذه المرأة الفاسقة؟ تصفها للرجال، وكأنّهم يروْنها، فالمرأة التي تظهر محاسنها أمام امرأة بعيدة عن الدِّين وفاسقة هذه أيضًا مشكلة، فعن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم:

((لا تُباشِرِ المرأةُ المَرأةَ فتَصِفُها لزَوْجِها كأنّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا))

[متفق عليه عن ابن مسعود]

فهذا أيضًا من مخالفات الشرع.

٩ ــ الخضوع بالقول ولينُ الكلام مع الرّجال الأجانب :

وكذلك الخضوع بالقول، ولينُ الكلام مع الرّجال الأجانب وهذا حرامٌ ويكثر هذا عند الكلام بالهاتف، مما يؤدّي إلى مشكلات لا تنتهي، تعلّم الحق والصواب من القرآن، قال تعالى:

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة القصص : ٢٥]

إنّ أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، نقطة وانتهى الكلام، كلام لا يحتاج إلى جواب، وكيف أنّ سيّدنا موسى سأل وقال: ما خطبكما؟ ما قال: هل من مشكلة فأُعينكم فيها؟ ولم يتوسع في الكلام، يجب أن تختار الكلمة الجادّة البليغة الموجزة إذا خاطبْتَ المرأة الأجنبيّة، وهي بالتالي ينبغي أن تخاطبك خطابًا جادًّا موجزًا، أما الكلام الليّن كما يجري بالدوائر بين الموظّفين والموظّفات، وينتقل الموضوع إلى موضوعات غريبة جدًّا، ثمّ من خلال هذه الأحاديث تفتضح البيوت فهذا منهي عنه.

١٠ ـ حزن المرأة على غير زوجها أكثر من ثلاثة أيّام :


لا تحد المرأة على غير زوجها أكثر من ثلاثة أيام

وكذلك امرأة تحدّ على غير زوجها أحياناً سنة أو ستّة أشهر !! عن عروة عن عائشة عن النّبيّ صَلَى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم قَالَ:

((لا يَحِلُ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ باللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدّ عَلَى مَيّتٍ فَوْقَ ثَلاثٍ إلا عَلَى زَوْجٍ))

[أحمد عن عائشة]

أحيانًا يموت أخوها أو أبوها، تجدها سنة كاملة لابسة للأسود، هذه أيضًا من المخالفات الشرعيّة، فلها أن تحزن المرأة على غير زوجها ثلاثة أيّام فقط، أما الزوج فله حكم خاصّ.

عدم خروج المرأة عن منهج الإسلام :

أيها الأخوة المشكلة إنّ بيوت المسلمين ينبغي أن تنضبط، والإنسان حينما يضبط بيته تقرّ عينه، وقد قال الله عز وجل:


المسلمة تعتز بدينها وليس بصرعات الأزياء

﴿وَالّذِينَ يَقُولُونَ رَبّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرّيّاتِنَا قُرّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتّقِينَ إِمَاماً ﴾

[سورة الفرقان : ٧٤]

وبعد فالمشكلة الكبرى هي: كيف أصبح الإسلام طقوساً؟ كان منهجاً قويماً فأصبح صوماً وصلاة وحجاً فقط، أما البيوت فَمُتَفَلّتة، اختلاط، ولينٌ بالقول، وإطلاق بصر، وغيبة، ونميمة، وعدم العمل بقواعد ستر العورة، وخروج على الإسلام خروجاً مذهلاً ومخيفاً.

أقمتُ دروسًا بِمُعدّل خمسة أشرطة عن العورات في الإسلام، موضوعات مهمّة جدًّا، وأنه لا بد من معرفة الأحكام، ولا يوجد بيت يتقيّد بهذه الأحكام، ثم تنشأ فيه مشكلة، وما من مشكلة تنشأ سواء من شذوذ أو تفلّت أو انحراف إلا بسبب التساهل في كشف العورات، ثم التوسع في هذا الأمر والتمادي.

المرأة المؤمنة تعتزّ بدِينها، ولا تعتزّ بصرعات الأزياء، والمظاهر الفارغة، يهمّها أن تكون إنسانة كاملة لزوجها وأولادها، ما الذي يحدث؟ لا يحل لها أن تعتني بِمَظهرها إلى درجة مُذهلة إلا أمام زوجها، وهو صاحب الحقّ الأوّل في أن يراها بأبهى زينة، لكنه لا يرى منها إلا ما يسوءه، أما الناس الآخرون، رجال أو نساء فيروْن منها ما يسرّهم.

أكرر: لكنّ زوجها لا يرى من امرأته إلا ما يسوءه، فهذه نصائح وعظات يجب أن تكون واضحة لدى كلّ البيوت.

١١ ـ عملها الذي يفضي إلى معصية :

طبعًا العمل الذي يفضي إلى معصية محرّم، فعملٌ فيه اختلاط، وتكشّف، ولا يرضي الله عز وجل، وخلْوَة مع مدير، وغير ذلك من الأعمال التي تجانب الشرع هي سبب الفساد في الأرض.

أساس السعادة الاتّصال بالله عز وجل :

هذا الدرس جمعتُ فيه بعض المخالفات التي يمكن أن تقع بها المرأة المقصّرة، ولكن كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته، الرجل راعٍ في بيته ومسؤول عن رعيّته، أما إذا كان هناك تساهل فإنّه يدفع الثّمن باهظاً.
الحمد لله على أنّ الله عز وجل قد أنعم علينا بِمَنهج قويم، والحقيقة لو أنّ إنسانًا سافر إلى بلاد بعيدة يجد العجب العجاب، ومشكلات لا تنتهي، والفسق والفجور على قارعة الطريق، وهذا كلّه من ضياع الناس، وذكرتُ في خطبة سابقة أنّ هناك ثمانية عشر حديثًا صحيحًا كلّها تحضّ على السكنى بالشام، أما الحديث المخيف، وقد ورد في البخاري:

((إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم))

[أحمد عن معاوية بن قرة عن أبيه]

معنى ذلك أنّ هذه المدينة الطيّبة آخر بلاد الأرض فسادًا، فإذا فسدَت فالمشكلة كبيرة جدًّا، ونرجو ألا يتحقق هذا الحديث وألا يترجم إلى واقع.

قال لي أحدهم: ذهبتُ إلى فرنسا ببعثة، وأحببْت أن أتدرّب على التطبيق، رأى شابّاً مهمومًا فسأله: قال له: بماذا تفكّر؟ قال له: أُفكّر أن أقتل أبي، فقال له: لماذا ؟ فقال: أحبّ فتاةً فأخذها منّي، هذا مستوى تعامل الآباء مع الأبناء هناك، يروون قصّة نموذجيّة تمثّل واقع المجتمع الغربي، أنّ شابّاً في أمريكا أحبّ فتاةً فاستأذن أباه في الزواج منها، فقال له: لا يا بنيّ إنها أختك وأمّك لا تدري، فلمّا رأى فتاةً ثانية أعجبتهُ، وعرض على أبيه هذا الأمر، فقال له: لا يا بنيّ إنها أختك وأمّك لا تدري، فلمّا أعجبته فتاةٌ ثالثة واستأذن أباه مرّة ثالثة فقال له: لا يا بنيّ إنها أختك وأمّك لا تدري، فلمّا ضجِر الشابّ عرض الأمر على أُمّه، فقالت: خذ أيّهن شئْت فأنت لسْتَ ابنه وهو لا يدري !! هكذا حال الكفار.


الزنا عند الغربيين كشربة الماء فاحذر أن تخالطهم

مرّة استأذنني شخص وقال لي: أريد الإقامة بأمريكا، فقلتُ له: أنت إذا قمْت وشربت كأس ماء ورجعت هل قمت بعمل شيءٍ ما ؟ فقال: لا، وهل أحد ينتقدك؟ قال: لا، فقلتُ له: والله الذي لا إله إلا هو الزنا هناك كشربة الماء، أقسمْتُ له وأنا موقن بما أقول، لأنني لمّا كنت بآخر سفرة أحد أفراد الجالية الإسلاميّة تزوّج فتاة أمريكيّة، جلس معها، ثمّ قالت له: عندي موعد، فقال: مع من؟ فقالتْ: مع صديق، فقال لها: ولكن أنا زوجك، فقالت: كلّ شيء له اعتباره، فذهبتْ وتركته في البيت، وثاني يوم كانت مع صديق ثانٍ، وثالث يوم مع آخر، قالت له: واليوم الرابع لك، ثمّ طلّقها، هو حدّثني بنفسه، فقال لي: بعد أن تزوج بمسلمة قال لها: الله يحفظك ليّ، لأنّك كلّك لي، أخرج ابن المنذر عن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة))

[ابن المنذر عن جرير بن عبد الله البجلي]

لأنّه أوّلاً يتطبّع بطـــــباعِهِم دون أن يشعر، عش معهم سنتين أو ثلاثاً تقتنع بآرائهم، ومناهجهم، وتُكبِرُ قِيَمَهم، وتنسى أمّتك ودينك، تجد الشيء غير المقبول مقبولاً، بِرَبِّكم في أي بلد إسلامي إذا

وزير أقام مؤتمراً صحفياً وقال: أنا شاذّ جنسيًّا، هل يبقى بالوزارة ؟! مستحيل، لكن ببريطانيا وزير الصحة الحالي، عقد مؤتمراً صحفياً، وقال: أنا شاذّ جنسيًّا، ملكة بريطانيا التي ماتتْ بحادث عقدت مؤتمرًا صحفيًّا بثّته إحدى عشرة محطّة فضائيّة، قالت إنها زنت في يوم كذا بالإسطبل في الوقت الفلاني مع فلان، ومع آخر في يوم كذا، ولمّا ماتت مشى بجنازتها سبعة ملايين شخص، وبكى عليها الكثير من الوزراء.

لمّا اغْتُصِبت خمس وثلاثون فتاة بالبوسنة ما بكى أحد لمصابهن، أما هذه المجنونة لمّا ماتت كلّهم بكوها، هذا هو المجتمع الوحشي، بعيد عن القيم:

((إنكم ستجندون أجنادا، جندا بالشام ومصر والعراق واليمن. قلنا: فخر لنا يا رسول الله. قال: عليكم بالشام فإن الله قد تكفل لي بالشام))

[البزار عن أبي الدرداء]

((إن فــسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة، إلى جانب مدينة يقال لها دمشق، من خير مدائن الشام))

[أبو داود عن أبي الدرداء]

((بينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فأتبعته بصري فإذا هو قد عهد به إلى الشام))

[الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

فعليكم بالشام في آخر الزمن، وإذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم.

أنا والله أيها الأخوة حريصٌ حرصًا كبيرًا على أن تظلل بيوتكم السعادة، والبيت المسلم فيه سعادة ولو كان متواضعاً، ولو كان بيتاً بالأُجرة، ولو كان أثاثه قليلاً جدًّا، ولو كان الإنفاق قليلاً، لأنّ أساس السعادة الاتّصال بالله عز وجل، فكلّ زوجين مؤمنين طاهرين مستقيمين، يعطيهما الله عز وجل الاطمئنان ويوفر لهما من السعادة التي لا يحلُم بها أهل الدنيا.

والحمد لله رب العالمين

الباب الثاني عشر : فتاوى خاصة بالنساء

٠١ – هل يجوز للزوج إهمال زوجته ؟

٠٢ - العلاقات المالية بين الزوجين وطريقة الحصول على مال من أجل الكفارات للزوجة؟

٠٣ - ما هو رأي الإسلام في الحب بين شاب وفتاة ؟

٠٤ - هل هناك سلطة مادية ومعنوية لأحد الزوجين على الآخر (من الناحية الشرعية) ؟

٠٥ - ما هو الشيء المسموح به في العلاقة الزوجية ؟

٠٦ - زوجي يأمرني بخلع الحجاب ماذا علي أن أفعل؟

٠٧ - عدة اسئلة حول العلاقة بين الزوجة والزوج وأهل الزوج ؟.

٠٨ - هل صعود الرجل مع المرأة في المصعد لوحدهما فيه حرمة ؟.

٠٩ - هل حديث المرأة مع الرجل عن طريق المسنجر حلال أم حرام ؟.

الفتاوى – الأخلاق والتزكية – علاقة الرجل بالمرأة – الفتوى ٠٠١ : هل يجوز للزوج إهمال زوجته ؟ .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٢-٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال:

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

زوجي لا يحب الجماع، و لا يأتيني إلا كل شهر أو أكثر ليمارس العادة السرية لي و له بسبب ضعفه الشديد، هل تعتبر عادة سرية و هل هي حرام، أيكون حرام لو أني رفضت هذا لانه يؤثر علي نفسيا و صحيا و أنا أمنعه . و قد وصلت لدرجة أني لا أتقبله و لا أحبه و لكن والدي يرفض أن ننفصل عشان كلام الناس، هل من حقي الانفصال .

وجزاكم الله عنا كل خير

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد . الأخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إجابة على سؤالكم، نفيدكم بما يلي:

من حقك ذلك، وليعلم أن استمتاع الزوجين ببعضهما باستثناء الجماع وقت الحيض، وإتيان المرأة في دبرها، بأي طريقة جائز ومنها ماذكرت، وقد نص بعض العلماء في القديم على ذلك فلا تعقدي المشكلة ...

والحمد لله رب العالمين

الفتاوى – الأخلاق والتزكية – علاقة الرجل بالمرأة – الفتوى ٠٠٢ : العلاقات المالية بين الزوجين وطريقة الحصول على مال من أجل الكفارات للزوجة؟ .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٢-٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال:

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أسال الله أن تكونوا بكامل الصحة و أن آسفة على إزعاجكم بأسئلتي و لكن أود أن أسألكم عن قصة هذه الإنسانة التي طال ما حارت في أمر قصتها و تريد أن تسألكم عن ماهية حلال أم حرمانية ما تفعله.

أنها إنسانة متزوجة من ٢٧ سنة و لديها أطفال و لكن هذه الإنسانة حصل و أن ورثت من أبيها بعض المال بعد و فاته و حين طلبت من زوجها أن يأخذ هذا المال ليستثمره لها في أمور مفيدة كشراء بيت لها بحيث تؤجر هذا البيت مثلا و تستفيد من أجاره.

و لكن هذا الزوج رفض ذلك و ورفض أن يدعها تستثمر المال بنفسها أو مع أن تشتري بيتا وتستفيد منه في و لكن أبى هذا الزوج و حصلت شجارات شديدة بينهما كادت أن تودي إلى الطلاق.

و بعد مدة اشترى هذا الزوج بيتاً للعائلة و طلب منها مساعدته في ثمن البيت على أمل أن يردهم لها في وقت ما و هي قبلت بذلك بدافع من المحبة و التعاون و هذا الزوج كتب هذا البيت له أي باسمها و لكن لم يصرح لها بأن هذا البيت مقابل المال الذي تدينه منها.

علما أن هذه الإنسانة كانت قد ارتكبت لكثير من الأخطاء في حياتها و خصوصا إفطار في بعض أشهر رمضان و هي تريد أن تكفر عن أخطائها بدفع الكفارات و تريد المال الكافي من أجل ذلك و هنا المسألة تكمن حيث أنها كلما طلبت المال رفض أن يعطيها المال كي تدفع كفارات أخطائها و هي لا تعمل و لا تملك المال المستقل بها كي تدفع منه و بحاجة لمساعدته وبعد كل هذه المعاناة فكرت الزوجة أن تأخذ بعض المال من زوجها و لكن بدون علمه حتى تستطيع القيام بواجبها و التكفير عن ما ارتكبته من الأخطاء حيث أن زوجها لن يشفع لها يوم القيامة علماً أن

هذا الزوج مقصر أيضا في أمور البيت و هي تسأل هل أخذ المال منه بدون علمه حرام أم حلال، أفيدوها أفادكم الله و نفع الناس بعلمكم
وجزاكم الله عنا كل خير

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد.

الأخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إجابة على سؤالكم ، نفيدكم بما يلي:

أما الشجار حول المال فلابد من التفاهم بين الزوجين من أجله.والسعادة الزوجية والود بين الزوجين والاستقرار نعمة ينشدها الكثيرون ممن حرموا منها ،ولو تشرى بالمال لاشتروها ! فهل يضحى بها من أجل عرض دنيوي...؟ومادام مالك قد وظف لمصلحة الأسرة ،في شراء بيت للعائلة،وسجل البيت باسمك ،فقد حل الجزء الأكبر من المشكلة،فاجعلي ما بقي ثمن الوفاق والعيش الهادئ.أما احتجاجك بحاجتك إلى المال لتكفير بعض خطاياك فالمال لا يكفر وإنما كفارة الذنب الندم والتوبة والاستغفار والإكثار من نوافل العبادات.

الدكتور محمد راتب النابلسي

والحمد لله رب العالمين

الفتاوى - الأخلاق والتزكية - علاقة الرجل بالمرأة - الفتوى ٠٠٣ : ما هو رأي الإسلام في الحب بين شاب وفتاة ؟ .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٣-٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال:

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ما هو رأي الإسلام في الحب بين شاب وفتاة وفي حال عدم القدرة على الزواج منها بسبب ظروف عامة ماذا يجب على الإنسان الدعاء به عسى من الله أن يستجيب لنا ولكم والحمد لله على كل شيء.

وجزاكم الله عنا كل خير

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد.

الأخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إجابة على سؤالكم، نفيدكم بما يلي:

الحب الذي يأمر به الإسلام ويحث عليه هو الحب بين الزوجين بعد الزواج...ولا يعترف بحب بين الجنسين غير هذا. والإنسان يسأل الله حاجته باستمرار ودون سأم.

الدكتور محمد راتب النابلسي

والحمد لله رب العالمين

الفتاوى – الأخلاق والتزكية – علاقة الرجل بالمرأة – الفتوى ٤٠٠ : هل هناك سلطة مادية ومعنوية لأحد الزوجين على الآخر (من الناحية الشرعية) ؟ .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٣-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال:

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هل هناك سلطة مادية و معنوية للرجل على المرأة (من الناحية الشرعية) وهل هناك سلطة مادية ومعنوية للمرأة على الرجل وما مدى الحق في استعمال هذه السلطة وهل هناك ارتباط بين حقوق الزوج وواجباته أي إذا اخل بواجباته هل تسقط عنه حقوقه.

وجزاكم الله عنا كل خير

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد.

الأخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إجابة على سؤالكم، نفيدكم بما يلي:

لقد وصف الله العلاقة في بيت الزوجية بكلمات جامعة مانعة فقال:(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) السكن والمودة والرحمة ،وهذه المفردات واسعة المفهوم ،غزيرة الإيحاء ،وهي في ذلك بعيدة كل البعد عن كلمة سلطة....وحينما يحتاج الأمر إلى رأي وقرار مسؤول ،يأتي موضوع القوامة في بيت الزوجية ،وقد أناطها الله بالرجل.ولا بد أن يعلم أن الخلفية الصحيحة لكل العلاقات والتصرفات

في بيت الزوجية هي تقوى الله وطاعته ومراقبته.وكل شأن في هذه الحياة إن لم يضبط بضوابط الشرع فلن يضبط بضوابط الأرض.

الدكتور محمد راتب النابلسي

والحمد لله رب العالمين

الفتاوى – الأخلاق والتزكية – علاقة الرجل بالمرأة – الفتوى ٠٠٥ : ما هو الشيء المسموح به في العلاقة الزوجية ؟ .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٣-٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال:

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ما هو الشيء المباح لي من زوجتي أنا افعله معها هل هناك قيود وشروط ؟.

وجزاكم الله عنا كل خير

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد.

الأخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إجابة على سؤالكم، نفيدكم بما يلي:

الزوجة مباحة لزوجها من دون قيد أو شرط عدا ما حرمه القرآن والسنة وهو وطئها في الحيض ومن الدبر، وما سوى ذلك تحكمه الرغبة المتبادلة والذوق العام.

الدكتور محمد راتب النابلسي

والحمد لله رب العالمين

الفتاوى – الأخلاق والتزكية – علاقة الرجل بالمرأة – الفتوى ٠٠٩ : زوجي يأمرني بخلع الحجاب ماذا علي أن أفعل؟ .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٣-٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال:

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أنا مسلمة ملتزمة بحجابي الشرعي وزوجي ملتزم بدينه ولكن بعد زواج دام ٢٣ عام و٤ أولاد يريدني أن أزوجه من أخرى سبور بلا حجاب لأنه يرى السفور والتعري في شوارعنا ومناظر لم نعتاد مشاهدتها انه لم يعد يرى جمالي بصراحة أنا من عائلة محترمة وجميلة جدا أرى أعجاب الناس ومدحهم لي ولكني أريد الإعجاب من زوجي فقط أنا أفكر بالطلاق من اجل هذه المشكلة لأني إذا بقيت معه أخاف أن افقد ديني وهذا حرام لأني سأغضبه وتلعنني الملائكة بماذا تنصحني فضيلة الشيخ لا استطيع العيش وهو أمامي يتمتع بما يشتهي وأنا احترق لا أريد تقليد السافرات بعد حفاظي كل هذا العمر أنا خائفة على ديني علما أنني لا أضع الخمار.

وجزاكم الله عنا كل خير

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد.

الأخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إجابة على سؤالكم، نفيدكم بما يلي:

إذا انطلقنا من أن موضوع الحجاب لا يقبل المناقشة، لكن هل تزين المرأة لزوجها في البيت بما يقنعه وبلا حدود...تقبل المناقشة...؟ أخشى أن تكون المشكلة مع زوجك من هذا القبيل فانتبهي لنفسك...! على كل فإني أنصح في حل أي خلاف زوجي باتباع المنهج القرآني وهو الاحتكام إلى حكمين من الطرفين.

الدكتور محمد راتب النابلسي

والحمد لله رب العالمين

الفتاوى – الأخلاق والتزكية – علاقة الرجل بالمرأة – الفتوى ٠١١ : عدة اسئلة حول العلاقة بين الزوجة والزوج وأهل الزوج ؟ .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٣-٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال:

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لدي عدة أسئلة وأنا حائرة في أمري..

السؤال الأول: أنا متزوجة منذ سنة وربع ولقد ندرت إذا حملت أن اذبح خاروفين . فهل الندر يجوز؟ ولدي المال لكنني بحاجة له لشئ أخر، فماذا أفعل؟

السؤال الثاني: أن زوجي يذهب صباحا ولا يأتي إلا عند منتصف الليل ولا أستطيع التحدث معه عبر الهاتف لأنه يبقى مشغول ، فلا أدري فلقد دخلت موقع شات وتعرفت على شخص وأصبحت أقول له ما بداخلي حتى قال لي أنه يجب أن نكون أخوة في الله. فهل الذي أفعله صحيح؟ وما معنى هذا الكلام ؟ .

السؤال الثالث زوجي يشرب الشيشه بالأسبوع مرتين على الأقل فهل يجوز ذلك ؟

السؤال الرابع: إن والدة زوجي تسكن معي وهي جداً جداً تضايقني في تدخلاتها تأبى أن تسكن مع زوجها لأسباب غير مقنعة ، أريد أن أعرض عليها أن تجلس عندي نصف الأسبوع والنصف الأخر عند سلفي والمشكلة أنني كنت متزوجة من قبل ونفس المعاملة التي كنت أتلقاها من والدة زوجي الأول. أشعر بأنني سأجن ، فماذا أفعل؟ لأن كل مشكلة تحدث بيني وبين زوجي تكون بسببها.

وجزاكم الله عنا كل خير

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد .

الأخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إجابة على سؤالكم، نفيدكم بما يلي:

١ ــ مادمت نذرت وكان الأولى ألا تفعلي فيجب عليك الوفاء بالنذر، ومشكلة الناس أنهم يسألون بعد أن يتورطوا بالفعل...فلم لا يكون السؤال قبل الفعل...؟

٢- غياب زوجك الطويل، مع كونه خطأ لا يبيح لك الكلام مع رجل أجنبي ولا يوجد في دين الإسلام أخوة في الله بين رجل وامرأة ...إنما هي أخوة في الشيطان .

٣- لا يجوز وعليه أن يقلع عن ذلك .

٤- تلك المشكلة تحل داخل إطار الأسرة مع كل الأطراف المعنيين .

الدكتور محمد راتب النابلسي

والحمد لله رب العالمين

الفتاوى – الأخلاق والتزكية – الخلوة بإمرأة أجنبية – الفتوى ٠٠١ : هل صعود الرجل مع المرأة في المصعد لوحدهما فيه حرمة ؟ .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٢-٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال:

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لا أعلم ما حكمكم في صعود موظف وموظفة في المصعد الكهربائي في مكان عملهم لوحدهم مع العلم بعفة الاثنين، والنظر إلى الأرض، وعدم التحدث، وعلو الطابق فهل هذه لا سمح الله خلوة؟. وإن كان ذلك ما العمل ؟

وجزاكم الله عنا كل خير

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد.

الأخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إجابة على سؤالكم، نفيدكم بما يلي:

الأولى ألا يكون ذلك، وليصعد كل وحده.

الدكتور محمد راتب النابلسي

والحمد لله رب العالمين

الفتاوى – الأخلاق والتزكية – الخلوة بإمرأة أجنبية – الفتوى ٠٠٤ : هل حديث المرأة مع الرجل عن طريق المسنجر حلال أم حرام ؟ .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٢-٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال:

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو الرد هل حديث المرأة مع الرجل عن طريق المسنجر حلال أم حرام مع ضمان الشب بقصد الزواج ؟. وهل الحديث معه بقصد العلاج أي أن يكون طبيبا "العلاج النفسي " هل هو حرام ؟.

وجزاكم الله عنا كل خير

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد.

الأخت الكريمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إجابة على سؤالكم، نفيدكم بما يلي:

إن لم يكن حراما، فهو وسيلة أو ذريعة للحرام، والمسلم مأمور بسد الذرائع.

الدكتور محمد راتب النابلسي

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الباب الأول : صفات المرأة المسلمة

الدرس ٠١ - صفات المرأة وفوائد التمر ٢
الدرس ٠٢ - صفات المرأة الصالحة ٩

الباب الثاني : الأسرة

الدرس ٠١ - هموم الأسرة ١٥
الدرس ٠٢ – العلاقات الأسرية ندوة حمص ٣٤
الدرس ٠٣ - منهاج الأسرة الناجحة ٦٢
الدرس ٠٤ - أخلاق الزوجة المؤمنة ٨٩

الباب الثالث : الحقوق

الدرس ٠١ - علاقة الرجل بزوجته وعدم الاختلاط ٩٥
الدرس ٠٢ - قوامة الرجل وحقوقه على زوجته ١٠٥
الدرس ٠٣ - حقوق الزوج ١٢٠
الدرس ٠٤ - حق الإنفاق عليها وحقها بعدم الإساءة لها وحسن المعاشرة ١٤٢
الدرس ٠٥ - حقها في هدايتها ورعاية دينها وأخلاقها ١٦١
الدرس ٠٦ - حقوق الزوجة ١٧٨

الباب الرابع : العورات

الدرس ٠١ - العورات ١٩٩
الدرس ٠٢ - عورة الرجل بالنسبة للمرأة ٢١٧
الدرس ٠٣ - عورة المرأة بالنسبة للمرأة ٢٣٧

الدرس ٠٤ - عورة المرأة بالنسبة للرجل ٢٥١

الباب الخامس : أسباب الشقاق الزوجي

الدرس ٠١ - أسباب الشقاق الزوجي ٢٦٥
الدرس ٠٢ - الطمع المادي والغياب الطويل عن البيت والجهل ٢٨٥
الدرس ٠٣ - شيوع العداوة والبغضاء بين الزوجين وإطلاق النظر ٢٩٦
الدرس ٠٤ - أسباب الشقاق الزوجي وأسباب السعادة الزوجية ٣١٢
الدرس ٠٥ – التقليد الأعمى أحد أسباب الشقاق الزوجي ٣٣٤
الدرس ٠٦ - أسباب الشقاق الزوجي ــ ميل أحد الأبوين إلى أحد الأولاد ... ٣٤٥
الدرس ٠٧ - أسباب الشقاق الزوجي ــ حرمان المرأة من الميراث ٣٥٧
الدرس ٠٨ - أسباب الشقاق الزوجي : سوء الظن ٣٧٠
الدرس ٠٩ - عدم احترام الزوج لعائلة الزوجة أو عدم احترام الزوجة ٣٨٣
الدرس ١٠ – الكذب سبب من أسباب الشقاق الزوجي يهدم كيان الأسرة ٣٩٦
الدرس ١١ - الأسلوب التربوي الفعال في تربية الأولاد أن تكون قدوة لهم . ٤١١
الدرس ١٢ - خ ١ – الإرث (حرمان البنات والزوجات من الميراث)..... ٤٢٤
الدرس ١٣ – جهل الزوج والزوجة بواجباتهما ٤٣٥
الدرس ١٤ - أسباب السعادة الزوجية ٤٤٧

الباب السادس : أسباب هدم البيوت

الدرس ٠١ - عمل المرأة ٤٥٧
الدرس ٠٢ - الخلوة والاختلاط ٤٦٨
الدرس ٠٣ - الاختلاط ٤٨٣
الدرس ٠٤ - خطر الغزو الفكري من الأجهزة الحديثة التلفاز ٤٩٦
الدرس ٠٥ - الأثر السلبي للشاشة والتصوير والهاتف ٥٠٨

الدرس ٠٦ - خ١ -أحاديث تحرم مخالطة الأخ بزوجة أخيه ٥١٩

الباب السابع : وسائل إصلاح البيوت

الدرس ٠١ – البيت المسلم١ (وسائل إصلاح البيوت١) ٥٣٠

الدرس ٠٢ - البيت المسلم١ (وسائل إصلاح البيوت٢) ٥٤١

الباب الثامن : المرأة في الإسلام

الدرس ٠١ - المرأة في الإسلام١ (المساواة بين الذكور والإناث)......... ٥٥٤

الدرس ٠٢ – المرأة في الإسلام٢ (وليس الذكر كالأنثى)................. ٥٦٥

الدرس ٠٣ - شهادة المرأة في الإسلام ٥٧٧

الدرس ٠٤ - ندوة حول اتفاقية مكافحة أشكال التمييز ضد المرأة ٥٨٣

الباب التاسع : الحجاب

الدرس ٠١ - وقرن في بيوتكن ٦٠٤

الدرس ٠٢ - ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ٦٢٣

الدرس ٠٣ - حجاب المرأة ٦٤٢

الدرس ٠٤ – الحجاب ٦٥٧

الدرس ٠٥ - فتنة النساء١ – ثياب المرأة ٦٧٣

الدرس ٠٦ – فتنة النساء٢ – خصائص ملابس النساء ٦٨٥

الدرس ٠٧ - لباس المرأة وزينتها ٦٩٧

الدرس ٠٨ – تشبه النساء بالرجال ٧١٠

الباب العاشر : الآداب العامة للزوجين

الدرس ٠١ - قواعد اجتماعية تسهم في نجاح الحياة الزوجية ٧٢٣

الدرس ٠٢ - آداب التعامل بين الرجل والمرأة ٧٣٨

الدرس ٠٣ - حول ضرورة الزواج ٧٥٢

الدرس ٠٤ - واجبات المرأة تجاه ديمومة الزواج ٧٧١

الدرس ٠٥ - العلاقات الزوجية ٧٨٩

الدرس ٠٦ - الضوابط التي يجب أن تراعى في الرياضة ٨٠٤

الباب الحادي عشر : أخطاء تقع بها النساء

الدرس ٠١ - أخطاء تقع بها أكثر النساء١ .... ٨١٤

الدرس ٠٢ - أخطاء تقع بها أكثر النساء٢ .... ٨٢٣

الدرس ٠٣ - أخطاء تقع بها أكثر النساء ٣ .... ٨٣٧

الباب الثاني عشر : فتاوى خاصة بالنساء

الفتوى ٠١ - هل يجوز للزوج إهمال زوجته ؟ ٨٥١

الفتوى ٠٢ - العلاقات المالية بين الزوجين وطريقة الحصول على مال ٨٥٢

الفتوى ٠٣ – ما هو رأي الإسلام في الحب بين شاب وفتاة ؟ ٨٥٤

الفتوى ٠٤ - هل هناك سلطة مادية ومعنوية لأحد الزوجين على الآخر ٨٥٥

الفتوى ٠٥ – ما هو الشيء المسموح به في العلاقة الزوجية ؟ ٨٥٧

الفتوى ٠٦ - زوجي يأمرني بخلع الحجاب ماذا علي أن أفعل؟ ٨٥٨

الفتوى ٠٧ - عدة اسئلة حول العلاقة بين الزوجة والزوج وأهل الزوج ؟ ... ٨٦٠

الفتوى ٠٨ - هل صعود الرجل مع المرأة في المصعد لوحدهما فيه حرمة ؟ ٨٦٢

الفتوى ٠٩ - هل حديث المرأة مع الرجل عن طريق المسنجر حلال أم حرام ٨٦٣

الفهرس ٨٦٤